

مَوْسُوْعَةٌ

مَوْصِيَا الحَضْرَةِ

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

٢



جَامِعَةُ الْمَوْصِلِ
وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مَوْسُوعَةُ الْمَوْصِلِ الْحَضَرِيَّةِ

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

٢

دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

حقوق الطبع محفوظة لدار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

٩١٠٢٥ / ٤٠٠٠ / ٢



نشر وطبع وتوزيع :

دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

شارع ابن الاثير- الموصل- جمهورية العراق

هاتف ٧٦٣٢٣١

تلكس ٨٠٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَيْئَةُ التَّحْرِيزِ مَوْسُومَةُ التَّوَضُّعِ الْخَصْلَةِ الْكَلْبِيَّةِ

الاستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح

رئيس التمرير

الاستاذ الدكتور غا مرسيلمان

عضواً

الاستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة

عضواً

الدكتور إبراهيم هبة خليل أحمد

عضواً

الدكتور أحمد عبد الله الحسو

عضواً ومقرراً

الأشراف الفتيحة : يوسف ذنون

تَقْطَعَتَا

إذا كانت المدن العراقية القديمة ومنها مدينة نينوى وحصنها الغربي (الموصل) قد شكلت الأطر المادية التي نشأت في ربوعها الحضارة العراقية القديمة كما تم توضيح ذلك في الجزء الأول من الموسوعة ، فإن الحضارة العربية الإسلامية قد اتخذت من المدن التي مصرتها في فجر نهضتها كالبصرة والكوفة والموصل والفسطاط والقيروان وغيرها مراكز عظيمة لانطلاق قيمها ومثلها ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية .

وقد كان المسجد بصفته المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء العبادة والتعلم ومناقشة أمورهم العامة المركز الذي انطلق منه تخطيط المدينة العربية الإسلامية . فبنيت الى جواره دار الامارة ، واثبتت الاسواق ، والاحياء السكنية المختلفة . وبذلك عبر الاسلام عن هويته الحضارية من خلال المدن التي مصرها على اعتبار أن « المدينة هي الحضارة » .

وقد تجسدت روح التسامح التي تميز بها الاسلام تجاه أصحاب الأديان الأخرى في الاسلوب الذي اتبعه المسلمون في تخطيط مدنها ، اذ حرصوا على عدم المساس بالمنشآت الدينية لغيرهم على الرغم مما كانوا يحملون من حاسة لعنيتهم . فقد ذكر البلاذري على سبيل المثال أن هرثة الباقى الذي عينه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) والياً على الموصل قد قام بتخطيط مدينة الموصل الى جانب المنشآت الدينية والسكنية القائمة لأصحاب الديانات الأخرى : « وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود ، فصرها هرثة فأنزله العرب منازلهم واختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع »^(١) .

لقد كانت الحقبة العربية الإسلامية من تاريخ الموصل التي استمرت بضعة قرون ، أكثر الحقب التاريخية حيوية واشراقاً ، إذ ازدهرت خلالها الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية . وقد تمخضت هذه الحقبة عن الكثير من القيم الحضارية والثقافية التي مازالت حية في نفوس أبناء المجتمع حتى يومنا هذا .

في ضوء ماتقدم ، فقد وجدت هيئة تحرير الموسوعة أن من الواجب اعطاء هذه الحقبة من تاريخ الموصل اهمية متميزة فخصصت الجزئين الثاني والثالث لدراسة التطورات السياسية والحضارية والثقافية التي شهدتها هذه المدينة العريقة منذ التحرير العربي الاسلامي لها سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م وحتى عهد السيطرة العثمانية سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م .

واذا كانت الموسوعة قد اتخذت من التاريخ السياسي للمدينة اطاراً عاماً لتقسيم الفترات التاريخية المختلفة التي مرت بها ودراسة التحولات الحضارية والثقافية من خلاله ، فإن تركيزها الاكبر كان على دراسة النواحي

الحضارية بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية . بل ان قيمة كل عهد سياسي كانت مرهونة بما أنجزه هذا العهد من انجازات حضارية متنوعة . لذا فقد خصصت الموسوعة مباحث عدة لدراسة التحولات الحضارية في كل عهد من العهود السياسية التي مرت بها المدينة فضلاً عن دراسة هذه التحولات في اطارها الشامل وبما يغطي كامل الحقبة العربية الاسلامية .

واذ تضع هيئة تحرير الموسوعة ، بين يدي القارئ الكريم الجزء الثاني من الموسوعة الذي يدرس تاريخ مدينة الموصل من الناحية السياسية والحضارية خلال الحقبة العربية الاسلامية لتأمل أن تقدم له في الجزء الثالث صورة تفصيلية عن الحياة العلمية والثقافية والفنية وبما يتناسب مع تاريخ هذه المدينة العريق في خدمة الحضارة والانسانية .

رئيس هيئة تحرير الموسوعة

المحتويات

الموصل في التاريخ العربي الاسلامي

(١)

التطورات السياسية والحضارية في الموصل منذ التحرير
العربي وحتى السيطرة العثمانية

- ١٣ . الموصل والرسالة الاسلامية
أ. د. هاشم يحيى الملاح
كلية الآداب / جامعة الموصل
- ٢٠ . تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين
أ. د. هاشم يحيى الملاح
- ٣٢ . الموصل في العهد الأموي
أ. د. عبد الواحد ذنون طه
كلية التربية / جامعة الموصل
- ٤٤ . المظاهر الحضارية في الموصل خلال العهد الأموي
أ. د. عبد الواحد ذنون طه
- ٦٦ . الموصل إبان الحكم العباسي المباشر
أ. د. فاروق عمر فوزي
كلية الآداب / جامعة بغداد
- ٨٤ . الدولة العربية الاسلامية وظهور الدويلات
د. عبد المنعم رشاد
كلية الآداب / جامعة الموصل
- ٩٢ . الموصل في عهد الادارة الحمدانية
أ. د. رشيد عبدالله الجميلي
كلية التربية الأولى / جامعة بغداد
- ١٠٢ . الموصل في عهد الادارة العقبيلة
د. خاشع المعاضيدي
كلية التربية الأولى / جامعة بغداد
- ١٢٢ . الموصل في عهد السيطرة السلجوقية
أ. د. رشيد عبدالله الجميلي

- ١٥٤ . الموصل في عهد الإدارة الأتابكية
د. عبد المنعم رشاد
- ١٩٣ . المظاهر الحضارية في الموصل في عهد الإدارة الأتابكية
د. عبد المنعم رشاد
- ٢١٤ . الموصل في عهد السيطرة المغولية الأيلخانية
د. عبد المنعم رشاد
- ٢٣٤ . الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية الأيلخانية
د. احمد عبدالله الحسو
كلية الآداب / جامعة الموصل
- ٢٥١ . الموصل في عهد السيطرة الجلائرية
د. احمد عبدالله الحسو
- ٢٦٣ . الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض
علي شاكر علي
الاستاذ المساعد
كلية الآداب / جامعة الموصل
- ٢٧٢ . الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض
د. احمد عبدالله الحسو

الاضاع الحضارية للموصل منذ التحرير العربي حتى السيطرة العثمانية

- ٢٧٨ . نظم الحكم والأدارة
أ. د. توفيق البيوزيكي
كلية الآداب / جامعة الموصل
- ٣٠٥ . الحياة الاقتصادية
أ. د. توفيق البيوزيكي
- ٣٣١ . الحياة الاجتماعية
د. نجهان ياسين
كلية الآداب / جامعة الموصل

الحياة الثقافية

- ٣٣٩ . معالم الثقافة العربية الاسلامية
أ. د. هاشم يحيى الملاح
- ٣٥١ . الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل
د. ناطق صالح مطلوب
كلية الآداب / جامعة الموصل

المَوْصَلِي فِي التَّلَايِيحِ الْغَرِيبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١)

التطورات السياسية والحضارية في الموصل منذ الفتح العربي وحتى السيطرة العثمانية

١٦ - ٩٢٢ هـ / ٦٣٧ - ١٥١٦ م

الموصل والرسالة الإسلامية

أ.د. هاشم يحيى الملاح

أوضاع المنطقة قبل قيام الحكم العربي
الإسلامي :-

وكان للامبراطورية الآشورية التي اتخذت من
نينوى عاصمة لها فترة من الزمن دور كبير من
الناحية السياسية والثقافية والعمرانية في حياة العراق
والبلدان المجاورة لفترة امتدت الى ما يقرب من ألف
واربعمائة سنة (٢٠٠٠ ق.م - ٦١٢ ق.م).

غير أن سقوط الامبراطورية الآشورية ، ووقوع
العراق تحت تسلط الاقوام الاجنبية لمدة طويلة من
الزمن . امتدت من سقوط الدولة البابلية سنة ٥٣٩
ق.م . وحتى قيام الحكم العربي الاسلامي في
العراق في النصف الاول من القرن السابع
الميلادي ، قد أدى الى فقد العراق دوره القيادي
في المجال السياسي والحضاري^(١) .

ان فقد العراق استقلاله السياسي لمدة تزيد
على ألف ومائة عام لم يمنع العراقيين من مواصلة

كانت منطقة الموصل منذ عصور ما قبل التاريخ
موطن عطاء حضاري متقدم بحكم خصوبة
أرضها ، وجوده مناخها ، وموقعها الجغرافي الملائم .
لذا فقد أثبتت الدراسات الأثرية أنه كان لهذه
المنطقة فضل السبق في مجال اكتشاف الزراعة
ونشوء القرى والمدن وما رافق ذلك من ازدهار
حضاري في ميادين الحياة المختلفة على الكثير من
المناطق في العالم .

وقد نهضت الاقوام التي نزحت من شبه الجزيرة
العربية واستوطنت في منطقة الموصل وبقية أجزاء
العراق الأخرى بدور متميز في خدمة الانسانية من
خلال الكثير من المعطيات الحضارية التي توجتها
بتأسيس الدول والحضارات التي حققت منجزات
كبيرة في التاريخ .

عظائم الحضاري والتأثير في الاقوام المتسلطة على مقدرات الحياة السياسية في بلادهم ، لأن تلك الاقوام كانت أقل تقدماً منهم من الناحية الحضارية . لذا فقد ظلت الحضارة الآشورية - البابلية هي السائدة في العراق على الرغم من سيطرة الفرس الأخمينيين ، وكانوا أول من احتل العراق ، « بل إن الأخمينيين أنفسهم اقتبسوا الكثير من تلك الحضارة ومنها نظم الادارة والبريد . كما ظلت اللغة الاكدية بكتابتها السامرية هي السائدة . واستخدم الفرس أنفسهم اللغة الاكدية كلغة ثانية لنصوصهم الملكية . ثم بدأت اللغة الآرامية - وهي من اللغات العربية القديمة - كاللغة الاكدية واللغة العربية ، تزاحم اللغة الاكدية وتحل محلها تدريجياً ، وقد ساعد على انتشارها سهولة خطها الابجدي . وبعد فترة بدأت اللغة العربية تزاحم اللغة الآرامية وتحل محلها وأصبحت لها السيادة المطلقة »^(١) قبيل الاسلام .

وحين بسط اليونانيون في فترة الاحتلال السلوقي سلطانهم السياسي على العراق نشأ صراع وتفاعل حضاري بين الحضارة اليونانية وحضارة وادي الرافدين كان من نتاجه تأثر حضارة اليونان بحضارة وادي الرافدين وبقية حضارات المشرق فأصبحت تدعى بالحضارة الهلينية ، لأنها كانت مزيجاً من المعطيات الحضارية الغربية والشرقية^(٢) .

وقد ظلت الروح الحضارية في العراق وغيره من الأقاليم العربية تكافح من أجل العطاء والانطلاق الحضاري على الرغم من القيود التي فرضتها عليها الاقوام الاجنبية من فرثية وساسانية وبيزنطية . وربما كان ظهور المسيحية في المنطقة العربية وانتشارها على نطاق واسع في العالم أحد أكبر المعطيات الثقافية التي قدمتها الحضارة العربية للعالم في الحقبة الواقعة بين سقوط بابل وظهور الرسالة الاسلامية في مكة سنة ٦١٠ م^(٣)

ويلاحظ أنه كان لهجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية الى العراق ومنطقة الجزيرة المحيطة بالموصل أثر كبير في المحافظة على الهوية العربية للمنطقة ومقاومة التسلط الاجنبي عليها . وكان من ابرز القبائل العربية التي هاجرت الى العراق واستوطنت في منطقة الجزيرة والموصل أياد وتغلب ونمر وشيبان وقضاعة^(٤) .

وقد أشارت المصادر التاريخية باقتضاب الى بعض صور المقاومة التي أبدتها أبناء هذه القبائل بازاء التسلط الفارسي على العراق . فقد أورد المسعودي أنه كان لقبيلة أياد العربية التي اعتادت أن تقضي الصيف في الجزيرة وتمضي فصل الشتاء في أرض السواد ، وقائع حرية ضد سابور الثالث الذي حكم من سنة ٣٨٣ م الى سنة ٣٨٨ م . وفيه يقول شاعر أياد :

على رغم سابور بن سابور أصبحت
قباب أياد حولها الخيل والنعم^(٥)
كما ذكر الطبري أن لقبيلة قضاعة التي سكن قسم منها في منطقة الجزيرة دوراً مهماً في مقاومة الفرس . وقد وصف شاعرهم عمرو بن إله بن الجدي إحدى الوقائع التي انتصروا فيها على الفرس بقوله :-

لقيناهم يجمع من علاف
وبالخيال الصلادمة الذكور
فلاقت فارس منا نكالا
وقتلنا هرايز شهرزور^(٦)
دلفنا للاعاجم من بعيد
يجمع كالجزيرة في السعير

ولم تقتصر المقاومة العربية للحكم الاجنبي على أبناء القبائل كما قدمنا ، بل إنها شملت سكان الحواضر المستقرين . غير أن أسلوب المقاومة اتخذ شكل المعارضة لعقائد المحتلين ورفض الاندماج في

أديانهم ومذاهبهم. فقد رفض معظم عرب العراق الدخول في المجوسية وهي الديانة الرسمية للامبراطورية الساسانية. كما رفض معظم العرب الذين كانوا على الديانة المسيحية اعتناق المذهب الرسمي للدولة بخصوص طبيعة السيد المسيح^(٨). وقد توصل أحد الباحثين المعاصرين الى أن ذلك لا يرجع الى دوافع فلسفية أو عقائدية محضة، بل إنه كان يرجع بصورة رئيسة الى اسباب سياسية تتلخص في تطلع شعوب المنطقة من غير اليونانيين الى الاستقلال عن الامبراطورية البيزنطية. علماً بأن المجال الجغرافي الذي كانت تعيش فيه الاقوام الآرامية قد جعل من العربية لغة الكنيسة الموحدة كما جعل رعاياها أناساً مستقلين عن بيزنطة على الصعيد الأيديولوجي... ومن الصعب إخضاعهم وهم الذين حافظوا على تقاليدهم الثقافية والفلسفية التي تكونت في سوريا خلال الاجيال^(٩).

البحث عن الحقيقة وظهور رسالة الاسلام :-

لقد ترتب على الصراعات السياسية والانقسامات الدينية والمذهبية التي سادت في منطقة نفوذ الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية، خلال القرن السادس الميلادي أن نشأ تطلع عام بين أهل الأديان الموجودة في المنطقة العربية وما حوّلها الى مجيئ نبي أو مخلص لإنقاذ الناس مما هم فيه من قلق ومعاناة. وقد حفلت كتب السيرة النبوية بالاشارة الى أن رهبان النصارى وأحبار اليهود كانوا يتطلعون الى مجيئ المسيح المنتظر. بل إن اليهود في يثرب كانوا يتهدون العرب كلما نشب نزاع بينهم بقرب ظهور نبي من بينهم ليقودهم ويقضي بهم على خصومهم^(١٠).

وإن مما يوضح أبعاد هذا التطلع العام الى الهداية ويكشف وحدة المضمون الروحية والفكرية

التي كان يعيشها أهل كل من بلاد العراق والشام والحجاز وغيرها من المناطق أن تعرض قصة اسلام سلمان الفارسي بإيجاز من خلال ما أورده ابن اسحاق عنها من روايات. فبعد أن أوضح ابن اسحاق كيف أن سلمان ترك دين قومه «المجوسية»، وغادر موطنه أصهبان على خلاف إرادة أهله، بحثاً عن الدين الحق بين مذاهب النصرانية، وأخذ ينتقل من راهب الى آخر، ومن مكان الى مكان غيره، في العراق والشام، حتى استقر به المقام في يثرب من بلاد الحجاز حيث اعتنق الاسلام بعد هجرة الرسول ﷺ اليها. وكان مما ذكره ابن اسحاق عن رحلة سلمان أنه توجه الى الموصل للتعليم فيها لأن الناس كما أخبره معلمه السابق قد «بدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلاً بالموصل». وقد أقام سلمان عند هذا الرجل يتعلم منه حتى وفاته. ثم واصل تنقلاته بين المعلمين حتى أوصاه آخرهم بأن يتوجه الى يثرب في أرض العرب لأنه «قد أظّل زمان نبي، وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام»^(١١).

ورما كان مما بدعّم جوهر الفكرة التي تنطوي عليها قصة اسلام سلمان الفارسي ما أورده المصادر التاريخية عن رحلة الرسول ﷺ الى الطائف والتفاته هناك بشخص يدعى عداس، وكان مسيحياً من أهل نينوى. فقد ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ حينما أضطره سفهاء الطائف للالتجاء الى أحد بسائنها للتخلص مما كان يتعرض له من الأذى جاءه عداس بطبق فيه عنب. «فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: بسم الله، ثم أكل، فتنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح

يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكـب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. فلما رأى عتبة وشيبة ابنا ربيعة ما فعله غلامها عداس مع رسول الله ﷺ وكانا مشركين قالوا له: «وبلك يا عداس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه. قال ياسيدي ما في الأرض خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الانبي. قالوا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه» (١٢).

إن هاتين القصتين على الرغم مما قد يكون دخلها من تلوين وصنعة على أيدي الرواة فإن دلالتها قوية على وحدة المهوم الروحية في المنطقة العربية، وعلى قوة التواصل الفكري بين أهل الموصل وأهل الحجاز في عصر الرسالة.

وإن مما يقوي هذا الاستنتاج ويؤكد أنه نشر الى أن بعض الروايات التاريخية قد ذكرت أن بعض الاحناف الذين رفضوا عبادة الاصنام ولم يدخلوا في اليهودية والنصرانية قد أوصلتهم اسفارهم وهم يبحثون عن العقيدة الصحيحة الى الموصل. وكان من ابرز هؤلاء الاحناف زيد بن عمرو بن نفيل. فقد ذكر ابن كثير انه لم يكن هناك بين الاحناف من هو «أعدل أمراً وأعدل ثباتاً من زيد بن عمرو ابن نفيل، اعتزل الاوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والمثل كلها، الا دين الحنيفية، دين ابراهيم، يوحد الله ويخلع من دونه، ولا يأكل ذبائح قومه» (١٣). ثم إن زيد بن عمرو بن نفيل قد ذهب الى «الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الاول دين ابراهيم ويسأل عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له

الراهب إنك لسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولقا. درس من علمه وذهب من كان يعرفه. ولكنه قد أظـل خروج نبي. وهذا زمانه» (١٤).

وقد ذكر البخاري في صحيحه أن زيد بن عمرو بن نفيل لقي الرسول ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي «فقدّمت الى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم. ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه» (١٥). هذا، وإن مما يجدر ذكره في هذا المجال أن تشير الى أن زيد بن عمرو بن نفيل قد توفي وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بخمس سنين» (١٦). وأن ابنه سعيد بن زيد كان من أوائل من أسلم، وأنه قد سأل رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه فاستغفر له وقال: إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده (١٧).

وإن مما له صلة متينة بالمسألة موضع البحث أن تشير الى أن ورقة بن نوفل كان أحد الاحناف الذين اتفقوا مع زيد بن عمرو بن نفيل في رفض عبادة الاصنام والتوجه للبحث عن دين ابراهيم (١٨)، وأن إحدى الروايات تذكر أنها «خرجوا يلتسمان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل، فقال لزيد ابن عمرو من اين أقبلت يا صاحب البعير، فقال من بنية ابراهيم، فقال وما تلتمس، قال التمس الدين قال أرجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك» (١٩). غير أن ورقة اتجه على الرغم من ذلك كما تؤكد الروايات التاريخية الى اعتناق النصرانية واستحكم فيها «واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علماً من أهل الكتاب» (٢٠). وكان ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوجة الرسول ﷺ. وقد ذكر ابن اسحاق أنه حينما نزل الوحي على النبي ﷺ، ذهبت خديجة الى ورقة لتخبره بما أخبرها به الرسول ﷺ من أمر الوحي فقال لها ورقة: «قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة

بأن قريشاً لم تكن تجهل أمر الموصل وأهميتها ، ليس من الناحية الثقافية كما أوضحنا آنفاً ، وإنما من الناحية الاقتصادية أيضاً قال الأصمعي :
« كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا ، وهي الموصل ، لقدرها عندهم ، ولم ينلهم في خصبها شيء قط . وعن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا » (٢٧)

مبادئ الاسلام ووحدة الامة :-

إن الاوضاع التي هيمنت على المنطقة العربية قبل الاسلام ، وما أكتنفها من قلق روحي عميق ، وتطلع نحو الهدى الديني ، في مدن العراق والشام والحجاز قد مهدت السبيل لظهور رسالة الاسلام في مكة على يد محمد بن عبدالله ﷺ في حدود سنة ٦١٠ م .

وقد عبرت رسالة الاسلام ، كما يقول اشينكلر ، عن روح الحضارة العربية ، التي قامت على أساس شعور جديد كل الجدة بالعالم ، شعور يستهدف إقامة علاقة جديدة بين الانسان والله . وإن هذا الشعور قد تحلل جميع الأديان الشائعة والمألوفة التي كانت موجودة على الأرض العربية قبل الاسلام . وبذلك تمكن الاسلام من تحرير هذه الروح من جميع قيود وأغلال التشكل الكاذب في أطر الحضارات الأخرى التي نشأت نتيجة لتسلط القوى الاجنبية وثقافتها على المجتمع العربي لحقبة طويلة من الزمن ، وخاصة الثقافة الهيلينية (٢٨)

إن الرسالة الاسلامية قد قامت على مجموعة من المبادئ الاساسية التي ساعدت بمجموعها على تحقيق وحدة الأمة وتجربها وتقدمها . لذا كان من الضروري أن تقدم نبذة موجزة عن هذه المبادئ من أجل فهم التطورات الحضارية التي مرت بها المنطقة العربية عامة ، ومنطقة الموصل خاصة وذلك لأن هذه الموسوعة مكرسة في الاساس لدراسة

بيده ، لئن كنت صدقتني ياخذيجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي الى موسى ، وإنه لنبي هذه الامة ، فقول لي فليثبت » (٢٩) . ثم ان ورقة لني الرسول ﷺ بعد ذلك وهو يطوف بالكعبة فسأله عن حقيقة ما سمعه عن نزول الوحي عليه ، فلما أكد له الرسول ﷺ ذلك ، قال له ورقة « إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ، ولتكدبته وتؤذينه وتخرجنه ولتقاتلته ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه » (٣٠) .

إن موقف ورقة بن نوفل من خبر الوحي يعبر عن « تصديق بما وجد ، وإيمان بما حصل من الوحي ، ونية صالحة للمستقبل » (٣١) كما يقول ابن كثير . غير أن العمر لم يطل بورقة « ثم لم ينشب ورقة أن توفي » ، وذلك لأنه كان في ذلك الوقت « شيخاً كبيراً قد عمي » (٣٢)

وربما كان من المفيد ، قبل أن نختم الكلام عن التواصل الفكري والروحي بين الموصل ومكة ، أن نشير الى أن المصادر التاريخية تذكر أن صهيب الرومي ، الذي كان من أوائل المؤمنين بالدعوة الاسلامية ، حيث كان إسلامه « بعد بضعة وثلاثين رجلاً » (٣٣) في مكة ، كان من أهل الموصل . فقد ذكر ابن سعد أن صهيب الرومي أجاب حين سأله عمر بن الخطاب (رض) لماذا تقول أنك من العرب وأنت رجل من الروم بقوله : « إني رجل من الثمرين قاسط من أهل الموصل ، ولكن سببت ، سبتي الروم غلاماً صغيراً بعد أن عقلت أهلي وقومي وعرفت نسي » (٣٤) .

إن وجود صهيب في صفوف المسلمين الاوائل في بداية ظهور الدعوة الاسلامية في مكة ، وهو لا يزال يذكر موطنه الاول ، الموصل ربما شكل عاملاً إضافياً لاهتمام الرسول ﷺ وأصحابه بهذه المدينة . وقد تجلّى ذلك بوضوح من خلال حوار الرسول ﷺ مع عداس في أثناء وجوده في الطائف . علماً

اوضاع الموصل الحضارية عبر حقب التاريخ المختلفة .

الاسلام والرسالات السابقة :-

أوردت مصادرنا التاريخية أنه بينما كان الرسول محمد ﷺ يتبع في غار حراء في شهر رمضان في حدود سنة ٦١٠ م حسب أرجح الروايات ، أوحى الله تعالى اليه برسالة الاسلام عن طريق الملك جبريل ، كما سبق أن أوحى الى الأنبياء الآخرين من قبله ؛ نوح ، و ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم : «إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك» (٢٩) .

وتلخص المبادئ الاساس التي جاء بها الوحي في تأكيد وحدانية الله تعالى وتزيهه عن أن يكون له شركاء من أصنام وأوثان أو غيرها ، وأن الله هو خالق كل شيء والمهيمن على شؤون العالم . لذا كان من واجب الناس أن يسلموا أمورهم له ، ويطيعوا أوامره التي يرسلها اليهم عن طريق الانبياء والرسل . وقد اكد القرآن في الكثير من آياته أن من يطع الله فإنه سيفوز في هذه الدنيا وينال الخلود في الجنة يوم القيامة . أما من يعصي أوامر الله تعالى فإنه سيصاب بالخسران في هذه الحياة ويدخل جهنم يوم القيامة عقاباً له على خروجه على أوامر الله .

لقد استمد الاسلام اسمه من معنى التسليم والانقياد لأوامر الله ، لأن المسلم هو من يسلم أموره كلها لله . وقد أوضح القرآن الكريم أن الاسلام بهذا المعنى هو جوهر كافة الرسالات السماوية التي جاء بها الانبياء من قبل . لذا فقد وصفتهم آيات القرآن بالمسلمين : «ووصى بها ابراهيم بنيه ، ويعقوب ، يابني» إن الله يصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (٣٠) .

في ضوء ما تقدم . فقد اكد القرآن الكريم أن الرسالة التي نزلت على محمد ﷺ ، هي امتداد

لرسالة الاسلام ، التي نزلت على جميع الانبياء السابقين : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (٣١) . لذا فقد أثنى القرآن الكريم على المؤمنين الصادقين من أصحاب الديانات السابقة وعدهم برضاء الله تعالى وثوابه يوم القيامة : «إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (٣٢) .

إن ما ورد آنفاً لا يعني أن هنالك تطابقاً بين الاسلام والأديان السماوية الأخرى ، وإنما يعني أن هنالك قدراً من الاتفاق في جوهر العقيدة . أما التفاصيل المتعلقة بمناسك العبادة واحكام الفقه ، فقد اشار القرآن الكريم الى التمايز بين هذه الأديان : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ، فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجلعكم أمة واحدة ، ولكن ليلوكم فيها آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» (٣٣) .

إن تأكيد الاسلام وحدة جوهر العقيدة بينه وبين الأديان السماوية الأخرى ؛ وهي أديان عربية المنشأ والبيئة ، قد أوجد المناخ الملائم لإقامة أفضل العلاقات بين المسلمين وأتباع هذه الأديان على المستوى الاجتماعي والسياسي . لذا فقد أباح القرآن الكريم للمسلمين الزواج من نساء أهل الكتاب والأكل من طعامهم (٣٤) . كما عمل الرسول ﷺ على توثيق العلاقات السياسية معهم . فعندما اشتد أذى مشركي مكة للمسلمين قام الرسول ﷺ بتشجيعهم على الهجرة الى الحبشة «لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد» (٣٥) . وقد ذكر ابن اسحاق أن النجاشي ملك الحبشة

حينما سمع بعض آيات القرآن الكريم بكى وبكى معه اساقفته وقال : « إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » (٣٦) .

ولقد وصف القرآن الكريم المسيحيين الذين اتخذوا موقفاً إيجابياً من الاسلام بقوله : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا ما سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين » (٣٧) .

في ضوء ما تقدم ، فقد أظهر المسلمون تعاطفاً عميقاً مع الروم « المسيحيين » في حربهم مع الفرس « المجوس » . وكان الرسول ﷺ ، كما يذكر الطبري - « يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم » (٣٨) . فنزل القرآن الكريم يوضح للمسلمين أن انتصار الفرس على الروم هو انتصار مؤقت وأن الله سينصر الروم على الفرس في بضع سنين (٣٩) . وقد أشار الطبري الى أن نبوءة القرآن الكريم قد تحققت بانتصار الروم على الفرس في معركة وقعت عند مدينة الموصل (٤٠) .

وبعد هجرة الرسول ﷺ الى المدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم . وكان مما جاء فيه : « وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » (٤١) .

إن سياسة الرسول ﷺ الودية تجاه أهل الكتاب لم تستطع أن تحقق كامل أهدافها ، وذلك بسبب الموقف المحافظ والمتعصب لكثير منهم ، ومعارضة اليهود الشديدة لسياسة الرسول التوحيدية بعد هجرته الى المدينة ، مما أضطره الى محاربتهم وإجلالهم عنها (٤٢) . ومع كل ذلك فقد بقي موقف الاسلام المبني من أهل الكتاب ثابتاً . كما منح الاسلام أهل الكتاب من يهود ونصارى ومجوس الذمة والأمان طالما أظهرها الولاء للمسلمين ووافقوا

على دفع الجزية التي هي بديل عن المساهمة في الجهاد المفروض على المسلمين . أما اذا اختاروا الجهاد الى جانب المسلمين فإنهم يعفون من الجزية . كما يُعفى منها العاجزون عن القتال كالشيخ والنساء والأطفال والرهبان (بحكم انقطاعهم للعبادة) (٤٣) .

إن سياسة الاسلام التسامحة تجاه أهل الكتاب ، قد أوجدت الاساس الثين لوحدة ابناء الامة في إطار الدولة العربية الاسلامية وحفزت غير المسلمين من العرب على التعاون مع إخوانهم العرب المسلمين على مقاومة التسلط الاجنبي وتحرير كامل الاراضي العربية منهم كما سنوضح ذلك في المبحث اللاحق .

الهوامش

١. سليمان ، د. عامر ، نينوى بين الماضي والحاضر ، الموصل ١٩٨٦ ص ١٣ - ٣٢
٢. المرجع نفسه ص ٣٣
٣. المرجع نفسه ص ٣٣ - ٣٤
٤. ايشينكر ، أوزولد ، تدهور الحضارة الفرية (ترجمة أحمد الشيباني) بيروت ١٩٦٤ ج ٣ ص ١٠ - ١١
٥. مجاهد ، د. محمد جاسم ، الجزيرة القراية والوصل ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ١٥٧ .
٦. المسودي ، مروج الذهب ، بيروت ١٩٨٦ ج ١ ص ٢٧٠
٧. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨
٨. تاريخ مار ميخائيل الكبير (ترجمة المطران صليبا شمعون) مخطوط ، ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ - ١٤٢ ، زبدان ، جرجي ، تاريخ ائقطن الاسلامي ، بيروت ، بلا تاريخ ، ج ١ ص ٤٦ - ٤٨
٩. ايلسين ، نيكتا ، الشرق الاوسط في العصر الوسيط ، ترجمة ، منصور ابو الحسن ، بيروت ١٩٨٦ ص ٤٧
١٠. ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، ق ١ ص ٢٠٤ - ٢١٣
١١. المصدر نفسه ق ١ ص ٢١٤ - ٢٢١
١٢. المصدر نفسه ق ١ ص ٤٢٠ - ٤٢١
١٣. ابن كثير ، السيرة النبوية ، بيروت ، بلا تاريخ ، ج ١ ص ٧٩

١٤. المصدر نفسه ج ١ ص ٧٩ - ٨٠
١٥. المصدر نفسه ج ١ ص ٨١
١٦. المصدر نفسه ج ١ ص ٨٢
١٧. ابن هشام، السيرة النبوية ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٥٣
١٨. المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣
١٩. ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١ ص ٨٠
٢٠. ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٢٢٣
٢١. المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٣٨
٢٢. المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٣٨
٢٣. ابن كثير، السيرة النبوية ج ١ ص ١٩٦
٢٤. المصدر نفسه، ج ١ ص ١٩٥
٢٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧، ج ٣ ص ٢٢٧
٢٦. المصدر نفسه، ج ٣ ص ٢٢٧، راجع أيضاً ابن قتيبة، المعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥١
٢٧. ابن الفقيه الحمدي، مختصر كتاب البلدان، لندن ١٣٠٣ هـ، ص ١٣٥
٢٨. الشينكلر، أوزولك، تدهور الحضارة العربية، ترجمة احمد الشيباني بيروت ١٩٦٤، ج ٢ ص ٢٨٤، ج ٣ ص ١٠،
٢٩. المصدر نفسه ج ١ ص ٧٩ - ٨٠
٣٠. سورة البقرة: ١٣٢
٣١. سورة الشورى: ١٢، راجع أيضاً سورة الاحقاف: ١٣، وسورة فاطر: ٩٢، وسورة يوسف ١١١
٣٢. سورة الشورى: ١٢
٣٣. سورة المائدة: ٤٢ - ٤٨
٣٤. سورة المائدة: ٥
٣٥. ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢
٣٦. المصدر نفسه، ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٧
٣٧. سورة المائدة: ٨٢ - ٨٥
٣٨. الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ١٨٤
٣٩. سورة الروم: ١ - ٥
٤٠. المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٣
٤١. ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٥٠١ - ٥٠٤
٤٢. المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨، راجع أيضاً سورة آل عمران: ١١٨ - ١٢٠
٤٣. عمارة، محمد، الاسلام والوحدة القومية، القاهرة ١٩٧٩ ص ٨٩ - ١٠٦

تَحْرِيرُ الْمَوْصِلِ وَمَقْصِدُهَا فِي عَهْدِ الرَّاشِدِينَ

١٦ - ٤٠ هـ / ٦٣٧ - ٦٦٠ م

أ.د. هاشم يحيى الملاح

مكة يعتمدون في معاشهم بصورة اساسية على التجارة، والعمل في مجال إدارة القوافل التجارية التي تعمل على الطرق التي تربط كلاً من اليمن والشام والعراق^(١).

وقد ساهم الرسول ﷺ منذ نشأته في العمل بتجارة القوافل حيث زار بلاد الشام أكثر من مرة لهذا الغرض. فكان من الطبيعي أن تشغل أوضاع هذه البلاد والتطورات الجارية فيها جانباً من اهتمامات الرسول ﷺ وبخاصة بعد أن حمل رسالة الاسلام ذات الطبيعة التوحيدية والانسانية.

وقد تضمنت مصادرنا التاريخية مجموعة من الاخبار التي توضح مدى اهتمام الرسول بالاضاع التي كانت سائدة في العراق والشام ستولى عرضها بإيجاز في النقاط الآتية: -

من أجل فهم عملية تحرير الموصل في اطارها التاريخي لابد من التمهيد لذلك بتقديم نبذة موجزة عن نظرة الرسول ﷺ الى كل من التسلط الساماني والبيزنطي على الاراضي العربية الواقعة شمال الجزيرة العربية المتمثلة بالعراق والشام، وكيف أدت هذه السياسة الى توجيه الخلفاء من بعده نحو حروب التحرير العربية التي عرفت في كتب التراث بـ «فتوح البلدان».

سياسة الرسول ﷺ وحروب التحرير: -

لم تكن الاوضاع السائدة في العراق والشام بعيدة عن اهتمامات عرب الجزيرة العربية وبخاصة أهل مكة بحكم وحدة الالتواء القومي والثقافي ووجود مصالح اقتصادية متبادلة، إذ كان أهل

١. حينما بلغته انباء انتصار العرب من بني شيبان على الفرس في معركة ذي قار وكان ذلك في اول البعثة في حدود سنة ٦١٠ م قال : « اليوم انتصف العرب من العجم ، ولي تُصروا » (٢) . إن هذا الوصف لانتصار العرب على العجم يدل على أن الرسول ﷺ كان يعتقد أن الفرس كانوا في وضع المعتدي على العرب وأن العرب بهذا الانتصار قد انتصفوا لأنفسهم منهم . كما أن ربط الرسول ﷺ بين هذا النصر وبين شخصه الكريم دليل على قناعته بأن هذا النصر هو مجرد مقدمة للانتصارات التي ستتحقق للعرب على يده من خلال الرسالة الاسلامية التي نزلت عليه .

٢. لقد كان الناس في مكة يتابعون اخبار الحروب بين الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين . وكان الرسول ﷺ . والمسلمون معه يتمنون أن ينتصر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب سماوي ومن ثم فهم أقرب اليهم في العقيدة من الفرس المجوس . في حين كان مشركو مكة يشعرون بالتعاطف مع الفرس اكثر من الروم ويتمنون الانتصار عليهم . لذا فقد بشر القرآن الكريم المؤمنين بأن الروم سينتصرون على الفرس في خاتمة المطاف بقوله : « ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون » (٣) .

٣. بعد أن هاجر الرسول ﷺ الى المدينة وقوي مركزه فيها ، في حدود سنة ٧ للهجرة ، قام بإرسال مجموعة من الرسائل الى كسرى ملك الفرس وقصر امبراطور الروم ، وبعض حكام وامراء الدول والأقاليم المجاورة في اليمن والحيشة ومصر وغيرها (٤) . وعلى الرغم من

أن تفاصيل ما ورد في هذه الرسائل موضع شك وخلاف بين الباحثين ، فإن تواتر الاخبار عن ارسال هذه الرسائل الى هؤلاء الحكام في مصادرها التاريخية يجعلنا نقبل واقعة ارسال هذه الرسائل ونستدل منها على ان الرسول ﷺ ربما أراد من ارسالها الى هؤلاء الحكام اشعارهم « بقوته واتساع دولته وحيويتها ، كي يحسبوا لها الحساب » (٥) في التعامل ، إذ لم يعد الرسول ﷺ نبياً مبلغاً لرسالة الاسلام فقط وإنما أصبح رئيس دولة تعمل على توحيد العرب وغيرهم في إطار الرسالة الاسلامية .

٤. واجهت سياسة الرسول ﷺ الآتفة الذكر مقاومة من بعض حكام الدول المجاورة الذين ارسل الرسول ﷺ رسله اليهم ، فقد قام كسرى بتمزيق الكتاب بعد قراءته وقال بغضب : « يكتب إلي هذا وهو عبدي ! » (٦) . ويبدو أن حكام الفرس الذين مارسوا سياسة التسلط على شعوبهم وعلى العرب في العراق واليمن كانوا ينظرون الى رعيتهن وإلى العرب وكأنهم عبيدهم . لذا لم يتحمل كسرى أن يخاطبه الرسول ﷺ من موقع القوة وتبليغ الرسالة . لذا فقد قال الرسول ﷺ حينما بلغه ما فعل كسرى بكتابه بقوله : « مَرْقُ ملكه » (٧) ، وهي إشارة واضحة الى ما سيفعله خلفاء الرسول ﷺ بعد ذلك في ملك كسرى .

كما قام شرحبيل بن عمرو الغساني بقتل مبعوث الرسول ﷺ الحارث بن عمير الازدي الى حاكم بصرى في بلاد الشام . لذا فقد اضطر الرسول ﷺ حينما وصلت اليه اخبار قتل رسوله الى ارسال سرية مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى مؤتة سنة ٨ هـ / ٦٢٩ م للرد على العدوان (٨) . وعلى الرغم

من أن هذه السرية لم تستطع ان تحوز الانتصار على جيش الروم الذي تصدى لها بأعداد كبيرة ، قيل إنها زادت على مائة ألف مقاتل بقيادة هرقل ملك الروم^(١٠) .. إلا أنها كانت خير اختبار تعرف فيها المسلمون على قوتهم وقوة اعدائهم ، وهو أمر سيكون له أثره الواضح في الاعداد للمعارك التالية .

٥ . في شهر رجب من عام ٩ هـ / ٦٣٠ م بلغ الرسول ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، تحت قيادة هرقل وأنهم قد «قدموا مقدماتهم الى البلقاء» . مما يوحي باستعدادهم لمحاربة المسلمين . لذا فقد «ندب الرسول ﷺ الناس الى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك ، وبعث الى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم ، وذلك في حشد»^(١١) .

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها الرسول ﷺ في تنظيم هذه الحملة التي عرفت «بغزوة تبوك» ، إلا أنه نجح في حشد حوالي ثلاثين ألف مقاتل توجه بهم الى شمال الجزيرة العربية حيث استطاع أن يخضع دومة الجندل ويأسر أميرها الذي كان موالياً للبيزنطيين ثم عاد الى المدينة بعد أن أظهر قوته امام الروم وتحداهم في مناطق نفوذهم دون أن يقع قتال مباشر بينه وبينهم^(١٢) .

٦ . قبيل وفاة الرسول ﷺ في اواخر شهر صفر من عام ١١ هـ / ٦٣٢ م قام الرسول الكريم ﷺ بتنظيم حملة عسكرية بقيادة اسامة بن زيد الذي استشهد والده زيد بن حارثة في معركة مؤتة «وأمره أن يوطئ الخيل تقوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين»^(١٣) . وقد انضم الى هذه الحملة كبار المهاجرين الاولين منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص . ويبدو أن غرض الرسول ﷺ

من تجهيز هذه الحملة كان الثأر لشهداء المسلمين في معركة مؤتة وتأكيد قوة المسلمين في مواجهة الروم البيزنطيين في بلاد الشام^(١٤) .

وقد تأخر تنفيذ هذه الحملة بعض الوقت بسبب وفاة الرسول ﷺ ، إلا أن أبا بكر الصديق ما كاد يتسلم الخلافة حتى أمر بإرسال سرية اسامة على وفق توجيهات الرسول ﷺ على الرغم من الظروف الصعبة التي بدأت تحيط بالدولة بسبب ارتداد بعض القبائل عن الاسلام وخروجها عن طاعة الخليفة .

إن ما تقدم يشير الى أن الرسول ﷺ كان قد وضع الاساس الذي ستنطلق منه حروب التحرير العربية لتحرير كل من الشام والعراق في عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وقد ساعد نجاح أبي بكر الصديق في القضاء على حركات المرتدين وتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت قيادته في توجيه نحو تنفيذ سياسة الرسول ﷺ في هذا المجال .

تحرير العراق -

تشير بعض الروايات الى أن هنالك ترابطاً قوياً بين عمليات تحرير العراق في عهد أبي بكر الصديق (رض) وبين المقاومة العربية ضد التسلط الفارسي التي قادها بنو شيبان في معركة ذي قار ، إذ يشير البلاذري الى أن المثني بن حارثة الشيباني كان يواصل محاربة الفرس في جنوب العراق ويقوم بشن غارات «على السواد في رجال من قومه فبلغ أبا بكر (رض) خبره فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المقرري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العاد ، هذا المثني بن حارثة الشيباني . ثم إن المثني قدم على أبي بكر ، فقال له يا خليفة رسول الله استعملني على من اسلم من قوسي أقاتل هذه الاعاجم من أهل فارس ، فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا . ثم إن أبا

بكر رضي الله عنه كتب الى خالد بن الوليد الخزومي يأمره بالسير الى العراق... وكتب ابو بكر الى الثني بن حارثة يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه» (١٤).

وكان أبو بكر الصديق (رض) قد كتب الى خالد يأمره بالسير الى العراق لقيادة عمليات تحريره بعد أن فرغ من مقاتلة المرتدين في النجاة. فقد ذكر الطبري أن الخليفة ابا بكر الصديق زود خالداً بتعليماته وأوضح له ضرورة تأليف قلوب الناس الذين سيحرر بلادهم بقوله: «أن سر الى العراق حتى تدخلها، وأبدأ بفرج الهند، وهي الأبله، وتألق أهل فارس، ومن كان في ملكهم من الأمم» (١٥).

وكانت السياسة التي اتبعها المسلمون في التعامل مع سكان البلاد المحررة تقوم على تأليف قلوب الناس، وترك الحرية لهم في اختيار عقيدتهم، إذ لا اكراه في الدين كما نص على ذلك القرآن الكريم. وربما كان مما يوضح هذه السياسة بصورة دقيقة ما أورده الطبري عن معاملة خالد بن الوليد لأهل الحيرة في العراق، حين خرج اليه قبيصة بن إياس بن حية الطائي على رأس جماعة من أهل الحيرة لمقابلته، فقال لهم: «ادعوكم الى الله والى الاسلام، فإن أجبتهم اليه فأنتم من المسلمين، لكم مالهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية، فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة بن اياس: ما لنا بجريك من حاجة، بل نقيم على ديننا، ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم فكانت أول جزية وقعت بالعراق» (١٦).

ويبدو أن هذه السياسة قد قابلها بالترحاب غالب سكان العراق من العرب فأخذوا يتعاونون مع جيوش التحرير من أجل تحقيق أهدافها المرسومة

وقد كان للمشاعر القومية دور كبير في إتخاذ هذا الموقف. وما يؤكد ذلك ما أورده الطبري عن حوار خالد بن الوليد مع بعض زعماء القبائل العربية في العراق «فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ أصحاب عدي، وقال: ويحكم ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل! فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقوله أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمت في دياركم، أو الجزية، أو المناذرة. فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبأ لكم، ويحكم! إن الكفر فلاة مفضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقية دليان: أحدهما عربي فكره واستدل الاعجمي. فصالحوه على مائة وتسعين ألفاً، وتابعوا على ذلك، وأهدوا له هدايا، وبعث بالفتح والهدايا الى أبي بكر» (١٧).

وهكذا فقد ساعد الشعور القومي عند العرب وسياسة التسامح الديني التي اتبعوها مع غير المسلمين على كسب عامة الناس الى جانب جيوش التحرير العربية وضمان تعاونها ضد الفرس المتسلطين. وقد خاضت جيوش التحرير معارك عنيفة وكبيرة ضد قوات الاحتلال الفارسي كان أبرزها معركة القادسية. وقد استغرقت عمليات تحرير العراق حوالي عشر سنوات بدأت في سنة ١١هـ ٦٣٢م بعد تولي أبي بكر الصديق للخلافة وانتهت في خلافة عمر بن الخطاب (رض) حينما انتصر العرب على الفرس في معركة نهاوند حوالي سنة ٢١هـ / ٦٤٠م. وقد وصفت هذه المعركة بفتح الفتوح

نظراً لأنها قصمت ظهر القوات الفارسية وجعلت يزدرج ملك الفرس يهرب الى بلاد خراسان حيث قتل هناك على يد احد اتباعه (١٨) .

تحرير الموصل :-

كانت الموصل وبقية بلدان الجزيرة واقعة تحت التسلط البيزنطي إبان حروب التحرير العربية للعراق والشام . ومن ثم فقد كان من المفترض أن تقع مسؤولية تحريرها على عاتق جيوش تحرير الشام التي كانت تخوض قتالاً ضارياً ضد البيزنطيين من أجل تحقيق هذا الهدف وفق اولويات تقررهما سياقات المعارك .

غير أن انتصار الجيوش العربية التي كانت تتولى عمليات تحرير العراق من تسلط الامبراطورية الساسانية في معركة القادسية في حدود سنة ١٥ هـ / ٦٣٦م قد ادخل الرعب في نفوس البيزنطيين في الموصل والجزيرة ، وجعلهم يحركون قواتهم الى تكريت استعداداً لمواجهة قوات التحرير العربية في موقع متقدم .

فلما بلغت هذه الاخبار الى سعد بن أبي وقاص الذي كان يتولى قيادة جيوش تحرير العراق كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بأن «الانطاق» قائد جند الروم البيزنطيين في الموصل قد توجه بقواته منها الى تكريت ونزل في حصنها «وخندق فيه ليحتمي أرضها» كما يذكر الطبري (١٩) .

فكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص بأن يرسل جيشاً لتحرير تكريت من الروم البيزنطيين بقيادة عبدالله بن المعتم ، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الافكل العتري ، وعلى ميمته الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي ، وعلى ساقته هاني ابن قيس ، وعلى الخيل عرفة بن هرثة .

وقد تألف الجيش الذي قاده عبد الله بن المعتم من أجل تحرير تكريت من خمسة آلاف مقاتل ، واستغرق وصولهم من المدائن الى تكريت اربعة ايام . وقد قدم لنا الطبري وصفاً مفصلاً عن حصار قوات المسلمين لقوات الروم في تكريت لمدة اربعين يوماً دارت خلالها أربعة وعشرون مواجهة لم تنتهِ بانتصار أحد الطرفين . وأخيراً جاء دور العامل الذي حسم المعركة لصالح العرب المسلمين حيث تحركت المشاعر القومية لدى ابناء القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الروم فجاؤوا الى عبدالله بن المعتم يعرضون عليه الانسحاب من جيش الروم والانضمام الى جيش التحرير العربي . يقول الطبري أن عبدالله بن المعتم أرسل الى العرب «ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم ، فهم لا يخفون عليه شيئاً ، ولما رأته الروم أنهم لا يخرجون خرجة الا كانت عليهم ، وهزمون في كل ما زاحفوه ، تركوا امراءهم ، ونقلوا متاعهم الى السفن ، واقبلت العيون من تغلب وإياد والقر الى عبدالله بن المعتم بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل اليهم : إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم . فرجعوا اليهم بذلك فردوهم اليه بالاسلام ، فردهم اليهم وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فأعلموا أننا قد هددنا الى الابواب التي تلتنا لتدخل عليهم منها ، فخذوا بالابواب التي تلي دجلة ، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ..» (٢٠) .

وهكذا تمكنت قوات التحرير العربية بالتعاون مع ابناء القبائل العربية التي انضمت اليهم من تحقيق النصر على الروم وتحرير تكريت من تسلطهم عليها . وقد فتح هذا النصر الطريق امام المسلمين لتحرير الموصل من التسلط البيزنطي . وكان هذا الهدف واضحاً ومرسوماً منذ البداية في ذهن القيادة

العربية. فقد عهد عمر بن الخطاب (رض) الى سعد بن أبي وقاص «إن هم هُزموا- أي الروم- أن يأمر عبدالله بن المعتم بتسريح ابن الافكل العنزى الى الحصنين»^(٢١) أي الموصل بمحصنيها الغربي- الموصل القديمة- والشرقي أي نينوى حيث يقع جامع النبي يونس في الوقت الحاضر.

لقد كانت خطة تحرير الموصل تعتمد على عنصر المباغنة من اجل عدم اتاحة الفرصة امام الروم وحلفائهم للاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة وبذلك يتسنى للمسلمين تحرير المدينة من دون قتال او تقديم ضحايا في الارواح. كما اعتمدت الخطة على الاستعانة بأبناء القبائل العربية من تغلب وأياد والتمر الذين أنضموا الى المسلمين في اثناء تحرير تكريت. وكان مقدراً لابناء هذه القبائل أن يؤدوا دوراً حاسماً في تمكين المسلمين من دخول المدينة من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم، وإعوانهم في الموصل بحكم عدم معرفتهم بتغير ولائهم واعتناقهم الاسلام.

وهكذا فقد وصلت رسل من تغلب وأياد والتمر الى الموصل قبل وصول قوات المسلمين واخذوا باشاعة انتصار قوات الروم على المسلمين «من باب الخدعة» وبذلك فتحت ابواب المدينة حتى فأتجأتهم قوات التحرير العربية بقيادة ربعي بن الافكل فدخلت المدينة من دون مقاومة تذكر. وبذلك تم تحرير الموصل صلحاً. يقول الطبري في وصف ذلك فتأدى المسلمون الناس «بالاجابة الى الصلح، فاقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، الى أن اتاهم عبدالله بن المعتم، فلما نزل عليهم عبدالله دعا من لج وذهب، ووفى لمن اقام، فتراجع الهُروب، واغبط المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة»^(٢٢).

لقد كانت خطة تحرير الموصل تعتمد على عنصر المباغنة من اجل عدم اتاحة الفرصة امام الروم وحلفائهم للاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة وبذلك يتسنى للمسلمين تحرير المدينة من دون قتال او تقديم ضحايا في الارواح. كما اعتمدت الخطة على الاستعانة بأبناء القبائل العربية من تغلب وأياد والتمر الذين أنضموا الى المسلمين في اثناء تحرير تكريت. وكان مقدراً لابناء هذه القبائل أن يؤدوا دوراً حاسماً في تمكين المسلمين من دخول المدينة من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم، وإعوانهم في الموصل بحكم عدم معرفتهم بتغير ولائهم واعتناقهم الاسلام.

وهكذا فقد وصلت رسل من تغلب وأياد والتمر الى الموصل قبل وصول قوات المسلمين واخذوا باشاعة انتصار قوات الروم على المسلمين «من باب الخدعة» وبذلك فتحت ابواب المدينة حتى فأتجأتهم قوات التحرير العربية بقيادة ربعي بن الافكل فدخلت المدينة من دون مقاومة تذكر. وبذلك تم تحرير الموصل صلحاً. يقول الطبري في وصف ذلك فتأدى المسلمون الناس «بالاجابة الى الصلح، فاقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، الى أن اتاهم عبدالله بن المعتم، فلما نزل عليهم عبدالله دعا من لج وذهب، ووفى لمن اقام، فتراجع الهُروب، واغبط المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة»^(٢٢).

وهكذا فقد وصلت رسل من تغلب وأياد والتمر الى الموصل قبل وصول قوات المسلمين واخذوا باشاعة انتصار قوات الروم على المسلمين «من باب الخدعة» وبذلك فتحت ابواب المدينة حتى فأتجأتهم قوات التحرير العربية بقيادة ربعي بن الافكل فدخلت المدينة من دون مقاومة تذكر. وبذلك تم تحرير الموصل صلحاً. يقول الطبري في وصف ذلك فتأدى المسلمون الناس «بالاجابة الى الصلح، فاقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، الى أن اتاهم عبدالله بن المعتم، فلما نزل عليهم عبدالله دعا من لج وذهب، ووفى لمن اقام، فتراجع الهُروب، واغبط المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة»^(٢٢).

ومن أجل تأمين الأمن والنظام في المدينة فقد قام عبدالله بن المعتم بتولية ربعي بن الافكل على

إن النصوص الآتفة الذكر تشير الى أن القوات الشامية التي كان يقودها عياض بن غنم قد قامت بتحرير العديد من القرى والمناطق المحيطة بالموصل

ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا ، وتمتعنا بالطمأنينة» (٢٦).

يتضح من النص الآنف الذكر أن المسيحيين قد عدوا العرب المسلمين متقذين ومحررين لهم من ظلم واضطهاد الروم البيزنطيين خاصة وأن المسلمين كانوا يعدون المسيحيين أهل كتاب ، وأن الواجب الديني يفرض عليهم عدم التعرض لمقاتلتهم بالأذى ومعاملتهم بمنتهى اللطف والسماحة على العكس مما كان يفعله الروم البيزنطيون .

لقد كان من جملة صور الاضطهاد الفضيعة التي مارسها الروم البيزنطيون ضد إخوانهم المسيحيين بسبب اختلافهم في تفسير العقيدة المسيحية خلال الفترة موضع البحث ، ما أورده تاريخ مار ميخائيل الكبير من أن هرقل كان قد أصدر منشوراً للعمل بموجبه في انحاء مملكته كافة يقضي بأن «كل من لا يقبل مجمع خلقيدونية ، يُقطع أنفه وأذانه وينهب بيته . واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة ، فقبل العديد من الرهبان المجمع ، وظهر غش رهبان جماعة مارون والمنيجيين والحمصيين والمناطق الجنوبية ، وهكذا قبل معظمهم المجمع وأغتصبوا الكنائس والأديرة ، ولم يسمح هرقل لأحد من الارثوذكس بزيارته ، ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم» (٢٧) .

سياسة الخلفاء الراشدين في إدارة الموصل :-

تتعلق سياسة الخلفاء الراشدين في إدارة الموصل وغيرها من الاقاليم المحررة ، من أهداف الرسالة الاسلامية القائمة على نشر الاسلام ، وتوحيد الناس في اطار الدولة التي أنشأها بعيداً عن الاكراه في الدين ، مع الحرص على إقامة العدل بين الناس .

• بطريق انطاكية البعقبي ، ألف كتابه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي .

من التسلط الاجنبي وإدخالها ضمن حوزة الدولة العربية الاسلامية ، وبذلك تكون قد استكملت ما بدأته القوات التي قامت بتحرير تكريت والموصل في عام ٦٣٧ هـ / ٦٣٧ م .

غير أن مما يلفت النظر أن هذه النصوص تشير الى مقاتلة أهل حصن نينوى (الشرقي) ومصالحة أهل الموصل (الحصن الغربي) من قبل قوات عياض بن غنم مما يوحي بأن بعض سكان منطقة الموصل قد نقضوا العهد الذي أعطوه لعبدالله بن المعتز سنة ٦٣٧ هـ / ٦٣٧ م بعد أن انسحبت معظم قواته من المنطقة وعادت الى الكوفة قاعدة عملياتها الرئيسية ، فأضطر عياض الى استعمال القوة من أجل بسط السلطة والنظام في المدينة . وربما كان ذلك أمراً طبعياً في تلك المرحلة ، بسبب حداثة الحكم العربي للمدينة وعدم استيعاب بعض الناس للقيم الروحية والحضارية التي جاء بها الاسلام . اما عامة سكان الموصل وغيرها من المناطق التي كان يقطنها المسيحيون فيبدو أنها قد استقبلت الحكم العربي الاسلامي بارتياح شديد لانه أنقذهم من المظالم التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الروم البيزنطيين بسبب اختلافهم في المذهب . فقد جاء في تاريخ مار ميخائيل الكبير * ما نصه : «وان الله إله النعمة الذي وحده له السلطان على كل شيء ، وهو الذي يغير الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء ، ويقم عليه الضعفاء ؛ إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا يهنون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدتهم في الحكم ، ويقاضوننا بلا رحمة ، جاء من الجنوب بأبناء اسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم . أما الكنائس التي كنا قد فقدناها باغتصاب الخلقيدونيين أباها ، فبقيت بيدهم ، لأن العرب لدى دخولهم المدينة ، أبقوا لكل طائفة ما يجوزتها من الكنائس . وقد فقدنا في هذه الفترة كنيسة الرها الكبرى وكنيسة حران . غير أن فائدتنا لم تكن يسيرة ، حيث أننا تحررنا من خبث الروم

وقد عبر قادة الفتح عن أهداف هذه السياسة في كثير من المناسبات كما قدمنا، فكانوا يعرضون على الناس قبل بدء القتال الاختيار بين أمور ثلاثة :-

١- الدخول في الاسلام، فإن استجابوا لذلك كان لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات. وكان هذا الاختيار هو واجب الاختيارات بالنسبة لقادة الفتح بحكم حاسمهم للعقيدة الجديدة. لذا فقد وجدنا أن عبدالله بن المعتم قائد عمليات تحرير تكريت والموصل لا يكتفي من ابناء القبائل العربية «من تغلب وإياد والتمر» الذين تخلوا عن مناصبهم «لروم بمجرد التعاون» معه ومساعدته، بل طلب منهم أن يبرهنوا على صدق ولائهم له وللدولة الجديدة باعلان الاسلام، فوافقوا على ذلك، وأصبحوا طلائع الجيش الذي قام بتحرير الموصل في سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م.

٢- أداء الجزية؛ تعبيراً عن الولاء للدولة العربية الاسلامية والدخول في طاعتها. والجزية هي مبلغ من المال يدفعه الرجل القادر من أهل الكتاب «اليهود والنصارى» ومن هوفي حكمهم كالمجوس، الى الدولة للتدليل على خضوعهم للدولة وليكون بديلاً عن واجب الدفاع عنها في مجال القتال والخدمة العسكرية.

وكانت الدولة العربية الاسلامية تعامل من يوافق على دفع الجزية بصفته من أهل الذمة، فتتعهد بحمايته والدفاع عنه ومنع الناس من ظلمه لأنه أصبح معاهداً يتمتع بكافة الحقوق التي ينص عليها عهد الذمة والأمان الاسلامي. لذا فقد اغتبط أهل الموصل بدخول قوات التحرير العربية مدينتهم بقيادة عبدالله بن المعتم كما يذكر

الطبري فتراجع الهُراب، وأغبط المقم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة.

لقد كان تحقيق العدل والانصاف في الحكم والادارة هو الهدف الأساس الذي تسعى الادارة العربية الى تحقيقه في حكم الناس خلال العهد الراشدي بصرف النظر عن لمتناهم الديني أو القومي. وقد عبر عن ذلك كما قدمنا خالد بن الوليد حين دخل العراق **بِهَرَّة** :- «ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فأتقمن من العرب! أو عجم؟ فأتقمن من الانصاف والعدل!» (٢٨)

٣- إذا لم يقبل أهل البلاد التي تتوجه اليها قوات التحرير اعتناق الاسلام أو دفع الجزية، فإنه لا يتبقى أمام المقاتلين المسلمين سوى الحرب... ولكنهم لم يكونوا يبدأون القتال حتى يحذرون اعداءهم من عواقب القتال وقوة الجيش العربي الاسلامي خاصة وأن مقاتلي هذا الجيش كانوا كما وصفهم خالد ابن الوليد مخاطباً اعداءه: «فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة» (٢٩).

وكانت المبادئ التي يلتزم بها المسلمون في مقاتلة الاعداء تلخص في وصية خليفة المسلمين الاول ابي بكر الصديق لاسامة بن زيد حينما أرسله لقتال الروم بقوله:

«لا تخزنوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع، فدعوهن وما فرغوا انفسهم له...» (٣٠).

فإذا انتهى القتال بانتصار المسلمين تركوا للناس الخيار بين الامرين الاولين وهما أن يكونوا مسلمين فيكون لهم ما للمسلمين في الحقوق

والواجبات أو أن يكونوا من أهل الذمة ، فيتمتعوا بحماية المسلمين وعدهم مع احتفاظهم بعقيدتهم .

وهكذا فقد دخلت الموصل في إطار الدولة العربية الإسلامية صلحاً ومن دون اللجوء الى القتال ، فأصبح لابناء القبائل العربية التي اعتنقت الاسلام من تغلب وإباد والتمرو وغيرهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات ، وتمتع أهل الكتاب من النصارى واليهود بعهد الذمة الذي منحهم إياه المسلمون حين دخولهم الموصل . وقد كان في الموصل في ذلك الوقت - كما يذكر البلاذري يبعاً للنصارى « منازل لهم قليلة عند تلك البيع ، وحلة اليهود » (٣١) .

ومن أجل ضمان الامن والاستقرار في المدينة ، وتنظيم الامور المالية فيها فقد وُلي على امور حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الخراج عرفة ابن هرثة (٣٢) .

وعلى الرغم من أنه لم تصل إلينا نصوص محددة عن الحقوق والواجبات التي فرضت على سكان المدينة في تلك الفترة ، فإن للباحث أن يفترض أنه قد فرضت على المسلمين منهم نفس الواجبات التي كانت مفروضة على غيرهم من المسلمين والتي تلخص في الامور الآتية :-

١. الزكاة :- وهي ضريبة مفروضة على اموال المسلمين المرصدة للنماء إما بنفسها أو بالعمل فيها كالذهب والفضة والمواشي ومختلف الاموال والسلع التجارية . ويشترط في المال كي تفرض عليه الزكاة أن يبلغ النصاب المحدد في الشريعة وأن يبقى في حوزة صاحبه عاماً كاملاً .

٢. العشر :- وهي ضريبة على الاراضي التي يمتلكها المسلمون . ومقدار هذه الضريبة هو عشر الانتاج السنوي على ما يروى سقياً طبعياً ، ونصف العشر على ما يسقى بآلة (٣٣)

أما غير المسلمين فقد كانت الواجبات المالية المفروضة عليهم هي :-

١. الجزية :- وهي ضريبة قديمة كان يفرضها الروم البيزنطيون على غير المعتنقين لمذهبهم الرسمي كما كان الفرس يأخذونها من اليهود والنصارى . فلما جاء الاسلام فرض ضريبة الجزية على أهل الكتاب ومن هم في حكمهم بدلاً عن الزكاة المفروضة على المسلمين . وكانت هذه الضريبة تؤخذ بصورة سنوية من الرجال البالغين ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والعاجزون والعبيد ورجال الدين (٣٤) . وكان مبلغها يقدر حسب حالة الشخص المالية . وبحسب تراوح مقدار هذه الضريبة بين الدينار والاربعة دنانير سنوياً على الرجل القادر على أداء الضريبة (٣٥) . وكان يضاف الى مبلغ الضريبة النقدي شيء عيني يسير في بعض الاحيان . فقد ذكر البلاذري أنه « أخذ الزيت والخل والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم ، واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً وأربعة وعشرين وإثني عشر ، نظر من عمر - ابن الخطاب - للناس ، وكان على كل إنسان مع جزيته مداً قح وقسطان من زيت وقسطان من خل » (٣٦) . ويبدو أن الدافع وراء أخذ هذه الاشياء من أهل الجزيرة كان حاجة جيوش التحرير الى المواد الغذائية . فلما إنتفت الحاجة أمر الخليفة عمر بعدم أخذها والاكتفاء بمبلغ الضريبة النقدي . وتشير المصادر الى أن فرض هذه الضريبة وكيفية استيفائها كان يتم بمرونة وتسامح كبيرين ، فقد ذكر أن نصارى قبيلة تغلب العربية رفضوا دفع الجزية لأنهم وجدوا في دفعها ما يمس بمكانتهم وكبرياتهم وأبدوا استعدادهم لدفع الزكاة أسوة بالمسلمين فوافق الخليفة عمر على ذلك (٣٧) .

٢. الخراج :- وهي ضريبة قديمة كانت مفروضة على الاراضي الخاضعة للسيطرة الفارسية

والبيزنطية^(٣٨) ، فلما حررت الدولة العربية الاسلامية هذه الاراضي ، اعادت تنظيم هذه الضريبة ، وفرضتها على غير المسلمين في مقابل ضريبة العشر التي كانت تأخذها من المسلمين. وكانت هذه الضريبة تجبي سنوياً من غلة الارض الزراعية على أن يراعى في حساب مقدار الضريبة موقع الارض ومدى خصوبتها ونوعية انتاجها وطريقة سقيها وغير ذلك من الامور التي تساعد على تحقيق العدالة^(٣٩).

وتشير المصادر الى أن اراضي الموصل والجزيرة التي لم يدخل أهلها في الاسلام قد فرض عليها الخراج وذلك لأن عياضاً بن غنم قائد جيوش تحرير الشام والجزيرة قد «افتتح الجزيرة ومدانها صلحاً وأرضها عنوة»^(٤٠). أما الاراضي التي اسلم عليها أهلها فقد خضعت لضريبة العشر، فقد أورد البلاذري عن اعشار بلد وديار ربيعة والبرية فقال : «هي اعشار ما اسلمت عليه العرب أو عمرته من الموات الذي ليس في يد أحد ، أو رفضه النصارى فات وغلب عليه الدغل فاقطعه العرب»^(٤١).

ومن الجدير بالملاحظة أن القاعدة العامة في النظام المالي الاسلامي تقضي بأن يخصص لكل مصر ما يجبي من المقاطعات التي حررها مقاتلة ذلك المصر^(٤٢) ، فكانت واردات الموصل والجزيرة تصرف لتغطية عطاءات الجند ورواتب العمال والموظفين ، فضلاً عن الاتفاق على المرافق العامة كانشاء المساجد والطرق وشق القنوات وغيرها^(٤٣) ، وما زاد على ذلك كان يذهب الى مركز الخلافة للتصرف فيه وفقاً لمقتضيات المصلحة العامة.

إدارة الموصل وتخطيطها : -

عدت الموصل بعد تحرير الجيوش العاملة لها تحت قيادة عبدالله بن المعتم ، أحد ثغور الكوفة

الاربعة^(٤٤). ومن ثم فقد غدت قاعدة عسكرية لتحرير المناطق المجاورة لها ومركزاً لإدارتها. وقد ضمت المناطق التابعة لولاية الموصل مدناً ونواحي وقرى كثيرة شملت معظم المنطقة الشمالية من العراق والجزيرة الفراتية وبذلك كانت تكريت وكركوك (باجرمي) والحديثة وشهرزور من ضمن نواحي الموصل في ذلك الوقت واستمرت حتى العصر العباسي حيث أجريت عليها بعض التعديلات^(٤٥).

وقد تولى أمر ولاية الموصل في البداية عدة من الولاة الذين ساهموا في تحريرها أو تحرير المناطق المجاورة لها. فكان أول من تولى ولاية الموصل ربيعي ابن الافكل العتري الذي كان على رأس الجيش الذي حرر الموصل في حدود سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م كما عمل الى جانبه «على الخراج» هرثة بن عرفة الباري^(٤٦).

ثم عهد عمر بن الخطاب (رض) بولاية الموصل الى عتبة بن فرقد السلمي سنة عشرين ليقوم بمهمة محددة فيها على ما يبدو، وهي اعادة الامن والنظام فيها كما قدمنا.

وفي سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م قام الخليفة عمر بن الخطاب بعزل عتبة عن ولاية الموصل وولاه هرثة ابن عرفة الباري^(٤٧). وكان هرثة على خراج الموصل منذ تحريرها في عام ١٦ هـ / ٦٣٧ م ، واستمرت ولايته على الموصل حتى عام ٣٤ هـ / ٦٥٤ م حينما قام الخليفة عثمان بن عفان (رض) بتعيين حكيم بن سلامة الخزاسي والياً على الموصل^(٤٨). وبذلك تكون المدة التي عمل فيها هرثة الباري في إدارة امور الموصل حوالي ١٨ عاماً ، وهي مدة طويلة نسبياً تتيح لصاحبها المجال والخبرة لتحقيق الكثير من المنجزات في شتى المجالات الادارية والعمرانية. لذا فقد اقترن أمر تخطيط الموصل وتعميرها باسم هذا الوالي القدير.

قد ذكر البلاذري أن «أول من اختط الموصل واسكنها العرب ومصرها هرثة بن عرفة الباري»^(٤٩) كما ذكر أن الموصل «كان بها الحصن وبيع النصاري وينازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود، فمصرها هرثة، فأنزل العرب منازلهم، واختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع»^(٥٠).

إن ما تقدم يشير إلى أن نواة مدينة الموصل كانت موجودة وقائمة قبل أن يقوم هرثة بعملية تمصير الموصل، وهي ترجع في جذورها إلى العصر الآشوري حيث كان الآشوريون قد شيّدوا في هذا الموضع قلعة أو حصناً لاعتبارات حرية اتصال بالدفاع عن عاصمتهم نينوى. وقد اطلق للكتاب الآراميون على هذا الحصن وحصن عبرايا أو الجصين العبروي»^(٥١).

ويبدو أن الحصن الذي اشار له البلاذري في النص الآنف الذكر كان أصغر من أن يقي مجاجات السكان الذين أخذوا بالتزايد بعد أن أصبحت الموصل القاعدة الادارية والعسكرية لجيوش التحرير في الجزيرة وما حولها. ومن ثم فإن للباحث أن يفترض - لعدم توافر الأدلة الواضحة - بأن هرثة قد ستمد إلى تخطيط المسجد ومساكن العرب واستبقاهم خارج اسوار الحصن. وبذلك اتفصح المجال لتوسع مدينة الموصل ونموها، فلم تعد حدودها مقصورة على القلعة القديمة وما فيها من مساكن ومنشآت يسيرة، بل امتدت إلى غربيها وجنوبيها حتى غدت في العصور التالية إحدى قواعد بلاد الاسلام العظيمة من حيث كثرة سكانها وسعة مساحتها»^(٥٢). وذلك لأنها بحكم موقعها المتوسط بين الأقاليم الاسلامية قد غدت «محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان»^(٥٣).

في ختام هذا المبحث، ربما كان من المفيد أن

نشير إلى أن المصادر التاريخية لم تسعنا بتقديم معلومات عن المسجد والاسواق ومحلات السكن التي شيدت من قبل هرثة، وكل ما وصل إلينا من إشارات حول مثل هذه المنشآت فإنما ترجع إلى عصور تالية. لذا فإن للباحث أن يفترض أن هذه المنشآت كانت تتسم بالبساطة وغلبة الطابع العملي عليها.

أما الولاة الملغين تولوا أمر إدارة الموصل من بعد هرثة وحتى نهاية العصر الراشدي فلم تنقل لنا المصادر التاريخية شيئاً عن أعمالهم في مجال الإدارة أو تعمير المدينة. ويبدو أنهم قد ساروا على الخطى التي بدأها عرفة في تخطيط المدينة وتوسيعها وتوطين أبناء القبائل العربية المختلفة تبها

جدول باسماء ولاة الموصل في العهد الراشدي^(٥٤)

السنة	الوالي
١٦٨ هـ / ٦٣٧ م	ربيعي بن الأكل العتري «وكان يعمل إلى جانبه على خراج الموصل هرثة بن عرفة الباري»
١٧٨ هـ / ٦٣٨ م	عبد الله بن المعتم «سكن الكوفة وأتاب عنه في إدارة الموصل مسلم بن عبد الله»
٢٠٢ هـ / ٦٤٠ م	عتبة بن فرقد السلمي
٢٢٢ هـ / ٦٤٢ م	هرثة بن عرفة الباري
٢٣٤ هـ / ٦٥٤ م	حكيم بن سلامة الخزامي
٢٣٦ هـ / ٦٥٦ م	الاشتر مالك بن الحارث النخعي



- (١) ابراهيم بختا ثروات اهل مكة في عصر الرسالة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، عدد ٤٣، ١٩٩٠، ص ١٠١-١١٣.
- (٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مصر ١٩٦٨، ج ٢ ص ١٩٣.
- (٣) سورة الروم: ١-٤، القرطبي، محمد بن احمد الانصاري الجامع لاحكام القرآن، القاهرة ١٩٦٤ ج ١٤ ص ١-٧.
- (٤) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥، ج ٢ ص ٦٠٦-٦٠٧.
- (٥) العلي، د. صالح احمد، الدولة في عهد الرسول، بغداد ١٩٨٨ مجلد ١ ص ٣٢١.
- (٦) الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ٦٥٥.
- (٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٥٥.
- (٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧، ج ٢ ص ١٢٨-١٣٠.
- (٩) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩١٤، ج ٢ ص ٢٥٧.
- (١٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ ص ١٦٥.
- (١١) المصدر نفسه، ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧.
- (١٢) ابن هشام، السيرة ج ٢ ص ٣٦٥.
- (١٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ ص ١٩٠-١٩١.
- (١٤) البلاذري، فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨، ص ٢٤٢.
- (١٥) الطبري، تاريخ، ج ٣ ص ٣٤٣.
- (١٦) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٤٤.
- (١٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٦٢.
- (١٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١١٤، ص ١٦٦-١٧٣.
- (١٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٥.
- (٢٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦.
- (٢١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦.
- (٢٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٧.
- (٢٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٧.
- (٢٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، النجف ١٩٦٧، ج ١ ص ١١٠.
- (٢٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٢٧.
- (٢٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير (ترجمة المطران صليبا شمعون)، نسخة مخطوطة بخط المترجم، ج ٢ ص ١٤٦. علماً بأن الكتاب قد قام بنقله ونشره باللغة الفرنسية القس يوحنا شابر عن نسخته الوحيدة التي هي ملك الكنيسة السريانية المارونية. (راجع افرام الاول بريصوم، اللؤلؤ للشرق في تاريخ العلوم والآداب السريانية، بغداد ١٩٧٦ ص ١٣٠، راجع أيضاً آرنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٢-٧٣.
- (٢٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٦.
- (٢٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٦٢.
- (٢٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٦٢.
- (٣٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (٣١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.
- (٣٢) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٧.
- (٣٣) ابو يوسف، الخراج، القاهرة ١٣٨٢ هـ، ص ٣٧، ٦٩ اليوزكي، توفيق، دراسات في النظم الاسلامية، الموصل ١٩٨٨ ص ١٤١-١٤٢.
- (٣٤) ماجد، د. عيد التميم، تاريخ الحضارة الاسلامية، القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٠.
- (٣٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٧٧-١٧٨.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ١٨٥-١٨٧.
- (٣٨) ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ٣٩.
- (٣٩) ابو يوسف، الخراج، ص ٣٦-٣٧.
- (٤٠) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٧٩.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٨٤.
- (٤٢) الطي، د. صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في العصور، بيروت ١٩٦٩ ص ١٣١.
- (٤٣) السلطان، الموصل في العهد الراشدي والاموي، رسالة ماجستير الموصل ١٩٨٣ ص ١٣٦.
- (٤٤) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٤٩.
- (٤٥) ابن جعفر، قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، بغداد ١٩٨١ ص ١٧٥، السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص ١٣٧-١٦٤.
- (٤٦) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٦-٣٧.
- (٤٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧، الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، الموصل ١٩٨٢ ص ٣٠.
- (٤٨) الطبري، تاريخ، ج ٤ ص ٣٣٠.
- (٤٩) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٢٧.
- (٥٠) المصدر نفسه ص ٣٢٧.
- (٥١) ناجي، د. عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية، البصرة ١٩٨٦ ص ٣٢٨.
- (٥٢) الحموري، ياقوت، معجم البلدان، بيروت ١٩٥٧، ج ٥ ص ٢٢٣.
- (٥٣) المصدر نفسه، ج ٥ ص ٢٢٣.
- (٥٤) السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والاموي ص ١٦٦-١٦٧.

الموصل في العهد الأموي

٤٠-١٣٢ هـ / ٦٦٠-٧٤٩ م

أ. د. عبد الواحد ذنون طه

وإدارتها التي عهدت في غالب الأحيان الى كبار القادة أو الأعضاء البارزين في البيت الأموي. حيث كان الوالي يُعين على الصلاة والحرب، أي انه كان مسؤولاً عن ادارة الولاية، وقبادة قواتها في حالة تعرضها الى تمرد داخلي، أو خطر خارجي. وكان يساعد الوالي موظف خاص يُعينه الخليفة، هو صاحب الخراج المسؤول عن الشؤون المالية الخاصة بالأراضي الزراعية في الولاية^(١). ويُرجح أيضاً وجود كاتب خاص للوالي، ويتضح هذا من نص أورده الأزدي^(٢)، وأشار فيه الى رباح بن عبيدة الفسائي، الذي كان كاتباً للوئي بن الوليد، إذ تولى المدينة لفترة قصيرة جداً أيام والده الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦ هـ / ٧٤٣-٧٤٤ م).

وكان من صلاحيات الوالي أيضاً تعيين العمال الثانويين على الوحدات الادارية، أو الأعمال التي كانت تابعة للمدينة، والتي تمتعت بوجود بيت مالها الخاص بها^(٣). وكانت أعمال الموصل هذه واسعة جداً، وتشمل مناطق كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، البرية، والمرج^(٤)، والكرخ، ودقوقا، وحنانجار، وشهرزور، والقطرهمان، والعمرانية، وتكريت، والسّن، وباجرمي، وقردي، وسنجان، الى حدود أذربيجان^(٥).

خضعت الموصل لسلطة معاوية بن أبي سفيان في أواخر العهد الراشدي، وتشير المصادر الى اسم أحد عماله على المدينة، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، الذي يعرف بابن ام الحكم، وهو ابن اخت معاوية^(٦). ولكن اضطراب أحوال الدولة

مرت ادارة الموصل بمراحل متعددة وتطورات كثيرة في اثناء هذا العهد. لاسيما وان منطقها كانت مركزاً ادارياً مهماً منذ أزمان بعيدة تعود الى العهد الآشوري، وما أعقبه من عهود السيطرة الأجنبية وخاصة النفوذ الساساني ٢٢٦-٦٥٢ م^(٧). وبعد افتتاحها في عهد الراشدين، تنبه الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٠ م) الى خطورة موقعها، فانتخبها مركزاً للفتوح، وأمر عامله عليها عرفة بن هرةم البارقى بتحصيرها واسكانها العرب^(٨). ثم جعلت مركزاً من مراكز اجناد الدولة^(٩). وأصبحت مقراً لكثير من القبائل العربية التي سكنت فيها نتيجة ترتيبات وضعها الخلفاء الراشدون. وكان من هؤلاء نحو أربعة آلاف من الأزد، وطئي، وكندة، وعبد القيس، استقروا فيها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥ هـ / ٦٤٤-٦٥٦ م)^(١٠).

وازدادت أهمية الموصل في العهد الأموي، وليس أدل على هذه الأهمية من اهتمام الخلفاء الأمويين بها، وحرصهم على تعيين الولاة عليها بأنفسهم. وكانت الموصل تعد مركز منطقة ديار ربيعة التي شكلت الجزء الأكبر من ولاية الجزيرة. ولكن لأهميتها كانت تمثل في بعض الأوقات اهم مراكز عمل هذه الولاية، والقاعدة الاولى فيها^(١١). وهذا يعود بطبيعة الحال الى مقدار اهتمام كل خليفة بهذه الولاية، ومدى تقديره لأهميتها.

ويمكن ملاحظة الاتجاه العام الذي سارت عليه سياسة الخلفاء الأمويين ازاء ولاية الموصل

العامة بعد وفاة معاوية أثر على سلطة الأمويين في الموصل، كما أثر على كثير من ولايات الدولة الأخرى. فقد أدار شؤون الموصل بعد سيطرة عبدالله بن الزبير عليها عامله محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، الذي تخلى عنها بعد وصول عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني عامل المختار الثقفي سنة (٦٦هـ / ٦٨٥م) (١٢).

ونتيجة لتوجه جيش الخلافة الأموية بقيادة عبيدالله بن زياد الى الموصل عمد المختار الثقفي الى ارسال حملات تعزيزية الى عامله عبدالرحمن بن سعيد بن قيس، كان أهمها حملة ابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر، الذي تمكن من القضاء على عبيدالله بن زياد بالقرب من قرية باريثا على الخازر، ثم توجه الى الموصل، وأقام والياً عليها من قبل المختار الثقفي، وكانت ولايته تشمل أيضاً أرمينية وأذربيجان (١٣). وقد وجه عماله على المناطق القريبة التابعة للمدينة، مثل نصيبين، وسنجار، ودارا وما والاها من ارض الجزيرة (١٤). فولى عبدالرحمن ابن عبدالله على نصيبين، وولى زفر بن الحارث على قرقيسيا، وحاتم بن النعمان الباهلي على حران والرها وسيمساط وناحيتهما، وولى عمير بن الحُباب السلمي على كفر توثا وطور عبيدين (١٥). كما ولى السفاح بن كُردوس على سنجان، وعبدالله بن مسلم على ميفارقين، ومسلم بن ربيعة العقيلي على آمد (١٦).

وتشير هذه المعلومات الى ازدياد أهمية الموصل بالنسبة للأطراف المتنازعة، واناطة صلاحيات ادارية واسعة لمن يتولاها، بحيث أصبح مسؤولاً عن معظم أقاليم الجزيرة، فضلاً عن أرمينية وأذربيجان. ومن الجدير بالذكر ملاحظة هذه المسألة بخاصة، وهي اختلاف المكانة الادارية للموصل خلال هذا العصر، وتصرف القوى السياسية المختلفة ازاء وضعها الاداري المستقل، أو دمجها بولاية الجزيرة. وسنجد ان الخلفاء

الأمويين، لاسيما بعد القضاء على حركة ابن الزبير، كانوا يفضلون دمج الموصل بولاية الجزيرة، باستثناء بعض الأوقات التي تتطلب من عامل المدينة عناية خاصة واهتماماً كبيراً في المنطقة ذاتها. فكان يُعنى من الاشراف على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، ويكفي بالاهتمام بأمور المدينة وأعمالها، كما حصل في اثناء ولايتي سعيد بن عبد الملك، والحر بن يوسف التي ستحدث عنها لاحقاً.

ومن الجدير بالذكر أيضاً ملاحظة إناطة ولاية الموصل في فترة الاضطراب وعدم الاستقرار التي صاحبت استيلاء المختار الثقفي ومصعب بن الزبير على العراق وأجزاء من الجزيرة، الى كبار القادة الذين ساهموا الى حد كبير في حسم الأحداث لصالح أحد هذه الأطراف. فابراهيم بن الأشتر قضى على عبدالله بن زياد لصالح حركة المختار، ومنع بذلك انتشار سلطة الأخير على العراق والجزيرة، فعُين والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان. وبعد خسارة المختار الثقفي ومقتله على يد جيش مصعب بن الزبير سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م) استمال الأخير ابراهيم بن الأشتر، فجاءه الى الكوفة وانضم الى حركته. فأرسل مصعب الى المهلب بن أبي صفرة ليتولى الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية (١٧)، وليكون حاجزاً بينه وبين جيوش عبد الملك بن مروان لثقتهم بحزم المهلب (١٨). وعندما أصبح الموقف في الاحواز حرجاً نتيجة حركات الخوارج بقيادة قطري بن الفجاءة استعان مصعب بن الزبير بالمهلب لمواجهة هذا الموقف، وأرسل بديله على الموصل والجزيرة ثانياً ابراهيم بن الأشتر سنة (٦٨هـ / ٦٨٧م) (١٩). ويشير هذا التأكيد على تولي الموصل وما يتبعها من اقاليم، لشخصيات بارزة من امثال ابراهيم بن الأشتر، والمهلب بن أبي صفرة، الى مدى أهمية هذه المنطقة، وخطورتها في حسم الأحداث بالنسبة للأطراف المختلفة.

ولم يكتف سعيد بن عبد الملك ، الذي عُرف بسعيد الخير^(٢٧) ، لزهده وحبه للاصلاح والعمران ، بما حققه من انجازات في المدينة ، بل حاول تطوير المناطق النائية الواقعة خارجها ، حيث ينسب اليه نهر سعيد الذي يجري دون الرقة من ديار مضر . وكان موضعه غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد بن عبد الملك ، فحفر النهر هناك ، وعُمر المنطقة^(٢٨) . وقد استمر سعيد في ولاية الموصل طيلة خلافة اخويه الوليد وسليمان ، الى ان عزل عنها في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، الذي كتب اليه بتسليم المدينة الى يحيى بن يحيى الغساني والقدم عليه في دمشق^(٢٩) .

لقد انعكست السياسة العامة في ادارة الدولة الاموية في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز على الادارة في كل اقاليم وولايات الدولة ، ومنها الموصل . حيث جاءت اوامر الخليفة الى الوالي يحيى ابن يحيى الغساني بالرجوع الى ما كان قد قرره الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في أمر الجزية ومقدارها ، والغاء الترتيبات المالية المخالفة في جباية الضرائب التي أُقرت في عهد عبد الملك بن مروان^(٣٠) . كذلك فقد أمره بأخذ الناس بالبيئة وما جرت عليه السنة ، وتجنب أخذهم بالظن ، أو ضربهم على التهمة ، على الرغم من تفشي السرقة في الموصل في ذلك الوقت . وقد أدت اجراءات الوالي الجديد العادلة الى القضاء على تلك الظاهرة ، ولم تنته ولايته عن الموصل حتى كانت أصلح البلاد ، وأكثرها أمناً^(٣١) .

ظل يحيى بن يحيى الغساني على ولاية الموصل حتى وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠١ / ٧٢٠ م)^(٣٢) . ثم تولاها في بداية خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ / ٧٢٠ - ٧٢٤ م) عمر بن هبيرة الفزاري ضمن ولايته للجزيرة ، ولكنه لم يلبث ان عُزل سنة (١٠٢ / ٧٢٠ - ٧٢١ م) وعين بدلاً عنه على

وما يؤكد هذا الاهتمام ايضاً ان الخليفة عبد الملك بن مروان ولي الموصل ، بعد القضاء على مصعب بن الزبير ، لأخيه محمد بن مروان ، الذي كان على مقدمة جيشه المتوجه الى العراق^(٣٣) . ويبدو أن لخبرة محمد بن مروان بالموصل والجزيرة اثر في هذه الولاية ، حيث ان محمد بن مروان كان قد توجه الى الجزيرة بحملة في عهد والده مروان بن الحكم سنة (٦٥ هـ / ٦٨٥ م) قبل ان يسير الأخير الى مصر^(٣٤) . وكانت ولاية محمد بن مروان تشمل فضلاً عن الموصل ، الجزيرة واربينية واذريجان^(٣٥) . واستمرت على المناطق الأخيرة من سنة (٧٣ - ٩٢ هـ / ٦٩٢ - ٧١٠ م) حيث عزله عنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٥ هـ / ٧٠٥ - ٧١٣ م)^(٣٦) .

ويبدو ان محمد بن مروان كان مهتماً بقيادة الحملات العسكرية في الجبهة الشمالية ، لاسيما أرمينية ، وأنه استقر في وقت متأخر من ولايته في تلك المنطقة . وعلى الرغم من اهتمامه بالموصل ، وشروعه ببناء سورها^(٣٧) ، واسكانه لعدد كبير من القبائل العربية فيها ، لاسيما من الأزد وربيعة بعد نقلهم من البصرة^(٣٨) ، وقيام صاحب شرطته ابن تليد بفرش شوارعها بالحجارة فإن الخليفة عبد الملك شعر ان الموصل بحاجة الى اهتمام مباشر من قبل شخصية اخرى من البيت الأموي . فعهد ، كما يشير البلاذري^(٣٩) ، بولايتها الى ابنه سعيد بن عبد الملك ، وهكذا فسح المجال لمحمد بن مروان بالتفرغ لمواجهة الحدود الشمالية للدولة في ارمينية واذريجان . وقد قام سعيد بن عبد الملك بمجهود عمرانية مكثفة من اجل تطوير وخدمة المدينة . وتمثلت اعماله بإنجاز سور الموصل ، وبناء أحد اسواقها ، الذي سُمي على اسمه ، كما بنى مسجداً عرف باسم مؤذنه عبيدة ، فضلاً عن بناء أحد الأديرة . وسنشير الى اعماله هذه بالتفصيل في البحث الخاص بالحالة العمرانية في المدينة .

الموصل وأعمالها بأجمعها مروان بن محمد بن مروان^(٣٣).

وعندما تولى الخليفة هشام بن عبد الملك الخلافة (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) اهتم كثيراً بالموصل. ويبدو أن هذا الاهتمام يعود الى اتصاله الوثيق بها ، حيث كان هشام مقيماً فيها أيام عمه محمد بن مروان ، وأخيه سعيد بن عبد الملك. وقد أبنى فيها قصراً يقع الى الجنوب من الموصل في ارض واسعة بالقرب من دجلة تعرف بالجزيرة^(٣٤). وقد وقع اختياره على أحد أفراد البيت الأموي ، الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم ، أخي زوجته ام حكيم ابنة يوسف بن يحيى ، لتولي المدينة. وكان هذا الاختيار مقصوداً ، فقد عُرف الحر بن يوسف بiahتمامه الشديد بالادارة والعمران ، لاسيما في اثناء ولايته لمصر سنة (١٠٥ - ١٠٨ هـ / ٧٢٤ - ٧٢٦ م) ، حيث عَمَّر الأراضي التي أنحسر عنها النيل ، وبنى فيها قيسارية عرفت بقيسارية هشام بالقرب من الجسر الواقع على النيل^(٣٥).

ويذكر الأزدي^(٣٦) ان ولاية الحر للموصل كانت في سنة (١٠٦ هـ / ٧٢٤ - ٧٢٥ م) ، بينما يشير الكندي^(٣٧) ، الى ان الحر ابتداءً في بناء القيسارية المذكورة على النيل في رجب سنة سبع ومئة ، وفرغ منها في سنة ثمان ومئة ، وكان انصرافه عن ولاية مصر بأمر من هشام في ذي القعدة من سنة ثمان ومئة. وهنا يجد الباحث نفسه امام اختلاف في الرواية لاثنتين من كبار المؤرخين المتخصصين في كتابة التاريخ المحلي ، وهما ابو زكريا الأزدي ، وابو عمر الكندي ، وكلاهما ثقة فيما كتبه عن تاريخ بلده. وقد أخذ معظم المُؤرِّخين سنة ١٠٦ هـ بداية لولاية الحر على الموصل دون مناقشة^(٣٨) ، ولو أن الأرجح ان تكون السنة التي ذكرها الكندي هي الأصح ، لاسيما وأنه عزز كلامه بثوابت من التواريخ التي تبين زمن ابتداء الحربين القيسارية ، وانتهائه منها ، وحدد بالضبط

الوقت الذي غادر فيه مصر ، وهو ذو القعدة من سنة ١٠٨ هـ .

وعلى اي حال ، فإن الموصل فصلت خصيصاً عن ولاية مروان بن محمد في الجزيرة وأرمينية واذريجان ، وعهدت الى الحر بن يوسف للقيام بمهمة أساسية على ما يبدو ، وهي انشاء مشروع رئيس لهذا المركز المدني النامي ، بمفرقة تنفر من نهر دجلة ، اطلق عليها اسم نهر الحر ، أو النهر المكشوف. ويبدو ان الخليفة هشام بن عبد الملك قد أدرك ، كما يقول احد الباحثين المحدثين^(٣٩) ، «تأثيرات الازدحام السكاني في هذه المنطقة ، فحاول معالجة الموقف بمشروع انتاجي طويل المدى يحسن مجالات استخدام السكان المحليين على الأقل». وما يؤيد أهمية هذا المشروع الذي ستحدث عنه لاحقاً في مبحث الناحية العمرانية أنه جاء في وقت كانت فيه خزينة الدولة ترزخ تحت ضغط الاخطار الخارجية ، ومع ذلك فإن الخليفة لم يطالب الحر بن يوسف ، ولا خليفته الوليد بن تليد العباسي (١١٤ - ١٢١ هـ / ٧٣٢ - ٧٣٨ م)^(٤٠) ، الذي اكمل المشروع بحمل أية أموال من الموصل الى الخزانة المركزية في دمشق. وكانت أموال الموصل كلها في ذلك الحين ، وأعمالها واسعة ، وقد أنفقت جبايتها لانجاز حفر النهر. وكان الخليفة يتابع العمل باستمرار ، ويطلب الاسراع في استكمال المشروع الذي تم سنة (١٢١ هـ / ٧٣٨ م)^(٤١).

وفي سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) رجعت الموصل الى الادارة المركزية ضمن ولاية الجزيرة وأرمينية واذريجان. ولكنها أصبحت قاعدة بلاد الجزيرة ، حيث اتخذها مروان بن محمد ، الذي تولاه للمرة الثانية زمن الخليفة يزيد بن الوليد (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) ، مركزاً لادارته ، وأتاب عنه عاصم بن عبد الله على ارمينية واذريجان^(٤٢). وقد اهتم مروان ابن محمد بالمدينة وادارتها ، فعمَّر مسجدها الجامع

ووسعه ، ومدّ لها جسراً على نهر دجلة لتسهيل الاتصال بين جانبها ، كما نظّم طرقاتها ورصفها ، ووسّع السور في المناطق التي امتدت اليها العمارة في البلد^(٤٣) . ولكن الصراع الداخلي على السلطة بين افراد البيت الأموي اضطر مروان الى ترك الموصل ، والتوجه الى دمشق ، حيث نجح في تولي منصب الخلافة سنة (١٢٧هـ / ٧٤٤م)^(٤٤) .

ورجعه الخليفة مروان بن محمد في هذه السنة اميراً جديداً على الموصل وأعمالها من أهل الجزيرة ينتمي الى عشيرة بني شيبان ، يقال له القطران بن أكمه في عدة من أهل بيته وقومه^(٤٥) . وعلى الرغم من انه تولى لفترة من الزمن محدودة جداً ، لكنه ترك أثراً بارزاً في المدينة تمثل في بناء خطة لقومه ومسجد عرف بإسمه^(٤٦) . وقد جوبه بمخاطر الحركات "المخارجية" في المنطقة ، ولقي حتفه في مقاومة إحدى هذه الحركات التي هاجمت الموصل سنة (١٢٨هـ / ٧٤٥م) ، كما سئري في المبحث الآتي . وبعد القضاء على هذه الحركة استخلف أمير جديد على الموصل وأعمالها ، هو هشام بن عمرو الزهيري الذي تولى الصلاة والحرب ، في حين قلّد الخراج الى بشر بن خزيمه الأزدي . وقد استمر هشام بن عمرو في منصبه حتى سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م)^(٤٧) .

٢- موقف الموصل من حركات المعارضة :

على الرغم من ان الجزيرة ، وبضمنها الموصل ، توصف في مصادرنا بأنها عثمانية^(٤٨) ، أي انها كانت موالية للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنها وقفت موقفاً سلبياً أزاء الأحداث التي نتجت عن الصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥- ٤٠هـ / ٦٥٦- ٦٦١م) رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكان قادتها يتبادلان السيطرة عليها بقواتها الخاصة ، سواء من العراق

بالنسبة للامام علي ، أو من الشام بالنسبة لمعاوية^(٤٩) . وبعد استقرار الأمر للأخير ظلت الموصل هادئة في ظل ولاته . ولم يعكر صفو هذا الهدوء سوى قدوم بعض الجماعات والأفراد اليها من المناصرين السابقين للامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولكن هذه الحالات الفردية كان يرصدها عامل الموصل وتنتهي ببقاء القبض على القادمين ومعايبتهم^(٥٠) .

وليس من المستبعد وجود أقارب وأنصار لهؤلاء في الموصل ، غير انه لم ترد في مصادرنا أية ردود فعل أو مقاومة للسلطة من قبل أهل الموصل . ولكن مما يرجح وجود بعض المناصرين لآل بيت الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الموصل قيام الامام زيد بن علي بن الحسين بإرسال موفدين عنه اليها لدعوة أهلها للمشاركة في حركته ضد الخلافة الأموية سنة (١٢٢هـ / ٧٣٩- ٧٤٠م)^(٥١) . ويظهر ان عدد هؤلاء كان محدوداً ، لذلك لانجد صدى ، أو استجابة لهذه الدعوة . ولم تشر المصادر التي أوردت هذه الرواية الى مشاركة أهل الموصل في حركة الامام زيد بن علي التي قامت أصلاً في الكوفة .

وإذا مارجعنا الى أحداث الحرب الأهلية الثانية التي أعقبت وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) ، وقيام حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق ، وحركة عبدالله بن الزبير في الحجاز ، نجد أن الموصل ظلت على موقفها السلبي من هذه الأحداث ، أي أن أهلها لم يشاركوا في تأييد أو مقاومة القوى التي سيطرت على المنطقة . فكان هؤلاء الذين يمثلون هذه القوى يدخلون الى الموصل وأرضها ، ويخرجون منها ، حسب تقلب الظروف السياسية التي اكتنفت الدولة العربية الإسلامية حينذاك^(٥٢) . ولم ترد اشارات عن قيام أهل المدينة بمساعدة هذه القوات ، أو الوقوف موقفاً عدائياً أزاءها .

وبعد انتصار عبدالملك بن مروان على مصعب ابن الزبير عام (٧١هـ / ٦٩٠م) وانتهاء الحركة الزبيرية في العراق عادت الموصل الى الخلافة الأموية. وقد ظهرت في هذا العصر بوادر حركات معارضة اخرى للأمويين تركزت هذه المرة في الجزيرة ومنطقة الموصل ، وتسمى عادة بالحركات "الخارجية". وقد تميزت الجزيرة بهذه الحركات حتى أصبحت صفة ملازمة لها^(٥٢). وتشير المصادر الى اماكن متعددة في هذه المنطقة مقرونة بمصطلحي «الشرأة»، و «الحرورية»، وهي الأسماء التي تطلق عادة على المتعين لهذه الحركات. وتشكل ديار ربيعة عامة أهم هذه المناطق، لاسيما منطقة سنجار، وتل أعقر، والسّن، والبوازيج، والحديثة^(٥٣).

ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه الحركات ومدى علاقة الموصل بها يحسن اعطاء فكرة عامة عن ماهيتها وجذورها، واهداف المتعين اليها، ومدى علاقتها بحركة الخوارج المعروفة التي ظهرت في زمن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، أثر معركة صفين ومشروع التحكيم بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان. فإذا مارجعنا الى مصادرها الأولية نجد أن غالب هذه الحركات توصف على أنها من أنشطة الخوارج الصُفوية^(٥٤). وهم حسب الرأي الشائع من اتباع زياد بن الأصفر، ويختلفون عن غيرهم من الفرق، لاسيما الأزارقة الذين يتنمون الى نافع بن الأهرق، في امور منها أنهم لا يرون قتل اطفال مخالفيهم ونسائهم، ولم يَكْفُرُوا القِعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد^(٥٥). ويشير ابو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٥٦)، الى أنهم سُموا بالصفورية لتأثير العبادة فيهم، فاصفرت وجوههم.

ولكن الدراسات الحديثة تتحفظ في اعتبار هذه الحركات التي ظهرت في العهد الأموي على أنها "خارجية" بالمعنى الصحيح، بل ترى أنها في

حقيقتها حركات قبلية إنضمت الى البقية الباقية من الخوارج الأوائل لأسباب مصلحية. لذلك فإن أفضل تسمية لهم هي «الخوارج الجدد»^(٥٨). وهم في الأساس مجموعة من القبائل العربية التي اندجعت في بيئاتها الجديدة في الجزيرة والموصل، ورفضت مواصلة دعم الأمويين بأي شكل، كما أنهم لم يروا أيضاً سبباً للتورط في الانتفاضات والحركات الاخرى المعادية للدولة، التي كانت تُمنى بالفشل الدائم، لاسيما الحركات العلوية، وقد سبقت الاشارة الى الموقف السلبي لأهل الموصل والجزيرة عامة ازاء تلك الحركات.

لقد كانت منطقة الجزيرة مناسبة جداً لقيام الحركات المعارضة، بسبب موقعها الجغرافي وضمها اقواماً مختلفة من العرب والأكراد، والأرمن، والروم، وغيرهم. فكان من الطبيعي أن يسودها جو مضطرب النزعات والعقائد والاتجاهات التي تتقبل كل فكرة تدعو الى التمرد والعصيان. فضلاً عن، أن القبائل العربية في هذه المنطقة كانت محرومة من العطاء الذي يمنح للمقاتلة فقط، فكانت هذه القبائل سرعان ما تنضم لأية حركة معارضة للسلطة، لأن نجاح الحركة يُد كسباً لهذه القبائل، لما يعقب ذلك من الحصول على المكاسب والمغانم، اما في حالة فشل الحركة، فكان من السهل عليهم الحرب الى بادية الشام والعراق، والتخلص من النتائج السلبية التي تعقب ذلك الفشل^(٥٩).

وليس المقصود بهذا الكلام ان جميع حركات «الخوارج الجدد» التي قامت في منطقة الموصل والجزيرة كانت دون أهداف سياسية أو دينية واضحة، أو أن غايتها كانت السلب والحصول على المكاسب حسب. بل أن بعضها كان يتطور مع الزمن ليضم فئات اخرى استغلت بعض هذه الحركات لصالحها الخاص، كما سنرى في اثناء الكلام عن حركة الضحالك بن قيس الشيباني مثلاً.

ولدينا أمثلة واضحة عن أهداف مجموعة أخرى من هذه الحركات ، حيث يبدو العامل الديني فيها طاعياً ، لاسيما حركة صالح بن مسرّح التميمي ، وشبيب بن يزيد الشيباني ، وهلول بن بشر.

ويمكن اعتبار حركتي صالح بن مسرّح وشبيب ابن يزيد حركة واحدة تنتمي جذورها الى الخوارج الأوائل الذين حاربهم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة النهروان ، حيث فربعضهم الى الشمال ووصلوا الموصل وأطرافها واستقروا فيها ، ولكن مع ذلك لم تنقطع صلاتهم مع أقرانهم في الكوفة . ويُعد صالح بن مسرّح خير مثال على هؤلاء ، حيث كان يأتي الكوفة ، فيقيم فيها لفترات متقطعة للالتقاء بأصحابه ، والتذاكر معهم في امر الخروج على الدولة^(١٠) . وقد استطاع هذا الرجل الذي يصفه ابن الكلبي بأنه «كان رجلاً ناسكاً مُخبتاً مصفر الوجه صاحب عبادة»^(١١) ، أن يجمع حوله الكثير من الأصحاب والمؤيدين الذين يقرئهم القرآن ، ويفقههم في الدين ، ويقص عليهم القصص ، في منطقة دارا وارض الموصل والجزيرة .

ويبدو العامل الديني واضحاً في هذه الحركة من ملاحظة كلام صالح بن مسرّح مع أصحابه وهو يحثهم على الخروج قائلاً : «... ما أدري ما تنتظرون وحتى متى وأنتم مقيمون ، هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعداً عن الحق وجرأ على الرب ، فاستعدوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذي تريدون...»^(١٢) . وعندما اتصل شبيب بن يزيد بصالح على أثر دعوة الأخير له للقيام على الدولة ، قال له شبيب يستحثه على ذلك : « اخرج بنا رحلكم الله فوالله ما تزداد السنة الاً دروساً ولا يزداد المجرمون الاً طغياناً »^(١٣) . وقد خرج الاثنان فعلاً في بلدة دارا ، التي تقع لحف جبل بين نصيبين وماردين^(١٤) ، وذلك في صفر سنة (٧٦هـ /

٦٩٥م) . وابتدأوا اعمالهم الحربية بالاستيلاء على خيل لمحمد بن مروان في المنطقة ، ساعدتهم على تكوين قوة من الفرسان ، وظلوا بأرض دارا نحو ثلاث عشرة ليلة . وقد أدى قيامهم الى تحصن أهل دارا ، وأهل نصيبين ، وأهل سنجان منهم^(١٥) .

وعلى الرغم من المبادئ المعلنة لهذه الحركة ، كما تشير اليها مصادرها ، فإن عدداً قليلاً من الناس انضموا اليها ، حيث تذكر رواية أبي مخنف عدداً متواضعاً يتراوح بين مئة وعشرة الى مئة وعشرين رجلاً ، أغلبهم من بني شيبان خاصة ، ومن ربيعة بصورة عامة^(١٦) . ولاشك أن الحركة اكتسبت أنصاراً آخرين أثرتجوالها في المنطقة . ويبدو أن هؤلاء استجابوا لها نتيجة لضيقهم بإجراءات الخلافة الأموية في بداية عهد عبدالملك بن مروان ، ومحاولته اعادة تنظيم الجزيرة ، ودمج الموصل معها ، مما أفقدهم حريتهم في التحرك ، وشعروا باليأس من استمرار الحكم الأموي ، الذي لم يكن في رأيهم يتمتع بالشرعية . ويشير تحصن أهل دارا ونصيبين وسنجان من قوات هذه الحركة الى عدم انضمامهم لها ، وهذا يعني أن بعض القبائل المحيطة بهذه المدن هي التي انضمت اليها فقط . كذلك الحال بالنسبة للموصل . حيث لاتشير المصادر المبكرة الى موقف أهلها من الحركة ، على الرغم من أن بعض المناطق القريبة منها كانت مسرحاً لعملياتها^(١٧) .

وبعد مقتل صالح بن مسرّح في قرية المديح جنوبي الموصل اثر اصطدامه بجيش أموي ارسله والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، تولى شبيب بن يزيد الشيباني قيادة الحركة ، فارتفع الى أرض الموصل . وظل يتجول في نواحيها قبل أن يتخلص منه الحجاج بن يوسف ايضاً^(١٨) . وتشير احدى الروايات المتأخرة الى انه «وقف على ارض الموصل وأقام يقاتله أهلها»^(١٩) . فإذا صحت هذه الرواية فهي دليل على معارضة أهل الموصل لهذه الحركة . ولو أن مواقف أهل المدينة ازاء الحركات الأخرى

اللاحقة لاتؤيد هذه الفرضية ، حيث إنهم كانوا يهادنون مثل هذه الحركات ، ويدفعون خطرهما عن مدينتهم باللين والمفاوضة ، بل حتى بإظهار الرضا وانضمام بعضهم اليها . مثال ذلك موقفهم من حركة بهلول بن بشر الشيباني المعروف بـ «كثارة» الذي خرج في قرية من قرى الموصل لاقتناعه بسوء الادارة وظلم الولاة وفسادهم ، فتوجه الى العراق وهزم جيشاً أرسله اليه والي العراق خالد بن عبدالله القسري سنة (١١٩ هـ / ٧٣٧م) ، وحينما رجع الى منطقة الموصل والجزيرة انضم اليه قومٌ من اهل الموصل^(٧٠) ، فكتب عاملها الوليد بن تليد العباسي يستغيث بالخليفة هشام بن عبد الملك قائلاً : «أن خارجة خرجت فعائت وأفسدت وأنه لا يأمن على ناحيته ويسأله جنداً يقاتلهم به»^(٧١) . ويبدو أن سبب خشيتهم ربما كانت لانضمام هؤلاء النفر من أهل الموصل والجزيرة الى حركة بهلول . وقد انتهت هذه الحركة نتيجة اصطدامها بقوات مشتركة من الشام والجزيرة والعراق ، فقتل بهلول في السنة ذاتها ، وتفرق أصحابه^(٧٢) .

كذلك يشير موقف أهل الموصل من حركة سعيد بن بجدل أو (بهذل) الشيباني الذي خرج في الجزيرة سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣م) ، الى سياستهم المهادنة لهذه الحركات . فقد سار سعيد اليهم حتى نزل مرج الموصل ، الواقع الى الشرق منها . وبعد أن انضم اليه «خارجي» آخر هو أبو كرب الحميري ، أصبحت قوته نحو خمسمئة رجل ، فجاء الى الموصل ودخلها ، وأقام بها أياماً مع أتباعه . فسأله اهلها أن يرحل عنهم ، واعطوه الرضا ، فرحل عنهم وسار الى شهرزور^(٧٣) ، ثم توجه الى منطقة اخرى من العراق ، ولكنه توفي بالطاعون سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤م) قبل أن يواجه القوات الأموية ، واستخلف على أصحابه الضحاك بن قيس الشيباني^(٧٤) .

ويدل موقف أهل الموصل المشار اليه آنفاً على درجة نسبية من التعاطف مع الحركة ، لكنه كان تعاطفاً مشوباً بالخذر ، والخوف من نتائج الانغمار في موقف علني معاد للدولة . ولكن بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك اضطرت امور الموصل والجزيرة ، والشام ، والعراق . وقد استغل الضحاك بن قيس الشيباني ، الذي خلف سعيد ابن بجدل ، هذه الظروف وانشغال مروان بن محمد بالصراع على السلطة في الشام^(٧٥) ، فابتدأ حركته في شهرزور حيث اجتمع معه نحو ألف مقاتل ، ثم توجه الى أرض الموصل فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو ثلاثة آلاف رجل . وهكذا أصبحت قوته تضم نحو أربعة آلاف مقاتل ، وهو عدد لم يجتمع مثله «لخارجي» قط ، حسب رواية أبي عبيدة المعمر بن المنثني^(٧٦) . ولكن الضحاك خشي من أنه سيكون فريسة سهلة لمروان بن محمد في الجزيرة ، لاسيما وأن الأخير قد سوى خلافاته مع الخليفة الجديد يزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، واعلن بيعته له ، مقابل ولايته على الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان^(٧٧) ، لهذا قرر الضحاك التوجه الى مهاجمة العراق واقتحام الكوفة .

كان الصراع في العراق على أشده بين عبدالله ابن عمر بن عبدالعزيز ، الوالي السابق ، والنضر بن سعيد الحرشي ، الذي عُين بدله من قبل مروان بن محمد بعد توليه الخلافة عام (١٢٧ هـ / ٧٤٤م) . وقد أستغل الضحاك هذا الخلاف ، فسيطر على الكوفة وجي السواد^(٧٨) . وبعد انضمام عبدالله بن عمر اليه ، أصبح العراق كله في قبضته ، فأقر ابن عمر والياً على العراق^(٧٩) ، كما استولى على بيت المال ، فأصبح لديه مايكفي لتحويل جيشه واعطاء اتباعه الاعطيات الجزية التي بلغت مئة وعشرين درهماً للفارس ، وثمانين الى مئة درهم للراجل في الشهر . كما تضمن جيشه حتى أصبح يقارب مئة

وعشرين الف مقاتل^(٨٠) . وهذه الميزة الكبيرة أصبح بمقدور الضحّاك ان يتقدم الى الشمال مرة اخرى دون ان يخشى قوة الخليفة مروان بن محمد^(٨١) .

وهناك عامل آخر شجع الضحّاك على التوجه الى الشمال ، وهو وصول دعوة صريحة من أهل الموصل للقدوم اليها ، مع وعد أهلها بتسليمه المدينة وتمكينه منها . وقد سار الضحّاك الى الموصل بعد أن تركها لمدة عشرين شهراً ، واستطاع أن يتغلب على عاملها مروان بن محمد ، القطران بن أكمه الشيباني ، الذي قُتل هو وجاعة من قومه في أثناء الدفاع عن المدينة^(٨٢) . وكان موقف أهل المدينة صريحاً هذه المرة ، حيث سهلوا للضحّاك أمر فتح المدينة والاستيلاء على أعاليها ، مما أقلق الخليفة مروان بن محمد ، وجعله يطلب من ابنه عبدالله التوجه الى نصيبين والمراطة فيها لمنع الضحّاك من توسط الجزيرة^(٨٣) .

وقد استمرت الموصل في تأييدها لهذه الحركة ، حتى بعد مقتل الضحّاك بالقرب من قرية كفروتوا ، التي تقع بين دارا ورأس العين ، على أثر التفاته بجيش مروان بن محمد سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥ م)^(٨٤) . وقدّمت دعماً لخلفائه لاسيما شيبان ابن عبدالعزيز البشكري ، حيث أصبحت المدينة ظهراً وملجأً لتوابعهم بعد انسحابهم اليها . وكان سليمان بن الخليفة هشام بن عبدالله ، الذي انضم الى هذه الحركة قد نصّحهم بالانصراف الى مدينة الموصل والبقاء في الجانب الشرقي منها في قرية الكار الأسفل المقابلة للمدينة^(٨٥) ، وعقد الجسور مع جانبها الغربي للحصول على الأرزاق . وقد تبع الخليفة مروان معسكر شيبان وحلفائه ، وخذلق أيضاً شرقي دجلة بالكار الأعلى ، وقاتلهم عدة أشهر ، لكنه لم يستطع التغلب عليهم^(٨٦) ، لأنهم كانوا يتلقون دعماً مستمراً من أهل المدينة ، الذين قاتلوا معهم أيضاً ، مما حمل مروان على توعده أهل

الموصل وتهديدهم بقتل مقاتلتهم وسبي ذريتهم ان ظفر بهم^(٨٧) .

ولم يستطع الخليفة مروان بن محمد التخلص من خطر هذه الحركة إلا بعد أن استنجد بعامله على واسط ، يزيد بن عمر بن هبيرة لجمده بقوات اضافية بقيادة عامر بن ضبارة المري . فلما جاءت هذه الامدادات أصبح موقف شيبان وأصحابه حرجاً لوقوعهم بين جيشين ، الأول لمروان بن محمد من جهة الشام ، والثاني لعامر بن ضبارة من الجنوب . وقطعت عنهم الامدادات والأرزاق ، وغلت الأسعار في مدينة الموصل ، وفقدت المواد الغذائية ، لاسيما الخبز ، مما اضطرهم الى الارتحال لبلاد الى شهرزور ، ثم الى حلوان ، والأحواز ، وفارس ، وعان ، حيث قتل شيبان هناك^(٨٨) .

أما أهل الموصل ، فقد خشوا من انتقام مروان ابن محمد ، فقطعوا الجسر لثلاثي عشرين يوماً ويدخل المدينة ، فرحل مروان ، وأتى موضعاً من نهر دجلة جنوب الموصل ، فعبر منه الى الجانب الغربي وأحاط بالمدينة مفاجئاً أهلها ، لكنه أنهم قائلاً : « مدينة بناها أبي ما كنت لأؤذي أهلها... »^(٨٩) . فاطمأنوا وفتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها مع أصحابه . وقد وفي الخليفة مروان بوعده لأهل المدينة فلم يمسه بسوء وعفا عنهم ، وأمضى فيها فترة قصيرة للاستجمام من حربه الطويلة مع شيبان وأنصاره ، فاستحم في إحدى حماماتها ، وتناول الغداء عند أحد كبار رجالها ، وهو جد أبان بن سفيان المحدث التغلي . ثم استخلف على المدينة هشام بن عمرو الزهيري للصلاة والحرب ، وبشر بن خزعة الأزدي للخزاج ، ورحل الى حران التي اتخذها مقراً لإقامته في الجزيرة^(٩٠) .

ان تصرف الخليفة مروان بن محمد المتزن مع أهل الموصل بعد انتهاء هذه الحركة على الرغم من توعده السابق لهم يدل على اقتناعه بأنهم قد دفعوا الى مناصرة الضحّاك ، ثم شيبان وجاعته للوقوف

ضد سلطة الدولة. وان الاحداث التي مرت بالمنطقة كلها نتيجة الفوضى التي أعقبت مقتل الخليفة الوليد بن يزيد، والتزاع على السلطة، قد شجعت القبائل المحيطة بالمدينة على اعلان العصيان، رغبة في الحصول على مكاسب نتيجة الأوضاع المضطربة. وهنا يبرز سؤال جدير بالاهتمام: ماذا يمكن أن يكسب أهل الموصل من تشجيعهم لحركة «خارجية» مضادة للدولة؟

ويمكن قبل الشروع في الجواب استبعاد موضوع العصبية، وتفسير موقف أهل الموصل على انه كان انتصاراً لريعة وبني شيبان خاصة. لأن هذه الفكرة تتناقض مع موقف والي المدينة القطران ابن اكمه الشيباني وقومه الذين تصدوا للضحاك بن قيس وقاوموه حتى قتلوا دفاعاً عن المدينة. فإذا كانت المسألة «عصبية» كان الأجدد بالقطران الشيباني أن ينضم الى حركة الضحاك لا أن يقف بوجهها.

والواقع ان اتساع حركة الضحاك، وشوفا لمنطقة جغرافية واسعة شملت الجزيرة والعراق، وانضمام عناصر متعددة اليها، يجعل من الصعب تحديد عامل معين لانضمام هذه الفئات اليها، لاسيما وأن هذه الحركة ابتدعت بدعة جديدة^(٩١)، ذلك انها أخذت تقبل كل من ينضم اليها ويعينها على تحقيق اغراضها الكبيرة في الاستحواذ على السلطة والقضاء على قوة الأمويين. وقد سبقت الإشارة الى انضمام شخصيات كبيرة مشهورة من الولاة، والقادة، وافراد من البيت الأموي. مثال ذلك عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، ومنصور بن جمهور الكلبي، وسليمان بن هشام بن عبد الملك، الذي تزوج من اخت شيبان. يضاف الى هؤلاء جميعاً مجموعات كبيرة ممن أطلقت عليهم المصادر اسم أهل الطمع أو أصحاب الطمع^(٩٢). ولكل من هؤلاء بطبيعة الحال دوافعه الخاصة

المختلفة عن دوافع غيره، فنصور بن جمهور، وعبدالله بن عمر كانا يطمحان بمكاسب ذاتية تتلخص في تولي الولايات والأعمال الكبيرة ضمن الحركة الجديدة بعد نجاحها. اما سليمان بن هشام فكان يطمح بمنصب الخلافة، ويأمل في الحصول عليه بوساطة هذه الحركة بعد انتصارها على الخليفة مروان بن محمد. ويحتمل أيضاً أن مصلحة بعضهم الآخر «المادية» هي التي دفعته للانضمام الى الحركة، مثال ذلك القاسم بن حبيب العبدي، الذي أصبح مسؤولاً عن بيت مال شيبان، لكنه سرعان ما تخلى عنه بعد وعد بالامان من الخليفة مروان، فجاءه بالأموال التي وهبها له الخليفة مكافأة على تخليه عن الحركة^(٩٣).

ومن المحتمل ان كبار أهل الموصل الذين راسلوا الضحاك ودعوه الى القدوم الى المدينة كانوا يأملون في استغلال الظروف العامة التي شغلت المنطقة بأسرها، لتثبيت مركز المدينة ووجودها، لتصبح قاعدة الجزيرة والمتحكمة في شؤونها. ولعل هذا الموقف بالذات هو الذي دعا أهل الموصل مرة اخرى للوقوف أمام الخليفة مروان بن محمد، ورفضهم لدخوله المدينة بعد هزيمته في معركة الزاب مع العباسيين^(٩٤)، أملاً منهم في تغيير الأوضاع، والتخلص من الآثار السياسية والاقتصادية السيئة التي تركتها حروبه السابقة في المنطقة^(٩٥). ومن الواضح أن أهل الموصل خاب في العهد الجديد، لاسيما بعد أن تولى أمر مدينتهم أول والٍ للعباسيين، محمد بن صول، مولى خثعم، الذي لم يكن عربياً، فرفضوه، حتى تطور الأمر الى انتفاضة عارمة قتل نتيجتها عدة آلاف من أهل المدينة^(٩٦). وهو ما لم يتعرض له الموصل طيلة العهد الأموي، خاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد، على الرغم من مواقفها المعادية المتكررة ازاءه.

- (١٨) البلاذري، انساب الأشراف: ٥ / ٢٧٤.
- (١٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٨٦.
- (٢٠) الطبري: ٢ / ٨٠٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٢٤.
- (٢١) الطبري: ٢ / ٥٩٢.
- (٢٢) البلاذري، انساب الأشراف: ٥ / ١٨٦، الطبري: ٢ / ١٨٧٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٧٠، ٣١٠.
- (٢٣) المصدر نفسه: ٤ / ٥٥٥.
- (٢٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٢٥.
- (٢٥) اليعقوبي، تاريخ: ٢ / ٢٧٢.
- (٢٦) فتح البلدان، ص ٣٢٨، وانظر: قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٨٢.
- (٢٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٤، الطبري: ٢ / ١١٧٤، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، بإعتناء الشيخ عبدالقادر افندي بفران، ط ٢، بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩: ٦ / ١٥٥.
- (٢٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٣-١٨٤، وانظر أيضاً: أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري، نسب قرش، تحقيق: لني يروفسال، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١، ص ١٦٥، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٧٧: ٥ / ٣٢١.
- (٢٩) انظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ٦ / ١٥٣-١٥٤، سعيد الديوب جي، تاريخ الموصل، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢: ١ / ٤٠.
- (٣٠) ابويوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، تحقيق: محمود الباجي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص ٤٣، انظر أيضاً: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٣. وسبب تفصيل هذا الأمر في بحث الحالة الاقتصادية.
- (٣١) أبو نعم أحمد بن عبدالله الاصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، ١٩٣٥: ٥ / ٢٧١.
- (٣٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٣، وانظر: محمد بن خلف بن حيان (وكيع)، اخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفي الراعي، القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٤٧: ١ / ٢٦٤.
- (٣٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ١٦، ١٨.
- (٣٤) المصدر نفسه: ٢ / ٢٤، ١٥٨، ١٧٢.
- (٣٥) أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بإعتناء، رفن كست، بيروت: مطبعة الآباء البسريين، ١٩٠٨، ص ٧٤.
- (٣٦) تاريخ الموصل: ٢ / ٢٤.
- (٣٧) الولاة والقضاة، ص ٧٤.
- (٣٨) انظر على سبيل المثال: الديوب جي، تاريخ الموصل: ١ / ٤٢، محمد عبدالحسي شمعان، التاريخ الاسلامي تفسير جديد/ صدر الاسلام والدولة الأموية، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص ١٦٥، عبدالمجيد احمد السلطان،
- (١) انظر: آثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة، يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٦٦.
- (٢) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد رضوان، مصر: مطبعة السعادة، ١٩٥٩، ص ٣٢٧، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق، محمد حسين الزبيدي، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص ٣٨٢.
- (٣) احمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ: ٢ / ١٥٤، وانظر: علي بن احمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢، ص ٣٦٧.
- (٤) علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، اسد الغابة في معرفة السعابة، طهران: المكتبة الاسلامية، دون تاريخ: ٣ / ٤٠١.
- (٥) انظر: محمد بن عبدالمعتمد الحميري، الروض المظهر في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥، ص ١٦٤.
- (٦) ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق، علي حبيبة، القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٧: ٢ / ٧٦، ١٠٧.
- (٧) المصدر نفسه: ٢ / ٥٦.
- (٨) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق، جوين، القدس: مطبعة الجامعة، ١٩٦٣. اعادت نشره مكتبة المثنى ببغداد: ٥ / ٢٩٥-٢٩٦.
- (٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ١٥٦.
- (١٠) المصدر نفسه: ٢ / ٣٢-٣٣.
- (١١) ابو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، اكرم ضياء العمري، النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٧: ١ / ١٩٧، اليعقوبي، تاريخ: ٢ / ٢٣١، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر، دي غوبه، لندن: مطبعة بريل، ١٨٧٩-١٩٠٣: ٢ / ١٢٨، علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩: ٣ / ٤٧٧.
- (١٢) الطبري: ٢ / ٦٣٥، وانظر: أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق، عبدالمعتمد عامر، القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠، ص ٢٩٢، البلاذري، انساب الاشراف: ٥ / ٢٢٩.
- (١٣) المصدر نفسه: ٥ / ٢٣٠-٢٣١، اليعقوبي، تاريخ: ٢ / ٢٥٩.
- (١٤) الطبري: ٢ / ٧١٦.
- (١٥) البلاذري: أنساب الاشراف: ٥ / ٢٥١، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٦-٢٩٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٦٥.
- (١٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٦-٢٩٧.
- (١٧) الطبري: ٢ / ٧٥٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٧٥.

الموصل في المهديين الراشدي والأموي، الموصل: منشورات مكتبة بشار، ١٩٨٥، ص ١٦٧-١. زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، قد ثبت ابتداء ولاية الحر للموصل على انها سنة ١٠٨ هـ، انظر، ص ٥٥-٥٦.

(٣٩) شعبان، التاريخ الاسلامي، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤٠) خلف يحيى بن الحر، ولأهله وماله وولايته حين تعيين الوالي الرسمي من قبل الخليفة: الوليد بن تليد العبيسي، انظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٣٣.

(٤١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩-٣٣، ٣٥-٣٦ فما بعدها.

(٤٢) المصدر نفسه: ٢/ ٥٦، وانظر: الطبري: ٢/ ١٨٧٢، وقارن: سلمي ابو حبيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، بيروت: دار لسان العرب، دون تاريخ، ص ١٨.

(٤٣) انظر تفصيل هذه الانجازات في مبحث التواحي الحضارية.

(٤٤) الطبري: ٢/ ١٨٩٠-١٨٩١.

(٤٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٦٨.

(٤٦) المصدر والمكان نفسهما.

(٤٧) المصدر نفسه: ٢/ ٧٦، ١٠٧.

(٤٨) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق، محمد باقر المصودي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م: ٢/ ٤٧١، ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي، الفتح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م: ١/ ٥٠٠.

(٤٩) البلاذري، انساب الأشراف: ٢/ ٤٧١، ٤٧٢، ابن اعثم، الفتح: ١/ ٥٠٠.

(٥٠) ابن خياط، تاريخ: ١/ ١٩٧، يعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٣٠-٢٣١، الطبري: ٢/ ١٢٧-١٢٨، ١٤٢، ابو الفضل احمد بن علي الحروف يابن حجر السقلافي، الاصابة في تمييز الصحابة، ط ١٣٢٨ هـ: ٢/ ٥٣٣.

(٥١) انظر: الطبري: ٢/ ١٦٨٥، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/ ٤٤، ويبدوان يوليوس فلهاوزن قد استند الى هذه الرواية حينما ذكر ان زيد بن علي جند أتباعه له في الكوفة والبصرة والموصل، والواقع ان اتباعه كانوا من الكوفة فقط. انظر: تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة، يوسف المش، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٦، ص ٢٧٠.

(٥٢) انظر على سبيل المثال: البلاذري، انساب الأشراف: ٥/ ٢٢٩-٢٣١، الدينوري، الأخبار المطاول، ص ٢٩٢، الطبري: ٢/ ٦٣٥، ابن اعثم، الفتح: ٣/ ٢٨٣-٢٨٤، ٣٠٨، ٣٢٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ١٤٤، ٢٦٥، ٢٧٧.

(٥٣) انظر: ابو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٤-١٩٦٥، ١/ ١٦، ابو عمر احمد بن محمد بن عبيد، العقد الفريد، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢، ٦/ ٢٤٨، مجهول، أخبار الدولة

العباسية- وفيه اخبار العباس وولده، تحقيق، عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطاطي، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١، ص ٢٠٦.

(٥٤) الحسن بن احمد بن يعقوب الحمداي، صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكرع، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩، ص ٢٤٦-٢٤٧، ابو الحسن علي بن الحسين السموذي، مروج الذهب وسمادن الجوهر، تحقيق، محمد يحيى الدين عبدالحمد، ط ٥، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٧، ٣/ ١٠٨.

(٥٥) انظر: علي بن اسماعيل الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق، محمد يحيى الدين عبدالحمد، القاهرة، ١٩٥٠-١٩٥٤، ١/ ١٨٢، السموذي، مروج الذهب: ٣/ ١٠٨، الطبري: ٢/ ٨٨٠، ١٩٠٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٩١، ٥/ ٣٣٥.

(٥٦) عبدالقادر بن طاهر بن محمد البغداد، الفرق بين الفرق، تحقيق، محمد يحيى الدين عبدالحمد، القاهرة: مطبعة المدني، دون تاريخ، ص ٩٠-٩١، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ليزيك، ١٩٢٣، ١/ ١٠٢.

(٥٧) الكامل في الأدب، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، القاهرة، مطبعة النهضة مصر، ١٩٥٦، ٣/ ٢٧٥.

(٥٨) انظر: شعبان، التاريخ الاسلامي، ص ٨٧، ١٠٨.

(٥٩) قارن: فاروق عمر، العباسيون الأوائل، بيروت: دار الارشاد، ١٩٧٠، ١/ ٢٥٠-٢٥١، محمد جاسم حمادي، الجزيرة القرآنية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والاداري، بغداد: دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٧، ص ٤٥٨.

(٦٠) الطبري: ٢/ ٨٨١.

(٦١) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨١ (برواية هشام الكلبي عن أبي مخنف).

(٦٢) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨٤ (برواية أبي مخنف).

(٦٣) البلاذري، انساب الأشراف، نسخة مصورة بالفوننتات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد تحت رقم (١٦٣٤-١٦٤٤) عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (٦٨)، ج ٦، الورقة ٣٩، الطبري: ٢/ ٨٨٥ (برواية أبي مخنف).

(٦٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٤١٨.

(٦٥) الطبري: ٢/ ٨٨٥، ٨٨٧ (برواية أبي مخنف).

(٦٦) المصدر نفسه: ٢/ ٨٨٧.

(٦٧) المصدر نفسه: ٢/ ٨٩٠، ٨٩٣، ٩٣١.

(٦٨) للاطلاع على حركة شبيب وتقاصيل معاركه مع الحجاج بن يوسف، انظر: المصدر نفسه: ٢/ ٨٩٦، ٨٩٩، ٩٠٢، ٩٠٧، ٩١١، ٩٤١، انظر ايضاً: ابو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠، ص ٤١٠.

(٦٩) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، البربر وديوان المبتدأ والخبر،

- طبعة بولاق: ١٢٨٤ هـ، اعادت نشره مؤسسة جلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م: ٣ / ١٥٥. وقارن: السلطان، تاريخ الموصل في المهددين الراشدي والأموي، ص ١٨٢.
- (٧٠) مجمل المؤلف، الميرون والحدائق في اخبار الحقائق، مطبعة بريل، ١٨٦٩. وقد اعادت نشره مكتبة المثلث ببغداد: ٣ / ١١٠.
- (٧١) الطبري: ١٦٢٣ - ١٦٦٦.
- (٧٢) المصدر نفسه: ١٦٢٦ - ١٦٢٧.
- (٧٣) ابن خياط، تاريخ خليفة: ١ / ٣٩٠، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٦٠. وشهرزور كما يصنفها باقوت عبارة عن كورة واسعة في الجبال تمتد بين أربيل ومهزان، ينظر: معجم البلدان: ٣ / ٣٧٥.
- (٧٤) الطبري: ١٨٩٧ - ١٨٩٨.
- (٧٥) المصدر نفسه: ٢ / ١٨٧٠، وانظر: فاروق عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد، بغداد: دار واسط، ١٩٨٥، ص ٤٢.
- (٧٦) الطبري: ٢ / ١٩٠٠.
- (٧٧) المصدر نفسه: ٢ / ١٨٧٣، وانظر: ابن خياط، تاريخ خليفة: ٢ / ٣٩٦.
- (٧٨) الطبري: ٢ / ١٨٩٩.
- (٧٩) المصدر نفسه: ٢ / ١٩١٤.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٢ / ١٩٣٩، وانظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٦٩.
- (٨١) قارن: عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد، ص ٦٩.
- (٨٢) انظر: ابن خياط، تاريخ خليفة: ٢ / ٣٩٨ - ٣٩٩.
- الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٦٩، الطبري: ٢ / ١٩٣٨ - ١٩٣٩.
- (٨٣) المصدر نفسه: ٢ / ١٩٣٩.
- (٨٤) المصدر نفسه: ٢ / ١٩٤٠، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧١.
- (٨٥) باقوت، معجم البلدان: ٤ / ٤٢٨.
- (٨٦) الطبري: ٢ / ١٩٤٣ - ١٩٤٤.
- (٨٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧٤، وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٣٥٣.
- (٨٨) الطبري: ٢ / ١٩٤٥ - ١٩٤٩، وانظر: ابن خياط، تاريخ خليفة: ٢ / ٤٠١، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧٤ - ٧٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٣٥٤ - ٣٥٥.
- (٨٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧٥.
- (٩٠) المصدر نفسه: ٢ / ٧٥، ٧٦.
- (٩١) قارن: عمر، العباسيون الأوائل: ١ / ٢٤٦.
- (٩٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧٣، الطبري: ٢ / ١٩٤٤.
- (٩٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٧٥.
- (٩٤) المصدر نفسه: ٢ / ١٣٣، الطبري: ٣ / ٤٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٤٢٤.
- (٩٥) قارن: فاروق عمر فوزي، بحث في التاريخ العباسي، بيروت: دار القلم للطباعة، ١٩٧٧، ص ١٥٠ - ١٥١، حادي، الجزيرة القرائية والموصل، ص ٣٠٦ - ٣٠٧، ٧٥٤، السلطان، الموصل في المهددين الراشدي والأموي، ص ٢٢٠.
- (٩٦) اليعقوبي، تاريخ: ٢ / ٣٥٧، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ١٥٤ - ١٥٦.

المظاهر الحضارية في الموصل خلال العهد الأموي

١. د. عبد الواحد ذنون طه

المختلفة. وفي هذا البحث إشارة الى أهم المظاهر في العهد الأموي.

الوضع الاقتصادي:

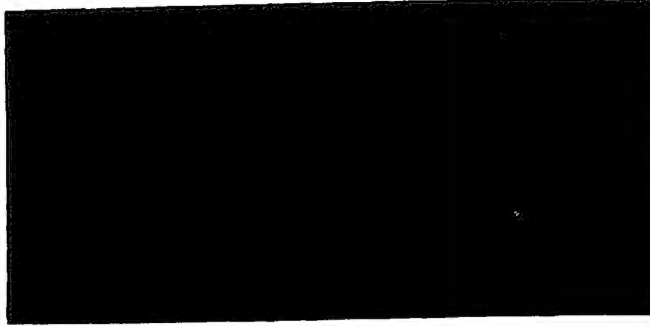
تجابه الباحث في الوضع الاقتصادي للموصل في العصر الأموي مشكلة أساسية، وهي ان معظم

تميزت منطقة الموصل منذ أقدم العصور بخصائص حضارية متطورة، وقد بدأت هذه الخصائص بشكل واضح في العصور الإسلامية، حيث شهدت المدينة ومنطقها أوضاعاً اقتصادية واجتماعية وثقافية متميزة، فضلاً عن تخطيط المدينة، والفنون المعمارية التي تملت بها منشأتها

البعيدة عن مجاري الأنهار^(١). وكانت أهم آلات الري المستخدمة في الموصل هي، الدولاب، والدالية، والناعورة. وقد أقام الأمويون طواحين الجيوب على النهر في الموصل، وكان عددها يبلغ نحو ثمانين عشرة رحى^(٢). وهي ما يُعرف بالعروب. ولم يبقَ من هذه الأرخاء شيئاً زار ابن حوقل الموصل سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م سوى ست أو سبع^(٣).

وكانت الأراضي المحيطة بأغلب مدن الجزيرة الفراتية خصبة صالحة للزراعة، لاسيما المناطق المحيطة بمدينة الموصل بالذات، حيث كانت تضم كوراً كثيرة غزيرة الانتاج. ومن أهم هذه المنتجات، الحنطة والشعير فقد كانت نسبة انتاجها عالية جداً في منطقة الموصل^(٤). كذلك اشتهرت هذه المنطقة بإنتاج الحاصلات الزراعية الاخرى، كالزيتون في باعشيقا، والكروم في ملعتايا وباصفرا شرقي الموصل، وفي قرية السلامة^(٥). وقد زرع

من تحدثوا عن هذا الجانب من المؤرخين والجغرافيين الأولين عاشوا في حقب متأخرة عن العصر الأموي، لاسيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. لهذا فهم في وصفهم للحياة الاقتصادية، والمنتجات الزراعية انما يشيرون بنحو خاص الى عصرهم. فيذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٩م)، على سبيل المثال إن المدينة لم يكن بها شجر كثير ولا بساتين قبل مجيئ الحمدانيين، الذين غرسوا الشجر، والكروم والفواكه^(٦). وقد قدم هذا الجغرافي الرحالة معلومات جيدة جداً عن الموصل والجزيرة الفراتية المحيطة بها في عهده، ومع هذا فإنه يمكن للمرء أن يستشف من خلال ما كتبه ابن حوقل وغيره من الجغرافيين والكتّاب الآخرين بعض الحقائق التي لا يمكن ان تتغير على مر العصور، لاسيما ما تعلق بموقع المدينة، وطبيعة المنطقة المحيطة بها..



الظهر

الوجه

درهم أموي ضرب في الموصل سنة ٨٢٢هـ

التخيل في بعض هذه القرى ايضاً، لاسيما باعشيقا والسلامية، كما غرس في مدينة الموصل ذاتها في العصر الأموي، في ارض اشتراها هشام بن عبد الملك من بني بَرْقِصَةَ الأزدية^(٧). وفضلاً عن هذه المنتجات زرعت في منطقة الموصل فواكه اخرى متنوعة، مثل النارنج، والكشوى،

فن الواضح ان المدينة قد تمتعت منذ القدم بوضع اقتصادي جيد، وذلك لوقوعها في منطقة غنية في انتاجها الزراعي والحيواني، ومواردها الطبيعية. حيث كان لها أقاليم ومدن كثيرة مضافة اليها، تعتمد على نهري دجلة والفرات وفروعها، وعلى مياه الأمطار ايضاً، لاسيما بالنسبة للأماكن

والسفرجل، والرمان، والتوت، والبلوط، والجوز، واللوز، والبندق، وغيرها من الأثمار اليابسة والرطبة، التي أسهب الجغرافيون في ذكرها، وتعداد أماكن انتشارها^(٨).

وقد قامت زراعة بعض المحاصيل من أجل اغراض صناعية، مثل قصب السكر، والسمسم، والقطن الذي يُعد من أقدم وأشهر المزروعات في الموصل، لاسيما في قرى نينوى والمرج وحزة وقردي وعرابان^(٩). كما استخدم زيت الزيتون لصناعة الصابون^(١٠). واشتهر سكان المناطق المحيطة بالموصل الذين ينتمون الى أصل نصراني آرامي بصنع الأنبذة والخمور من الكروم، حيث ظلت هذه الصناعة رائجة في كثير من القرى، ويدل على ذلك انتشار زراعة الكروم على نطاق واسع، وقد جبيت من هذه الأماكن ضرائب «اللطف»، وهي الضرائب المفروضة على الخمور^(١١).

وساعدت طبيعة منطقة الموصل الجغرافية التي تتميز بكثرة السهول والهضاب والبراري والوديان الغزيرة الأمطار، على تربية الأغنام والمواشي للاستفادة من منتجاتها. واشتهرت الموصل بتربية الغنم والبقر، وكانت قبائل ربيعة المنتشرة في نواحيها أهل خيل وغنم وإبل، لاسيما تغلب الذين جمعوا بين الزراعة وتربية المواشي^(١٢). وكانت تربية النحل شائعة أيضاً في منطقة الموصل، حيث كان العسل أحد المواد التي فرضها المسلمون على أهل الجزيرة في اثناء فتحها في عهد الخلفاء الراشدين^(١٣).

وكانت الثروة المعدنية وفيرة أيضاً، حيث يشير ابن حوقل الى اشتهار براري الجزيرة ومفاوزها بالملح والأشنان والقلي^(١٤)، الذي هو نوع من المعدن الصلب يستخدم بعد سحقه لدبغ الجلود. ويتوافر الحديد في جبل الهكارية شرقي الموصل، حيث كان له دور كبير في صناعة الأسلحة وفي العمران^(١٥). وكان القبر يستخرج من عين القيارة، الى الجنوب

من الموصل^(١٦). كما اشتهرت ترحلة من أعمال الموصل بوجود عين ماء كبريتية^(١٧). فضلاً عن عيون أخرى ظهرت الى الشمال من مدينة الموصل بالقرب من دير الأعلى^(١٨).

وتوافر في منطقة الجزيرة الفراتية المحيطة بالموصل معادن كثيرة جداً، منها ماهو ذو خاصية مغناطيسية^(١٩)، ومنها صخور ثمينة تستخدم لصنع الأحراء، وقد قدّر ابن حوقل قيمة القطعة الواحدة منها بخمسين ديناراً^(٢٠). ومن المعادن المهمة الأخرى، جوهر الزجاج، أو حجر الزجاج في جبل ماردين الذي كان يصدر الى مدن الجزيرة، والعراق، والدولة البيزنطية^(٢١).

وساعد موقع الموصل الجغرافي الذي يصل بين أقاليم مختلفة من العالم القديم على ازدهار التجارة فيها منذ العصور السالفة، واستمر هذا الوضع الى العصر الأموي، والعصور التالية أيضاً. فقد وصفها ياقوت بأنها باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد الى أذربيجان^(٢٢). وكانت الجزيرة والموصل تشكل مع العراق جسراً يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوب آسيا، وجنوب أوروبا، وذلك بحكم موقعها المتوسط، بين الخليج العربي والبحر المتوسط^(٢٣). وقد هيا لها هذا الموقع الاستفادة من طرق المواصلات العالمية، ومرور القوافل التجارية بها، وبتنتج عن ذلك تحقيق ارباح الخدمات والمرور، بالاضافة الى اسهام المدينة ذاتها في هذه التجارة العالمية بتصدير المواد الفائضة عن حاجتها.

وكان لثروة الجزيرة الفراتية بعامه من حيث الزراعة والمعادن والمنتجات الصناعية اثر بارز على تطور التجارة في مدنها وأقاليمها المختلفة، ومنها مدينة الموصل التي كانت ترتبط بطرق تجارية فرعية مع هذه الأقاليم، فضلاً عن الطريق الرئيس المعروف للتجارة منذ القدم. كما هيا وجود نهر دجلة طرقاتاً

اضافية لاستعمالها في النقل المائي للربط بين الموصل ومدن الجزيرة ، والمدن العراقية الاخرى ، مما شجع على تنوع النشاط التجاري فيها ^(٢٤) . فكانت تجارة أرمينية وأذربيجان وأمد ، وارزن ، والثغور الجزيرة ، ونصيبين ، والجزيرة ، تمر كلها من الموصل عبر نهر دجلة الى بلد ، ومنها الى وسط العراق حيث موقع بغداد قبل انشائها . وقد أحيط الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بهذه الحقيقة ، مما شجعه على اختيار موقع مدينة بغداد لاتخاذها عاصمة للدولة العباسية سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ^(٢٥) .

وكانت أهم السلع التي تصدرها الموصل ، تشمل الستور ، وبعض الصناعات الجلدية ، والياب الحريرية ، والملح ، وأحجار الطواحين السوداء ^(٢٦) . كما كانت الموصل تقوم بمهمة تصدير كثير من المواد التي تنتج في الجزيرة ، مثل الحبوب ، والعسل ، والقمح ، والشحوم ، والجبن ، والمن ، والساق ، وحب الرمان ، والقيز ، والحديد ، والأسطال ، والسكاكين ، والنشاب ، والأسماك المجففة ، والسلاسل ^(٢٧) . ويتبين من هذا ان الموصل كانت مركزاً تجارياً كبيراً على نطاق التجارة الخارجية والداخلية ايضاً . فتشير المصادر الى عدد كبير من الأسواق المحلية في هذه المدينة ، التي ستحدث عنها في اثناء الكلام عن خطط المدينة ، وهي أسواق عامرة بالحركة والبيع والشراء ، مما يدل على ازدهار اقتصادها ، وازدياد كثافة سكانها التي استدعت وجود مثل هذه الأسواق الكثيرة ^(٢٨) .

وقد حصل في العصر الأموي تطور مهم بالنسبة للواردات التي تؤخذ من أهل الجزيرة بخاصة ، ومن ضمنها الموصل . فقد سار الأمويون أول الأمر على نفس الأسس التي كانت معروفة في العصر الراشدي ، من حيث فرض مقادير الجزيرة والخراج ^(٢٩) . ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان باشر عملية اصلاح جذري في الضرائب التي

تأخذها الدولة . فأرسل الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري ، الذي أحصى أهل الذمة في الموصل والجزيرة ، واعتبرهم جميعاً عمالاً يعملون بأيديهم ، ثم قام بتخمين صافي مجموع واردات العامل منهم ، بعد طرح النفقات ، فوجد أن الصافي يكون نحو أربعة دنانير ، فألزمهم بهذا المبلغ ، وجعلهم طبقة واحدة ^(٣٠) . أما بالنسبة الى الخراج فقد أدخل عبد الملك في الاعتبار قرب الانتاج الزراعي ، أو بعده عن الأسواق « فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألف أصل كرم مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألفي أصل مما بعد ديناراً ، وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً ، وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً ، وكانت غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك ، وما دون اليوم فهو في القرب ، وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك » ^(٣١) . وقد أرجع الخليفة عمر بن عبدالعزيز الجزية الى ما كانت عليه سابقاً في عهد الراشدين ، فكتب الى عامله على الموصل يحيى بن يحيى الغساني بذلك ، وأن يأخذ من الغني ثمانية وأربعين درهماً ، ومن الوسط أربعة وعشرين ، ومن الفقير اثني عشر درهماً في السنة ^(٣٢) .

ولا تتوافر لدينا قوائم عن مقدار واردات الموصل وأعمالها خلال العصر الأموي ، ولكن ما يذكره الجغرافيون والمؤرخون العرب عن مقادير الخراج وواردات الموصل وأعمالها في عهود لاحقة ^(٣٣) يبين مدى ازدهار الوضع الاقتصادي فيها ، وما كانت تشكله عائداتها من مورد مهم للاتفاق العام . وكانت هذه الواردات ، فضلاً عن الضرائب الأخرى التي تفرض على التجارة ، والمعادن ، والزكاة المفروضة على المسلمين ، والصدقات ، تصرف في أوجه مختلفة في المنطقة ، كأرزاق العمال ، ورواتب الموظفين ، والمنافع العامة ، وما

يتبقى يرسل الى بيت المال في دمشق .

وقد قام الولاة الأمويون في الموصل بمشاريع عامة كبيرة أنفقوا عليها من هذه الواردات . فعلى سبيل المثال ، قام الحر بن يوسف الذي تولى الموصل (١٠٨-١١٣ هـ / ٧٢٦-٧٣١ م) بحفر نهر من مجرى دجلة الرئيس ، الذي كان بعيداً عن الموصل بالقرب من سور نينوى ، وأوصله الى تحت المدينة ، اي المنطقة التي تشرف عليها القليعات الحالية . وقد سُمي هذا النهر بنهر الحر ، أو بالنهر المكشوف . كما عُرف في العصر العباسي بنهر زبيدة ، نسبة الى زبيدة بنت جعفر بن الي جعفر المنصور التي ولدت في الموصل . وكان الحر يفتق على حفرة من الأموال التي يجيئها دون أن يحمل الى الخليفة هشام بن عبد الملك شيئاً^(٣٤) . وقد أوقفت أرباح المطاحن التي أنشئت على هذا النهر لاستعمالها في كربه وإدامته ، وذلك بناء على أمر الخليفة هشام^(٣٥) . وتشير مقادير الكميات التي كانت تقوم هذه الأرحاء بطحنها في اليوم واللييلة الواحدة ، وهي خمسون وُقراً ، اي حمل بقل أو حجار ، لكل حجرين^(٣٦) ، الى مدى ازدهار هذا الوضع الاقتصادي في العصر الأموي ، ووفرة الغلات الزراعية المستخدمة ، وكثافة سكان المدينة ، الذين ربما بلغ عددهم الى ما يقارب (٩٠) ألفاً أو أكثر ، على فرض تقدير الوقر بنحو (١٠٠) كيلوغرام . فيكون مجموع ما يُطحن في كل رحي هو (٥٠٠٠) كيلوغرام ، فإذا ماضرب هذا الرقم بـ (١٨) ، وهو مجموع الأرحاء الموجودة على النهر ، فتكون النتيجة هي (٩٠) ألف كيلوغرام ، اي بمعدل كيلوغرام واحد من الطحين لكل فرد يومياً .

الوضع الاجتماعي :

كان سكان منطقة الموصل والجزيرة خليطاً من العرب الذين سكنوها قبل التحرير ، ومن جماعات

بشرية اخرى غير عربية ، وغير مسلمة . ويمكن تحديد عناصر السكان بشكل عام ، بالعرب ، والآراميين .

كوكّن العرب غالب سكان الموصل منذ أقدم العصور ، فكانوا مزيجاً من القبائل العدنانية والقحطانية التي جاءت على شكل هجرات متتالية ، وشكلت أساس البنية الاجتماعية في هذه المدينة . وقد سكنت القبائل العربية في الموصل ومنطقة الجزيرة في أماكن سميت على أسمائها ، مثل ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر ، وكانت الموصل تعد من اجمل مدن ديار ربيعة^(٣٧) .

وكانت القبائل العربية الاولى التي ساهمت في تحرير المدينة تتألف من مجموعات من تغلب ، وأباد ، والقر بن قاسط ، حيث دخلت الموصل مع القائد رباعي بن الأفكل العتزي^(٣٨) . ثم استقرت فيها بعض القبائل الاخرى لاسيما الخزرج الذين عمروا لهم مسجداً في الموصل ، يُعرف بجامع الخزرج ، وذلك سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م . ثم تلاهم الأزد الذين سكنوا بالقرب من الجامع الأموي ، وتُجم الذين أثرت لهجتهم على أهل الموصل ، ثم جاءت بطون اخرى جديدة من تغلب فسكنت بالقرب مما يُعرف الآن بباب الجديد ، في محلة التغالبة^(٣٩) .

وبعد توطد الدولة العربية الاسلامية في عهد الراشدين انتقل الى الموصل والجزيرة ، لاسيما في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، اقوام من الأزد ، وطئي ، وكندة ، وعبد القيس . وقد بلغ عدد هؤلاء نحو أربعة آلاف رجل^(٤٠) . ولدينا معلومات وافرة عن الأزد ، الذين ستحدث عنهم بالتفصيل ، أما الذين أسكنهم الخليفة عثمان بالموصل من طئي ، فهم جماعات ينتمون الى بني أحمد بن الحارث بن ثمامة بن مالك بن جعداء^(٤١) . ويشير ابن قتيبة^(٤٢) الى أصل بني عبد القيس الذين نزلوا الموصل ، فهم ينتمون الى اللبوة بن عبد القيس .

ثم ازدادت هجرة القبائل العربية الى الموصل في العهد الأموي ، لاسيما في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان ، حيث يروي اليقوتي^(٤٣) ، أنه ولي أخاه محمداً الموصل ، فنقل اليها الأزد وريبعة من البصرة . وفي ولاية مروان بن محمد ، استقر بها وما حولها مجموعات اخرى من الأزد ، وشيبان ، وسلول ، والخزرج ، وبني أمية وغيرهم^(٤٤) .

وقد زودنا أبو زكريا الأزدي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) بمعلومات قيمة عن بعض عشائر الأزد التي استقرت بالموصل ، لاسيما اولئك الذين ينتمون الى بني سليمة بن مالك بن فهم . ويشير الى جابر ابن جبلة الذي هو أول من نزل الموصل من سليمة ، وله في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرفان بإسمه ، ثم أصبح المسجد يعرف فيها بعد بمسجد المعافي بن عمران ، وجابر جده ، وهو جد بني عمران جميعاً في الموصل^(٤٥) . وكان جابر بن جبلة قد اشترك مع أبي حمزة الخارجي ، المختار ابن عوف الأزدي ، تأييداً لحركة طالب الحق الخارجية في اليمن ، ورجع بعد فشل الحركة الى البصرة ، ومنها عاد الى الموصل ، حيث التحق بقبيلته الأزد سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م . وبعد بنو عمران بن نفيل بن جابر ، وبنو رزين بن جابر الموصلين من ولد جابر بن جبلة^(٤٦) .

وسكن نفيل بن جابر بالموصل في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بمربعة ابن عطاء ودرب دراج ، وله هناك زقاق يُعرف بنفيل ، ومسجد سليمان الحضرمي . وأصبح لأعقاب هؤلاء شأن كبير في العصر العباسي الأول ، لاسيما المعافي ابن عمران بن نفيل ، وكذلك ابنه المعروف بعد الكبير بن المعافي ، وقد اشتهرا برواية الحديث^(٤٧) . ومن سليمة أيضاً أبو الأشهل الحكم بن عطاء السليمي ، الذي كان مصاحباً لجابر بن جبلة ، واضطلع فيما بعد بدور كبير في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، حيث أرسله مع ألف فارس الى

افريقية مدداً لعاملها يزيد بن حاتم ابن قبيصة^(٤٨) . وينتمي الى هذه العشيرة ايضاً جماع ابن احمد بن أسلم بن زيد السليمي ، وهو صاحب سكة جماع بالموصل . وقد قدم مع جابر ابن جبلة ، وبنو أبي السرداح الذين في سكة جماع من مواليه^(٤٩) .

وسكن بنو الحشاش ايضاً في الموصل ، وهو من أولاد عبد بن سليمة ، وقد أقاموا في السكة الكبيرة في منازل هذه العشيرة ، وظلت منهم بقية الى زمن الأزدي ، اي أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٥٠) . ومن قدم الموصل من اخوة سليمة ، معن بن مالك ، ومنازهم بالموصل في باب سنجار ، والمسجد الذي فيه مسجدهم ، وكان باب سنجار في ايديهم وأيدي بني سليمة . واختار معن طويلة ومناقبهم كثيرة ورجالهم مشهورون ، منهم مسعود بن عمرو ، ولهم ببني الثرثار خطط وضياح^(٥١) .

ومنهم بنو الرواد ، الذين كانوا بالموصل ، ثم انتقلوا الى اذربيجان ، فغلبوا على بعض نواحيها ، ومن اخوتهم ايضاً ممن قدم الموصل ، فراهيد بن مالك بن فهم . وكان منهم فيها جماعة ، منهم بيان ابن خالد ، ومنزلة في محلة بني عمران ، ودار بيان كانت الدار المعروفة بمحمد بن الفضل بن زيد ابن عمران . ومن ولد فراهيد ، الخليل بن أحمد صاحب العروض (ت ١٦٠ أو ١٧٠ هـ / ٧٧٦ - ٧٨٦ م) ، وقد كان هؤلاء بالأصل في عُمان ، ثم هاجروا الى الموصل^(٥٢) . ومن بني سليمة ايضاً ، بني عمرو بن مالك ، وكان بالموصل منهم جماعة ، ومنازهم في قطيعة دور الطمشانيين ، ولهم موالي^(٥٣) .

ومن الأزد الذين سكنوا الموصل ايضاً بنو بُرَيْقَة ، وكان لهم بستان كبير في الموصل ، اشتراها منهم الخليفة هشام بن عبد الملك^(٥٤) . وكذلك بنو المختار ، وهم اخوة عثمان بن عبد الأعلى

ابن سراقه الأُردي^(٥٥). وبنو رُوَيْم الشرفاء ، الذين ربما انتقلوا الى الموصل زمن الخليفة عبد الملك ابن مروان^(٥٦). ومن رجال الأُرْد المشهورين في الموصل أيضاً: العراهم بن المختار بن جابر الأُردي ، وكان شريفاً^(٥٧) ، وأبو الصقر نجدة بن الحكم ، صاحب سكة صقر بالموصل^(٥٨).

أما الأُرْد الذين سكنوا في أطراف الموصل فأهمهم بنو ثوبان من أولاد مالك بن فهم ، وأولاد عدي بن عمرو بن مالك. وقد استقروا في باسطة ، فكانوا أهلها ، وقد قدم منهم ثوبان بن الحارث من البصرة ، ونزل في الثَّرَّار ، وسَفْطَا ، ويَحْوَاثَا ، والعَرُوبَة ، من إقليم الدِّيَّور من نواحي الجزيرة التابع للموصل ، ونزل معه مالك بن الحارث^(٥٩). وسكن بنو العَقَّا بن الحارث بن مالك ، وهم أصحاب باعقا ، وهي قرية على شط الزاب قرب باسحق. واختتمهم الأشاقر ، ومنهم كعب الأشقر الشاعر ، ويذكر أنه قدم الموصل مع المهلب بن أبي صُفْرَة^(٦٠). وكانت منازل بني مالك بن همدان بياقَخاري ، وهي قرية من أعمال نينوى على دجلة شرقي الموصل ، وقد استقروا فيها بعد أن جاءوا من الكوفة^(٦١) ، ومنهم حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك ، الذي خرج على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م. وقد سكن في هذه القرية أيضاً بعض بني حمير ، ومنهم حفص ابن أشيم ، وهو من فقهاء الخوارج^(٦٢).

ومن الذين قدموا الى الموصل أيضاً أولاد الحِجَام ابن عبد بن زيد بن سامة ، وهم ينتمون الى مالك ابن فهم ، وكانت منازلهم في عُمان ، ومنها انتقلوا الى البصرة والموصل. ولبنو حِجَام بالموصل ضيعة تُعرف بالحَمِيمة - ويضاف اليها دير طَيِّمُونَة بالقرب من باسحق. ولم يبق لهؤلاء بقية في الموصل في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، سوى شاعر واحد يقال له الأشكل الحِجَامي^(٦٣). وأخيراً هناك

إشارة الى سكنى جماعات من عشائر عترة في حَرَّة ، شرقي الموصل بالقرب من أربيل^(٦٤).

وقد أشار الأُردي الى أسماء بعض الشخصيات في الموصل ، مما يدل على إقامة عشائريهم فيها في العصر الأموي ، ومن هؤلاء :

١- القَطِرَان بن أُمِّمَة من بني شيبان ، الذي عينه الخليفة مروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م أميراً على الموصل. ولهذا الرجل «خطة ومسجد في ريف الأعلى يعرف بمسجد أُمِّمَة القَطِرَان». وكان «في عدة من أهل بيته وقومه»^(٦٥). وكان من بني شيبان أيضاً في الموصل بنو سعد بن لؤي ، الذين أثبتهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في قرش^(٦٦). وقد نهض بنو شيبان بدور كبير في الموصل وما حوله ، حيث كان معظم قادة الحركات «الخارجية» منهم^(٦٧).

٢- هشام بن عمرو الزُهَيْرِي ، الذي أخوه معاوية بن عمرو صاحب قصر معاوية بن عمرو الزُهَيْرِي. وقد استخلفه مروان بن محمد على الموصل سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م^(٦٨).

٣- شريح بن شريح بن عمر بن سلمة الخولاني ، وهو صاحب قناطر شريح بالموصل ، وكان من وجوه المدينة وأحد شرفائها^(٦٩).

٤- الزبير بن أباس الدُّهْلِي ، وهو من وجوه أهل الموصل أيضاً^(٧٠).

٥- علي بن نُعَيْم الحميري ، جد بني سمعويه ، وكان شريفاً^(٧١).

٦- المعمر بن أيوب الهمداني ، جد بني حية^(٧٢). وقد سكن الهمدانيون خارج الموصل أولاً ، ثم انتقلوا اليها عندما كثُر العمران فيها^(٧٣) ، ومن رجالهم أيضاً ،

- الحسن بن صالح بن عبادة المهداني^(٧٤) .
- ٧- طرخان بن يزيد الرحبي ، وكان مقدماً^(٧٥) .
- ٨- خاقان بن يزيد الرحبي ، مولى لهم ، وهو جد بني قود الصحصحين ، وصاحب سكة خاقان التي بين مسجد موسى بن مصعب وبين مسجد بسام الذي يصلي فيه بنو الوضاح العبديون^(٧٦) . وربما كان هؤلاء الصحصحيون هم الذين ينتمون الى بني عمرو بن سعيد بن زيد مناة بن قحيم ، وقد أشار بن دريد الى وجودهم في الجزيرة^(٧٧) .
- ٩- الصباح بن الحصين المزني ، وكان « من رجال اهل الموصل وقطيعته دار عباس القطان وبستانه^(٧٨) » .
- ١٠- عبيد الله بن الحبابة ، مولى بني سلول ، وهو جد الحبابة الذين بالموصل ، أوجد بعضهم ، وقد ولاءه الخليفة هشام ابن عبد الملك على مصر سنة ١٠٨هـ / ٧٧٦م^(٧٩) .
- ١١- صالح بن مؤدود من بني كلب ، وكان من فرسان اهل الموصل المعدودين ، قتل سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م^(٨٠) .
- ١٢- مصعب بن الربيع الخثعمي ، وكان كاتباً لمروان بن محمد^(٨١) .
- ويبدو أن عدد العرب كان كبيراً في الموصل ، لاسيما في أواخر العصر الأموي ، ففي أحداث سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م ، حينما تعرض اهل المدينة الى محنة شديدة في بداية العصر العباسي ، يشير الأزدي الى مقتل نحو « أحد عشر ألفاً ممن له خاتم ومن لاخاتم له خلق كثير^(٨٢) » . وفي رواية أخرى ان « الزنج » من قوات يحيى بن محمد ، والي الموصل العباسي ، جمعوا له بعد موقعة قتل اهل الموصل ثلاثين ألف خاتم^(٨٣) . وربما كان المقصود بأصحاب الخواتم ، هم العرب من غير الموالي ، أو ذوي المنزلة الاجتماعية الرفيعة والوجهاء . ويحتمل ان

أرقام الأزدي مبالغ فيها ، ولكن عدد العرب كان كبيراً بالتأكيد في الموصل ، وان غالبية سكانها كانت منهم ، واستمر ذلك في العهود اللاحقة ايضاً^(٨٤) .

أما الأكراد فقد كونوا عنصراً مهماً من عناصر سكان الجزيرة ، حيث استقروا في بعض أقاليمها منذ عصور سحيقة . وعندما حررت هذه المناطق اعتنقوا الاسلام ، بشكل تدريجي ، واندجوا في المجتمع الاسلامي الذي ضم الكثير من الأجnas والأقوام . وقد عاش بعض الأكراد كالهذبانية ، والحميدية ، واللارية ، في منطقة الموصل وما حولها ، واستمروا في التواجد حتى القرن اللاحقة حيث أشار اليهم ابن حوقل^(٨٥) ، وذكر احياءهم في المدينة ، ومراعيهم في خارجها . كما ذكر ايضاً أنهم كانوا يترلون في نواحي كفر عزمي ، في أرض حرّة من اعمال الموصل .

وكان الآراميون ، الذين يُعدون من العرب القدماء الذين سكنوا في اقليم الجزيرة ، يكونون قاعدة للسكان النصاري في المدن ، لاسيما الموصل . وتدل الأسماء الآرامية للقرى والمواقع المحيطة بالمدينة ، على مدى انتشارهم . ومن اهم هذه المواضع : بارطلي ، وباهذرا ، وباقوقا ، وباقوقا ، وباهذرا . وكانت هذه الأماكن موطناً لهم قبل الإسلام ، واستمروا في التواجد فيها بعد التحرير ، حيث وجد الفاتحون العرب عدداً كبيراً منهم في هذه القرى ، الى جانب آخرين في الموصل ، واقلية من اليهود^(٨٦) . وما زالت معظم هذه القرى والأماكن المحيطة بالموصل تحتفظ بعدد كبير من هؤلاء السكان .

الوضع الثقافي :

كانت منطقة الموصل قبل تحرير العرب لها تتمتع بوضعية ثقافية وعلمية جيدة ، لاسيما بعد انتشار

المسيحية . فقد كانت هناك حركة علمية في الموصل وبقية المدن والقرى الكبيرة التي كانت تضم إمارة حدياب التي امتدت بين الزابين من نصيبين الى الشرجاء . ويرى سليمان الصانع^(٨٥) ، ان المنطقة كانت تتمتع بوجود بعض المدارس التي تعتمد على اوقاف خاصة بها ، ولها قوانين ونظم لادارتها ، كما كان يُشرف عليها بعض العلماء البارزين . ومن المحتمل ان هذه المدارس كانت ملحقة ببعض الاديرة والكنائس الموجودة في المنطقة وتعمل ضمن النشاط الديني العام لها ، فضلاً عن الاهتمام ببعض الآداب اليونانية وغيرها من العلوم^(٨٦) . ولا يمكن تحديد مدى شمول تأثير هذه المدارس التي ربما كانت تعبر عن حالات خاصة ببعض الأديرة والكنائس . ولكن على أي حال ، يمكن القول ان الأرضية الثقافية في الموصل كانت خصبة وهياة لتلقي المزيد من العلوم التي سرعان ما انتشرت بعد التحرير واستقرار العرب في المنطقة .

وكانت العلوم الدينية هي السائدة في الفترة الاسلامية المبكرة ، وهي تُدرّس في المساجد . ولا يختلف حال الموصل في هذا الأمر عن بقية المدن الاسلامية الاخرى ، مثل المدينة المنورة ، والبصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، وغيرها . حيث كان الشيخ يجلس في المسجد وحوله الطلبة الآخذون عنه على شكل حلقة تكبر أو تصغر حسب قدر الشيخ . وقد يكون في المسجد حلقات عدة ، تجتمع كل حلقة على شيخ معين . وتتوافر معلومات كثيرة عن هذه المجالس والحلقات بالنسبة للمراكز والأماكن الرئيسة في الدولة العربية الاسلامية ، مثل مجلس عبدالله ابن عباس في فناء الكعبة ، ومجلس جعفر الصادق في المدينة المنورة ، ومجلس الحسن البصري في البصرة^(٨٧) .

أما بالنسبة للموصل فليس لدينا معلومات محددة ، ولكن هناك اشارات الى وجود بعض العلماء المحدثين الذين عرف عنهم رواية الحديث وقرائه ،

ولهذا فمن المؤكد ان هؤلاء قد مارسوا نفس الدور في نقل العلوم الدينية ، لاسيما علم الحديث ، ضمن حلقات المساجد ، الى من يرغب من تلامذتهم . ومن هؤلاء سعيد بن عبد الملك بن مروان ، احد ولاة الموصل الذي كان يعد من المحدثين ، ويُعرف بسعيد الخير ، لصلاحه وجه للخير والعمران^(٨٨) . ومنهم ايضاً معروف بن أبي معروف ، الذي كان زاهداً ، عابداً ، ادرك كثيراً من الصحابة وروى عنهم . فقد روى عن عائشة ، وعبدالله بن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن البصري ، والمغيرة بن زياد الموصلي ، ومغيرة بن مقسم الضبي ، وليث ابن أبي سليم ، والحارث بن الجارود . وقد قتل هذا المحدث سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م في اثناء الفتنة التي اعتقت تسلم العباسيين للسلطة في الموصل على يد العامل العباسي يحيى بن محمد^(٨٩) .

ويشير الأزدي الى محدثين آخرين برزوا في الموصل في العصر الأموي ، منهم الحارث بن الجارود العُكلي ، الذي كان منزله ملاصقاً لباب المسجد الجامع تحت المنارة ، مما يسهل عليه نشر علمه وفقهه في هذا المسجد . فقد كان راوية للحديث متفقهاً في الدين ، حيث روى عن الزهري ، وقتادة ، وعطاء ، وغيرهم ، كما روى عنه المعافي بن عمران وعمر بن ايوب الموصليان ، وابو عوانة وغيرهم . وبعد انتهاء العصر الأموي ، تولى القضاء لأبي جعفر المنصور ، وتوفي سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م^(٩٠) .

ومن المحدثين الآخرين معمر بن محمد التميمي ، وهو مولى لثيم قريش ، ويقال لآل أبي بكر ، وله رواية للحديث ، وروى عنه المعافي بن عمران وغيره من المواصلة . وأصبح فيما بعد قاضياً للموصل في عهد أبي جعفر المنصور ، وتوفي سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م^(٩١) . وكان حفص بن أشيم محدثاً موصلياً ايضاً ، وهو يُعد من فقهاء الخوارج من اهل الاجتهاد ، أصله من قرية بفتحخارى ، التي

يقال له سلمة ، تميز بالفصاحة وقول الشعر ، وقد فارق اباه وخرج الى البدو بنواحي الثعلبية ، من منازل طريق مكة من الكوفة^(٩٨) ، وقتل على يد الضحاك بن قيس بن حصين الخارجي^(٩٩) .

ولكثرة القبائل العربية التي سكنت في الموصل ، فقد تنوعت اللهجات التي سادت فيها ، ولكن يبدو ان لهجة بني تميم قد أثرت أكثر من غيرها في اهل الموصل ، فغلبت عليهم . ومن الامور التي دخلت من لهجة تميم كسرهم اول الفعل المضارع ، فيقولون عوضاً عن نَعْمَل ونَجْعَل مثلاً ، نَعْمَل ، ونَجْعَل ، وهملون ايضاً اعلال اسم المفعول المشتق من الأجوف ، فيقولون عوضاً عن مبيع ، ومعيب : مبيع ومعيب^(١٠٠) . ويبدو انهم قد برزوا في اللغة واسلوب الكتابة ، حيث استكتب مروان ابن محمد أحدهم ، وهو مصعب بن الربيع الخثعمي ، الذي يُعرف بأبي موسى بن مصعب الموصل ، الذي يشير الأزدي الى أنه كان كاتباً لمروان^(١٠١) .

ولم تتوافر في هذا العصر المدارس الاسلامية الخاصة بالتعليم ، بل استمر المسلمون في اتخاذ المساجد أماكن لهذا الغرض ، كما أشرنا الى ذلك آنفاً ، وقد ذكر السيد أمير علي^(١٠٢) ، أن الحر بن يوسف ، عامل هشام بن عبد الملك على الموصل ، بنى بعض المنشآت الثقافية فيها ، ولكنه لم يشر الى مصادره . والثابت ان الحر بن يوسف بنى داراً في الموصل لسكانه سميت بالمنقوشة ، لأنها كانت منقوشة بالساج والزخام والقصوص الملونة^(١٠٣) ، ولم يذكر الأزدي ، وغيره من المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن الموصل في هذا العصر عن بناء الحرا لاية مدرسة ، كذلك لم يقيم الأمويون بإنشاء مدارس في الموصل ، أو في غيرها من البلدان الأخرى .

أما بالنسبة لغير المسلمين فقد كانت لهم معابدهم ومدارسهم الخاصة بهم ، وقد أشرنا الى

تقع على دجلة بالقرب من الموصل . وكما يتولى العقود للخوارج اذا خرجوا اليه . ويتناسب هذا الرجل الى حمير ، ويقال بأنه صنف الكتب في الفقه^(٩٢) . وكان ابراهيم بن موسى الزيات ايضاً من محدثي اهل الموصل ، وقد وردت الاشارة الى وجوده سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م في اثناء حادثة قتل اهل الموصل من قبل الوالي يحيى بن محمد^(٩٣) .

وقد برز في هذا العصر ايضاً بعض الشعراء في الموصل ، منهم : الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصل ، الذي قال قصيدة يرثي فيها من قتل من وجوه اهل الموصل سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م ، وقد احتفظ لنا الأزدي ببيتين من هذه القصيدة يشير فيها الصقر الى العُراهم بن المختار بن جابر الأزدي ، وشريح بن شريح بن عمرو بن سلمة الخولاني ، اللذين كانا من شرفاء اهل الموصل :

كان العُراهم زَيْنُ أزد كلهم
وَحَارَها في كل يوم طِعمان
وَشُرَيْح كان جبالنا وَقَوَامَنَا
ما تنقضِ أمراً دُونما قحطان^(٩٤)

وكان هذا الشاعر فارساً شجاعاً ، أصبح على روابط الموصل في عهد ابي جعفر المنصور العباسي ، وهي القوة التي ترابط للدفاع عن المدينة وما حولها من المساكن والقضاء^(٩٥) . ومن الشعراء الآخرين ايضاً ، الشاعر كعب الأشقر ، وهو من الأشاقر الذين قداموا الموصل مع المهلب بن أبي صفرة الذي تولى الموصل لابن الزبير سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م^(٩٦) . وكذلك الشاعر ثعلبة أو (أبو ثعلبة) ابن أيوب بن خولي بن بيهم ، وهو من الخوارج ، وله شعر قاله بعد انتصار الخوارج على احد جيوش الأمويين سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م ، يرثي فيه بعض من قتل من جماعته في المعركة^(٩٧) . وكان للحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي ، احد ولاة الموصل (١٠٨ - ١١٣ هـ / ٧٢٦ - ٧٣١ م) ابن

وجود بعضها قبل الاسلام. وقد استمرت هذه المؤسسات في رفد النشاط الثقافي للمنطقة، والعمل على نشر علومها ومعارفها بين ابناء الطوائف الذين ينتمون اليها. واستفادت من روح التسامح التي تميز بها الدين الاسلامي، مما خلق حالة من التنوع والشمول في الثقافة والحضارة التي عمت المنطقة كلها. وتعد الأديرة والكنائس اهم هذه المراكز الثقافية. وسنشير لاحقاً الى بعض هذه الأديرة في اثناء الحديث عن خطط المدينة.

خطط المدينة :

يتضمن المحور الأساس لخطط الموصل في العصر الأموي اموراً مهمة ، كان المسلمون يراعونها في تخطيط معظم المدن التي يقومون بإنشائها. وهي المسجد الجامع ، ودار الامارة ، ثم الأسواق التي هي بمثابة المركز الاقتصادي للمدينة ، والمحلات التي تسكن فيها القبائل العربية على اساس انتمائها القبلي، ثم السكك والدروب ، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأماكن في الموصل في العصر الأموي :

أ- المساجد :

المسجد الجامع :

أسس هذا المسجد هرتمة بن عرفة الباري ، الذي عينه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الموصل بعد عتبة بن فرقد السلمي^(١٠٤). وقد وسعه وأعاد بناءه في العصر الأموي ، مروان بن محمد ، فسمي منذ ذلك الوقت بالجامع الأموي^(١٠٥). وكان هذا المسجد ملاصقاً لدار الإمارة ، وحوله الأسواق ، التي ربما أنشئت لتكون اوقافاً له. وقد هدم الخليفة العباسي المهدي هذه الأسواق سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م ، وأضاف مساحتها الى المسجد^(١٠٦). وكان بناء المسجد الجامع على نشز من الأرض ، وبينه وبين النهر مسافة قريبة ، حددها المقدسي برمية سهم^(١٠٧). وكان له أربعة

لوحة رخامي عثر عليه في موقع الجامع الأموي في الموصل ، زخرفته وأسلوب تنفيذه ترجع نسبته الى العصر الأموي (تصوير وتعليق يوسف ذنون)

ابواب ، الأول شمالي ، ويؤدي الى سوق البزازين ، والثاني جنوبي ، ويسمى بباب جابر ، ويؤدي الى سوق السراجين ، والثالث شرقي ، ويؤدي الى جهة السهر ، والرابع غربي ، ويقع تحت منارة المسجد^(١٠٨). وقد مرّ الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بهذا الجامع ، ووصفه وأشار الى أنه قديم من عهد بني أمية^(١٠٩). ويُعرف في وقتنا الحاضر ايضاً بالجامع الأموي ، وبجامع المصني ، وجامع الكوازين ، لوقوعه في محلة الكوازين^(١١٠). وكانت هناك مساجد صغيرة خاصة بالمحلات التي سكنت فيها مختلف القبائل العربية ، ومن أهمها :

١- مسجد خزرج :

بنت هذا المسجد قبائل الخزرج التي جاءت الى الموصل في فترة مبكرة ، وذلك في حدود

سنة ٢٠هـ / ٦٤١م ، في حلة الخرج ، التي لا تزال تعرف بهذا الاسم^(١١١) .

٢- مسجد ابن أكمه القطران :

نسبة الى والي الموصل القطران بن اكمه الشيباني ، الذي عينه مروان بن محمد على الموصل سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م . وكان خاصاً ببني شيبان ، ويقع في شمال الموصل في الرض الأعلى^(١١٢) .

٣- مسجد سعيد بن عبد الملك :

بناه سعيد بن عبد الملك بن مروان حينما كان والياً على الموصل في عهد والده . وقد عرف هذا الرجل بحبه لأعمال البر والعمران ، فبنى للمدينة سوراً ، وسوقاً عرف بسوق سعيد ، وكان موقع المسجد في هذا السوق . ثم عُرف هذا المسجد بإسم مسجد عبيدة ، نسبة الى مؤذنه «عبيدة»^(١١٣) .

٤- مسجد جابر بن جيلة :

ويقع في السكة الكبيرة ، بناه هذا الرجل الذي ينتمي الى بني سليمة من الأزد ، وهو جد بني عمران ، ثم أصبح اسم المسجد يُعرف فيما بعد بمسجد المعافي بن عمران^(١١٤) .

٥- مسجد سليمان الحضرمي :

ربما كان هذا المسجد يقع في حلة حضرموت التي ذكرها المقدسي في الموصل^(١١٥) . وكان الزقاق الذي يقع فيه هذا المسجد يُعرف بزقاق نفيل بن جابر بن جيلة ، ومسجد سليمان الحضرمي ، وهو في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بإبن عطاء ودرب درّاج^(١١٦) .

٦- مسجد بسام :

وينسب الى بسام بن ابراهيم بن بسام ،

الذي كان من فرسان الخليفة ابي العباس ، لكنه خرج عليه وخلعه ، ودعا الى ذرية الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان هذا المسجد يقع في نهاية سكة خاقان ، ويصلي فيه بنو الوضاح العبديون^(١١٧) . وقد أقام مسجد آخر في الطرف الثاني لهذه السكة من قبل موسى بن مصعب الخنعمي ، الذي تولى الموصل للخليفة ابي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ / ٧٢٢ - ٧٢٣م^(١١٨) .

٧- مسجد باب سنجار :

وكان يصلي فيه آل معن بن مالك بن فهم ، وهم من أحد فروع بني سليمة الأزرديين^(١١٩) . وهناك بالقرب من باب سنجار في الوقت الحاضر مسجد قديم يسمى بمسجد تل عبادة ، ويرى اهل هذه الحلة انه من اقدم مساجد الموصل ، لذلك ربما كان موقع هذا المسجد هو مسجد باب سنجار القديم^(١٢٠) .

٨- مسجد ثقيف :

في حلة باب المسجد ، وموقعه بالقرب من جامع السلطان أويس الحالي^(١٢١) .

ب- أما دار الامارة :

فقد أنشئت بجانب المسجد ، وكانت ملاصقة له^(١٢٢) ، وتقع على السفح الغربي من تل قليعات . ويحتمل ان يكون مروان بن محمد قد وسع هذه الدار ، لأنه كان مهتماً بالموصل وعمرانها^(١٢٣) .

ج- الأسواق :

كانت معظم الأسواق في العصر الأموي تقع بالقرب من المسجد الجامع ودار الامارة ، وأهم هذه الأسواق التي ورد ذكرها في المصادر هي :

١- سوق البزازين :

بعد فندق وحام زمن اسماعيل بن علي بن عبدالله
ابن العباس الذي تولى الموصل للفترة من ١٣٤ -
١٤٢ هـ / ٧٥١ - ٧٥٩ م^(١٣٢) .

بالقرب من الباب الشمالي للمسجد الجامع ،
ويقع بين سوق الداخل والمسجد الجامع^(١٣٤) .
وهو مخصص لبيع الأقمشة والثياب . ولتلاصق هذا
السوق مع سوق الداخل ، فقد اعتبرهما بعض
المحدثين سوقاً واحداً^(١٣٥) .

٢- سوق السراجين :

بالقرب من الباب الجنوبي للمسجد الجامع
« باب جابر » ، وهو مخصص لبيع السروج وبقية
المنتجات الجلدية^(١٣٦) .

٣- سوق الشعارين :

بالقرب من جامع النبي جرجيس ، ولا يزال
يحتفظ بهذا الاسم الى الوقت الحاضر ، وكان
مخصصاً لبيع الشعر والصوف اللازم للخيام
وغيرها^(١٣٧) .

٤- سوق القتاتين :

بالقرب من سوق الشعارين ، الى جهة الشرق
منه^(١٣٨) ، وهو مخصص لبيع الاقتاب ، الى
الرحل التي توضع على سنام البعير ، ويعرف اليوم
بسوق التجارين قرب مسجد الخلا^(١٣٩) .

٥- سوق الحشيش :

بالقرب من سوق الطعام في ناحية دور أبي
وهب ، وكان فيه الفندق المعروف بدار الحواكين ،
ويقع بالقرب منه أيضاً خان ابراهيم بن يحيى
العباسي^(١٤٠) ، وهو مخصص لبيع التبغ لعلف
الحوانات ، وربما كان موقعه يطابق موقع سوق
باب السراي الحالية^(١٤١) .

٦- سوق الطعام :

بالقرب من سوق الحشيش ، وقد اقيم فيه فيما

٧- سوق سعيد بن عبد الملك :

الذي انشأه عندما كان والياً على المدينة في
خلافة ابيه عبد الملك بن مروان ، وانشأ في السوق
ايضاً المسجد الذي أشرنا اليه آنفاً ، والذي عرف
باسم مؤذنه « عبيدة »^(١٤٣) .

٨- سوق الدواب :

بالقرب من مقابر قريش جنوب غربي جامع
النبي جرجيس ، وهو مخصص لبيع وشراء
الحيوانات^(١٤٤) .

٩- سوق الأربعاء :

وكان يمتد في الفضاء الواسع بين باب الجسر ،
بالقرب من النهر ، الى سوق باب السراي الحالية .
وموقعه بالقرب من المنقوشة ، وهي الدار التي بناها
الحر بن يوسف الأموي . وأشار الأزدي الى هذا
الموقع بقوله «... المنقوشة التي هي من سوق
القتاتين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق
الأربعاء الى سوق الحشيش...»^(١٤٥) . وكان
يجمع في هذا السوق الفلاحون والحواصيد والعمال
للتوجه الى أعمالهم ، وأصبح من الأسواق المزدهرة
بالحركة في العصور التالية^(١٤٦) .

د- المخلات والدور :

كانت الموصل قبل الفتح العربي الاسلامي
قليلة العمران وليس فيها ، كما يشير المصانغ^(١٤٧) ،
الا مملكتان سكن احدهما بعض المجوس من
الفرس ، وسكن الاخرى النصارى . وكان لليهود
ايضاً وجود في المدينة ، لاسيما وأنهم سكنوا اقليم
الجزيرة منذ حقبة طويلة بعد ان تغلبهم اليها

الآشوريون من بيت المقدس^(١٣٨) . وكان لهم عدد من البعّ التي بنيت قبل الاسلام ، ومحلة خاصة تعرف بمحلة اليهود^(١٣٩) ، وموقعها الآن محلة الأحمدية في الموصل^(١٤٠) . أما النصارى فكانوا اكثر عدداً من اليهود ، ولهم في المدينة ديارات وبيع ومنازل قليلة ، لاسيما في حصن المدينة الغربي ، اي (تل قليعات)^(١٤١) . وكانت محلتهم تقع في الجهة الشمالية من هذا الحصن ، حيث بنى أحد الرهبان ، المسمى ايشو عياب بقرسري ، سنة ٥٧٠ م ديراً على التل المذكور . ولم تزل البيعة معروفة الى اليوم بإسم «مار اشعيا» أو «دير ربان بارقسري» ، وهي على اللحف الشمالي لتل قليعات^(١٤٢) .

وبعد تمصير الموصل في أعقاب التحرير ، ظهرت فيها محلات جديدة ، ثم توسعت بمرور الأيام ، وأضيف اليها محلات ودور اخرى في السنوات التالية بعد ازدياد عمران المدينة . وفيما يأتي أبرز هذه المحلات والدور في العصر الأموي :

١- محلة التغالبة :

وسكنت فيها قبيلة بني تغلب في الجهة الجنوبية من الموصل ، وتسمى الآن بمحلة البارودجية ، وهي بجوار باب الجديد في جنوبي المدينة^(١٤٣) .

٢- محلة ثقيف :

وسكنت فيها قبيلة ثقيف بعد فتح الموصل مباشرة ، وموقعها اليوم في محلة باب المسجد ، أو الشكيف ، وواضح أن الاسم الأخير ماهو الا تحريف مغولي أو تركياني للفظ «ثقيف»^(١٤٤) .

٣- محلة خزرج :

وسكنت فيها قبائل الخزرج التي جاءت الى الموصل بعد الفتح العربي الاسلامي . ولا تزال هذه المحلة تعرف بهذا الاسم لحد الوقت الحاضر^(١٤٥) .

٤- محلة باب سنجار :

وكانت بيد ابناء معن بن مالك ، الذين كانت منازلهم بالموصل باب سنجار ، والمسجد الذي فيه مسجدتهم . وكان باب سنجار في ايديهم وأيدي سليمة^(١٤٦) .

٥- محلة الشيبانيين :

وقد بناها والي الموصل القطران بن اكهم الشيباني في عهد مروان بن محمد ، لسكنى افراد قبيلته من بني شيبان . وكانت تقع في القسم الشمالي من الموصل في الرض الأعلى ، وفيها مسجد ابن اكهم القطران^(١٤٧) .

٦- محلة حضرموت :

ربما سميت بإسم بعض العشائر الثمانية القادمة من حضرموت . وقد أشار المقدسي الى وجود هذه المحلة بالموصل ، ولكنه لم يحدد موقعها^(١٤٨) .

٧- محلة الحر بن صالح بن عبادة :

وتقع شمال المسجد الجامع بالقرب من سوق الداخل ، وسكن فيها الهمدانيون ، وبها مسجد علي بن الحسن الهمداني ، الذي يقع على القنطرة المطلة على السوق^(١٤٩) .

٨- محلة درب درّاج :

وتقع في وسط مدينة الموصل بالقرب من السكة الكبيرة بمحاذاة المربعة المعروفة بإبن عطاء^(١٥٠) ، وقد سميت الآن بمحلة الجامع الكبير^(١٥١) .

٩- دور جابر بن جلة وأولاده :

وهو أول من نزل الموصل من سليمة الذين ينتمون الى الأزد ، وكان له في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرف بزقاق جابر . وسكن ابنه نغيل

ايضاً في هذه السكة بين المربعة المعروفة بإبن عطاء ودرب دراج في زقاق يعرف بنفيل . كما استقر آخرون من بني سليمة في هذه الدور ، مثل جماع ابن احمد بن أسلم ، الذي عاش في سكة جماع . وقد سكن معهم ايضاً في هذه السكة بنو أبي السرداح . ثم سميت هذه الدور فيما بعد بدور بني عمران ، نسبة الى المعافي بن عمران ، أحد أحفاد جابر بن جبلة (١٥٢) .

١٠- دور الطمثنين :

ويتمشي هؤلاء ايضاً الى بني سليمة من الأزد ، وكانت دورهم ملاصقة لقناطر بني عتاب ، ولم تقطعة بالقرب من دورهم (١٥٣) .

- ١١ - الصوائح :

وهي الأبنية المنفردة التي تقع خارج السور . وقد أنشئت بعد توسع المدينة وازدياد العمران فيها بعد تحريرها . ومن هذه المحلات ، محلة النعل بكبي ، وكانت في موضع قضيب البان ، وسبعة الحدادين (١٥٤) .

هـ - الدروب والسكك :

كانت معظم هذه الدروب والسكك ، اي الطرقات تمتد من مركز المدينة الذي أقيمت فيه دار الإمارة والمسجد الجامع ، الى الأسواق ، أو الساحات العامة ، أو أطراف المدينة . وقد رصفت هذه الطرق بالحجارة من قبل الولاة في العصر الأموي (١٥٥) ، ومن أهم هذه الدروب والسكك :

١ - درب الدير الأعلى :

وهو يسير باتجاه الشمال الى هذا الدير الواقع شمال المدينة على نهر دجلة ، بالقرب من موقع القلعة الاتابكية التي تسمى الآن «باش طابية» (١٥٦) .

٢ - درب الجصاصين :

ويؤدي الى غربي المدينة ، حيث تكثر اكوار الجص . وقد أشار المقدسي ايضاً الى درب آخر باسم درب الجصاصية ، ربما كان هو نفس طريق درب الجصاصين (١٥٧) .

٣ - درب رحى أمير المؤمنين :

لم تحدد المصادر مكان هذا الدرب (١٥٨) ، ولكن يبدو انه كان يؤدي الى ممتلكات هشام ابن عبد الملك في جنوب الموصل ، حيث أشار الأزدي الى وجود هذه الرحى ، أي «رحى أمير المؤمنين» في الأرض التي كان يمتلكها عند رضى المدينة الأسفل مقابل أرض عمران بن عطاء على نهر دجلة (١٥٩) . ولهذا فيكون اتجاه هذا الدرب من الشمال الى الجنوب ، وليس من الغرب الى الشرق ، كما جاء في بعض الدراسات الحديثة عن الموصل (١٦٠) .

٤ - درب بني ميدة :

وهو من الدروب الرئيسة في الموصل ، يبدأ من مركز المدينة وينتهي الى طرفها الغربي في باب سنجار (١٦١) .

٥ - درب الدباغين :

ويؤدي الى جنوب المدينة ، حيث كان هؤلاء الدباغون يمارسون مهنتهم على نهر دجلة (١٦٢) .

٦ - درب دراج :

ويقع في وسط المدينة بالقرب من السكة الكبيرة بمحاذاة المربعة المعروفة بإبن عطاء (١٦٣) .

٧ - درب بني إلبا الطيب :

وكان يقابل المسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المجاور للبيعة المعروفة بمار توما . وقد أشار

اليه الأزدي في أحداث سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م^(١٦٤). ومسجد أسباط ، كما يرى أحد المحدثين^(١٦٥) ، هو مسجد خزرج ، والشارع الذي امامه يمتد الى مسجد العراكدة - العراقة ، وهو درب ايليا الطيب .

وهناك دروب اخرى ورد ذكرها في المصادر ، ولكن لم يتم التحقق من موقعها في المدينة ، منها درب بني الهذيل^(١٦٦) ، ودرب باصلوت ، ودرب جميل^(١٦٧) . وقد أشار الأزدي الى طرق اخرى في الموصل في هذا العهد ، أسماها بالسكك ، وهي على الأغلب منسوبة الى أسماء بعض كبار رجال القبائل العربية التي سكنت في الموصل ، ومنها :

١- السكة الكبيرة :

وكان يتزل فيها جابر بن جبلة وأولاده ، وتقع بين درب درّاج والربعة المعروفة بإبن عطاء في وسط المدينة^(١٦٨) .

٢- سكة جمّاع :

نسبة الى جمّاع بن احمد بن أسلم بن زيد السليمي ، الذي سكن الى جوار جابر بن جبلة ، ولهذا فهي تقع بالقرب من السكة الكبيرة^(١٦٩) .

٣- سكة الصّقر :

نسبة الى الصّقر بن نجدة بن الحكم الأزدي ، الذي كان شاعراً وفارساً من فرسان الموصل المشهورين^(١٧٠) .

٤- سكة خاقان :

نسبة الى خاقان بن يزيد الرحبي ، أحد وجوه الموصل في العهد الأموي ، وهي تقع بين مسجد موسى بن مصعب بن الربيع الخنعمي ، وبين مسجد بسام ، الذي يصلي فيه بنو الوضاح العبديون^(١٧١) .

٥- وقد أشار الأزدي الى سكتين أخريين دون أن يحدد موقعهما ، الأولى هي سكة السند ، وقد اكتفى بالقول أنها منازل بني السكك في عهده ، أي أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(١٧٢) ، والثانية هي سكة السري ، التي تقرب من « البيعة الحديثة »^(١٧٣) . وربما كانت هذه البيعة هي بيعة « مروتوما » المجاورة للمسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المقابل لدرب أليا الطيب^(١٧٤) .

وتشير المصادر أيضاً الى اسم شارعين مهمين في المدينة في هذا العصر ، وهما شارع الشعارين ، وشارع النهر . وقد ذكر الأزدي الشارع الأول ، وحدد موقعه بالقرب من المنقوشة « التي هي من سوق القتاتين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش »^(١٧٥) . واتجاه هذا الشارع من الجنوب الى الشمال ، وما زال موجوداً ويعرف بنفس الاسم ، وشارع جامع النبي جرجيس أيضاً ، الذي يقع فيه . وربما كان هذا الشارع هو نفسه درب الدير الأعلى ، الذي ذكره المقدسي ، وذلك لمطابقة اتجاه الطريقين ، ولكن الأزدي لم يشر الى الدرب الأخير .

أما شارع النهر ، فقد اشار اليه ابن الأثير في معرض حديثه عن إنجازات والي الموصل ، الحرابي يوسف ، الذي حفر النهر وأوصله الى المدينة ، وأنشأ على جانبه الشارع المعروف بشارع النهر^(١٧٦) . وقد غرست على جانبي هذا الشارع الأشجار لترينه ، وتكون بمثابة متنزه لأهل الموصل^(١٧٧) ، فكان هذا الشارع حسب تعبير أحد المحدثين ، « أول كورنيش في الاسلام »^(١٧٨) .

ز- الأديرة والكنائس :

اشتهرت منطقة الموصل بكثرة الأديرة والكنائس التي كونت مظهراً من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية ، كما كانت أيضاً مركزاً من مراكز المسيحية في المدينة . ويحتل وجود كنيس

٥- كنيسة مارحوديوني : وهي كنيسة قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل القرن العاشر الميلادي وتقع الآن في محلة القنطرة (١٨٤).

الفنون المعمارية :

اهتم الأمويون بالموصل اهتماماً كبيراً ، لاسيما في مجال العمران وإقامة المشاريع العامة النافعة للبلد . ويمكن ايجاز أهم أعمالهم وابداعاتهم في هذا الميدان بالأعمال العمرانية الآتية :-

أ- المشاريع العامة :

١- توسيع دار الامارة والمسجد الجامع :

أعاد الأمويون بناء دار الامارة القديمة وتوسيعها ، لاسيما في عهد مروان بن محمد الذي تولى الموصل مرتين ؛ الاولى من ١٠٢ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٣ م ، والثانية من ١٢٦ - ١٢٧ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤ م . وقد اتخذ بينها وبين الجامع باباً يؤدي الى مرطويل يصل بين الدار والجامع ، وفرشه بالبلاط ، كما اتخذ له مقصورة في المسجد ايضاً (١٨٥) . ويحتمل انه هو الذي أضاف اليه المنارة التي ليس بالامكان تحديد موقعها بالضبط في الوقت الحاضر . وبما يؤيد وجودها في أواخر العصر الأموي ، مذكره الأزدي (١٨٦) ، في حوادث سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م ، حين أمر يحيى بن محمد العباسي منادياً « فصعد منارة المسجد فنادى من دخل المسجد فهو آمن بأمان الله » . وقد أضاف مروان الى الجامع ايضاً مطابخ يطبخ بها للناس في شهر رمضان ، وبقيت هذه المطابخ الى أن هدمت في عهد الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م (١٨٧) . وربما تكون الأبواب الأربعة للجامع ، التي أشرنا اليها آنفاً ، وهي الباب الغربي ، والباب الجنوبي ، والباب الشرقي ، والباب

للبيوت في محلة اليهود التي أشار البلاذري الى وجودها في المدينة في اثناء كلامه على تخصيص المدينة (١٧٩) . أما بالنسبة للكنائس والأديرة فسنشير الى بعض ما كان موجوداً منها قبل الاسلام ، والتي استمرت في العصور اللاحقة ، ومنها العصر الأموي .

١- ورد ذكر لوجود بيع النصاري عند تخصيص المدينة من قبل هرثمة بن عرفة الباري . ومن المعتقد ان كنيسة اشوع عياب برقري ، التي تسمى الآن بكنيسة (مار اشعيا) ، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة بالقرب من تل قلععات ، كانت ضمن هذه البيع (١٨٠) .

٢- دير سعيد : ويقع في الجانب الغربي من الموصل بالقرب من نهر دجلة ، وكان قد بناه ايليا الحيزي العبادي العربي ، وجدد بناءه سعيد بن عبد الملك بن مروان (الذي تولى المدينة في عهد والده عبد الملك) لهذا عرف بدير سعيد . ويعرف اليوم بدير مار ايليا ، وبدير الخرناب ، لأنه مهجور . ويقع الى جنوب معسكر الغزواني ، في واد يُسمى وادي الدير (١٨١) .

٣- الدير الأعلى : يقع شمال المدينة على نهر دجلة ، حيث كان يشرف على طواحين المياه (العروب) . ويشتهر بعذوبة هوائه ، ويعبونه الكبريتية . ويقال إنه لم يكن للنصارى دير مثله لما فيه من الآثار المسيحية والأناجيل . وكان يرتاده الأدباء والشعراء (١٨٢) .

٤- دير ميخائيل : ويقع الى الشمال من مدينة الموصل ، وهو يشرف على نهر دجلة ، وحواي الكنيسة ، في منطقة كانت تزخر بالأشجار ، لاسيما الكروم (١٨٣)

الشامي، هي أيضاً من استحداث مروان ابن محمد حينما وسع الجامع في العهد الأموي.

٢- بناء السور:

اهتم الامراء الامويون ببناء وتقوية سور المدينة، فقد وردت اشارات مختلفة في المصادر الى أول من قام بهذا العمل من الأمويين. فيذكر البلاذري^(١٨٨)، ان سعيد بن عبد الملك هو الذي احاطها بسور، ووصف طرقها بالحجارة. في حين يقول الأزدي^(١٨٩)، ان محمد بن مروان، اخو الخليفة عبد الملك، هو الذي «بنى سور الموصل سنة ثمانين بلا خلاف بين من يعلم السيرة من أهل الموصل». اما ياقوت الحموي^(١٩٠) فيشير الى ان مروان بن محمد هو الذي بنى سورها، وذلك حينما تولاهما قبل ان يصبح آخر خليفة للدولة الأموية. ومن الواضح ان هؤلاء الثلاثة قد قاموا فعلاً ببناء سور المدينة وعمارها كل ضمن الفترة التي تولى فيها امارتها، لاسيما وان المنطقة كانت في ذلك الوقت معرضة دائماً لأعمال التمرد والعصيان، واستفحال الحركات «الخارجية» وقد بقي السور الأموي للمدينة قائماً الى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، فقد أمر بهدمه سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م اثر تحرك جماعة من أهل الموصل عليه بقيادة العطف بن سفيان الأزدي^(١٩١).

٣- انشاء الجسر:-

اقام الأمويون أول جسر للمدينة بعد تحريرها، ليصل بينها وبين الجانب الشرقي، اي نينوى. فقد رأى مروان بن محمد أن السفن لا تكفي للربط بين الجانبين نتيجة توسع المدينة وازدياد عدد سكانها في العصر الأموي، فنصب عليها جسراً متحركاً، يتكون من مجموعة كبيرة من السفن المربوطة بعضها ببعض^(١٩٢). وقد أشار الأزدي^(١٩٣) الى هذا الجسر، وكيف ان اهل الموصل كانوا يقطعونه،

فيحولونه الى الساحل الغربي من دجلة اذا أرادوا منع أحد من دخول المدينة. وكان للجسر باب يغلق عند الحاجة، وهو في الجهة الغربية منه، ويشرف عليه من يوثق بصدقه وأمانته. أما موقع هذا الجسر فكان كما يرى أحد المحدثين، في محل الجسر القديم الذي يصل بين القناطر وساحة باب الجسر^(١٩٤).

٤- حفر نهر الحر أو النهر المكشوف:

لاحظ أحد ولاية الموصل، وهو الحر بن يوسف الأموي، معاناة أهل المدينة نتيجة لبعث مجرى نهر دجلة عنها. فكتب الى الخليفة هشام ابن عبد الملك يستأذنه في حفر مجرى جديد للنهر، فوافق الخليفة على ذلك. وابتدأ العمل في المشروع سنة ١٠٨هـ / ٧٢٦م «حيث جمع الحر الصنائع وأهل الهندسة لحفر النهر، واتخذ له الآلات»^(١٩٥). وبلغ عدد العاملين في هذا المشروع، فضلاً عن الصنائع والمهندسين، نحو خمسة آلاف رجل، واستمر العمل فيه الى سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م. ولم يرسل الحر بن يوسف، ولا العامل الذي اعقبه بعد وفاته، وهو الوليد بن تليد العبيسي، اية مبالغ الى الخلافة، بل صُرفت واردات المدينة وما يتبعها من مناطق الجزيرة على هذا المشروع الضخم الذي كلف نحو ثمانية ملايين درهم^(١٩٦).

وقد أقيمت الطواحين المتعددة على هذا النهر، وذلك بأمر من الخليفة هشام، فنصبت ثمان عشرة رحى. ويصف الأزدي كيفية وزن سرعة جريان الماء الى الطواحين بقوله: «... وأنهم وزنوا الماء من فوهة النهر، وطرحوا لكل رجل علامة قد عملوها». ويقال جوزه- وقعدوا في زورق في جوف النهر والعلامات تسير بين أيديهم حتى خرجوا الى آخر النهر، فجاءت كل علامة- ويقال جوزه- الى الرحى التي عملت لها حتى دخلت في سيب الرحى^(١٩٧). وقد عُرفت هذه الطواحين بالعروب، وهي عبارة عن عربة من الخشب

والحديد، تنصب على ظهر سفينة، وتوثق بالسلاسل الحديدية لئلا يجرفها التيار، وتضم أربعة أحجار^(١٩٨). وكانت هذه الأحجار تجلب من آمد بالجزيرة^(١٩٩)، ومن ناحية بسومة الواقعة الى الشرق من الموصل^(٢٠٠).

ب- الأبنية الخاصة :

بنى بعض الأمراء الأمويين قصوراً لسكناهم في الموصل، ومن هؤلاء، هشام بن عبد الملك، الذي استقر في الموصل لحقبة من الزمن، ربما في اثناء ولاية اخيه سعيد بن عبد الملك، أو عمه محمد ابن مروان. وكان قصر هشام مبنياً من اللبن والطين^(٢٠١)، ويقع الى الجنوب من الموصل في أرض واسعة بالقرب من دجلة، وتعرف بالجزيرة. وقد اشترى هشام هذه الأرض من بني بريضة الأزدية بسبعين الف درهم، وغرس فيها الأشجار والتخيل، فكانت كأحسن ما يرى^(٢٠٢).

ومن الأبنية الأخرى المشهورة في الموصل دار الحر بن يوسف، التي تسمى بالمنقوشة، نظراً لكثرة زخارفها، حيث كانت مزينة بالفصوص الملونة، والفسافس، والساج المزخرف^(٢٠٣). وقد ابتداء الحر ببناء هذه الدار فور وصوله الى الموصل، وسكنها بعد انتهاء العمل فيها، فأصبحت مقراً لإقامته، وداراً للامارة في الوقت نفسه^(٢٠٤). وكان موقع هذه الدار التي تشغل مساحة واسعة جداً تمتد من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش^(٢٠٥). واستمر آل الحر يسكنون في هذه الدار الى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م، حيث صايرها الوالي العباسي اسماعيل بن علي^(٢٠٦). وقد ظلت آثار المنقوشة باقية الى أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث أشار اليها المؤرخ الموصلية المشهور ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) بقوله: «وأما الآن فهي خربة تجاور سوق الأربعاء»^(٢٠٧).

وقد أنشئت في الموصل أيضاً أبنية أخرى، كالحمامات، والفنادق. وكان لبعض الأمراء فنادق خاصة بهم، مثل الحر بن يوسف، الذي أشار الأزدية الى فنادقه في اثناء مصادرة العباسيين لها^(٢٠٨). ومن الفنادق التي ورد ذكرها في الموصل، الفندق المعروف بدار الحواكين في سوق الحشيش، الذي سكنت فيه أسرة الحر بن يوسف بعد مصادرة المنقوشة^(٢٠٩). أما الحمامات فكانت هي الأخرى متوافرة في الموصل، ولكن مع الأسف ليس لدينا سوى إشارة واحدة الى احدي هذه الحمامات، وهي المعروفة بحمام الجدالين، أو بحمام أمير المؤمنين. ويبدو أن الاسم الأخير قد أطلق عليه بسبب استحمام الخليفة مروان بن محمد فيه سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م^(٢١٠).

وختاماً يمكن القول أن هذه المظاهر الحضارية التي أشرنا اليها في العهد الأموي ماهي إلا بدايات لتطور حضاري متصل وشامل عُرفت به الموصل ومنطقتها. وقد استمر هذا التراث الحضاري في القو والانتساع حتى ترسخت قواعده في العصور اللاحقة، لاسيما في العصر العباسي الذي سيكون موضوع البحث الآتي.

المواش

- (١) صورة الأرض، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص ١٩٤.
- (٢) انظر: ابراهيم بن محمد الاصطخري، مسالك الممالك، طبعة لندن، ١٩٢٧، ص ٧٢-٧٣.
- (٣) الأزدية، تاريخ الموصل: ٢ / ٤٣.
- (٤) صورة الأرض، ص ١٩٨.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٩٦-١٩٧.
- (٦) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ١ / ٣٢٤، ٣ / ٢٣٤.
- (٧) الأزدية، تاريخ الموصل: ٢ / ١٧٢.
- (٨) انظر: صورة الأرض، ص ١٩٦، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٧، ابو عبدالله محمد الشافعي القدسي، احسن التقاسم في معرفة الأقاليم، لندن، ١٩٠٩، ص ١٤٥-١٤٦، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٢.

- (٩) صورة الأرض، ص ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠.
- (١٠) أحسن التقاسيم، ص ١٤١.
- (١١) صورة الأرض، ص ١٩٦، وانظر: فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، بغداد: مطبعة الإيمان، ١٩٧٠ / ١: ١٤٤.
- (١٢) صورة الأرض، ص ١٩٦، أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٠، كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدروالدين القاسم، بيروت، ١٩٧٢ / ١: ٣١٠.
- (١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٧٧ - ١٧٨، وانظر أيضاً صورة الأرض، ص ٢٠٢.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.
- (١٥) انظر: معجم البلدان / ٥ / ٤٠٣، ٤٠٥، السامر، الدولة الحمدانية: ٢٠٠ / ١، حادي، الجزيرة الفراتية والموصل، ص ٢١٨.
- (١٦) معجم البلدان: ٤ / ٤١٩.
- (١٧) المصدر نفسه: ٢ / ٢٢.
- (١٨) المصدر نفسه: ٢ / ٤٩٨.
- (١٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٤.
- (٢٠) صورة الأرض ٢٠١.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٩٤، وانظر: السامر، الدولة الحمدانية؛ وللإطلاع على المزيد من المعلومات عن المادّن والصناعات، راجع: السلّان، الموصل في المهدين الراشدي والأموي، ص ١١٠ - ١١٦.
- (٢٢) معجم البلدان: ٥ / ٢٢٣.
- (٢٣) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦ / ١: ١٤٢.
- (٢٤) انظر: حادي، الجزيرة الفراتية والموصل، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (٢٥) اليقوي، كتاب البلدان، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته، ليدن، ١٨٩٢، ص ٢٣٧، وانظر: احسن التقاسيم، ص ١٢٠.
- (٢٦) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التبصر بالتجارة، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، مصر، ١٩٣٥، ص ٣٣، مقدمة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٧٦، صورة الأرض، ص ٢٠١.
- (٢٧) أحسن التقاسيم، ص ١٤٥.
- (٢٨) قارن: السلّان، الموصل في المهدين، ص ١٢٢.
- (٢٩) عبدالعزيز النوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بغداد: مطبعة المعارف ١٩٤٨، ص ١٨١، ١٩٥.
- (٣٠) ابو يوسف، الخراج، ص ٤٣.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٤٣ - ٤٤.
- (٣٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٣ / ٣.
- (٣٣) مقدمة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٧٥، ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة، المسالك والممالك، نشر:
- دي غرية، ليدن، ١٨٨٩، ص ٩٤، الأزدي: ٢ / ٢٨٧، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣١، وقارن: السلّان، الموصل في المهدين، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٣٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٢٧، ٢٩.
- (٣٥) المصدر نفسه: ٢ / ٤٣.
- (٣٦) صورة الأرض، ص ١٩٨.
- (٣٧) انظر: لبي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤، ص ١١٤.
- (٣٨) الطبري: ١ / ٢٤٧٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢ / ٥٢٣ - ٥٢٤.
- (٣٩) سلّان الصانع، تاريخ الموصل، مصر: المطبعة السلفية، ١٩٢٣ / ١: ٥١ - ٥٢.
- (٤٠) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣ / ٤٠١.
- (٤١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٠، وانظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٢٢٧.
- (٤٢) المعارف، ص ٩٣.
- (٤٣) التاريخ: ٢ / ٢٧٧.
- (٤٤) الصانع، تاريخ الموصل: ١ / ٥١ - ٥٢، وانظر: السامر، الدولة الحمدانية: ١٧٢ - ١٧٣.
- (٤٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ١١٣.
- (٤٦) المصدر نفسه: ٢ / ٧٧ - ٧٨.
- (٤٧) المصدر نفسه: ٢ / ٨١ - ٨٢.
- (٤٨) المصدر نفسه: ٢ / ٩٠ - ٩١.
- (٤٩) المصدر نفسه: ٢ / ٩١.
- (٥٠) المصدر نفسه: ٢ / ٩١.
- (٥١) المصدر نفسه: ٢ / ٩٢.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٢ / ٩٢.
- (٥٣) المصدر نفسه: ٢ / ٩٣، ١٤٧، ٣١٢.
- (٥٤) المصدر نفسه: ٢ / ١٧٢.
- (٥٥) المصدر نفسه: ٢ / ١٦٤.
- (٥٦) انظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مؤسسة المصانيفي، ١٩٥٨، ص ٥١٠، صالح احمد علي، امتداد العرب في صدر الاسلام، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١، ص ١٠١.
- (٥٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ١٥٣.
- (٥٨) المصدر نفسه: ٢ / ١٥٣، وانظر: علي، امتداد العرب في صدر الاسلام، ص ١٠٤.
- (٥٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢ / ٩٤.
- (٦٠) المصدر نفسه: ٢ / ٩٤ - ٩٥.
- (٦١) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٣، ٢٠٥.
- (٦٢) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦.
- (٦٣) المصدر نفسه: ٢ / ٩٥ - ٩٦.
- (٦٤) المصدر نفسه: ٢ / ٣١٣، وانظر أيضاً: علي، امتداد العرب في صدر الاسلام، ص ١٠٢ - ١٠٤، ١٠٦، حادي، الجزيرة الفراتية والموصل: ١٦٤ - ١٦٦.

- (٦٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٦٨/٢.
- (٦٦) البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩؛ ٤٤/١، ٤٥.
- (٦٧) انظر: المبحث الخاص بهذه الحركات.
- (٦٨) الأزدي، تاريخ الموصل: ٧٦/٢.
- (٦٩) المصدر نفسه: ١٤٦/٢، ١٥٣.
- (٧٠) المصدر نفسه: ١٤٧/٢.
- (٧١) المصدر نفسه: ١٤٧/٢، ١٥٠، ١٥٣.
- (٧٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٢.
- (٧٣) الصانع، تاريخ الموصل: ٥٢/١.
- (٧٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٠٤/٢.
- (٧٥) المصدر نفسه: ١٥٣/٢.
- (٧٦) المصدر نفسه: ١٤٧/٢.
- (٧٧) الاشتقاق: ص ٢٥٨.
- (٧٨) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٤٩/٢.
- (٧٩) المصدر نفسه: ٢٧/٢.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٢٠٤/٢.
- (٨١) المصدر نفسه: ١٢٦/٢.
- (٨٢) المصدر نفسه: ١٤٨/٢، وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٤٤/٥.
- (٨٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٥١/٢.
- (٨٤) انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٥، وقارن: الصانع، تاريخ الموصل: ٩١/١.
- (٨٤أ) صورة الأرض، ص ١٩٥، ١٩٦.
- (٨٤ب) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.
- (٨٥) تاريخ الموصل: ٩٠/١، وانظر أيضاً: ١٩/٢ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٩).
- (٨٦) أحمد أمين، فجر الاسلام، ط ٨، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٨٢.
- (٨٧) المرجع نفسه، ص ١٦٥.
- (٨٨) انظر: ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ١٥٥/٦.
- (٨٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٥١/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٤٤/٥.
- (٩٠) المصدر نفسه: ١٩٩/٢، ٢١٦.
- (٩١) المصدر نفسه: ١٧٣/٢، ١٨١.
- (٩٢) المصدر نفسه: ٢٠٥/٢، ٢٠٦.
- (٩٣) المصدر نفسه: ١٥١/٢.
- (٩٤) المصدر نفسه: ١٥٢/٢، ١٥٣.
- (٩٥) المصدر نفسه: ٢٠٣/٢، ٢١٧.
- (٩٦) المصدر نفسه: ٢٩٥/٢، وانظر: الطبري: ٧٥٠/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٥/٤.
- (٩٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ٧/٢، الطبري: ١٣٧٦-١٣٧٧.
- (٩٨) انظر: مصعب الزيري، كتاب نسب قريش، ص ١٧٢، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٩/٢، باقوت، معجم البلدان: ٧٨/٢.
- (٩٩) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ١١٠.
- (١٠٠) الصانع، تاريخ الموصل: ٥١/١.
- (١٠١) المرجع نفسه: ١٢٦/٢.
- (١٠٢) انظر: مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف بعلبيكي، ط ٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧، ص ١٨٥؛ وقارن أيضاً: فجر الاسلام، ص ١٦٥، أحمد الصوفي، الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل، الموصل، ١٩٤٠، ص ١٢-١٣، والمؤلف نفسه أيضاً: خطط الموصل، الموصل، ١٩٥٣، ص ٢٧.
- (١٠٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤-٢٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٣٢-١٣٣.
- (١٠٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٩، قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٨٢، الحسيري، الروض المغطر، ص ٥٦٤.
- (١٠٥) انظر: باقوت، معجم البلدان: ٢٢٤/٥.
- (١٠٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤٨/٢.
- (١٠٧) أحسن التقاسيم، ص ١٣٨.
- (١٠٨) انظر الأزدي، تاريخ الموصل: ١٤٧/٢، ١٥٩، ٢٤٨، وقارن: سعيد الديوه جي، جوامع الموصل، بغداد، ١٩٦٣، ص ٨-٩، السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، ص ٦٢.
- (١٠٩) رحلة ابن جبير، بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨١، ص ١٨٩.
- (١١٠) الصوفي، الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل، ص ١٠، الديوه جي، جوامع الموصل، ص ١٣، ١٦.
- (١١١) انظر: الصانع، تاريخ الموصل: ٥١/١.
- (١١٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٦٨/٢.
- (١١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٨، ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ١٥٥-١٥٦، الديوه جي، بحث في تراث الموصل، الموصل: المؤسسة العامة للآثار، ١٩٨٢، ص ١٠.
- (١١٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ١١٣/٢.
- (١١٥) أحسن التقاسيم، ص ٢٧.
- (١١٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٨١/٢، وانظر: حاشية المحقق رقم (٢).
- (١١٧) المصدر نفسه: ١٤٧/٢، ١٤٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٥٠/٥.
- (١١٨) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٢٥-٢٢٦، وانظر أيضاً: ابن خياط، تاريخ: ٤٦٤/٢.
- (١١٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ٩٢/٢.
- (١٢٠) انظر: الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥٣/١.
- (١٢١) المرجع نفسه: ٥٣/١.
- (١٢٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٤٥/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٤٣/٥.
- (١٢٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٤٦/٢، وانظر أيضاً:

(١٥٠) المصدر نفسه: ٨١/٢، ياقوت، معجم البلدان: ٤٤٧/٢.
 (١٥١) الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٤.
 (١٥٢) انظر: الأزدي، تاريخ الموصل: ٨١/٢، ٩١، ٩٢، ١١٣، وقارن: السلان، الموصل في المهدين، ص ٦٨.
 (١٥٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٩٣/٢، ٣١٢.
 (١٥٤) الصانع، تاريخ الموصل: ٥٢/١.
 (١٥٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧-٣٢٨، وانظر: قدامة، الخراج، ص ٣٨٢، الحميري، الروض المطار، ص ٥٦٤.
 (١٥٦) انظر: أحسن التقاسيم، ص ١٣٨، ابوالحسن علي بن محمد الشاشبتي، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، بغداد، ١٩٦٦، ص ١٧٦، الديوه جي، قلعة الموصل في مختلف العصور، ص ٨.
 (١٥٧) أحسن التقاسيم، ص ١٣٨، الديوه جي، تاريخ الموصل: ١٨٠/١.
 (١٥٨) أحسن التقاسيم، ص ١٣٨.
 (١٥٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٧٢/٢.
 (١٦٠) انظر: الديوه جي، تاريخ الموصل: ١٨٠/١، السلان، الموصل في المهدين، ص ٧٢.
 (١٦١) الأزدي، تاريخ الموصل: ٣١٠/٢، أحسن التقاسيم، ص ١٣٨، وقارن: السلان، الموصل في المهدين، ص ٧٢.
 (١٦٢) أحسن التقاسيم، ص ١٣٨، الديوه جي، تاريخ الموصل: ١٨٠/١.
 (١٦٣) الأزدي، تاريخ الموصل: ٨١/٢.
 (١٦٤) المصدر نفسه: ٢٤٤/٢.
 (١٦٥) الديوه جي، تاريخ الموصل: ١٨١/١.
 (١٦٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٣٣٦/٢.
 (١٦٧) أحسن التقاسيم، ص ١٣٨.
 (١٦٨) الأزدي، تاريخ الموصل: ٨١/٢، ١١٣.
 (١٦٩) المصدر نفسه: ٩١/٢، وانظر: السلان، الموصل في المهدين، ص ٧٤.
 (١٧٠) الأزدي، تاريخ الموصل: ٧/٢، ١٤٨، ١٥٢-١٥٣، ٢١٧.
 (١٧١) المصدر نفسه: ١٤٧/٢.
 (١٧٢) المصدر نفسه: ٣١٢/٢.
 (١٧٣) المصدر نفسه: ٣٤٠/٢.
 (١٧٤) المصدر نفسه: ٢٤٤/٢.
 (١٧٥) المصدر نفسه: ٢٤/٢.
 (١٧٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٣٣/٥.
 (١٧٧) سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب، ص ١٨٥، وانظر: الصوفي، خطط الموصل، ص ٢٩، الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل، ص ١٢.
 (١٧٨) الديوه جي، تاريخ الموصل: ٤٥/١.
 (١٧٩) فتوح البلدان، ص ٣٢٧، وانظر أيضاً: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٩.

الديوه جي، بحث في تراث الموصل، ص ١١٧، الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥٠/١.
 (١٢٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤٨/٢، ٢٨٦.
 (١٢٥) الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥١/١.
 (١٢٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤٨/٢.
 (١٢٧) المصدر نفسه: ٢٤/٢، الكامل في التاريخ: ١٣٣/٥، كوركيس عواد، مدينة الموصل، بغداد، ١٩٥٩، ص ٢. الصانع، تاريخ الموصل: ٦٤/١.
 (١٢٨) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٣٣/٥.
 (١٢٩) الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥١/١، السلان، الموصل في المهدين، ص ٨٠.
 (١٣٠) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٥٧/٢، ٢٢٩، ٢٥١، ٣٦٣.
 (١٣١) انظر: الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٢، الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥١/١.
 (١٣٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٩٧/٢.
 (١٣٣) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ١٥٥/٦-١٥٦.
 (١٣٤) الأزدي، تاريخ الموصل: ٣٣/٢، وقارن: الديوه جي، تاريخ الموصل: ٥١/١، السلان، الموصل في المهدين، ص ٨٠-٨١.
 (١٣٥) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٤/٢، وانظر أيضاً: الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٠-٣١.
 (١٣٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٨.
 (١٣٧) تاريخ الموصل: ٥١/١، وانظر أيضاً: عواد، مدينة الموصل، ص ٣.
 (١٣٨) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٥٠٧.
 (١٣٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧، قدامة، الخراج، ص ٣٨٢. ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٩.
 (١٤٠) انظر: الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٥.
 (١٤١) فتوح البلدان، ص ٣٢٧، قدامة، الخراج، ص ٣٨٢.
 (١٤٢) انظر: الصوفي، خطط الموصل، ص ٥١، الديوه جي، قلعة الموصل في مختلف العصور، مجلة سومر، ج ١، م ١٠، بغداد، ١٩٥٤، ص ٣، وهامش (١٤).
 (١٤٣) الصانع، تاريخ الموصل: ٥٢/١.
 (١٤٤) الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٣، وانظر: الديوه جي، تاريخ الموصل: ١٨١/١.
 (١٤٥) الصوفي، خطط الموصل، ص ٣٤، وكذلك: الآثار والمباني الاسلامية في الموصل، ص ٥، الصانع، تاريخ الموصل: ١/٥١.
 (١٤٦) الأزدي، تاريخ الموصل: ٩٢/٢.
 (١٤٧) المصدر نفسه: ٦٨/٢.
 (١٤٨) احسن التقاسيم، ص ٢٧.
 (١٤٩) الأزدي، تاريخ الموصل: ١٨١/٢، ٢٨٦.

- (١٨٠) المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ ، الصوفي ، خطط الموصل ، ص ٥١ .
- (١٨١) انظر عنه : الشاشي ، الديارات ، ص ٣٩ ، ٤٠ (مقدمة الختق) ، ياقوت ، معجم البلدان : ٥١٥ / ٢ ، الديوه جي ، تاريخ الموصل : ٢٣٩ / ١ .
- (١٨٢) الشاشي ، الديارات ، ص ١٧٦ ، ياقوت ، معجم البلدان : ٢ / ٤٩٨ - ٤٩٩ . الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١ / ٢٣٨ .
- (١٨٣) ياقوت ، معجم البلدان : ٢ / ٥٣٨ ، الديوه جي ، تاريخ الموصل : ١ / ٢٤٠ .
- (١٨٤) الصوفي ، خطط الموصل ، ص ٥٢ .
- (١٨٥) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ١٤٠ ، وانظر : الديوه جي ، بحث في تراث الموصل ، ص ١١٧ .
- (١٨٦) تاريخ الموصل : ٢ / ١٤٧ - ١٤٨ .
- (١٨٧) المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٨ .
- (١٨٨) انظر : فتوح البلدان (برواية الواقدي) ، ص ٣٢٨ .
- (١٨٩) تاريخ الموصل : ٢ / ٢٥ .
- (١٩٠) معجم البلدان : ٥ / ٢٢٣ .
- (١٩١) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ٢٨٥ ، وقارن : الديوه جي ، بحث في تراث الموصل ، ص ١١ - ١٢ ، السلان ، الموصل في العهدين ، ص ٨٤ - ٨٧ .
- (١٩٢) انظر : ياقوت ، معجم البلدان : ٥ / ٢٢٣ ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٥ .
- (١٩٣) تاريخ الموصل : ٢ / ٧٠ ، ٧٥ .
- (١٩٤) الديوه جي ، بحث في تراث الموصل ، ص ٤٧ .
- (١٩٥) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .
- (١٩٦) المصدر نفسه : ٢ / ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٣ . وقد ذكر الأزدي ، ان المبلغ الذي اتفق على حفر النهر هو ثمانية آلاف ألف ألف درهم ، واغلب الظن ان الألف الأخيرة زائدة ، والمبلغ هو ثمانية ملايين درهم فقط ، كما أشار الى ذلك ابن الأثير ، انظر : الكامل في التاريخ : ٥ / ٢٤١ .
- (١٩٧) تاريخ الموصل : ٢ / ٣٦ ، ٤٣ .
- (١٩٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩٨ .
- (١٩٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .
- (٢٠٠) ياقوت ، معجم البلدان : ١ / ٤٢٣ .
- (٢٠١) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ٢٤ ، ١٥٨ .
- (٢٠٢) المصدر نفسه : ٢ / ١٧٢ .
- (٢٠٣) المصدر نفسه : ٢ / ٢٤ - ٢٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥ / ١٣٢ ، وانظر أيضاً : سيدامير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ١٨٥ ، الصوفي ، الآثار والمباني الاسلامية في الموصل ، ص ١٢ - ١٤ .
- (٢٠٤) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ٢٦ ، ٢٧ .
- (٢٠٥) المصدر نفسه : ٢ / ٢٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥ / ١٣٣ .
- (٢٠٦) الأزدي ، تاريخ الموصل : ٢ / ١٥٦ ، ١٥٧ .
- (٢٠٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥ / ١٣٣ .
- (٢٠٨) تاريخ الموصل : ٢ / ١٥٦ .
- (٢٠٩) المصدر نفسه : ٢ / ١٥٧ .
- (٢١٠) المصدر نفسه : ٢ / ٧٥ .

الموصل بآثار الحكم العباسي المباشرة

١٣٢ - ٢٩٣ هـ / ٧٤٩ - ٩٠٥ م

أ. د. فاروق عمر فوزي

الى الحركات الخارجية كحركة الضحاك الخيبري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م وشييان اليشكري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ضد مروان . واكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من أهل الموصل في حركة خارجية ضد الامويين خارج اقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع ابي حمزة الخارجي حين ثار في اليمن وقاتلوا معه في «موقعة قدير» بالمدينة سنة ١٣٠ هـ / سنة ٧٤٧ / سنة ٧٤٨ م^(١) وحين قامت

لقد كان اقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في اواخر عهد الامويين . وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل النمانية . ورغم ان الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل واطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم فانهم انضموا

الثورة العباسية على اكتاف القبائل الثمانية والرابعة
بخاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الاقاليم
حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفة سنة ١٣٢ هـ /
سنة ٧٤٩م حيث يوبع العباس خليفة للدولة
الجديدة^(٢). كان اول عمل واجهته الدولة الجديدة
هو مجابهة مروان بن محمد^(٣) الذي خندق في موقع
حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة
كشاف^(٤) التي دامت عشرة ايام ارتكب اثناءها
مروان الاموي خطأ استراتيجياً وذلك بعبوره الى
الساحل الايسر من الزاب وقد بذل موقعه
العسكري الحصين مما ادى الى اندحاره في المعركة
واضططره الى الانسحاب باتجاه الموصل التي كان
قد اتخذها قاعدة له وخلفت فيها بيت المال
والخزائن. ولكن عامل الموصل وقيادتها لم يفتحوا له
ابواب المدينة منكبين عليه الهرب مدعين ان
الخليفة مروان لا يهرب وانه ليس بمروان الذي
يعرفونه. مما اضطر مروان الى الانسحاب باتجاه
حوران ثم الشام^(٥).

ولم يستطع مروان ان يبقى في دمشق طويلاً
حيث انقسم اهله بين مؤيد ومعارض له فترك
المدينة متجهاً نحو فلسطين ثم مصر. وكانت الشيعة
العباسية تتبعه بقيادة عبد الصمد بن علي عم
الخليفة الذي كان على مقدمته عامر بن اسماعيل
المسلي الموصلية مع كتيبة من الخيالة تسمى
«الموصلية». وقد فاجأ عامر الموصلية مروان الاموي
وهو مختبئ بأحدى الكنائس في بوسير بصعيد
مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠م / ١٣٣ هـ^(٦).
اما ابنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا الى بلاد
النوبة جنوبي مصر.

لقد نهضت الفرسان الموصلية وعلى رأسها
المسلي بدور بارز في انهاء حكم مروان. وقد فتحت
مدينة الموصل، التي امتنعت عن ابواب مروان.
فتحت ابوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن
علي العباسي واستقبلوهم بالتهليل والترحيب ولبس

هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار
العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة،
وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وامواله
وامتنعته^(٧).

ولعل السبب الاول الذي دفع الموصل لهذا
الموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المنحازة
الى القيسية. فقد اعتمد مروان على زعماء القيسية
في المهام الادارية والعسكرية مما اثار عليه الثمانية
ودفعهم للعمل ضده. الا ان كراهية الثمانية لمروان
لا تعني عداؤهم للخلافة الاموية ككل. فال معروف
ان القبائل الثمانية في بلاد الشام كانت الدعامة
القوية للسلطة الاموية عند تأسيسها. فالثانيون في
الشام والجزيرة كانوا يريدون التخلص من مروان
ولا يهدفون الى تقويض الخلافة الاموية. والجدير
 بالذكر ان الثمانية كانوا في تلك الفترة يكونون غالبية
سكان مدينة الموصل ذاتها.

أما السبب الثاني لمعارضة اهل الموصل لسياسة
مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في
اواخر سني خلافته ضد الخوارج. وقد تركت تلك
الحروب وما رافقها من فوضى وعدم استقرار آثارها
السنية سياسياً واقتصادياً على المدينة واهلها الذين
عاشوا في قلق دائم على انفسهم وموارد عيشهم
وتجارهم.

وربما اضفنا سبباً ثالثاً كان له - ولا يزال - دور
فعال في المترك السياسي بين المحاور والتكتلات
المتنافسة على السلطة الا وهو «تبديل الولاء».
فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء
للامويين ادرکوا بأن كيان الامويين اصبح من
الهزلة والتدهور بحيث قويت الاعتقادات بزواله لا
محالة، فكان من المناسب لهم ان لا يؤيدوا سلطة
زائلة ضد سلطة قوية جديدة. وعلى حد قول
احدهم ان دولة الامويين دولة مدبرة بينما امر
العباسيين مقبل يبشر بالخير العميم^(٨) وقد فسر
اصحق العقيلي وهو احد الشخصيات الجزرية

البارزة انهيار الامويين السريع بقوله للمنصور:

«ان امركم جديد والناس بين راج وهاب»^(٩).

كما برز ياد بن صالح الحارثي عدم دفاعه عن الامويين بقوله انه لا يرى لماذا يقف مدافعاً ومعرضاً نفسه للمخاطر من اجل سلطة ضعيفة متهاوية^(١٠)

وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من الجزيرة والشام موضعاً للاضطرابات ومستودعاً للقتل المعادية للعباسيين. ومن اجل الحد من ذلك اتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها: ^(١١)

اولاً- تعيين ولاية قديرين اغلبهم من رجال الدعوة العباسية او من البيت العباسي وارسال كتاب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل وحران او دمشق وغيرها.

ثانياً- محاولة كسب ود القبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع شيوخها واکرامهم وتعيين بعضهم «صحابة» للخليفة في البلاط العباسي. كما حدث مثلاً لاسحق بن مسلم العقيلي.

ثالثاً- قيام الخلفاء العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون بعدة زيارات للتحري عن احوال الاقليم والتعرف على قبائلها.

رابعاً- انشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران وقتسرين. وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافقة لاماكان السيطرة على هذه المنطقة.

ثورة الموصل ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م:

كان محمد بن صول اول وال للعباسيين على الموصل ، ولكنه لم يكن عربياً بل مولى لقبيلة خثعم ولذلك امتنع شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا الاختيار. فالامويون عودهم بان يكون واليهم اما من رجال العرب البارزين او من البيت الاموي. فاستغربوا متسائلين :

أيلي علينا مولى خثعم ١٩٩ (١٢).

ولم يستطع الخليفة ابو العباس ان يعالج الامر بحكمة فعلى الرغم من انه استجاب لرغبة اهل الموصل فعين اخاه يحيى بن محمد العباسي لولاية المدينة فانه أبني ابن صول قائداً عسكرياً لرابطة الموصل.

يقول الازدي^(١٣) : «وكان محمد بن صول والياً قبله (يحيى) عليها فاقام معه ، وقدم الموصل ومعه ١٢ الف فارس وراجل ، بينهم ٤ آلاف من الزنوج^(١٤) ، فنزل قصر الامارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المشقوشة ونهاه عن النزول في نفس المدينة ودخول سورها».

لقد كان ارسال يحيى بن محمد من الاجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لان يحيى لم يكن بالرجل السياسي أو الاداري الكفء ، بل لم يكن معروفاً بالحصافة او الشعور بالمسؤولية ، وتشير رواية تاريخية^(١٥) ان يحيى هذا كان قد هدد اخاه ابراهيم الامام في فترة الدعوة السرية باخبار السلطات الاموية عن التنظيم السري للعباسيين اذا ما طل ابراهيم او تأخر في اعطائه ما يحتاجه من مال. كما وان ابراهيم الامام حذر شيعته من الاتصال بيحيى.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان السماح ببقاء الوالي القديم محمد بن صول قائداً لحماية المدينة ادى الى تعقد الموقف وتطوره نحو الأسوأ. فان ابن صول المتوتر اضمر شعوراً بالكراهية ورغبة في الانتقام من اهل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرض يحيى على اعتقال اوابعاد رجالات الموصل البارزين منهم ايأهم بالولاء للامويين والشغب.

والمعروف ان ابن صول كان قد اعتقل عدداً من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتمادى في ذلك حين حرص الوالي الجديد على اعتقال عدد اخر مما ادى الى حدوث الاضطرابات ، فاستنكر ذلك الوالي

وأمر ابن صول بأن يضع السيف في الناس . فاغتم ابن صول الفرصة الذهبية وقتك بالكثير من اهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها .

لقد حاول المؤرخون الاوائل ان يفسروا اسباب النفور بين الموصل والعباسيين وان يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي اتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الاسباب بما يأتي :

١- عرفت بعض قبائل الموصل بميوها الاموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان البنية على العصية القبلية فانهم ظلوا مواليين للامويين ودولتهم .

وتشير رواية الى ذلك فتقول « سبب قتلهم ميلهم الى بني أمية »^(١٦) . وكذلك « وكان في اهل الموصل اذ ذاك عز ومنعة وكان البلد اموياً »^(١٧) . وفي رواية اخرى « كان اكبر الامر في قتل يحيى بن محمد اهل الموصل ميلهم الى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس »^(١٨)

٢- لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل انها أصبحت رمزاً لمعارضة الامويين في اواخر عهدهم ، وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزاً لحركاتهم سواء آمنوا به ام لم يؤمنوا به . ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بيزعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزاً انبث منه بعض الحركات الخارجية في القرن الاول وبداية الثاني الهجريين . وتصف رواية للبلاذري^(١٩) اهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية :

أما تجار يمتنون البيع والشراء او خوارج ديدنهم التمرد على السلطة او لصوص يسرقون وينهبون . اما التجار فيرغبون بالامن والاستقرار لانها مفتاح انتعاش تجارتهم ، واما الخوارج فيهدفون الى معارضة السلطة بأية وسيلة كانت ، واما اللصوص فلا يتفعون الا بالفوضى وفقدان الامن .

٣- لم يكن من طبيعة القبيلة ان تدعن لسلطة مركزية تقيدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الاسلام بل كانت تظهر بقوة في فترات الازمات الحادة . ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالاً من غيرها بل ربما كانت اعنف من غيرها وخاصة في اواخر العصر الاموي واوائل العصر العباسي ويسمى البلاذري اهل الموصل « خزر العرب »^(٢٠) وذلك لصلابتهم ولبدل على ميلهم للتمرد على السلطة أيا كان نوعها .

٤- ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصلين في بعض الروايات . فقد كان اهل الموصل اهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها ، ولذلك رفضوا ابن صول والياً عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى بن محمد الضعيفة متفesse فأقنعه بتأمرهم على السلطة وميوهم الاموية وقرر يحيى ان « يتغدى بأهل الموصل قبل ان يتعشوا فيه » . وتشير رواية في الازدي ان يحيى العباسي :^(٢١)

« خاف وثوب اهل الموصل به فقال لابن صول : اني لا آمن وثبة اهل الموصل فلو بادرناهم فذاك الصواب فوجه الى وجه منهم على جهة البر والتكرمة فاذا حصلوا في يدك فاقتلهم .

على اننا لا نستطيع ان نجزم بأن سبباً واحداً من هذه الاسباب كان الدافع الاول والاهم الذي عكر صفو العلاقات بين الوالي الجديد واهل الموصل . صحيح ان الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الاولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم انها حاربت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل اهلها جميعاً^(٢٢)

الله» (٢٥) . وما أن دخل الرجال الى المسجد الجامع حتى احاطت الجند بالمسجد وأمر ابن صول بقتلهم . وكان اول من قتل معروف العابد وابنه ثم قتل بعدهما ابان أمام المسجد . وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى ، فتشير رواية للازدي انهم ١١ الفا ممن له خاتم ومن لا خاتم له خلق كثير . ويقول اليعقوبي (٢٦) ان القتلى كانوا ١٨ الفا من صلب العرب غير الموالي والعبيد . ويؤكد ابن الاثير (٢٧) ان الجزيرة شملت كل رجالات اهل الموصل ممن يأخذ العطاء . وتقول بعض الروايات (٢٨) ان الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي . وعلى ذلك فان عدد القتلى يتراوح بين ١٠ - ١٨ الفا على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

وفصل الازدي في احداث الجزيرة ويذكر مشاهير القتلى واشعاراً في رثائهم ويسمي الحادثة باللمحة ليدلل على كثرة القتلى ، كما ينعت القتلى بالشهداء . والجدير بالذكر ان بعضهم اقلت من الجزيرة ثم اعطوا الامان ثانية وغدر بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الازدي ان اغلب القتلى من الثمانية تلك القبائل التي طبعت الموصل بطابعها واثرت في سلوكها السياسي (٢٩) . ويندد الازدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الاعرابي :

«كذب والله من زعم ان هؤلاء مسلمون !!» (٣٠) .

ويروي حوادث مثيرة لاعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية اهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للسلب والنهب والقتل ويشير اليعقوبي الى ذلك بقوله :

«أن . دماء اهالي الموصل اختلطت بنهر دجلة !!!» (٣١) .

ان انتفاضة الموصل التي بدأت سخطاً ضد اجراءات الوالي تطورت الى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصيغة

والمعروف ان المجتمع الموصلية مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها الثمانية ومنها الرعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الآخر ولا شك فان بعضها كان اموياً او خارجياً او عباسياً او حيداً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية ، وهي فترة ترقب تثار فيها الامال والاماني ، لكنها ما لبثت ان ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الاول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيى العباسي اعتقال بعض رجالات الموصل واتفق مع ابن صول على قتل بعضهم من اجل تخويف الآخرين حدث الانفجار المتوقع فكانت ثورة الموصل واصطدم الناس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية الى ان ابن صول «واب الناس بالسيف فحاربوه» (٣٢) .

وعلى الرغم من ان عدداً من المؤرخين يتفقون على ان السبب المباشر للاضطرابات وقتال الشوارع كان اراقة امرأة موصلية ماءً قدراً على جندي خراساني فظن أنها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها ففر الناس من ذلك ، «وجر ذلك الى ما فعل يحيى بن محمد» (٣٤) . فانتا نعتقد بأن الاسباب المباشرة للحروب والانتفاضات غالباً ما تكون على هذا النمط الاعباطي البسيط الا أن الاسباب الحقيقية تكون اعمق من ذلك وتكن في حالة القلق والتأزم وعدم الأطمئنان على المصير التي عاشها اهل الموصل بعد اعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وتأييد من الوالي العباسي . فكان ما فعلته المرأة الموصلية ، ان صحت الرواية ، «القشة التي قصمت ظهر الجمل» .

وقد اتخذ الناس حاراتهم وبيوتهم اماكن يتحصنون فيها في اثناء القتال حتى أمر يحيى العباسي بالامان فودى «من دخل المسجد فهو آمن بامان

الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت بمثابة في غالبيتها. ولعلنا نستطيع القول بان الضرورات السياسية الآتية والامزجة الشخصية للمتفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين كان لها دورها في تقرير موقف هذه القبيلة او تلك من الوالي العباسي او من زعماء الانتفاضة .

ان الذي يؤيد ما ذكرناه من ان الثورة لم يكن لها لون عقائدي او سياسي واضح ما ذكره الخليفة ابو العباس حين سئل عن سبب ما حدث في الموصل فاجاب بانه لا يدري (٣٢) . وبقيت هذه الجزرة لغزاً غامضاً لفترة طويلة حيث تشير رواية الى ان الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل أهل الموصل سنة ٢٨٦هـ ، سنة ٨٩٩ وكان في طريقه الى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك .

على ان الخليفة ابا العباس عزل اخاه يحيى عن ولاية الموصل « لقتله اهلها وسوء اثره فيها » (٣٣) وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء ادارته وادانة له على اعماله . واكد الوالي الجديد اسماعيل ابن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعدا اياهم بحسن السيرة والعدل : « يا اهل الموصل انا ارد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتل يحيى منكم » (٣٤) وكتب الى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابه « ارفق بالناس وتألفهم » ، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيى بل اكتفى بعزله وكذلك ابعد ابن صول (٣٥) .

اما نتائج الجزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تاركين وراءهم عوائلهم ، كما وان « اسواق الموصل لم تعمّر ثلاث سنين بعد قتل اهل الموصل » وفي رواية اخرى « والموصل مضطربة واعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة » (٣٦) وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفها اعادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة منها :

١- توزيع الديارات على عوائل القتلى ، وفي هذا الاجراء اعتراف واضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلماً وعدواناً وعلى غير وجه شرعي .

٢- اقطع الخليفة ابو العباس عدداً من مشايخ الموصل اقطاعات ، اعترافاً من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتله ، وفي رواية « ان وائل بن الشحاج واخوته قد صعدوا مع عبدالله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ هـ . » . وحين وصل مروان بوسير « تبعه الحارثي اسماعيل وشعبة بن كثير المازني ومعها خيل اهل الموصل فقتلوه بها » . كما قام المنصور باقطاع وائل بقية القطعية . ويذكر الازدي نص الكتاب الذي اصدره الخليفة في هذا الشأن (٣٧) .

٣- زار ابو جعفر (المنصور) والي الجزيرة ، وكانت الموصل تابعة لها ، مدينة الموصل ، وبق بها وانحدر الى الهاشمية ليلتقي بالخليفة الي العباس .

٤- قام الوالي الجديد باستئصال ما بقي من الامويين ، حيث قتل زعيمهم يحيى بن الحر ابن يوسف بن الحكم الذي كان لا يزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية ، وعلى الرغم من ان ابا جعفر والي الجزيرة امر ابنه المهدي برد ضياعهم اليهم الا ان الظاهر ان المهدي عوضهم . عن اغلبها بغطايا تجري عليهم سنوياً .

ولا تشير مصادرنا الى سبب قتل يحيى بن الحر او مصادرة ضياع الامويين ولعل هذا الاجراء كان من جملة الاجراءات التي اتبعتها السلطة لتشتيت الامويين (٣٨) او ربما كان ليحيى بن الحر يد في ما حدث من اضطرابات .

لقد بقي اسماعيل بن علي واليا على الموصل حتى سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ م وحاول ان يحسن

تعيينه ان المنصور سأله عن ظهور القحطاني؟
(المنقذ الثاني المنتظر) فقال القسري قد ظهر «وأنه
المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن
اختنا» وقد اعجب المنصور بقوله وعقد له على
الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨م^(٤٣).

الموصل واحزاب المعارضة :

ممكنا تصنيف الفئات الرئيسة التي عارضت
العباسيين في هذه الفترة الى ثلاث : الخوارج
والامويين والعلويين.

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة
الى العباسيين. فالعباسيون في نظر الخوارج
كلامويين مغتصبون للخلافة التي يجب ان تكون
ذات صبغة انتخابية يتقلدها أجدر المسلمين. ولقد
حقق الخوارج في اواخر العصر الاموي نجاحات
مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن
من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

واكثر ما يلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في
القرنين الاول والثاني للهجرة انتشار المذهب
الخارجي الداعي الى الثورة على كل سلطان لا
يدين بعقيدته، وكانت اهم القبائل المستوطنة حول
الموصل عدداً وشكيلة هي قبيلة بني شيان.
ويظهر من مصادرنا التاريخية^(٤٤) ان الحركة
الخارجية تبدأ في اطراف الموصل ثم لا تلبث ان
ترحف نحو المدينة، ويعتصم الخوارج في داخلها
تساندهم بعض القبائل والفئات المستاءة من
العباسيين. ولعل حركات ملبد بن حرملة وعبد
السلام اليشكري والصحصح الخارجي خير امثلة
على ذلك .

على ان ذلك لم يمنع ان تكون الموصل
نفسها^(٤٥) المركز الذي بدأت منه بعض الحركات
الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وباسين
القيمي وحزمة الخارجي ومهدي بن علوان
الشاري . وفي محاولة لاقرار الامن في هذه المنطقة

احوال المدينة ولكن آثار التدهور لم تمنح بسرعة
حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦ هـ / سنة ٧٥٣ م
اي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر
الموصل لايزال «على ماذكر من الاختلاف
والاضطراب»^(٤٦).

ويظهر ان الموصل قد اعجبت الوالي اسماعيل
ابن علي فعزم على الاستقرار بها وكان مصلحاً حسن
السيرة مع اهلها حيث تشير رواية أن «الموصل به
مقبلة». وحين عزله المنصور رفض الامر وكان قائد
الحامية ابن مشكان انحاز الى الوالي الجديد مالك
ابن الهيثم الخزاعي بعد ان وصلت اليه رسالة من
المنصور يقول له فيها «ان كنت سامعاً مطيعاً فسر الى
مالك بن الهيثم». ويمتدح الازدلي الوالي الجديد
فكان «خير أمير وانصفه وكان احد ثقاء بني
العباس ورعاتهم» وكانت «سيرته جميلة واحوال
الموصل مستقيمة»^(٤٧). وقد أعطى عصبان
اسماعيل العباسي في الموصل عظة وتجربة للخليفة
فكان حذراً في التعامل مع والي الموصل الذي كان
باستطاعته دائماً ان يعتمد على اهل الموصل ضد
السلطة العباسية. فحين أراد عزل موسى بن
مصعب سنة ١٥٨ / ٧٧٤ - ٧٧٥ عن ولاية
الموصل ارسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن
برمك متظاهراً بالذهاب الى الرقة عن طريق الموصل
محملاً اياه اوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على
الموقف حال وصوله المدينة^(٤٨). وكان المنصور
يختار ولاية الموصل بدقة وغالباً ما كانوا من العباسيين
او من الشيعة العباسية الثقات. فقد اختار ابنه جعفر
للولاية سنة ١٤٥ - سنة ١٤٧ هـ / ٧٦١ - ٧٦٤ م
ثم عين خالد البرمكي والياً على الموصل لأول مرة
سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م وذلك «لانتفاض الموصل
واتنشار الاكراد بها»^(٤٩)، وهؤلاء الاكراد نزحوا
اليها من الجبال القريبة. وكان اسماعيل بن عبدالله
القسري البجلي الوالي الوحيد من اهل الموصل
الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب

عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢م قائداً لحامية الموصل ، ووبرر الازدي كثرة الجند في الموصل فيقول «وكان حرب الراوندي في رابطة في الفين لمكان الخوارج»^(٤٦) ، كما وان السلطة المركزية كانت تعين على الموصل والياً للصلاة والمعونة والخراج ان ضم اليه وصاحب رابطة يتفرغ لحرب الخوارج مما يدل على اهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للامور العسكرية وامور الامن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيذ عدة مرات اهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على انفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من امثال أبي حنيفة وابن ابي ليلى وابن شبرمة وأبي يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خططهم .. وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيد سنة ١٨١ هـ / سنة ٧٩٧م وكى لا يتمكن الخوارج من الاعتصام بها^(٤٧) خاصة بعد حركة الوليد بن طريف الشاري الذي ثار سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤م وهزم الجيش العباسي في معركة نصيبين واخذ بحجوب الجزيرة واذريجان وارمينية حتى استطاع القائد يزيد بن مزيد الشيباني ان يراوغه ويقتله في هيت .

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية^(٤٨) سنة ١٧٥ هـ / سنة ٧٩١م «وفيها كسر خراج الموصل» . وقد امتنع اهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيد الى ارسال يحيى بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الغلة وقدرها سبعة دراهم ونصف لجريب الحنطة وخمسة دراهم لثلثه من الشعير . ويظهر ان بعض الفلاحين كانوا يتخذون هجمات الخوارج عذراً يبررون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجين بان هجوم الخوارج قد دمر المحاصيل^(٤٩) .

ولم يكن الخوارج وحدهم ينهاون الحاصل او يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الازدي^(٥٠) سنة ١٧٧ هـ / سنة ٧٩٣م وهو من فرسان أهل الموصل وقد جمع الصعاليك وجبي الخراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠ هـ / سنة ٧٩٦م قرر العطاف ان يمكن له ولكن شيوخ الموصل وصلحاءها ناشدوه ان يدع ذلك وان ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف الى ارمينية .

ولقد تصسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحيى بن سعيد الحارثي^(٥١) أهل الموصل بخراج سنتين مضتتا سنة ١٨١ هـ . وفي سنة ١٩٣ هـ / سنة ٨٠٨م شدد الحسن بن صالح المهداني على الاعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الزكاة) ولاحق قبيلة عترة الرعية فاجتمع مع عترة بنو شيبان وكنموه اللوالي وقتلوه^(٥٢) . والمعروف عن ربيعة انها كانت اكثر القبائل تمرداً واشغلاً لوالي الموصل . ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل ادت الى ثارات بين المعن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد انكسر الحلف الثماني - الربيعي القديم .

على ان الولي لم يكن دائماً يرسل ربع الموصل الى بغداد بل يحتفظ به او يجزه منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا ما فعله موسى بن مصعب سنة ١٥٧ هـ فقد اجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لان (البلد كثير الخوارج واعددتها للرجال متى احتجت الى محاربة خارجي...»^(٥٣) .

ولعلنا بعد ذلك نخلص الى القول بان الحركة الخارجية اشاعت عدم الاستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة الفراتية عامة وشغلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات . وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الاقاليم

الشرقية ، تتسم بسمة العروبة سواء على الصعيد الفكري او التنظيمي . بل ان العصبية القبلية ظلت تتحكم فيهم في هذا الاقليم . كما لعبت « النخوة » دورها حيث كان خواجه الجزيرة الفراتية يحقن لنجدة اخوانهم في المذهب ابنا ثاروا .

ورغم ان احد الاسباب التي اعطاها المؤرخون لجزيرة الموصل سنة ١٣٣ هـ هي ميولها للامويين فلم تحدث في الواقع حركة ذات صبغة اموية في الموصل خلال العصر العباسي الاول . على ان انصار الامويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية تجمعوا حول اسحق بن مسلم العقيلي واخيه بكار واما من قادة مروان الاخير وقد اعلن اسحق العقيلي ثورته في الجزيرة واتخذ حميساط والرها مراكز له . كما انضم اليه احد الامراء الامويين محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

ولكن الحركة الموالية للامويين في الجزيرة عموماً لم تكن منظمة ، حيث تشير رواية تاريخية « وأمرهم مشنت وليس عليهم رأس يجمعهم »^(٥٤) . وقد طلب اسحق العقيلي نفسه الامان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقره المنصور وجعله من صحابته في البلاط . وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر احد الموالين لبني امية في الموصل يعود الى انه نقطة التقاء لانصار الامويين وشيعتهم وللعناصر المناوئة للدولة العباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥٠ م^(٥٥) .

ولم يعرف عن الموصل ميلها الى العلويين فقد وصفت بكونها اموية خارجية كما شارك اهل الموصل بحركات قبلية ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة . وفي رواية تاريخية ان ابراهيم بن عبدالله ابن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤ هـ سنة ٧٦١ م متخفياً من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الاعوان من شيعة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين .

ويظهر ان قبائل الجزيرة لم تستغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شيت العقيلي احد شيوخ القبائل الجزيرة الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه ان يبيع خليفه علوياً فرفض ذلك^(٥٦) .

الموصل والنمرات القبلية :

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة اما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جراح هذه النمرات . واما في احيان اخرى بتحريض من السلطة المركزية او والي المدينة الذي يحامي قبيلة على قبيلة اخرى . فقد تدمرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فضل المضرة (القيسية) على اللجانية . وحين جاء العباسيون قربوا اللجانية وفضلوهم في الوظائف الادارية والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديدة هذه بسبب مساندة اللجانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكا من العباسيين بأن القبائل اللجانية هي الغالبة على الموصل ، فتؤكد رواية^(٥٧) ان « اللجانية في البلد اظهر من التزارية » وان « اللجانية هم المتغلبون على الموصل » :

ولعل ما ذكرناه آنفا من ازدياد العصبية في اثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحاً في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الرعية والمضرة واستعانت رعية لا بالجن^(٥٨) بل بقبائل رعية من اقالم اخرى . وفي سنة ١٩٨ هـ سنة ٨١٣ م حدثت وقعة « الميدان » بين التزارية واللجانية حيث ادعى التزارية بأن اللجانية « يتهمونهم ويتقصون حقوقهم »^(٥٩) وتزعهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ الفا . ولكن اللجانية بقيادة علي بن الحسن الهمداني استطاعت ان تهزم التزارية رغم العون الذي جاءهم .

ولا شك ان الخلافة العباسية كانت تعمل من اجل كسر الاحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشجيتها فقلما نجح المنصور في كسر التحالف اللجاني - الرعي

في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لثلاث تكون هذه التحالفات خطراً على الدولة من جهة ويكون بالامكان السيطرة على المناطق ذات التزعة القبلية الحادة .

لقد كان لاهل الموصل رأي في اختيار واليهم فلم يرضوا بمحمد بن صول والياً وثاروا على سياسة يحيى ابن محمد العباسي ، واجبروا ابراهيم ابن العباس سنة ١٩٥ هـ / سنة ٨١٠ - ٨١١ م على التنحي عن الولاية ، ورفض اهل الموصل ولاية الحسن بن محمد التغلبي سنة ١٩٧ هـ وقالوا : « لا يلينا ريعي » . وفي عهد المعتمد انتفض اهل الموصل وطردوا واليهم سنة ٢٥٩ هـ وعينوا بدله من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م^(٦٠) وتشير رواية في الازدي : « ولما ضعف أمر السلطان وقتل الحماية اجتمع اهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني ليشرف على أمر البلد ويحوط اطرافه »^(٦١) .

والواضح ان أمر السيطرة على الموصل أصبح بين سنة ١٩٥ هـ - سنة ٢٠٢ هـ في يد بني الحسن الهمدانيين فعلياً اما الوالي الذي تعينه السلطة العباسية فكان لا يدخل المدينة الا اذا حظي برضا بني الحسن الهمداني ولذلك كان من الطبيعي ان يحسب حسابهم في كل عمل يقوم به او حكم يصدره والى ذلك تشير الرواية : « وكان الوالي من ولادة السلطان يلي منذ هذا الوقت الى انقضاء ايام بني الحسن فاذا رضوه ادخلوه وهم الغالبون على الامر... »^(٦٢) ولذلك امتنع علي بن الحسن الهمداني عن الاعتراف بولاية الحسن التغلبي سنة ١٩٧ هـ الذي ارسله الامين ، وحين راسلهم طاهر ابن الحسين سنة ١٩٨ هـ مال اليهم بالثمانية .

ولكن الثمانية انشقوا على انفسهم بالموصل واحتدم الصراع على السلطة بين علي الهمداني والسيد بن انس الازدي وهزم الهمداني مما اضطره

الى الاستعانة بمهدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يفده حيث تغلب عليه ابن انس ثانية وقتله . وقد برر ابن انس قتله للهمدانيين واستيلائه على الموصل حين قابل المأمون سنة ٢٠٤ هـ سنة ٨٠٩ م قائلاً :

« ادخلوا الخارجي مدينتك واعلوه على منبرك وابطلوا دعوتك »^(٦٣) وهكذا ضرب ابن انس على وتر حساس فاقره المأمون على الموصل ولم يكن اجراء الخليفة هذا الا اعترافاً بأمراً واقع . وبقي ابن انس والياً على الموصل حتى مقتله في معركة مع الناصر زريق بن علي صدقة الموصل سنة ٢١٢ هـ سنة ٨٢٧ م .

سياسة العباسيين الادارية :

ورث العباسيون التراث الاداري الاموي فطوروه حسب الظروف الجديدة . فقد مال العباسيون الى المركزية الادارية بدل اللامركزية الاموية ... حيث أوجدوا نظام الوزارة واستحدثوا دواوين جديدة فضلاً عن الدواوين الاموية كما انشأوا دواوين تشرف على أعمال وسجلات دواوين اخرى وتفتشها .

وغدا الوالي في العصر العباسي يحف نفسه بعدد اكبر من العلماء والقضاة ورجال الفكر يستعين بهم في ادارة اقليمه ويضفي على منصبه سمة من الوقار والهيبة .

وربما استفاد العباسيون من التقاليد الاجنبية السابقة ولكن التأثير كان محدوداً في نطاق ضيق يخص البلاط والمراسم الرسمية ولهذا فليس هناك حاجة الى المبالغة في الاثر الاجنبي على التنظيم الاداري العباسي . ويؤكد كرسنسن بأن الانظمة الادارية العباسية تختلف عن انظمة الساسانيين وانها في حقيقتها انظمة ادارية أموية تمت وتطورت وفق سنة التطور وتأثير الاوضاع الجديدة . ولعل اهم دليل على ذلك امتداح خلفاء بني العباس الادارة

والسجلات والدواوين الاموية في اكثر من مناسبة^(٦٤).

لقد انتظمت ادارة الدولة منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي عُرف بمحنكته السياسية وكفاءته الادارية وكان يراقب ولائه وعماله عن كثب دون ان يترك في ذلك صغيرة او كبيرة.. وفي عهد المهدي انتعشت الادارة وانتظمت مراقبة الدولة للدواوين. ففي سنة ١٦٢ هـ / سنة ٧٧٨ م على ما يذكر الجهشيارى احدثت دواوين الأئمة ومهمتها الاشراف الاداري والتفتيش على اعمال الدواوين المركزية في العاصمة. وخطا المهدي خطوة اخرى باتجاه المركزية حيث اصدر امراً أخر بإنشاء ديوان جديد مهمته الاشراف على دواوين الأئمة سنة ١٦٨ هـ / سنة ٧٨٤ م وسمي الديوان (زمام الأئمة)^(٦٥).

وكانت تظهر بين حين وآخر دواوين جديدة لاغراض وقتية وتلغى بعد نفاذ الحاجة اليها. ويبدو ان تعقد الادارة ادى الى نوع من الاختصاص بين كتّاب الدواوين. وكان الخليفة او وزيره يختار صاحب الديوان. كما كان الخليفة يختار العمال على اقاليم الدولة او ولاياتها. ولم يكن للولاة او العمال سلطة كبيرة في صدر الدولة العباسية وانما كان عليهم الرجوع الى الخليفة في كثير من الامور الادارية والسياسية. وقد جرت العادة ان يوكل الخلفاء الولايات المهمة مثل خراسان والحجاز والموصل او الولايات الحساسة افراداً من البيت العباسي او شخصيات من رجال الدعوة العباسية او القادة الكبار. وكان الخليفة يناوب الولاة ولا يبقى والياً مدة طويلة في اقليمه. وجرت العادة ان يطلب الخليفة في الصدر الاول من الوالي بياناً مفصلاً عن حالة الولاية وخاصة الموارد المالية والوضع السياسي بعد انتهاء مدة ولايته.

لقد كانت العادة خلال العصر العباسي الاول ان تجمع كل من الموصل واذربيجان وأرمينية لوالي

الجزيرة القراتية... والواقع ان هذا التقليد لم يكن عباسياً بل كان الامويون أول من طبقوه. الا ان هذا لا يعني بأن الموصل كانت تابعة على الدوام لوالي الجزيرة بل ان ولايتها كانوا يعيّنون احياناً من قبل الخليفة نفسه. ومرة ثانية فإن هذا التقليد أيضاً لم يكن عباسياً بل استحدثه الامويون منذ عهد عبد الملك بن مروان. وتشير رواية في ياقوت الحموي الى ان مروان بن محمد كان أول من عظم الموصل وألحقها بالامصار وجعل لها ديواناً ونصب عليها جسراً.

ومن أعمال الموصل الادارية خلال تلك الفترة شهرزور، والصامغان، ودراباذ، والكرخ، ودقوقا، وخانجار، والطبرهان، والعمرانية، وتكريت، والسن، وياجرمي وقردي. على ان هذه التقسيمات كانت تتغير من وقت لآخر فقد بقيت شهرزور واعمالها ضمن اقليم الموصل حتى فرقت آخر خلافة الرشيد مثلاً^(٦٦).

ومن التقاليد الادارية العباسية التي تجلب الملاحظة تلك الزيارات المتعددة التي قام بها الخلفاء العباسيون الاوائل للموصل واعمالها للتعرف على المنطقة عن كثب ودراسة احتياجات سكانها واطلاعها الادارية والسياسية إذ كان الامير عبدالله ابن محمد (ابو جعفر المنصور فيما بعد) والياً على الجزيرة والموصل في عهد اخيه ابي العباس. وقد زار المنصور الموصل او اعمالها عدة مرات لعل من بينها سنة ١٤١ هـ / سنة ٧٥٨ م وسنة ١٤٥ هـ / سنة ٧٦٢ م وسنة ١٤٩ هـ / سنة ٧٦٦ م وسنة ١٥٠ هـ / سنة ٧٦٧ م.

وفي سنة ١٥١ هـ / سنة ٧٦٨ م زار المنصور الموصل واطهر عدم رضاه من قاضي الموصل الحارث ابن الجارود وأمر بضربه عدة سياط في مدينة السن جنوبي الموصل.

وزار المهدي العباسي الموصل سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م ونزل بقصر أخيه جعفر. واراد

الهادي زيارة الموصل سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م فوصل حديثة الموصل وسمع بمحركة الحسين الحسني بالحجاز فرجع مسرعاً الى بغداد. وتكررت زيارات هارون الرشيد الى الموصل وأعمالها فقد زارها سنة ١٧٤ هـ / سنة ٧٩٠ م وبني قصراً في باقردي شمالي المدينة. ثم زار المدينة سنة ١٨٠ هـ / سنة ٧٩٦ م وأمر بهدم سورها بسبب كثرة الخوارج والمتعديين في الاقليم واحتمائهم بسورها. وقد تابع الخلف من خلفاء بني العباس سلفهم في هذه الزيارات المتكررة للموصل والجزيرة الفراتية عامة وحققوا فيها فوائد سياسية وادارية جمّة.

ولعل من التقاليد الادارية الاموية - العباسية خلال الفترة موضوعة البحث والتي تجلب انتباه الباحث هو الاهتمام الكبير بالادارة المركزية بالموصل وذلك من خلال تقليد ولايتها اما للأمير من البيت العباسي او لشخصية سياسية او عسكرية مهمة ومعروفة ومقرّبة من الخليفة العباسي. ويبدو ذلك واضحاً من خلال تصفح قائمة الولاة العباسيين خلال العصر العباسي الأول. ولعل السبب في ذلك يعود الى موقعها الاستراتيجي المهم بين سواد العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام والثغور حيث الحدود الاسلامية - البيزنطية. وكذلك كثرة الحركات المناهضة للادارة المركزية فيها من خوارج وأعراب واكراد وانصار الأمويين.

إنّ المعلومات المتوافرة لدينا عن ولاة الموصل واعمالهم^(٦٧) جيدة بفضل روايات الطبري والازدي وابن الاثير. ويبدو أنّ والي الموصل كان يشرف كذلك على الخراج والمعونة أحياناً حيث يقول الازدي^(٦٨)

«وكان رسم الموصل ان يكون الوالي مفرداً بالصلاة والمعونة والخراج إن ضم اليه وصاحب الرابطة متبلاً لحرب الخوارج ويد الوالي فيما قيل عليه».

ولكن جباية الخراج استندت أحياناً الى قاضي الموصل كما حدث سنة ١٤٧ هـ / سنة ٧٦٤ م على عهد المنصور.

ولعل من أبرز الولاة الذين شهدهم هذا العصر اسماعيل بن علي عم الخليفة ابي العباس الذي اعقب في ولاية الموصل يحيى بن محمد (اخيه الخليفة). وكان من مهامه الرئيسية الرق بالناس وتألفهم حسب وصية الخليفة نفسه الذي لم يكن راضياً عن اجراءات اخيه الوالي السابق تجاه أهل الموصل.

وقد اشار اسماعيل بن علي الى هذا في كلامه مع أهل الموصل حيث قال «سأرد المظالم عليكم وأحسن السيرة فيكم». وقد قام الوالي الجديد بجملة اصلاحات واتخذ عدداً من الاجراءات المناسبة لدفع ديّات القتل الذين قتلهم الوالي السابق. وأصلح المسجد الجامع بالموصل وازال الاسواق المحيطة به. ونقل مقبرة المدينة الى الصحراء على مسافة من الدور. ثم شيّد مسجداً جديدة سمي بمسجد ابي حنبل في منطقة تتوسط الاسواق. وبني فندقاً جديداً لاقامة الغرباء من تجار وغيرهم وجهزه بالمرافق والخدمات لتيسير الراحة. ويبدو ان هذه الخدمات تطلبت كل واردات الموصل ولهذا فإن الوالي لم يرسل الى بيت المال بالعاصمة شيئاً^(٦٩) ولاشك فإن الاستقرار والانتعاش وال عمران شجع اهل الموصل وغيرهم ممن هجرها في العهد السابق على العودة الى المدينة فأنتعشت التجارة وازدهر الاقتصاد ولهذا يقول الازدي بأن «الموصل به مقبلة».. على الرغم من ان التحسن كان تدريجياً وبطيئاً.

لقد كان الولاة العباسيون الذين تتابعوا على الموصل بعد اسماعيل بن علي موضع ثقة الخليفة المنصور فاللك بن الهيثم الخزاعي من نقباء الدعوة العباسية الاوائل وجعفر بن المنصور (ابن الخليفة)

وخالد بن برمك من موالي الدولة العباسية. فقد كان لهم هبة في صدور اهل الموصل ولذلك استقرت الأوضاع في البلد. ويعلق العمري^(٧٠) في منية الادباء مفسراً استقرار الاوضاع النسبي الى خوف اهل الموصل من تكرار ما وقع لهم من قبل مع الولاة الاوائل امثال محمد بن صول ويحيى بن محمد العباسي.

لقد عزل المنصور خالد بن برمك بسبب سوء الاستغلال المالي والفساد في جمع الضريبة سنة ١٤٨ هـ وعين اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي وأمره الخليفة بمقابلة الكتاب والنساطرة الذين تصرفوا في الجباية بوجه غير شرعي. والمعروف تاريخياً ان الخليفة المنصور كان لا يتساهل في الامور المالية والاقتصادية التي تخص واردات بيت المال فكان يتابع واردات كل ولاية بدقة كبيرة ويستعمل الشدة على أهل الخيانة والرشوة والاختلاس من أموال الدولة والتنكيل بهم. على ان نسبة كبيرة من واردات الموصل كانت تصرف على الخدمات الخاصة بالولاية كالبناء وإصلاح طرق الجيش والصدقات الخاصة بالفقراء وغيرها. كما وان واردات الموصل كانت تصرف احياناً على تعبئة الجيش لقمع الحركات المناهضة المحلية امثال حركات الخوارج والبدو والاكرد والاضطرابات الاخرى. وفي الموصل كثير من الاماكن الدينية التي يكثر فيها الزهاد وأهل العلم والتقوى وكان على الوالي ان يقد نسبة من واردات الخزينة لتوزيعها عليهم. فقد كان الوالي عبدالله بن صالح من المهتمين بذلك ولذا قال عنه الازدي: «كان معظماً لأهل السنن مائلاً لأهل الصلاح». واخيراً وليس آخراً فإن قرب الموصل من الثغور يحملها مسؤولية إضافية في تجهيز الجيش وتسييره للدفاع او الهجوم ضد العدو البيزنطي.

وتجاه هذه المسؤوليات والمطالب فإن الروايات

التاريخية تشير الى استعمال بعض الولاة لأسلوب الشدة في جمع الضرائب في بعض المواسم أمثال موسى بن كعب التيمسي وهاشم بن سعيد في عهد المنصور والهادي على التوالي وكذلك يحيى بن سعيد الحارثي في عهد الرشيد^(٧١).

وكان لعبد الملك بن صالح العباسي اثر حميد في مدة ولايته في عهدي الهادي والرشيد فقد أطاعه الناس وهابوه ولم يتأخروا في اتخاذ اشد الاجراءات من اجل استتباب الأمن والنظام كما وانه اشتهر بالعمران حيث بنى قرية قرب الرها عرفت باسمه (الصالحية) وتوافدت عليه وفود من الروم.

وقد كان لا بد لولاة الموصل ان يتأثروا بالتكتلات القبلية في منطقتهم فليس كل الولاة مثل عبد الملك بن صالح الذي كان فوق التكتلات والاحلاف القبلية. ومع ان الخلافة العباسية المركزية حاولت بصورة عامة اضعاف التكتلات القبلية واخذ نعراتها، الا ان الولاة كانوا يلجأون الى العصبية لحفظ التوازن في الموصل او اقليم الجزيرة عامة، كما حدث ليزيد بن مزيد الشيباني والي الموصل في عهد الرشيد الذي استطاع ان يكسب حاتم بن صالح الهمداني والتمانية ويحمله الى الطاعة والولاء مما لم يستطع ان يحققه جيشان من جيوش العباسيين قبل ذلك.

لقد بدأت قوة الهمدانيين بالتقو منذ عهد الرشيد الا انهم سيطروا فعلياً على الموصل واعمالها ابتداءً من عهد الأمين حيث انضم الى علي بن الحسن الهمداني عدة من القبائل مثل بني الحارث بن كعب وأزد الموصل وبقية قبائل النج بالموصل. واستطاع أن يقهر قبائل عزة وبني شيبان ويعود الى الموصل منتصراً وكان ذلك سبب رئاسته مع انه لم يكن والياً رسمياً من الخلافة الا ان الولاة كانوا يأتمرون بأمره من الادارة، فكان كما يقول الازدي «هو الغالب على الأمر». وما لا شك فيه فإن

اوضاع الحرب الاهلية والصراع الدامي بين الخليفة الامين وأخيه المأمون قد انعكست بصورة حالة من الفوضى والتسيب ليس على اوضاع الموصل السياسية والادارية فحسب بل على كل اقاليم الخلافة .

الا ان الثمانية لم يستمروا متحدين فقد انشق الازد عن همدان حين حاول علي بن الحسن الهمداني اخراجهم من الموصل واستفحل الصراع وكانت الغلبة لهمدان حتى برز بين الازد رجل يدعى السيد ابن أنس الذي جمع الأزد وقادهم الى النصر على همدان وطرد علي بن الحسن عن الموصل واستقر متغلباً عليها «يجبي المال ويعطي الرجال ويحمي البلد ان قدم المأمون بغداد من خراسان فأتمعد اليه» . فأقره المأمون رسمياً على الموصل وقد اجتمع اليه وتحت قيادته رجال الموصل ومقاتلتها . وقد كان ابن أنس مثلاً للرجل الاداري الحازم الكفء حيث استتب في عهده الأمن والنظام وانتظمت طرق الجباية وقاتل الخوارج وحُصِّن الموصل لدرء خطرهم . وكان اخلاصه للخلافة وولاؤه الكبير لها قد جعله يجدي في حربه للخوارج حتى قتل في احدي معاركه ضدهم (٧٢) .

ولقد تعاون محمد بن السيد بن أنس وكل اتباع السيد مع الوالي العباسي الجديد محمد بن حميد الطوسي للقضاء على خطر الخوارج واستقرار الاحوال بالموصل . وقد تحقق هذا الهدف بالفعل نتيجة جهود محمد بن السيد وفرسانه حيث طلب زريق بن علي الخارجي الأمان واستسلم للوالي العباسي في الموصل .

إن زوال الخطر عن الموصل أدى الى ازدهارها خاصة وأن ولايتها اهتموا بأمر الخدمات فيها بأن عمروا المرافق وحفروا القنوات التي تمر بها المياه ولم يدخروا وسعاً في إعمارها ، نذكر منهم هارون بن ابي خالد ومالك بن طوق في أواخر عهد المأمون العباسي .

ولم تشهد الموصل خطراً جديداً حتى سنة ٢٢٤ هـ / سنة ٨٣٨ م حين تحرك أحد مقدمي الاكراد جعفر بن فهرجس في أعمال الموصل وجنى الاموال لنفسه فسار اليه عبدالله بن أنس وقائله فأرّدت الى جبل داسن . ثم ارسلت الخلافة العباسية جيشاً بقيادة ايتاخ التركي قفضى على تمرده سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م وتفرق اتباعه في الجبل وكان ذلك في خلافة المعتصم .

وبعد حوالي ربع قرن اضطربت الادارة في الموصل حين تمرد مساور بن عبد الحميد البجلي الموصل و دعا الى مذهب الخوارج سنة ٢٥٢ هـ بعد ان كان من أعوان السلطة ومسؤولاً عن شرطة الموصل على منطقة بني عمران . ويبدو ان تمرده يعود الى نزاع شخصي استفحل بعد ذلك حيث أنضم اليه الاعراب والاكراد وبعض أهل الموصل . وقد حاول مساور البجلي السيطرة على الموصل دون جدوى ... ومع انه استطاع دخولها في مرة من المرات ولكنه كان يخشى أهلها ولهذا انتقل منها الى حديثة الموصل واستقر بها (٧٣) .

وكانت الفوضى السياسية في سامراء، وتغلب القادة العسكريين الاتراك في الحكومة المركزية ، تنعكس نتائجها السلبية على الادارة في الاقاليم وبخاصة الموصل القريبة من المركز . ولهذا نلاحظ أن تمرد مساور البجلي يطول ويستمر ثماني سنوات حتى سنة ٢٥٩ هـ / سنة ٨٧٢ م دون ان تتمكن حكومة سامراء من القضاء عليه . وفي تلك السنة أرسل المعتصم جيشاً بقيادة اذكوكتكين حيث تمكن من طرد مساور وخواجه عنها . ولكن الأمير التركي الجديد لم يحسن السيرة وأثار جنده الناس لأسباب عدة منها التشدد في جباية الخراج والعبث بالاموال والتجروء على الاعراض فانتفضوا عليه سنة ٢٥٩ هـ واخرجوه من المدينة واجتمعوا على تعيين يحيى بن سلمان وهو أحد أعيان المدينة أميراً عليهم واستمروا كذلك حتى سنة ٢٦١ هـ / سنة ٨٧٤ م .

ولم تفلح كل محاولات الحكومة المركزية في استئثار النعرات القبلية في كسر انتفاضة اهل الموصل على الامير التركي اذ كونتكن وجنده الحفاة غير المتمندين ، ولذلك عزل الخليفة المعتمد الامير التركي وعين ابنه وولي عهده على الجزيرة والموصل وأرمينية وغيرها ، فاستعمل على الموصل أحد أهاليها الخضر بن أحمد التغلبي الذي أحسن الادارة وأزال أسباب الاستياء .

وهكذا يبدو ان اهل الموصل تمسكوا بشدة بمبدأ قرره الرسول ﷺ وسار عليه عمر بن الخطاب (رض) وبعض خلفاء الدولة العربية الاسلامية من بعده وهو الأخذ برأي الرعية في تعيين واليهم . فاعترضوا على الوالي الذي لا يرتضونه وتشبثوا برأيهم وقد حدث ذلك عدة مرات خلال العصر العباسي الأول . على أنَّ أهل الموصل لم يستطيعوا دوماً اقرار رغبتهم على ارض الواقع السياسي المضطرب حيث قاست الموصل الكثير من العنت بسبب الحرب بين الخلافة العباسية الضعيفة والامارة الطولونية التي بدأت في مصر ثم امتد سلطانها الى بلاد الشام والجزيرة الفراتية خلال هذه الفترة . وقد تداولت إدارة الموصل عدة من الايدي ، فمرة تكون بيد الامير التركي اسحق بن كنداجق سنة ٢٦٧ هـ / سنة ٨٨٠ م ومرة أخرى بيد محمد بن أبي الساج الموالي لخمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٢٧٥ هـ / سنة ٨٨٨ م ومرة تهددها الخوارج الشراة من اتباع محمد بن خرزاز الكردي او هارون البجلي .. وأخرى تهددها غارات الاعراب من بني شيبان .

وكان اهل الموصل قد طردوا محمد بن اسحق بن كنداجق عن ولاية المدينة وسيطر عليها أعباها وكان يدافع عنها المتطوعة من رجالاتها بقيادة حمدان بن حمدون التغلبي والمعروف أنَّ بني حمدان بدأوا خلال هذه الفترة المتأخرة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بالظهور على

المسرح السياسي في الموصل وأعياها حتى قدَّر لهم ان يسيطروا على أمورها بعد ذلك بقليل . وقد راسل أهل الموصل الخلافة مطالبين باقصاء بني كنداجق وقد لبث الخلافة مطالبهم وعينت محمد بن يحيى المجروح اميراً عليهم .

ولكن الوضع الاداري والسياسي لم يتحسن مما اضطر الخليفة المعتضد الى السير الى الموصل سنة ٢٨٠ هـ / سنة ٨٩٣ م حيث كبح جماح البدو وخاصة بني شيبان حتى طلبوا منه الأمان . ثم عاد ثانية الى الموصل سنة ٢٨١ هـ / سنة ٨٩٤ م وأرسل من هناك جيشاً بقيادة وصيف ونصر القشوري لمحاربة حمدان بن حمدون الذي عصى وتحصن في مارددين حتى اضطره الى طلب الأمان^(٧٦) . ويبدو أنَّ المعتضد وهو مقيم بالموصل قد أطلع على احوال الفلاحين والمزارعين الذين اشتكوا اليه من تقدم موسم جباية المحصول ورجوه تأخيرته فأمر المعتضد بالكتابة الى كافة الأقاليم « بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي وتأخير ذلك الى الحادي عشر من حزيران وسماء النيروز المعتضدي .. وأراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم » .

وعين المعتضد نصر القشوري على الموصل لجباية الاموال وتعيين العمال . فكتب نصر الى هارون البجلي الخارجي يتهدده ويوعده ، فأجابه هارون كتاباً بكتاب . الا أنَّ قوة دولة المعتضد وإقبالها جعل العديد من اتباع الخوارج والاعراب والاكرد يطالبون بالأمان والعفو ولهذا لم يعد هارون البجلي قوة يهدد بها أمن الموصل وأعياها ... حيث ألقى القبض عليه في إحدى المعارك التي خاضها مع الحسين بن حمدان سنة ٢٨٣ هـ / سنة ٨٩٦ م وأرسل الى المعتضد ببغداد وأعدم شقاً .

لقد تحسنت العلاقة بين بني حمدان والخلافة العباسية بعد ان أثبت هؤلاء حسن نيتهم في العمل على استتباب الأمن والاستقرار والدخول في طاعة الخليفة المعتضد . وقد أقر المكتفي بالله أبا الهيجاء

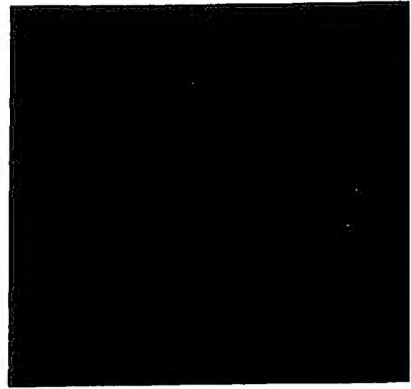
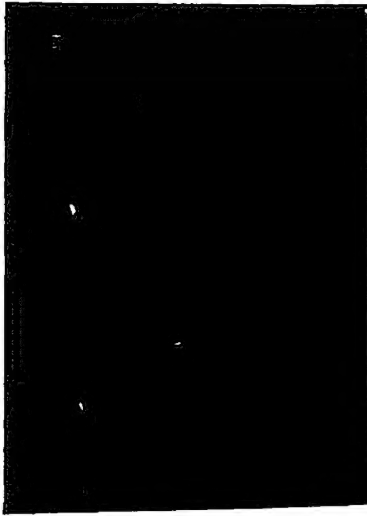
عبدالله بن حمدان بن حمدون على الموصل وأعمالها
وبذلك بدأ عهد جديد من تاريخ الموصل في العصر
العباسي اعتباراً من ٢٩٣ هـ / ٩٠٤ م.

المظاهر الحضارية (٧٥) :

رغم اهتمام الامويين الواضح بمدينة الموصل
الا انها وكما يبدو من مصادرها لم تصبح قاعدة
للجزيرة ومركزاً للسكان الا في العصر العباسي
الأول حيث زادت اهميتها السوقية والتجارية
بانتقال مركز الخلافة الى العراق.

باصלות ودرب الجصاصين ودرب بني ميدة ودرب
رحى امير المؤمنين ودرب الدباغين ودرب جميل ،
والبلد على الشط ومقر الخليفة على نصف فرسخ
من الجانب الاخر عند نينوى القديمة .

وكانت الموصل عربية قبل التحرير الاسلامي
حيث سكنتها قبائل اباد واستقرت فيها ثم انتشرت
فيها قبائل عربية جديدة بعد التحرير منها تغلب والتمر
واياد ثم انتقل اليها بطون من الازد وطي وكندة
وعبد القيس . وقد اقطع العباسيون عدداً من شيوخ
الازد الحامية قطائع بالموصل وشجعوهم على



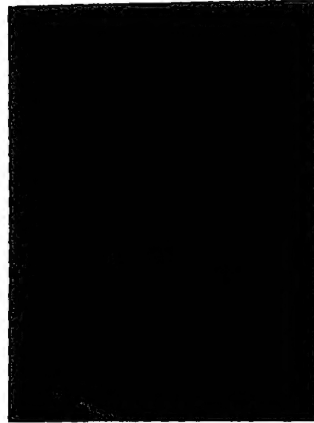
لوحان رخاميان عثر عليهما في كنيسة مار اشعيا في الموصل ، من القرن
الثالث الهجري مقارنة بزخارف سامراء من الطراز المشطوف
(تصوير وتعليق يوسف ذنون)

الاستيطان فيها وفي اعمالها . كما سكن اطراف
الموصل قبائل اخرى من ربيعة وبخاصة شيبان . وفي
رواية لأبن حوقل ان «مدينة الموصل أهلها عرب
ولهم بها خطط واكثر اهلها نافلة الكوفة والبصرة» .

لقد اشار المقدسي الى تخطيط المدينة
فقال بأن البلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس
بالكبير ، في ثلثه شبه حصن يسمى المربعة على نهر
زبيدة ، ومن طرقها درب دير الأعلى ودرب

وقد خالط الاكراد والآراميون عرب الموصل وبخاصة في أعمالها. كما تواجدت الديانات الثلاث في الموصل وأعمالها فبالإضافة الى الاسلام دين الاغلبية الساحقة هناك النصرانية واليهودية حيث عمل اتباعها معاملة جيدة ومتساهلة باعتبارهم أهل ذمة. فكانت كنائس النصارى ومعابد اليهود موجودة في المدينة ورسايقها كما برز منهم علماء كثيرون في الفترة موضوعة البحث. وقد اكد تروتون في كتابه (أهل الذمة في الاسلام) صراحة على الحرية التي تمتع بها الذميون في العصر العربي الاسلامي. وفي رواية تاريخية للازددي ان والي الموصل السيد بن أنس اقتص من بني مالك حين قطعوا الطريق على جماعة من نصارى الموصل ونهبوا أموالهم ولم يتركهم حتى اعادوا الاموال والبضائع كاملة غير منقوصة.

اما من حيث الوضع الاقتصادي لمنطقة الموصل فقد ذكرت مصادرنا تفاصيل جيدة عن اقتصادياتها الزراعية والحرفية والتجارية. ولعل اهم ميزة لاقليم الجزيرة بعامة والموصل وبخاصة هي



لوح رخامي عثر عليه في منطقة مقابر العزازي الموصل ، من القرن الثالث الهجري مقارنة بزخارف سامراء من الطراز المشطوف (تصوير وتعليق يوسف ذنون)

انتاجها الزراعي الوفير لخصوبة تربتها وكثرة مياهها واعتدال مناخها. ويذكر الجغرافيون عدة من الضياع والرسايق حول الموصل التي اشتهرت بزراعة الحبوب والفواكه والخضراوات. وقد اشار كل من المؤرخين المحليين دانيوسس التلمحري والي زكريا الازدي الى شهرة الموصل بالانتاج الزراعي : «وفي كل بقعة كان المحراث وكان بإمكان الفلاحين زراعة الكروم...»

وتكثر في منطقة الموصل المروج حيث تكون مراعي مهمة لرعي الماشية مما جعلها مورداً مهماً من موارد الثروة الحيوانية. وقد اشار ياقوت الى مرج الموصل الذي يقع في الجانب الشرقي في منخفض من الارض شبيه بالغور بين الجبال. وكانت الموصل تصدر جزءاً من منتوجاتها الحيوانية مثل اللحم والجبن واللبن والعسل.

ولاشك فإن الزراعة والثروة الحيوانية شجعت على قيام صناعات غذائية وحرف محلية بعضها صناعات معدنية وأخرى أنسجة للستائر والثياب ولهذا كان فيها سوق للبزازين والرفائيين. وقد انتعشت التجارة بين الموصل والاقاليم الاخرى وكانت صادرات الموصل تنقل براً او عن طريق الانهار. وتشير مصادرنا الى عدد من هذه الطرق منها ما يربط الموصل بالسواد والموصل بتبصيين والموصل بقرقيسيا والموصل بآمد. ولعل كثرة الاسواق في الموصل خير شاهد على ازدهار التجارة خلال هذا العصر فقد اشرنا الى سوق البزازين والرفائيين وهناك سوق الاربعاء وسوق الاحد وسوق الحشيش وسوق الفحم وسوق الشعارين وسوق الاساكفة وغيرها. وكانت الضرائب التي تفرض على التجارة تشكل مورداً مهماً لخزينة الدولة.

وفي تاريخ الموصل للازددي وتاريخ دانيوسس التلمحري كثير من الروايات التي تشير الى جباية الضرائب من خراج وجزية وعشور وصدقات ، ولاشك أن بعضها مبالغ فيه حيث تندد باجراءات

العباسيين التعسفية وتصفها بأنها فاقت بل تعدت اجراءات الامويين ومع ذلك فلا ينكر أن بعضاً من الولاة وعمال الخراج قد تعسفوا واضطهدوا الناس في اثناء الجباية مما دعا اهل الموصل الى إرسال وفد الى المأمون لشرح الحالة وإزالة الظلم. وكانت السلطة المركزية تحاول إحقاق الحق وإنصاف الرعية.

اما ثقافياً فلقد كان العصر العباسي الاول وما تلاه من عصور ذروة الازدهار الحضاري والرفي العلمي في المجتمع العربي الاسلامي. وقد نالت الموصل نصيبها من هذه النهضة الثقافية وتقدم المعارف بما شهدته من حلقات دراسية في بيوت علمائها وفي مساجدها ومدارسها وأدبرتها. ولعل أبرز الحقول هي علوم الفقه والقرآن والحديث واللغة والتاريخ وكذلك فنون الموسيقى والغناء. وتذكر كتب التاريخ والتراجم بعضاً من رجالات العلم والمعرفة البارزين خلال هذه الفترة نشير الى بعضهم على سبيل المثال لا الحصر: بكار بن شريح من قضاة الموصل البارزين وابن الوشاح من زهادها وعلمائها وعبد العزيز بن حيان من محدثيها وابو زكريا الازدي صاحب تاريخ الموصل وابراهيم بن ماهان وابنه اسحق الموسيقيان وابو تمام الطائي الشاعر المشهور وابو يعلى أحمد بن علي صاحب المسند. وتوما المرجي مؤلف كتاب الرؤساء ويحيى بن ماسويه الذي ترجم وألف عدة كتب في العلوم وبخاصة الطب.

الهوامش

- (١) ابو زكريا الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧ ص ١١٢.
- (٢) مؤلف مجهول، اخبار العباس وولده، بيروت ١٩٧١، ص ٤١٠ فا بعد.
- P.Omar The Abbasid Caliphate Baghdad 1969 P.121. ٣.
٤. الازدي، تاريخ الموصل، ص ١٣٠.

- (٥) المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (٦) الطبري، ج ٣، ص ٣٨٢ - خليفة بن خياط، تاريخ ج ٢ ص ٤٢٨.
- (٧) الازدي المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (٨) الازدي، المصدر السابق، ص ١٣٠.
- (٩) البلاذري، انساب الاشراف، (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب.
- (١٠) الدينوري، الاخبار الطوال، ص ٣٦٩.
- (١١) الدكتور فاروق عمر، العباسيون الاول، الجزء الاول، بيروت ١٩٧١، ص ٧٦.
- (١٢) الازدي، المصدر السابق، ص ١٤٦.
- (١٣) الازدي، المصدر السابق، ص ١٤٥.
- (١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١.
- (١٥) اخبار العباس وولده ص ٢٤١.
- (١٦) الازدي، ص ١٤٥.
- (١٧) المصدر السابق، ص ١٥٠.
- (١٨) المصدر السابق ص ١٥٠.
- (١٩) البلاذري، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ ب.
- (٢٠) البلاذري، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٩ أ.
- (٢١) الازدي تاريخ الموصل، ص ١٥٠.
- (٢٢) المصدر السابق، ص ٦٩ فها بعد.
- (٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠.
- (٢٤) الازدي ص ١٤٥.
- (٢٥) المصدر السابق ص ١٤٨.
- (٢٦) البقولي، تاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٢٩.
- (٢٧) ابن الاثير، الكامل، ج ٥ ص ٣٤٠ فا بعد.
- (٢٨) الازدي، ص ١٤٨. قان ص ١٥١ وص ١٥٢ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة.
- (٢٩) الازدي، ص ١٥١ - ١٥٥.
- (٣٠) المصدر السابق ص ١٥١ - ١٥٢.
- (٣١) البقولي، التاريخ، ج ٢.
- (٣٢) الازدي، ص ١٥١.
- (٣٣) المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٣٤) Ibid.
- (٣٥) على ان هذا الاخير لقي مصرعه بعد سنتين ١٣٦ - ٧٥٤ على يد عبدالله بن علي التاجر في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبدالله فعرف عبدالله ذلك وقتله (الازدي، ص ١٦٤).
- (٣٦) الازدي، ص ١٥٢، ١٦١.
- (٣٧) الازدي، ص ١٥٨ - ١٥٩، ١٧١ - ١٧٢. - الطبري ج ٣ ص ٩. - ابن الاثير الكامل ج ٥ ص ١٥٩.
- (٣٨) الازدي، ص ١٥٧.

(٥٨) ذلك لأن الحلف الثاني - الرجعي القديم كان قد تشكل وقد وسعت حادثة اغتيال الوالي الحسن المهداني آفة الذكر الهوة بين الطرفين.

(٥٩) الأزدي ص ٣٣٢.

(٦٠) المصدر السابق، ص ٣٢٦، ٣٣٢.

(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤.

(٦٢) الأزدي ص ٣٢٤.

(٦٣) الأزدي ص ٣٥٤.

(٦٤) فاروق عمر، النظم الاسلامية، الطبعة الاولى، العين،

١٩٨٣، ص ٦٩

(٦٥) المصدر السابق، ص ٨٣ فما بعد.

(٦٦) نجدة خماش: الادارة في العصر الاموي، دمشق، ١٩٨٠

ص ٥٢

(٦٧) عن ولاية الموصل خلال هذه الفترة راجع قائمة علي حبيبه في آخر كتاب الأزدي وقاربنا بقائمة محمد جاسم المهداني في كتابه الجزيرة القرآنية والموصل، بغداد، ١٩٧٧ ص ٧٧٩.

(٦٨) الأزدي، ص ١٩٥.

(٦٩) الأزدي، ص ١٦٦.

(٧٠) العمري، منية الادباء، الموصل، ١٩٥٥، ص ٣٨

(٧١) المهداني المصدر السابق، ص ٢٣٨-٢٥٢.

(٧٢) الأزدي، ص ٣٥٥

(٧٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٧ ص ١٨٨ فما بعد

(٧٤) السعودي، مروج الذهب، ج ٤ ص ١٦٦. ابن الاثير،

المصدر السابق، ج ٧ ص ٤٧٧ كذلك فاروق عمر، الخلافة

العباسية في عصر القوضي العسكرية ص ١٨٦

(٧٥) راجع كتب الجغرافيين العرب. وتاريخ الموصل للأزدي، ومنية الادباء للعمري.

وسليان صانع تاريخ الموصل، والمهداني، الجزيرة القرآنية

والموصل. ولا يستعنا البحث تفصيلاً في المظاهر الحضارية لأن

فصول الباب الثاني من القسم الثاني ستقوم بهذه المهمة.

(٣٩) المصدر السابق، ص ١٧٧، ١٦٣.

(٤٠) المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨، ١٨٠.

(٤١) المصدر السابق، ص ٢٢٤.

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٨.

(٤٣) المصدر السابق ص ٢١٤. - كان شيخ القبائل يدركون ان المنصور كان جاداً في جعل ابنه خليفة من بعده. ولذلك كانوا يقررون من الخليفة باظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلاً فعل اسماعيل القسري وعبدالله بن عباس المهداني (راجع كذلك الأزدي ص ١٧٨-١٧٩).

(٤٤) الأزدي، ص ٢٦٧، ١٦٦، ٢٤٢. - ابن الاثير، الكامل،

ج ٦، ص ١١٢. - قارن الأزدي ص ٢٤٢، خليفة ص ٢

ص ٤٤٤.

(٤٥) الأزدي، ص ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣٤٣. - الطبري، ج

٨ ص ٥٨٨. - ابن الاثير، الكامل ج ٦ ص ٩٥، ج ٥،

ص ٥٨٤.

(٤٦) الأزدي، ص، ص ١٩٥.

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٠، ٢٨٦.

(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦.

(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤.

(٥١) المصدر السابق ٢٨٦-٢٨٨.

(٥٢) المصدر السابق ص ٣١٤.

(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧.

(٥٤) فاروق عمر. العباسيون الأوائل، الجزء الاول ص ١٣٦.

(٥٥) يشير كتاب الامامة والسياسة في رواية يتفرد بها (ج ٢ ص

١٥٩) الى ان سليمان ابن هشام الاموي قد هرب من البلاط

العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد ابي العباس،

والرواية ضعيفة الاحتمال.

(٥٦) الأزدي، ص ١٨٠، ٣٣٤.

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦.

الدولة العربية الإسلامية وظهور التوقيلات

د. عبد المنعم رشاد

نظرة على تلك التحولات.

قامت الخلافة العباسية على اثر دعوة سرية نجحت في القضاء على سلطان الامويين وحلّت محلهم، وكان خلفاؤها يحرصون على مركزية حكمهم والحفاظ على الدولة العربية موحدة، لهذا استندوا معظم ادارات الاقاليم الى افراد البيت

إن دراسة تاريخ الموصل بعد سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م تضعنا أمام مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية وهي المرحلة التي حصلت فيها تحولات سياسية أصابت وحدة الدولة وأدت الى ظهور ما يشار اليه عادة بعهد الدويلات، ومنها تلك التي قامت في الموصل فأقتضى ذلك القاء

العباسي ، الا ان هذه المركزية سرعان ما اثبتت عدم جدواها في حكم دولة واسعة الارجاع وبخاصة بعد التحولات الاجتماعية والسياسية التي اصابته العرب . فقد ازداد نمو المدن وازدهار الحياة المدنية وانتعاش الصناعة والتجارة . وكان اعتماد الامويين على العرب في استناد حكمهم وعلى العصية القبلية في الدفاع عنهم ، الا ان تحول الكثير من العرب الى الحياة المدنية من ناحية والى الصراع على السلطة بين القبائل العربية من ناحية اخرى اديا الى ضعف القاعدة السياسية والعسكرية التي كانت تسند الحكم الاموي ، ولهذا انهارت أمام ثورة العباسيين التي عبأت الجماهير ضد الحكم الاموي مؤكدة أساساً سياسة جديدة تتصل بالدين وبالاخلاقية في الحكم استناداً الى القرابة من الرسول ﷺ .

وبما أن الثورة العباسية رفعت شعارات متعددة قبل نجاحها وكان من أبرزها شعار التسوية الاسلامية ، لهذا ابتعد العباسيون بعد وصولهم الى السلطة عن القبلية وبذلك تحولت قاعدة الخلافة الى امية اسلامية بدلاً من القبلية العربية . تشكل الجيش العباسي الأول في خراسان من العرب بالدرجة الاولى . ومن الثمانية بالذات - الا ان هذا الجيش سمي بالخراساني ، فقد سجل ابو مسلم انصاره في ديوان على اعتبار انهم خراسانيون ، وبذلك وضعت الخلافة الجديدة مفهوماً جديداً اقليمياً بدلاً من القبلية بغض النظر عن كون هؤلاء عرباً او غير عرب بل من اهل خراسان وبذلك بدأ المفهوم الاسلامي يظهر ويطبق بدلاً من المفهوم القبلي^(١) .

وكان في تطبيق مبدأ التسوية اعظم انجازات العباسيين السياسية والحضارية لأنه ادى الى الدمج الكامل بين كل اعضاء المجتمع الاسلامي مما ادى الى سرعة انتشار الاسلام بين رعاياهم وبخاصة في بلاد المشرق^(٢) .

لقد اكد العباسيون على الجانب الديني ، فكانوا يعينون لخطبة الجمعة والقيام على الحج رجالاً من كبار اسرتهم ، وكان بعض الخلفاء الاولين يؤدي بنفسه فريضة الحج اكثر من مرة ابان خلافته كما فعل الرشيد ، وعنوا بالجوامع وتوسيعها ، وحرصوا على اظهار احترامهم لفرائض الاسلام وشعائره فزاد كل ذلك من مكانتهم عند الناس ، كما احاطوا انفسهم بالفقهاء وحرصوا على استشارتهم والاستعانة بهم كل ذلك من اجل تثبيت مكانتهم السياسية في نفوس المسلمين^(٣) .

ولما كان العباسيون قد قدموا انفسهم للناس بصفتهم ورثة الرسول ﷺ فانهم استفادوا اكثر من الامويين من الفكرة القائلة بأن واجبه لا يقتصر على النهوض باعباء الرئاسة الدينية بل يشمل الرئاسة الروحية - الامامة - ولهذا ضربوا على ايدي الفرق التي تنحرف عن مذهب الجماعة وتفسد الوحدة الدينية والسياسية ، فقد استعملوا من يطارد الزنادقة ووضعو (صاحب الزنادقة) لتعقيم ومحاکمتهم^(٤) . غير ان الموقف الحازم للدولة لم ينجح في القضاء على آثار الزنادقة في الدس على الاسلام او التعصب للثقافات المعارضة له لأنها كانت منتشرة في اوساط الكتاب وهم موظفو الدواوين ، وكذلك عند بعض من يدعي الفلسفة ، غير أن المعتزلة وكثيراً من علماء المسلمين تابعوا الوقوف في وجههم حتى استطاعوا كبت محاولاتهم واتخاذ نشاطهم وكان هذا على حساب ظهور تدمير بين بعض العناصر الفارسية من الحكم العباسي .

وقد ادى تطبيق مبدأ التسوية الى تنوع العناصر المكونة للجيش العباسي ، فلم يعد العرب وحدهم سند الدولة العسكرية بل تنوعت جيوشهم فيها الخراسانية ، والمغربية ، والسودانية والتركية . وفي عهد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م) زاد

عدد الترك في الجيش العباسي، وكان من نتائج الاكثار من هذا العنصر السيطرة التدريجية لأمرائهم على مرافق الدولة وتسخيرها لخدمة اغراضهم الشخصية والاستئثار بالسلطة. وبما ان العنصر التركي كان شعباً بدوياً ميزته الوحيدة شجاعته العسكرية، فهو لا يفهم الأسس المعنوية والسياسية للدولة العباسية، ولا خبرة له بالادارة، لهذا كان تقدمهم عاملاً في زعزعة قواعد الخلافة، اذ سرعان ما استفحل نفوذهم بعد نقل مركز الخلافة من معقلها الحصين في بغداد الى سامراء التي بنيت معسكرات للترك حيث اصبح الخلفاء بعد المتصم شبه سجناء لقادتهم من الاثراك^(٥). ومن هنا بدأ الضعف الذي أدى بدوره الى تفكك الحكم المركزي وظهور الدويلات.

عوامل قيام الدويلات :-

هناك عدة من العوامل المساعدة على قيام الدويلات في المشرق والمغرب الاسلامي واعتباراً منذ العصر العباسي الاول، ومن ابرز هذه العوامل :-

١ - اللامركزية الادارية :-

اتبعت الخلافة العباسية ومنذ فترة مبكرة سياسة لا مركزية واضحة في علاقاتها ببعض اقاليم الدولة العربية - الاسلامية. فقد اعترف ابو جعفر المنصور بحكم الفهرين للمغرب العربي بعد ان اعلن عبد الرحمن بن حبيب الفهري دخوله في طاعة الخليفة العباسي^(٦). كما ان الرشيد اسند الى ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقيا - تونس - على ان تكون وراثية في احفاده^(٧).

وقد اقطع المعتز بالله ولاية مصر الى الأمير التركي بابكباك الذي بدوره ارسل ابن طولون نيابة عنه في ادارة هذا الاقطاع. ومن هنا بدأت الامارة الطولونية في مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م واستمرت

حتى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م^(٨). وقام الخليفة الراضي بالله بتعيين محمد بن طغج الاخشيد سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م على مصر. اما في الاقاليم الشرقية من الخلافة فان العباسيين اعترفوا بسلطة بقايا الارستقراطية اليرانية في اطراف ايران النائية الشمالية والشرقية والجنوبية. وقد اعطى الرشيد ولاية خراسان لابنه المأمون الذي اخذ يديرها ادارة مستقلة. وقد اعان الخراسانيون المأمون في حربه ضد اخيه الأمين وكانوا سبباً في وصوله الى الخلافة، وكان من نتيجة ذلك ان اعتادت هذه الولاية على الاستقلال الاداري وبخاصة بعد ان غادرها المأمون وعهد بولايتها الى طاهر بن الحسين الذي اسس الامارة الطاهرية (٢٥٠-٢٥٦ هـ / ٨٢٠-٨٦٩ م)^(٩)

وبصورة عامة فان ظروف الخلافة العباسية تركت اثرأ واضحاً في اجهزة الدولة الادارية فهي في صراعها بين المركزية والاقليمية - اللامركزية - وفي رغبتها في المحافظة على التوازن الذي لا يؤثر على فعاليتها كانت قد تركت اثرأ على الولاة وعلى صلاحياتهم واختصاصاتهم، فعندما كان المنصور يطبق المركزية في الحكم كان الولاة على الاقاليم اقل نفوذاً وسلطاناً، اما في عصر الرشيد وما بعده فقد اخذ الولاة يتحركون بحرية اكثر وازدادت صلاحياتهم وتطور الامر الى تكوين امارات بموافقة الخلافة^(١٠).

ومن جهة اخرى كان الخليفة العباسي يعهد الى قواده او الى المقربين اليه بحكم الولاية دون ان يطلب منهم الذهاب الى تلك الولاية، بل كانوا يرسلون نواباً عنهم وهم يستقرون في العاصمة، ومن الطبيعي ان يكون تحرك النائب لمصلحته الخاصة فهو يسعى للحصول على المال لنفسه وبعد ذلك يرسل ما هو ملائم بارساله من اموال الى الوالي المقيم في العاصمة^(١١)، فهذا الاسلوب بما له من مردودات سلبية على الاقليم بكثرة الجباية والتعسف

فيها جعل الشعب يكره هذا النظام ويعمل ضده بالتعاون مع من يعمل للانفصال عن الخلافة تحلياً من الظلم والاستبداد. يضاف الى ذلك أن الخلافة العباسية اتبعت اسلوباً آخر في ادارة الاقاليم وهو العهد للوالي الواحد باكثر من ولاية ، وقد ادى هذا الى تسلط بعض الولاة وتوسيع دائرة نفوذهم^(١٣) ويتضح لنا ان عامل اللامركزية كان له الاثر الملموس في نمو النزعة الاقليمية الانفصالية لدى الولايات البعيدة عن المركز وعلى الأخص في المشرق الاسلامي .

٢- التحكم الاجنبي :-

قامت الخلافة العباسية بتطبيق مبدأ التسوية وذلك من اجل تحسين اوضاع الموالي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومسأولتهم بالعرب ، كل ذلك من اجل خلق نوع من الوفاق بين العرب والموالي وخاصة الفرس منهم لأكال صهر مختلف عناصر الدولة لترسيخ دعائم حكمهم واستقرار الاوضاع الداخلية في دولتهم^(١٤) . وكان من نتيجة ذلك ازدياد نفوذ الموالي وعلى نحو تدريجي في الادارة وفي الجيش وفي اقتصاديات البلاد. كما اشرك العباسيون ارسطراطية الفرس في الحكم ، ولكن طموح هؤلاء وتطلع بعضهم الى ارجاع سلطان ايران ومجدها الغابر جعل الخلفاء يحدرونهم ويقضون على الخطرين منهم كما فعل الرشيد بالبرامكة .

وقد ازداد نفوذ الموالي في عهد المأمون (١٩٨- ٢١٨ / ٨١٤- ٨٣٣ م) ، فقد اعتمد عليهم في ادارة شؤون دولته قبل ان يصل الى الخلافة حيث عين الفضل بن سهل وزيراً له وقرب اخاه الحسن . وقد التف الموالي حول المأمون عندما بدأ الصراع على الخلافة بينه وبين اخيه الامين ، وقد نجح قائده الايراني طاهر بن الحسين في الانتصار على الامين وقتله ، وقد تولى الموالي اعظم المناصب في ادارة

دولة المأمون. وهذا ادى الى التفاف الخراسانيين حول الخليفة وعظمت آمالهم في إعادة ايجادهم وسيطرتهم على الخلافة العباسية وبخاصة بعد أن بقي المأمون مدة ستة سنوات من خلافته في عاصمة اقليم خراسان مدينة مرو. وقد خيب المأمون آمالهم بعد تخلصه من الفضل بن سهل وعودته الى بغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م وبذلك بدأ الخراسانيون ينحرفون عن دعمهم للخلافة ، واخذت ارسطراطيتهم تتطلع الى الانفصال عن جسم الدولة العباسية . لهذا نرى المعتصم (٢١٨- ٢٢٧ / ٨٣٣- ٨٤٢م) يكثر من استخدام الجند الاثراك لتعويض النقص في الجند الخراسانيين ، وبما انهم كانوا جنداً اقوياء وعسراً لم يفسده الترف فكان ان ازداد اعتماد الدولة عليهم . وقد ادت كثرتهم وخشونتهم الى تدمير أهل بغداد من وجودهم فيها مما دفع المعتصم الى نقل مركز الخلافة الى سامراء . وقد زاد نفوذ الاثراك في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧- ٢٣٢هـ / ٨٤٢- ٨٤٧م) حتى ان اشناس اصبح هو المسيطر على شؤون الدولة ، ونتيجة لوفاء الواثق دون وريث تدخل الاثراك في اختيار المتوكل مما زاد من نفوذهم في تسيير شؤون الدولة . وقد حاول المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧ / ٨٤٧- ٨٦١م) التخلص منهم فاما كان منهم الا ان قتلوه بالتعاون مع ولده المنتصر وبذلك زادت سيطرة الاثراك ولم يبق للخليفة العباسي اي نفوذ سياسي خاصة في فترة التسع سنوات وما بعدها^(١٥) .

لقد هيا مقتل المتوكل جحيماً من الفوضى والاضطراب امتد تسع سنوات من ٢٤٧/ ٨٦١م لغاية سنة ٢٥٦ / ٨٦٩م حيث اقترف الترك فيه انواع القتل وانحطت هبة الخلافة الى الحضيض وتشجع امراء الاطراف على الانفصال ولا سيما في ايران ومصر ، وتضاءلت أهمية الوزارة واحتلت الادارة . وقد شجعت هذه الفوضى التيارات المعارضة على القيام بالتحرك عسكرياً ضد الخلافة العباسية وكادت ان

تطيح بها كحركة الزنج والقرامطة^(١١). وهكذا أصبحت الخلافة العباسية في اواخر القرن الثالث الهجري محاطة بدويلات منفصلة بدارتها عنها ، ولم يبقَ للخليفة العباسي في سنة ٣٢٤ / ٩٣٥ م الا المنطقة التي بين بغداد وواسط. وادى هذا الى قلة الواردات وفراغ الخزينة ولم يعد هناك ما يكفي لدفع رواتب الجند ، فاضطر الخليفة الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ / ٩٣٤ - ٩٤٠) ازاء ذلك الى استدعاء ابن رائق (قائد الاتراك في واسط) وعينه اميراً للامراء لقاء دفع مايلزم من نفقات ، وبموجب هذا التعيين انتقلت السلطة الدنيوية ، في الادارة والمال والجيش الى امير الامراء ولم يبقَ للخليفة الا الاسم. وشارك ابن رائق الخليفة في شارات الخلافة وهي ذكر الاسم في الخطبة وطبعه على السكة . فنسلط الجيش على كل شيء وانهارت مؤسسات الدولة الادارية وبطلت الدواوين. ولم يبقَ للوزير الا الاسم. وهكذا زال الاساس البيروقراطي للدولة العباسية^(١٢). وهذه الصورة تمهد الطريق أمام البويهيين للسيطرة على العراق.

٣- الطموحات الشخصية :

من العوامل التي لا يمكن نكرانها في ظهور الدويلات الطموح الشخصي لبعض الولاة في الاستئثار بالسلطة والحكم. فقد ادت اللامركزية واعطاء بعض الولاة امتيازات في حكم ورأى لبعض المناطق من قبل الخلفاء العباسيين ، كما رأينا الى تشجيع الآخرين من الولاة الطموحين الى ان يخذوا حذو سابقيهم في الانفصال .

لقد وجدت المطامح الاستقرائية والاقليمية الفارسية مجالاً لها في قيام الاسر الحاكمة في الشرق ، فقد استطاع طاهر بن الحسين ان يؤسس الامارة الطاهرية وجعلها وراثية في عائلته ، ولهذا يمكن القول ان الدولة الطاهرية قامت على اكتاف قائد طموح اتخذ لنفسه امارة منفصلة^(١٣). ويظهر طموح طاهر بن الحسين واضحاً في القصة الاتية :

فقد غبطه بعضهم للمنزلة العالية التي وصل اليها لدى المامون «ف قيل لطاهر لما بلغ ما بلغ يهتك ما ادركته من هذه المنزلة التي لم يدركها احد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهتني ذلك لانني لا ارى عجايز بوشنج يتطلعن الي من اعالي سطوحهن اذا مررت بهن»^(١٤).

وكان يعقوب بن ليث الصفار لا يقل طموحاً عن طاهر بن الحسين خاصة بعد ان استولى على طبرستان وفارس وكرمان والاحواز ثم استولى على نيسابور ، وخرب ماتقي من نفوذ الطاهريين في خراسان وطمح الى الانفصال عن الخلافة واعادة دولة الفرس ، ولم يكتف بذلك بل حاول السيطرة على العراق والهيمنة على مركز الخلافة لولا قيام الموفق بدحره والقضاء على خطره^(١٥). ويعلل نولدكه طموحات يعقوب الصفار على انها عوامل وراثية اثرت عليه تربوياً تحت وترعرعت في نفسه منذ الصغر ، وهي التي ابقظت كوامن العظمة في نفسه ، وكان بذلك يريد تغطية عقدة النقص التي عانى منها ايام الفقر والضعف منذ نشأته الاولى^(١٦).

اما مؤسس الامارة الزيارية مرداويج بن زيار فلم يكن اقل من غيره طموحاً وجشعاً وشعوية وحقداً على الاسلام ، حتى انه اعلن في عام ٣٢٢ / ٩٣٣ م عن رغبته في ان يقصد بغداد وان يعيد دولة الفرس ويبطل دولة العرب^(١٧). ويمكن ان يقال عن طموح اولاد بويه الثلاثة الشيء الكثير وبخاصة عن علي بن بويه الذي وسع سيطرته بعد انفصاله عن سيده مرداويج الزباري حيث كتب الى الخليفة الراضي بالله يسأله ان يقاطعه على اعمال فارس مقابل ان يحمل الى دار الخلافة ثمانية ملايين درهم سنوياً^(١٨). ولكنه لم يرسل شيئاً بعد حصوله على التقليد بالولاية. وكانت طموحاته وطموحات اخوته توسيع قاعدة نفوذهم وجعل اقليم فارس مركزاً للولاية واسعة الارضاء تضم اليها بقية الاقاليم الايرانية. وقد حققوا ذلك حيث تكللت طموحات معز الدولة الاخ الاصغر لعلي باحتلال بغداد عام ٣٣٤ / ٩٤٥ واتخاذ لقب امير الامراء وتسلم زمام

الاسلامي. وقد كان قادة هذه الحركات على مستويات مختلفة بين عامة وتجار وكتاب ووزراء، وامراء، كما كان للفكر دور اساسي في حركة الشعبية^(٢٦). كما انها اتخذت صوراً متعددة فهي في بعض الصور تدعو الى المساواة بين الشعوب وتنكر على العرب تمييزهم وفي صور اخرى اتخذت موقف التهجيم على العرب وانتقاصهم وابرار مثالهم^(٢٧).

وقد ادرك شعوبو المشرق الاسلامي أن مناداتهم بالتسوية قد تحققت فكان لطموحاتهم ان كبرت ولا ملهم ان توسعت في اعادة ايجادهم وازالة دولة العرب، كما لم يعد لتأثير عامل الوحدة اللغوية والدينية في هذه الاقاليم اي مكان، فبعد مرور اكثر من قرنين ظهرت بين سكان البلاد المحررة نداءات سياسية دينية لها ارتباط بعقائد هذه الشعوب القديمة (مانوية ومزدكية اباحية). وعمل الشعوبيون على تفجير مشاعر الحقد والكراهية على الدولة العباسية التي بدأت وحدتها تتصدع فاستغل هذا لصالح الولاة الطموحين الذين انفصلوا عن الخلافة^(٢٨).

فلمرزباني يؤكد على ان سبب قتل الفضل بن سهل كان لميوله الفارسية التي لم يكن بالامكان اخفاؤها والتي كانت تظهر في اقواله وافعاله علناً^(٢٩).

كما ان العمراني يؤكد أن طاهر بن الحسين كان منطلقاً من اهداف شعوبية في تأسيسه للإمارة الطاهرية انتقاماً من العرب^(٣٠). حتى ان (علان الشعوبي) الف لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن آداب الاسلام عمل فيه على الخط من العرب وألحق بهم كل نقیصة ومثيلة فكافاه طاهر على عمله هذا^(٣١).

وكانت شعوبية مؤسس الإمارة الصفارية (يعقوب بن ليث) واضحة للعيان فقد سعى الى احياء اللغة الفارسية حتى انه كان يقول «لأن اذم بالفارسية احب إليّ من ان امدح بالعربية»^(٣٢) كما لانسى انه احتضن الشاعر الشعوبي ابن ممشاد

الامور في دار الخلافة^(٣٤).

اما الحمدانيون فقد كانوا لا يقلون عن غيرهم طموحاً وتطلعاً الى السلطة واهتبال الفرص من اجل ترسيخ اقدامهم في حكم المناطق الشمالية من العراق والجزيرة، ومنذ بداية ظهورهم على مسرح التاريخ ممثلين لطموح رؤساء القبائل العربية في السلطة والسيادة. فكان مؤسس الاسرة حمدان ابن حمدون وابنه الحسين بن حمدان من اعوان الخليفة المتضد بالله وقد كوفت خدمات هذه الاسرة للخليفة المكتفي بتعيين إخوة الحسن بن حمدان على مختلف الولايات. فقد عين ابا الهيجاء، عبد الله بن حمدان على الموصل واعمالها في اواخر سنة ٢٩٢ / ٩٠٥ م وولي ابراهيم بن حمدان على ديار ربيعة سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م وقلد سعيدياً حكم نهاوند سنة ٣١٢ / ٩٢٤ م واسند بعض المناصب الى غيرهم من بني حمدان^(٣٥).

هكذا نرى ان عامل الطموحات الشخصية كان له دور بارز في الحركات الانفصالية وظهور بعض الدويلات بعد أن تبيأت الظروف المواتية لمؤسسيها لان الخلافة العباسية كانت تمر بظروف حرجة جعلتها غير قادرة على كبح جراح مثل هذه الطموحات الانفصالية.

٤ - الشعبية :

كانت الشعبية أحد الاسباب المهمة والمحركة للزعات الاقليمية الايرانية، وطموحات الفرس لحياء الثقافة الايرانية واعادة ايجادهم السياسية البائدة، وقد تمخض هذا عن ظهور الحركات الانفصالية لتكون لها مجالاً لاعلاء شأن الفرس والخط من قيمة العرب.

وعلى الرغم من ان الشعبية ظهرت منذ وقت مبكر الا ان اهدافها بدأت تتضح في العصر العباسي الاول، اذ قام الاعاجم بحركات كثيرة اتخذ بعضها شكل ثورات مسلحة وبعضها الاخر اتخذ الاسلوب السري الذي تظاهر بالاسلام ولكنه كان يعمل في الخفاء على هدم السلطان العربي -

صاحب القصيدة السيئة الصيت والتي مطلعها
انا ابن الاكام من نسل جم دحائر ايرت ملوك المعجم (٣٣)
التي يفخر بها بنسبه الفارسي.

وكانت شعبية السامانيين بارزة في مجالات
عدة، فطور اللغة الفارسية، والنهضة التي اصابت
الأدب الفارسي تعود الى عهدهم ، فقد ادعى
السامانيون انهم من نسل (بهرام جوين) وهو زعيم
ساساني هرب الى الترك سنة ٥٩١ م . وكانت
اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية لديهم ، وقد جعلوا
علماء الدين يفتون بجواز الصلاة باللغة الفارسية. كما
شجع السامانيون الشعراء الفرس حتى ان بعضهم جاء
باراء لانتفق وروح الاسلام. فهذا الشاعر
السودكي السمرقندي يقول «لامعنى لتولية الوجه
نحو القبلة والقلب منجذب الى القدسية المجوسية» .
اما الشاعر الدقيقي - الذي كان اول من حاول نظم
الاساطير الايرانية شعراً فيقول «اختر اربعة اشياء
من كل الخير والشر في الدنيا شفة الحبيب التي
هي بلون الباقوت ، وزمزمة العود ، والخمرة
القانية ، ودين زردشت» . وقد ترجم في زمنهم
تفسير الطبري الى الفارسية (٣٤) .

وشعبية مرداويج الزياري كانت متعددة
الجوانب ، فقد وضع خطة للسيطرة على بغداد
واوصى قادة جنده ان يعيدوا بناء ايوان كسرى في
المدائن على الصورة التي كان عليها قبل الاسلام
بمجرد ان يفرغ من سيطرته على بغداد (٣٥) كما حاول
التشبه بالاكاسرة فوضع التاج على رأسه وكان تاجاً
مكلاً بالباقوت والجواهر النفيسة وجلس على سرير
من الفضة مطعم بالذهب والجوهر ، وكان يقول
«أنا أرد دولة المعجم وابطل دولة العرب» (٣٦) .
وقام مرداويج باحياء تقليد فارسي اخر هو الاحتفال
بعيد (السذوق) حيث تحرق النيران على رؤوس الجبال
وتعلق النيران على ارجل الطير وتطلق في الفضاء ،
ليلاً حتى تحترق وكان الفرس يحتفلون بهذا العيد
ويتميزون به ، فجاراهم مرداويج وكان ينفق عليه
الشيء الكثير (٣٧) .

اما آل بويه فقد رفعوا نسبهم الى الملك
الساساني (بهرام جور) وتمسكوا به فخرأ
واعترأاً (٣٨) .

بهذه الصورة نهضت الشعبية بدورها في
توجيه اندفاع امراء المشرق نحو الانفصال وتكوين
دويلات مستقلة ادارياً عن الخلافة العباسية ،
ولكن على الرغم من شعبية معظم امراء المشرق
الا انهم بقوا مرتبطين بالخلافة ولم يستطيعوا
الانفصال الكامل عنها وذلك لحاجتهم الى الشرعية
التي كان الخلفاء يوفرونها لهم عن طريق التقليد
الرسمي للامارة .

الخاتمة :

وعلى الرغم من الانفصال الظاهري لهذه
الولايات ، فان ارتباطها وولاءها للخلافة العباسية
استمر ، وذلك لحاجتها الى دعم السلطة الروحية
للخلفاء والتي كانت تضمن الشرعية على حكم
اقائهم ، وتجعلهم تجاه رعاياهم من المسلمين
حكماً يقومون بفروض الشرع بشكل مقبول ، نعم
تمتعت هذه الولايات باستقلال داخلي كان ولانها
يديرها بحرية كاملة ولها جيشها الخاص بها ومالياتها
الخاصة الا مبلغاً معيناً يرسل الى دار الخلافة
رمزاً لارتباطهم بها . وكان كل والٍ يحرص ان يكون
تقليده من الخليفة على نحو مباشر ، فالولاية تتمتع
بكل مظاهر الاستقلال الا انها مع هذا لاتستغني
عن السيادة الروحية للخلافة كما لم يحصل اي
انقطاع بين هذه الولايات وبين الخلافة الافتراضية
قصيرة وفي ظروف استثنائية . وبقي اسم الخليفة
يضرع على النقود ويذكر في الخطبة (٣٩) . صحيح
ان الصفاريين والسامانيين اضافوا الى النقد
اسماءهم كما حصل بعض آخر - من الخلافة على
الالقباب الفخرية ، ولكن لم يحصل ذلك الا
بموافقة ورضى الخلافة في بغداد . وكانت اموراً
شكلية استمر معها نفوذ الخلافة واضحاً ومكانتها
بارزة في نفوس الناس .

- ٩- المرجع السابق نفسه ص ١٤٦.
- ١٠- كلود كامن - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، بيروت ١٩٧٢، ص ٢٨٤، وكذلك الدوري، دراسات ص ١٠٧ وما بعدها.
- ١١- حسن احمد محمود - العالم الاسلامي قسم ١، ص ١٣٦ - ١٣٧.
- ١٢- يوسف العش - تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الكتاب اللبناني (د.ت) ص ١٢٢.
- ١٣- شاكرو مصطفي - دولة بني العباس (الكويت ١٩٧٣) ج ١ ص ٥٥٩.
- ١٤- الدوري - دراسات ص ١٠.
- ١٥- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عهد القوضي العسكرية، بغداد ١٩٧٧، ص ٣٦ وما بعدها.
- ١٦- الدوري - دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٥٩.
- ١٧- نفس المرجع ص ٣٢، وكذلك تقي الدين عارف الدوري - عصر امراء الامراء في العراق، بغداد ١٩٧٥، ص ١٥ وما بعدها.
- ١٨- ريتارد لويس - العرب في التاريخ، تعريب نبيه بن فارس، بيروت ١٩٥٤، ص ١٣٤.
- ١٩- ابن خلكان - وفيات الاعيان. تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت (د.ت) ج ٢ ص ٥١٨.
- ٢٠- الطبري - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ج ٩، ص ٥١٦، الميون والحدائق، تحقيق نبيلة عبد النعم، بغداد ١٩٧٢ ج ٤ قسم ١ ص ٧٧.
- ٢١- Noldeke, Sketches from Eastern History, London 1967, p. 178.
- ٢٢- ابن الاثير - الكامل، ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٣، ابو الفداء، المختصر ٩٢/٣.
- ٢٣- ابن الطقطقي - الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، مطبعة محمد علي صبيح بميدان الازهر - القاهرة (د.ت) ص ٢٢٧.
- ٢٤- ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت) ج ٣ ص ٢٨٥.
- ٢٥- عن المحدثين انظر - فيصل السامر، الدولة الجماعية في الموصل وحلب، بغداد ١٩٧٠، ج ١ ص ٣٨ وما بعدها.
- ٢٦- الدوري - الجبلور التاريخية للشعرية، بيروت ١٩٦٢، ص ١٢ - ١٣.
- ٢٧- عبد الله سلوم السامرائي، الشعرية، بغداد ١٩٨٠، ص ١٥٢.
- ٢٨- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عهد القوضي العسكرية، ص ٢١٥ - ٢١٧.
- ٢٩- معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٨٣.
- ٣٠- الاباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي (القاهرة ١٩٧٣) ص ٩٥.

كان امراء الاطراف يلتصقون التقليد من بغداد ويحتفلون به ويقرأ على الناس في الجوامع وتنتشر الخلع والهدايا المرسلة من الخلافة يراها الناس حتى يقتنعوا برضا الخلافة عن اميرهم وموافقتها على توليه الحكم.

كان الامير ذو السلطة الفعلية يكسب شرعية مضافة بهذا التقليد عندما يقلده الخليفة رسمياً حكم ولايته، والخليفة بدوره يثبت مركزه زعيماً اعلى للأمة الاسلامية، على الرغم من كل المصاعب والاستثناءات ان الخليفة يمنح الامير مالا يملكه - السلطة السياسية - في حين يحصل لنفسه على الاعتراف بسلطته العليا ذات الطابع الديني على الأمة كلها. ويعني هذا بالنهاية للطرفين اعترافاً بالحدود الشرعية الاسلامية للاحكام السلطانية، فالامير هذا يعترف على الاقل بوحدة السلطة الدينية العليا ويلتمس منها شرعية سياسية - شرعية الحكم في نظر رعاياه. وهكذا يتبادل التنازلات حفظت هبة الخلافة وحفظت وحدة الجماعة تحت سيطرة الخلافة العباسية باعتبارها السلطة العليا التي ينبغي ان لا يبقى احد خارجها (٤٠).

الهوامش

- ١- شعبان - الثورة العباسية - الترجمة العربية. ابو ظبي ١٩٧٧، ص ٢٥٠.
- ٢- المرجع السابق نفسه ص ٢٦٣.
- ٣- الدوري - النظم الاسلامية، بغداد، ١٩٥٠، ص ٥٠.
- ٤- فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة عبد الهادي ابوريدة، القاهرة ١٩٥٨، ص ٥٣٣.
- ٥- الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، ١٩٤٥، ص ١٢ - ١٣.
- ٦- ابن عذاري - البيان المغرب في اخبار المغرب، بيروت ١٩٨٠، ج ١ ص ٦٧.
- ٧- المصدر نفسه ج ١ ص ٩٢، ابن الاثير - الكامل، ج ٦ ص ١٥٥ - بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦.
- ٨- سيدة اسماعيل، كاشف وحسن احمد محمود، مصر في عهد الطولونيين والاختشيديين، سلسلة الالف كتاب، ص ١٢ - ١٤.

- ٣٧- مسكويه ، تجارب الأمم ج ١ ص ٣١٠-١٤ ، اما عن عيد السلق (او الساذك) فانظر البيروني - الآثار الباقية عن القرن الحالية- طبعة سخاو ١٩٢٧ ص ٢٢٦-٢٢٧ ، انظر كذلك كرمستنن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧- ص ١٦٥-١٦٦ .
- ٣٨- النوري- دراسات ص ٢٤٤ .
- ٣٩- كلود كاهن- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ص ٢٨٧ .
- ٤٠- رضوان السيد- مقدمة كتاب قوانين الوزارة للماوردي ، بيروت- ١٩٧٩ ، ص ٢٩-٣٠ .

- ٣١- المحدثاني - الاكليل ، ج ١ (القاهرة ١٩٦٦) ص ١١٧ .
- ٣٢- نفس المصدر السابق ص ١٢٠ .
- ٣٣- الحموي ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث (القاهرة ١٩٢٧) ج ١ ص ٣٢٢-٣٢٣ .
- ٣٤- الدوري- دراسات ، ص ١٢٥ .
- ٣٥- طه ندا- فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، بيروت ١٩٧٤ ص ٦٦ .
- ٣٦- الصولي- اخبار الراضي بالله والتي لله ، تحقيق هيروث دن ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٦٢ .

الموصل في عهد الإدارة الحمدانية

٢٩٣-٣٨١ هـ / ٩٠٥-٩٩١ م

أ. د. رشيد عبدالله الجميلي

حكم الحمدانيين للموصل :

زكرويه القرمطي ، فتمكن من أسر وحمله الى بغداد حيث تم اعدامه مع اتباعه سنة ٢٩١ هـ^(٣) . وفي سنة ٢٩٢ هـ انضم الحمدانيون الى قوات الخليفة المكتني وشارك اربعة من اسرة بني حمدان كقادة في الحرب التي دارت مع الطولونيين الذين ساءت علاقتهم مع الخلافة في عهد هارون بن خنارويه بن احمد بن طولون . فانتهزوا انتصاراً حاسماً على الطولونيين ودخلوا مصر ، وقيل إن الخليفة المكتني عرض على الحسين بن حمدان ولاية مصر إلا انه رفض ذلك^(٤) .

واستمر الحسين بواصل جهوده لخدمة الخلافة وقمع حركات الخارجين في اطراف الدولة العباسية خلال عهدي المتعصّد والمكتني (٢٨٣-٢٩٤ هـ) ويرهن على قوة شخصيته وكفائته العسكرية ، وقد كافأه الخليفة المكتني فعين أخاه أبا الهيجاء عبدالله ابن حمدان على الموصل وأعمالها أواخر عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م . وولى إبراهيم ديار ربيعة عام ٣٠٧ هـ / ٩٢٠ م ، كما قلّد سعيداً حكم نهاوند سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٥ م ، وأسند بعض المناصب الى

يتنسب الحمدانيون الى جدّهم أبي العباس حمدان بن حمدون . وهو أقدم فرد في هذه الأسرة له دور في التاريخ . وينو حمدان بطن من بني تغلب ابن وائل كما تشير اغلب الروايات التي اوردها ثقات المؤرخين^(١) .

وكان بداية ظهور الحمدانيين في عهد الخليفة المتعصّد بالله بصورة ثائرين على الدولة العباسية في اقليم الجزيرة الفراتية وقفوا الى جانب الخوارج ، وجرت حروب عدة بينهم وبين المتعصّد انتهت بأسر حمدان بن حمدون في المحرم من سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، غير أن الخليفة مالبث أن عفا عنه واطلق سراحه بعد أن انتصر ولده الحسين بن حمدان على هارون الشاري زعيم الشاري وحمله الى المتعصّد الذي أمر بإعدامه في سنة ٢٨٣ هـ^(٢) .

وأصبح الحسين بن حمدان منذ ذلك الحين من اعوان الخليفة ووضع امكاناته في خدمة الخلافة ، فأُسند اليه المتعصّد سنة ٢٨٣ هـ مهمة المشاركة في حرب بني دلف بأقليم الجبل ، كما عهد إليه المكتني سنة ٢٩٠ هـ بمهمة القضاء على حركة الحسين بن

غيرهم من بني حمدان^(٥).

ورحل ابو الهيجاء الى الموصل فدخلها في المحرم من سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٦م، فكان ذلك بداية حكم الحمدانيين هناك، وقد استمر حكم أبي الهيجاء في الموصل حتى سنة ٣١٧هـ حيث لقي مصرعه بسبب اشتراكه بالمؤامرة التي دبرت لخلع المقتدر بالله العباسي في السنة المذكورة^(٦)، وأقر الخليفة المقتدر على حكم الموصل الحسن بن أبي الهيجاء (ناصر الدولة)، وكان قد عهد بحكمها بعد وفاة أبي الهيجاء الى تحرير الصغير، إلا أن الأخير لم يلبث أن توفي في المحرم من سنة ٣١٨هـ، غير انه عاد وعزل ناصر الدولة في ربيع الأول من السنة نفسها، وعهد بحكمها الى سعيد ونصر إبنني حمدان. وقلد ناصر الدولة حكم ديار ربيعة ونصيبين، وسنجار، والخابور، ورأس العين، وميافارقين، وأرزن، على أن يحمل الى الخلافة العباسية مال معلوم في كل عام على سبيل الضمان^(٧).

وقد بذل الحمدانيون جهوداً كبيرة للقضاء على حركات الخوارج الذين عادوا للظهور من جديد في اقليم الجزيرة الفراتية كحركة صالح بن محمود الذي جبي الأموال من أهل سنجار، ثم انحدر الى الحديثة أسفل الموصل وطالب أهلها بأموال الزكاة، فتصدى له نصر بن حمدان، وتمكن من أسروله محمد واعتقله بالموصل، ثم طارد صالحاً حتى البوازيج وتمكن من الظفر به بعد معركة حامية وأسره مع ابنين له في شعبان من سنة ٣١٨هـ وحملهم الى الموصل ثم أرسلهم الى بغداد^(٨)، وظهر خارجي آخر في اقليم الجزيرة ايضاً وهو الأغر ابن مطر التغلبي في العام نفسه ونجح ناصر الدولة ابن حمدان في القاء القبض عليه وإرساله الى بغداد^(٩).

ولم يقتصر دور الحمدانيين في هذه المرحلة من تأريخهم في القضاء على حركات الخوارج، بل كان

لهم دور بارز في التصدي لخطر الروم المتعاطم على حدود الدولة العربية الاسلامية ومحاولاتهم المستمرة لاحتلال بلاد الشام، ففي سنة ٣١٩هـ أغار الروم على سيمساط فأسرع سعيد بن حمدان لمساعدة أهلها وألحق بالروم هزيمة منكرة، ثم تقدم الى ملطية ودخلها بعد أن رحل الروم عنها خوفاً من كثافة الجيش الحمداني، فعين والياً عليها من قبله وواصل زحفه في بلاد الروم وقتل عدداً كبيراً منهم ثم عاد الى الموصل^(١٠). غير ان الحمدانيين مالبثوا أن فقدوا نفوذهم في الموصل مؤقتاً سنة ٣٢٠هـ بعد هزيمتهم أمام مؤنس المظفر وكان الخليفة المقتدر بالله^(١١)، قد أقدم على تعيين الحسين بن القاسم وزيراً له، فبدأ الأخير يعمل على اضعاف قوة مؤنس بضرب الجيش بعضه ببعض، كما قام بعزل علي بن عيسى من ديوان النظر بالمظالم ونفاه الى خارج بغداد، وكان علي هذا صديقاً لمؤنس الذي اضطر للرحيل عن بغداد الى الموصل، فكتب الخليفة المقتدر الى بني حمدان يأمرهم بمنع مؤنس من دخول الموصل، فجری بينهم وبينه قتال انتهزم على اثره الحمدانيون ودخل مؤنس الموصل في صفر من عام ٣٢٠هـ^(١٢)، وقد حاول ناصر الدولة الحسن بن حمدان أمير ديار ربيعة الحصول على نجدة من الخليفة لاستعادة البلاد من مؤنس المظفر؛ إلا انه فشل في ذلك واضطر للعودة الى الموصل معلناً خضوعه للأخير، وقد أمضى مؤنس مدة تسعة اشهر ثم عاد الى بغداد وجرت بينه وبين الخليفة المقتدر معارك انتهت بمصرع الأخير في أواخر شوال سنة ٣٢٠هـ^(١٣).

وفي سنة ٣٢٣هـ أقدم ناصر الدولة على قتل عمه سعيد لأنه ضمن الموصل وديار ربيعة دون علمه على مال معلوم يحمله الى ديوان الخليفة الراضي بالله^(١٤)، وقد عدّ الخليفة اغتيال ناصر الدولة عمه سعيداً تحدياً له، فوجه جيشاً لقتاله بقيادة الوزير ابن مقله، فرحل ناصر الدولة عن

الموصل الى الزوزان ، فتعقبه ابن مقله إلا انه لم يظفر به وقرر العودة الى بغداد ، ويبدو أن الخليفة الراضي كان ينوي عزل ناصر الدولة عن ولاية الموصل التي نالها جزاء انجيازه الى مؤسس المظفر عقب دخوله الموصل سنة ٣٢٠هـ ، وقد تمكن ناصر الدولة من استعادة نفوذه في الموصل وأواخر السنة المذكورة بعد أن راسل الخليفة الراضي طالباً العفو وموكلداً خضوعه وطاقته ، فوافق على توليته البلاد على سبيل الضمان^(١٥) .

إلا أن العلاقة بين ناصر الدولة والخليفة مالبت أن تدهورت سنة ٣٢٧هـ بسبب عدم إيفاء ناصر الدولة بتعهداته المالية تجاه الخلافة ، فخرج الراضي لقتاله بصحبة يجكم (أمير الامراء) ، فانهزم ناصر الدولة واضطر للرحيل الى آمد ، غير أن يجكم لم يلبث أن عقد الصلح مع ناصر الدولة وعاد الى بغداد .

تولي الحمدانيين منصب امير الامراء في بغداد :

اقدم ناصر الدولة سنة ٣٣٠هـ على قتل ابن رائق - أمير الامراء - وذلك حين دخل الموصل بصحبة الخليفة المتقي لله^(١٦) ، وقد سوّغ ناصر الدولة عمله هذا بأن ابن رائق كان ينوي اغتياله ، وانه خائن ومتآمر على الخليفة ، ويرى بعض الباحثين أنه ربما يكون هناك اتفاق بين الخليفة والحسن بن حمدان على التخلص من ابن رائق ، فقد كافأ الخليفة المتقي الحسن ولقبه بناصر الدولة وجعله أميراً للامراء في بغداد كما خلع على أخيه علي ولقبه بسيف الدولة^(١٧) .

ورحل المتقي الى بغداد يرافقه ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة ، فلما علم أبو الحسن البريدي بوصولها ترك واسط متوجهاً نحو بغداد ، فتصدى له سيف الدولة الحمداني . ودارت الحرب بينها على مقربة من المدائن وانتهت بانهزام البريديين وتراجعهم نحو البصرة^(١٨) .

ويبدو أن ناصر الدولة لم يكن مرتاحاً لوجوده ببغداد بعيداً عن الموصل فقرر العودة الى مقر ولايته في شعبان من سنة ٣٣١هـ ، فأُسند المتقي هذا المنصب الى الأمير توزون ، إلا أن الخليفة عاد واهتم بالانجياز الى اعدائه البريديين ، وقرر الرحيل عن دار الخلافة ، وأرسل الى حلفائه الحمدانيين يطلب اليهم انفاذ جيش ليصحبه الى الموصل ، فأُسرع ناصر الدولة الى انفاذ جيش بقيادة عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ، ونشبت الحرب بين الحمدانيين وتوزون انهزم على اثرها الحمدانيون وعادوا الى الموصل في شهر ربيع الثاني سنة ٣٣٢هـ ، ثم رحلوا مع ناصر الدولة الى نصيبين وكان بصحبته الخليفة المتقي الذي سار الى الرقة فلحقه سيف الدولة الى هناك ، ويبدو أن توزون كان يؤثر الصلح مع الحمدانيين ليتفرغ لمواجهة البويهيين الذين دخلوا واسط ، فتم الاتفاق على عقد الضمان لناصر الدولة على مايبده من البلاد مدة ثلاث سنوات على أن يدفع في كل سنة ثلاثة ملايين وستائة الف درهم^(١٩) .

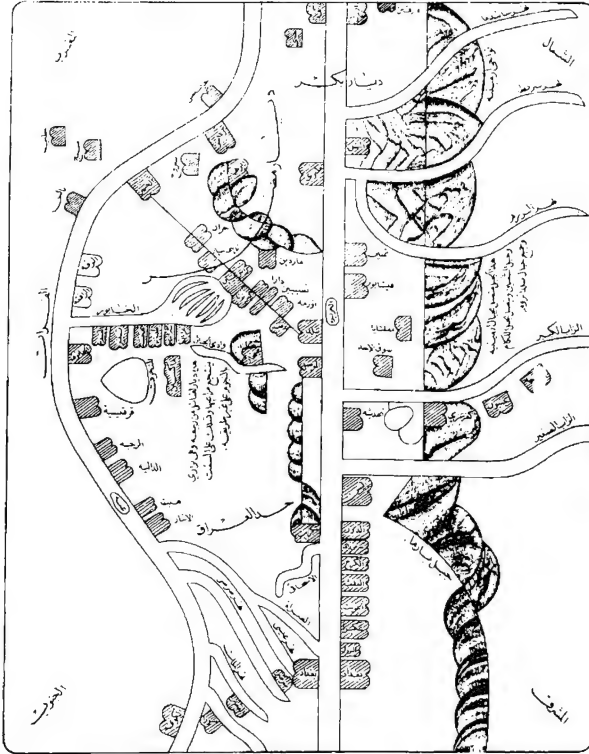
مقاومة الحمدانيين للتسلط البوهمي :

حمل الحمدانيون لواء المعارضة والتصدي للتسلط البوهمي منذ الأيام الأولى لدخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ ، فنشبت بينهم وبين البويهيين معارك عدة بسبب امتناع ناصر الدولة عن ارسال الأموال المقررة التي كان يحملها الى دار الخلافة قبل الغزو البوهمي ، وتمكن ناصر الدولة من دخول بغداد ، ثم مالبت أن خلع طاعة الخليفة المطيع لله الذي خلف المستكني بالله وحذف اسمه من الخطبة ومنع الناس من تداول الدنانير التي نقش عليها اسم المطيع ، وضرب دنانير ودرهم عليها اسم الخليفة المتقي لله ، غير أن أحمد بن بويه - معز الدولة - مالبت أن تتمكن من الحاق الهزيمة بناصر الدولة الحمداني وارغمه على الرحيل الى عكبرا ، ثم وقع الصلح بين

صورة الجزيرة

لاين حوقل (٣٦٧ هـ : ٤٩٧ هـ)

المستمر رقم ٤٢
عن كتاب مرسدة الأرض



شؤونهم الداخلية ، ولم تلبث الامور أن سارت لصالح البويهيين حين تمكن عضد الدولة البهسي من دخول الموصل ، وأرغم أبا تغلب على الرحيل نحو بلاد الروم ، ثم اتجه بعد ذلك الى دمشق ، ولم يلبث ان لقي مصرعه في شهر صفر من عام ٣٦٩ هـ ، وبوفاته انتهى حكم الحمدانيين في الموصل واقليم الجزيرة الفراتية (٢١) .

علاقة الحمدانيين بالخلافة العباسية :

كان الحمدانيون في بادئ أمرهم عمالاً للعباسيين على الموصل واعمالها ، غير أن تدهور اوضاع الخلافة

الطرفين في شهر محرم من سنة ٣٣٥ هـ (٢١) . غير ان هذا الصلح لم يستمر طويلاً ، إذ مالبت ناصر الدولة الحمداني ان امتنع عن الوفاء بالتزاماته المالية سنة ٣٣٧ هـ . ثم عقد الصلح ثانية بعد أن قصد معز الدولة البهسي الموصل على رأس عساكره ، والواقع أن هذه الحال قد تكررت على مدى السنوات التالية لحكم ناصر الدولة حتى انتهى الأمر باقصائه عن ولاية الموصل سنة ٣٥٣ هـ وحل محله ولده ابو تغلب فضل الله ، الذي تفجر الصراع في عهده بين أفراد الأسرة الحمدانية ، مما أتاح للبويهيين فرصة التدخل في

القبائل التي يتفاهم خلالها الصراع ضد البويهيين الذين وصلوا ضغطهم على الحمدانيين حتى تمكنوا أخيراً من إخضاع الموصل لنفوذهم بعد مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م^(٢٣).

والواقع أن حكم الحمدانيين في الموصل وإقليم الجزيرة الفراتية عموماً قد انتهى بمقتل أبي تغلب هذا، فقد تفرق رجال هذه الأسرة فدخل بعضهم في طاعة البويهيين، واتجه بعضهم الآخر إلى الفاطميين في مصر، في حين التحق آخرون بعمهم أبي المعالي شريف سعد الدولة في حلب^(٢٤).

المظاهر الحضارية

أولاً: الوضع الاقتصادي

تميز إقليم الموصل بوفرة حاصلاته الزراعية وتنوع إنتاجه، إذ تأتي الحبوب كالقمح والشعير في مقدمة تلك الحاصلات، تليها الفواكه وأهمها، الكمثرى والرمان والنب والفتاح، وكانت بغداد تعتمد في مبرتها على الموصل أربعة أشهر من كل عام^(٢٥). وقد حافظت الموصل على مركزها الاقتصادي خلال العصر الأموي حيث أصبحت قاعدة بلاد الجزيرة الفراتية، وبلغت جبايتها في عهد الرشيد أربعة وعشرين مليوناً من الدراهم سوى العسل، ثم أصبح مقدار ما يجبي في خلافة المعتصم ستة ملايين وثلاثمائة ألف دينار^(٢٦).

وفي عصر الحمدانيين ازدهرت الزراعة ازدهاراً كبيراً نتيجة الاستقرار الذي تمتعت به الموصل في عهدهم، وقد أشار ابن حوقل إلى ذلك فقال إن الحمدانيين ورجالهم (غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكروم وغرست الفواكه وغرست النخيل والخض^(٢٧))، وقد أولى الحمدانيون زراعة الأرز والحبوب عناية خاصة، حتى بلغ خراج القمح والشعير خمسة ملايين درهم.

العباسية خلال القرن الرابع ووقوعها تحت سيطرة البويهيين الذين استأثروا بالسلطة ومارسوا سياسة تعسفية تجاه الخلفاء وأشاعوا الفرقة والانقسام بين أبناء الشعب العراقي معتمدين في ذلك على نهج عنصري معادٍ للقيم العربية وللتراث العربي قد حمل ذلك كله الحمدانيين على رفض الخضوع للسيطرة البوذية وحملوا لواء المعارضة وقاموا بالتسلط البوذي كلما سنحت الظروف أمامهم، ووقفوا إلى جانب الخلافة العباسية في صراعها ضد الحكام البويهيين، ففعلوا من الموصل وأعمالها مدجاً للخلفاء العباسيين الذين تضييق بهم الأمور بدار الخلافة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحمدانيين كانوا قد وضعوا أنفسهم في خدمة الخلافة قبل دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ، فحين اجتاحت قوات البريديين بغداد أسرع الحسن بن حمدان إلى إرسال أخيه علي إلى رأس جيش كبير لمساعدة الخليفة المتقي لله ضد البريديين، فالتقى بالخليفة وأمير الأمراء ابن رائق في تكريت حيث عبر سيف الدولة (علي) عن بالغ احترامه للخليفة وقدم له ولن معه الثياب والفرش والأموال وسار في ركابه إلى الموصل^(٢٨). ثم قام الخليفة بمكافأة الحسن بن حمدان ولقبه ناصر الدولة وجعله أميراً للأمراء، كما خلع على أخيه علي ولقبه سيف الدولة. ولا شك أن هذه الألقاب لها دلالتها، إذ أنها تدل على اعتراف الخلافة بالدور المهم الذي يقوم به الحمدانيون في خدمة الخلافة العباسية، وعلى الرغم من أن الحمدانيين لم يكونوا يرغبون في إطالة مقامهم بدار الخلافة بسبب ما كانت تعانيه آنذاك من اضطراب الأحوال وكثرة الدسائس والمؤامرات التي يعجزون عن حلها، في وقت كانوا فيه

إلى التفرغ لحماية الثغور الإسلامية من التهديدات المستمرة من جانب الروم البيزنطيين إلا أن ذلك لم يؤثر على استمرار تعاونهم مع الخلافة العباسية ولم ينقطعوا عن حمل الأموال المقررة إلا في بعض

ذلك الى ازدهار التجارة في الموصل خلال القرن الرابع الهجري ، فأشار ابن حوقل الى أن الموصل امتازت بأسواقها الكثيرة بحيث كان لكل صنف من أصناف البضاعة سوقان أو ثلاثة أو أربعة خاصة بها ، وكل سوق منها يضم مائة حانوت أو أكثر (٣٠).

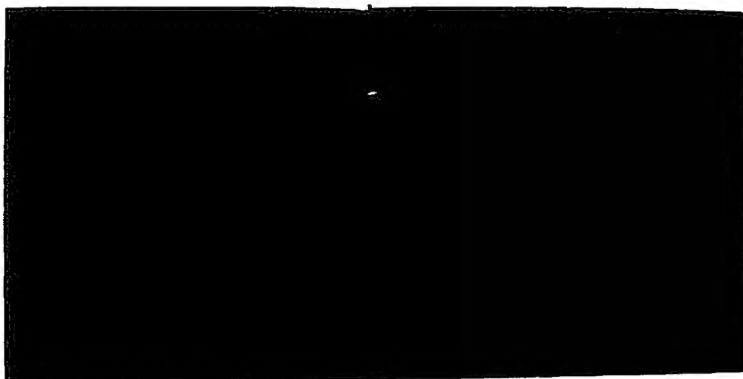
ومن اسواق الموصل المشهورة نذكر: سوق الطعام والاساكفة وسوق الغنم وكان يقام في كل يوم أربعاء سوق عرف (بسوق الأربعاء) في الساحة الفسيحة بداخل القلعة حيث يفد الفلاحون من القرى المجاورة ، وبالإضافة الى سوق الأربعاء كانت هناك اسواق اخرى مثل: سوق الحشيش والسقائين والقنابين والبرازين والسراجين ، ويؤكد المقدسي أن الموصل كانت تصدر الى الخارج منتجاتها الزراعية والحيوانية والصناعية من القمح والعسل والفحم والفواكه واللحوم المملحة والسلك والحديد والسكاكين والسهم والسلاسل وغيرها (٣١).

أما في مجال الصناعة فقد تميزت الموصل بشهرتها في بعض الصناعات التي غزت معظم اسواق اوربا وآسيا ، ويعود الفضل في ذلك الى صناعها الذين تألفت شهرتهم بسبب ماتوافر لديهم

ولاشك أن الحمدانيين كانوا يجنون اموالاً كثيرة من الموصل والمناطق المجاورة لها ، يدل على ذلك ترفهم وإسرافهم في العطاء ، حتى ان سيف الدولة الحمداني أمر بسك دنانير للصلوات في كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته ، وذكر بعض المؤرخين أن الحمدانيين كانوا يمارسون ضغطاً اقتصادياً على السكان ، فقد اشار مسكويه الى أن ناصر الدولة كان يضايق أصحاب الأراضي ويجبرهم على بيعها بأخمس الأثمان ، وبما تجدر الاشارة اليه هنا أن ابن حوقل الذي امتدح سياسة الحمدانيين الزراعية ، هاجم هو الآخر مافعله ناصر الدولة بالحديثة وتكريت وعكبرا وبلد (٣٨).

والواقع ان سياسة الحمدانيين الاقتصادية في عهد ناصر الدولة كانت تهدف الى انماء الغلال والحبوب على حساب الأشجار غير المثمرة ، وقد ترتب على هذه السياسة زيادة الانتاج وتعاظم الخراج الذي استخدموه في الانفاق على الحروب ضد الروم البيزنطيين (٣٩).

ولم يقتصر اهتمام الحمدانيين بالزراعة فحسب بل أولوا عنايتهم للتجارة ، فعملوا على صيانة الطرق وتوفير الأمن والحماية للقوافل التجارية متعاونين في ذلك مع الخلافة العباسية في بغداد ، وقد أدى



دينار حمداني ضرب سنة ٣٣١ هـ يحمل اسمي سيف الدولة وناصر الدولة .

الوضع الاجتماعي في الموصل خلال حكم الحمدانيين :

يشكل العرب الغالبية العظمى من سكان الموصل ، وكان بنو تغلب وأباد والقر من أولى القبائل التي دخلتها إبان حركة التحرير العربي الاسلامي لإقليم الجزيرة الفراتية ، ثم توافدت عليها قبائل الخزرج والازد وتميم وهمدان وبنو قيس وربيعة والشهوان وبنو شيبان وقبائل عربية أخرى ، هذا فضلاً عن عناصر أخرى كالأكراد الذين سكنوا المنطقة الواقعة شمال وشمال شرق الموصل ، كما سكن بعضهم سنجار والجزيرة الفراتية ، ثم التركمان الذين وفدوا اليها بعد دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤ هـ (٣٦) .

وكان لأهل الموصل عادات وتقاليده موروثية جرت عليها أجيالهم ، فكانوا يحرمون على الاحتفال ببعض المناسبات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبعيدي الفطر والأضحى ، وزيارة مشهد النبي يونس (ع) . كما كانوا يحتفلون بعودة الحجاج من بيت الله الحرام (٣٧) . ولما كانت الموصل معروفة بمجودة مناخها وعذوبة مائها فقد اعتاد أهلها الخروج الى ظاهر البلد للتنزه في الوديان والسهول الخضراء حيث تقام المهرجانات والعباب الفروسية وغيرها ، فضلاً عن قيامهم بزيارة الأديرة التي كانت تقع على مواضع تشرف على الحقول والبساتين ، وكان معظم قصاها من الشعراء والأدباء ، ومن بين المواضع الأخرى التي كان يرتادها أهالي الموصل : حمام العليل المشهور بمياهه المعدنية (٣٨) .

وجد الحمدانيون في هذه البيئة مايتناسب مع ميولهم بعد أن أصبحوا من أغنى أغنياء الموصل ، فشيّدوا القصور الفخمة التي تحيطها الخدائق الفسيحة ، ومن أشهر قصورهم في الموصل ، القصر الذي بناه أبو تغلب بن ناصر الدولة على ضفة نهر

من خبرات ومهارات فنية تشهد بها آثار الموصل في مختلف العصور . وقد ساعد على ازدهار هذه الصناعات تشجيع الأمراء الحمدانيين لكل ماله علاقة بالترف من جهة كالتياب والسجاد والعمود والزجاج وصناعة الحلبي وبما له علاقة بعمارة القصور والمساجد والمشاهد والحصون ، وصناعة الأسلحة من جهة أخرى .

فكانت الموصل من اعظم مراكز صناعة النسيج في الدولة العربية الاسلامية ، فقد برع نساو الموصل في صناعة المنسوجات الحريرية ، فاتخذوا لها الحواشي المقصبة وطرزوها بالكتابات المختلفة ، وزخرفوها بالتوريقات وقوامها النبات وأغصان الأشجار بخيوط الذهب والفضة مما كان يرتديه نساء الملوك والامراء والأعيان ، وقد عرف العالم هذا النسيج باسم (الموزلين) Moselin نسبة الى الموصل ونقله التجار الى اسواق اوربا (٣٩) .

وفضلاً عن المنسوجات اشتهرت الموصل بصناعة التحف المعدنية المطعمة بالذهب والفضة . وصناعة التحف الفخارية والخزفية ، وفن الحفر في الرخام والجص والخشب (٤٠) ، وقد اتقن صناع الموصل فن تطعيم التحف المعدنية بالفضة والذهب المعروف بالتكفيت مما اكسبها جالاً وابداعاً عظيمين ، وأصبح لمدرسة الموصل اثر كبير في تطور صناعة المعادن في سائر الأمصار الاسلامية ، ورحل كثير من صناعها الى القاهرة ودمشق وحلب ، ونشروا صناعة التحف المعدنية في اسلوب فني يظهر فيه التأثير بأساليب مدرسة الموصل (٤١) .

وقد كانت مسطحات الأواني تكفت بعناية دافقت من الفضة وشرائط من الذهب بشكل حل اللامس لهذه الأواني لايحس بأثر التجسيم ، وتعمل هذه الأشياء اسماء صناع من الموصل ، وقد اطلق اسم البرونز الموصل على كافة هذه الأعمال الشرقية (٤٢) .

دجلة، وكانت تحيط به الحدائق والبساتين التي تحترقها السواقي والغدران، وقد أمدنا الشاعر السري الرقاء بصورة رائعة عن هذا القصر، وتغنى بجبال مدينة الموصل ونقل صوراً عن مظاهر الحياة الاجتماعية، وصف من خلالها الحلاقين والأطباء وصيادي السمك والسفن والحمامات، فضلاً عن وصفه لمشاهد الطبيعة وزهارها وأشجارها وغدرانها^(٣٩).

وقد اعتاد الأمراء والوجهاء قضاء أوقات فراغهم بمختلف وسائل التسلية كالصيد والمسامرة وتطرح الشعر وسماع الغناء ولعب الشطرنج والترد وغير ذلك^(٤٠).

ثالثاً: الوضع الثقافي:

حظيت الحركة الثقافية في الموصل بإهتمام ورعاية الحمدانيين الذين شغفوا بالأدب وجمعوا بين السيف والقلم، فنشطت في أيامهم العلوم والآداب، واجتمع على أبوابهم عالم يجتمع على باب أحد من الملوك^(٤١). ومن الاعلام الذين برزوا في الموصل خلال عصر الحمدانيين. الشاعر السري الرقاء أبو الحسن بن أحمد الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، والجغرافي أحمد ابن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك، وابو الفتح عثمان المعروف بإبن جني صاحب المصنفات المتعددة مثل كتاب: الخصائص وكتاب سر صناعة الأعراب، وقد كان للأدبية دور مهم في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في القرن الرابع الهجري، فاشتهر من رجالها: عما نوثيل بن شهاري مؤلف كتاب (الأكسايرون) أي الأيام الستة، وكان معلماً في دير الأعلى، وهو دير مار جبرائيل، وایشو عياب بن شهاري المعلم في دير ميخائيل على نهر دجلة^(٤٢).

وقد عمل الحمدانيون خلال مدة حكمهم على رعاية الأدب، فحفلت المصادر التاريخية بالكثير

من اخبار امراء بني حمدان الذين برزوا في ميدان الشعر والأدب على الرغم من انشغالهم بالحروب والمنازعات الداخلية والخارجية، فكان أبو تغلب ابن ناصر الدولة أديباً وشاعراً ومحباً للثقافة، وقد اسهب الثعالبي في الحديث عن الحياة الأدبية في عصر الحمدانيين وذكر عدداً من شعراء هذه الأسرة، ومن مظاهر اهتمهم بالناحية الفكرية أن أبا تغلب كان قد اقتنى نسخة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني بعشرة آلاف درهم وعكف على دراسته، فأعجب بما فيه من طرائف الأدب، وأمر أن تنسخ له نسخة أخرى يكتب عليها اسمه^(٤٣).

خطط المدينة:

رافق تحرير العرب المسلمين لاقليم الجزيرة الفراتية حركة ازدهار للحياة الثقافية والعلمية ونهضة عمرانية شاملة، وسرعان ماغدت الموصل باعتبارها قاعدة اقليم الجزيرة من المراكز المهمة خلال العصر الأموي، فشيدت فيها المساجد والقصور، وقد أشار الأزدى الى أن هشام بن عبد الملك بنى قصرأ في موضع قطائع بني وائل، كما شيد الحر بن يوسف قصر المنقوشة الذي اتخذه دار امارة له، وكان القصر منقوشاً بألوان النقش والساج والقشاقش^(٤٤).

وقد حظيت الحركة العمرانية في الموصل خلال العصر العباسي بإهتمام خلفاء بني العباس وعلماءهم، فقد قام عامل ابي جعفر المتصور اسماعيل بن علي بإصلاح المسجد الجامع وضم اليه الأسواق المحيطة به، كما تم نقل المقبرة الى خارج العمران، وشيد مسجداً عرف بمسجد (أبي حاض). وقد تم توسيع المسجد للمرة الثانية في خلافة المهدي، حيث قام موسى بن مصعب عامله على الموصل بهدم اسواق البزازين والسراجين وضمهما الى المسجد، وحين آل حكم الموصل الى الحمدانيين سنة ٢٩٣ هـ شرعوا

الأعلى، ودرب باصلوت، ودرب الجصاصين، ودرب بني ميدة، ودرب أمير المؤمنين، ودرب الدباغين، ودرب جميل^(٩٩).

والى جانب هذه الشبكة من الشوارع أو الدروب كما كان يطلق عليها انذاك ذكر بعض المؤرخين طرقاً أخرى منها: سكة أبي نجيج، وهي من دروب الموصل القديمة، ثم درب ايليا الطيب، ثم درب رضى أمير المؤمنين^(١٠٠).

سور الموصل:

يرجع بناء أول سور لمدينة الموصل الى سعيد بن عبد الملك بن مروان الذي تولى امارتها في خلافة أبيه، ثم تولى بعده محمد بن مروان الذي جدد السور الذي بناه ابن اخيه سعيد ووسع نطاقه بسبب اتساع المدينة، وكانت الموصل قد اصبحت قاعدة بلاد الجزيرة الفراتية في عهد مروان بن محمد الذي تولى امارتها في سنة ١٠٢ هـ، فألحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً مفرداً ونصب جسرهما وبني اسوارها^(١٠١).

وقد استمر سور الموصل قائماً حتى سنة ١٨٠ هـ عندما أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد بهدمه على اثر الثورة التي قام بها أهل الموصل، فبقيت المدينة من غير سور حتى سنة ٤٧٤ هـ حيث قام الأمير مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور قليل الارتفاع لا تفصيل له ولا خندق^(١٠٢). وفي ضوء هذه المعلومات يتضح أن الموصل كانت خالية من الأسوار خلال حكم بني حمدان الذي امتد الى سنة ٣٨١ هـ.

الفنون المعيارية:

تميزت مدينة الموصل بوفرة أعداد كبيرة من أهل الخبرة والمهارة الفنية والصناعة الفائقة التي شهدت بها آثارها على مختلف العصور، وقد ساعد على ازدهار هذه الفنون توافر المعادن والمواد الخام في

ببناء دار للإمارة على الضفة الغربية لنهر دجلة قرب (قره سراي) اليوم^(١٠٣) كما بنوا مسجداً في الدبر الأعلى ومشهداً لعمر الخزاعي، وكان الحمدانيون قد أولوا اهتماماً خاصاً لبناء المساجد والمرائد والمشاهد في الموصل، ومن تلك المساجد، المسجد الذي شيدته الأميرة جميلة بنت ناصر الدولة، والقبة التي بناها ناصر الدولة على مشهد الإمام علي بن أبي طالب (رض)^(١٠٤).

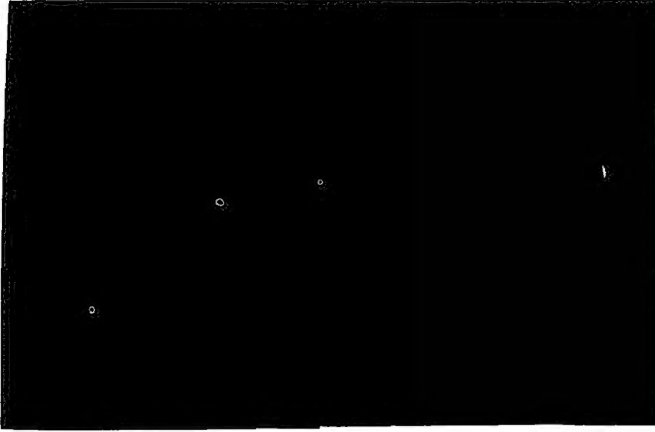
أما عن القصور التي انشأها الحمدانيون في الموصل، فأشهرها قصر أبي تغلب بن ناصر الدولة الذي بناه على ضفة دجلة، وقصر أبي الحسن ياروخ بن عبد الله على دجلة، وقد ازدهمت الموصل بالكثير من القصور والدور الأنيقة التي شيدت على نهر دجلة، فذكر ياقوت الحموي أن الموصل "كانت حسنة الأبنية وبيوتها تبنى بالرخام والنوره، ولا يكاد أهلها يستعملون الخشب في السقوف"^(١٠٥).

وقد أدى ازدياد عدد سكان الموصل الى خروج الناس الى الأرياض بعد أن ضاقت بهم المدينة فعمروها وصار بعض أرياضها يضاهاى المدينة نفسها، واشهر الأرياض ريسان: الرض الأعلى ويقع شمالي الموصل خارج السور، ويمتد من باب سنجار غرباً الى ضفاف نهر دجلة شرقاً، والرض الأسفل، وهو اكبر الأرياض واحسنها عمارة، فقد شيدت فيه المدارس والمساجد والأسواق والحمامات والخانات^(١٠٦).

والواقع أن مدينة الموصل امتازت بفخامة ابنياتها وجبال هندستها وزخرفتها وتنسيق شوارعها وحدائقها، حتى أصبحت محلاتها وأحيائها مضرباً لمثال، فكانت تخترق مدينة الموصل شبكة من الدروب والشوارع التي تربط بين أحيائها وأرياضها، ومن أهم تلك الطرق التي كانت معروفة آنذاك كما أوردتها المقدسي هي: درب دير

والى جانب الزخارف الجصية برع أهل الموصل في حفر الزخارف في الخشب وتطعيمه بالأصداف، كما برعوا في استعمال الأخشاب ذات اللون المغاير للخشب الذي يجري تطعيمه، فكانت تظهر على هذه الأخشاب زخارف غائرة وبعضها بارزة تحيط باللوح ويكون داخل اللون زخارف دقيقة للغاية، كما يظهر ذلك في الباب الخشبي لجامع النبي جرجيس في الموصل^(٥٤).

المناطق المحيطة بالموصل، ومن أشهر الفنون المعمارية: فن الحفر في الجص وفي الخشب والرخام، فقد برع الفنان الموصل في فن الزخرفة التي وضحت آثارها فيما وصل إلينا من آثار للمساجد والقصور وغيرها من المنشآت العمرانية التي تظهر في أعلاها الزخارف الجصية التي تتألف من رسوم نباتية تتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام^(٥٥).



لوح رخامي عثر عليه شمال موقع مرز الآمام يسمى أبو القاسم في الموصل، تبت زخرفته بأسلوب تطعيمها المشابه لفن مرز سامراء المشطوط أنه يعود الى نهاية القرن الثالث الهجري أو بداية الرابع، ولعله من بقايا آثار المسجد الذي بناه لنفسه الحسين بن سعيد الحمداني المتوفى سنة ٣٣٨هـ في هذا الموقع

(تعلق وتصور يوسف ذنون)

مطواع للحفر، مما جعل الناس هناك يفضلونه على الآجر، فكانوا يطبقون الرخام الأزرق بالرخام الأبيض أو بالصدف ويكون هذا التطبيق أما بالكتابة بأحرف كبيرة أو تكون على شكل ألواح هندسية جميلة، يزينون بها المحاريب والأبواب والجدران التي تحيط بأسفل الغرف.

وبعد الرخام مادة أساسية في أبنية الموصل، فأتخذ أهلها من هذه المادة الأقواس والمداخل والشبابيك، كما فرشوا به أرضية دورهم، وقد شجعهم على استخدامه كثرة توافره في القسم الشمالي من الموصل، ويكون لون المرمر مائلاً الى الزرقة، ويسمى (المرمر)، وهو سهل القطع الهوامش

- (٤) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ١٠٠.
- (٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٥.
- (٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠٢، أبو المحاسن، التجرم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٣.

- (١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٥.
- (٢) الطبري، تاريخ ج ٨ ص ١٧٠ - ١٧٤.
- (٣) ابن الأثير، الكامل ج ٧ ص ٥٣١، فيصل السامر، الدولة الحمدانية بغداد ١٩٧٠ ج ١ ص ٣٨ - ٤٠.

- (٣٢) أرنست كونزل، الفن الاسلامي ص ٨٧.
- (٣٣) الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص ٦٤، ٦٥.
- (٣٤) التكنيت طريقة للزخرفة تقوم على حفر الرسوم على سطح المعدن أو الخشب، ثم تملأ الشقوق التي تتألف هذه الرسوم بقطع من مادة اغلى قيمة كالذهب والفضة.
- (٣٥) أرنست كونزل، الفن الاسلامي ص ٨١.
- (٣٦) الطبري، ج ٤ ص ٣٦، القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٨٦ - ١٨٧ الصائغ، تاريخ الموصل ص ٥١.
- (٣٧) ابن الأثير، الكامل ج ١١ ص ٣٦٤، الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص ٨٠.
- (٣٨) الآكوسي، بلوغ الارب ج ١ ص ٢٢١، الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص ٨٢.
- (٣٩) ديوان السري، ص ٣٤ - ٣٦.
- (٤٠) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٧٢.
- (٤١) الثعالبي، يتيمة الدهر ج ١ ص ٨٠.
- (٤٢) الصائغ، تاريخ الموصل ص ١٤٤ - ١٤٥.
- (٤٣) ياقوت، معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٢٥ - ١٢٦، انظر كذلك: السامر: الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٦٦.
- (٤٤) الازدي، تاريخ الموصل مختصر ورق ١٧، ١٨.
- (٤٥) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٥٠.
- (٤٦) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٥٠ - ٣٥٢.
- (٤٧) الحموي، معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٦.
- (٤٨) الديوه جي، المرجع السابق ص ١١٠.
- (٤٩) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٣٨.
- (٥٠) الديوه جي، المرجع السابق ص ١١٠.
- (٥١) البغدادي، مرامد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٤، الديوه جي، سود الموصل مجلة سور مجلد ٧ ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧.
- (٥٢) ابن الأثير، الباهر ص ٧٨.
- (٥٣) أرنست كونزل، الفن الاسلامي ص ٦٨.
- (٥٤) الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي ص ٦١.
- (٧) نفس المصدر، الكامل ج ٨ ص ٢١٤ - ٢١٧.
- (٨) نفس المصدر، الكامل ج ٨ ص ٢٢٠ - ٢٢١.
- (٩) نفس المصدر، الكامل ج ٨ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
- (١٠) نفس المصدر، الكامل ج ٨ ص ٢٣٥.
- (١١) هو الخليفة جعفر بن المتعصم بالله تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ.
- (١٢) ابو الفدا، المختصر ج ٢ ص ٧٦.
- (١٣) للمسعودي، التنبيه والاشراف ص ٣٢٧.
- (١٤) ابو العباس أحمد بن القنطرة بالله تولى الخلافة بعد القاهرة في مجدي الاولى سنة ٣٢٢ هـ.
- (١٥) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٠.
- (١٦) ابواسحق ابراهيم بن القنطرة بالله بوع بالخلافة سنة ٣٢٩ هـ.
- (١٧) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٢٤٠.
- (١٨) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ٣٨٤ - ٣٨٥.
- (١٩) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ٤٠٧ - ٤٠٨.
- (٢٠) نفس المصدر، ج ٨ ص ٤٥٤.
- (٢١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥ ص ٣٩٥.
- ابن الفلاني، ذيل تاريخ دمشق ج ٢١ - ٢٤.
- (٢٢) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ٣٨٢.
- (٢٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٧ ص ١١٧.
- (٢٤) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٨٩.
- (٢٥) ابو الحسن، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٥.
- (٢٦) الجيهشباري، الوزراء والكتاب، ص ٣٢، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٦٨.
- (٢٧) ابن حوقل، ج ١ ص ٢١٤.
- (٢٨) مسكويه، تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٨٤، ابن حوقل، ج ١ ص ٢٢٩.
- (٢٩) السامر، الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٣٤.
- (٣٠) ابن حوقل، ج ١ ص ٢١٥.
- (٣١) المقدسي، ص ١٣٨ - ١٣٩.

الموصل في عهد إدارة العقيلية ٣٨٠ - ٤٨٩ هـ / ٩٩٠ - ١٠٩٥ م

٥. خاشع المعاصيدي

بعثة الرسول (ص) ^(١).

والنسبة الى «عقيل» على عدة وجوه، فالعقيلي «بفتح العين المهملة وكسر القاف وسكون الباء، نسبة الى عقيل بن ابي طالب، و «العقيلي» بالفتح ايضاً بطن من بني زيد بن جذام من قحطان. ومسكنهم بالشرقية من الديار المصرية،

بنو عقيل احدى قبائل العرب التي نزحت من الجزيرة العربية لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، الى العراق والشام والخليج العربي ومصر وبلاد المغرب العربي، وكان رحيلهم الى هذه البلاد بعد دخولهم الاسلام، وكانت لهم مواقع متعددة ونفوذ واسع في الجزيرة العربية منذ

ويقال لهم «العقيليون»، و«العقيلي» بضم العين وفتح القاف وسكون الياء، نسبة الى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم اصحاب الامارة العقيلية بالموصل والجزيرة الفراتية من ارض العراق، وكان قد عظم امرهم في عصر السيطرة السلجوقية^(٢).

وكان بنو عقيل، لما خرجوا من الجزيرة العربية، اقام قسم منهم في البحرين مع كثير من قبائل العرب، ومنهم بنو تغلب وبنو سليم، وكان اكثرهم قوة وعدداً بنو تغلب، ثم اجتمع بنو تغلب وبنو عقيل على بني سليم حتى اخرجوهم من البحرين الى مصر حيث اقام بعضهم هناك، في حين سار الآخرون الى افريقية، من بلاد المغرب، ثم اختلف بنو عقيل مع بني تغلب، وحدثت بينهم حروب كثيرة انتهت بخروج بني عقيل من البحرين الى العراق فلكوا الكوفة والبلاد الفراتية ثم تغلبوا على الموصل واقاموا دولتهم فيها بعد الحمدانيين، وما زالوا حتى غلبهم السلاجقة وازالوا دولتهم من الموصل سنة ٤٨٩ هـ وعادوا ثانية الى البحرين^(٣).

أما العقيليون الذين اقاموا في بلاد الشام قبل قيام دولتهم في الموصل فقد صار لهم دور مهم في السياسة العامة، وخاصة في المنطقة الواقعة بين الموصل وحلب ذلك ان ماوصلت اليه الحال من علو شأن الفرس في الدولة العباسية بعد مقتل الأمين وبيعة المأمون سنة ١٩٨ هـ، اثار سخط العرب، وما لبثوا ان عبروا عن سخطهم هذا بالثورة المسلحة ضد خلافة المأمون ومن ورائه الفرس، فقام رجل عربي من بني عقيل، يدعى نصر بن سيار بن شيت العقيلي بثورة في شمال حلب سنة ١٩٨ هـ، وتغلب على ماجاوره من البلاد، واجتمع اليه كثير من العرب، بعد ان صار معظم قواد العباسيين من غير العرب، غير ان جند المأمون ضيقوا الحصار عليه حتى طلب

الامان، وكان المأمون قد طلب الى نصر العقيلي في رسالة بعث بها اليه مع احد رجاله، ان يترك الحرب، ويمنح الى السلم، فقبل نصر ذلك على ان لا يسطر بساط المأمون^(٤).

ومن بين العقيليين الذين ظهوروا في بلاد الشام قبل قيام دولتهم بالموصل ظالم بن موهوب العقيلي الذي تغلب على دمشق سنة ٣٥٧ هـ، سنة ٣٥٨ هـ، ثم ولاء الحسن بن احمد القرطبي عليها بعد ان استولى على بلاد الشام، من الدولة العبيدية في مصر سنة ٣٦٠ هـ وما لبث ظالم العقيلي ان اختلف مع القرطبي الذي زحف الى بلاد الشام ثانية سنة ٣٦١ هـ^(٥).

أولاً: قيام دولة العقيليين في الموصل:

لما ضعفت السلطة المركزية في بغداد في اواخر القرن الثالث الهجري، نتيجة ازدياد نفوذ العنصر الأجنبي على الخلافة العباسية، عملت القبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية على استعادة نفوذها، واستولت على كثير من القلاع والمدن، وكونت دويلات شبه مستقلة عن الخلافة العباسية، ومنها دولة بني عقيل في الموصل وديار بكر والجزيرة الفراتية للفترة من سنة ٣٨٠ هـ، سنة ٤٨٩ هـ^(٦).

كان شأن بني حمدان قد ضعف في الموصل بعد وفاة اميرهم ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٥٨ هـ، واختلف اولاده على السلطة، وتعرضت دولتهم لغارات الروم من الشمال، وهجوم البويهيين على الموصل من الجنوب، مما اجبر ابا تغلب الحمداني على مغادرة الموصل الى دمشق سنة ٣٦٧ هـ فانضم اليه بنو عقيل هناك في نزاعه مع بني الجراح وحلفائهم العبيديين، ولما نشبت الحرب بين

١ - ابو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد الأكبر بن جعفر بن مهند العقيلي، المؤسس الأول لدولة بني عقيل في الموصل :

وكان اول نشاطه ، عندما ساعد ابني ناصر الدولة الحمداني ، الي طاهر ابراهيم ، وابني عبدالله الحسين ، ضد باذ الكردي الذي غزا الموصل ، فأوقع العقيليون والحمدانيون به الهزيمة الى الشرق من دجلة وذلك سنة ٣٧٩ هـ ، حصل بعدها ابو الدرداء على جزيرة ابن عمر ونصيبين من الحمدانيين ، وصار له نفوذ واسع في تلك المنطقة وما والاها من الأعمال^(٨) .

ولما هاجم ابو علي الحسن بن مروان ، مؤسس الدولة المروانية في ميفارقين ، الموصل سنة ٣٨٠ هـ ، وانهزم آخر امراء بني حمدان سار أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي الى الموصل ، واستولى عليها وعلى الأعمال التابعة لها . وبذلك اقام الدولة العقيلية في الموصل^(٩) .

ارسل ابو الدرداء العقيلي ، بعد ان استقر امره بالموصل ، آل بهاء الدولة البهسي يسأله ان يبعث له من يقيم عنده من اصحابه ، ليعينه في تدبير امور الدولة ، فأرسل اليه البهسي ، احد قواده ، الذي اقام بالموصل الى جانب الأمير العقيلي كاتباً ، وليس له من الأمر شيء ، لكن البهسيين مالبثوا ان استعادوا الموصل سنة ٣٨٢ هـ من العقيليين ، وظلوا يتولون حكمها حتى سنة ٣٨٦ هـ حيث توفي ابو الدرداء العقيلي وقام اخوه المقلد بالامارة^(١٠) .

٢ - حسام الدولة المقلد بن المسيب :

اختلف المقلد واخوه علي على الامارة بعد وفاة اخيهما الي الدرداء ، وانقسمت عقيل بين الأخوين ، وكادت الحرب تنشب ، غير انها تداعيا للصلح ، وزخفا نحو الموصل واولعوا بالقائد البهسي الي جعفر بن هرمز الذي رحل عن الموصل الى

الفريقين انهزم ابن حمدان ونزح بنو عقيل الى شرق بلاد الشام واجتمعوا في ارض الجزيرة الفراتية والموصل ، ومنذ ذلك الوقت صار بنو عقيل من رعايا الدولة الحمدانية . ولما تداعت الدولة الحمدانية تطلع العقيليون للسيطرة على الموصل ، ونجح ابو الدرداء (ابو الذؤاد) محمد بن المسيب امير بني عقيل ، في الاستيلاء على نصيبين سنة ٣٧٩ هـ . ثم استولى على الموصل سنة ٣٨٠ هـ واعترف البهسيون به والياً على الموصل ، لكنهم مالبثوا ان عزلوه سنة ٣٨٢ هـ ، وصاروا يتولون حكم الموصل من سنة ٣٨٦ هـ حيث تمكن المقلد ابن المسيب العقيلي ، وهو اخو محمد بن المسيب المذكور ، من استعادة الموصل من البهسيين واسس الدولة العقيلية فيها والتي استمرت حتى سنة ٤٨٩ هـ^(٧) .

وقد اقام عدد من امراء بني عقيل الذين انحدروا من جددهم «المقلد الأكبر» عدة مراكز لسلطانهم في العراق والشام وبعض بلاد الشرق العربي باسم العقيليين ، منها الآتي :-

- ١ - اولاد المسيب بن رافع بن المقلد الأكبر ، حكام الموصل ونصيبين وحلب وجعبر والرقعة وحران .
- ٢ - اولاد مالك بن المقلد الأكبر ، حكام هيت على الفرات .
- ٣ - اولاد معن بن المقلد الأكبر ، حكام تكريت وعكبرا ، واوانا على دجلة .
- ٤ - اولاد شعيب بن المقلد الأكبر ، حكام حديثة عانة على الفرات .

امراء بني عقيل في الموصل :

حكم الدولة العقيلية في الموصل الامراء الآتية اسماؤهم :

كبير في العلاقات بين الخلافتين العباسية والعبيدية. فقد خطب للعباسيين احياناً، وللعبيديين احياناً اخرى على منابر الموصل والأعمال التابعة له، اذ كان كثير التردد في الولاء لأي من الخلافتين، لكنه كان في احيان اخرى يميل الى الحياد او الاعتزال عن الجانبين، ومع ذلك، فهو يرغب في الاستفادة من الطرفين، وكان لعلو شأنه في ذلك العصر، ان عقد له السلطان البوهي على ابنته سنة ٤٠٨ هـ بصادق قدره خمسون الف دينار^(١٤).

٤- زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد :

استولى ابو كامل بركة بن المقلد، على الامارة سنة ٤٤٢ هـ بعد ان احتجز اخاه قرواش في دار الامارة، ثم نقله الى قلعة الجراحية خارج مدينة الموصل حيث بقي فيها حتى وفاة اخيه بركة سنة ٤٤٣ هـ^(١٥).

٥- علم الدين ابو المعالي قريش بن بدران العقيلي :

لما توفي ابو كامل بركة بن المقلد اجمعت بنو عقيل على ان يتولى امرهم ابن اخيه قريش بن بدران بن المقلد العقيلي، وكان اول اعماله ان اخرج عمه قرواش من قلعة الجراحية وقتله في مجلسه في مستهل رجب من سنة ٤٤٤ هـ ودفنه في تل توبة شرقي الموصل، وكان قريش يولي نصيبين قبل ان يتولى امارة الموصل، وظل يولي حكم العقيليين في الموصل حتى وفاته سنة ٤٥٣ هـ^(١٦).

٦- شرف الدولة ابو المكارم مسلم بن قريش.

تولى امارة بني عقيل بعد وفاة ابيه، فملك الموصل وحلب والجزيرة الفراتية، وكان شجاعاً

بغداد، في حين دخل العقيليون الموصل على ان يخضب للمقلد وعلي في المدينة، وان يقدم علي في الخطبة لكبر سنه، على ان العلاقة الطيبة بين الاخوين، تعرضت للفساد والعبث من قبل المغرضين من اتباعها، وعادت الخلافات بين الأخوين حتى وفاة علي سنة ٣٩٠ هـ، كما فشل اخوهما الحسن في منازعة المقلد على الامارة، وبذلك استطاع المقلد ان ينفرد بالسلطة، ويثبت كيان الدولة العقيلية في الموصل واعمالها، واستمر يتولى امرها حتى وفاته غيلة بالانبار سنة ٣٩١ هـ^(١٧).

امتاز المقلد العقيلي بحسن السياسة والتدبير، اذ كان شخصية قوية وشجاعة، فيه عقل وسياسة، اتسعت دولته حتى شملت فضلاً عن الموصل، الكوفة والقصر والجامعين وسقي الفرات والانبار والجزيرة الفراتية، وقد استخدم من الديلم والأتراك في جيشه، ما بلغ ثلاثة آلاف من الجنود الذين كان يطلق عليهم الارزاق، وكان فيه فضل ومحبة لأهل العلم والأدب، وكان ينظم الشعر ايضاً^(١٨). كما صار للمقلد العقيلي، دور مهم في المنازعات الدولية وخاصة بين الخلافتين العباسية في بغداد، والعبيدية في مصر، بشأن السيطرة على بلاد الشام والحرمين الشريفين، والجزيرة الفراتية، حتى كان مقتله بالانبار على يد احد مماليكه الأتراك سنة ٣٩١ هـ^(١٩).

٣- معتمد الدولة قرواش بن المقلد:

تولى الامارة بعد مقتل ابيه سنة ٣٩١ هـ وانفرد بالحكم رغم منازعة عمه الحسن بن المسيب له، وحكم قرابة خمسين عاماً. وكان نفوذه قد امتد حتى شمل الكوفة والمدائن وسقي الفرات فضلاً عن الموصل، لقبه الخليفة العباسي القادر بالله «معتمد الدولة» وكان ادبياً وشاعراً، ذا عقل وسياسة حتى صار من بين رجال العرب البارزين، وصار له دور

جواداً ذا همة وعزم ، احتاجه الخلفاء والملوك والوزراء ، وخطب له على المنابر من بغداد الى القواصم والشام . واقام حاكماً على البلاد نيفاً وعشرين عاماً . وقد زوجه السلطان السلجوقي ألب أرسلان اخته ، وإن مما يجدر ذكره ان مسلم العقيلي ولي مدينة الموصل للشاعر ابن حبوس عندما مدحه بقصيدة قال فيها : (١٧)

ما أدرك الطلبات مثل مصمم
إن أقدمت أعداؤه لا يحجم

فأقام ابن حبوس الشاعر في حكم الموصل ستة أشهر وكان ذلك سنة ٤٧٧ هـ .

اتسعت مملكة مسلم العقيلي كثيراً ، وزادت عن املاك اسلافه ، فقد ملك السندية على نهر عيسى الى منبج وديار بكر وريقة ومقر والجزيرة الفراتية وحلب اضافة لما كان لأبيه وعمه قرواش من الموصل والأنبار وهيت وتكريت ، وكان مسلم يسوس البلاد بأحسن السير وإعددا ، لذلك امنت الطرقات في دولته وكان يصرف الجزية في بلاده على الطالبين ، كما عمر سور الموصل سنة ٤٧٤ هـ وفرغ من عمارته بستة اشهر (١٨) .

وكان لتعاظم امر مسلم العقيلي ان حاولت الشعبية اغتياله سنة ٤٧٤ هـ عن طريق خادمية لكنها لم تنجح ، فقبض عليها وقتلا ، ثم كان مقتل مسلم سنة ٤٧٨ هـ باطراف انطاكية حيث دارت الحرب بينه وبين قتلش السلجوقي ، فكانت وفاته بداية لزوال دولة بني عقيل في الموصل والعراق وبلاد الشام ، حيث سارتاج الدولة تنش وهو اخو السلطان ملكشاه السلجوقي الى حلب واستولى عليها من بني عقيل (١٩) .

٧- ابراهيم بن قريش :

اختاره بنو عقيل للامارة بعد مقتل اخيه مسلم سنة ٤٧٨ هـ . وما ان تم له الأمر حتى تمكن من استعادة الموصل من ابن جهير الذي استولى على

الموصل سنة ٤٧٧ هـ بمساعدة قسم الدولة آقسنقر في اثناء غيبة مسلم العقيلي عن الموصل الى الشام ، غير ان السلطان السلجوقي ملكشاه لم يعترف بامارة ابراهيم على العقيليين ، واسند الامارة الى ابي عبدالله محمد بن مسلم ، واستنابه عنه بالرجبة وحران وسروج والخابور ، وزوجه اخته بنت السلطان الب أرسلان السلجوقي ، لكن بني عقيل رفضوا تدخل السلطان السلجوقي بأمور دولتهم ، وقرروا الابقاء على ابراهيم اميراً عليهم ، وما زال الأمر على ذلك حتى سنة ٤٨٢ هـ حيث استدعى السلطان السلجوقي ملكشاه الأمير ابراهيم العقيلي الى بغداد ، فاعتقله واخذه معه اسيراً الى سمرقند ، ثم عاد به معه الى بغداد وما زال ابراهيم في الاسر حتى وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ ، وكان السلاجقة قد اخذوا الموصل مدة احتجاز ابراهيم العقيلي ، في حين استمر الأمير محمد بن مسلم العقيلي يلي اماره بني عقيل في الأعمال الخاضعة له ، وكان ينازعه في ذلك اخوه علي بن مسلم العقيلي (٢٠) .

اطلق سراح ابراهيم العقيلي بعد وفاة السلطان ملكشاه ، في حين استمر النزاع بين الأخوين محمد وعلي اولاد الأمير مسلم العقيلي على الامارة في الموصل . وتطور النزاع الى قتال انهزم فيه الامير محمد ، ودخل الامير علي الموصل واستولى عليها من فخر الدولة بن جهير القائد السلجوقي ، وبذلك عاد حكم العقيليين على الموصل ، ثم اصطلح الأمير علي مع عمه الأمير ابراهيم ، وسلمه الموصل وبلد ، وساد نفوذ ابراهيم في جميع بلاد بني عقيل ، غير ان السلاجقة لم يكفوا عن التدخل في شؤون اماره ابراهيم العقيلي ، فقد طلب اليه تاج الدولة تنش ، وهو اخو السلطان ملكشاه والمتنفذ في بلاد الشام آنذاك ، ان يخطب له بالسلطنة بعد الخليفة العباسي ، فلما رفض ابراهيم العقيلي ذلك سارتاج الدولة تنش الى الموصل يريد احتلالها ، فخرج اليه ابراهيم العقيلي ، والتقى الفريقان العربي

والسلجوقي سنة ٤٨٦ هـ عند نهر المهرماس ، واشتبكا في عدة مواقع ، كان اهمها موقعة المضيق انتهت بانتصار تاج الدولة تنش ومقتل ابراهيم العقيلي وعدد من امراء بني عقيل وذكر ان عدد القتلى من الجانبين بلغ عشرة آلاف رجل . ولم يشاهد اشبع مما عمله السلاجقة بالعرب ونسائهم في هذه الحرب حتى ان بعض نساء العرب عمدن الى القاء انفسهن في نهر الفرات خشية ماقد يلحقهن من العار على ايدي السلاجقة ، وبذلك استولى تاج الدولة تنش على ديار بكر والجزيرة وآمد وميافارقين ، وانفذ ولاته الى الموصل وسنجار ، في حين ترك بنو عقيل منازلهم وتوجهوا حيث يقم السلطان بركياروق بن ملكشاه السلجوقي^(٢١) .

٨- علي بن مسلم العقيلي :

ولما وفد بنو عقيل على بركياروق ، ولى عليهم علي بن مسلم العقيلي ، ووعدهم بالمساعدة للعودة الى الموصل . ثم سار بنو عقيل الى الموصل سنة ٤٨٦ هـ واخذوها من عسكر تاج الدولة تنش واقام علي بن مسلم اميراً على الموصل ، لكن اخاه محمد ابن مسلم استمر ينازعه على الامارة وهو بنصيبين ، كما ساءت علاقة الامير علي العقيلي مع ثروان بن وهب العقيلي وابي الهيجاء الكردي ، وكانا قد استنجدا بالسلطان بركياروق ، فسار اليهما ، فأخذ في طريقه نصيبين من الأمير محمد العقيلي وقتله سنة ٤٨٩ هـ . ثم واصل سيره الى الموصل وحاصرها تسعة اشهر ، اضطر اميرها علي العقيلي على الخروج من الموصل ولحق بالأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ، في حين استولى كربوقا السلجوقي على الموصل واعمالها ، وبذلك زال حكم العقيليين منها سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م ، وصارت بلادهم جزءاً من دولة السلاجقة^(٢٢) .

عاد العقيليون بعد زوال دولتهم في الموصل ، الى موطنهم الأصلي في بلاد البحرين لكن ذلك

لايعني ، عدم بقاء اعداد منهم في مدن العراق المختلفة وبخاصة الموصل وانحاء البصرة ، ولم تكن الدولة العباسية راغبة في زوال الدولة العقيلية لما تميزت به من نزعة عربية اصيلة ، فضلاً عن ميل امرائها الى خلفاء بني العباس ، ذلك الولاء الذي تجلّى في استضافة محيي الدين مهارش المجلي العقيلي للخليفة العباسي القائم بأمر الله في حديثة عانة ، سنة كاملة اثناء فتنة اليساسيري في بغداد سنة ٤٥٠ هـ حيث قام الأمير العقيلي بخدمة الخليفة وكرامه احسن اكرام حتى اعيد الى بغداد بمساعدة السلطان السلجوقي طغرلبيك سنة ٤٥١ هـ .

ثانياً : العلاقات السياسية للدولة العقيلية :

قام العقيليون بدور بارز في العلاقات السياسية بين القوى والدول المتنازعة للسيطرة على الخلافة العباسية من جهة ، وعلى بلاد الشام من جهة اخرى ، حيث كانت بلاد الشام والجزيرة الفراتية في ذلك الوقت ، تشكل المركز الهام للحركات الاستقلالية ضد الخلافتين العباسية والعبدية اللتين واجهتا صعوبات كبيرة وكثيرة من الامراء المحليين في هذه المنطقة كالحمدانيين والعقيليين وبني الجراح الطائيين وبني مرداس وغيرهم من امراء العرب هناك ، على ان هؤلاء الامراء كانوا دائماً بحاجة الى اعتراف الخلافة العباسية بسلطانهم ويتطلعون للحصول على تقليد الخليفة لهم^(٢٣) .

ولما سيطر العقيليون على الموصل والجزيرة الفراتية وقسم من بلاد الشام اتجهت انظار الخلافتين في بغداد ومصر ، نحوها ، رغبة في احتوائها والتعاون معها ضد الطرف الآخر ، وصارت الدولة العقيلية ، المجال الحيوي ، للنزاع السياسي بين هاتين الخلافتين من جهة ، وبين المتغلبين على بغداد من بويهيين وسلاجقة من جهة اخرى ، في حين مال بنو عقيل الى الاستقلال عن جميع هذه القوى ، ولذلك فقد اضطروا الى اعتماد سياسة الولاء لهذا

الطرف ضد الآخر، وحصلوا على العهود والهدايا من كلتا الخلافتين وفقاً لما تقتضيه مصلحة دولتهم، وكان لهذا المنهج التكريري في سير العلاقات الدولية في المنطقة حينذاك^(٢٤).

١- العلاقة مع الخلافة العباسية :

تميزت العلاقات العقيلية العباسية بالطابع القومي خاصة وقد تداعت احوال العرب امام العناصر الأجنبية، وصار خلفاء العباسيين يميلون الى بني عقيل ويحرمونهم لما امتازوا به من نزعة عربية ضد المتسلطين على الخلافة من العناصر غير العربية كالبيهيين والسلاجقة وغيرهم، ولذلك فقد خلع الخليفة العباسي على الأمير العقيلي المقلد، ولقبه «حسام الدولة» واقطعه القصر والكوفة والجامعين فضلاً عن الموصل وما بيده من الأعمال التابعة لها وذلك سنة ٣٨٦ هـ^(٢٥).

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها دعاة الدولة العبيدية في مصر، لافساد العلاقة بين بني عقيل والخلافة العباسية، فإنهم ظلوا يوالون خلفاء بني العباس، وخير دليل على ذلك، ما فعله الأمير قريش ابن بدران العقيلي، عندما دخل مع امي الحارث ارسلان البساسيري ببغداد في الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ بتدبير الداعية العبيدي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، اذ طلب الخليفة العباسي القائم بأمر الله الأمان من الأمير العقيلي قريش بن بدران على لسان رئيس الرؤساء حيث نادى قريش قائلاً: يا علم الدين، ان امير المؤمنين يستدنيك اليه، فدنا قريش العقيلي منه، فخاطبه رئيس الرؤساء قائلاً: قد انالك الله منزلة لم ينلها امثالك، وامير المؤمنين يستدزم بك على نفسه واهله واصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسول الله (ص) وذمام العروبة. فقال قريش: قد اذم الله تعالى له، قال رئيس الرؤساء: ولي ولن معه؟ قال قريش العقيلي: نعم، فتزل الخليفة

العباسي القائم بأمر الله اليه ويصحبته رئيس الرؤساء، وساروا مع قريش العقيلي آمنين الى معسكره، وكان الأمير العقيلي قد استقبل الخليفة احسن استقبال، وقبل الأرض دفعات بين يديه، وضرب له خيمة خاصة في الجانب الغربي من دجلة، ودخلها، واسدى له خدمة جليلة، ثم سار الخليفة العباسي من بغداد بأمر الأمير العقيلي قريش، الى حديثة عانة ليقم عند اميرها محي الدين مهارش المجلي العقيلي، وقد حمل الخليفة في هودج اليها عن طريق الأنبار حتى وصل الحديثة، واقام في قلعتها سنة كاملة وسط نهر الفرات، والمجلي العقيلي يقوم بخدمته وجميع ما يحتاجه^(٢٦).

وقد ظل امراء بني عقيل يحتفظون بالود والاحترام للخلافة العباسية على الرغم من ميلهم في بعض الأحيان الى الخلافة العبيدية في مصر وقبول الهدايا والخلع منهم، وما يؤكد ذلك ما قام به الأمير مسلم العقيلي عندما تبرع للخلافة العباسية سنة ٤٧٤ هـ بمبلغ الف دينار لأعمار مدينة بغداد التي تعرضت للغرق وانهدم سورها، على ان مرد هذه العلاقات الطيبة للدولة العقيلية مع الخلافة العباسية يرجع الى نزوع العقيليين الأصيل للعروبة، الذي ظل يسيطر على سياستهم على وجه العموم^(٢٧).

٢- العلاقة مع الدولة العبيدية :

انتشر دعاة الدولة العبيدية في بلاد الشام والعراق والمشرق ودخل في دعوتهم كل من كان ناقماً على الخلافة العباسية ومال اليهم عدد من الحكام والامراء العرب في الاقاليم، واقاموا الخطبة لهم في اعمالهم، ومنهم امراء بني عقيل في الموصل، فقد اقام الأمير العقيلي ابو الدرداء محمد ابن المسيب الخطبة في الموصل لخليفة مصر العزيز بالله وذلك

سنة ٣٨٢ هـ ، كما اقامها قرواش العقيلي لهم في الموصل سنة ٤٠١ هـ ، وكانت الهدايا والخلع قد وصلت الى قرواش من الخليفة المستنصر بالله على يد الداعية المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، غير ان قرواش مالبث ان اعاد الخطبة للعباسيين في بلاده وقطعها عن خليفة مصر ، فكافأه الخليفة العباسي على ذلك بمبلغ قدره ثلاثون الف دينار^(٢٨) .

ان علاقة العقيليين بخلافة مصر العبيدية ، لم تكن تنطوي على اتفاق في المذهب انما على اساس المصالح المتبادلة بين الجانبين ، حاول العقيليون عن طريقها الاستفادة من الخلافات بين العباسيين وخلافة مصر بهدف تحقيق استقلالية اكبر لدولتهم في الموصل واعمالها ، وان ميل امراء بني عقيل لخلفاء مصر واقامة الخطبة لهم في بعض الاوقات لا يعني اعتناقهم مذهب العبيديين ، وليس هناك ما يؤيد كون عامة بني عقيل ، او من خضع لنفوذ دولتهم يدينون بالمذهب العبيدي او يؤيدون دعوتهم ، فضلاً عن ان هؤلاء الامراء انفسهم سرعان ما كانوا ينصرفون عن تأييد خلافة مصر ، مما يدل ايضاً على انهم لم يعتنقوا مذهبهم كعقيدة ثابتة بقدر ما هو موقف سياسي ذو منفعة لدولتهم العقيلية^(٢٩) .

٣- العلاقة مع البويهيين :

اتخذت العلاقات السياسية بين العقيليين والبويهيين شكلاً غير الذي كانت عليه مع العباسيين وخلفاء مصر العبيديين ، ذلك لأن بني بويه الذين دخلوا بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، استأثروا بالسلطة ، وأسأوا معاملة خلفاء بني العباس ، كما لم تكن هناك رابطة قومية بين العقيليين والبويهيين كذلك التي بين العقيليين والعباسيين ، فالبويهون قوم من الديلم ، جاءوا من جنوب بحر الخزر واحتلوا بغداد . في حين كان بنو عقيل يمثلون العنصر العربي الذي تداعت اموره في العصر العباسي بسبب هذا التسلط الأجنبي ، ولذلك صار لكل من العقيليين

والبويهيين اهداف مختلفة ، فالبويهون يريدون السيطرة على الخلافة العباسية بكل أقاليمها ، والعقيليون يريدون الانفراد بالسلطة والاستقلال بالموصل واعمالها ، مما يجعل التصادم بين الجانبين أمراً محتملاً ، على ان العقيليين ، وبما عرف عنهم من القدرة السياسية ، حاولوا منذ البداية كسب ود البويهيين والخلافة العباسية على حد سواء . من اجل تثبيت اقدام دولتهم في الموصل واعمالها ، فقد بعث الأمير العقيلي ابو الدرداء ، الى بهاء الدولة البويهي سنة ٣٨٠ هـ ، يسأله ان ينفذ اليه من يقيم عنده من اصحابه ليتولى امور البلاد الى جانبه ، فكان له ما أراد ، وفي الوقت ذاته صار للأمير العقيلي نائب عنه لدى البويهيين في بغداد ، غير ان هذا الوفاق لم يدم طويلاً ، حيث نشبت الحرب بين الجانبين^(٣٠) .

لقد اتسمت العلاقات العقيلية البويهية بالمداورة والمصالحة حيناً ، والحرب حيناً آخر ، وفقاً للظروف التي يمر بها كل منها ، فعندما ينشغل البويهيون بامور داخلية او جانبية ، يميلون الى المصالحة مع العقيليين ، واذا ضاقت الحال بالعقيليين ازاء قوة البويهيين او القوى المجاورة يميلون الى المصالحة مع البويهيين ويدفعون لهم الاتاة ورسم الحجابة ، والعكس صحيح ، على ان طابع العداء والحرب بين الجانبين هو السائد ، لأن البويهيين لم يكونوا راضين عن استبداد العقيليين بالموصل واعمالها كما ان العقيليين لم يكونوا مستعدين لقبول السيادة البويهية عليهم ، ولذلك نشبت الحروب الكثيرة بين الجانبين اظهر فيها كل منها بأساً شديداً^(٣١) .

٤- العلاقة مع السلاجقة :

لا تختلف العلاقات العقيلية مع السلاجقة عنها مع البويهيين ، فالسلاجقة قدموا الى العراق بنفس الأهداف التي جاء بها البويهيون ، في حين لم يتغير

موقف العقيليين القائم على الولاء للخلافة العباسية وللعرب، والفارق الوحيد بين البويهيين والسلاجقة هو ان السلاجقة كانوا يدينون بنفس المذهب الديني الذي تدين به الخلافة العباسية، ويعتبرون الخليفة العباسي رئيسه الأعلى، ويؤمنون بالسلطة الروحية للخليفة، وعلى العكس من ذلك البويهيون.

على ان السلاجقة الذين استولوا على بغداد من البويهيين سنة ٤٤٧ هـ، حرصوا على الاستئثار بالحكم في بغداد، كما عملوا على اعادة خضوع الامارات العربية والاسلامية في الاقاليم لسلطانهم المباشر، في حين استمر العقيليون يحرصون على الانفرد بالسلطة والحكم في اقليم الموصل وما والاها من الأعمال، مما حدد نوع العلاقة بين العقيليين والسلاجقة، وقد اتسمت هذه العلاقة في معظم مراحلها بالعنف، على ما قام به امراء بني عقيل من اعلان الخطية للسلاجقة في اعمالهم، ولما صارت قوة السلاجقة لانتطاق من قبل العقيليين، مالوا الى خليفة مصر، مما دفع السلاجقة لاحتلال الموصل سنة ٤٤٩ هـ، واضطر الأمير العقيلي قریش بن بدران ان يرأس السلطان السلجوقي ويتودد له ويعلن الطاعة والخضوع، فأجاب السلطان طلبه واعاده الى الموصل واعاها (٣٢).

وكان لموقف الأمير العقيلي قریش بن بدران الايجابي من الخليفة العباسي القائم بأمرالله في اثناء فترة البساسيري سنة ٤٥٠ هـ والقيام بخدمته سنة كاملة في حديثه عانة، والاستجابة لدعوة السلاجقة باعادته الى بغداد اثر كبير في تحسين العلاقة بين العقيليين والسلاجقة في حينها، اذ اعرب السلطان السلجوقي طغرلک عن شكره للأمير مهاوش المجلي العقيلي والأمير قریش بن بدران العقيلي على حسن معاملتها للخليفة (٣٣).

وعندما آلت السلطة الى الب ارسلان بعد وفاة طغرلک اعلن الأمير مسلم العقيلي الطاعة والولاء

له، فاقطعه السلطان: الأنبار وهيت وحربا والسفن والبوازيح، فضلاً عن اعماله في الموصل، ثم سار الأمير مسلم الى بغداد لزيارة السلطان الب ارسلان، فخرج لاستقباله الوزير العباسي فخر الدولة بن جهر، كما اكرم الخليفة العباسي وفادته وخلع عليه، على ان علاقة مسلم العقيلي مع السلاجقة، لم تستمر ودية، فقد طمع مسلم بالاستيلاء على بغداد، واستولى على ديار ربيعة ومصر، وضم حلب الى حوزته، ثم قصد دمشق وحاصرها وكاد ان يستولي عليها (٣٤).

وقد قام الأمير مسلم العقيلي بدور كبير في الخلافات التي نشأت بين افراد البيت السلجوقي على السلطة بعد وفاة السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٥ هـ، حيث أيدَ ملكشاه ابن الب ارسلان ضد عمه قاورد، ووجه جيشه العربي ضربات قوية لجيش قاورد، مما اساء ملكشاه الذي اتفق مع عمه قاورد للايقاع بجيش مسلم العقيلي وحلفائه العرب، وبذلك تحولت الحرب من كونها بين السلاجقة انفسهم، الى حرب بين السلاجقة والعرب، وقد اساء ذلك الى العلاقات العقيلية مع السلاجقة، وقد ازدادت هذه العلاقات سوءاً، عندما حاصر تاج الدولة تنش السلجوقي، نصيبين وديار بكر سنة ٤٧٠ هـ، وهي من اعمال العقيليين في الموصل (٣٥).

لم يتمكن العقيليون من الوقوف بوجه السلاجقة او الاحتفاظ باستقلالهم في بلادهم بعد وفاة اميرهم مسلم العقيلي، فقد نجح السلاجقة في القضاء على معظم الدويلات العربية وغير العربية التي نشأت في ارجاء الخلافة العباسية، كما نجحوا في اضعاف دولة العبيديين في مصر وبلاد الشام ايضاً.

٥- العلاقة مع القوى الاخرى المحيطة:

صارت للعقيليين علاقات اخرى مع القوى المحلية الاخرى القريبة والبعيدة عن اقليم الموصل،

كالقرامطة وامراء العرب والأكراد وغيرهم .

فالعلاقة مع القرامطة سبقت قيام دولة العقيليين في الموصل ذلك ان العقيليين والقرامطة كانوا يقيمون في البحرين أولاً ، وقد سبق أن تحالف القرامطة مع ظالم بن موهوب العقيلي المقيم في بلاد الشام ، ضد خلافة مصر سنة ٣٦٣ هـ ، لكن العبيديين في مصر اوقعوا الهزيمة بالقرامطة وعزلوا ظالم العقيلي عن ولاية دمشق^(٣٦) .

اما علاقة بني عقيل مع القبائل العربية التي عاشت الى جوارهم او تحت رعايتهم ، فقد اخذت جانبين : احدهما سلمي من خلال اشتراك زعماء هذه القبائل في المنازعات التي حدثت بين امراء بني عقيل على السلطة بتأييد من يرغب في الامارة او الخروج على من يتولاها ، والثاني ايجابي تمثل بوقوف هذه القبائل العربية الى جانب العقيليين ضد القوى غير العربية كالبويهيين والسلاجقة وغيرهم^(٣٧) .

فلا جبنوا ولكن فاض بحر
عظيم لانتقاومه البحار

كما تسبب بعض الأكراد الساكنين الى جوار الموصل في الاضطرابات في المنطقة على يد زعيمهم حسني بن حسين الكردي ، ثم صاروا من رعايا دولة بني عقيل واشتركوا معهم في جيوشهم وحروبهم ، حتى صار عددهم مع الديلم في جيش الأمير العقيلي المقلد بن المسيب سنة ٣٨٦ هـ زهاء ثلاثة آلاف رجل تطلق عليهم الارزاق ، غير ان بعض هؤلاء الأكراد حاولوا مرة اخرى الاغارة على الموصل وبعض الحصون التابعة لها ، مما عكر العلاقات بين الجانبين ، كما اخذ الأكراد يتدخلون في المنازعات التي حصلت بين امراء بني عقيل على السلطة شأنهم شأن غيرهم من القوى المحيطة ، وبخاصة ما حصل سنة ٣٩٢ هـ ، وسنة ٤٤٠ هـ ، وسنة ٤٥٣ هـ^(٣٨) .

٦- زوال دولة بني عقيل في الموصل :

نجح السلاجقة في الاستيلاء على الموصل واعمالها من بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ ، وعاد العقيليون الى موطنهم الأصلي في البحرين ، ولاشك أن الخلافة العباسية لم تكن راغبة في زوال هذه الدولة العربية ، كما انها لم تعمل على اضعافها اثناء وجودها ، لما تميزت به هذه الدولة من نزعة عربية اصيلة فضلاً عن ميل امرائها بوجه عام الى الخلفاء العباسيين .

وفما يلي اهم العوامل التي ادت الى انحلال الدولة العقيلية وزوالها في الموصل^(٣٩) :

١- استمرار النزاع بين امراء بني عقيل على السلطة منذ تأسيسها لعدم وجود قاعدة ثابتة لتولي الامارة .

٢- استمرار النزاع بين العقيليين الراغبين في الاستقلال بدولتهم في الموصل ، وبين القوى

ومن بين المواقف الايجابية للعرب الى جانب العقيليين ضد خصومهم من غير العرب ووقوف صاحب الحلة الأمير صدقة بن مزيد الأسدي ، عندما استولى فخر الدولة ابن جهير قائد السلطان السلجوقي سنة ٤٧٧ هـ على ديار بكر من ابن مروان ، واخذه حلال بني عقيل ، حيث بذل ابن مزيد الاموال لفلك اسرى بني عقيل ونسائهم واولادهم ، وجهزهم جميعاً وردهم الى بلادهم ، ففعل بذلك امراً عظيماً واسدى مكرمة شريفة ، وكان موقفه هذا حمية للعرب وتعصباً لهم ، وقد مدح الشعراء ابن مزيد الأسدي على ذلك ، ومنهم الشاعر النسبي بقصيدة جاء فيها^(٣٨) :

لقد احرزت شكر بني عقيل
بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طراً
بشهب من حوافلها ازورار

الأجنبية المسيطرة على الخلافة العباسية في بغداد كالبويهيين والسلاجقة.

٣- اختلاف بعض القبائل العربية مع العقيليين، وميلهم الى خصومتهم، فضلاً عن تدخلهم المستمر في المنازعات الداخلية بين امراء العقيليين.

٤- الاضطرابات التي اثارها بعض العناصر الكردية في مناطق سكناهم الى الشرق من الموصل، وتدخلهم في المنازعات الداخلية بين الامراء العقيليين.

٥- ضعف امراء بني عقيل بعد مقتل الأمير مسلم سنة ٤٧٨ هـ وانقسامهم على انفسهم من اجل الامارة.

٦- ازدياد قوة السلاجقة الذين احكموا سيطرتهم على العاصمة العباسية بغداد ونجاحهم في اخضاع معظم الدويلات والقوى الخارجة عن سيطرة الخلافة لفوذهم.

ولما سقطت الدولة العقيلية سنة ٤٨٩ هـ صارت الموصل للسلاجقة، كما خضعت لهم مدن أخرى، وصارت هيت لابن مزيد الأسدي، اما العقيليون الذين غادروا العراق، فقد عادوا الى البحرين، واتخذوا الاحساء مركزاً وعاصمة لهم بعد ان اقاموها وعمروها، اما من بقي منهم في العراق فقد تفرقوا في المدن، كالدور، وانحاء البصرة، وبين الخازروالزاب شرقي الموصل يقال لها عرب شرف الدولة، ومنهم من خرج الى البادية، ومنهم من التحدر نحو بغداد حيث اقاموا قرب مدينة الفلوجة، وفي تكريت، ومنهم من بقي في الموصل^(٤١).

ثالثاً :- المظاهر الحضارية :

تعد النظم الحضارية للدولة العقيلية في الموصل جزء من النظم الحضارية للدولة العربية في العصر العباسي بوجه عام، غير ان النظم العقيلية،

وخاصة الادارية منها، اتسمت بالطابع القبلي، وقد يرجع السبب في ذلك الى ان هذه الدولة وغيرها من الدويلات العربية والاسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية، لم تتمتع بالاستقلال التام، كما انه لم يكن لهذه الدويلات حدود ثابتة، وعليه فإن مايعرض من نظم اقتصادية واجتماعية او ثقافية او عمرانية او فنية، ماهو إلا جزء من الطابع العام للنظم السائدة في الدولة العباسية عامة.

وليس غريباً ان نقول بأن الانحطاط السياسي والاجتماعي الذي ساد الدولة العربية على ايدي البويهيين والسلاجقة قد شمل الدولة العقيلية في الموصل واعمالها، واثار عليها، وقد يكون من بين اسباب ذلك الانحطاط، الاختلاف العنصري بين اجناد الدولة العباسية الذين هم خليط من عناصر غير متجانسة من الديلم والأتراك والعرب، وما كان بين هذه العناصر من تنافس، والثاني الاختلاف المذهبي بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة مصر العبيدية، وكون بلاد الشام والجزيرة الفراتية والموصل، ميدان المنافسة بين هذه الاتجاهات المختلفة^(٤٢).

١- الوضع الاقتصادي :

تؤثر الأوضاع السياسية في اية دولة على وضعها الاقتصادي، وبذلك فقد تأثر الوضع الاقتصادي للدولة العقيلية في الموصل بالاضطراب السياسي الذي ساد العراق خلال فترة التسلط البوهي فضلاً عن موجات القحط والجاعة نتيجة قلة الأمطار واشتداد الريح وتكاثر الثلوج، وغيرها من الكوارث الطبيعية التي اصابته هذه البلاد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، فارتفعت الأسعار وكاد الخبز ان يعدم سنة ٣٥٨ هـ، وبلغ الحال من شدة القحط في العراق وقلة مياه الآبار في كل مكان سنة ٤١١ هـ ان اضطر الناس الى اكل

ومنهم الموفق القائل :-

ناعورة تحسب من صوتها
مُتِيماً يشكو الى زائر
كأنما كيزانها عصبه
رموا بطرف الزمن الوائر
قد منعوا ان يلتقوا فاغتدوا
اولهم يبكي على آخر

وبعامة فقد تميز اقليم الموصل ، بوفرة خيراته الزراعية ، لكن كثرة الاضطرابات السياسية والطبيعية التي تعرض لها اقليم الموصل ايام العقيليين ، كان لها اثر بالغ في قلة موارده الرئيسة ، وصارت الغنائم من بين الموارد الرئيسة لهذه الدولة .

أما اهم المحاصيل الزراعية في اقليم الموصل فهي الحنطة والشعير بوصفها المواد الرئيسة لمعيشة الناس هناك . الى جانب بعض المواد الغذائية البسيطة الاخرى ، ولا شك فإن ارتفاع الأسعار يفصح بصورة مستمرة عن غلاء المعيشة وانخفاض مستوياتها ، لدى العامة من ابناء الشعب ، وكانت الأراضي في هذه الدولة ، كما هو حالها في عموم الدولة العربية ، على عدة انواع :- الضياع السلطانية ، والاقطاعات ، وراضي الملك ، وراضي الوقف ، وارض المشاع ، وكان لاهمال القنوات ونظام الري في العراق في هذه الفترة ، اثر كبير على تدهور الزراعة في هذه البلاد^(١٥) .

ب- الصناعة :-

الموصل من الامصار العربية القديمة التي طالت صحبتها للزمن ، وكانت ذات حضارة وعمران ومركز سياسي دائم طيلة العهود الاسلامية التي سبقت حكم العقيليين ، ولذلك فقد احتفظت بشهرتها في بعض الصناعات ، وبخاصة صناعة التحف المعدنية المنزلية المزينة بالذهب والفضة ، وقد تميزت منتجاتها بالدقة والجودة ، وصار للمدرسة الموصل الصناعية في الفترة الأخيرة من حكم العقيليين اثر كبير في تطور

الحوانات السائبة ، كما اشدت البرد سنة ٤١٧ هـ الى حد لم يشهد الناس مثله من قبل ، اذ جمدت المياه عدة اشهر في حافات نهر دجلة وامتنع الكثير من الناس عن العمل والحركة ، وفي الوقت ذاته قل سقوط الأمطار حتى لم يزرع احد ارض السواد إلا قليلاً ، كما هبت ريح سوداء في نصيبين سنة ٤٢٥ هـ ، وهي لبني عقيل ، واقتلعت الكثير من اشجارها ومساكنها ، وفضلاً عن ذلك فقد كان لنشاط العيارين ونهبهم للبلاد ، كالذي حدث سنة ٤١٦ هـ ، اثر كبير وسيء على النشاط الاقتصادي وخاصة التجاري في البلاد ، وكذلك الحال بالنسبة للزراعة والتجارة^(١٦) .

أ- الزراعة :-

كانت الزراعة من بين اهم الأركان الرئيسة للاقتصاد العراقي ، وخاصة القسم الشمالي منه ، وهذه الزراعة تعتمد بالدرجة الاولى على الأمطار . ونتيجة لقلة الأمطار فقد تعرضت المحاصيل الزراعية في الموصل واعمالها الى التلف كما حصل سنة ٤٢٣ هـ ، غير ان بني عقيل استعملوا وسيلة اخرى للري في كثير من اعمالهم ، وهي باستخدام النواعير التي ظلت تستخدم الى وقت قريب جداً في اعالي نهري دجلة والفرات وخاصة في هيت وحديثة عانة ، وكذلك في مدينة تكريت ، وقد تغنى الشعراء في وصف هذه النواعير ، ومنهم ابو حفص ابن وضاح القائل^(١٧) :-

لله دولا بيطوف بسلسل
في روضة قد اينعت أفنانا
قد طارحت فيه الحمام شجوها
بنحيبها وترجع الالحانا
فكأنه دنف يطفو بمعهد
يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاق مجاري طرفه عن دمه
فتفتحت اضلاعه اجفانا

صناعة المعادن في بقية الاقاليم الاسلامية الاخرى ، حيث رحل منها صناع كثيرون الى بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ، وأسسوا مدارس جديدة هناك لصناعة التحف ، ولكن بأسلوب فني جديد متأثر بأسلوب مدرسة الموصل في هذا الميدان ، كما اشتهرت الموصل بصناعة الخزف والسلاسل والنشاب والسكاكين ، كما وجدت في الموصل المطاحن الكبيرة لطحن الحبوب على نهر دجلة ، وخاصة الحنطة والشعير ، ثم تقل من الموصل الى انحاء العراق الاخرى^(٤٦) .

ج - التجارة :-

موقع الموصل الجغرافي على طرق المواصلات ، اكسبها مركزاً تجارياً هاماً ، في الموصل تلتقي طرق التجارة من اذربيجان والشام ، ومن ارمينية وجنوب العراق ، ولذلك قيل : ان الموصل باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ورأس طريق اذربيجان ومع ان حركة التجارة تأثرت في هذه المدينة ايام العقيليين بسبب عدم الاستقرار السياسي ، فإنها ظلت مركز ارتباط لسكان الأحياء المجاورة صيفاً وشتاءً ، مما ساعدها على الاحتفاظ بمركزها التجاري المهم وفي مختلف الظروف والأوقات ، فقد ذكر ابن حوقل الذي زار الموصل سنة ٣٥٨ هـ ، ان اسواقها كانت واسعة ، فيها لكل جنس من الأسواق الاثنان والثلاثة والأربعة ، وقد يصل عدد الحوانيت في كل سوق من هذه الأسواق المائة حانوت وأكثر ، ولاشك ان هذه الأوضاع ظلت في المدينة حتى مجي العقيليين^(٤٧) .

اما صادرات الموصل فهي كثيرة منها : الحنطة ، والشعير ، والعسل ، والشحوم ، والمن ، والسياق ، والحديد ، والأسطال ، والسكاكين ، والنشاب ، وكانت الجزيرة الفراتية تصدر الخيول العربية الأصلية ، في حين تصدر سنجار اللوز ، والرومان ، والقصب ، وتصدر الرقة الصابون

والزيت ، في حين كانت واردات الموصل : البسط ، والسجاد ، والمنسوجات الحريرية ، والتوابل والعقاقير ، والديباج ، والمنسوجات القطنية ، وزيت الزيتون وغيرها^(٤٨) .

أما المكايل والمقاييس المستعملة فهي نفسها التي تستعمل في التجارة في عموم العراق ، وهي كثيرة ومنها : المد ، والمكوك ، والقفيز ، والكارة والرطل وغيرها ، غير ان المعلومات عن اسعار الحاجيات بهذه المكايل والمقاييس لم تكن كافية لتكوين فكرة واضحة عن مستوى المعيشة ، او معرفة نصيب كل فئة من الناس من خيارات هذه البلاد^(٤٩) .

أما بخصوص المعاملات المالية والتجارية ، فكانت قبل معرفة النقود تعتمد على المقايضة وعندما سكت النقود صارت المعاملات تجري على اساسها . وهي الدينار والدرهم ، وكان اول نقد عربي هو الذي سكه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ ، فلما كان القرن الرابع الهجري نشأت المصارف المالية لضرورة التجارة الواسعة من جهة ، والحاجة الى النقود الكثيرة من جهة اخرى ، على ان المعاملات المالية في الدولة العربية ، لم تكن موحدة ، وخاصة عندما ضعفت الدولة العباسية وانقسمت على عدد من الدويلات والامارات ، اذ سمح الخلفاء العباسيون لحكام وامراء هذه البلاد ، بأن ينقشوا اسماءهم على السكة مع اسمائهم ، فنقش امراء بني عقيل اسماءهم على النقود في دولتهم الى جانب اسم الخليفة ، وكان اولهم ابو الدرداء محمد بن المسيب ، ثم الأمير سنان الدولة ، ثم حسام الدولة ، ثم معتمد الدولة ، ثم شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي ، لكن احدا منهم لم يجرؤ على ضرب النقود باسمه خالية من اسم الخليفة ، وقد وجدت مسكوكتان لامراء بني عقيل ، مصورتان في دليل النقود في المتحف البريطاني هما^(٥٠) :-

الاولى : باسم حسام الدولة المقلد فضة - ٤٥ -
صادرة سنة ٣٨٦ هـ سنة ٩٩٦ م مكتوب عليها :
الموصل سنة ٣٨٧ هـ ، لاله إلا الله ، وحده
لاشريك له ، الملك بهاء الدولة ، حسام الدولة ،
ابو حسان ، وعلى الوجه الثاني : بسم الله ، صنع
بالموصل سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، المؤمنون بالله
والأمر لله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
القادر بالله ، جناح الدولة ابو الحسن .
والثانية : باسم معتمد الدولة قرواش سنة
٣٩١ هـ سنة ١٠٠٠ م ، فضة - ٤٧ - لاله
الإله ، وحده لا شريك له ، معتمد الدولة ابو
العزیز ، بسم الله ، ضرب هذا الدرهم بالكسر - لله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القادر بالله .
الملك بهاء الدولة .

ولا شك فإن نظام موارد الدولة العقيلية الثابتة
هي على غرار موارد الدولة العربية ، كالخراج
والجزية والصدقات ، فضلاً عن غنائم الحروب ، ولم
تكن مواردهم من الزراعة والصناعة والتجارة كثيرة
بسبب عدم استقرار هذه الدولة وكثرة حروبها ، كما
لم تكن مصروفاتها منظمة للظروف نفسها ، باستثناء
بعض المشاريع التي قاموا بها كبناء بعض الدور
والمناظر والأسوار وبخاصة سور الموصل وسور الأنبار ،
وكان معظم اتفاقهم على الحروب والغزوات ،
وبخاصة ما يتعلق بتجهيز الجيوش بالعتاد والسلاح
وارزاق الجند ومرتباتهم ، فضلاً عن الهبات التي
تعطى لرؤساء القبائل الخليفة ، او ما يقدم الى
البويهيين ومن بعدهم السلاجقة مقابل الاحتفاظ
باستقلالهم في الموصل وإعمالها ، فضلاً عن الأموال
التي يدفعها امراء بني عقيل الى الخلافة العباسية
ضماناً عن اعمالهم التي استبدوا بها (٥١) .

٢- الوضع الاجتماعي :-

صار المجتمع العربي في العصر العباسي خليطاً
من اقوام مختلفة ومتعددة ، ويرجع هذا التعدد
والاختلاف الى عصر الفتوحات العربية وعمليات
التحرير التي امتدت الى الصين شرقاً والأندلس

غرباً ، وكان العراق اكثر اقاليم الوطن العربي تعدداً
وتنوعاً في عناصر سكانه . وكانت الموصل من بين
اهم مدن العراق التي تعرضت لموجات عدة من
هذه الأقوام التي سكنتها منذ زمن بعيد ، وذلك
لوقوعها على ملتقى طرق التجارة ، فضلاً عن
وقوعها في منطقة تمتاز بشري بين العرب من
جهة ، وبين الأتراك والأكراد والفرس من جهة
اخرى ، ولا غرابة ان يكون مجتمع الموصل في عصر
الدولة العقيلية ، بل وفي جميع عصورها التاريخية ،
خليطاً من العديد من هذه الأقوام ، غير ان العنصر
العربي ، هو الأكبر وهو الغالب دائماً .

وفيما يلي اهم عناصر السكان في الموصل في
العصر العقيلي :-

أ- العرب :-

يشكل العرب الأغلبية الساحقة في مجتمع
الموصل منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، فقد
كانت الموصل والجزيرة الفراتية وحلب ، مناطق
استيطان دائمة للقبائل العربية التي نزحت من
جزيرة العرب لظروف اقتصادية او سياسية
وباستمرار كالحمدانيين ، والعقيليين ، والمرداسيين ،
وبني تميم وبني شيبان وغيرهم ، ولما قامت الدولة
العقيلية في الموصل صارت معظم هذه القبائل من
رعاياهم وعنصراً مهماً من عناصر دولتهم (٥٢) .

ب- الأتراك :-

ازداد عدد الأتراك في العراق ازدياداً كبيراً منذ
خلافة المعتصم بالله العباسي ، ثم ازداد عددهم بعد
ان دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤ هـ وانتشروا في
كثير من مدن العراق وبخاصة بغداد والموصل ،
وصاروا منذ ذلك الوقت عنصراً مهماً من عناصر
السكان في هذه المدن ، لكن خطرهم ازداد في
الموصل العقيلية منذ شرع السلاجقة الأتراك بتوجيه
غزواتهم اليها في مستهل القرن الخامس
الهجري (٥٣) .

ج - الأكراد :-

يسكن الأكراد شرق وشمال شرق الموصل ، وعلى الرغم من أنهم كانوا متنقلين ، فإن بعضهم استقر في عدد من القرى القريبة من الموصل ، كما استقر قليل منهم داخل المدينة ، وقد تسببت بعض العناصر منهم ببعض المتاعب للدولة العقيلية ، شأنهم شأن بعض القبائل العربية في وقتها هناك ، غير ان كثيراً من الأكراد ، وقد صاروا من رعايا الدولة العقيلية اشتركوا ضمن جيش العقيليين في حروبهم الكثيرة مع خصومهم من العرب او البويهيين او السلاجقة^(٥٤) .

د - الديلم والفرس :-

وجد الديلم في العراق قبل دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، وظهر قسم منهم في الموصل منذ بدأت هجمات البويهيين على هذه المدينة في عصر الدولة الحمدانية ، ثم قويت شوكتهم في المنطقة في عصر الدولة العقيلية حتى انهم استولوا على هذه المدينة عدة مرات ، كما سكنت جماعة من الفرس في الموصل حينذاك ولعلمهم كانوا بقايا بعض الساسانيين الذين كانوا في العراق قبل حركة التحرير العربية لهذا الاقليم^(٥٥) .

+ + +

أما ديانة المجتمع الموصل في عصر العقيليين ، فهي الاسلام كما هو معروف ، غير انه ظهر بينهم نشاط مذهبي ضمن الوضع العام الذي ساد المجتمع العربي الاسلامي في تلك الفترة من جراء النزاع بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة مصر العبيدية ، كما وجدت في المدينة بعض العناصر التي تدين بديانات أخرى ، كالنصارى واليهود ، والصابئة واليزيدية وغيرها ، وقد مارس المجتمع فيها نشاطه الاجتماعي والديني على نحو اعتيادي وفي اطار الفهم الاسلامي لحرية الأديان ، ولاشك فقد كان لهذا الاختلاف في

تركيبية المجتمع العقيلي آثاره السلبية على الدولة^(٥٦) .

لقد ساد المجتمع العربي في العصر العباسي في الفترة الأخيرة اضطراب اجتماعي وتمايز طبقي فضلاً عن الاضطراب السياسي وفوضى الحكم ، مما أدى الى انخفاض المستوى المعاشي للسكان باستثناء الطبقة الخاصة من الخلفاء والامراء والقادة واعوانهم ، وكان عامة الناس يعيشون حياة البساطة ، ولم تخرج الدولة العقيلية في الموصل عن هذه القاعدة ، وكان المجتمع العباسي عامة ، والعقيلي بضمنه ، يتكون من طبقتين ، عليا ، ودنيا ، ولاشك فإن انعدام الطبقة الوسطى في اي مجتمع ، يعني وجود التمايز الطبقي والاستغلال الكامل للعامة من قبل الخاصة^(٥٧) .

ولا تخرج العادات والتقاليد في الموصل العقيلية عنها في الدولة العباسية إلا في بعض العادات المحلية ، واهل الموصل لهم مكارم اخلاق ، ولين كلام ، ولهم فضيلة ومحبة للوافد الى مدينتهم واقبال عليه ، ولهم اعتدال في جميع معاملاتهم ، ولغتهم صحيحة لأنهم عرب ، حيث اجتمعت في اقليمهم اكثر القبائل العربية ، غير ان ظروف الموصل الجغرافية ، والبشرية ، جعلت اهلها يميلون الى القوة والعنف ، وصارت مواقفهم العربية واضحة منذ القدم^(٥٨) .

وقد احتفل العقيليون بالأعياد الدينية شأنهم شأن المجتمع العربي الاسلامي في كل مكان ، غير انهم امتازوا باحتفالات اعياد الربيع التي مازال الموصليون يمارسونها حتى الوقت الحاضر ، ولا غرو فقد ترك العقيليون تأثيرات خاصة في بعض عادات وتقاليد اهل الموصل حتى اليوم ، من ذلك تسمية الأولاد باسم عقيل ، والبنات باسم عقيلة ، كما استمر اهل الموصل يلبسون الكوفية الملونة المعروفة باسم (العامة العقبيلة) ، وقد تكون شعار الدولة العقبيلة الرسمية^(٥٩) .

أما مكانة المرأة في الموصل في عصر الدولة

لأن ابن مروان اساء معاملة زوجته وهي ابنة قرواش العقيلي، فجهز كل منها لحرب الآخر، لكنها مالبثا ان اصطلحا دون حرب وذلك سنة ٤٢١ هـ. واتفقا على ان يتخلى ابن مروان عن نصيبين لبدران ابن المقلد العقيلي، ويدفع صداقاً لزوجه ابنة الأمير قرواش العقيلي مبلغاً قدره خمسة عشر ألف دينار^(٦٠).

٣- الوضع الثقافي :-

ابتدأت الموصل نشاطها الثقافي على ايدي العرب الذين حرروها بالاسلام، وصارت المساجد مراكز هذا النشاط حتى تأسست اول دار للعلم على يد ابي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصل (سنة ٢٤٠ - سنة ٢٤٤ هـ) وكان من فقهاء الشافعية المشهورين، وقد انشأ بهذه الدار خزانة للكتب شملت مختلف العلوم، فلما صارت الموصل لبني عقيل، نشطت فيها الحركة الأدبية بفضل تشجيع الامراء العقيليين للادباء والشعراء، وبخاصة ان هؤلاء الامراء كانوا يقولون الشعر ويسمعونه، ولا شك فإن اختلاط الشعوب في العصر العباسي وانتشار العجمة بينهم، دفع العرب الى الادب وقول الشعر، ولصلة اهل الموصل، بأرض العرب الأصلية، الجزيرة العربية، وسلامة السننهم من الفساد والعجمة فقد امتاز ادبهم وشعرهم بفصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، وظهر منهم ملوك وامراء من بني حمدان وبني عقيل ممن شغفوا بالجد والأدب والكرم، وجمعوا بين السيف والقلم، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر ويتقده، وانبثقت قرائحهم في الاجادة فيه، فقادوا محاسن الكلام بالئين لسان، واحسنوا وابدعوا ماشاؤا^(٦١).

غير ان الحركة الثقافية في الموصل في عهد العقيليين كانت اقل منها في عهد الحمدانيين الذين سبقوهم بإستثناء الحركة الأدبية، والسبب في ذلك يرجع الى عدم الاستقرار السياسي وكثرة الحروب

العقيلية فقد اخذت طابعاً غير الطابع الذي ساد في انحاء كثيرة من الدولة العباسية، بسبب ما يمتاز به العقيليون من نزعة عربية خالصة، مكنتهم من الحفاظ على معظم تقاليد العرب الأصلية، وصارت للمرأة العربية في عهدهم مساهمات كثيرة في الحروب والغزوات، وقد يبدو ذلك واضحاً عندما تدخلت اخت الأمير المقلد العقيلي لفض النزاع بين اخويها على الحكم، واستعداد كل منها لحرب الآخر، فعندما تقابل المعسكران للحرب خرجت من معسكر اخيها الحسن قاصدة معسكر اخيها المقلد، فلما رأها احد القوم قال للمقلد: ايها الأمير هذه اختك بنت المسيب قريبة منك تريد لقاءك، فتوجهت الانظار اليها، واذا هي في هودج على بعد، فركب المقلد حتى لحق بها، فقالت له: يامقلد، قد ركبت مركباً وخيماً، وقطعت رحلك، وعققت ابن ابيك، فارجع الاولى بك، واكفف هذه الفتنة، ولا تكن سبباً في هلاك العشيرة، واني اختك، ونصيحتي لاحقة بك، وان لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب، فأجاب المقلد طلبها، واجتمع مع أخيه وتحالفا وعاد الى الموصل دون حرب، كما شهدت المرأة العقيلية القتال الذي دار بين بني عقيل والسلاجقة الذين هاجموا الموصل سنة ٤٢٠ هـ، واصبح القتال عند حلل العقيليين وحریمهم، ونساؤهم يشاهدن القتال على مقربة منهن، فكان النصر للعرب والهزيمة للسلاجقة الذين قتل منهم عشرون ألفاً او يزيد، وقد بلغ اعتراز المرأة العقيلية بكرامتها وحرصها على شرفها وسمعتها انها القت بنفسها في النهر وانتحرت خشية وقوعها في الأسر لدى خصوم العقيليين وخاصة السلاجقة وغيرهم من الأقوام غير العربية، كما نشبت كثير من الحروب بين العقيليين والآخرين دفاعاً عن المرأة، ومن ذلك قيام الحرب بين الأمير قرواش العقيلي، وابن مروان صاحب ميافارقين،

الكاتب هو عدة الدولة ابن ناصر الدولة بن حمدان بن اخي سيف الدولة ، وتحت ذلك مكتوب :-

ياقصر مافعل الألى
خربت قبايهم بقمرك
أخنى الزمان عليهمو
وطواهمو بطويل نشارك
واهاً لقاصر عمر من
يختال فيه، وطول عمرك

وتحت ذلك مكتوب ، وكتبه المقلد بن المسيب
بخطه سنة ٣٨٨ هـ ، قلت وهذا الكاتب هو المقلد
العقيلي ، وتحت ذلك مكتوب :-

ياقصر ماصنع الكرام
الساكنون قديم عصرك
عاصرتهم فبددتهم
ساورتهم طراً بصرك
ولقد اثار تفجعي

يا بن المسيب رقم سطر
وعلمت اني لاحق بك
ذاهب في قفواثرك

وتحت مكتوب ، وكتبه قرواش بن المقلد العقيلي
بخطه سنة ٤٠١ هـ ، قال : فعجبت لذلك وقلت
لقرواش ، الساعة كتبت هذا ؟ فقال نعم .

وكان شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي
يحب قول الشعر ايضاً ، كما اجاد كثير من العقيلين
ذلك ، نذكر منهم : عبدالله العقيل ، نجم بن
سراج العقيلي ، ليلى الاخيلية العقيلية التي كانت
اشعر النساء عدا الخنساء ، ومعاذ بن كليب
العقيلي ويعرف بمجنون ليلى العامرية ، كما اشتهر
عدد من العقيلين برواية الحديث وسنده ، منهم :
ابو الجراح العقيلي ، ابن بيان العقيلي ، ابو الوفاء
ابن عقيل العقيلي الذي تاب عن الاعتزال سنة
٤٦٥ هـ ، كما اكثر الشعراء من مدح امراء بني

التي عاشتها الموصل في العهد العقيلي ، لكن ذلك
لا يعني عدم وجود دور للثقافة والعلوم في هذه
الفترة ، وبخاصة وان حركة العلوم هي وليدة اجيال
متعاقبة ولها صفة الاستمرار ايضاً ، وليس غريباً ان
تستمر حركة التعليم في بعض الدور والمساجد
والمدارس في عهدهم رغم ضعفها قياساً لمن سبقهم
او تلاهم (١٢) .

لقد اجاد امراء بني عقيل نظم الشعر ، فقد
روي ان عمران بن شاهين قال : كنت اسير
معمد الدولة ابا المنيع قرواش بن المقلد العقيلي
بابين سنجار ونصيبين ثم استدعاني بعد الزوال ،
وكان قد نزل بقصر هناك يقال له قصر العباس بن
عمرو الفنوي ، وكان قصراً عجباً مطلاً على بساتين
ومياه كثيرة ، فدخلت عليه ، فوجدته قائماً يتأمل
كتابة على جدار القصر ، فقرأت معه فإذا
هي (١٣) :-

ياقصر عباس بن عمرو
كيف فارقتك ابن عمرك
قد كنت تغتال الدهور
فكيف غالك ريب دهرك
واهاً لعزك بل لجودك
بل لمجدك بل لفخرك

وتحت مكتوب ، وكتبه عبدالله بن حمدان بن
سنة ٣٣١ هـ قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة
ابن حمدان ، وتحت ذلك مكتوب :-

ياقصر ضعضعك الزمان
وحط من علياء فخرك
ومحاسن اسطر
شرقت بهن متون جدرك
واهاً لكاتبها الكريم
وقدره الموفى لقدرك

وتحتها مكتوب ، وكتبه المعتز ابن الحسن بن
علي بن حمدان بخطه سنة ٣٦٢ هـ ، قلت وهذا

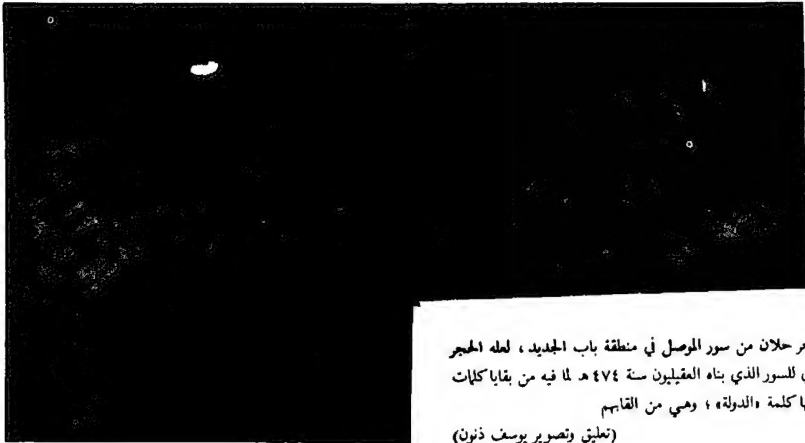
عقيل ومنهم : الشريف الرضي الذي نظم قصيدة في مدح الأمير المقلد العقيلي بعد اغتياله سنة ٣٩١ هـ ، وابن حيوس الذي مدح الأمير مسلم العقيلي عند فتحه مدينة حلب جاء فيها (٦٤) :-
 مادرك الطلبات مثل مصمم
 ان اقدمت اعداؤه لايحجم
 ترك الهوبنا للضعيف مطية
 من بطشه كفراء ليس بمعتم

خطط المدينة وعمرانها
 كان باقليم الموصل ثمان عشرة كورة في عهد بني عقيل ، كما خضعت كثير من المدن الاخرى لدولتهم على طول نهري دجلة والفرات حتى بغداد جنوبا وحديثة عانة على الفرات شمالاً ، كما صارت اربيل والجزيرة الفراتية من اعمالها .

لقد ازدهر العمران في الموصل منذ عهد الحمدانيين ، كما اهتم العقيليون بعمرانها ، وعمران الاعمال التابعة لها ، كتكريت والدور وعانة والحديثة ، ومن بين عمائر العقيليين في الموصل ، سورها الذي مازالت آثاره باقية ، ذلك السور الذي انشأه الأمير شرف الدولة مسلم العقيلي ، وما يجدر

ذكره ، ان آثاراً قديمة تقع عند هذا السور مازالت قائمة ، وهي تعرف بقايا قصور بني عقيل في الموصل ، كما يوجد اثر قبر في شمال غرب المدينة شيدت عليه قبة ، يقال له قبر الامام ابراهيم ، وعليه كتابة تأريخية ترجع الى سنة ٤٨٩ هـ ، وقد قامت مديرية الآثار العراقية بتصوير هذا المرقد وابوابه ويعتقد ان الأمير ابراهيم بن مسلم العقيلي هو الذي شرع في بناء هذا القبر قبل وفاته سنة ٤٨٦ هـ (٦٥) .

وكان امراء بني عقيل قد اتخذوا من دور الامارة الحمدانية في الموصل مقراً لهم ، وهي على شاطئ دجلة الغربي ، تعرف «قره سراي» الى اليوم ، اما دور العقيليين السكنية فكانت على بعد مائتي متر عن نهر دجلة وعن دار الامارة ، وصار لبني عقيل طراز خاص في العمارة في جميع اعمالهم ، من اهم مظاهره استخدام الآجر والجص بدل الحجارة ، كما امتازت مناثرهم بكونها مشتمة الأضلاع ، وقد تجلى ذلك في منارة عانة وقبة محمد الدري الذي وجد عليها اسم الأمير مسلم العقيلي المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . وقد ساد هذا الطراز في جميع المناطق التي خضعت لنفوذ الدولة العقيلية (٦٦) .



٨- حجر حلان من سور الموصل في منطقة باب الجديد ، لعله الحجر التذكاري للسور الذي بناه العقيليون سنة ٤٧٤ هـ لما فيه من بقايا كلمات تتردد فيها كلمة «الدولة» ، وهي من القاهم
 (نطبق وتصوير يوسف ذنون)

- (١١) ابو شجاع - ذيل تجارب الاسم ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ابن الأثير - الكامل ج ٧ ص ١٨١ - ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٠٩
- (١٢) ابن الاثير - الكامل ج ٧ ص ١٥٧ ؛ ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٢ ، الحافظ الذهبي - دول السلام في التواريخ ١٣٣٧ هـ ج ١ ص ١١٤ ؛ الحنطلي ، ابن العباد - شلرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ج ٣ ص ١٨٣
- (١٣) الصاني - تحفة الامراء ؛ بيروت ١٩٠٤ ؛ ص ٤١٧ ؛ ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٥٢ ؛ ابو الحسن - النجوم الزاهرة ؛ القاهرة ١٣٥٢ هـ ج ٤ ص ٢٠٣
- (١٤) ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والامم حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ ، ج ٧ ص ١٤٧ ، ٢٨٧ ، ابن خلكان - وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ١٥٢ ، ج ٣ ، ص ٣٥١ - ٣٥٤ ؛
- (١٥) ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥٤ .
- (١٦) ابن الأثير - الكامل ج ٨ ص ٦٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١
- Lane - poole, The Mohammadan Dynasties, PP. 116 - 117
- (١٧) ابو الحسن - النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٩
- (١٨) ابو الفدا - تاريخ الملك المؤيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، ابن خلكان - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤
- (١٩) ابن الأثير - الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ابو الفدا - تاريخ الملك المؤيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، ابن العديم - تاريخ المسلمين ، لندن ١٩٢٥ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
- (٢٠) ابن الأثير - الكامل ج ٨ ، ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ابن كثير - البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٦ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن خلكان - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
- (٢١) ابن القلانسي - ذيل تاريخ ، دمشق ص ١٢٢ - ١٢٣ ، ابن الاثير - الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٧ ، ابن خلدون - تاريخه ، ج ٤ ، ص ٥٧٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ٩٧٢ .
- (٢٢) ابن القلانسي - ذيل تاريخ ، دمشق ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ابو الحسن - النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٥ ، ابن كثير - البداية والنهاية ، مصر ١٩٢٣ ، ج ١٢ ، ص ١٥٢ ، ابن خلدون - تاريخه ، ج ٤ ، ص ٥٧٨ - ٥٧٩ .
- (٢٣) الماوردي - الاحكام السلطانية ، مصر ، ص ٢٧ - ٣٣ ، محمد جمال الدين سرور - مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
- (٢٤) خاشع المعاصيدي - دولة بني عقيل في الموصل ، ص ٧٥ ، ٧٦ .
- (٢٥) ابو شجاع - ذيل تجارب الاسم ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ابن الاثير - الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (٢٦) ابن الأثير - الكامل ، ج ٨ ، ص ٨٣ - ٨٥ ، الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ، مصر ١٣٤٩ ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٢ ، القريري - انماظ الحفا ، القاهرة
- (١) ابن هشام - السيرة النبوية مصر ١٣٧٥ هـ ، ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ ، ج ٢ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ؛ ابن الأثير - اللباب في تهذيب الانساب القاهرة ١٣٥٦ هـ ، ج ٢ ص ١٤٥ القلقشندي - نهاية الأرب ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٣٦٥
- دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١
- Lane - poole, The Mohammadan Dynasties, Paris 1925 P.116 - 117
- (٢) السمعاني - كتاب الانساب ليدن ١٩١٢ ج ٤ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ياقوت الحموي - المقتضب من كتاب النسب ص ٢٣ - ٢٧ ؛ القلقشندي - نهاية الأرب ص ١٤٨ ، ٣٦٥ ؛ ابن خلدون - تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٢
- ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٤٨ ، السويدي البغدادي - سبائك الذهب ص ١٠ - ٣٦ ؛
- (٣) ابن خلدون - ملحق تاريخه بولاتي ، ١٣٨٤ هـ ، ج ١ ص ١١ ؛ القلقشندي - نهاية الأرب ص ٣٦٦
- مصطفى ارمد الدباغ - قطر ماضيها وحاضرها ؛ بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦١ - ١٦٣
- (٤) اليقولي - تاريخ اليقولي ، النجف ١٣٥٨ هـ ج ٣ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ محمد جمال الدين سرور - الحياة السياسية في الدولة العربية ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨
- (٥) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ٤ - ٩ ؛ ابن الأثير - الكامل ، الطباعة الخيرية ١٣٥٣ هـ ج ٧ ص ٥٤ - ٥٧ ؛ ابن بدران - تهذيب تاريخ ابن عساكر ، دمشق ١٣٤٩ هـ ، ج ٧ ص ١١٧
- محمد جمال الدين سرور - الفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٧
- (٦) محمد جمال الدين سرور - الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٢ ؛ خاشع المعاصيدي - دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ٤٨
- (٧) مسكويه - تجارب الاسم القاهرة ١٩١٩ ، ج ٦ ص ٤٠١ - ٤٠٤ ؛ ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ٢١ - ٢٤ ؛ ابن الأثير - الكامل ج ٧ ص ٩٨ ، ١٢١ - ١٢٢
- محمد جمال الدين سرور - الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٤ حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٩١
- (٨) ابو شجاع الروزوري - ذيل تجارب الاسم ، مصر ١٣٣٤ هـ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ؛ ابن الأثير - الكامل ج ٧ ص ١٤٦ ؛ ابن العربي - تاريخ مختصر الدول بيروت ، ١٨٩٠ ص ٣٠١ - ٣٠٢
- دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ص ٩٧١
- (٩) الفارقي - تاريخ الفارقي القاهرة ١٣٧٩ هـ ص ٥٩ - ٦٠ ؛ ابو الفدا - تاريخ الملك للمزيد ج ٢ ص ١٣٤ .
- (١٠) ابن الاثير - الكامل ج ٧ ص ١٤٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٩٧١
- Lane - poole, The Mohammadan Dynasties, PP.116 - 117

- (٤٠) خاشع المعاضبي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٤١-١٤٣
- (٤١) ابن الفلاني- ذيل تأريخ دمشق ص ٢٨٤، ابن الأثير- الكامل ج ٨ ص ٢١٦، ابن خلدون- تأريخ الملحق ص ١١، العمري- منية الأدباء، الموصل ١٩٥٥ ص ٥٩، عمر رضا كحالة- معجم قبائل العرب، دمشق ١٩٤٩ ص ٨٠١، الدباغ- قطر ماضيها وحاضرها، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٤٢) خاشع المعاضبي- دولة بني عقيل في الموصل، ص ١٤٥-١٤٦، ١٤٩
- (٤٣) ابن الجوزي- المنتظم، ج ٧ ص ٤٧، ٥١، ج ٨ ص ٢١، ٢٥، ٧٧، اليافعي- مرآة الجنان، حيدر آباد ١٣٣٨ ص ٢٥.
- (٤٤) ابن الجوزي- المنتظم ج ٨ ص ٦٧، النوري- نهاية الأدب ج ١ ص ٢٧٧.
- (٤٥) آدم متر- الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢١١، عبدالعزيز النوري- العراق الاقتصادي بغداد ١٩٤٨ ص ٢٥-٤٧.
- (٤٦) ابن خلدون- المقدمة ص ٤٥١
- تيمور باشا- التصوير عند العرب ص ٢١١
- عبدالعزیز الدوري- العراق الاقتصادي ص ٨١، ٩١، ١٠٢، عبدالعزيز الدوري- العراق الاقتصادي ص ٩١، ١٣١، سعيد الديوبه جي- الموصل في العهد الأتابكي بغداد ١٩٥٨ ص ١١-١٢
- مجلة سومر ج ١ المجلد ٧ ص ٩١
- (٤٨) عبدالعزيز الدوري- العراق الاقتصادي ص ١٣١، ١٣٥-١٣٨
- (٤٩) المقدسي- احسن التقاسيم ص ١٣٥-١٣٦
- الدوري- العراق الاقتصادي ص ٣٨-٢٣٩
- (٥٠) ابن خلدون- تأريخ ج ٤ ص ٥٧١-٥٧٢
- الكرمل- النقود العربية ص ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧
- محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق ص ١٥٤
- Catalogue of orient in The British Museum, London 1877 VOL. III, p.21-22, PL.I. 45, 46, 47
- (٥١) خاشع المعاضبي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٨٠
- (٥٢) عبدالعزيز الدوري- العراق الاقتصادي ص ١٦
- (٥٣) ابن الجوزي- المنتظم، ج ١ ص ٣٤٠، ج ٨ ص ١٠٧، محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٢٢-٢٣
- (٥٤) ابن العمري- تأريخ مختصر الدول ص ٣١٤، الفارقي- تأريخ ميافارقين ص ٤٩-٥٢.
- (٥٥) النوري- العراق الاقتصادي ص ١٨-٢٠.
- (٥٦) هلال الصائبي- رسوم دار الخلافة بغداد ١٣٨٣ هـ، ٦، الشهرستاني- الملل والنحل، القاهرة، ج ٢ ص ١٠٨، آدم متر- الحضارة الاسلامية ص ٥٢، محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق ص ١٧٢
- هاشم البنا- الزيديون، بغداد ١٩٦٤، ص ١٧-٢٥
- ١٣١٦ هـ، ص ٢٨٠، ابن الصيرفي- الاشارة الى من تال الوزارة، القاهرة ١٩٢٤، ص ٤٣-٤٥.
- (٢٧) الخليلي- شذرات الذهب، القاهرة ١٣٥٠، ج ٣، ص ٣٢٧، الاصفهاني- تاريخ السلجوقي ص ٤٩.
- (٢٨) الصائبي- اختار من رسائله، لبنان ١٨٩٨، ج ٦، ص ٢٦١، ابن الأثير- الكامل، ج ٩، ص ٣٦، ابو الحسن- النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٢٤-٢٢٧، ابن العميد- تأريخ المسلمين، ص ٢٥٧، محمد جمال الدين سرور- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص ٧٢-٧٨، ٨٥
- خاشع المعاضبي- دولة بني عقيل في الموصل، ص ٨٥
- (٢٩) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢ ص ٢٥٢، ابو الحسن- النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ٢٠٣
- (٣٠) ابو شجاع- ذيل تجارب الأمم، ص ٢٨٣-٢٨٤، ابن الأثير- الكامل، ج ٧ ص ١٨١-١٨٢
- (٣١) ابن الأثير- الكامل ج ٧ ص ١٥٧، ابن خلدون- تأريخه، ج ٣ ص ٣٤٣
- (٣٢) ابن الأثير- الكامل ج ٨ ص ٦٧-٦٨، ابن كثير- البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٥
- (٣٣) ابن الأثير- الكامل ج ٨ ص ٨٥-٨٦، ابن كثير- البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٢-٨٣، خاشع المعاضبي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٠٤-١٠٥
- (٣٤) ابن الأثير- الكامل، ج ٨ ص ١٠٤، البنداري- تأريخ دولة ال سلجوق، ليند ١٨٨٩ ص ٣٠، ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٥٤
- (٣٥) المؤيد في الدين هبة الله، سيرته بقلمه، مصر ١٩٤٩، ص ١٣١-١٣٢، البنداري- تأريخ دولة ال سلجوق، ص ١٢، ٤٦
- ابن خلدون- تأريخه، ج ٣ ص ٤٦١-٤٦٣
- ابو الفوارس- تأريخ الدولة السلجوقية، لاهور ١٩٣٣ ص ٥٦-١٥٧، ابن العميد- تأريخ المسلمين، ص ٢٨٢-٢٨٣
- (٣٦) ابن الفلاني- ذيل تأريخ دمشق، ص ٣
- المقرئ- اتعاظ الخفا، ص ١٣٩، ١٧٣، ١٧٤، ٢٤٨، ابو الحسن- النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ٥٨
- (٣٧) ابو شجاع- ذيل تجارب الأمم ص ٣٠١-٣٠٢، ابن الأثير- الكامل ج ٧ ص ١٨٧، ٣٠٨
- (٣٨) ابن الأثير- الكامل ج ٧ ص ٣٢٥-٣٢٦، ابو الفدا- تأريخ الملك المؤيد ج ٢ ص ٢٠٤-٢٠٥، البنداري- تأريخ دولة آل سلجوق ص ٦٩-٧٠، علي جواد الطاهر- الشعر العربي ج ٢ ص ٢٥.
- (٣٩) ابن الأثير- الكامل ج ٧ ص ١٣، ٣٧، ج ٨ ص ٤٩-٥٠، ٩١، ابن جبير- رحلة ابن جبير ج ١ ص ١٥٠، ٢٢٧، ابو الفدا- تأريخ الملك المؤيد ج ٢ ص ١٨٩، ابو الحسن- النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٠، البنداري- تأريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢.

ياقوت الحموي- معجم الادباء، ج ١٤ ص ٥-٨، ج ١٩ ص ٢١٥
 ابن كثير- البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٠٥-١٠٦
 ابن قتيبة- الشعر والشعراء، القاهرة ١٣٦٤ هـ ج ١ ص ٤١٦-٤١٨
 الأصفهاني- كتاب الأغاني، مصر ١٣٥١ ج ١١ ص ٧، ٢٣٦

المرزباني- معجم الشعراء ٢٩٢
 (٦٥) ابن خلكان- وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٦
 احمد الصوفي- المباني الآثارية الاسلامية الموصل ١٣٥٨ هـ ص ٢٩-٣٥
 خاشع الماضبيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٩٣ ،
 (٦٦) هرتسفيلد - رحلة على نهري دجلة والفرات ج ٢ ص ٣٢٠ ،
 زكي محمد حسن- القرون الاربانية في مصر الاسلامي ص ١٧، ٢٩٤-٢٩٥ ،
 مجلة سورج ج ١٠ ص ٩٩-١٠٠

(٥٧) جرجي زيدان- القصد الاسلامي، ج ٥ ص ٢٠-٢١ ،
 ٣١-٣٤ ، ٦٧ ، الكرمل- تأريخ العراق ص ١٦٣ ، محمد
 جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق، ص ١٧٥
 (٥٨) اخوان الصفا- رسائل اخوان الصفا، ج ١ ص ٢٩٩ ،
 ابن جبير- رحلة ابن جبير، ج ١ ص ١٤٩ ، ٢٢٣ ،
 المقدسي- احسن التقاسيم، ص ١٣٦
 (٥٩) محمد جمال الدين سرور- الحضارة الاسلامية في الشرق،
 ص ١٨٣-١٨٤ ،
 خاشع الماضبيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ١٩٠
 (٦٠) ابو شجاع- ذيل تجارب الامم ص ٣٠٢ ،
 ابن الاثير- الكامل ج ٧ ص ١٨٧ ، ٣٤٢-٣٤٣ ، ٣٤٦
 (٦١) الثعالبي- بيشة الدهر، القاهرة ١٩٤٧ ج ١ ص ١٢-١٣ ،
 آدم متر- الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٣٢ ، مجلة سورج
 مجلد ١٣ ص ١٠١-١٠٩
 (٦٢) خاشع الماضبيدي- دولة بني عقيل في الموصل ص ٢٠٢
 (٦٣) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٥٠-١٥١
 (٦٤) الأصفهاني- خريدة القصر، ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٥

الموصل في عهد السَّيْطَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ

٤٨٩-٥٢١ هـ ١٠٩٥-١١٢٧ م

أ.د. رشيد عبد الله الجميلي

حكم السلاجقة للموصل :

العقيليين في الموصل واقليم الجزيرة بسبب السياسة التي اتبعها أمراؤهم والتي ادت الى انقسامهم على انفسهم وتحالفهم مع امراء المدن المجاورة تحقيقاً للمزيد من المكاسب غير مباين بالنتائج التي سوف تترتب على هذه السياسة ، وقد كانت وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ١٠٩٢ م قد فتحت مرحلة من الصراع حول العرش بين ولديه بركياروق ومحمود ، كما دخل تاج الدولة تنش طرفاً في هذا الصراع حيث اعلن أحقته بالسلطنة بعد أخيه ملكشاه واستولى على الرحبة ونصيبين ثم تقدم نحو الموصل وأرسل الى الأمير ابراهيم بن قريش العقيلي يأمره باعلان ولائه له وفسح الطريق امامه الى بغداد ، فرفض الأخير الاستجابة لطلبه ، واستعد لمواجهة السلاجقة ودارت معركة كبيرة بين

تطلع السلاجقة للاستيلاء على الموصل منذ اواخر النصف الاول من القرن الخامس الهجري فقاموا بعدة محاولات استهدفت القضاء على حكم الامراء العرب من بني عقيل في الموصل واقليم الجزيرة الفراتية ، وبعد نجاح السلاجقة بدخول بغداد والقضاء على نفوذ البويهيين سنة ١٠٥٥ م سارع الأمير قريش بن بدران الى تقديم الولاء للسلطان طغرلبيك حفاظاً على نفوذه في الموصل^(١) .

والواقع ان دولة بني عقيل مالبت أن اشرفت على الزوال بعد تعاظم نفوذ السلاجقة واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء ، وكان مصرع مسلم بن قريش خلال المعركة التي دارت بينه وبين قتلش^(٢) سنة ١٠٨٥ م إيذاناً بنهاية حكم

الطرفين على نهر الهرماس في ربيع الاول من سنة ١٠٩٣م انتهت بأسر الأمير العقيلي مع عدد من الامراء والمقدمين وقتلوا على يد تتش^(٣).

وكان لابد لتاج الدولة تتش من مواجهة ابن اخيه السلطان بركياروق الذي انحاز الى جانبه معظم الامراء اعترافاً منهم بفضل ابيه ملكشاه، وقد لقي تتش مصرعه خلال المعركة التي حدثت بينها على بعد اربعة فراسخ من الري وارسل رأسه الى بغداد واستقامت السلطنة لبركياروق بعد أن تخلص من أخطر منافس له^(٤).

استيلاء السلاجقة على الموصل ونهاية دولة بني عقيل :

كان بنو عقيل قد لجأوا الى السلطان بركياروق بعد هزيمتهم أمام عمه تاج الدولة تتش وشكوا اليه ما حل بهم على يديه ملتجئين أن يعيدهم الى امارتهم في الموصل، وذكر ابن القلانسي أن علي بن مسلم العقيلي وامه صفية خاتون كانا يقيمان آنذاك مع السلطان بركياروق، فظفم الامر عليهما بمقتل الأمير ابراهيم بن بدران وبقية الامراء من بني عقيل - فاستجاب بركياروق لطلبهم وولى علي بن مسلم أميراً على الموصل ولقبه بسعد الدولة، وعاد بنو عقيل الى بلادهم وأجلوا عساكر تاج الدولة تتش عن الموصل^(٥).

ولم يكد علي بن مسلم يستقر بامارة الموصل حتى نازعه اخوه محمد بن مسلم واعلن العصيان بنصيبين، كما خرج على طاعته أيضاً ثروان بن وهب العقيلي وأبو الهيجاء الكردي، وذكر الفارقي أن محمد بن مسلم اتصل بالأمير كربوقا^(٦) يستنصره على اخيه علي أمير الموصل. وكان كربوقا قد التف حوله عدد كبير من الجند المرتقة كما انضم اليه اخوه التوتناش واستوليا على حران، ويبدو ان كربوقا هذا كان يتطلع للاستيلاء على الموصل بعد أن وقف على الظروف التي كان يمر بها بنو عقيل آنذاك، فاسرع بالتوجه نحو نصيبين، ولما أصبح على مشارف المدينة

خرج محمد بن مسلم لاستقباله واستحلفه لنفسه، إلا أن كربوقا مالبث أن قبض عليه ودخل نصيبين بعد حصار استمر أربعين يوماً، ثم واصل زحفه الى الموصل، فقتل في اقتحامها واضطر للرحيل الى (بلد^(٧))، وأمر بقتل محمد بن مسلم وعاد ثانية لحصار الموصل، ويبدو أن علياً أدرك عدم استطاعته الصمود في وجه كربوقا فاستنجد بالأمير شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر، فاسرع الأخير لنجده. غير ان التوتناش هزمه قبل أن يصل الى الموصل وارغمه على العودة الى ولايته، وقد وجد جكرمش ان المصلحة تقضي بالانضمام الى كربوقا بعد أن تأكد لديه أن بني عقيل لا يمكنهم الصمود طويلاً، وان نهاية حكمهم مسألة محسومة، فشارك كربوقا في حصار الموصل فساءت الاحوال في المدينة (وعدمت الاقوات بها وكل شيء حتى يوقدونه فأوقدوا القير وحب القطن)^(٨).

وأخيراً تأكد لعلي بن مسلم عدم جدوى المقاومة فأثر الرحيل عن الموصل ملتجئاً الى صدقة بن مزيد أمير الحلة، ودخل كربوقا الموصل في ذي القعدة من سنة ٤٨٩ هـ بعد تسعة أشهر من الحصار الشديد منياً بذلك حكم بني عقيل الذي استمر أكثر من مئة عام، وأصبحت الموصل خاضعة خضوعاً مباشراً للدولة السلجوقية توالى على حكمها عدد من الولاة السلاجقة استمر حكمهم حتى سنة ٥٢١ هـ حيث انتقل الحكم الى عاد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر مؤسس دولة الاتابكة في الموصل التي حكمها خلفاؤه من بعده حتى سنة ٦٣١ هـ^(٩).

وقد تمتع الأمراء السلاجقة في هذه المرحلة بنفوذ واسع في الموصل واقليم الجزيرة وكانوا موضع تقدير المسلمين بسبب تزعمهم لحركة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين الذين اجتاحت بلاد الشام وأواخر القرن الخامس الهجري - ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م، وقد أتاح لهم موقعهم هذا فرض نفوذهم على المدن والامارات المجاورة واخضاعها باسم السلطان السلجوقي باعتبارهم نواباً عنه في حكم هذه

الاقليم . وكانوا يوزعون الاقطاعات على أمراء الجند على أن يكونوا مرتبطين ارتباطاً مباشراً بامارة الموصل ويلتزمون بالقيام بواجباتهم المالية والعسكرية . فكان موسى التركماني ينوب عن كربوقا في حصن كيفا ، وشمس الدولة جكرمش ينوب عنه في جزيرة ابن عمر ، وحين آلت ولاية الموصل الى جكرمش بعد مصرع موسى التركماني سنة ٤٩٥ هـ . أناب عنه ولده حبشي في جزيرة ابن عمر ، وقد أعلن الأخير خضوعه للأمير جاولي سقاوه الذي استولى على الموصل سنة ٥٠٠ هـ ^(١١) . وكان الوالي السلجوقي في الموصل هو الحاكم الأعلى المسؤول عن حفظ الأمن وقبادة الجند والدفاع عن البلاد ، ولم يكن يربطه بالحكومة المركزية إلا سلطة السلطان في التعيين والعزل .

العلاقات السياسية لامارة الموصل :

أولاً : مع السلطنة السلجوقية :

وضع السلاجقة في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م نهاية لحكم الامراء العرب من بني عقيل في الموصل واقليم الجزيرة وبعض مدن الشام . واصبحت هذه البلاد جزءاً من الدولة السلجوقية تدار مباشرة من قبل أمراء يعينهم السلطان السلجوقي تترتب عليهم واجبات والتزامات مالية وعسكرية عليهم الوفاء بها . فكان يتوجب على هؤلاء الامراء حمل الاموال المقررة الى خزانه السلطان في الوقت المناسب ويعرضه ابتاؤه في سدادها للعزل عن الولاية حتى لو أدى ذلك الى قيام الحرب بينه وبين السلطان ، كما حدث لشمس الدولة جكرمش (٤٩٥ هـ - ٥٠٠ هـ) الذي عزله السلطان محمد عن ولاية الموصل لانه (تثاقل في الخدمة وحمل المال) ^(١٢) ، وكان جكرمش قد وعد السلطان بأن يحمل اليه قدرأ معيناً من المال بعد أن استقر الأخير في السلطنة عقب وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨ هـ غير ان جكرمش لم يف بوعده ^(١٣) وبضيف

ابن القلانسي سبباً آخر لعزل جكرمش عن الموصل فيذكر ان السلطان محمداً كان قد عهد الى الأمير جاولي سقاوه بقتال الصليبيين ودفعهم عن طرابلس ، فكتب الى بغداد والى أمير الحلة ديبس ابن صدقة والى جكرمش يدعوهم لتقديم المساعدة لجاولي وامداده بالرجال والاموال والمشاركة في الجهاد . إلا ان جكرمش رفض الانصياع لأوامر السلطان وامتنع عن تقديم المساعدة لجاولي وخرج لقتاله ^(١٤) ، أما الفارقي فيعطل امتناع جكرمش عن تنفيذ اوامر السلطان بانه أنف (أن يتأمر عليه جاولي فحاربه) ^(١٥) .

ويتضح من النصوص السابقة ان الالتزامات العسكرية تلزم الأمير بضرورة اعداد الجيوش وارسالها الى السلطان كلما دعت الحاجة الى ذلك ، كما يتوجب عليه أيضاً الحضور على رأس قواته لمحاربة اعداء السلطان والخارجين على طاعته ، وانطلاقاً من هذه المبادئ فقد اسهم معظم أمراء الموصل في اخضاع الفتن والاضطرابات التي كانت تحدث في انحاء الدولة السلجوقية حتى لو استدعى الامر الذهاب بعيداً عن مركز امارتهم ، وقد اتضح ذلك خلال حكم كربوقا (٤٨٩ هـ - ٤٩٥ هـ) حين عهد اليه السلطان بركياروق سنة ٤٩٤ هـ بقتال الملك مردود بن اسماعيل بن ياقوتي الذي خرج على طاعته في أذربيجان ، فسار على رأس عساكره الى بلاد فارس وامضى مايزيد على السنة يحارب اعداء السلطان ووافاه الأجل قبل أن يعود الى مقر حركه في الموصل ^(١٥) .

اما عن طبيعة العلاقات بين السلاطين السلاجقة وامارة الموصل خلال حكم الأمير جاولي سقاوه (٥٠٠ هـ - ٥٠٢ هـ) فان الأخير لم يتردد في تنفيذ أوامر السلطان محمد بقتال الباطنية في قلعة ألتوت ، وذكر ابن القلانسي أن جاولي هاجم مواقع الباطنية ودمر قلاعهم وقتل عدداً كبيراً منهم ثم عاد الى الموصل ^(١٦) .

غير أن سياسة جاولي نحو السلطان محمد سرعان

فصل الشتاء والاستعداد لاستئناف القتال ضد الغزاة في فصل الربيع ، الا انه لم يلبث أن لقي مصرعه بجامع دمشق في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الثاني سنة ٥٠٧ هـ^(١٩) .

تدخل امارة الموصل في الصراع حول السلطنة السلجوقية :

أقطع السلطان محمد الموصل واعمالها الى الأمير آقسنقر البرستي أوائل عام ٥٠٨ هـ وعهد اليه بمهمة القتال ضد الصليبيين ، غير أن حكم البرستي لم يستمر سوى عام واحد فقط إذ عزله السلطان عن الموصل على اثر هزيمته امام بعض أمراء الاطراف فضلاً عن اخفاقه في تحقيق النصر على الصليبيين ، وآلت امارة الموصل واعمالها الى الامير جيوش بك (٥٠٨ - ٥١٥ هـ)^(٢٠) .

وقد حافظ جيوش بك على علاقته بالسلطان محمد ولم يتردد في تنفيذ أوامره ، وشارك في الحملة التي اعدها الى بلاد الشام بقيادة برستي بن برستي أمير همدان سنة ٥٠٩ هـ ، وقد ذكر المؤرخ ابن الأثير ان امير الموصل انسحب بعد الانتهاء من تحرير كفر طاب وسار الى وادي بزاغه فملكه^(٢١) .

ودخلت العلاقات بين امارة الموصل والسلاجقة مرحلة جديدة على اثر وفاة السلطان محمد في ذي الحجة من سنة ٥١١ هـ ، وخلفه ولده محمود الذي خطب له بالسلطنة ببغداد في المحرم من سنة ٥١٢ هـ ، وبوفاة السلطان محمد بدأت مرحلة أخرى من مراحل الصراع بين افراد الاسرة السلجوقية . فقد خرج على محمود أخوته ، كما وجد عمه سنجر أنه أحق بالسلطنة من ابن أخيه وأنف أن يكون تابعاً له ، فاعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة ، وبذلك وجد سلطانان في آن واحد ، وانقسمت الدولة السلجوقية الى قسمين : سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان ويمثلهم سنجر ، وسلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق ويمثلهم محمود ، وكان لابد من الاصطدام بين السلطانين ،

ما تغيرت فجأة بعد عودته الى الموصل وكان السلطان قد اسند اليه ولاية كل مدينة يفتحها من بلاد فارس ، فلم يف جاولي بالتزاماته نحو السلطان وتأخر في دفع الاموال المقررة على اقطاعه ، وبلغ من تدهور العلاقة بينه وبين السلطان الى الحد الذي امتنع فيه جاولي عن تنفيذ اوامر السلطان ورفض الحضور على رأس عساكره لقتال اعدائه ، وكان صدقة بن مزيد أمير الحلة قد خرج على طاعة السلطان فقرر الأخير قتاله ، وارسل يستدعي امراء الاطراف لموافاته بالعساكر ، إلا ان جاولي لم يستجب لنداء السلطان الذي اضطر الى توجيه نداء آخر يحثه فيه على سرعة الوصول ، فما زاد ذلك جاولي الا امعانا في العصيان حيث اعلن تأييده لصدقة بن مزيد ووقوفه الى جانبه في نزاعه ضد السلطان^(٢٢) .

وهكذا كانت سياسية جاولي العدائية ضد السلطان محمد قد جعلت استمراره بحكم الموصل أمراً مستحيلاً . فما أن انتهى الأخير من القضاء على صدقة بن مزيد في رجب سنة ٥٠١ هـ حتى وجه عساكره نحو الموصل لانتزاعها من جاولي سقاة الذي غادرها قبل وصول عساكر السلطان ، وتمكن الامير مودود بن الترتكين من دخول الموصل في صفر من سنة ٥٠٢ هـ ، وكان مودود هذا من ابرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه ، وقد اظهر كفاءة عالية ومقدرة فائقة في تنفيذ المهام التي عهدا اليه السلطان السلجوقي في الفترة السابقة على توليه امارة الموصل ، وقد استطاع مودود أن ينال ثقة السلطان محمد بما قدم من خدمات للدولة السلجوقية وما بذله من جهود في اخاد الفتن والاضطرابات في اقاليم الدولة المختلفة .

وقد امتدت فترة حكم شرف الدين مودود حتى سنة ٥٠٧ هـ قاد خلالها عددا من الحملات ضد قواعد الصليبيين في الرها وبلاد الشام تنفيذاً لأوامر السلطان السلجوقي ، وكانت آخر معركة شهدها أمير الموصل هي معركة الصنبرة جنوب غرب بحيرة طبرية ، توجه بعدها الى دمشق لقضاء

فدارت الحرب بينها في جمادى الأولى من سنة ٥١٣ هـ. وأسفرت عن هزيمة محمود وانفراد سنجر بالسلطنة واصدر الخليفة المسترشد بالله امره بان تكون الخطبة لسنجر في السادس والعشرين من الشهر المذكور، على ان سنجر لم يلبث ان عطف على ابن اخيه وأمر بان يخطب له بالسلطنة من بعده على أن يكون نائباً عنه في العراق (٢٢).

وقد أقر السلطان محمود اخاه مسعوداً على الموصل مع اتابكة جيوش بك، ويبدو ان مسعوداً هذا كان يطمع في السلطنة، وقد قام جيوش بك بدور كبير في تخريضه على المطالبة بالعرش طمعاً في زيادة الاقطاع والتحكم في شؤون السلطنة السلجوقية، والواقع ان اخوة محمود الثلاثة كانوا يعملون بتوجيه من اتابكتهم فيخالفون اوامرهم ويخلفون له المشكلات ويحرضون امراء الاطراف عليه، وقد انتهز مسعود وجيوش بك رحيل أقسقر البرستي الذي كان يتولى شحنة بغداد الى الحلة لقتال ديبس بن صدقة، فقصداً بغداد، فلما علم البرستي بنواها أسرع بالعودة للدفاع عنها، ويبدو ان عودة البرستي بهذه السرعة كان مفاجأة لمسعود وجيوش بك اللذين اصبح عليهما الاصطدام بجيوش البرستي فيما إذا حاولا دخول بغداد فاسقط بأيديهما، وتراجعا عن خطتهما وارسلا الى البرستي يبلغانه بانها انما قدما نجدة له على أمير الحلة، فسمح لها بدخول بغداد، وأمام هذا التطور في الموقف اضطر ديبس بن صدقة الى طلب الصلح فأجيب الى ذلك (٢٣) غير أن ديبساً هذا عاود محاولاته الرامية للاستيلاء على بغداد بعد أن انضم اليه عماد الدين منكبرس، وقد شارك مسعود وجيوش بك في مهمة الدفاع عن عاصمة الخلافة، واضطر المسترشد بالله الى توجيه نداء الى الاطراف المتصارعة دعاهم فيه الى اقرار الصلح وحقن الدماء، كما تدخل السلطان محمود لحسم النزاع، وعاد جيوش بك الى الموصل دون أن يحصل على ما كان يأمله من وراء هذه الحركة (٢٤).

على أن ديبس بن صدقة لم يتوقف عن مواصلة جهوده الرامية الى اثارة الفتنة والانقسام بين سلاطين وملوك الاسرة السلجوقية، وقد وجد في شخصية الملك مسعود أداة طيعة يسخرها لتنفيذ أهدافه، فبادر بالاتصال بجيوش بك وحرضه على طلب السلطنة للملك مسعود، وأشار عليه بضرورة القبض على البرستي الذي كان من اكبر مؤيدي السلطان محمود، وبذل ديبس لأمر الموصل اموالاً كثيرة لهذا الغرض، ويبدو ان البرستي قد علم بالاتصالات الدائرة بين ديبس بن صدقة وجيوش بك وادراكاً منه لخطورة الموقف سارع بالرحيل الى السلطان ونقل اليه تطور الاحداث في العراق، فحاول السلطان تهدئة الاوضاع واقتناع اخيه بالرجوع الى الطاعة وترك العصيان، إلا أن تلك المحاولات لم تسفر عن شيء. ففشيت الحرب بين السلطان من جهة واخيه مسعود وحلفائه من جهة أخرى بالقرب من همدان منتصف ربيع الاول من سنة ٥١٤ هـ. وأسفرت عن انتصار السلطان محمود الذي عفا عن اخيه مسعود واكتفى بعزل جيوش بك عن امانة الموصل واعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها واقطعها الى الأمير أقسقر البرستي في شهر صفر من سنة ٥١٥ هـ (٢٥).

العلاقات في عهد البرستي وولده مسعود :

بعد صدور أمر السلطان محمود بتولية البرستي على الموصل توجه الأخير الى مقر عمله على رأس «عسكر كثيف» فأصلح احوال المدينة لكثرة ما تعرضت له من الحروب وأهمال الامراء، واقام بها مدة يسيرة رحل بعدها الى بغداد واجتمع الى السلطان محمود الذي ولاه شحنة بغداد والعراق جميعه تقديراً لجهوده واخلاصه وتلبية لرغبة الخليفة العباسي المسترشد بالله - كما زوجه من والدة اخيه الملك مسعود، وعاد البرستي الى الموصل في شعبان من سنة ٥١٦ هـ، ثم رأى السلطان محمود ان يتفرغ البرستي لمهمة الجهاد ضد القوى الصليبية في

اقليم الجزيرة وبلاد الشام فقرر اعفائه من شحنة العراق في سنة ٥١٨ هـ^(٢٦). وقد أبلى أمير الموصل بلاءً حسناً في التصدي لمخططات الغزاة الصليبيين في الشام ونجح في انقاذ حلب التي تعرضت للحصار الصليبي في شعبان من سنة ٥١٨ هـ / تشرين اول / ١١٢٤ م وأرغمهم على الانسحاب ودخل المدينة وتسلم قلعتها وأعلن دمجها مع إمارة الموصل، وكان لهذه الوحدة اثرها الخطير على مستقبل الاحتلال الصليبي لاقليم الجزيرة وشمال الشام.

على ان حكم البرستي لم يدم طويلاً اذ سرعان ما أدركته الوفاة في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ في المسجد على اثر هجوم قام به نفر من الباطنية في حين كان يؤدي الصلاة مع العامة في المسجد الجامع بالموصل. وخلف البرستي على الموصل ولده عز الدين مسعود غير أن ولايته لم تستمر سوى عام واحد فقد أدركته الوفاة بينما كان يحاصر مدينة الرجة، وذكر ابن الأثير أن مسعوداً كان قد أقام على حصارها مدة ثم اخذه مرض حاد فأت بعد تسلمه القلعة بساعة واحدة، وبوفاة مسعود ينتهي عصر الامراء السلاجقة في الموصل، حيث اقطع السلطان هذه البلاد الى الأمير عماد الدين زنكي ابن قسيم الدولة أفسنفر في رمضان من سنة ٥٢١ هـ وكان ذلك بداية لقيام دولة الاتابكة التي توالى على حكمها خلفاء عماد الدين حتى سنة ٦٣١ هـ^(٢٧).

ثانياً- العلاقة مع الخلافة العباسية

تميزت المرحلة التي خضعت خلالها الموصل للحكم السلجوقي بضعف الخلافة العباسية وفقدانها للقوة والنفوذ اللذين كان يتمتع بهما الخلفاء العباسيون، على أن حرص المسلمين آنذاك على الإبقاء والتمسك بهذه المؤسسة كان دافعاً حقيقياً للحكام والامراء على التشبث باهدافها سعيًا وراء الحصول على تأييدها ودعمها الروحي ليكسبوا حكمهم صفة الشرعية أمام رعاياهم.

ولما كان حكام الموصل السلاجقة يقرنون بشرعية الخلافة العباسية وولائهم لها فقد حرصوا على توثيق صلتهم بالخلافة وترجمة هذا الولاء باعلان الخطبة للخليفة على منابر الموصل واعمالها، كما شارك عدد من هؤلاء الحكام في القتال الى جانب الخلافة تأييداً لها ضد اعدائها من الخارجين على طاعتها والعابثين بأمن البلاد، وقد ظهر هذا الأمر بوضوح أواخر عهد الامراء السلاجقة حيث اتيح للموصل أن تقوم بدور بارز في رسم احداث تلك المرحلة التاريخية التي كانت تحتازها الخلافة العباسية.

والواقع أن حالة الصراع والتنافس اللذين كانا يعصفان بدولة السلاجقة في اعقاب وفاة السلطان ملكشاه وما ترتب عن ذلك من اضطحلال وضعف السلطنة السلجوقية وتجرف أمراء الاطراف على التدخل بشؤون السلاجقة وتحديهم السافر لاوامر السلطان، قد ترك آثاراً سلبية على الخلافة العباسية التي كانت تعتمد في ضبط الامور وإقرار الأمن والاستقرار في البلاد على مكانة السلطان السلجوقي ونفوذه وقد نجح السلاطين الأوائل في تحقيق رغبة الخلافة ففرضوا سيطرة كاملة على ارجاء الدولة العباسية، واستخدموا القوة والعنف ضد كل من تحدته نفسه في الخروج على طاعتهم من أمراء الاطراف، كما حافظوا على حدود الدولة وتصدوا ببسالة لمخططات الروم البيزنطيين وتطلعاتهم في آسيا الصغرى وبلاد الشام.

وعلى الرغم من ان السلاجقة قد انتصروا للخلافة العباسية وأنهوا السيطرة البويهية سنة ٤٤٧ هـ، كما قضوا على حركة البساسيري واستعادوا بلاد الشام من نفوذ الفاطميين في مصر. إلا أنهم مالبثوا ان مارسوا سياسة تصفية نحو الخلفاء العباسيين بعد أن استتب لهم الامور في العراق، وسلبوا الخليفة حقوقه وسلطانه ولم يعد له دور يذكر في سياسة الدولة حتى انه لم يكن يستطيع التصرف في ممتلكاته، واصبح يعيش من اقطاع يكني لسد نفقاته.

لبغداد ثم قفل عائداً الى همدان في ربيع الاول من السنة المذكورة (٣٠).

وبعد رحيل السلطان شرع الخليفة بالتأهب لقتال ديبس وأجباره على الرحيل عن الحلة مستعيناً بالبرسقي الذي بادراً باستدعاء العساكر من الموصل واقليم الجزيرة، اما ديبس فقد كان على علم بما يجري من استعدادات ببغداد، فسارع بعبور الفرات، وارسل الى البرسقي يقول: «قد اغنيك عن العبور وصرت معك على ارض واحدة» (٣١).

ونشبت الحرب بين الفريقين وكان النصر حليف ديبس بن صدقة، ويعمل ابن الجوزي اسباب هزيمة البرسقي بان الأخير رأى خلافاً في مسيرته فأمر بنصب خيمته عندهم تشجيعاً لهم على الاستبسال في القتال، فلما رأوا الخيمة تسقط لاذوا بالفرار، وكان الحر شديداً فهلك دوابهم (٣٢).

إلا أن ديبساً لم يستثمر انتصاره هذا بالزحف نحو بغداد كما كان يتوقع منه، ويبدو انه اراد ان يحسن علاقاته مع الخلافة العباسية ويظهر لها حسن نيته فارسل الى المسترشد بالله يعرض عليه بان يرسل عاله الى منطقة الفرات الاوسط لحماية الاموال من القرى التابعة له - دون أن يتعرض رجاله لهذه القرى بسوء، فوافق الخليفة وتم عقد الصلح بين الطرفين (٣٣).

ولما علم السلطان محمود بهزيمة البرسقي أقدم على سجن منصور بن صدقة - أخي ديبس - الذي كان رهينة لديه، في نفس الوقت الذي بدأ فيه ديبس بمهاجمة واسط. فارسل أهلها الى البرسقي يستحثونه على مساعدتهم فأمدهم بفرقة من عسكره تمكنت من الحاق الهزيمة بالمظفر بن ابي الجبر حليف ديبس، مما دفع الأخير الى مهاجمة كل ما كان للخليفة بنهر الملك وأجلى الناس الى بغداد، اما قوات البرسقي فقد واصلت تقدمها نحو النعمانية واجلت اصحاب ديبس بن صدقة ودخلت المدينة (٣٤).

ولم يسكت الخليفة على تجاوز ديبس واعتداءه

إن ضعف وانقسام السلاجقة على انفسهم بعد وفاة ملكشاه واستمرار الصراع حول السلطنة السلجوقية قد حرك اطماع امراء الاطراف وشجعهم على التدخل في هذا الصراع مستهدفين تحقيق المزيد من المكاسب. وفي خضم هذه الاحداث فقدت الخلافة العباسية القوة التي كانت تعتمد عليها في كبح جماح امراء الاطراف الذين لم يتورعوا في مجاهرتهم بعصيان الخليفة ومهاجمة عاصمة الخلافة بغداد أكثر من مرة.

ففي خلافة المسترشد بالله (٥١٢هـ - ٥٢٩هـ) انتهز ديبس بن صدقة أمير الحلة فرصة النزاع القائم بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وأخيه الملك مسعود وشرع باعمال النهب واشاعة الفوضى في منطقة الفرات الاوسط، واعلن عن عزمه على قصد بغداد لقطع خط الرجعة على السلطان محمود متجاهلاً نداءات الخليفة الداعية الى الكف عن اعمال العنف وعدم التعرض لعاصمة الخلافة، إلا أن ديبساً هذا لم يتمكن من تحقيق هدفه واضطر للعودة الى الحلة وانتهى الأمر بعقد الصلح بينه وبين السلطان السلجوقي (٢٨).

ويبدو أن الصلح لم يحظَ بموافقة الخليفة المسترشد بالله الذي كان يرى أن وجود ديبس بن صدقة في الحلة يشكل خطراً على بغداد، فارسل الى السلطان محمود طالباً اليه العمل على ابعاده عن العراق (٢٩) وكان الخليفة يتطلع الى اقتسفر البرسقي أمير الموصل ليقوم بهذه المهمة لما يعهده فيه من ولائه للخلافة واخلاصه للسلطان السلجوقي، لذلك ألح على ضرورة احضاره محذراً السلطان من مغبة افعال امر ديبس هذا، فاضطر السلطان الى الاستجابة لرغبة الخليفة وأرسل سديد الدولة ابا عبد الله بن الانباري الى الموصل لينقل الى البرسقي أمر السلطان بالتوجه الى بغداد، فسارع في الرحيل عن الموصل على رأس عساكره ووصل بغداد اواخر سنة ٥١٦ هـ، وفوض اليه السلطان شحنة العراق وأمره بقتال ديبس فيها إذا فكر بالتعرض

فارس واثنى عشر الف راجل ، اما البرستي فكان في ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ، والتحم الطرفان في معركة كبيرة اشتد خلالها القتال مما دفع المسترشد بالله الى المشاركة في القتال (فجرد وكبر) ، مما كان له التركبير في رفع معنويات الجيش واستبسالهم في القتال وألحقوا بدييس هزيمة نكراء عاد بعدها الخليفة الى بغداد فدخلها في العاشر من محرم من السنة المذكورة (٣٧) .

والواقع أن الانتصار على ديبس قد أعاد للخليفة نفوذه فأخذ يباشر سلطاته الدنيوية بنفسه ، فشرع ببناء سور بغداد ، كما أعفى وزيره احمد بن نظام الملك الذي فرضه عليه السلاجقة ، واستدعى وزيره عميد الدولة من الحديثة وأسند اليه الوزارة .

اما ديبس بن صدقة فقد انصرف بعد هزمته امام الخليفة الى الاغارة على البصرة في ربيع الاول سنة ٥١٧ هـ ونهب البلد وأجلى أهله عنه ، وذكر ابن الجوزي ان ديبساً هذا هاجم مشهد طلحة والزبير ونهبه ، وقتل خلقاً كثيراً ، فلما علم الخليفة بما فعله ديبس ارسل الى البرستي وعاتبه على اهماله امر ديبس وحمله مسؤولية ماحدث وحثه على معالجة الموقف والعمل على ابعاده عن البصرة ، فاستعد امير الموصل لتنفيذ امر الخليفة وتجهز لقتال ديبس الذي اضطر للرحيل عن البصرة متوجهاً الى قلعة جعبر (٣٨) .

تدهور العلاقات بين الخليفة المسترشد وأمير الموصل :

على الرغم من الجهود التي بذلها امير الموصل في حماية بغداد والتصدي لاعداء الخليفة المسترشد بالله إلا أن العلاقات بينها مالت الى انخذت في التدهور في اعقاب هجوم ديبس بن صدقة على البصرة ، فقد ألقى الخليفة اللوم على امير الموصل وحمله مسؤولية ماوقع من اعمال النهب والتخريب

على اعمال الخلافة ، فارسل عفيفاً الخادم الى ديبس ينكر عليه هذه الاعمال ، إلا أن ديبساً لم يكثر لنداء الخليفة متذرعاً بان الاخير لم ينفذ الاتفاق الذي سبق ابرامه بينها والذي يقضي باخراج البرستي عن بغداد واعادته الى الموصل (٣٩) . وذكر ابن الاثير أن ديبساً حمل عفيفاً الخادم رسالة هدد فيها الخليفة وتوعده بنهب بغداد وتخريبها ، فلما وقف المسترشد بالله على مضمون الرسالة أصدر اوامره الى البرستي بالخروج لحرب ديبس في رمضان من سنة ٥١٦ هـ كما ارسل يستدعي العساكر من الاطراف فاحتشدت لديه جموع كبيرة ، فلما علم ديبس بالتدابير التي اقدم عليها الخليفة أدرك خطورة موقفه ومال الى الصلح وارسل يستعطف الخليفة . إلا ان الاخير صمم على قتاله ، وكان المسترشد على يقين بان أهل بغداد واطرافها لن يتأخروا عن تلبية ندائه فقد كانوا يعيشون في فزع وخوف من اعتداءات ديبس المتكررة ، وصح ماتوقه الخليفة فقد نادى أهل بغداد «الفير الفير» الغزاة الغزاة ، وكثر الضجيج من الناس ، وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة ، وبرز الخليفة رابع عشر ذي الحجة . وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطريحة ، وعلى كتفه البردة (٣٦) .

وكان البرستي قد نزل بعساكر الموصل والجزيرة بقرية (جهار طاق) ، فلما علم برحيل الخليفة عن بغداد اسرع بالانضمام الى عساكره ، وفي مستهل محرم سنة ٥١٧ هـ نزل الخليفة بنهر الملك واستدعى أمير الموصل واستحلفه على المناصحة في الحرب ، فباشر البرستي بتعبئة الجيش للمعركة فرتبهم صفوفاً وجعل بين كل صفين مجاًلاً للخيـل ووقف موكب الخليفة من ورائهم ، أما ديبس فقد جعل اصحابه صفاً واحداً ميمنة وميسرة وقلبا ، وجعل الرجالة بين الفرسان بالتراس ووقف في القلب ، وكان ديبس قد وعد رجاله بنهب بغداد وسبي النساء ، وكانت عدة عساكره عشرة آلاف

في تلك المنطقة ، ويبدو أن وجود البرستي في بغداد لم يعد أمراً مرغوباً فيه من قبل الخليفة العباسي . وقد أشار المؤرخ ابن الاثير الى موضوع الخلاف بين الخليفة والبرستي وذكر أن السلطان محموداً تلقى طلباً من الخليفة بعزل البرستي عن شحنة العراق واعادته الى الموصل . ولم يوضح ابن الاثير اسباب هذا الخلاف واكتفى بالقول بان البرستي نفر عنه المسترشد بالله (٣٩) . ويبدو أن تقاعس امير الموصل عن ملاحقة ديبس واجلائه عن العراق كان وراء تدهور العلاقة بينه وبين الخليفة ، فضلاً عن أن الأخير أراد أن يبعد عن دار الخلافة اي نفوذ قد يمارسه البرستي مستقبلاً باعتباره مثلاً للسلطان السلجوقي ، وقد استجاب الأخير لرغبة الخليفة وأمر البرستي بالعودة الى الموصل سنة ٥١٨ هـ .

ثالثاً : العلاقات مع الامارات المجاورة :

أتيج لولاية الموصل في العصر السلجوقي (٤٨٩ هـ - ٥٢١ هـ) القيام بنشاط واسع في اقليم الجزيرة وشمال الشام فأنشأوا علاقات مختلفة مع الامارات والمدن المنتشرة في هذا الاقليم . وكان اقليم الجزيرة يحتل مركز الصدارة في السياسة التي انتهجها حكام الموصل خلال هذه المرحلة وذلك لارتباطه الجغرافي مع الامارة وتأثيره المباشر على الاحداث السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة نتيجة الصراع الذي تفجر بين السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ وتعرض الشام واقليم الجزيرة للغزو الاوربي الصليبي في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي . وكان اقليم الجزيرة (٤٠) في الواقع يضم عدداً من المدن المتفرقة التي استأثر بحكم كل منها أمير شبه مستقل ، وقد تميز نظام الحكم في هذه المدن عما كان سائداً في الامارات المحلية ، وذلك لان حكام هذه المدن لم يكونوا يملكون سوى حكم المدينة وحدها وما يحيط بها - في بعض الاحيان - من أراضي محدودة ، كما كانوا عرضة للتغيير بين

حين واخر بمجرد ظهور أمير قوي تتيح له امكاناته العسكرية اكتساح أولئك الحكام ، لذلك لم تشهد معظم مدن الجزيرة القراتية حكاماً وراثياً طويل الأجل على النحو الذي كان سائداً في كثير من الامارات المحلية في تلك المرحلة (٤١) .

وعليه فان سياسة الموصل في عصر الحمدانيين والعقيليين من بعدهم كانت تهدف الى ضم مدن الجزيرة الى الموصل والقضاء على مراكز القوى الصغيرة المنتشرة في اقليم الجزيرة أو فرض السيطرة عليها . وقد انتهج ولاية الموصل في العصر السلجوقي هذه السياسة وحرصوا على الوقوف في وجه اي تحالف يستهدف النيل من امارة الموصل أو اضعاف نفوذهم في المنطقة ، في الوقت الذي انصبت فيه جهود ولاية الموصل على تنسيق الجهود وتعبئة القوى المقاتلة في الاقليم من اجل التصدي للغزاة الصليبيين الذين استقروا في الرها وأصبحو يشكلون خطراً كبيراً على الموصل واقليم الجزيرة .

(١) جزيرة ابن عمر

خضعت جزيرة ابن عمر لامارة الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ وأقر كربوقا على حكمها شمس الدولة جكرمش الذي استمر يولي أمرها حتى وفاة كربوقا في سنة ٤٩٥ هـ حيث أتيج لجكرمش حكم امارة الموصل وأتاب عنه ولده حبشي في جزيرة ابن عمر (٤٢) .

وفي عهد جكرمش تعرضت جزيرة ابن عمر لهجوم خارجي قاده ياقوتي بن ارتق أمير ماردين ، فسارع جكرمش للدفاع عنها وتمكن من ايقاع الهزيمة بقوات ياقوتي الذي أصيب في اثناء القتال اصابة ميمية توفي على اثرها (٤٣) .

ولما آل حكم الموصل الى جاولي سقاوة (٥٠٠ هـ - ٥٠٢ هـ) عمل على اخضاع الجزيرة وكانت بيد حبشي بن جكرمش . فحاصرها جاولي فترة من الوقت ثم استقر الأمر على عقد الصلح وتعهد حبشي بان يحمل لأمير الموصل ستة آلاف دينار عدا

الدواب والثياب، واستمر ارتباط الجزيرة بامارة الموصل طيلة عهد الامراء السلاجقة الذين توالوا على حكم الموصل حتى سنة ٥٢١ هـ حيث اقطعت الموصل واعمالها الى عماد الدين زنكي، وقد رفض مملوك البرستي الذي كان يتولى حكم جزيرة ابن عمر الخضوع لعماد الدين وتحصن داخل المدينة ثقة بمحصانها، فدارت بين الأخير وأهل الجزيرة معارك عنيفة اضطروا بعدها الى طلب الامان وتسلم عماد الدين المدينة وعاد الى الموصل^(٤٤).

(٢) نصيبين :

كانت نصيبين في حوزة محمد بن شرف الدولة العقيلي الذي راسل كربوقا مستنجداً به على أخيه علي بن شرف الدولة في الموصل، فلما وصل كربوقا وأخوه التوتناش الى نصيبين خرج محمد لاستقبالها، إلا أن كربوقا سرعان ما نقض عهده وقبض عليه ثم حاصر المدينة ودخلها بعد حصار دام اربعين يوماً. ثم اقدم على قتل محمد بن شرف الدولة والقي جثته في نهر دجلة، وأتاب كربوقا عنه بنصيبين والياً من قبله^(٤٥).

وخلال حكم شمس الدولة جكرمش (٤٩٥ هـ - ٥٠٠ هـ) تعرضت نصيبين لهجوم الامير سقان بن ارتق القطبي سنة ٤٩٨ هـ، فلما علم امير الموصل بذلك أثر معالجة الموقف بالحكمة، ولم يشأ الاضطرار بالتركبان، فاتصل بالامير سقان واقنعه بالرحيل عن نصيبين لقاء مبلغ من المال^(٤٦).

ولم تلبث نصيبين أن واجهت خطراً كبيراً في العام التالي (٤٩٩ هـ) عندما حاول الملك رضوان صاحب حلب الاستيلاء عليها بتحريض من الامير ايلغازي بن ارتق الذي اطمعه بالسيطرة على بلاد جكرمش، وانضم الامير الي بن ارسلان - امير سنجان - وهو صهر جكرمش الى الملك رضوان وابلغازي، فاجتمع على حصار نصيبين في رمضان من العام المذكور ما يقرب من عشرة آلاف فارس، وقد ادرك امير الموصل صعوبة مواجهة هذه القوات مجتمعة، فلدجأ الى بث الفرقة والخلاف بين رضوان

وتخلفائه، في نفس الوقت الذي اهتم فيه بتقوية وسائل الدفاع عن بلاده، فراسل رضوان واغراه بالقبض على ايلغازي وتعهده بامداده بالاموال والسلاح والمشاركة في قتال الصليبيين في شمال الشام، فأمر رضوان بالقبض على حليفه ايلغازي على اثر مشادة حدثت بينها، فلما علم اصحاب الأخير من التركبان بذلك اعلنوا العصيان على رضوان والتجأوا الى سور نصيبين، فاضطر رضوان الى الرحيل الى حلب، واعتماداً على مارواه ابن الأثير فإن ايلغازي تمكن من الاستيلاء على نصيبين بعد رحيل رضوان مستغلاً انشغال جكرمش بقتال صهره أمير سنجان، وبما يؤكد استيلاء ايلغازي على نصيبين ان جاولي سقاوه الذي تولى حكم الموصل بعد وفاة جكرمش سنة ٥٠٠ هـ استنجد بايلغازي لمواجهة هجوم الأمير مودود الذي ولاه السلطان السلجوقي محمد حكم الموصل سنة ٥٠٢ هـ، (وقد استمر حكم الاراتقة لهذه المدينة حتى استعادها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ)^(٤٧).

(٣) ماردين :

كان كربوقا قد تطلع لغرض سيطرته على ماردين بسبب موقعها الاستراتيجي في منطقة ديار بكر دعماً لمركزه في اقليم الجزيرة. فنجح في امد قصر من الاستيلاء عليها وجعلها تابعة لامارة الموصل تبعية مباشرة^(٤٨).

على ان ماردين ما لبثت أن قطعت صلتها بامارة الموصل بعد رحيل كربوقا الى اذربيجان لاختداد حركة الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوت ضد السلطان بركياروق. فقد استغل بعض أمراء الاطراف هذه الفرصة وقطعوا صلتهم بالموصل، وقد اشار المؤرخ ابن القلانسي الى احداث الجزيرة هذه وذكر ان كربوقا وقف على ما كان يجري هناك فأراد العودة الى مقر ولايته لقتال المخالفين واعادتهم الى الطاعة، إلا أن الوفاة ادرته وهو في طريقه الى الموصل^(٤٩)، وآلت ماردين الى الأمير الارمني

وبعد مصرع مودود في سنة ٥٠٧ هـ خلفه في حكم الموصل الأمير آقسنقر البرسقي الذي عهد اليه السلطان بمواصلة قتال الصليبيين وكتب الى امراء الاطراف يدعوهم الى المساهمة معه في الجهاد ، فشرع البرسقي في اخضاع المدن المجاورة قبل المضي في مواجهة الغزاة ، فاخضع جزيرة ابن عمر ، ثم تقدم الى ماردين واخضع ايلغازي بن ارتق وطلب اليه المشاركة في قتال الصليبيين فأمدته بخمسة عشر ألف رجل بقيادة ولده أياز - ويبدو أن البرسقي لم يكن راضياً عن غياب ايلغازي وعدم حضوره بنفسه ، فأضمر له الشر ، وقرر معاقبته بعد فراقه من قتال العدو ، والواقع ان البرسقي لم يكن يقدر قوة الارتاقة في المنطقة ، وكان عليه أن يستعمل السياسة في تعامله معهم خلال هذه المرحلة التي كانت تستلزم حشد الطاقات لمواجهة خطر الاحتلال الصليبي الذي بات يهدد اقليم الجزيرة والموصل تهديداً مباشراً بعد احتلالهم الرها .

وهكذا اقدم البرسقي على سجن أياز بن ايلغازي وهاجم ماردين ونهب عدداً من القرى التابعة لها ، ثم توجه لمهاجمة داود بن سقان - ابن اخي ايلغازي - في حصن كيفا ، فاجتمع الارتاقة على حرب البرسقي وردة عن بلادهم ، فدارت الحرب بين الفريقين وأواخر سنة ٥٠٨ هـ فانهزم البرسقي وتخلص أياز من السجن (٥٣) .

ولم يلبث البرسقي أن عزل عن ولاية الموصل بعد هذه الهزيمة وأسند السلطان محمد حكمها الى الامير جيوش بك (٥٠٩ هـ - ٥١٥ هـ) . أما ماردين فقد آلت الى حسام الدين تمرتاش بعد وفاة ايلغازي سنة ٥١٦ هـ ، وبعد قيام دولة الاتابكة على يد عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ عادت ماردين الى الارتباط بالموصل (٥٤) .

٤ - سنجار :

كانت سنجار خاضعة لحكم الأمير ارسلان تاش عشية دخول قوام الدولة كربوقا الموصل سنة

ياقوتي بن ارتق . وكان الارتاقة آنذاك قد استولوا على عدة مدن وقلاع باقليم الجزيرة ، وقد ساءت العلاقات بين الموصل وماردين خلال حكم شمس الدولة جكرمش على اترقيام ياقوتي بمهاجمة جزيرة ابن عمر التابعة لامارة الموصل غير ان ياقوتي هذا لقي مصرعه خلال الهجوم فتولى حكم ماردين بعده اخوه علي الذي اعلن ولاءه لجكرمش نظير حصوله على عشرين ألف دينار تحمل اليه كل عام ضماناً لاستمرار ولائه للموصل . ثم حدث أن غادر علي ماردين واستخلف عليها أحد امرائه ، فانصل الأخير بالأمير سقان بن ارتق وابلغه بان علياً ابن اخيه يسعى الى تسليم ماردين للأمير الموصل ، فاسرع سقان الى ماردين وتسلمها من نائب علي ، وعندما عاد الأخير طالب عمه باعادة البلد إليه ، فامتنع بحجة انه انما استولى عليه «لثلاثي يخرّب البيت» وعرضه عن ماردين بجبل جور (٥٥) .

ورحل علي عن ماردين الى ولايته الجديدة فارسل الى جكرمش يطالبه بالمال الذي كان يحمله اليه ، وكان من الطبيعي أن يرفض امير الموصل ذلك ، إذ لم يعد هناك اي مسوغ لاستمرار امداده بالمال بعد أن أقصي عن حكم ماردين التي كانت تحتل أهمية خاصة بالنسبة لامن واستقرار الموصل ، اما وقد اصبح في جبل جور فلم يعد يشكل اي خطورة على الموصل ، وقد عبر جكرمش عن ذلك بقوله : «انما كنت اعطيتك احتراماً للماردين وخوفاً من مجاورتك ، والآن فاصنع ماأنت صانع فلا قدرة لك علي» (٥٦) .

وقد طرأ تحسن ملموس على العلاقات بين الموصل وماردين بعد وفاة سقان بن ارتق سنة ٤٩٨ هـ وانتقال الحكم الى اخيه ايلغازي الذي حرص على مشاركة امراء الموصل في تصديهم للغزاة الصليبيين ، فقد اشار المؤرخ سبط ابن الجوزي الى أن عساكر ماردين ساهمت مع قوات الموصل خلال حملات الامير مودود ضد الصليبيين في الرها (٥٧) .

الموصل ضد الصليبيين سنة ٥٠٩ هـ (٥٨).

دمج سنجار مع اماره الموصل :

اصدر السلطان محمود امره بتولية اقسنقر البرسني على الموصل واعمالها سنة ٥١٥ هـ وكانت سنجار من بين المدن التي تضمنها منشور السلطان السلجوقي . ويبدو ان لهذا القرار علاقة وثيقة بسياسة سنجار خلال الصراع الذي نشأ على السلطنة بعد وفاة السلطان محمد في سنة ٥١١ هـ وقيام ولده محمود من بعده ، فقد انحاز حاكم سنجار الى الملك مسعود الذي نافس اخاه محموداً على العرش ، وكان مسعود آنذاك مقيماً بالموصل مع اتابكة جيوش بك الذي مارس دوراً كبيراً في تخريض مسعود على اخيه السلطان محمود ، فكان ذلك من اسباب عزله عن اماره الموصل سنة ٥١٥ هـ واقطاعها الى البرسني مع سنجار وجزيرة ابن عمر ، وقد استمرت سنجار تخضع لامارة الموصل طيلة حكم البرسني وولده مسعود ، وبعد تولي عماد الدين زنكي البلاد سنة ٥٢١ هـ أدرك اهمية موقع سنجار الاستراتيجي بين الموصل وحلب فحرص على استمرار ارتباطها مع الموصل فدخلها قواته سنة ٥٢٢ هـ (٥٩) .

٥- الرحبة :

تقع الرحبة على شاطئ الفرات الى الجنوب الغربي من الموصل ، وقد تطلع كربوقا الى اخضاعها بعد ان اطمأن الى قوة مركزه في الموصل ، فتم له ذلك وعين عليها نائباً من قبله يدعى قابماز ، وقد استغل الاخير وفاة كربوقا سنة ٤٩٥ هـ فقطع صلته بالموصل واستقل بالرحبة ، فأنار بذلك اطماع حكام المدن المجاورة للاستيلاء عليها ، إذ لا يخفى أن اعلان قابماز استقلاله عن الموصل قد افقده في الواقع حماية السلطان السلجوقي الذي يمثله اميرها في هذا الاقليم (٦٠) .

وقد تعرضت الرحبة لحصار شديد من الملك دقاق بن تاج الدولة تتش حاكم دمشق ، إلا أنه

٤٨٩ هـ ، ويبدو استناداً الى ما ذكره المؤرخ ابن الاثير ان العلاقات بين الموصل وسنجار كانت طبيعية اتسمت بالتعاون والتنسيق فيها ينحصر الدفاع عن البلاد وتحريرها من الغزاة الصليبيين ، حيث اشتركت قوات سنجار في حملة كربوقا لانتقاذ انطاكية سنة ٤٩١ هـ (٥٥) .

وبعد وفاة ارسلان تاش خلفه في حكم سنجار ولده ألبى الذي تولفت علاقاته مع الموصل على اثر مصاهرته للامير جكرمش ، غير ان سياسة ألبى هذا سرعان ما تغيرت نحو الموصل عندما شارك رضوان وابلغازي في مهاجمة اعمال الموصل سنة ٤٩٩ هـ ، وقد أصيب اصابة بليغة خلال الهجوم على نصيبين اضطره للعودة الى سنجار ، وتبع ذلك انهيار الحلف وعودة رضوان الى حلب ، فتهافت الفرصة امام جكرمش للانتقام من صهره حاكم سنجار . فحاصره حصاراً شديداً ، وكان المرض قد اشتد بألبى فأمر اصحابه بان يحملوه الى جكرمش فحمل اليه على حفة فأخذ يعتذر ويقول : « جئت مذنباً ، فافعل بما تراه » ، فرق له واعاده الى بلده ، ولم يلبث ألبى أن توفي بعد عودته بقليل ، فاعلن اصحابه العصيان على جكرمش فقاتلهم بقية رمضان وشوال من سنة ٤٩٩ هـ دون أن يظفر بشيء لما كانت تتمتع به سنجار من قوة وحصانة ، ثم قدم تميرك - عم ألبى - وعقد الصلح مع جكرمش (٥٦) .

وقد حرص تميرك على توثيق علاقاته مع الموصل في عهد الأمير شرف الدين مودود (٥٠٢ هـ - ٥٠٧ هـ) فشارك في جميع الحملات التي تولى قيادتها الاخير ضد المواقع الصليبية في الجزيرة والشام ، وظل ملازماً لأمير الموصل حتى سنة ٥٠٧ هـ حيث لقي مودود مصرعه في جامع دمشق ، فتولى تميرك حمل ما كان مع مودود من الاموال والسلاح وعاد الى السلطان محمد (٥٧) واستمرت سياسة الوفاق بين سنجار والموصل في عهد جيوش بك (٥٠٩ - ٥١٥ هـ) فذكر ابن الاثير أن قوات سنجار كانت ضمن الحملة التي شاركت بها

لم يتمكن من دخولها بسبب المقاومة العنيفة التي ابداهما قايماز مما اضطره للعودة الى دمشق ، غير أن قايماز هذا لم يلبث أن ادركته الوفاة في صفر ٤٩٦ هـ فخلفه في الرحبة غلام تركي يدعى حسن ذكر ابن العديم انه كان متزوجاً من ابنة قايماز^(١١) .

وكان حسن هذا سيء السيرة غير مرغوب فيه من أهل المدينة فأبعد عنه كثيراً من الجند ، وخطب لنفسه في الرحبة ، وكان وفاة قايماز قد جددت اطاع الملك دقاق فعاود الهجوم على الرحبة وحاصرها حصاراً شديداً وقطع اسباب الميرة عنها ، ويبدون حسناً شعر بعزم أهل الرحبة على تسليمها الى دقاق ، فاعتصم بالقلعة ، فأعطاه الاخير الأمان وأقطعته اقطاعاً كثيراً بالشام وتسلم الرحبة في جمادي الآخرة من عام ٤٩٦ هـ وربب امورها وعاد الى دمشق^(١٢) وبعد وفاة دقاق بدمشق في العام التالي أعلن محمد بن السباق عامله على الرحبة استقلاله وقطع صلته بدمشق ، وخطب في بعض الاوقات لقلج ارسلان - سلاجقة الروم - تدعياً لنفوذه في المدينة وضماناً للحصول على المساعدة في حالة تعرضه لاي تهديد من قبل القوى المجاورة^(١٣) .

وقد تعرضت الرحبة لهجوم الامير جاولي سقاوه الذي ولاه السلطان محمد الموصل سنة ٥٠٠ هـ ، ويبدو أن جاولي واجه صعوبة كبيرة في الاستيلاء على المدينة مما اضطره الى طلب المساعدة من الملك رضوان مقابل تعهده بالوقوف معه في الدفاع عن حلب وصدد غارات الصليبيين الذين صدّوا عملياتهم في المنطقة ، وقد رحب رضوان بدعوة جاولي سقاوه بسبب حاجته الماسة لقوات الموصل التي كانت تشكل قوة يحسب حسابها في قتال الصليبيين فانضم الى جاولي في حصار الرحبة التي لم تلبث أن فتحت ابوابها في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٠٠ هـ ، وحضر ابن السباق امام جاولي وأكد ولاءه له ، فأقره في حكمها فترة قصيرة ثم أمر بالقبض عليه «لأمر بلغه عنه فانكره»^(١٤)

وقد استمر خضوع الرحبة لامارة الموصل حتى سنة ٥٢٠ هـ حيث خرجت عن طاعة عز الدين مسعود بعد مصرع والده البرسقي ، فصمم على اخضاعها بعد أن استقرت له الامور في الموصل ، وأقام على حصارها مدة ثم تسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم اهلها على تسليم المدينة^(١٥) .

٦- حران :

كانت حران أولى المدن التي أخضعها كربوقا في طريقه الى الموصل سنة ٤٨٩ هـ ، وقد أناب عنه في حكمها أحد اصحابه وهو الأمير قراجة - من مماليك السلطان ملكشاه - وقد حدث أن غادر قراجة حران في سنة ٤٩٦ هـ ، مستخلفاً فيها أحد امراء عسكره ويدعى محمد الاصباني ، الذي كان يطمح في الاستئثار بحكمها ، فانتهز هذه الفرصة وأعلن العصيان ، ولقيت حركته هذه تأييداً كبيراً من أهل حران بسبب كراهيتهم لقراجة ، إلا أن حكم الاصباني لم يستمر طويلاً فسرعان مالتى مصرعه على يد أحد اعوان قراجة ويدعى جاولي الذي انفرد بحكم حران^(١٦) .

وقد دفع اضطراب الاوضاع في حران الصليبيين على التطلع للاستيلاء عليها ، وانصرف بلدوين أمير الرها الى وضع الخطط الرامية الى تحقيق هذا الهدف واتخاذها مركزاً لشن الهجمات ضد سائر مدن الجزيرة^(١٧) .

ولم يقف جكرمش مكتوف اليدين امام تحرك الصليبيين للاستيلاء على حران ، إذ كان يدرك تمام الادراك ان سقوطها سيكون مقدمة للهجوم على الموصل نفسها ، بعد أن اصبحت الرها نقطة تجمع للقوات الصليبية القادمة من بيت المقدس وانطاكية وتل باشر^(١٨) .

اسرع جكرمش بالاتصال بسقمان بن ارتق داعياً إياه للعمل على انقاذ حران ، فاستجاب الاخير لندائه على الرغم مما كان يسود بينها آنذاك من علاقات سيئة ، وزحف قواتها للملاقاة الغزاة الذين انهزموا هزيمة نكراء في معركة البلخ في

التاسع من شعبان سنة ٤٩٧ هـ / ٤ مارس ١١٠٤ م ،
تقدم بعدها جكرمش الى حران وعين احد
اصحابه نائباً عنه ، غير أن حران ماليت ان
خرجت عن طاعة أمير الموصل سنة ٤٩٩ هـ
وخضعت لقلج ارسلان بن سليمان بن قتلش
واستمرت بيد اصحابه حتى تمكن الامير مودود من
استعادتها سنة ٥٠٣ هـ وسلمها الى ابلغازي بن
ارتق الذي كان يرافقه في الهجوم على الصليبيين في
الرها^(٦٩) .

وظلت حران بيد الارائقة حتى سنة ٥٠٧ هـ ثم
استعادها البرستي إلا ان هؤلاء مالخوا ان استولوا
عليها ثانية في سنة ٥١٢ هـ - ولم تتم استعادتها الى
الموصل إلا في سنة ٥١٨ هـ حيث تمكن البرستي
من اخضاعها بعد أن تم ضم مدينة حلب الى
الموصل في السنة المذكورة ، واستمر خضوع حران
طيلة عهد البرستي وولده عز الدين مسعود - كما
أصبحت جزءاً من دولة الاتابكة التي اسسها عماد
الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ^(٧٠) .

٧- حلب :

كان لموقع حلب الجغرافي أهمية خاصة بالنسبة
للموصل وأقليم الجزيرة ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة
أصبح الاستيلاء عليها محور السياسة الصليبية في
بلاد الشام ، حيث لم تتوقف محاولاتهم من أجل
تحقيق هذا الهدف ، متوسلين في ذلك مختلف
وسائل الخداع وبث الفرقة والاختلاف بين حكام
المدن والأمرأ المحليين في شمال الشام واقليم الجزيرة
وتحريضهم على التدخل في شؤون هذه المدينة^(٧١) .
وكان وصول الصليبيين في الحملة الاولى
ونجاحهم في احتلال مواقع عديدة في شمال الشام
واقليم الجزيرة قد استلزم توحيد القوى المقاتلة وحشد
الطاقات والامكانيات لمواجهة الغزاة . وكانت اماره
الموصل قد اضطلعت بهذا الدور القيادي لتؤدي
واجبها في الدفاع عن البلاد وتحريرها من الاحتلال
الاوربي الصليبي جنباً الى جنب مع مدن وامارات
الجزيرة والشام .

وعليه فان محور العلاقة بين الموصل وحلب كان
يتوقف على مدى الالتزام بتحقيق الهدف المشترك
وهو الوقوف في وجه الاحتلال الصليبي .

كانت مدينة حلب قد آل حكمها عشية بداية
الحكم السلجوقي في الموصل الى الملك رضوان بعد
مصرع ابيه تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان سنة
٤٨٨ هـ واستمر في الحكم حتى سنة ٥٠٧ هـ ،
ومن أهم ما يميز علاقات الموصل وحلب خلال هذه
الفترة ، الموقف السلبي الذي اتخذه رضوان من
الحملة التي اعددها أمير الموصل (كربوقا) لانقاذ
انطاكية سنة ٤٩١ هـ ، على الرغم من النداءات
المتكررة التي وجهها الأخير لحاكم حلب ، مما ترك
اثراً خطيراً في صفوف الاطراف المشاركين في
الحملة .

وفي عهد جكرمش الذي خلف كربوقا في
حكم الموصل تعرضت العلاقات مع حلب لأزمة
خطيرة على أثر قيام رضوان بمهاجمة نصيبين التابعة
لامارة الموصل عام ٤٩٩ هـ ، متعاوناً في ذلك مع
عدد من أمراء الاطراف في الاقليم ، إلا ان هذه
المحاولة باءت بالفشل وعاد رضوان الى حلب دون
أن يحقق الهدف الذي خرج من أجله^(٧٢) .

وقد استمر موقف حلب السلبي من حركة
المقاومة للغزو الصليبي خلال حكم مودود الذي
ترغم قيادة هذه الحركة تنفيذاً لأوامر السلطان محمد
في سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م خرج مودود على رأس
عساكر الموصل واعمالها متوجها نحو حلب تلبية
لاستغاثة أهلها من شدة هجمات الصليبيين
وضغطهم المتواصل على المدينة ، فلما وصل مودود
الى اطراف حلب اسرع رضوان الى غلق ابوابها في
وجه عساكر الموصل ، ولاشك أن رضوان كان يعلم
مدى كراهية اهل حلب له بسبب تقاعسه عن
القتال والجهاد وتحاذله امام الصليبيين فخشي أن
يعددوا الى تسليمها الى مودود ، وقد وصف ابو
الحاسن رضوان هذا بانه كان «قيح السيرة» ليس
في قلبه رافة ولا شفقة على المسلمين ، وكانت

الفرنج تغار وتسي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج اليهم» (٧٢) ولم يجد مودود امام موقف رضوان هذا بدأ من الرحيل عن حلب متوجهاً نحو معرة النعمان حيث انضمت اليه عساكر دمشق استعداداً لمنازلة الغزاة في المنطقة (٧٤).

وفي سنة ٥٠٦ هـ اسفرت الاتصالات بين مودود ورضوان على تعهد الاخر بالمشاركة الفعلية في الحملة التي تولى قيادتها امير الموصل، إلا أنه لم يفي بوعده، واكتفى بإرسال مائة فارس فقط، مما أثار غضب الأمراء المشاركين في الحملة، حتى ان طغتكين حاكم دمشق أقدم على ابطال (الدعوة والسكة باسم رضوان في دمشق)، ولم يطل العهد برضوان إذ مالبت أن ادركته الوفاة في جادي الآخرة من السنة التالية، وتبعه مودود الذي لقي مصرعه بجوامع دمشق في السنة نفسها.

وانتقلت مقاليد السلطة في حلب بعد وفاة رضوان الى ولده ألب ارسلان وكان في السادسة عشر من العمر فاستأثر اتابكة لؤلؤ الخادم بالسلطة ثم لم يلبث أن تخلص من ألب ارسلان بقتله في ربيع الثاني من سنة ٥٠٨ هـ وأقام مكانه أخاه سلطان شاه بن رضوان وكان في السادسة من العمر مما جعل السلطة الفعلية في حلب بيد لؤلؤ الخادم الذي استأثر بالحكم واستبد بالأمور غير أن عهده لم يستمر طويلاً حيث وثب عليه جماعة من غلمانة في ذي الحجة من سنة ٥١٠ هـ. وقبض ياروق تاش على زمام الحكم في حلب، وكان الأخير مملوكاً أرمني الأصل من ممالك الملك رضوان فعهد الى مهادنة الصليبيين واعطى روجر أمير انطاكية حصن القبة - على الطريق بين دمشق وحلب - كما منحه حق فرض الضرائب على قوافل الحجاج بين حلب والحجاز فأثار تصرفه الخياني هذا أهل حلب فعزلوه بعد أقل من شهر وارسلوا الى ايلغازي بن أرتق ليتسلم المدينة، فوصل حلب في المحرم من سنة ٥١١ هـ ورتب امورها ثم عاد الى ماردين تاركاً حكمها لولده حسام الدين تمر تاش (٧٥).

الوحدة بين الموصل وحلب :

واجهت حلب خلال حكم تمر تاش (٥١١-٥١٨ هـ) اخطار جسيمة من قبل القوى الصليبية في المنطقة، كما أصبحت هدفاً لأطباع عدد من الامراء كديس بن صدقة وسالم بن مالك وسلطان شاه بن رضوان الذي ابعده الأراقة عن حلب، وفي سنة ٥١٨ هـ واجهت حلب هجوماً كبيراً شارك فيه كل من بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس وجوسلين الثاني حاكم الرها وديس بن صدقة وسلطان شاه بن رضوان وسالم بن مالك أمير قلعة جعبر، وأمام هذا الحشد الهائل اضطر حسام الدين تمر تاش للرحيل عن حلب مستنجداً بأخيه سليمان ابن ايلغازي في ماردين، غير أن غيبته طالت عن المدينة التي كانت تعاني من شدة الحصار ونقص الأقوات، فضاقت الأمر على أهلها وأشرفوا على الهلاك، ولم يجدوا أحداً ينقذهم مما هم فيه سوى أمير الموصل، فارسلوا وفداً من اعيانهم سرّاً لمقابلة البرسقي وحثه على نجدهم فوجدوه مريضاً وقد منع عنه الدخول سوى الاطباء، ويبدو أن خبر مرض أمير الموصل قد بلغ مسامع المحاصرين لحلب فقبول بالفرح والسرور لدى ديس بن صدقة الذي أقدم على ضرب البشارة في عسكره، وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض اتباعه أهل حلب يبلغونهم بأنه قد مات من كانوا يأملون نصرته، فسرى اليأس في نفوسهم، ثم سمح لوفد حلب بمقابلة البرسقي، فذكروا له منازل بهم من شدة الحصار وسألوه المضي معهم للدفاع عن حلب، فوعدهم بالمساعدة واستمهلهم حتى يشفى من مرضه، ونذران أبُل من مرضه ان يذب عن حلب ويقاوم أعداءهم (٧٦)، ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى أبُل من مرضه، فخرج على رأس قواته نحو حلب، وانضم اليه في الرحلة كل من طغتكين أتابك حاكم دمشق وصمصام الدولة خيرخان بن قراجا أمير حمص، فوصل حلب في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١٨ هـ/ كانون الثاني ١١٢٥ م، وانقلب الموقف حينئذ لصالح

أهل حلب بعد أن اضطر الصليبيون للتراجع الى جبل جوشن، وخرج الحلبيون في اثرهم فنهبوا خيامهم، كما طاردتهم قوات البرستي وابعدهم عن جبل جوشن، ثم عاد بعدها امير الموصل الى حلب وتسلم قلعتها بين مظاهر الفرح والابتهاج التي كان يعبر عنها أهل المدينة (٧٧).

وأبقى البرستي بضعة أشهر في الشام عاد بعدها الى مقر ولايته الموصل سنة ٥١٩ هـ بعد أن جعل ولده عز الدين مسعود أميراً على حلب فاستمر يلبها حتى مصرع ابيه في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ، حيث اضطر بعدها للعودة الى الموصل، ولم يمض سوى عام واحد حتى توفي مسعود تاركاً الحكم لأخيه الذي كان صبيّاً، فاستقر رأي السلطان محمود على تولية عماد الدين زنكي أميراً على الموصل واعمالها في رمضان سنة ٥٢١ هـ، وقد تأكدت وحدة الموصل وحلب ثانية في السنة التالية ٥٢٢ هـ وظلت كذلك طيلة حكمه وحكم ولده نور الدين محمود (٧٨).

٨- موقف إمارة الموصل من الغزو الصليبي لبلاد الشام واقليم الجزيرة :

تعرضت بلاد الشام آواخر القرن الخامس الهجري (٤٩١ هـ) لهجوم أوربي صليبي واسع النطاق استهدف في الظاهر الاستيلاء على بيت المقدس، ثم مالبث ان احتل مناطق مهمة في قلب الوطن العربي، وقد اصطلح على تسمية هذه الهجمة الاستعمارية الاوربية بالغزو الأفرنجي أو الحملات الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمن (٧٩).

وقد كان للموصل خلال تلك المرحلة دور رائد في قيادة حركة الجهاد المبكر ضد الصليبيين، فقد هيا لها موقعها الحصين والبعيد عن الاخطار المحتملة لاي هجوم صليبي مباشر أن تصبح قاعدة للعمليات العسكرية ومنطلقاً لأرساء دعائم الوحدة بين القوى المقاتلة في اقليم الجزيرة وبلاد الشام.

وأتيح لامراء الموصل القيام بدور خطير في رسم أحداث تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الدولة العربية في العصر الوسيط، فدخلوا قادة وحلفاء مع اخوانهم امراء الاطراف في معارك أناحت لهم التحول من مواقع الدفاع الى مراكز الهجوم.

موقف كربوقا من حصار الصليبيين لانطاكية :

بعد النجاح الذي حققه الصليبيون على سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، أصبح الطريق مفتوحاً امامهم الى انطاكية، فوصلت طلائعهم الى هذه المدينة في ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ونصبوا معسكراتهم خارج اسوارها، وكان ياغيسيان امير انطاكية السلاجقي قد أعد العدة لمقاومة الغزاة، فشحن القلاع بالمقاتلين وأكثر من المؤن في المدينة (٨٠)، في نفس الوقت الذي ارسل يستنجد بالقوى العربية والاسلامية المجاورة، فكان ولده محمد رسولاً الى كربوقا أمير الموصل.

والواقع أن امير الموصل كان يقدر أهمية الاسراع بالدفاع عن انطاكية، فقد كان يدرك تمام الادراك مدى الخطورة التي سوف تترتب على سقوطها بأيدي الغزاة حيث تتحقق سيطرتهم على شمال الشام بأسره، فبادر الى حشد كافة الامكانيات المادية والبشرية المتوافرة في امارته وشق طريقه نحو انطاكية.

وقد اثارت نجدة الموصل الذعر في صفوف الغزاة الذين ادركوا خطورة موقفهم وان طول مدة الحصار لم تعد في صالحهم، مما دفعهم على الاسراع باقتحام المدينة قبل وصول تلك القوة الى انطاكية، وكان كربوقا قد أضاع ثلاثة اسابيع محاصراً إمارة الرها الصليبية، فلم يشأ الزحف نحو انطاكية ومن خلفه جيش في الرها يهدد جناحه الأيمن ويقطع عليه الاتصال مع قاعدته في الموصل، اذ لا يخفى ان قيام هذه الإمارة في الحوض الاوسط من نهر الفرات كان أمراً بالغ الخطورة بعد أن باتت تشكل خطراً

على الجزيرة وشمال الشام سبياً بعد ان استولى بلدوين على سيمساط وسروج والبيرة لتأمين اتصاله .
بمحسني تل باشورندوان اللذين سبق له احتلالهما في بداية شتاء سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م^(٨١) .

وفي جادي الاولى من سنة ٤٩١ هـ أقتحم الغزاة انطاكية واحدثوا فيها مذابح رهيبة^(٨٢) ، ولقي ياغيسيان حاكم المدينة مصرعه خلال محاولته الهرب ، في حين لجأ ولده شمس الدولة الى القلعة وتحصن بها مع عدد من رجاله ، وكان كربوقا قد تخلى عن حصار الرها وواصل زحفه نحو انطاكية ، فانضم اليه في مرج دابق كل من دقاق امير دمشق وجناح الدولة حسين امير حمص وسقمان ابن ارتق امير ديار بكر ، وارسلان تاش امير سنجار ووثاب بن محمود فيمن تبعه من قبائل العرب^(٨٣) ثم تحركت هذه القوات مجتمعة نحو هدفها سالكة الطريق المحاذي لنهر العاصي حيث تمكنت من الاجهاز على القوة الصليبية المرابطة عند جسر الحديد شمال شرق انطاكية ، ثم واصلت زحفها لحصار الغزاة في انطاكية واتخذت مواقعها خارج اسوارها في السادس من رجب سنة ٤٩١ هـ / ٧ حزيران ١٠٩٨ م^(٨٤) .

انصرف كربوقا بعد وصوله الى انطاكية الى وضع خطة لاحتحامها وتخريبها من الغزاة الصليبيين ، وقد شجعه على ذلك بقاء القلعة بيد شمس الدولة الذي لم يلبث ان تنازل عن حراستها الى احمد بن مروان نائب كربوقا ، وكان الغزاة قد باشروا ببناء سور يحول دون اتصال قوات كربوقا بحامية القلعة ، كما قاموا بشن هجوم معاكس لابعاد القوات المحاصرة عن المدينة إلا أنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف وارتدوا الى داخلها^(٨٥) .

واستبد الخوف واليأس بقلوب الغزاة الصليبيين الذين بدأوا يعانون من شدة الحصار ، (وعدمت الاقوات ولم يعد لديهم ماياكلونه ، وأما الاقوياء فقد تقوتوا بدوابهم ، والضعفاء بالميته وأوراق الشجر)^(٨٦) ، مما حمل بعضهم على الهرب الى

ميناء السويدية حيث ترسو بعض السفن الجنوبية التي قامت بنقلهم الى ميناء طرطوس^(٨٧) . ولم يجد الغزاة امامهم سوى الاستنجاد بالامبراطور البيزنطي الكسيس كومتين ، الذي كان في طريقه الى انطاكية مختزقاً اسيا الصغرى للمشاركة في الاستيلاء على المدينة ، فالتقى ببعض الامراء الصليبيين الهاربين الذين اخبروه بأن المسلمين قد استردوا انطاكية وانهم في طريقهم الآن لسحق قوات الامبراطور ، فقرر الكسيس العودة الى بلاده إذ كان حرصه على المشاركة في الاستيلاء على المدينة يفوق حرصه على مساعدة الصليبيين^(٨٨) .

واستغل أمير الموصل حالة الارتباك التي تفشت بين الغزاة وقام بهجوم مفاجئ في اليوم الثاني والعشرين من حزيران رجب ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م . وكادت قواته تنجح في الاستيلاء على أحد الحصون الواقعة الى الجنوب الغربي من المدينة . وعلى اثر ذلك أمر بوهيمند باشغال النيران باطراف المدينة ليبرغم الصليبيين على الخروج الى المواقع الامامية القريبة من السور .

وتذكر المصادر العربية أن الصليبيين أرسلوا الى كربوقا طالبين السماح لهم بالرحيل عن انطاكية ، إلا أنه رفض ذلك وأصر على الحرب وقال : (لا تخرجون إلا بالسيف) ولاشك أن أمير الموصل أراد أن يدفع الغزاة ثمن جريمتهم التي ارتكبوها ضد اهالي انطاكية ، وكان من الممكن أن يحقق كربوقا النصر على العدو لولا الخلاف الذي حدث بين امراء العساكر في جيشه في وقت كان في اشد الحاجة الى مواجهة العدو بموقف واحد ، ويذهب بعض المؤرخين الى القول بان كربوقا يتحمل مسؤولية ماحدث من انشقاق داخل صفوف قواته بسبب الشدة التي اتبعها في معاملة الجند وامراء العساكر^(٨٩) ، والواقع أن سياسة كربوقا هذه لها ما يبررها إذا اخذنا بالاعتبار طبيعة قوات كربوقا التي كانت تضم الى جانب العرب عناصر من التركمان والاكراذ مما يقتضي استخدام الحزم حفاظاً على النظام وسعياً لتوفير الطاعة تجاه القيادة العليا . على

كانت في الواقع بمثابة البذرة الأولى لحركة المقاومة والجهاد ضد الغزاة الصليبيين التي مهدت الطريق للولاة الذين توالوا على حكم الموصل لمواصلة الكفاح ضد المحتلين من خلال حرصهم على ضرورة توحيد القوى المقاتلة في اقليم الجزيرة الفراتية والشام.

شمس الدولة جكروش والحركة الصليبية :

شهدت السنوات التي اعقبت سقوط انطاكية بأيدي الغزاة الصليبيين صراعاً عنيفاً حول الحكم بين محمد وبركياروق ولدي السلطان ملكشاه ، فحدثت بينها خمس وقائع حربية استنفذت جزءاً مهماً من قوى الدولة السلجوقية وامكانياتها المادية والبشرية ، ولم تستقر الأمور إلا بعد وفاة بركياروق في عام ٤٩٨ هـ ، وقد اتاحت هذه الظروف للغزاة أن يتمكنوا نفوذهم في بلاد الشام واطليم الجزيرة ويستولوا على المزيد من المواقع ثم تطلّعوا بعدها لاحتلال حران التي اصبحت هدفا لغارات الغزاة في الرها لما كانت تتمتع به هذه المدينة من اهمية استراتيجية بالنسبة لهذه الامارة الصليبية .

وقد ادى اضطراب الوضع في حران الى تحريك اطماع الغزاة للاستيلاء عليها وفي مقدمتهم بلدوين حاكم الرها ، وذكر المؤرخ السرياني المجهول ان ملوك الفرنج عندما وصلوا الرها اختلقوا فيما بينهم على اختيار المواقع التي يمكن أن تكون هدفا لهجومهم في هذه الحملة ، فبعضهم رأى مهاجمة ميفارقين وفريق آخر الاستيلاء على آمد ، وفريق آخر استهدف نصيبين في حين طمع آخرون في الاستيلاء على الموصل نفسها (٩٣) .

ولم يكن شمس الدولة جكروش غافلاً عن مخططات الغزاة واهدافهم التوسعية فبادر الى مراسلة أمراء الاطراف داعياً اياهم الى تحمل المسؤولية في الدفاع عن البلاد الاسلامية وتناسي الخلافات الجانبية ، فانضمت قواتهم الى جيش الموصل الذي وصل الى رأس العين على نهر

أن اسباب تصدع جيش كربوقا تعود الى النزاع بين الملك دقاق صاحب دمشق و اخيه الملك رضوان صاحب حلب الذي وقف موقفاً سلبياً من الحملة ولم يشارك في حركة الجهاد التي تزعمها امير الموصل ، وقد بدأ الخلاف عندما شعر كربوقا بمحاجته الى عساكر حلب وعمل على مراسلة رضوان واقتناعه بضرورة الاشتراك في انقاذ انطاكية ، ويبدو أن هذه الاتصالات قد اثارت حفيظة الملك دقاق وظن انها تستهدفه شخصياً لما كان يعرفه من اطماع اخيه رضوان في بلاده ، فقرر العودة الى دمشق في اشد الاوقات حرجية ، وفضلاً عن ذلك فقد أدت رسالة رضوان الى كربوقا الى اذكاء روح العداء بين بعض امراء الاطراف وفي مقدمتهم جناح الدولة حسين أمير حمص ويوسف بن أبى امير الرحبة ، وقد اتى المؤرخ ابن العديم اللوم على رضوان فقال : « وتفرق كثير من التركان بتدبير الملك رضوان ورسائله » (٩٠) .

وامام اصرار كربوقا على استسلام الغزاة دون قيد أو شرط لم يجد هؤلاء بداً من تعبئة قواتهم لمعركة فاصلة ، فاصدر بوهيمند اوامره بالخروج من انطاكية في ٢٦ رجب ٤٩١ هـ / ٢٨ حزيران ١٠٩٨ م . وقرر كربوقا السماح لهم بالخروج حتى يتكامل عددهم وعندها ينزل بهم الفصية الحاسمة ، وكان بعض الامراء قد أشار عليه بضرورة قتل كل من يخرج من الغزاة (فإن أمرهم الآن وهم متفرون سهل ، فقال : لاتفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فقتلهم) (٩١) .

وبدأت الحرب بين الطرفين وسط الخلافات التي كانت تسيطر على جيش كربوقا ، فلم يتمكن من الصمود أمام العدو وبخاصة بعد أن نفذ الملك دقاق قراره بالانسحاب من المعركة مع عدد من اطراف الاطراف ، فحلت الهزيمة بجيش كربوقا ، وعاد الغزاة الى انطاكية وتسلم بوهيمند القلعة من احمد بن مروان ، وتم بذلك تأسيس الامارة الصليبية الثانية في بلاد الشام (٩٢) . ومع كل السليبات التي رافقت محاولة كربوقا هذه الا انها

الخابور^(٩٤) . أما الغزاة فقد قسموا قواتهم الى ثلاثة أقسام تضم فرقاً من الفرسان والمشاة ، يقود الأول بوهيمند حاكم انطاكية والثاني يضم قوات الرها وفيه بلدوني وجوسلين ، امام القسم الثالث فكان يتولى قيادته تنكرد ، وكانت خطة الغزاة تقضي بأن تشتبك قوات الرها مع جيش الموصل في حين تخفي قوات بوهيمند وتنكرد وراء تل منخفض على مسافة ميل الى الثمين ليهاجم المسلمين من وراء ظهورهم إذا اشتد القتال^(٩٥) .

وفي اليوم التاسع من شعبان سنة ٤٩٧هـ / ٧ آذار ١١٠٤ م دارت معركة كبيرة بين الطرفين على ضفاف نهر البليخ ، فتظاهر المسلمون بالهزيمة ولجأوا الى الفرار ، فاسرعت قوات العدو بمطاردتهم الى ان اصبحوا على بعد ١٢ ميلاً جنوبي حران ، ثم توقفوا عن المطاردة بعد أن أشرفوا على الهلاك من شدة التعب^(٩٦) وكانت هذه هي اللحظة الحاسمة التي ينتظرها المسلمون فاطبقوا عليهم من كل ناحية وامطروهم ببوابل من السهام واجهزوا على عدد كبير منهم وانهزم الغزاة هزيمة نكراء ، ووقع في الأسر كل من : بلدوين الثاني حاكم الرها وجوسلين حاكم تل باشر فحملا الى خيمة سقمان بن أرتق الذي شارك مع الموصل في احراز النصر على الغزاة^(٩٧) .

الأمير شرف الدين مودود وإمارة الرها :

اولى الامير مودود اماره الرها اهتماماً خاصاً لما يعلمه من خطورة هذه الامارة التي أصبحت مركزاً لنشأة الغزاة ضد سائر بلاد الجزيرة ، وكانت بمثابة اسفين دقة القرنج بين الشام والعراق^(٩٨) ، وقد جاءت حملة مودود الاولى على الرها في سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠م وضمت عدداً من امراء الاطراف ، فاضطر بلدوين حاكم الرها الى طلب المساعدة من اكم بيت المقدس الذي كان آنذاك منشغلاً بحصار بيروت فلم يتحرك لنجدة حتى سقطت المدينة بيده في حزيران ١١١٠م فاسرع يصاحبه امير

طرابلس نحو الرها ، فقرر الامير مودود فجأة الانسحاب من الرها الى حران حيث انضمت اليه هناك قوات دمشق ، وكان مودود يهدف من وراء انسحابه الى استدراج الصليبيين بعيداً عن قواعدهم ليتمكن من لقائهم في الفضاء الممتد شرقي الفرات^(٩٩) .

إلا ان بلدوين الاول حاكم بيت المقدس فطن للخطة وقرر توجيه ضربة سريعة الى مودود ، وارسل الى تنكرد يطلب اليه الحضور مع عساكره فأسرع الاخير الى عبور الفرات في الف وخمسمائة فارس ، وتذكر المصادر الغربية ان بلدوين الاول بذل جهوداً كبيرة من اجل تصفية الخلافات بين زعماء الصليبيين ليتمكنوا من مواجهة امير الموصل وحلفائه^(١٠٠) .

إلا أن الحلف الصليبي لم يلبث أن انفرط عقده وظهرت الاحقاد القديمة بين زعماء الحملة فاضطر تنكرد الى الانسحاب بعد أن بلغه ان الملك رضوان يستعد لمهاجمة انطاكية ، كما وصلت اخبار تتعلق بتحرك الفاطميين لمهاجمة القدس ، فاضطر للانسحاب ، ولم يعد بوسع بلدوين الثاني حاكم الرها حماية المناطق الواقعة شرقي الفرات فنصح الصليبيين الموجودين في المنطقة بضرورة الانتقال الى الضفة النحي لنهر الفرات^(١٠١) .

ولما علم مودود بشروع الصليبيين في عبور الفرات وتأخر عدد كبير منهم في انتظار دورهم في العبور ، بادر الى اغتنام هذه الفرصة وشن هجوماً مفاجئاً على العدو (وغنم المسلمون سوادهم واقفالهم وأثوا على العدد من اتباعهم قتلاً وأسراً وتغريقاً في الفرات ، وامتلات الأيدي من الغنائم والأسلاب والسبي والدواب) في حين كان الجيش الصليبي يشهد الكارثة ولا يستطيع أن يقدم اي مساعدة لتلك الجموع التي أصبحت هدفاً لقوات الموصل التي عادت الى حران بعد انتهاء المعركة ومعها عدد كبير من الاسرى^(١٠٢) .

لم يلبث الصليبيون أن صعدوا عملياتهم العسكرية ضد عدة من مدن الشام وفي مقدمتها حلب التي عانت من اعتداءاتهم ومحاولاتهم المتكررة للاستيلاء على المدينة، مما حمل أهلها الى ارسال وفد منهم الى بغداد مطالبين بالخليفة العباسي المستظهر بالله العمل على انقاذ حلب، فعهد الى مودود بقيادة العساكر للدفاع عن حلب، كما أصدر السلطان محمد اوامره الى ولده الملك مسعود ليرافق مودود مع بقية امراء الاطراف، ولم تكد قوات مودود تصل الى مشارف حلب حتى فوجئ الأخير بتغير موقف رضوان الذي رفض التعاون مع مودود واغلق ابواب حلب في وجهه مما اضطر أمير الموصل الى الانسحاب الى معرة النعمان حيث اجتمع هناك بطغتكين أمير دمشق، ورحلا عن المعرة الى الضفة الغربية لنهر العاصي، وكان الصليبيون آنذاك قد شرعوا بحشد قواتهم، وتتابع وصول الامدادات من بيت المقدس وطرابلس وانطاكية والرها، فاتخذوا مواقعهم بالقرب من أقاميه في الجزء الاوسط من حوض نهر العاصي على الضفة الشرقية (١٠٣).

لم يلبث الأمير مودود أن عاد مرة أخرى لمهاجمة الرها في ذي القعدة من سنة ٥٠٥ هـ / ١١١٢ م فحاصرها مدة شهرين تقريباً، ثم توجه الى سروج المركز الصليبي الثاني شرقي الفرات فاصطدم بقوات جوسلين واضطر للتراجع نحو الرها فسبقه الاخير اليها وانضم الى بلدوين للدفاع عنها (١٠٦).

وذكرت المصادر السريانية أن سكان الرها من الارمن قد تبرعوا من سوء معاملة الصليبيين لهم وتطلعوا للخلاص من حكمهم، فعملوا على تدبير مؤامرة ضد بلدوين تهدف الى تسليم الرها الى الأمير مودود. وتضيف هذه المصادر القول بان الارمن راسلوا أمير الموصل واتفقوا على مساعدته في الاستيلاء على احدى القلاع التي تتحكم في القطاع الشمالي من المدينة ليسهل عليه بعد ذلك اقتحامها، إلا ان وصول جوسلين أجبط هذه المؤامرة فاسرع بدخول القلعة واجهز على العناصر التي ارسلها مودود لتنفيذ الخطة (١٠٧).

قوات الموصل تقاثل دفاعاً عن دمشق :

في أواخر سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٣ م واجه دمشق خطر كبير من جانب الغزاة الصليبيين الذين صعدوا من عملياتهم العسكرية ضد القرى المحيطة بدمشق (وانقطعت الطريق وقلت الاقوات بها وغلا السعر فيها) (١٠٨)، ولم يجد طغتكين حاكم دمشق سوى التطلع نحو الموصل، فارسل مستنجداً بالامير مودود الذي أسرع لتلبية نداء الواجب المقدس، فعبر الفرات في ذي القعدة من السنة المذكورة يرافقه عدد من أمراء الاطراف، فالتقى بطغتكين عند سلمية جنوب شرقي حماه، وتم الاتفاق على مواجهة الصليبيين الذين كانوا بقيادة بلدوين الاول حاكم بيت المقدس، فقدمت

أما مودود فقد قرر التراجع الى مدينة شيزر والتحصن خلف اسوارها، فخرج سلطان بن منقذ لاستقباله مع حليفه طغتكين ووضع تحت تصرفها خمسة آلاف رجل من فرسان العرب (١٠٩). ويبدو أن مودود ادرك انه ليس من مصلحته مواجهة حشود العدو الكبيرة بعد تفرق عساكره، فلم يحاول الاشتباك في معركة حاسمة، واقتصر الامر على المناوشات التي تهدف الى منع الغزاة من الوصول الى نهر العاصي وتشير المصادر العربية الى ان الصليبيين انسحبوا بعد ذلك الى اقامية اما مودود فقد عاد الى الموصل في ربيع الاول من سنة ٥٠٥ هـ (١١٠).

قواتها نحو طبرية وفرضت عليها حصاراً شديداً^(١٠٩).

وكان بلدوين آنذاك في عكا، فلما علم بوصول مودود الى طبرية ارسل يستنجد بالقوى الصليبية في المنطقة، فذهب لنجدته كل من روجر حاكم انطاكية وبونز حاكم طرابلس. وما أن وصلت قوات بلدوين جسر العنبرة الى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية، حتى وقع في الكمين الذي اعده له مودود وطفكتكين، ودارت بين الفريقين معركة ضارية أواخر ذي القعدة سنة ٥٠٦ هـ / ٢٠ حزيران ١١١٣ م، انتهت بهزيمة الغزاة هزيمة نكراء قتل خلالها عدد كبير من رجالهم وتذكر المصادر العربية أن بلدوين الأول وقع في الأسر دون أن يميز فأخذ سلاحه وأطلق سراحه، وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين^(١١٠).

ثم وصلت قوات الغزاة من انطاكية وطرابلس، مما أعاد الثقة الى بلدوين الاول الذي قرر استئناف الحرب، إلا انه التزم جانب الحيلة والحذر حتى لا تتكرر الهزيمة فأثر الانسحاب الى جبل يقع غربي طبرية تحصن به لصعوبة مرتقاه مدة سنة وعشرين يوماً دون أن يجرأوا على النزول لمواجهة قوات مودود الذي أتيح له مهاجمة القلاع الصليبية في اقليم الجليل، فوصلت قوات الموصل الى بيسان وحلقت الدمار في مواقع الغزاة بين عكا ومدينة القدس، قرر بعدها مودود العودة الى دمشق على أمل استئناف القتال في فصل الربيع القادم، إلا أن امير الموصل لم يلبث ان لقي مصرعه بجامع دمشق في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الآخر من سنة ٥٠٧ هـ عندما وثب عليه أحد الباطنية وطمعته بخنجر، وكان مودود صائماً فحمل الى دار طفكتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال: « لا لقبيت الله إلا صائماً، فمات من يومه »^(١١١)، وترك استشهاد أمير الموصل أثراً عميقاً في نفوس المسلمين فانهموا طفكتكين حاكم دمشق بقتله واعتبر بعض المؤرخين اسراع الأخير بقتل الجاني واحراق جسده

دليلاً على رغبة طفكتكين في طمس معالم الجريمة وتبرئة نفسه امام الراي العام^(١١٢).

وآلت امانة الموصل الى آقسنقر البرسقي الذي عهد اليه السلطان محمد بمواصلة قتال الصليبيين، فخرج على رأس جيش تعدادة خمسة عشر الف فارس ضم عدداً من امراء الاطراف، فبدأ بحصار الرها في ذي الحجة من سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م، فتمكن الغزاة من الصمود في وجه البرسقي ومقاومة الحصار الذي دام اكثر من شهرين فاضطر أمير الموصل الى رفع الحصار وشن سلسلة من الهجمات ضد المراكز الصليبية المحيطة بالرها وسروج وسميساط. في نفس الوقت الذي اعلن فيه حاكم كيسوم تبعية للبرسقي^(١١٣).

ولم تستمر ولاية البرسقي على الموصل طويلاً إذ مالبث أن تعرض للعزل في سنة ٥٠٩ هـ، وخلفه الأمير جيوش بك (٥٠٩ - ٥١٥ هـ) الذي اشترك في الحملة التي اعدها السلطان محمد لقتال الصليبيين بقيادة برسقي بن برسقي امير همدان الذي نجح في تحرير كفرطاب من أيدي الغزاة أواخر سنة ٥٠٩ هـ، وقد تعرضت قوات برسقي الى الهزيمة على اثر الهجوم المفاجئي الذي قام به أمير انطاكية وحليفه امير الرها وكان جيوش بك آنذاك يعسكر بعيداً عن قوات برسقي، فلما بلغته اخبار هذه الهزيمة قفل عائداً الى الموصل^(١١٤).

عودة البرسقي الى ولاية الموصل واستئناف حركة المقاومة ضد الغزاة الصليبيين :

من الاحداث البارزة خلال عهد البرسقي انقاذ حلب من الوقوع في ايدي الغزاة الصليبيين، حيث واجهت خلال سنة ٥١٨ هـ هجوماً كبيراً شارك فيه كل من: بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس وجوسلين الثاني حاكم الرها مع عدد من الأمراء المسلمين الذين كانوا يتطلعون لحكم حلب، وأمام هذا الحشد الهائل اضطر حاكم المدينة حسام

على طريق تحرير الأرض العربية من الاحتلال الاجنبي.

٣- المظاهر الحضارية

آ- الوضع الاقتصادي :

تميزت الموصل بوفرة حاصلاتها الزراعية وموقعها الجغرافي المهم الذي أتاح لها التحكم بطرق القوافل التجارية، كما احتفظت بشهرتها في بعض الصناعات التي عرفها العالم وغزت اسواق اوربا واسيا بفضل ماتوافرها من خبرات ومهارات فنية تشهد بها آثار الموصل في مختلف العصور، وسنعرض بإيجاز لأهم اوجه النشاط الاقتصادي الذي عرفته الموصل خلال الحكم السلجوقي ٤٨٩ هـ / ٥٢١ هـ .

١- الزراعة

عرفت الزراعة في الموصل ازدهاراً كبيراً خلال عصور الدولة العربية بسبب وفرة حاصلاتها وتنوع انتاجها، حتى أن بغداد كانت تعتمد في ميرتها على الموصل اربعة أشهر من كل عام (١١٨) . إلا أن حالة الازدهار هذه مالبت أن تعرضت الى التدهور خلال حكم العقبليين والسلاجقة من بعدهم، ولاشك أن ازدهار الحياة الاقتصادية يرتبط بصورة مباشرة باستقرار الأوضاع السياسية وطبيعة الحكم في البلاد، وهو ما افتقدته الموصل خلال حكم الأمراء السلاجقة الذين تعاقبوا على حكمها وادارتهم غير المستقرة لها بسبب تعرضهم للعزل أو الاغتيال، فضلاً عن عوامل خارجية اسهمت اسهاماً فاعلاً في تدهور الحياة الاقتصادية في الموصل بسبب تعرضها للحصار نتيجة السياسة التي انتهجها الامراء السلاجقة وتدخلهم السافر في الصراع حول السلطنة السلجوقية .

وهناك عامل آخر اثر تأثيراً واضحاً في تدهور الأوضاع الاقتصادية عامة والزراعة بوجه خاص واعني به تحمل الموصل عبء الدفاع عن اقليم الجزيرة وبلاد الشام ضد الغزو الاوربي الصليبي

الدين تمزناشل للرحيل عنها الى مارددين للحصول على المساعدة من اخيه سليمان بن أرتق، غير أن غيابه امتد لفترة طويلة بسبب وفاة اخيه سليمان. فاضطروا الى ارسال وفد الى الموصل لحث البرستي على سرعة الوصول، وقد حمل وصول قوات الموصل الى مشارف حلب الصليبيين على الرحيل عن المدينة فدخلها البرستي وسط مظاهر الفرح والابتهاج ثم عاد الى الموصل بعد أن عين ولده عز الدين مسعود حاكماً على حلب (١١٥) .

ولم يلبث أمير الموصل أن عاد مرة أخرى الى الشام ليواصل الجهاد ضد الصليبيين، فلما وصل (تل السلطان) انضم اليه صمصام الدين خيرخان أمير حمص، ثم تقدم نحو (شيزر) حيث رحب به أميرها سلطان بن منقذ، وسلمه رهائن الصليبيين ومن بينهم ابنة حاكم بلدوين الثاني وجوسلين الثاني بن جوسلين دي كورتناي حاكم الرها (١١٦) .

وواصلت قوات الموصل توغلها داخل الشام حتى بلغت (حجة) حيث انضمت اليها قوات دمشق، فقرر البرستي مهاجمة الصليبيين في كفر طاب، وتمكن من تحريرها في ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وسلم المدينة الى أمير حمص، ثم شرع بحصار (زردنا)، وكان الغزاة آنذاك قد بدأوا في حشد قواتهم للدفاع عن انطاكية فانضم الى بلدوين الثاني كل من: بونز حاكم طرابلس وجوسلين دي كورتناي أمير الرها، وحدث اللقاء بين الطرفين بالقرب من قلعة (عزاز) شمالي حلب، وانتهى بتراجع البرستي الى حلب بعد أن خسر عدداً كبيراً من رجاله، ودارت بينه وبين الغزاة مفاوضات انتهت بالاتفاق على أن يحتفظ المسلمون بكفر طاب، وان يتسلم الغزاة الرهائن الذين كانوا في حوزة أمير شيزر. عاد بعدها البرستي الى الموصل (١١٧) .

وبهذه المعركة تختم الموصل جهادها ضد الغزاة الصليبيين خلال حكم السلاجقة، حيث انتقل الحكم الى عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ وبدأت صفحة جديدة مشرقة شهدت انتصارات كبرى

الذي اجتاحت الوطن العربي أواخر القرن الخامس الهجري ٤٩١ هـ - ١٠٩٦ م ، فقد كرس امراء الموصل جهودهم ووفروا امكانيات البلاد لخدمة هذا الهدف ، فكانوا يقضون معظم فترات حكمهم القصيرة خارج حدود امارتهم ، مما أدى الى اهمال المرافق الاقتصادية ، فلتحق الدمار بوسائل الري وعم الخراب الأراضي الزراعية ، ونقصت موارد البلاد بصورة كبيرة حتى اصبحت على حد تعبير المؤرخ ابن الأثير «أقل بلاد الله فاكهة» (١١٩) .

ولابد من الاشارة هنا الى نظام الاقطاع الذي طبقه السلاجقة في الموصل واعمالها واثراً كبيراً في تدهور الاوضاع الاقتصادية وفي مقدمتها الزراعة ، فقد دأب حكام الموصل على توزيع الاقطاعات على امراء الجيش الذي يقومون بدورهم بتوزيعها على الجنود أو يهدون بها الى صفار المقطعين ، مما ألحق الضرر بالموارد الاقتصادية نتيجة اهمالهم الزراعة ومارستهم الظلم على الفلاحين فعم الخراب معظم الأراضي الزراعية ونقص الانتاج وغلت الاسعار وهلك كثير من الفقراء جوعاً في الموصل ونواحيها (١٢٠) ، وقد ذكر ابن الجوزي ان جماعة من أهل السواد جاءوا الى جكرمش أمير الموصل يشكون عاهم «فعمل لهم دعوة اشتملت على الف راس من الغنم والبقرة وغير ذلك من الدجاج والحلواء ، ولم يحضر الخبز ، ثم دعا وجوه العسكر فعبجوا إذ لم يروا خبزاً فقالوا : ما السبب في هذا؟ فقال : الخبز إنما يبيح من الزرع ، والزرع إنما يكون بعمارة السواد وقد اضررت بأهل اقطاعكم فاستغلوه الآن انتم بتحصيل الطعام ، فعملوا بالتوصية وثابوا» (١٢١) .

٢- التجارة :

يعد الموقع الجغرافي المهم الذي حظيت به الموصل من أهم اسباب الازدهار التجاري الذي حققته خلال عصورها المختلفة ، وقد أشار ياقوت الحموي الى اهمية موقع الموصل فقال : «هي محط

الركبان منها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، منها يقصد الى اذربيجان ، وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور لانها باب الشرق ، ودمشق لانها باب الغرب ، والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما لا يمر بها» وقال أيضاً : «وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها» (١٢٢) على أن دور الموصل لا يقتصر على كونها نقطة التقاء القوافل التجارية فحسب ، بل كان لها دور مهم في تصدير حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الصناعية التي اشتهرت بها على مر العصور ، فكانت منسوجاتها الحريرية والصوفية والقطنية قد عرفت طريقها الى معظم بلدان العالم ، فضلاً عن التحف المعدنية المزخرفة والخزف التي يبرع في صنعها أهل الموصل .

وقد عرف النشاط التجاري في الموصل تدهوراً ملحوظاً خلال حكم الامراء السلاجقة اسوة بباقي اوجه النشاط الاقتصادي الذي لحق به الخراب والدمار بسبب الاوضاع السياسية التي اشرفنا اليها آنفاً ، على أن من اهم العوامل التي اثرت سلباً على التجارة في الموصل نجاح الغزاة الصليبيين في احتلال مناطق هامة من بلاد الشام واقليم الجزيرة وتأسيسهم أربع امارات صليبية في قلب الوطن العربي (١٢٣) وكانت امارة الرها أكثر تلك الامارات خطراً على استقرار الاوضاع في الموصل واعظم تهديداً لطرق المواصلات بينها وبين حلب من جهة وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، وكانت بمثابة اسفين دقة الفرنج بين الشام والعراق (١٢٤) . كما كان للبيارق وقطاع الطرق الذين تعدى نشاطهم مدينة بغداد دور كبير في افتقاد الأمن وتدهور التجارة بسبب مهاجمتهم للسفن التجارية القادمة من الموصل الى بغداد وبالعكس ، ويضاف الى هذه الاسباب تعرض الموصل للزامات والحروب الداخلية والصراع حول الحكم (١٢٥) .

ب- الحياة الاجتماعية في الموصل :

١- عناصر المجتمع في الموصل :

يشكل العرب غالبية سكان الموصل ، وقد كانت تغلب وأباد والثرمن أولى القبائل العربية التي دخلت الموصل ابان حروب التحرير خلال العصر الراشدي، وكانت تراقق القائد العربي ربيعي بن الأفكل عندما سار بجيوش العرب المسلمين الى الموصل واقليم الجزيرة (١٢٦) .

وتوافدت بعد ذلك القبائل على الموصل من شبه الجزيرة العربية ، واشهرها الخزرج الذين اقاموا لهم مسجداً عرف باسمهم ، ومازال اسم الخزرج يطلق على المحلة التي سكنها تلك القبيلة (١٢٧) ، والى جانب الخزرج كانت هناك قبائل عربية اخرى كالأزد وتميم وهمدان الذين قدموا من شرقي الحجاز وسكنوا مع بني قيس خارج الموصل ، ثم انتقلوا اليها فيما بعد ، ثم قبائل ربيعة ، وقبائل الشهبان ، وهي فرع من تغلب (١٢٨) ثم سكن بنو شيان الموصل (وهم بطن متسع كثير الشعوب ، كانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقي دجلة في جهات الموصل) (١٢٩) وذكر ابن حوقل (انه كان يشتي في مشاتي الموصل من احياء العرب وقبائل ربيعة والجن) (١٣٠) .

والى جانب العرب سكن الموصل جماعات من الاكراد والتركمان وقد أشار ابن حوقل الى أن الاكراد في أيامه (القرن الرابع الهجري) كانوا يتتمون الى الهذبانة والحميدية واللالرية (١٣١) ، وما تجدر الاشارة اليه أن معظم الاكراد كانوا يسكنون في قلاع الزوزان المحيطة بالموصل ، كما سكن بعضهم قلاع الهكارية والحميدية وفي قلعة العادية التي ضمها عماد الدين زنكي الى الموصل سنة ٥٢٨ هـ (١٣٢) ، أما التركمان فقد سكن بعضهم

مدينة الموصل والبعض الآخر نزل في المناطق المجاورة لها ، وقد قام التركمان بدور بارز في الحرب ضد الغزاة الصليبيين حيث كانوا ضمن فرق الفرسان رماة القوس التي كانت تفتك بخيول الغزاة فتكا ذريعاً (١٣٣) .

وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان ، فقد اقامت جاليات مسيحية ويهودية في الموصل ، وقد اكّد ابن حوقل وجود طائفة من النصارى الاثرياء في نينوى ، كما ذكر ان بعض الصناع والبنائين النصارى قد هاجروا الى الموصل قادمين من تكريت التي كانت تقيم فيها جالية مسيحية كبيرة (١٣٤) ، وقد شارك هؤلاء النصارى في الحياة الاقتصادية ، وبرعوا في صناعة الخزف والتحف المعدنية (١٣٥) ، وقد انتشرت الاديرة المسيحية في الموصل واقليم الجزيرة ، وقد أورد الشاشبي في كتاب الديارات وياقوت الحموي في المعجم اسماء كثيرة من تلك الاديرة نذكر منها : دير أبي يوسف الى الشمال من الموصل على بعد نحو فرسخ من قرية بلد ، ودير الاعلى المقام على جبل يطل على دجلة بأعلى الموصل ، ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عمر ، ودير باطا بين الموصل وتكريت ... الخ (١٣٦) .

أما اليهود فقد أشار بنيامين التيطلي الى وجود طائفة منهم خلال حديثه عن رحلته التي قام بها الى الموصل فيما بين (١١٦٠ - ١١٧٣ م) . فذكر انه رأى بهذه المدينة مايقرب من سبعة آلاف يهودي ، كما اشار الى وجود طوائف يهودية اخرى في اربل والرجبة وجزيرة ابن عمر (١٣٧) .

واغلب الظن أن هذه الطائفة كانت تشغل بالتجارة وعمال الصيرفة ، كالشأن دائماً عند اغلب الطوائف اليهودية في العصور التاريخية المختلفة .

ب- المهرجانات وأعياد الربيع :

عرفت الموصل بمجودة مناخها وعذوبة ماؤها ، وقد أكد ياقوت الحموي هذه الحقيقة فقال : «هاؤها صحيح وماؤها عذب ، وكثيرا ما وجدت العلماء يذكرون في كتبهم ان الغريب إذا أقام في بلد الموصل سنة تبين في بدنه فضل وقوة»^(١٤٢) ، والموصل هي أم الربيعين (لأنها تلد الربيع في السنة مرتين فهي بين البلاد أم الربيعين)^(١٤٣) .

وفصل الربيع في الموصل اجمل فصول السنة ففيه تكسو وديان المدينة وسهولها حلة خضراء تنبثق منها الازهار الملونة ، وتنساب مياه دجلة في وديانها بين الحقول والاعشاب ، فيخرج اهل الموصل بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر المدينة حيث يقيمون المهرجانات والالعب المختلفة من فروسية ومصارعة ، وقفز وزحف ، وكانت جماعات منهم يضررون خيامهم خارج المدينة في هذا الفصل يرتادونها لقضاء الليل والتمتع بالمنظر الخلابة والنسيم العليل^(١٤٤) .

وكان من عادة اهل الموصل أيضاً الخروج الى الاديرة للزئمة والترويح عن النفس ، لوقوع هذه الاديرة في مواضع مشرفة على الحقول والبساتين ، وكان معظم المترددين عليها من الشعراء والادباء الذين يقضون اوقاتهم بالمساجلات الادبية ، وقد تضمن الشعر الموصل الكثير من القصائد في وصف الديارات والمجالس والرهبان^(١٤٥) .

الحياة الثقافية

ارتبطت نشأة العلوم الدينية والادبية في المدن العربية الاسلامية عادة بالمسجد باعتباره المركز الذي ولدت فيه هذه العلوم ، فالمسجد الى جانب رسالته الدينية كان له الفضل الاكبر في انطلاق العلوم المختلفة وارساء دعائم النهضة العلمية والادبية

حرص أهل الموصل على الاهتمام بالاعياد والمناسبات الدينية وكانوا يستعدون للاحتفال بها واطهار معالم الزينة والفرح قبل حلولها ، وكان لعيدي الفطر والاضحى مكانة كبيرة في نفوسهم ، وقد اعتادوا استقبال هذه المناسبة باقامة الاحتفالات العظيمة ، والخروج الى ظاهر المدينة واقامة المهرجانات المختلفة كاللعب الفروسية وروايات خيال الظل وغير ذلك من النشاطات الاجتماعية^(١٣٨) .

وكان مولد الرسول العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مكانة عظيمة واهتماماً خاصاً لدى أهل الموصل ، حيث يستعد الناس للاحتفال بهذا اليوم الخالد استعداداً مسبقاً ، فيزينون دورهم واسواقهم وشوارعهم ، فاذا حل يوم المولد شخصت جماهيرهم الى المساجد حيث تقام الاحتفالات الدينية ، فيتلو الفقهاء آيات من القرآن الكريم ، ويستمع الحاضرون الى تواشيع دينية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتلقى القصائد بهذه المناسبة العطرة التي تقدم خلالها الاطعمة المختلفة^(١٣٩) .

ومن المناسبات الدينية التي اعتاد عليها أهل الموصل زيارة مشهد النبي يونس (عليه السلام) فكانوا يخرجون الى تل نينوى في ليالي الجمع والاعياد لزيارة الضريح ، حيث ينشدون التراتيل والموشحات الدينية ، وقد ذكر الرحالة ابن جبير أن اهل الموصل كانوا يقضون الليل في الرباط المحاور لمشهد النبي يونس ثم يعودون الى الموصل بعد أن ينتهوا من صلاة الجمعة^(١٤٠) .

ومن مظاهر اهتمام أهل الموصل بالمناسبات الدينية حرصهم على استقبال الحجاج العائدين من الديار المقدسة ، فكانوا يخرجون جماعات وقد زينوا خيولهم بالحرير والوشى والقلائد الذهبية مرتدين

التي مالبث ان تصاعد بناؤها واكتملت ملامحها في أحضان المدارس ودور العلم والربط وحلقات العلماء ومجالس الادباء وخزائن الكتب .

وكان أول مسجد أقيم في الموصل في خلافة عمر بن الخطاب (رض) ، ثم تابع بعد ذلك بناء المساجد التي أصبحت مراكز لنشر العلوم الدينية واللغوية ، كما كان لدور الحديث والربط نصيب وافر في نشر العلم والمعرفة ، فلم تكن هذه الربط مقصورة على التعبد والتزهد ، بل كانت مواضع للتصنيف والاقراء والتفقيه والاجازات والمحاضرات ، وكان لخزائن الكتب فيها قوام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها ، وكانت هذه الربط بمثابة منازل للعلماء الراحلين من بلد الى آخر في طلب العلم أو نشره أو في امر من الامور المتعلقة بالعلوم الدينية^(١٤٦) .

أما دور الحديث فكان يدرس فيها أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) واقواله واحواله من حيث الرواية واتصال الاحاديث بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، واحوال روايتها ، ثم من حيث الاسناد اتصالاً وانقطاعاً ، كما تناول هذه الدراسة أيضاً المعنى المفهوم من الفاظ الحديث والمراد منها ، مبنياً على قواعد اللغة وضوابط الشريعة ومطابقاً لاحوال النبي (صلى الله عليه وسلم)^(١٤٧) .

ومن الربط التي انشئت بالموصل اوائل القرن السادس الهجري رباط الشيخ قضيب البان أبي عبد الله الحسين بن أبي ربيعة الموصل (٤٧١-٥٧٣ هـ) ، ثم الرباط المنسوب الى كمال الدين بن الشهرزوري (٤٩٢-٥٧٢ هـ)^(١٤٨) .

اما عن دور الحديث التي انشئت بالموصل خلال هذه المرحلة فنذكر منها : دار الحديث المهاجرة التي اقامها ابو القاسم علي بن مهاجر بسكة أبي نجيح في الموصل^(١٤٩) .

وقد شهدت الموصل ازدهاراً علمياً كبيراً خلال

حكم الحمدانيين الذين عرفوا بشغفهم بالأدب وجمعهم بين السيف والقلم ، فأزدهرت في ايامهم العلوم والاداب ، الا ان هذه النهضة العلمية مالبثت أن اصابتها الجمود في العهد السلجوقي الذي شهد تأخراً لمظاهر الحضارة والعمران في الموصل بسبب كثرة الفتن والاضطرابات وعدم استقرار السياسة الداخلية للامراء السلاجقة بسبب تعرضهم للزلل وانشغالهم بقيادة حركة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين ، فقد انعكست هذه الاوضاع على الحياة الثقافية في البلاد ، فانصرف الولاة عن الاهتمام بالعلم ومدارسه واصبحوا طرفاً في النزاع بين أفراد البيت السلجوقي ، فلم يرد في كتب المؤرخين ما يشير الى قيام احدهم ببناء مدرسة أو معهد للعلم أو دار للحديث في هذه المرحلة .

على ان ذلك كله لايعني في الواقع توقف الحركة العلمية في الموصل ، فقد استمرت دور العلم والمعاهد الدينية القديمة تؤدي دورها دون المستوى الذي كانت عليه في العصر الحمداني ، إلا أن ذلك لم يمنع بعض العلماء والفقهاء من بناء المدارس أو دور العلم أو المساجد خلال العهد السلجوقي ، كما ان الاديرة المنتشرة بظاهر الموصل ظلت تؤدي رسالتها في نشر الثقافة والعلوم المختلفة .

وكان نظام الملك قد بنى المدرسة النظامية^(١٥٠) للقاضي أبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن أبي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الموصل ، كما بنيت بالموصل أيضاً مدرسة اخرى في العصر السلجوقي تعرف بالمدرسة الكالية القضائية ، بناها ابو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله أبي القاسم الشهرزوري الملقب بكمال الدين الفقيه الشافعي (٤٩٢-٥٧٢ هـ) . وقد أوقف بناء هذه المدرسة على الفقهاء الشافعية وأوقف لها اوقافاً كثيرة للنفقة عليها وعلى من يعلم ويتعلم بها^(١٥١) .

- علماء الموصل وفقاؤها وشعراؤها في العهد السلجوقي :

برز بالموصل خلال القرن الخامس والسادس الهجريين عدد من الاعلام في مختلف العلوم والمعارف، ومن العلماء الذين عاصروا حكم الولاة السلاجقة نذكر: اسرة الشهرزوري. وكان جدهم القاسم بن المظفر بن علي بن قاسم الشهرزوري المتوفى سنة ٤٨٩ هـ حاكماً بمدينة أربل، انجب اسرة علمية نبغ افرادها في العلوم والاداب والفقه منهم: احمد بن القاسم الشهرزوري (٤٥٣-٥٣٨ هـ) الذي ولي القضاء في عدد من مدن الجزيرة- وكان من فضلاء زمانه، والمرضى عبد الله بن القاسم الشهرزوري (٤٦٥-٥١١ هـ) الذي تولى القضاء في الموصل، وكان يجيد نظم الشعر وله قصيدة عرفت بالقصيدة الموصلية ويغلب على شعره التصوف^(١٥٢)، وأبو الفضل محمد بن ابي محمد عبد الله بن ابي القاسم الشهرزوري (٤٩٢-٥٧٢ هـ) وكان مشهوراً بالفقه والادب ونظم الشعر، وكانت له اوقاف كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة^(١٥٣)، وأبو الحسن السراج الجهنبي المتوفى سنة ٥٢٩ هـ، وكان اماماً ورعاً عاملاً بعلومه^(١٥٤). والشيخ قضيبة البان الموصلية الذي ولد بالموصل سنة ٤٧١ هـ وتوفي بها سنة ٥٧٣ هـ وقيل سنة ٥٧٠ هـ، وقد اخذ الحديث والفقه عن الشيخ أبي الحسن علي بن أدریس وغيره وصحب الشيخ عبد القادر الكيلاني^(١٥٥).

ومن اعلام الموصل خلال هذه المرحلة أيضاً: تاج الاسلام ابو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد المعروف بابن خميس الكمي الموصلية المتوفى سنة ٥٥١ هـ، الذي صنف كتاباً سماه: طبقات الاولياء او مناقب الابرار في محاسن الاخيار^(١٥٦). ومن فقهاء الموصل الاعلام أيضاً ابن ابي عصرون التميمي الموصلية (٤٩٢-٥٨٥ هـ) وكان اماماً لأصحاب الشافعي في عصره وصاحب

الفتاوي المشهورة^(١٥٧) وابو المحاسن الجمعي الموصلية الخنيلي المتوفى سنة ٥٧١ هـ، وكان من فقهاء الحنابلة المواصلة جمع كتاباً اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام أحمد^(١٥٨).

ومن علماء اللغة والنحاة نذكر: سعيد بن المبارك النحوي (٤٩٤-٥٦٩ هـ) الذي كان يعد من اعيان النحاة وافاضل اللغويين وله تصانيف مختلفة منها: تفسير القرآن في اربع مجلدات، وشرح الايضاح لابن علي الفارسي في اربعين مجلداً، والغرة في شرح اللغة لابن جني، وعلي بن خليفة النحوي المعروف بابن النقي الموصلية المتوفى سنة ٥٦٢ هـ، وكان اماماً فاضلاً تأدب عليه اكثر اهل بلده وصنف مقدمة في النحو سماها: «المعونة» كما كان يجيد نظم الشعر^(١٥٩).

أما شعراء الموصل الذين برزوا خلال هذه الفترة فنذكر منهم: محمد بن شقاق الموصلية المتوفى سنة ٥٣٣ هـ، وعلي بن ابي الوفا الموصلية المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، وابن ابي دره الموصلية المتوفى سنة ٥٤٥ هـ^(١٦٠) وابن مسهر الموصلية المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، وكان له ديوان شعر كبير يقع في مجلدين^(١٦١)، وابو اسماعيل مؤيد الدين ابن علي الاصبهاني المعروف بالطغراني صاحب لامية العجم. كما كان له ديوان معروف باسمه، وكان عالماً متفتناً متضلعا في سائر العلوم^(١٦٢) ولاسيما الكيمياء، وقد شغل الطغراني منصب الوزارة للملك مسعود بن محمد الذي أقام في الموصل مع اتابكة جيوش بك (٥٠٩-٥١٥ هـ).

ج- خطط المدينة :

لم تنعم الموصل خلال العهد السلجوقي (٤٨٩ هـ-٥٢١ هـ) بشيء من الهدوء والاستقرار، بما صرف ولاتها عن الاهتمام بالعمران والاصلاحات الداخلية فشمّل الخراب مناطق واسعة من الموصل، وقد أشار المؤرخ ابن الاثير الى ذلك بقوله (كانت البلاد قبل أن يملكها- عماد الدين زنكي - خراباً من الظلم وتنتقل الولاة ومجاورة

الفرنج) (١١٣) ، وقد أدى تدهور العمران في الموصل الى تقلص رقعتها ورحيل عدد كبير من السكان الى المناطق المجاورة ، وقد وصف ابن الاثير الخراب الذي لحق بالموصل في عصر الولاة السلاجقة بقوله : (فكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني وهو قريب من الطبالين . وكان الجامع العتيق أيضاً بلا عارة البتة ، وكانت جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة ، وكان أدنى العمارة من السور مايكون رمية حجر ، وكان (١١٤) الناس لا يقدرّون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة) . ولم تنهض الموصل من عثرتها إلا في العصر الاتابكي حيث اصبحت من امهات المدن العربية في العصر الوسيط ، فانتجعها الناس من كل صوب واتخذوها دار اقامة لهم .

اسوار المدينة :

يرجع تاريخ بناء أول سور للموصل الى سعيد ابن عبد الملك بن مروان ، ثم اصبحت الموصل في عهد مروان بن محمد الذي تولى امارتها سنة ١٠٢ هـ قاعدة بلاد الجزيرة فالحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً مفرداً ، ونصب جسرهما ، وبني سورهما (١١٥) . وقد استمر سور الموصل قائماً حتى أمر هارون الرشيد بهدمه سنة ١٨٠ هـ على اثر الثورة التي قام بها اهلها ، فبقيت المدينة من غير سور حتى سنة ٤٧٤ هـ حيث قام مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور قليل الارتفاع لافصيل له ولا خندق (١١٦) .

وبعد سقوط دولة بني عقيل سنة ٤٨٩ هـ وجد الأمراء السلاجقة أن هذا السور لا يقوى على الدفاع عن المدينة في حالة تعرضها لحصار شديد ، فقام شمس الدولة جكرمش (٤٩٥ - ٥٠٠ هـ) بتشديد سور الموصل وتقويته ، ويبدو أنه دعم السور القديم وزاد من ارتفاعه ، كما امر ببناء فصيل وحفر الخندق وحصن المدينة (غاية ما يقدر عليه) (١١٧) ، ولما تعرضت الموصل لحصار السلطان محمد سنة

٤٩٨ هـ بادر جكرمش للدفاع عنها فجدد سورها وأحكم أبراجه ، فشدد السلطان هجومه على السور وزحف اليه بالنقابين والدبابات ، فأمر جكرمش بان تفتح في السور ابواب صغيرة يخرج منها الجند لمهاجمة عساكر السلطان (١١٨) .

وقد اضيفت الى السور اضافات جديدة في عهد جاولي سقاوه (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ) حيث قام بتشديد السور واحكام المنشآت الحربية التي بناها جكرمش ، وكان السور يمتد من باب المشرعة غرباً تاركاً الميدان خارجه حتى ينتهي في باب سنجاري باب الميدان ، وكانت تفتح بالسور تسعة ابواب تؤدي الى مختلف الجهات وهي : الباب العمادي الذي أمر بفتحه عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧ هـ ، ثم باب سنجاروهو من اوسع ابواب المدينة ، وباب كندة ، ثم باب الجلمصة ، والباب الغربي الذي اقامه عز الدين مسعود بين باب كندة وباب العراق ، وباب الجسر وباب المشرعة وباب القضاين (١١٩) .

القلعة :

تعد القلعة من أهم المرافق الحربية في المدينة حيث تشكل مركز الدفاع فيها ، فهي معقل الجيش ومستودع الذخيرة والعدد الحربية ، وكان الولاة يختارون لحراسها أكفأ امراء العسكر المعروفين بالشجاعة والدرابة في شؤون الحرب ، وكان يطلق عليه لقب : (دزدار القلعة) . وكان يحيط بالقلعة سور محكم البنيان والبروج ومحيط بالسور خندق يفصل القلعة عما يجاورها من الاراضي ، وللقلعة باب أو أكثر تبعاً لسمعتها ، ولها باب رئيسي يفتح في النهار ويعد المدخل الوحيد للاتصال بحماية القلعة ، كما كان لها باب سري صغير يؤدي الى النهر ينزل فيه بدرجات تبنى داخل النفق وهو يقوم مقام باب السر (١٢٠) .

وكان موضع قلعة الموصل بالقرب من دور المملكة الى الشمال من المدينة على الارض المرتفعة التي تشرف على نهر دجلة (١٢١) ، وأول مركز للقلعة

فقال : (والموصل روض كبير فيه الجوامع والحمامات والفنادق والاسواق ، وبه مسجد جامع على شط دجلة) (١٧٦) .

المحلات والاحياء :

من اشهر محلات الموصل محلة سوق التركبان ، ومحلة درب دراج ، ومحلة المربعة (جهار سوك) (١٧٧) ، ثم محلة سوق الاربعاء التي كان بداخلها فضاء واسع وعلى كل ركن فيه فندق ، اما احياء الموصل فاهمها : حي الحديثين ، وحي التغالبة ، وحي خزرج - وحي الحصاصة الذي كان يشتمل على شارعين : هما درب الحصاصة ودرب الجصاصين ، ثم حي التكاثرية ، وحي الطبالين (١٧٨) .

الميدان :

يقع الميدان في المنطقة المحصورة ما بين السور السلجوقي والسور الذي شيده الاتابكة فيما بعد ، وهو عبارة عن أرض واسعة خالية من العمارة ، وكان يمتد في الميدان شارع واسع بموازية السور السلجوقي من أعلى البلد الى أسفله ، ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد ، وفي شرقي الميدان تقع دور المملكة والقلعة (١٧٩) .

دور المملكة :

وهي الدور التي اتخذها امراء الموصل ورجال دولتهم المقربين سكناً لهم ، وكانت تقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة وفي مواجهة الميدان ، ولا تزال آثارها قائمة حتى الآن وتعرف باسم (قره سراي) (١٨٠) وكان الحمدانيون هم اول من انشأ داراً للامارة بهذا الموقع على دجلة ، ثم تبعهم بنو عقيل الذين شيّدوا دورهم في الموقع نفسه ، وجاء بعدهم السلاجقة فساروا على هذا النهج وشيّدوا داراً للسلطنة ، وهي الدار التي نزلها عماد الدين زنكي فيما بعد (١٨١) .

كان في سنة ٤٥٠ هـ حيث ورد في حوادث تلك السنة أن البساسيري وقريش بن بدران العقيلي كانا قد هاجما الموصل بعد رحيل ابراهيم بن ينال عنها ، فحاصر البساسيري القلعة أربعة أشهر ولما استولى عليها أمر بهدمها وعنى على اثرها (١٧٢) . ولم ترد بعد ذلك اشارة عن اعادة بناء هذه القلعة خلال حكم بني عقيل ، واغلب الظن ان القلعة أعيد بناؤها في العهد السلجوقي على يد الأمير جكرمش الذي عرف بحرصه واهتمامه بتحسين الموصل وبناء الاستحكامات العسكرية ، حيث شرع في تعمير السور وبناء فصيل عليه فضلاً عن قيامه بجفر الخندق (١٧٣) وقد عين جكرمش دزداراً للقلعة اسمه غزغلي الذي قام بدور بارز في الدفاع عن الموصل خلال الحرب التي نشبت بين جكرمش وجاويي سقاوة سنة ٥٠٠ هـ ، ويبدو أن القلعة كانت كبيرة تتسع لعدة آلاف من الجند ، يظهر ذلك في حوادث سنة ٥٠٢ هـ حيث ورد أن جاويي سقاوه حين اضطر للرحيل عن الموصل بعد صدور قرار السلطان محمد بعزله عن الولاية اسكن زوجته القلعة وترك معها (الف وخمسمائة فارس من الاتراك ، سوى غيرهم وسوى الرحالة) (١٧٤) .

أرباض المدينة :

الارباض هي الاحياء التي تقع خارج سور المدينة واشهرها الرض الاعلى والرض الاسفل .

ويقع الرض الاعلى شمالي الموصل خارج السور ، ويمتد من باب سنجان غرباً الى دجلة شرقاً ، وقد امتاز برقة هوائه وجبال موقعه الذي يشرف على نهر دجلة وما يحيط بها من الغابات والبساتين ، وكان يضم قصور الامراء والولاة ورجال الحكم ، وقد أمر عماد الدين زنكي فيما بعد بفتح الباب العادي الذي ربط بين المدينة والارض الاعلى (١٧٥) .

اما الرض الاسفل فكان من اكبر الارباض واحسنها عمارة ، وقد وصفه الرحالة ابن بطوطة

الشوارع أو الدروب :

- (١٠) رشيد الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي بغداد ١٩٨٠ .
- (١١) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٢ .
- (١٢) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية ج ١٥ رقم ١٥٨٤ ص ٦٠٦ .
- (١٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٥ .
- (١٤) الفارقي ، تاريخ ميافارقين ص ٢٤٨ .
- (١٥) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٣٤٢ .
- (١٦) ابن القلانسي ، ص ١٥٨ .
- (١٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٨٢ .
- (١٨) ابن الفرات - تاريخ الدول والملوك ، المجلد الاول ص ٢٠ - ٢١ ، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية .
- (١٩) ابن القلانسي ، ص ١٨٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٦ .
- (٢٠) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥١٤ - ٥١٥ ، ابو القدا ، المختصر ج ٤ ص ١٤٦ .
- (٢١) المصدر نفسه ، الكامل ج ١ ص ٥١٠ .
- (٢٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٤٨ - ٥٥٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٢٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ٥٣٩ .
- (٢٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢١٧ ، البندري - تاريخ دولة آل سلجوقي ص ١٢١ - ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٤٢ - ٥٤٤ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢١٧ ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٦٠ - ٥٦٤ ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك مجلد ٢ ص ٦ .
- (٢٦) المصدر نفسه المنتظم ج ٩ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الباهر ص ٢٤ - ٢٥ ، ابو القدا - المختصر ج ٤ ص ١٥٧ (ورد في الباهر ان عزل البرستي عن شحنة العراق كان في سنة ٥١٧ هـ) .
- (٢٧) انظر : الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧٠ .
- (٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٦٦ .
- (٢٩) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٨ .
- (٣٠) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٨ .
- (٣١) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٥٩٩ .
- (٣٤) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٠٠ - ٦٠١ .
- (٣٥) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ص ٢٣٥ .
- (٣٦) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٠٨ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد ٢ ص ٢٧١ .

كانت تخترق مدينة الموصل شبكة من الدروب التي تربط بين احياء الموصل وأرباضها ، ومن أهمها : درب دير الاعلى ، ودرب باصلوت ، ودرب الجصاصين ، ودرب بني ميده ، ودرب الجصاصه ، ودرب أمير المؤمنين ، ثم درب الدباغين ودرب جميل (١٨٢) . وقد أورد المؤرخون اسماء طرق أخرى نذكر منها : سكة المي نجيح ، ثم درب ايليا الطيب ، وقد ورد ذكر هذا الشارع عند الحديث عن مقتل آقسنقر البرستي امير الموصل في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ (١٨٣) ، ثم درب رسمي امير المؤمنين ، وهو من الشوارع التي تؤدي الى الدير الاعلى ، ويمر بالميدان أمام دور المملكة ، ولم يزل هذا الشارع من شوارع المدينة الرئيسية (١٨٤) .

الهوامش

- (١) ابن الاثير ، الكامل طبعة بيروت ١٩٦٦ ج ٩ ص ٦١١ .
- (٢) هو سليمان بن قتلش سلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى الذي استولى على انطاكية سنة ٤٧٧ هـ فنازعه مسلم العقيلي على ملكيتها ونشب القتال بينها وانتهى بمصرع امير الموصل .
- (٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ طبعة حيدرآباد ١٣٥٨ ، ص ٦٣ - ٧٧ (ذكر ابن العديم أن المعركة حدثت في دارا بين نصيبين وماردين ، زبدة الطلب ، دمشق ١٦٥٤ ، ج ٢ ص ١٠٨) .
- (٤) ابن العديم ، زبدة الطيب ج ٢ ، ص ١١٨ .
- (٥) ابن القلانسي ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
- (٦) هو أبو سعيد قوام الدولة كرويقا أو كروغا ، كان من كبار عماليك السلطان ملكشاه وقد انحاز الى جانب ولده بركياروق في نزاعه ضد عمه تنش ، وقد وقع مع اخيه التوتاش في الاسر ، وبعد مصرع تنش تم الاتفاق بين بركياروق ورضوان بن تنش على اطلاق سراحها .
- (٧) بلد : مدينة قديمة على نهر دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
- (٨) الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٢٤٥ .
- (٩) حول هذه الفترة من تاريخ الموصل انظر : د . رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧٠ .

(٦٤) ابن القلاسي، ص ١٥٦ - ١٥٧، ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٩.

(٦٥) ابن العديم، زبدة الجلب ص ٦٥٥ (منتخبات المجموعة ج ٣).

(٦٦) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٦٧) Oman, A history of the Art of the War in the Middle Ages. Vol. 1.p. 321.

(٦٨) The First and Second Crusader from an Anonymous Syriac Chronicle, P. 78 (Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1933).

(٦٩) ابن القلاسي، ص ١٥٠، الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين ص ٢٧٤.

(٧٠) ابن القلاسي، ص ٢٠٩، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة: قسم الجزيرة، ورقة ١٧ ب ١٨، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٨٤.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٣٥، ابن العديم، زبدة الطلب ج ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ دمشق ١٩٥٤.

(٧٢) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٠٦ (سبق أن أشرنا الى هذا الموضوع عند الحديث عن علاقات الموصل مع نصيبين).

(٧٣) ابوالحسن، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٥، طبعة دار الكتب المصرية.

(٧٤) ابن القلاسي، ص ١٧٥.

(٧٥) ابن القلاسي، ص ١٩١ - ١٩٩، ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٣١.

(٧٦) ابن العديم، زبدة الجلب ص ٥٤٦ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).

(٧٧) ابن القلاسي، ص ٢١١، ٢١٢، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك ج ٢ ص ٣٨٨.

(٧٨) ابن الأثير، ابن العديم، زبدة الجلب ص ٥٥١، ٥٥٤ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣)، الباهر ص ١٤.

(٧٩) لم يشترك الأوربيون في تلك الحملات بسبب الحافز الديني فحسب بل رغبة في الكسب والاثراء، وهذا ماأكدته عدة من مؤرخي الغرب أنفسهم، كما كشفت الاميرة آن كورنين في مؤلفها عن حياة أبيها الاسبراطور الكسيس كورنين عن حقيقة ودوافع الحركة الصليبية ومدى طمع الاوربيين وجشعهم وحبيهم للمال واتخاذهم الدين ستاراً لتحقيق أغراضهم الشخصية، انظر:

Anna Comnena, The Alxiad, England Trans., London, 1969.

جوزيف نسيم يوسف، الدوافع الحقيقية للحركة الصليبية.

(٨٠) ابن القلاسي، ص ١٣٤.

(٣٧) ابن الجوزي، المنتظم ج ٩ ص ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٦١٤ - ٦١٥.

(٣٨) ابن الجوزي، المنتظم ج ٩ ص ٢٤٥.

(٣٩) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٦٢٢.

(٤٠) من كور الجزيرة التي قسمتها الموصل: ديار ربيعة وديار بكر وديار مصر. ومن مدن دجلة التابعة للموصل: دجيل وأوانا وعكبرا والخطيرة وداقوقا.

(٤١) عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي - ص ٦٩. بيروت ١٩٧١.

(٤٢) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٣٠، ابوشامة الروضتين ج ١ ص ٦٧، الذهبي، المعبر ج ٢ ص ٣٢٤.

(٤٣) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٤٤) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٣٠ - ٥٠١.

(٤٥) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤٦) المصدر نفسه، الباهر ص ١٥، ابوشامة، الروضتين ج ١ ص ٦٧.

(٤٧) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٣٥ - ٣٦، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص ٢١.

(٤٨) ابن الأثير، الباهر ص ١٠٦.

(٤٩) ابن القلاسي، ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠.

(٥٠) ابوالقدا، المختصر ج ٤ ص ١٣٧ (وجيل جوارم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية انظر البغدادي، مرصد الاطلاع ج ١ ص ٢١١).

(٥١) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٩٢.

(٥٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص ٥٥٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٢).

(٥٣) المصدر نفسه، مرآة الزمان ص ٥٥٢ - ٥٥٤.

(٥٤) ابن العديم، زبدة الجلب ص ٥٤٢ - ٥٤٣ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).

(٥٥) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦.

(٥٦) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٤٠٥، ٤٠٧.

(٥٧) ابن القلاسي، ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٨، ابن العبري، مختصر تاريخ الدول ص ١٩٩.

(٥٨) ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٠٩.

(٥٩) ابن الأثير، الباهر ص ٣٧، ابن واصل، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٩ (لم يذكر ابن الأثير اسم حاكم سنجار خلال عهد الريمي وولده مسعود، كما انه جعل تاريخ اخضاعها من قبل عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ انظر: الكامل ج ١٠ ص ٦٤٦ - ٦٤٧).

(٦٠) المصدر نفسه، الكامل ج ١٠ ص ٢٥٩.

(٦١) ابن العديم، زبدة الجلب ص ٥٠٩ (منتج من زبدة الطلب مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).

(٦٢) ابن القلاسي، ص ١٤٢، البافعي، مرآة الجنان ج ٣ ص ١٥٩.

- (١٠٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠.
- (١١٠) ابن القلانسي، ص ١٨٥، ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٩٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠.
- (١١١) المصدر نفسه، ص ١٨٧.
- (١١٢) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٩٧.
- (١١٣) انتقل حكم كيسوم وربعان بعد وفاة كواسيل (كونغ باسيل) سنة ٥٠٨ هـ الى اركله وابنها بالنتي (دغاباسيل)، ويبدو أنها كانا ينجشيان نكره امير انطاكية فالتجأ الى البرستي طلباً للحياة واعتزفاً بتبعتها له. انظر: رنسيان: الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٠٩/١١٠.
- (١١٤) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٢٥.
- (١١٥) سبق أن تعرضنا لموضوع الوحدة بين الموصل وحلب خلال حكم البرستي عند الحديث عن العلاقات مع حلب.
- (١١٦) ابن العديم، زبدة الجلب ج ٢ ص ٢٢٢. رنسيان، الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٢١.
- (١١٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٦٢٦-٦٢٨.
- (١١٨) ابو الحسن، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٥.
- (١١٩) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨.
- (١٢٠) ابن القلانسي، ص ٢١٢.
- (١٢١) ابن الجوزي، المنتظم ج ٨ ص ١٢٢.
- (١٢٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٥.
- (١٢٣) نجح الصليبيون في الحملة الاولى من تأسيس اربع كيانات صليبية هي: انطاكية والرها وبيت المقدس وطرابلس.
- (١٢٤) فيليب حتي، تاريخ العرب مطول ج ٢ ص ٧٦٢، عاشور، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٠٤.
- (١٢٥) عباد الدين خليل، قوام الدولة كربولقا، مجلة أدب الزائفين ص ١٥٢.
- (١٢٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ج ٤ ص ٣٦.
- (١٢٧) القس سليمان الصايغ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٥١.
- (١٢٨) كوركيس عواد، الموصل، طبعة بغداد ١٩٥٩، ص ٤.
- (١٢٩) صني الدين البغدادي، مراصد الاطلاع ج ١ ص ٣٠٩.
- (١٣٠) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٥، طبعة بيروت.
- (١٣١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٥.
- (١٣٢) ابن الاثير، الكامل ج ٨ ص ٢٤٣.
- (١٣٣) فولر، اثر التسليح في التاريخ من حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية دمشق ١٩٥٤، ص ٦٩.
- (١٣٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٦.
- (١٣٥) الرازي، التاريخ الرياني، نشر الطبريك افرام رحاني، بيروت ١٩٠٠ ص ٦١.
- (١٣٦) الشافعي، الديارات، بغداد ١٩٥١، ص ١٧١، ياقوت، معجم البلدان مادة دير.
- (١٣٧) Viajes Je Benjamin de Tudela, Madrid, 1918, p. 83.
- (١٣٨) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ٧٩.

- (٨١) Fulcher of Charter, Chronicle of the first Crusaders, Oxford University Press, 1944, p 51.
- (٨٢) Anna comnena op. Cit, P. 344.
- (٨٣) ابن العديم، زبدة الجلب ص ٥٨١-٥٨٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ٣).
- (٨٤) المؤرخ المجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، مصر ١٩٥٨، ص ٧٣.
- (٨٥) المصدر نفسه، اعمال الفرنجة ص ٨٤-٨٦.
- (٨٦) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦.
- (٨٧) Cam. Med. Hist. Vol. 5. P. 292.
- (٨٨) Anna comnena, Op. cit. p. 340.
- (٨٩) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١٢٥. ابن الوردي، تمة المختصر ج ٢ ص ١٥ البني، عقد الحان ج ١٥ ص ٥٠٣.
- (٩٠) ابن العديم، زبدة الجلب ج ٢ ص ١٣٦.
- (٩١) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٧- ابن الشحنة: الدر المنتخب ص ٢١٦.
- (٩٢) Anna, comnena, op. cit, P. 352.
- (٩٣) Anouymous; op. cit. p. 78.
- (٩٤) ابن القلانسي، ص ١٤٣، ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.
- (٩٥) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.
- (٩٦) Oman; A History of the Art of War in the Middle Ages, New York, 1960, p. 323.
- (٩٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٧٤.
- (٩٨) فيليب حتي، تاريخ العرب ج ٢ ص ٧٦٢ بيروت ١٩٥٣.
- (٩٩) رنسيان، الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٨٧-١٨٨.
- (١٠٠) Stevenson, The Crusaders in the East, Cambridge 1907, P. 88.
- (١٠١) عاشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٥٨.
- (١٠٢) ابن القلانسي، ص ١٧٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١.
- (١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٧٣.
- (١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٧٧-١٧٨.
- (١٠٥) ابن العديم، زبدة الجلب ج ٢ ص ٢٢١.
- (١٠٦) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٩٢، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٩.
- (١٠٧) Anonymous, op.cit, pp. 83, 84.
- (١٠٨) ابن القلانسي، ص ١٨٢.

- (١٣٩) المصدر نفسه، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٠.
 (١٤٠) ابن جبير، الرحلة ص ١٨٩.
 (١٤١) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨١.
 (١٤٢) الحموي، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٣.
 (١٤٣) للألوسي، بليغ الأرب في معرفة احوال العرب ج ١ ص ٢٢١.
 (١٤٤) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٢.
 (١٤٥) المصدر نفسه، الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٣.
 (١٤٦) مصطفى جواد، دور الحديث (مجلة سومر المجلد ١٠ ج ٢ ص ٢٢٤-٢٢٥).
 (١٤٧) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٦٣٥.
 (١٤٨) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، ص ١٥٥-١٥٨.
 (١٤٩) العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٥ ص ١٠٠.
 (١٥٠) السبكي، طبقات ج ٣ ص ١٣٧.
 (١٥١) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧٢.
 (١٥٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٣-٢٥٤.
 (١٥٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٤٧٢.
 (١٥٤) السبكي، طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٧٨ طبعة مصر ١٣٣٤ هـ.
 (١٥٥) ابن خياط الموصل، ترجمة الأولياء في الموصل الحدياء ص ٧٠-٧١، الموصل ١٩٦٦.
 (١٥٦) المصدر نفسه، ص ١٦.
 (١٥٧) السبكي، طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٣٧/٢٣٩.
 (١٥٨) العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٠/٢٤١.
 (١٥٩) ياقوت، معجم الادباء ج ١١، ص ٢١٩-٢٢٣، ج ١٣، ص ٢١٥، ٢١٧.
 (١٦٠) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٤١، ٣٤٣، ٤١١.
 (١٦١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ص ٣٤٨.
 (١٦٢) ابن خلدون، ج ٥ ص ٥٠.
 (١٦٣) ابن الاثير، الكامل ص ١١١ ج ١١.
 (١٦٤) ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
 (١٦٥) البغدادي، مرصد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٤.
 (١٦٦) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨.
 (١٦٧) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤.
 (١٦٨) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٣٨٣.
 (١٦٩) نفس المصدر، الباهر ٧٨، ٩٣ الكامل ج ١١ ص ٤١٦.
 (١٧٠) الديوه جي، سور الموصل - مجلة سومر المجلد السابع والعاشر.
 (١٧١) ابن جبير، رحلة ابن جبير ص ٢١٠، ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
 (١٧٢) سيرة المؤيد في الدين، تحقيق محمد كامل حسين مصر ١٩٤٩ ص ١٧٨-١٧٩.
 (١٧٣) الديوه جي، سور الموصل، مجلة سومر المجلد العاشر ج ١ ص ١٠٠.
 (١٧٤) ابن الاثير، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤.
 (١٧٥) ابن الاثير، الباهر ص ٧٨، الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٠-١١١.
 (١٧٦) ابن بطوطة، الرحلة ص ٤٨، طبعة مصر ١٩٥٨.
 (١٧٧) جهاز سوك، تعني بالفارسية اربعة جهات.
 (١٧٨) المقدسي، احسن التقاسم ص ١٣٨.
 (١٧٩) الديوه جي، الموصل: العهد الاتابكي ص ١١٤-١١٧.
 (١٨٠) الصانع، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢١٨.
 (١٨١) ابن الاثير، الباهر ص ٧٧.
 (١٨٢) المقدسي، احسن التقاسم ص ١٣٨.
 (١٨٣) ابن الاثير، الكامل ج ٨ ص ٣٢٠ (مطبعة الاستقامة في القاهرة).
 (١٨٤) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٧.

الموصل في عهد الإدارة الأتابكية

٥٢١-٥٦٠ هـ / ١١٢٧-١٢٦٢ م

د. عبد المنعم رشاد

الاسرة الحاكمة غداة وفاة ملكشاه عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ وافضى النزاع بين المطالبين بالعرش والوفيات المبكرة بين الامراء السلاجقة ومجى سلاطين قَصْر والتطلع الى توزيع الاقطاعات الى تجزئة السلطنة، وعجل في نهايتها تعيين الأتابكة اوصياء على ابنا السلطان القَصْر ووكلاء على اقطاعاتهم، فرغب هؤلاء - وهو أمر طبيعي - في الحلول محل الامراء السلاجقة، فظهرت نتيجة ذلك العديد من

تناول دراسة أوضاع الموصل في عهد الادارة الأتابكية سياسة الأتابكة في حكم الموصل وادارتها فضلاً عن دراسة الأوضاع الحضارية التي شهدتها المدينة في هذا العهد، وعلى النحو الآتي :-

١- حكم الأتابكة للموصل :

لم تتمكن السلطنة السلجوقية من الابقاء على تلاحمها مدة طويلة من الزمن، فقد انفرط عقد

الأتابكيات الوراثية ، قُدر لبعضها ان يعيش فترة طويلة ، وكان من اشهر هذه الأتابكيات هي : الموصل وحلب ودمشق وفارس واذريجان وغيرها . ولكن اشهرها واطولها عمراً هي اتابكية الموصل .

يعود تأسيس اتابكية الموصل الى عماد الدين زنكي الذي ولاه السلطان السلجوقي محمود الموصل عام ٥٢١ / ١١٢٧ وسلمه ولديه الب ارسلان والخفاجي ليكون اتابكاً لها - اي أباً مريباً - وفقاً للتقاليد السلجوقية السائدة آنذاك ، ومنذ ذلك الوقت سمي زنكي أتابكاً وأصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت اشرافه المباشر^(١) .

كان والد زنكي اقسنقر الحاجب من امراء ملكشاه ولدوره البارز في السلطنة تولى ولاية حلب فأحسن السيرة في اهلها وجعلهم يحبونه^(٢) . وبعد وفاة ملكشاه بدأت النزاعات بين اولاده واخوته على السلطنة ولعب اقسنقر دوراً بارزاً في هذا الصراع في البداية بجانب تتش اخو ملكشاه وبعد ذلك بجانب بركيارق ابن ملكشاه ، وذهب ضحية ولائه للأخير على يد تتش الذي استولى على حلب^(٣) . وبعد مقتله أصبح ابنه زنكي تحت رعاية بركيارق ويقيم في حلب مع امراء أبيه^(٤) .

وعندما عين كربوقا والياً على الموصل سنة ٤٨٩ / ١٠٩٦ احضر زنكي عنده مع امرائه واقطعهم اقطاعات سنبة . وظل زنكي ملازماً لوالى الموصل حتى وفاة الأخير سنة ٤٩٥ / ١١٠٢^(٥) ، واستمرت علاقة زنكي بولاية الموصل جيدة حيث خدمهم ، واسند إليه اقسنقر البرسقي - والى الموصل وشحنة العراق ، ولاية واسط ثم اضاف اليه البصرة ، وقد اظهر زنكي مقدرة كبيرة في ضبط امور هذه الولاية . كما ساهم في الحرب ضد ديبس بن صدقة المزيدي الذي هاجم بغداد وحاول استباحتها^(٦) .

وبعد اقالة البرسقي من شحنة العراق

واقصره على ولاية الموصل فقط ، ذهب زنكي الى اصفهان لخدمة السلاطين السلاجقة فبرز هناك اميراً قوياً حازماً ، عاد بعدها الى البصرة والياً عليها . ثم احتاجه السلطان السلجوقي محمود في صراعه مع الخليفة المسترشد سنة ٥١٩ / ١١٢٥ الذي حاول التخلص من نير التحكم السلجوقي فحاصر السلطان بغداد وعاونه زنكي بجلب زوارق كثيرة للحصار وقوة كبيرة من الجيش ، وهذا دفع الخليفة الى الموافقة على الصلح مع السلطان^(٧) وقد كافأ السلطان زنكي على خدماته هذه بتعيينه سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ شحنة على العراق ، ولكن لم يقضي فيها الا حوالي اربعة اشهر ثم أصبح والياً على الموصل^(٨) .

كانت ظروف توليته على الموصل غريبة ففي سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ اغتال الاسماعيلية والى الموصل اقسنقر البرسقي في جامعها ، وتولى الموصل ابنه عزالدين مسعود إلا انه توفى بعد سنة بصورة غامضة فأصبح اخوه مرشحاً لولاية المدينة ووصيه جاولي الذي استأثر بالحكم واسرع بمراسلة السلطان محمود طالباً منه اقرار ابن اليوسني على الموصل رعاية لحق والده وخدماته للسلاجقة ، الا أن الوفد الذي ارسله جاولي كان يرى ان المرشح صغير السن لا يصلح للولاية . وان الولاية بحاجة الى شخص قادر على ادارتها ومواجهة الصعوبات التي تحيط بهذه الولاية ذات الموقع الخطر والقريب من امانة الرها الصليبية ، لهذا عندما التقى الوفد بالسلطان اوصى بولاية زنكي على الموصل فاستجاب السلطان لطلب الوفد^(٩) . وبذلك اصدر السلطان محمود منشوراً بتولية زنكي الموصل والجزيرة وما يفتتحه من بلاد الشام^(١٠) وسلمه ولديه الب ارسلان والخفاجي ليكون اتابكاً لها ولهذا سمي زنكي اتابكاً وامارته أتابكية الموصل .

تسلم زنكي الموصل من الأمير جاولي سنة

وبالنظر للأهمية السوقية لمدينة دمشق حاول زنكي ضمها الى ممتلكاته حتى يحقق توحيد بلاد الشام تحت سيطرته ، الا أن اهله وحكامها قاوموا محاولاته هذه .

كانت نهاية زنكي سنة ١١٤٦/٥٤١ وهو يحاصر قلعة جعبر. اذ وثب عليه نفر من مماليكه وقتلوه غيلة وكان نائماً في خيمته وهربوا الى قلعة جعبر. ^(١٥)

لايعرف سبب اغتيال زنكي وقد يكون غلمان من الاسماعيلية الحشيشية مندسين في صفوف أتباعه ، ولاغرابه في ذلك فالموصل التي حاولت توحيد الجهد الاسلامي ضد الصليبيين كانت تشكل خطراً على سلامة الاسماعيلية في بلاد الشام وتخل بالتوازن الذي سعى الاسماعيلية الى اقامته حتى يستطيعوا البقاء ولهذا تعرض حكام الموصل الذين حاولوا توحيد بلاد الشام الى اغتيالات متكررة من الاسماعيلية الحشيشية ، فقد قتلوا مودود واقسنقر البرسقي ^(١٦) . وقد يكون زنكي هو الآخر من ضحاياهم .

استطاع زنكي خلال سني حكمه (٥٢١ - ١١٢٧/٥٤١) ان يوسع ملكه من شحرزور شرقاً الى قرب سواحل الشام غرباً ومن آمد وديار بكر وحدود اذربيجان شمالاً الى الحديثة وتكريت جنوباً .

لقد كان ولاشك من أقدر رجالات عصره وتغنن بدهائه وشجاعته وحسن تدبيره تأسيس اماره قوية مهابة الجانب عاشت بعده قرابة القرن من الزمن ، وازدهرت الموصل في عهده وتوسعت وسادها الهدوء والرخاء الاقتصادي ولهذا اتخذها الناس دارمقام وكثرت فيها البساتين والثمار والفواكه واصبحت من اعز البلاد. ^(١٧)

تعاقب على أنابكية الموصل بعد عهاد الدين زنكي ثمانية من الامراء وهم :

١١٢٧/٥٢١ واقطعه الرحبة واعمالها . وشرع زنكي بأخضاع الأقاليم التابعة للموصل وتقرير حكمها واختار لذلك رجالاً أكفاء يثق بهم . وكان عليه ان يكافئ من كان له الفضل في توليه الموصل - اعضاء الوفد المشار اليه اعلاه - فولى نصير الدين جقر - وهو من اخص مماليكه - دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه امر جميع ولايته (اي جعله نائباً له) . وجعل صلاح الدين الياغسياني امير حاجب والقاضي بهاء الدين الشهرزوري قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتح من بلاد ^(١٨) .

وقد ضبط له هؤلاء شؤون بلاده واستطاع بالتالي ان يتفرغ للحروب وتوسيع رقعة ممتلكاته ومحارب الصليبيين وهو مطمئن على جبهته الداخلية . وشرع زنكي في تثبيت سلطته في المناطق التي خضعت له ، وقام بضم ما امكنه من البلاد الجزرية والشامية وخاصة على حساب الامارات والمدن المستقلة المجاورة له في ديار بكر ، فقد ادرك انه لايستطيع ان يطمئن في زحفه على بلاد الشام ومجاورة القوى الصليبية فيها الا اذا اخضع هذه الامارات الصغيرة حتى لاتتعرض مؤخرة جيشه لخطر الهجوم عليها ، فبدأ بالجزيرة فاستولى على جزيرة ابن عمر وأنزعها من ممالك البرسقي ^(١٩) . ثم استولى على نصيبين ثم اربل بعد ذلك . وكذلك استولى على الخابور وسنجار وحران واخيراً دخل حلب ورتب امورها سنة ١١٢٨/٥٢٢ ^(٢٠) وبذلك حقق الارتباط بين الموصل وشمال بلاد الشام مكوناً بذلك جبهة قوية .

كما وسع زنكي ممتلكاته باتجاه الشمال وخاصة في السيطرة على القلاع الكردية التي كانت تشكل طراً على امارته فاستولى على قلاع الاكراد ، لمدينة وكذلك على قلاع الاكراد الهكارية ^(٢١) . وكانت اكبر انجازاته العسكرية هي القضاء على اماره الرها الصليبية .

١- سيف الدين غازي الاول بن عماد الدين (٥٤١-٥٤٤/١١٤٦-١١٤٩).

٢- قطب الدين مودود بن عماد الدين (٥٤٤-٥٦٥/١١٤٩-١١٦٩).

٣- سيف الدين غازي الثاني بن قطب الدين مودود (٥٦٥-٥٧٦/١١٦٩-١١٨٠).

٤- عز الدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود (٥٧٦-٥٨٩/١١٨٠-١١٩٣).

٥- نور الدين ارسلان شاه الاول بن عز الدين مسعود الاول (٥٨٩-٦٠٧/١١٩٣-١٢١٠).

٦- عز الدين مسعود الثاني بن ارسلان شاه الاول (٦٠٧-٦١٥/١٢١٠-١٢١٨).

٧- نور الدين ارسلان شاه الثاني بن عز الدين مسعود الثاني (٦١٥-٦١٦/١٢١٨-١٢١٩).

٨- ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثاني (٦١٦-٦٣١/١٢١٩-١٢٣٣).

بعد مقتل عماد الدين زنكي انقسمت امارته الى قسمين الاول وقاعدته الموصل تولاه ابنه الاكبر سيف الدين غازي (٥٤١-٥٤٤/١١٤٦-١١٤٩). والثاني وقاعدته حلب فتولاه نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩/١١٤٦-١١٧٤)، وبذلك انفصمت عرى الوحدة بين الولاياتين والتي كانت مركز قوة الأب المؤسس^(١٨).

استمر التعاون بين الاخوين خلال مدة حكم سيف الدين غازي القصيرة، وكان هذا الأتابك حازماً وقادراً على الحكم كأبيه فقد تدرب في بلاط السلطان مسعود السلجوقي على الإدارة وملاحظة شؤون الحكم وسياسة البلاد.

ولما اصبحت حاكماً على الموصل اخذ يقلد السلاطين السلاجقة في زيه وركوبه واطهار قوته وقد اهتم بجندته وزعيمهم وكان كريماً سخياً معهم وهذا

جعلهم يتعلقون به، وساهم في الحروب ضد الصليبيين الى جانب اخيه. وقد توفي اثر مرض عضال لم يمض عليه طويلاً.^(١٩)

جاء بعده الى الحكم أخيه قطب الدين مودود ابن عماد الدين (٥٤٤-٥٦٥/١١٤٩-١١٦٩) كان نور الدين محمود يرى نفسه أحق بولاية الموصل من أخيه قطب الدين لهذا هاجم سنجار وحاول الاستيلاء عليها وبعد حصار طويل اتفق الطرفان على أن يحتفظ قطب الدين بسنجار شرطاً ان يتنازل لأخيه نور الدين عن حمص والرحبة والرقبة. وبذلك أبعد قطب الدين خطر أخيه عن الموصل لأن سنجار قريبة من حاضرة ولايته والاستيلاء عليها تهديد مباشر لمدينة الموصل، ورحل نور الدين الى الشام بعد ان اخذ كل ما كان بسنجار من الأموال والذخائر التي أودعها زنكي في قلعتها حتى أن ابن الأثير يقول "خزائن بيت أتابك جميعها في سنجار".^(٢٠) ويبدو أن نور الدين أراد الأموال من مهاجمته لسنجار أكثر من أي شيء آخر لينفق منها على حروبه مع الصليبيين. ويصف ابن الأثير ما أخذه نور الدين من أموال قائلاً "وعاد الى حلب ومعه خزائن سنجار على ستمائة جمل ما خلا البغال وما فرقه على أولاد الملوك والأمراء وستة وتسعين بغلاً محملة ذهباً".^(٢١) وبذلك عاد الوثام بين الأخوين وتعاونوا في التصدي للصليبيين.

كان قطب الدين حاكماً حسن السيرة محبوباً من أهل الموصل لاشفاقه عليهم وعدالته بينهم ولهذا تحسنت أحوال الموصل في عهده واتسعت عمارتها وتطورت اقتصادياتها، كما كان كريماً مع عماله وموظفيه.^(٢٢)

وعند مرضه اراد ان يعهد الى ابنه الاكبر عماد الدين - الذي كان مقيماً عند عمه نور الدين محمود، ولكن المديبر لشؤون الدولة فخر الدين عبد المسيح - وكان معادياً لنور الدين - اتفق مع خاتون ابنة حسام الدين تمرشاش بن ايلغازي زوجة قطب

الدين ان يكون الأمر لأبنها سيف الدين غازي بعد أبيه ، فتم الأمر لسيف الدين غازي الشافعي (٥٦٥ - ٥٧٦ / ١١٦٩ - ١١٨٠) وكان هذا حاكماً ضعيفاً وهذا سبب اختياره من قبل فخر الدين عبد المسيح حتى يستبد بأمر الدولة ويتصرف بأموالها . ولم يرض الكثير من أمراء الموصل بما آل اليه الأمر في البلد فكاتبوا نور الدين يعلمونه بما حصل ويحثونه على التوجه اليهم وتخليصهم من فخر الدين ، وفي مستهل المحرم من سنة ٥٦٦ / ١١٧٠ توجه نور الدين الى الموصل واستولى على البلاد التي في طريقه وتسلم سنجار واعطاها الى عباد الدين ابن أخيه مودود^(٢٣) وبذلك تشكلت أتابكية سنجار التي أستمريت حتى سنة ١٢٢٠ / ٦١٧ .

ثم توجه الى الموصل وحاصرها ثم دخلها عنوة وبعد أن اتم سيطرته عليها أثر سيف الدين عليها إلا انه عين سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في القلعة (حزدار القلعة) وأمر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل أو كثير من الأمور وأقطع نصيبين والخابور لأمرأه عسكره^(٢٤) .

وقام نور الدين بالعديد من الإصلاحات المالية فاسقط المكوس والضرائب العالية تشجيعاً للتجارة . وكان من جلائل أعماله في الموصل هونائه للجامع النوري فيها . وعندما عاد الى بلاد الشام أخذ معه فخر الدين ليعده عن الموصل^(٢٥) . هكذا أدى ضعف سيف الدين وسوء سياسة فخر الدين - عبد المسيح الى نتائج خطيرة على أتابكية الموصل حيث فقدت استقلاليتها واصبحت تابعة لنور الدين فضلاً عن انكماش رقعتها الجغرافية بسبب اقتطاع بعض ولاياتها في الجزيرة ، وفي سنة ٥٦٨ / ١١٧٢ أصبحت تبعيتها لنور الدين رسمية ومعترف بها من قبل الخلافة العباسية حيث أرسل له التقليد بحكم ما بيده "من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل ، وبما في طاعته كديار بكر وما

يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلع ارسلان"^(٢٦) . وفي نفس السنة زار الموصل وصلى بالجامع الذي كان قد أمر بأبناؤه في وسط المدينة ورتب فيه الخليلب والمؤذنين وما يحتاجه من بسط وحصر وغيرها.^(٢٧) كل ذلك تأكيداً على تبعية الموصل له .

وقبيل وفاة نور الدين سنة ٥٦٩ / ١١٧٣ استدعى أمراء الموصل والجزيرة للقدوم بمجموعهم الى الشام لحفظه من الفرنج حتى يتوجه الى صلاح الدين في مصر ولكن القدر لم يمهله فتوفى ، وكان سيف الدين غازي على رأس جيشه عندما بلغته وفاة نور الدين ، وبدلاً من ان يقوم بالتوجه نحو حلب للاستيلاء عليها وبالتالي يتحكم ببقية أملاك نور الدين ، نراه يفضل التوجه نحو الجزيرة ليسترد ما سبق أن أخذه منه نور الدين من ولايات فيها ، فعاد الى نصيبين وأستولى عليها وارسل نوابه الى الخابور فأستولوا عليه ، وسار هو الى حران فحاصرها ثم أخذها وأستولى على الرها ثم على سروج والركة ، ولم يبق في الجزيرة خارجاً عن طاعته سوى قلعة جعبر لحصانها ورأس عين لأنها كانت بيد قطب الدين صاحب ماردين ابن خال سيف الدين فلم يتعرض له . وقد عاد فخر الدين عبد المسيح من الشام واتصل بسيف الدين وأشار عليه بوجوب عبور الفرات والتوجه الى بلاد الشام غير أن سيف الدين أبقى ذلك وفضل العودة الى الموصل بعد أن استرد أملاكه التي سلبه أياها نور الدين.^(٢٨)

توفى سيف الدين سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ وكان مريضاً بالسل وكانت سيرته غير محمودة وسيء التدبير فيه شح وجبن وضعف رأي مما أضعف أمارته وقصص نفوذها ووقعها.^(٢٩) وبسبب سوء العلاقات بينه وبين أخيه قطب الدين صاحب سنجار وأبن عمها الملك الصالح بن نور الدين محمود وكثرة محاربتهم لبعضهم أدى كل ذلك الى تقدم صلاح الدين وتحكمه بشكل تدريجي في شؤون بلاد الشام

حتى ثبت مركزه وفرض ارادته على ولايتي دمشق وحلب ثم أخذ ينازل الاملاك الزنكية في الجزيرة. (٣١)

كان سيف الدين قبيل وفاته ميالاً الى ان يعهد بأمر ولايته الى ابنه معز الدين سنجرشاه الذي لم يكن يتجاوز الاثني عشرة سنة من العمر الا أن الأمراء وأخاه عز الدين مسعود رفضوا هذا الرأي ووقع الاختيار على عز الدين مسعود ولاشك ان الخوف من تطلعات صلاح الدين الأيوبي لمد سلطانه الى الموصل كانت العامل الأساس في دفع امرائها الى اختيار عز الدين مسعود للولاية. (٣١)

وقد أعطى سيف الدين قلعة عقر الحميدية الى ابنه ناصر الدين وأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولد معز الدين سنجرشاه (٣٢) - الذي أسس أتابكية الجزيرة والتي أستمريت بالوجود حتى سنة ١٢٥٠ / ٦٤٨.

كان عز الدين مسعود (٥٧٦ - ٥٨٩ / ١١٨٠ - ١١٩٣) يتصف بالجرأة والأقدام مع خجل وتقلب في الرأي، وسيطر على دولته الأمير مجاهد الدين قايماز - نائب الأتابك - وبسبب التنازع بين الأمراء الأتابكة، تمكن صلاح الدين الأيوبي من بسط سلطانه على بلاد الشام، وأراد ان يحجم قوة اتابكة الموصل فقام بمهاجمة ديار الجزيرة وسيطر على أهم مدنها وقلاعها ثم فرض الحصار على الموصل سنة ٥٧٨ / ١١٨٢، الا ان دفاع أهل الموصل عن مدينتهم أفضل الحصار وقد أدرك صلاح الدين ان الموصل لا تؤخذ بمجرد حصارها لأنها مدينة شديدة التحصين ولكن بأضعاف الولاية والسيطرة على ممتلكاتها وقلاعها بصورة تدريجية لهذا رحل عنها. (٣٣)

أراد عز الدين مسعود أن يتخلص من تحكم نائبه مجاهد الدين قايماز لهذا التى القبض عليه وسجنه سنة ٥٧٩ / ١١٨٣، وكان نواب قايماز مسيطرين على ولاية أربل وشهرزور ودقوقا وجزيرة

ابن عمر وقلعة عقر الحميدية، فلما قبض عليه امتنع نائبه في أربل وجزيرة ابن عمر وأعلن تبعيتها لصلاح الدين الأيوبي كما أرسل الخليفة الناصر لدين الله جيشاً الى دقوقا فحصرها وأخذها، ولم يبق لعز الدين مسعود غير شهرزور وعقر الحميدية. (٣٤)

وعلى الرغم من اضطراب عز الدين الى اخراج قايماز من السجن وعادته الى ما كان عليه الا أن الولايات التي كانت تحت سيطرته وإدارته خرجت عن طاعة الأتابكة. وبالتالي ضعفت الولاية بسبب هذا الخلاف. وقد أفاد صلاح الدين الأيوبي من هذه الفرصة في سنة ٥٨١ / ١١٨٥ وقام بفرض الحصار على الموصل ثم غادرها بعد شهر من الحصار الى خلاط ثم توجه ثالثة اليها فتزل في كفر زمار واحاط جنده بالموصل وقد جرت مراسلات بين الطرفين لحسم أسباب النزاع، فأرسل أهل الموصل وفداً مكوناً من بهاء الدين الريبي والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي فُوض اليه امر التوقيع على شروط الصلح وتحليف صلاح الدين الأيوبي لمسعود. (٣٥) وبعد مفاوضات مضية استطاع وفد الموصل الحصول من صلاح الدين الأيوبي على جزيرة ابن عمر مقابل تسليمه بلاد شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من اعمال، ويخطب له في جميع بلاد الموصل وتقطع خطبه السلاطين السلاجقة، كما ضربت السكة باسمه. (٣٦)

بهذه الصورة أصبح اتابك الموصل احد نواب صلاح الدين وتابعا من اتباعه وبذلك ضعفت أتابكية الموصل وتقلص ظلها.

وعند وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩ / ١١٩٣ بدمشق سادت الفوضى بلاد الشام والجزيرة نتيجة النزاعات بين افراد البيت الأيوبي على السلطة والحكم بين أولاد صلاح الدين وعمهم الملك العادل، فحاول عز الدين مسعود استغلال هذه

الفرصة من اجل استعادة البلاد الجزرية. الا أنه مرض وهو محاصر نصبيين في نفس السنة فعاد الى الموصل وتوفي فيها. (٣٧)

كان عز الدين رجلاً محبوباً من الناس كثير الخير متديناً أدى فريضة الحج ولبس خرقة التصوف، الا انه كان ضعيف الرأي غير قادر على تدبير شؤون امارته بنفسه مما جعله يعتمد اعتماداً كلياً على نائبه مجاهد الدين قايماز، وعندما حاول التخلص منه انتفضت البلاد عليه مما أدى الى اعادته الى الحكم، وهكذا كان متذبذب الرأي فيه ضعف ولين جانب وبصفة ابن الأثير بأنه كان خجولاً حتى من أصغر اتباعه. (٣٨)

جاء بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه (٥٨٩ - ٦٠٧ / ١١٩٣ - ١٢١٠) الى الحكم، ولعب الامير مجاهد الدين قايماز ومجد الدين ابن الأثير - الوزير - دوراً بارزاً في وصوله الى الحكم. وفي عهد نور الدين قامت العديد من الحروب بينه وبين الأيوبيين، فقد حاول نور الدين استغلال الصراع القائم بين اولاد صلاح الدين وعمهم الملك العادل لاستعادة نفوذه في الجزيرة والشام، ولكن هذه الحروب لم تؤد الى نتيجة إيجابية بل أضعفت الأتابكة والأيوبيين في آن واحد واشغلتهم عن الصليبيين، وفي سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ توفي نور الدين بعد أن أشد به المرض. وقد أوصى بالملك من بعده لأبنة الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني (٦٠٧ - ٦١٥ / ١٢١٠ - ١٢١٨) وكان عمره عشر سنين وجعل الوصي عليه مملوكه الأرميني بدر الدين لؤلؤ. لم تكن سيرة نور الدين محمودة فقد كان متجبراً سفاكاً للدماء وسيء التدبير، أراد حماية ولديه لهذا زوجها من أبتين من بنات مظفر الدين كوكبوري - صاحب اربل. (٣٩)

ولما توفي نور الدين كتم بدر الدين أمر موته ودبر الامر واحكم ما أراد وحلف الجند وأرباب الحكم

لعز الدين مسعود وارسل الى الخليفة الناصر لدين الله يطلب التقليد له، كما كاتب ملوك الاطراف يطلب منهم تجديد العهد على ما كانوا عليه زمن ابيه فجاء التقليد من الخليفة على ان يدبر أمره بدر الدين لؤلؤ. (٤٠)

بعد ان تم لبدر الدين ما يريد حجر على القاهر واشغله بملذاته وشهواته وأبعده عن الحكم، ولم يبق له سوى الاسم. وقد إبتع بدر الدين مختلف الأساليب لتثبيت حكمه. فكان يحسن أمر من يتوسم فيهم المعونة والاخلاص له. وكان يتبع طريق القتل والانتقام ممن يخشى منهم على سلطته ولا يتقيد بأي مبدأ ديني او اخلاقي في حكمه. (٤١)

دام حكم القاهر ثمان سنوات وتوفي سنة ٦١٥ / ١٢١٨ ويبدو انه مات مسموماً حتى يتخلص منه لؤلؤ. (٤٢)

وعهد القاهر بالحكم الى ابنه نور الدين أرسلان شاه الثاني (٦١٥ - ٦١٦ / ١٢١٨ - ١٢١٩) وكان صبياً وأوكل الى بدر الدين القيام بامور الأمانة جميعها. فأرسل الأخير الى الخليفة في بغداد يطلب التقليد والتشريف وأرسل الى أمراء المدن المجاورة يطلب منهم تجديد العهد لنور الدين كما كان الامر في عهد ابيه القاهر وحصل على ذلك. (٤٣)

كان عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه يطمع بان يكون له الحكم بالموصل بعد وفاة اخيه القاهر باعتباره كبير البيت الأتابكي، وكان يرى انه احق بالملك من ابن اخيه القاهر، إلا ان بدر الدين كان يدرك انه ليس من مصلحته أن يتولى الحكم رجل راشد وقوي يستطيع تدبير شؤون الامارة بنفسه فوقف في وجه عماد الدين، وعمل على ابعاده عن الموصل ليتفرد بالسلطة. (٤٤)

وقد تحالف عماد الدين مع مظفر الدين كوكبوري ضد بدر الدين تحوطاً لما يدبره الأخير من مصير مؤلم

١٢٣٣ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري - أمير أخور الخليفة - الى الموصل ومعه خلع السلطنة وتقليد لبدر الدين لؤلؤ مع فرس بكافة تجهيزاتها ولقب الملك المسعود وأذن له بذكر اسمه على المنابر ببلده ونقش على سكة العين والورق. (٤٨)

وقد سعى بدر الدين الى تقوية علاقته بالخلافة العباسية عن طريق ارسال الهدايا والانتساب في الفتوة الى الخليفة، وكذلك عن طريق المصاهرة فقد زوّج إحدى بناته بالدويدار الكبير الي شجاع الطبرسي، وكان حظياً عند الخليفة في سنة ١٢٢٧/٦٢٤، وزوّج ابنة اخرى من الدويدار الصغير سنة ١٢٣٥/٦٣٢ (٤٩) ويقول عنه الذهبي "كان يصدق على القضاة أموالاً وافرة، ويداري الخليفة من وجه، والتار من وجه، وملوك الاطراف من وجه، فلم ينخرم مملكته ولم تطرقه آفة". (٥٠)

اتبع لؤلؤ هذه السياسة المتلونة - الميكافيلية - في تعامله مع أهل الموصل، فهو من ناحية يتساهل مع بعض علماء الدين الذين كانوا يعارضونه ويكثرون من انتقاده كالأزهدي المفسر موفق الدين احمد بن حسن بن رافع الكواشي، (٥١) ولكنه يتصدى وبكل ضراوة للطريقة العدوية ويحاول التخلص منها فيلتي القبض على زعيمها الشيخ حسن حفيد أخي عدي بن مسافر الأموي - مؤسس الطريقة، وعلى مائة من اتباعه، ويقتلهم على اعتبار ان الشيخ حسن يسعى لاقامة دولة اموية، وقد انتشرت هذه الطريقة بين الأكراد السنة في اطراف الموصل، وربما كان سبب وجودها انتشار نوع من محاولة احياء السنة، وإيجاد حل سياسي للقوضى التي كانت تعيشها المنطقة من تجزئة وضعف وتحاذل تجاه الاعداء الخطرين على الاسلام، المغول والصليبيين. (٥٢) ومعارضة لهذه الطريقة واهدافها يقوم بدر الدين بالتحويل الى المذهب الشعبي كسبا لرضى العلويين من ناحية،

للطفل الحاكم، فجهز عماد الدين حملة كبيرة احتل بها العادية وبقية قلاع الاكراد الهكارية والزوزان، وقد فاض بدر الدين الملك الاشرف بن الملك العادل الايوبي يطلب منه ان يدخل في طاعته على ان يعاونه ضد عماد الدين ومظفر الدين فقبل الملك الاشرف بهذا، وأصبح بدر الدين تابعاً له وضرب السكة باسمه. وقد أرسل بدر الدين حملة الى العقرة واحتلها وانهزم عماد الدين الى اربل، وبعد مراسلات بين الخليفة والملك الاشرف وتدخل الخليفة بالتوسط لاقرار الصلح بين الأطراف المتنازعة، فتحقق الصلح وبدأت الأحوال الى بدر الدين. ففضى على الطفل بعد أقل من ستة من حكمه سنة ١٢١٩/٦١٦. (٥٣) بعد مقتل نورالدين لم يبق من أولاد القاهرة غير طفل صغير لايتجاوز عمره الثلاث سنوات هو ناصر الدين محمود (٦١٦ - ٦٣١ / ١٢١٩ - ١٢٣٣) فجمع بدر الدين الجيش وأعيان الموصل. وحلفهم بالطاعة له وأرسل الى الخليفة يطلب التقليد والتشريف لهذا الحاكم (٥٤). وعلى الرغم من محاولة مظفر الدين كوكبوري حاكم أربل، وعماد الدين زنكي، أخي القاهرة، استعادة ملك الأتابكة وإزاحة بدر الدين إلا أن الأخير استطاع بمساعدة الملك الأشرف ان يبطل مساعيها، وفي سنة ١٢٣٢/٦٣٠ توفي مظفر الدين كوكبوري. جد ناصر الدين محمود لأمه - فصفا الجولبدرد الدين لؤلؤ ليقضي على ناصر الدين فقتله شر قتله، يقال أنه منعه من الطعام حتى توفي، كما منعه من الزواج حتى لايتخلف ولداً يرثه. كما قضى على نفوذ الأتابكة في الموصل وطمس معالم إرثهم من مدارس ودور حديث وأربطة كما غرق وقتل بعض افراد الاسرة الأتابكية. (٥٥)

وبعد وفاة ناصر الدين محمود أرسل بدر الدين لؤلؤ الى الخليفة المستنصر بالله هدايا كثيرة واتمس منه تقليد الموصل فأرسل الخليفة سنة ٦٣١/

وترضية لعناصر مهمة في بغداد من ناحية أخرى كالوزير ابن العلقمي والدويدار الكبير - زوج ابنته ، والأمير جمال الدين قشتمر من كبار امراء بغداد، كما إن عارض الجيش في عهد المستنصر كان من العلويين. (٥٣) ولذلك قام بتجديد أضرحة بعض المشاهد لابناء آل البيت ، وأقام قبوراً لبعضهم في المدارس التي شيدها الاتابكة ، كما بنى بعض المشاهد الفخمة في المدينة وزوقها وأخذها مراكز للدعوة المذهبية. (٥٤) كما انه استغل وجود جالية مسيحية مهمة في المدينة وبعض القرى المجاورة فحاول استئصالها وقام بالاحتفال بعيد الشعانين وأنفق عليه الكثير من الأموال. (٥٥)

اما موقفه من المغول فقد تطور مع تغير الظروف فعندما كان وجودهم ضعيفاً وهاجموا حدود العراق سنة ٦١٧ / ١٢٢٠ دافع عن اربل مع مظفر الدين كوكبوري ، كما كان يكتب الخليفة باخبارهم ويحذره من افعالهم. (٥٦) ولكن موقفه هذا تغير فيما بعد ، ففي سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧ حاصر المغول اربل وحاولوا أخذها فاستعانوا ببدر الدين لؤلؤ فامدهم بما لزمهم من ميرة وآلة وغيرها. (٥٧) وزيادة في تبعيته للمغول نلاحظ انه يضرب: ألقابهم على فلوله النحاسية حيث ورد اسم القآن الذي هو أوكتاي مع حذف اسم الخليفة من العملة (٥٨).

وقد جرت هذه الطاعة بدر الدين الى الاستمرار بالظواهر بها حتى أصبحت حقيقة لا يستطيع التراجع عنها ، وبخاصة وان الوجود المغولي اخذ يتعزز في بلاد ايران ، والخلافة العباسية لا تستطيع انه تحرك ساكناً لاثبات وجودها لهذا إستمر بتبعيته لهم ففي سنة ٦٤٢ / ١٢٤٥ أصبح وكيلاً لهم في جباية الاموال وفرض الأتاوات على الحكام المسلمين في الجزيرة وبلاد الشام. فارسل القاضي زكي الدين بن محي الدين الى الشام يطلب منهم أن يجمعوا للمغول مائتي الف دينار جزية على

الغني دفع عشرة دراهم وعلى الوسط خمسة دراهم وعلى الفقير درهم واحد (٥٩). كان هذا اعترافاً صريحاً منه بتبعيته للمغول ، كما عاونهم في محاربة ديار بكر وبعض بلاد الشام.

وعند جلوس كيوك خان على عرش المغول سنة ٦٤٣ / ١٢٤٦ ارسل بدر الدين رسولاً لحضور هذه المناسبة واعلان الولاء للمغول مع هدايا مناسبة (٦٠). وفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ عندما تولى منكوقان الخاتية ارسل بدر الدين رسولاً معلناً الولاء للمغول مع هدايا كثيرة وقد ارجع منكوقان الرسول «أعاده باعزاز بالغ ، وشمل بدر الدين لؤلؤ بعطفه ورعايته ، وارسل اليه اليرليغ والبايزة» (٦١) ، وما يؤكد هذه التبعة هو ظهور اسم منكوقان على الدنانير الذهبية المضروبة في الموصل سنة ٦٥٢ / ١٢٥٤ ولذلك فان اسم الخليفة محذوفاً منها (٦٢) وعند قدوم هولاء الى العراق لمهاجمة بغداد سارت فرقة من جيشه المربط في بلاد الروم عن طريق اربل - الموصل ليحبر جسر الموصل لمحاصرة بغداد الغربية ، وقد ارسل بدر الدين لؤلؤ ألف جندي بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل ليشترك في حصار بغداد ومعه الهدايا والذخائر والعتاد (٦٣). الا ان هذه الامدادات وصلت متأخرة مما أغضب هولاء لهذا لم يحسن مقابلة الملك الصالح متهماً اياه بالمرأعة وعدم الصدق (٦٤). وبعد ان احتل هولاء بغداد وقتل من قتل من أهلها ارسل رؤوس الدويدار الصغير - وهو اكبر الامراء في بغداد وزوج ابنه لؤلؤ ، وابن الدويدار الكبير - حفيد لؤلؤ - ورأس سليمان شاه الايقاوي - وكان من اخلص اصدقاء بدر الدين لؤلؤ ، مع الملك الصالح فحملها الى الموصل وعلقها ظاهر السور ارباباً لبدر الدين واهل الموصل (٦٥).

وبعد انسحاب هولاء الى اذربيجان استدعى بدر الدين لمقابلته ، فجاء على عجل ووصل المعسكر خارج مدينة مراغه في التاسع

والعشرين من رجب سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ فشملة هولاء بالتكريم ثم اعاده الى بلاده في السادس من شعبان من نفس السنة^(٦٦). وبعد عودته من زيارة هولاء بفترة وجيزة توفي وكان عمره قد تجاوز الثمانين سنة^(٦٧). بعد ان حكم الموصل نصف قرن من الزمن ، فتوزع ابناءؤه الامارة من بعده ، فخلفه على الموصل ابنه الكبير الصالح اسماعيل ، بينما تولى ابنه الثاني ، علاء الدين حكم سنجار وسيف الدين اسحق تولى حكم جزيرة ابن عمر ، وقد أقرّ هولاء هذه التقسيمات^(٦٨). وعلى الرغم من مساعدة الملك الصالح للمغول في احتلال جزيرة ابن عمر و آمد و ديسر ونصيبين و حران^(٦٩). الا ان علاقة اولاد بدر الدين بالمغول بدأت تتأرجح وزادها تغيراً هو انتصار المالك في معركة عين جالوت وطرد المغول من بلاد الشام. لذا نرى علاء الدين صاحب سنجار يلتحق بالشام ويصبح حاكماً على حلب ثم يرسل اخاه الصالح للاقتداء به. وقد عجل في موافقة الملك الصالح وقسوع احدى رسائل اخيه اليه بيد المغول الذين كانوا يخلقون له ذنباً للتخلص منه كما ان الرأي العام في الموصل كان ميالاً الى الخروج عن طاعة المغول ، ولهذا قاوم اهل الموصل الحصار الذي فرض عليهم مقاومة ضارية استمرت اثني عشر شهراً^(٧٠) ، على الرغم من ان المساعدات التي تعهد ببيرس بارساها لم تصل الى الموصل ، وبذلك واجهت الموصل مصيرها وحيدة بينما كانت جيوش المغول تزداد قوة وعدداً بقيادة سنداغونين ، والذي فت في عضد اهل الموصل هو انعدام الاقوات في المدينة ، ولما رأى القائد المغولي ان القتال لا يجدي نفعاً اخذ بمراسلة الصالح باذلاً له ولأهل المدينة الوعود بالحفاظ على حياتهم اذا استسلموا للمغول ، ويصف البيروني عملية تسليم البلد للمغول بقوله «... فجمع الصالح اهل البلد والاجناد وشاورهم فاشاوروا عليه بالخروج فقال

انكم تقتلون لا محالة وأقتل بعدكم فصمموا على خروجه ، فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان من سنة ٦٦٠ (١٢٦٢) بعد الصلاة وقد ودع الناس وليس اليباض فلما وصل اليهم احتاطوا به واكلوا عليه وعلى من معه وحملوه الى الجوسق ، ورسم عليه وكان معه شمس الدين الباعشيقي بالدخول الى البلد فدخل ومعه الفرمان ونادى في الناس بالامان ، فظهر الناس بعد اختفائهم وشرع الناس والتتر في خراب الاسوار ، فلما اطمان الناس واشتروا وباعوا دخلوا التتر البلد واجالوا السيف على من فيه تسعة ايام...»^(٧١)

هكذا احتل المغول المدينة وقتلوا سكانها بحد السيف ودون مراعاة للعهود التي قطعوها على انفسهم ، واسروا بعض ارباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل ، فلما رحل المغول عن المدينة خرج ما يقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا^(٧٢).

اما مصير الملك الصالح اسماعيل فقد حمل الى مراغه في اذربيجان فامر هولاء « بأن يدخل جسمه في الدهن (الليه) ويربط عليه باللبد والحبال باحكام ، ويلقوا به في شمس الصيف القاطظ فاستحالت الليه بعد اسبوع الى ديدان اخذت تلثم جسم ذلك الثعس حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاء ، ثم بعثوا بابنه - علاء الملك - الذي كان في الثالثة من عمره الى الموصل ليقوده نصفين على ساحل دجلة ، وعلى سبيل الاعتبار علقوا جثته على الجانبين حتى تعفت وتناثرت »^(٧٣).

وهكذا اصاب الموصل ما اصاب بغداد من قبل على يد المغول ، وانقرضت اسرة بدر الدين لؤلؤ. والحققت الموصل بالحكم المغولي المباشر حيث سلمها المغول الى شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي^(٧٤) مكافأة له على موالاته لهم وغدره وخيائته لصاحبه وولي نعمته الملك الصالح.

٢- علاقة الأتابكة مع الخلافة العباسية [الامارات الاسلامية]

أ- علاقتهم بالخلافة العباسية :-

كان الأتابكة كبقية الامراء المسلمين يرتبطون بالخليفة العباسي برابطة الولاء الروحي ، فكانوا يعترفون بسلطانه ويتوجهون اليه للحصول على تفويض بالحكم ليسبقوا على هذا الحكم شرعية اصبحت من المستلزمات الضرورية في نظر شعوبهم وخاصة الفقهاء منهم ، فكان الأتابك عند تسلمه الحكم يحرص على الحصول على تقليد من السلطان السلجوقي والخليفة العباسي ، واصبح من العادة الجارية عند وفاة الأتابك ان يقوم خلفه بمراسلة دار الخلافة للحصول على التقليد والتشريف بالحكم^(٧٥) ، ومقابل ذلك كان يذكر اسم السلطان والخليفة على السكة وفي الخطبة .

تذبذبت العلاقات بين زنكي والخلافة العباسية ولكنها كانت بصورة عامة جيدة . فقد ساعد الخليفة المسترشد (٥١٢ - ٥٢٩ سنة ١١١٨ - ١١٣٤) زنكي في تثبيت سلطته على الموصل بعد ان قرر السلطان السلجوقي محمود سنة ٥٢٣ / ١١٢٩ عزل زنكي عن الموصل واعطائها لديس بن صدقة فتدخل الخليفة لصالح زنكي^(٧٦) . وعند وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥ / ١١٣١ ارسل زنكي الى الخليفة يطلب منه انه يقيم الخطبة ببغداد للملك السلجوقي الب ارسلان بن محمود- وهو احد الملكين اللذين انيطت بزنكي مهمة الاشراف على تربيتهما ، الا أن الخليفة اعتذر عن ذلك لصغر سن هذا المرشح^(٧٧) . هكذا افلتت فرصة ذهبية من يد زنكي كان يمكن ان تتيج له مجالات جديدة من النفوذ والهيمنة اذا ما نصب سلطاناً يكون واقعاً تحت نفوذه وسيطرته . ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة بين الطرفين لان زنكي

إنحاز الى جانب السلاجقة ضد الخلافة العباسية أولاً مع مسعود الذي طالب بالسلطنة وثانياً مع سنجر الذي طالب ايضاً بالسلطنة يعاونه في ذلك ديبس ابن صدقة ، وقد هاجما بغداد وحاصراها الا أن الخليفة استطاع ان ينظم الدفاع عنها ويدحر الحليفين ويمتنعها من دخول بغداد كما ان نائب الخليفة منع ديبس من استعادة الحلة مقر امارته القديمة^(٧٨) .

ازدادت علاقة زنكي سوءاً بالخليفة نتيجة قدوم رسول من الخليفة سنة ٥٢٧ / ١١٣٢ ينحي باللائمة على زنكي بسبب مواقفه السابقة من الخليفة ، وقام الرسول بالاغلاظ لزنكي ثقة منه بقوة الخليفة ومكانته ، الا أن زنكي امر بالقبض عليه واحتجازه ومعاقبته على ماضيه منه^(٧٩) . وقد غضب الخليفة من هذا التصرف ووجدها فرصة لتوجيه ضربة انتقامية لزنكي وتوسيع املاكه شمالاً مستغلاً انشغال السلاجقة بالحروب مع بعضهم ، فوصل الخليفة على رأس جيش قوامه ثلاثون الف مقاتل وضرب الحصار على الموصل الا ان المدينة التي كان زنكي قد غادرها وعهد بمهمة الدفاع عنها الى نائبه نصير الدين جقر ابنت بلاء حسناً في الدفاع عن نفسها وقد استمر الحصار ثمانين يوماً ، الا أن الخليفة اضطر الى رفع الحصار والعودة الى بغداد بعد ان وصلت الانباء عن عزم السلطان مسعود استغلال غياب الخليفة عن بغداد للقدم اليها والسيطرة عليها بالتعاون مع ديبس فعاد الخليفة على عجل وبذلك تخلص زنكي من خطر جسيم كاد ان يعصف بآماله ومنجزاته التي دأب سنين طويلة على تحقيقها^(٨٠) .

وفي سنة ٥٢٨ / ١١٣٣ تم التصالح بين زنكي والخليفة فقد ارسل زنكي مبلغاً من المال ومجموعة من الهدايا الثمينة معرباً بذلك عن طاعته للخليفة^(٨١) . وعندما شب النزاع بين الخليفة

ومسعود حاول الخليفة الاستعانة بزكري إلا أن هذه المحاولة لم تنجح لأن مسعوداً انتصر على الخليفة وأسرّه ، ثم قتله الباطنية حسب ادعاء السلاجقة ، وليس من المستبعد أن يكون مسعود قد وضع هؤلاء الباطنية (الاسماعيلية الحشيشية) للتخلص من خليفة سبب له الكثير من المتاعب^(٨٢) . ولكن الخليفة الجديد الراشد بالله (٥٢٩ - ٥٣٢ / ١١٣٤ - ١١٣٧) لم يكن أحسن حالاً في علاقته بالسلاجقة من سلفه ، فقد كان الخليفة يرغب أيضاً بالتححرر من السيطرة السلجوقية ، لهذا قام باستدعاء زنكي عام ٥٣٠ / ١١٣٥ واتفق معه على اعلان الخطبة لألب ارسلان المقيم في الموصل ، وقد انضم الى هذه الجبهة المناهضة لمسعود العديد من الامراء^(٨٣) . إلا أن هؤلاء الامراء سرعان ما انفضوا عن الخليفة بسبب سوء سياسته تجاههم وتقلب ارائه مما ادى الى تدهور الأوضاع في بغداد وزادها سوءاً قدوم مسعود ومحاصرته لها ، فرحل الراشد عن بغداد بصحبة زنكي الى الموصل ، ودخل مسعود بغداد وخلع الراشد وباع للمقتني (٥٣٢ - ٥٥٥ / ١١٣٧ - ١١٦٠) خليفة بدلاً عنه ، وسرعان ما انحاز زنكي الى الجانب الاقوى ووجد مصلحته في مشايعة الخليفة الجديد فتخلى عن الراشد وباع للمقتني ولذلك طلب منه زنكي مغادرة الموصل ، فغادرها الى بلاد ايران وبالقرب من اصفهان اغتاله الباطنية في اواخر رمضان من سنة ٥٣٢ / ١١٣٧^(٨٤) .

بعودة العلاقات بين زنكي ومسعود الى حالتها الطبيعية فقد اصبحت علاقته بالخليفة المقتني ودية ، ساعد على ذلك السياسة المسالمة التي انتهجها الخليفة تجاه السلاجقة وقد تعمقت العلاقات الودية بين الخليفة وزنكي بعد سيطرة الاخير على اماره الرها الصليبية وتحريرها من يد الغزاة الاجانب ، وكان من نتيجة ذلك ان منحه الخليفة عدداً كبيراً من الألقاب الشرفية كألامير

الكبير ، العادل ، المؤيد ، المظفر ، المنصور^(٨٥) . لقد كان زنكي يتمتع باستقلال كبير في سياسته تجاه السلاجقة والخلافة العباسية . وكان لهذه السياسة اثرها المبالغ على الاحداث التي دارت في العراق وعموم المنطقة . وبعد مقتل عماد الدين تولى ابنه سيف الدين غازي ادارة الموصل ، وكانت علاقة هذا الامير بالسلاجقة جيدة لأنه ترقى في بلاط السلطان مسعود وبالتالي كانت علاقته ببغداد ودية .

وفي عهد قطب الدين مودود (٥٤٤ - ٥٦٥ / ١١٤٩ - ١١٦٩) لعبت الموصل دوراً مهماً في الصراع على السلطة بين السلاجقة والخلافة العباسية ، وقد تدهورت العلاقات بين قطب الدين مودود والخليفة المقتني ، فقد خرج قطب الدين عن طاعة الخليفة عندما اتفق مع السلطان محمد ضد سليمان شاه الذي حظي بتأييد الخليفة له واعترافه به في سنة ٥٥١ / ١١٥٦ سلطاناً^(٨٦) ، وقام الخليفة بقصد اعمال الموصل فهاجم (دوقا) وحاصرها الا انه اضطر الى رفع الحصار عندما بلغه مسير عسكر الموصل نحوه لقتاله في سنة ٥٥٢ / ١١٥٧^(٨٧) وقد شاركت جيوش الموصل مع جيش محمد في حصار بغداد إلا أن الدفاع المجيد الذي أبداه الخليفة واهل بغداد أفشل الحصار وجعل الحلفاء يختلفون وينسحبون عن بغداد وبالتالي فشلت محاولة ارغام الخليفة على تعيين محمد سلطاناً على السلاجقة^(٨٨) . ولهذا فقد بارك الخليفة المستضيئ (٥٦٦ - ٥٧٥ / ١١٧٠ - ١١٧٩) قدوم نور الدين محمود وحصاره للموصل وارسل له خلعاً وصلته قبل دخوله البلد^(٨٩) .

وعند ظهور صلاح الدين في بلاد الشام ومحاولته ضم الموصل الى الجبهة التي حاول تشكيلها ضد الصليبيين ، فان محاولته هذه أفلقت الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ / ١١٧٩ - ١٢٢٥) الذي كان يرى في صلاح الدين قوة قد

تفرض نفسها عليه وبالتالي يصبح اسيراً لها كما كان اسلافه اسرى البويهيين والسلاجقة ولهذا فان الخليفة يسارع الى التوسط بين صاحب الموصل عز الدين مسعود وصلاح الدين لاقرار الصلح وحقن دماء المسلمين تلبية لنداء حاكم الموصل في سنة ٥٧٨ / ١١٨٢^(٩٠) ولكن الخليفة اقدم سنة ٥٧٩ / ١١٨٣ الى مهاجمة دقوقا التابعة للموصل وضمها الى املاكه مستغلاً اضطراب احوال الموصل بعد القبض على نائب الانابك^(٩١) قائما بماز. ثم تعود العلاقات الودية بين الخليفة والانابكة ، ففي سنة ٦٠٦ / ١٢٠٩ ارسل كل من نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين كوكبوري - صاحب اربل الى الخليفة الناصر يلتمسان منه التدخل في اقرار الصلح بينها وبين الملك العادل الايوبي الذي كان يحاصر سنجار فأرسل الخليفة وفداً الى العادل ابلاغه رغبة الخليفة في اقرار الصلح حقناً لدماء المسلمين فاستجاب العادل لنداء الخليفة ورحل عن سنجار^(٩٢) .

وفي سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ ارسل الخليفة الخلع والتقليد للملك القاهرة في حكم الموصل وذلك بناءً على طلب بدر الدين لؤلؤ^(٩٣) . وبعد وفاة القاهرة سنة ٦١٥ / ١٢١٨ وصل التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه الثاني بالولاية ولبدر الدين بالنظر في امور دولته مع التشریفات لها^(٩٤) .

وقد حاول بدر الدين ادامة صلاته بالخلافة ، فأرسل سنة ٦٣٣ / ١٢٣٦ ابنه ركن الدين اسماعيل الى بغداد فاستقبل استقبالاً رسمياً حافلاً وخلع عليه وعلى الامراء المصاحبين له ، وقام بزيارة اخته زوجة الدويدار الكبير حيث اقيمت له دعوة خاصة وتفقد في هذه الزيارة العديد من الربط والمدارس منها المدرسة المستنصرية حيث حضر بعض دروسها ، وقد دامت زيارته لبغداد قرابة الشهر^(٩٥) .

وفي سنة ٦٤٠ / ١٢٤٢ وصل ركن الدين بمناسبة وفاة الخليفة المستنصر بالله الى بغداد فخرج الى لقائه الامراء وعارض الجيش فسلموا عليه فدخل بغداد وعليه ثياب الغزاء وقَبِلَ العتبه بباب النوبي ، ودخل دار الوزارة فخدم وعزى وهنا ثم خرج ومضى الى دار سكن بدر صالحي^(٩٦) . وبعد اسبوع من وصوله جاء من بدر الدين رسول ومعه تعزية وتهنئة وثوبان اطلس والف دينار برسم الغاسل^(٩٧) .

كما كان حريصاً على الاهتمام بالقوة وبجوانبها الاحتفالية من رمي الطيور بالبندق ولبس سراويل الفتوة مراعاة لموقف الخلفاء العباسيين من الفتوة والاهتمام بنشرها بين الناس^(٩٨) . وهكذا أهتبل بدر الدين لؤلؤ كل فرصة لتعزيز علاقته ومكانته في البلاط العباسي مظهراً تبعيه وتعلقاً زائفاً . كل ذلك تغطيه لعماته للمغول وسيره في ركابهم حفاظاً على حكمه وسلطته ونفوذه لا غير .

ب- علاقته بالامارات الاسلامية

شهد القرن السادس الهجري في اقليم الموصل وشمالي الشام والجزيرة ظهور امراء شبه مستقلين لا تتعدى سلطة الواحد منهم المدينة الواحدة مع اراضي محدودة ، وكانوا عرضة للتبدل والتغير بين حين وآخر ، اذا ما ظهر أمير قوي يستطيع ان يكتسبهم ، لهذا لم تشهد هذه المدن حكماً وراثياً مستقراً طويل المدى . وقد وجد زنكي الفرصة سانحة امامه للتوسع على حساب هذه المدن وتكوين امارة قوية واسعة .

فما أن أصبح زنكي اتابكاً لاولاد السلطان محمود حتى سيطر على البواريج عند مصب الزاب الاسفل^(٩٩) ثم توجه بعد ذلك الى جزيرة ابن عمر واستولى عليها ثم الى نصيبين فضمها الى ممتلكاته . وفي سنة ٥٢٢ / ١١٢٨ استولى على حلب ذات الموقع السوقي الممتاز في شمال بلاد الشام لخصانها

من ناحية وامكانياتها الاقتصادية ووقوعها على خطوط المواصلات بين العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى من جهة ثانية ، واصبحت قاعدة عسكرية رئيسة لا يمكن بدونها التحكم في الجهات الشمالية والوسطى من بلاد الشام^(١٠٠) واتخذ من حلب قاعدة انطلاق للسيطرة على المدن والولايات القريبة منها. ففي سنة ١١٢٩/٥٢٣ استولى على حماة^(١٠١) ثم مدّ نفوذه الى سنجار والخابور وحران^(١٠٢). وفي سنة ١١٣٣/٥٢٦ تسلم مدينة اربل^(١٠٣). ثم استولى على دقوقا وشهرزور والحديثة وعانه^(١٠٤)، وعند محاصرته لقلعة جعبر سنة ١١٤٦/٥٤١ قتل تحت اسوارها .

بقيت امام زنكي امارات محلية في ديار بكر كان عليه ان يستولي عليها حتى تتوحد المنطقة تحت قيادته .

فقام بالهجوم على ديار بكر عام ١١٢٩/٥٢٣ وكانت نصيبين التابعة للارائقة هدفه الاول واستطاع أن يتسلمها بعد حصار قصير وبعد ذلك سيطر على حصون عديدة كانت تابعة للارائقة^(١٠٦).

كما توسع عماد الدين في المناطق الشمالية من الموصل فاستولى على عقر الحميدية والقلاع المجاورة لها سنة ١١٣٣/٥٢٧ وحصل بذلك على موطىء قدم للتوغل في المناطق الجبلية واعاد الهدوء الى المناطق المضطربة في شمالي الخابور حيث سيطر على قلعة آشب المعقل الرئيس للاكراد الهكارية وبذلك انتهى الفوضى التي كانت تعيشها هذه المنطقة ، كما توسع في المناطق المجاورة لجزيرة ابن عمر فسيطر على منطقة كواشي سنة ١١٤٣/٥٣٧ كما توسع في مناطق الزوزن المتاخمة لاذريجان وارمينيا وضمها الى املاكه^(١٠٧).

ظلت اماره دمشق غصة في حلق زنكي لانه لم يستطيع الاستيلاء عليها وبدونها لاتم السيطرة على بلاد الشام ، حاول زنكي اضعافها عن طريق

الاستيلاء على المدن التابعة لها كعبلبك وحمص وحماة وبانياس والمجدل^(١٠٨). وفي سنة ١١٤٠/٥٣٤ حاصر زنكي دمشق وكان مصراً على الاستيلاء عليها ، فما كان من حكامها الا واتصلوا بالفرنج وتحالفوا معهم ضد زنكي ، وقد رجب ملك بيت المقدس ثولك بتقديم المساعدة خوفاً من توسع زنكي وتهديده للوجود الصليبي في بلاد الشام. وقد تحرك الصليبيون في بيت المقدس باتجاه الشمال مهددين زنكي واملاكه مما أدى به الى الانسحاب عن دمشق ، وقد حصل الفرنج من حكام دمشق على مبالغ كبيرة من المال وعلى قلعة بانياس ثمناً لمساعدتهم ضد زنكي^(١٠٩). وهكذا تخلصت دمشق من اخطر وآخر محاولة جدية من زنكي للاستيلاء عليها وضمها الى الجبهة الاسلامية التي سعى جاهداً الى تحقيقها .

بعد وفاة زنكي وانقسام امارته بين ولديه سيف الدين غازي. ومركز امارته الموصل ، ونور الدين محمود ، ومركز ولايته حلب ، اصبحت مشكلة السيطرة على دمشق من مشاكل نور الدين . صار نهر الخابور هو الحد الفاصل بين ممتلكات اتابكة حلب واتابكة الموصل ، وكان امراً طبيعياً ان تقوم علاقات ودية بين الامارتين بحكم روابط الاسرة الواحدة التي تحكم في البلدين وكانت حلب بالنسبة للموصل والجزيرة هي صمام امان ، فاي خطر تعرض له حلب تترتب عليه نتائج خطيرة على منطقة الموصل والجزيرة. ولهذا قامت صلات من التعاون والتآزر بين الاتابكتين .

كانت الموصل دوماً على استعداد لد يد العون لبلاد الشام ، فعندما تعرضت دمشق سنة ١١٤٨/٥٤٣ لمهاجمة الصليبيين ارسل حاكمها طالباً النجدة من سيف الدين غازي الذي لم يتوان عن السير على رأس جيشه الى دمشق وبصحبته اخوه نور الدين لانقاذها من يد المهاجمين ، وقد

انسحب الصليبيون نتيجة ذلك،^(١١٠) واستطاعت قوات سيف الدين ونور الدين من انتزاع حصن القُرَيْمَة من الفرنج واسر حاكمه وامه واخذهما الى حلب وعاد سيف الدين الى الموصل بعد أن ادى واجباً مقدساً^(١١١).

كما سارع سيف الدين الى انجاد اخيه نور الدين عندما تعرضت حلب الى مهاجمة الصليبيين سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ ، وكانت النتيجة هزيمة ساحقة للصليبيين وقتل في المعركة حاكم انطاكية الصليبي ، وقد عادت جيوش الموصل الى قواعدها بعد أن أدت واجبها في الدفاع عن حلب والمشاركة في الجهاد^(١١٢) وعند مجيئ قطب الدين مودود سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ الى الحكم حدثت أزمة حول مدينة سنجار التي اصبحت لنور الدين الذي أراد التدخل في شؤون اخيه الاصغر حاكم الموصل وتهديد املاكه وكادت ان تشب الحرب بين الطرفين لولا مسارعة قطب الدين الى التنازل عن حمص والرحبة والرقعة مقابل سنجار الى اخيه نور الدين وتم الاتفاق على ذلك.^(١١٣) وبذلك عاد الوثام بين الأخوين وعاد التعاون بين الموصل وحلب كما كان عليه الحال سابقاً.

وأزدادت العلاقات وثوقاً عام ٥٥٣ / ١١٥٨ عندما عرض لنور الدين مرض خطير اوشك به على الهلاك عند ذلك اوصى بالولاية من بعده لاختيه قطب الدين مودود صاحب الموصل. لما عُرِفَ عنه من عقل وسداد ودين،^(١١٤) إلا أن نور الدين ابل من مرضه وبقيت علاقته جيدة بأخيه حتى انه اقطع حران الى زين الدين نائب اخيه قطب الدين وفوض اليه تدبيرها بعد ان انتزعها من اخيه نصرة الدين امير اميران لمحاولة هذا الاستيلاء على حلب اثناء مرضه^(١١٥) ، واستمر هذا التعاون خاصة في محاربة الصليبيين، كما سرى، والى نهاية حياة قطب الدين مودود سنة ٥٦٥ / ١١٧٠ .

وبعد وفاة قطب الدين جاء ابنه الاصغر سيف الدين غازي الثاني الى الحكم ، وقد اغضب هذا الاجراء اخاه الاكبر عماد الدين زنكي الذي كان يرى انه احق بالحكم لانه كبير الاسرة ، وقد سار مستنجداً بعمه نور الدين الذي لم يتردد في اغتنام هذه الفرصة للاستيلاء على الموصل ، فبدأ بالرقعة ثم اتجه نحو منطقة الخابور واستولى عليها ثم حاصر سنجار واحتلها وسلمها الى عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل^(١١٦) ، ودخلها في ١٣ جمادى الأولى من سنة ٥٦٦ / ١١٧٠ وأقر سيف الدين على الموصل وجزيرة ابن عمر وولى مملوكه سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في القلعة (دزدار القلعة).^(١١٧) وبذلك اصبحت الموصل تابعة لنور الدين وصُربت السكة باسمه.^(١١٨)

ج - علاقات الأتابكة بالأيوبيين :

ترك موت نور الدين فراغاً كبيراً في بلاد الشام ، وقد اختلف امرؤه من بعده فبعضهم سيطر على حلب ونصب الملك الصالح ابن نور الدين عليها ، وامراء دمشق تباينت مواقفهم فعزموا على استدعاء صاحب الموصل الأتابكي ليسلموه البلد ، وقد خاف سيف الدين غازي ان تكون هذه الدعوة مكيدة ضده ولهذا لم يستجب لدعوتهم فانصلوا بصلاح الدين الأيوبي وسلموه دمشق ، ويقدم صلاح الدين الى بلاد الشام تغيرت اوضاع المنطقة ، فقد اخذ بتوسيع دائرة حكمه وتوحيدها بوجه الصليبيين وسرعان ما ضم حمص وحماه ثم بعلبك الى حكمه.^(١١٩)

وامام تهديدات صلاح الدين استنجد الملك الصالح بابن عمه حاكم الموصل الذي أنجده بجيشه إلا أن نتيجة المعركة كانت خسارة فادحة لأن بذور الشقاق والخلاف كانت قوية بين المتصارعين على السلطة من البيت الاتابكي اي

بين حكام الموصل وسنجار وحلب^(١٢٠) وبعد هذا أصبح الطريق ممهداً أمام صلاح الدين للسيطرة على حلب.

كانت سياسة سيف الدين غازي تجاه الاحداث في بلاد الشام عقيدة وادخل الموصل في صراعات جانبية لم تحقق له اي مكسب او نجاح ، كما ان مواقفه من ابن عمه صاحب حلب كانت غير واضحة ومتخاذلة . وفي آخر حكمه جعل الحكم من بعده لأخيه عز الدين مسعود واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجرشاه وقلعة الحميدية لولده الآخر ناصر الدين ، وجعل مجاهد الدين قماز - نائبه - المدبر لأمورهم .^(١٢١) وبذلك ساهم في تفكيك وتجزئة امارته . وهذا اجراء كان على جانب كبير من الخطورة خاصة ان صلاح الدين كان يطمح في اضعاف الأتابكة حتى يتسنى له تحقيق هدفه في تكوين اماره موحدة وقوية تشكل اماره الأتابكة جزءاً مهماً منها .

وتظهر نيات صلاح الدين تجاه الأتابكة بشكل جلي في اجابته عن الرسالة التي ارسلها قماز اليه بعد تسلم عز الدين مسعود الحكم في الموصل والتي يطلب فيها ان يقر صلاح الدين الصلح على ما كان عليه في عهد سيف الدين "ويبقى عليه الجزيرة وما بيده من حران والرها والرقه والخابور ونصيبين وقاطع الفرات" فأجاب صلاح على هذا الطلب قائلاً "اما ما خلف عليه من بلاد الموصل فهو باقٍ على حاله واما ما ذكره من بلاد الجزيرة فانما كانت بيده ويشفاعة الخليفة على شرط ان يقوي ثغور المسلمين بالمال والعساكر . اما الآن فالخليفة قد فوض امرها الي لا اقل فيها الا ما اراه من المصلحة ."^(١٢٢) وهذا توضيح لاهداف صلاح الدين الأيوبي في تقليص املاك اتابكة الموصل في بلاد الشام والجزيرة .

وحدث تطور خطير آخر في سنة ٥٧٧ / ١١٨١ عند وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في

حلب ، فقد أوصى امراءه بتسليم حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل واستحلفهم على ذلك .^(١٢٣) ولم يتردد عز الدين في اغتنام هذه الفرصة لاقفاف تطلعات صلاح الدين من جهة وتوسيع دائرة نفوذه وحكمه من جهة ثانية ، ولهذا أسرع بالسير وبصحبته مجاهد الدين قماز الى حلب ليسبق صلاح الدين اليها . وصل عز الدين الى حلب واستقبل هناك بترحيب لم يكن في الحسبان وطفعت على البلاد موجة من الولاء والتعلق بأل زنكي شملت الجزيرة وشمالي الشام وحتى دمشق^(١٢٤) حتى ان بعض امراء حلب اشار عليه باستغلال هيجان هذه العواطف ومهاجمة دمشق واطعموه ببلاد الشام واستغلال محبة اهلها للبيت الاتابكي ، فابى عز الدين ذلك متمسكاً بالعين التي كانت بينه وبين صلاح الدين في سنة ٥٧٢ / ١١٧٧ وقال "بيننا يحين فلا نغدر به" .^(١٢٥)

ولكن حدث تطور آخر أضعف أتابكة الموصل ، فقد كان عماد الدين صاحب سنجار يطمع بان تؤول اليه حلب بعد وفاة الملك الصالح ، ولهذا استاء من انضوائها الى الموصل لهذا أخذ يتوسل بكل الطرق لتحقيق هدفه فطلب من أخيه عز الدين مسعود اعطاءه حلب مقابل سنجار ولكن طلبه رُفُضَ عند ذلك لجأ الى التهديد بتسليم سنجار الى صلاح الدين اذا لم يتنازل مسعود له عن حلب ، وهكذا اضعف الأتابكة انفسهم بخلافاتهم الشخصية وقصر نظرهم وعدم تأزهم ، وأضطر مسعود الى الموافقة وسلم حلب الى اخيه مقابل سنجار .^(١٢٦) ويبدو ان الهدف الأساس الذي ترواه مسعود من ذلك هو محاولة التقرب من أخيه وضمه الى صفه من اجل ابعاد صلاح الدين عن التدخل في شؤون الأتابكة ، لان علاقة صلاح الدين كانت جيدة بعماد الدين . الا ان ما حدث اضعف الأتابكة وزعزع وجودهم في بلاد الشام حتى أن صلاح الدين "كان بمصر قد بلغه

مُلك عز الدين حلب فعظم الأمر عليه وخاف أن يسير منها إلى دمشق وغيرها وملك الجميع وأيس من حلب ، فلما بلغه خبر مُلك عماد الدين لها برز من يومه وسار إلى الشام^(١٢٣) أي أن الأمر كان عليه وذلك لمعرفته بعماد الدين الذي أكلت الغيرة قلبه ، ومدى ضعفه وعدم قدرته على استيعاب ما يحدث وذلك لقصر نظره وعجزه السياسي .

بوصول صلاح الدين إلى الشام بدأت صفحة جديدة من العلاقة بينه وبين الأتابكية فقد وجد الفرصة سانحة لأن يضم حلب لتشكيل الجبهة التي كان يحلم بها منذ وقت ليس بالقصير . كما أنها بوقوعها تحت سيطرة عماد الدين أصبح أمرها هيناً ، إلا أنه أجل أمر الاستيلاء عليها إلى فرصة أخرى . فقد حاول أن يقوي مركزه فطلب من أخيه تقي الدين صاحب حماة وإلى نوابه بالشام بأنهم بالاستعداد والتأهب للقتال ، ومهد لتدخله في أحداث الشام والموصل بالكتابة إلى الخليفة الناصر لدين الله موضحاً سوء الأحوال في هذه المناطق ويقول في رسالته " بأن جماعة الأتابكية يسعون في تفريق الكلمة ويستنهضون الفرنج لقتال المسلمين ويستعينون علينا بالأسماعيلية^(١٢٤) " .

وسار باتجاه الموصل ونزل عليها بعد أن انضم إليه عدد من الأمراء كمظفر الدين كوكبوري صاحب حران آنذاك ، وكان معادياً للأتابكية لانهم ابعده عن حكم أربل^(١٢٥) وفي الحادي عشر من رجب سنة ١١٨٢ / ٥٧٨ ضرب الحصار على الموصل^(١٢٦) . وقد أنهز صلاح الدين من حصانة المدينة وكثرة المدافعين عنها ، كما أن مجاهد الدين قبايز حفظ البلد بأحسن تدبير وأستنجد بالخليفة وأرسل رسالة مع ابن شداد الذي يقول عن هذه المهمة " فسيرت رسولاً إلى بغداد قبيل نزوله - صلاح الدين - بأيام قلائل فسرت مسرعاً في الدجلة وأتيت بغداد في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستنجداً بهم فلم يحصل منهم سوى الانفاذ

إلى شيخ الشيوخ وكان في صحبة صلاح الدين رسولاً من جانبهم يأمرونه بالحديث معه ويتلطف الحال معه^(١٢٧) .

الآن صلاح الدين وجد صعوبة في الاستمرار بالحصار لأن جيش الموصل أبدى مقاومة بأسلة فلما نصب منجنيقاً لرمي المدينة نصب جيش الموصل تسعة مجانيق اخذت ترمي جيش صلاح الدين^(١٢٨) . عند ذلك رفع الحصار عنها في بداية شعبان من السنة نفسها ثم حاصر سنجار وأخذها عنوةً في بداية رمضان^(١٢٩) .

وقد وجد صلاح الدين خير طريقة لاضعاف حكام الموصل هي السيطرة على بقية الحصون التابعة لهم في الجزيرة فاستولى على حصن آمد في العشرة الأولى من محرم سنة ١١٨٣ / ٥٧٩ ثم عبر الفرات قاصداً مدينة حلب فاستولى في طريقه إليها على تل خالد وعين تاب وهما من أعمال حلب وبذلك ضيق الخناق على حلب وأصبح الطريق أمامه مفتوحاً للاستيلاء عليها ، وفي نفس الشهر حاصرها فاضطرب عماد الدين زنكي الذي كانت تعزوه شجاعة أخيه عز الدين مسعود ودعائه السياسي ، وسرعان ما وصل إلى نتيجة أنه لا يستطيع المقاومة وآثر أن يتقرب من صلاح الدين ويقاوضه في التنازل عن حلب مقابل سنجار فوافق صلاح الدين وتم التبادل^(١٣٠) . وبذلك عاد عماد الدين مرة أخرى إلى حكم سنجار وكأنه لم يفعل شيئاً سوى أنه اخذ حلب بالتهديد والمراوغة من أخيه ثم سلمها دون قتال إلى صلاح الدين^(١٣١) .

وباستيلاء صلاح الدين على حلب إتحدت الشام وغرب الجزيرة مع مصر وبذلك زادت قوته واتسعت رقعة نفوذه . على العكس من الأتابكة الذين بدأت امارات الضعف تظهر عليهم بعد خسارتهم لحلب ، خاصة وأن الخلافات الداخلية تعمقت بين قبايز ومسعود مما جعل الأخير يلقي القبض على نائبه مما أدى إلى عصيان الولايات التي

كان يديرها هذا النائب وهي شهرزور وأربل ودقوقا والعقروخسر بعضها بصورة نهائية. (١٣٦) وهذا دفع صلاح الدين الى معاودة حصار الموصل مرة اخرى ، وكانت المفاوضات لازالت قائمة بينه وبين وفد الموصل حول الصلح وانضم الى المفاوضات رسول الخليفة الناصر لدين الله ، ولكن المفاوضات لم تسفر عن شيء . واخذ صلاح الدين بالتقدم باتجاه الموصل في سنة ١١٨٥/٥٨١ ، وقد أدرك مسعود خطاه فاطلق سراح قبايز (١٣٧) الذي ادرك مآلت الى احوال الامارة من ضعف وتدهور فاتفق مع مسعود على الاستعانة ببعض القوى المجاورة لصد صلاح الدين ولكن النجيدات التي جاءت من اذربيجان لم تستطع أن تقدم عوناً يذكر. (١٣٨) إستمر صلاح الدين في تقدمه الى بلد من شمالي الموصل وارسل الى الخليفة لابلأغه بعزمه على قصد الموصل والأسباب التي دفعته الى ذلك وضرب في رسالته على وتر حساس بالنسبة للخليفة فقد ذكر في رسالته ان حكام الموصل يخطبون لطغرل السلجوقي وينقشون اسمه على السكة وانهم يرأسلون الصليبيين ويحرضونهم على مهاجمة البلاد الإسلامية ، وانه لم يأت طمعاً في زيادة املاكه ولا للقضاء على البيت الأتابكي وانما قصده رد حكام الموصل الى طاعة الخليفة ونصرة الاسلام. (١٣٩) وبهذه الصورة اراد صلاح الدين اثارة الخليفة ضد حكام الموصل وذلك بسبب سوء علاقة الخلافة بالسلطان السلجوقي طغرل ، كما أراد صلاح الدين تقديم نفسه بصفته محامياً ومدافعاً عن الاسلام . وقد حاول مسعود أن يتوصل الى اتفاق مع صلاح الدين فأرسل اليه وقدماً مكوناً من والدته وابنه نور الدين وعدد من النساء الأتابكيات وجعاعة من اعيان البلد لطلب الصلح والكف عن محاصرة الموصل ، قال صلاح الدين الى اجابة هذا الوفد الا أن بعض الامراء حذروه من الاجابة الى الصلح على اعتبار ان الموصل اعظم من

أن "ترك لامرأة" أي لوساطة امرأة. (١٤٠) فردهن خائبات. (١٤١)

وكان للمجهود الكبير الذي بذله اهل الموصل في الدفاع عن مدينتهم وقيام قبايز بمجهود محمود في تنظيم هذا الدفاع اثره الكبير في اطالة أمد الحصار (١٤٢) . وللمرة الثانية يضطر صلاح الدين الى رفع الحصار في نهاية ربيع الثاني من سنة ١١٨٥/٥٨١ ويتوجه الى خلاط وميا فارقين ليتسلحهما ويقطعها الى احد ممالكه. (١٤٣) وبعد أن انجز صلاح الدين هذه المهمة عاد الى حصار الموصل فقتل في كفر زمار في شعبان من السنة نفسها فتددت الرسل بينه وبين عز الدين مسعود طلباً للصلح وحسماً للخلاف وقد مرض صلاح الدين مرضاً شديداً أدى به الى الأنسحاب الى حران ، وهناك ابل من مرضه ولحقته رسل الموصل المكونة من بهاء الدين الريب والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي قوَّض اليه أمر التوقيع على الصلح وتحليف صلاح الدين لعز الدين مسعود . وقد تم الصلح وتسلم صلاح الدين بموجبه بلاد شهرزور واعمالها وولاية القرايبي وجميع ما وراء الزاب من الأعمال وخطب له في جميع بلاد الموصل وانقطعت خطبة السلاطين السلاجقة وضربت السكة باسمه. (١٤٤)

وترتب على هذه الاتفاقات نتائج سياسية هامة اذ توحدت الموصل مع بلاد الشام ومصر واصبح أتابكها واحداً من نواب صلاح الدين . وبذلك كون صلاح الدين اماره كبيرة تشمل شمال العراق والحزيرة والشام ومصر وبدأت تهدد الصليبيين في عقر دارهم . ولكن هذه الامارة الواسعة الموحدة لم تدم طويلاً فقد توفي صلاح الدين عام ٥٨٩ / ١١٩٤ وقبيل وفاته قسم البلاد بين اخوته وأولاده الكثيرين فتجزأت امارته الكبيرة الى امارات متنازعة فيما بينها (١٤٥) ، وقد حفزت هذه الاوضاع طموحات عز الدين مسعود صاحب

سنوات، اما ولده الاصغر عماد الدين زنكي فقد خصه بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش، وأن يتولى امر دولة القاهرة مملوكه بدر الدين لؤلؤ^(١٥١). وبوفاة نور الدين لم تعد الأتابكية الموصل تشكل أي خطر على ممتلكات الملك العادل الأيوبي. ولهذا ساد الهدوء والعلاقات الودية بين الطرفين في فترة حكم القاهرة التي دامت ثمان سنوات وعندما توفي سنة ١٢١٨/٦١٥ طالب اخوه عماد الدين زنكي صاحب عقر الحميدية بأحقية بوراثه حكم الأتابكة، الا ان بدر الدين لم يوافق على ذلك لأنه ليس من مصلحته ان يتولى الحكم رجل حازم فوقف في وجه عماد الدين وعمل على إبعاده عن الموصل لينفرد بالسلطة^(١٥٢).

وقد تحالف عماد الدين زنكي مع مظفر الدين كوكبورى، وقد رد بدر الدين لؤلؤ على هذا التحالف بالاتصال بالأيوبيين ودخل في طاعتهم وأعلن عن تبعيته لهم، وبخاصة بعد ان سيطر عماد الدين على العادية ويسبب عدم قدرته على استرجاعها سقطت بقية قلاع الهكارية والزوزن والتي كانت تابعة للموصل بيد عماد الدين وقبض على نواب بدر الدين فيها وعين نواباً عنه في تلك القلاع^(١٥٣).

ولما أحسَّ بدر الدين بضعفه امام هذا التحالف الذي بات يشكل خطراً على حكمه لجأ الى طلب العون والمساعدة من الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي وعرض عليه الدخول في طاعته والالتقاء اليه فأجابه الأشرف بالقبول^(١٥٤) لأن الموصل جائزة كبيرة لمن يحصل عليها.

لم تنته مشاكل بدر الدين بتبعيته للأشرف فقد استمر مظفر الدين وعماد الدين يشنان عليه الحروب وإثارة القلاقل مستغلين سوء تصرفه مع امراء البيت الأتابكي في الموصل، وعدم ولاء اهل الموصل له. وعلى الرغم من مساندة الأشرف له ببعض الجند الا انه احتاج من الأشرف أن يأتي

الموصل فاستغل هذه الفرصة وبادر الى الاتصال بامراء الاطراف ليستعين بهم من اجل مهاجمة الولايات الأيوبية واستعادة ولاياته منهم، ولكن هؤلاء رفضوا وطلبوا منه التريث لأنهم وجدوا انه ليس من مصلحتهم ان يستعيد صاحب الموصل نفوذه وقوته، ومن الأفضل بالنسبة لهم ان يظل ضعيفاً حتى يبقى الوضع لصالحهم وكان في مقدمة هؤلاء الامراء مظفر الدين كوكبورى حاكم اربل وشهرزور. واقام مسعود بالموصل عدة اشهر يرأس هؤلاء الامراء فلم يتفق معه منهم سوى أخوه عماد الدين زنكي صاحب سنجار على قواعد استقرت بينها^(١٥٦) وخرج مسعود من الموصل متجهاً الى نصيبين ثم الرها لمحاربة الملك العادل^(١٥٧) ولكنه اصيب بمرض اضطر معه الى العودة الى الموصل حيث توفي في شعبان من سنة ١١٩٤/٥٨٩ وتخلفه على أتابكية الموصل ابنه نور الدين ارسلان شاه^(١٥٨) وفي النزاعات المتشعبة والمتكررة التي جرت بين الحكام الأيوبيين استعان بعضهم بالأتابكة الذين وجدوها فرصة لاعادة نفوذهم وسيطرتهم على ما فقدوه من نفوذ ولكن دون جدوى فالهروب كانت كثيرة ومتشابكة وليس لها نتائج نهائية كما أن التحالفات كانت وقتية وسريعة الزوال لتقلب امزجة الحكام وتبدل مصالحهم ومواقفهم وذلك لعدم وجود هدف سام يحدوهم الى تناسي خلافاتهم الصغيرة ومصالحهم الآنية^(١٥٩). ولهذا عادت المنطقة الى فرضى سياسية وعسكرية مثلاً كانت عليه في العهد السلجوقي بعد وفاة ملكشاه. الا أن الملك العادل - اخا صلاح الدين - استطاع ان يسيطر نفوذه بشكل تدريجي على معظم الاقاليم التي كان يحكمها صلاح الدين بحيث اصبحت امارته سنة ١٢٠٤/٦٠٠ تشمل مصر ودمشق وبلاد الجزيرة^(١٦٠).

توفي نور الدين سنة ١٢١١/٦٠٧ وجاء بعده ابنه القاهرة الذي كان لا يتجاوز عمره العشر

بنفسه الى الموصل حتى يقوي مركزه، ويظهر تحالفه وتعاضده معه على رؤوس الأشهاد فقدم الأشرف الى الموصل في طريقه الى سنجار، وبعد ان تسلم هذه المدينة ذات الموقع الهام منياً بذلك حكم البيت الأتابكي لها والذي دام قرابة القرن من الزمن^(١٥٥) وصل الأشرف الموصل في ١٩ جمادى الأولى من سنة ٦١٧/١٢٢٠ فخرج بدر الدين لؤلؤ لاستقباله وقد وصف ابن الأثير دخول الأشرف الموصل «بأنه يوماً مشهوداً»^(١٥٦) وسار بدر الدين بين يديه حاملاً الغاشية^(١٥٧).

وتوافدت رسل الخليفة ومظفر الدين على الموصل لحضور الصلح مع الأشرف فتعهد مظفر الدين بإعادة جميع القلاع التي استولى عليها عاد الدين زنكي الى بدر الدين ماعدا قلعة العمادية فقد أصر على إبقائها بيد زنكي، وكان ثمن هذا الاتفاق هو تنازل بدر الدين عن قلعة تل يعفر الى الملك الأشرف، ولكن لم ينفذ شيء من هذا الاتفاق فقد أظهر جند القلاع كافة باستثناء قلعة واحدة - هي قلعة جل صور - تمردهم وامتنعوا عن تسليم قلاعهم الى نواب بدر الدين^(١٥٨).

واستمرت محاولات مظفر الدين كوكبوري للنيل من بدر الدين^(١٥٩) ومن الملك الأشرف حتى انه في سنة ٦٢٣/١٢٢٦ قام بمحاولة للهجوم على ممتلكات الأشرف فقد اتفق مع جلال الدين منكوبري بن علاء الدين محمد خوارزم شاه والملك المعظم عيسى صاحب دمشق وآمد، وناصر الدين ارتق صاحب ماردين ونص الاتفاق على مهاجمة بلاد الملك الأشرف واقتسامها فيما بينهم^(١٦٠).

وضرب التحالفون الحصار على الموصل وخلاط وحمص وحماه، وقام الأشرف بمحاصرة ماردين وتخريبها، وقد انسحبت كافة الأطراف من حصارهم لهذه المناطق، ولم يحقق هذا الحلف شيئاً سوى إلحاق الدمار والخراب بأعمال الموصل وماردين^(١٦١).

وفي سنة ٦٢٧/١٢٣٠ ساعدت جيوش الموصل الملك الأشرف في تصديده لجلال الدين منكوبري واستطاع ان يستعيد خلاط من يد الخوارزميين بعد ان لحق بها الدمار والخراب^(١٦٢). استمرت العلاقات ودية بين بدر الدين والأيوبيين حتى وفاة الملك الأشرف سنة ٦٣٥/١٢٣٨ وبعد ذلك بثلاث سنوات استعاد بدر الدين سنجار ثم وسع املاكه في بلاد الجزيرة فاستولى على نصيبين ودارا وقرقيسيا، وأخيراً سيطر على جزيرة ابن عمر سنة ٦٤٨/١٢٥٠^(١٦٣). ويبدو ان بدر الدين اصبح في هذا الوقت مرهوب الجانب بسبب تبعيته الجديدة للمغول.

٣- دور الأتابكة في مقاومة الغزو الصليبي

تمكن الصليبيون وخلال فترة قصيرة من الاستيلاء على اجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة وتكوين اماراتهم الأربع: الرها وناطكية وبيت المقدس وطرابلس، والتي أصبحت تشكل خطراً كبيراً على بلاد الشام وبقية البلاد العربية المتاخمة لها. وبسبب ضعف الخلافتين العباسية والفاطمية وانشغال السلاجقة في الصراعات على السلطة فيما بينهم، ترك أمر التصدي للصليبيين الى الامارات المحلية وإلى ولاية الموصل السلاجقة. وقد صاحب عاد الدين زنكي امراء الموصل طيلة الفترة من ٥٠٥/١١١٢ وإلى ٥١٤/١١٢٠ في حروبهم ضد الصليبيين، فاكسب خبرة كبيرة في محاربتهم، وفي التعرف على خطورتهم على المنطقة. كما لعبت مواقف زنكي في هذه الجولات من الصراع ضد الصليبيين دوراً كبيراً في تحديد مستقبله السياسي، إذ كان التصدي للصليبيين هي احدى اهم الاسباب التي دعت السلطان محمود السلجوقي الى تعيينه والياً على الموصل وما يفتحه من بلاد الشام^(١٦٤).

بعد تعيينه على الموصل لم يشأ زنكي ان يصطدم بالصلبيين قبل ان يثبت مركزه في ولايته وسيطر على حلب التي كانت بيد اولاد اقسنقر البرسقي ليجعل منها مركزاً ينطلق منه الى بقية بلاد الشام وضد الصليبيين. ولهذا فإنه عقد هدنة مؤقتة مع امير الرها جوسلين^(١٦٥) وبعد ان وطد ملكه في حلب هاجم زنكي حصن الاثارب سنة ٥٢٤/١١٣٠ لأن الصليبيين فيه كانوا يلحقون الضرر بالفلاحين المسلمين في المنطقة ويقومون بغارات عليهم واستطاع ان يستولي عليه وأن يأسر معظم افراد حاميته ثم أمر بتخريبه. ثم توجه نحو حارم فحصره، فبذل اهل هذا الحصن نصف دخل بلدهم والتمسوا مهادنته فأجابهم الى ذلك وعاد الى حلب^(١٦٦).

وفي عام ٥٢٩/١١٣٥ حقق زنكي انتصارات رائعة ضد الصليبيين حيث قام بمهاجمة عدد من مواقعهم المحيطة بحلب والتي كانت تهددها باستمرار، كما انها كانت تخدم خطاً دفاعياً لحماية انطاكية من هجمات المسلمين فأستولى زنكي على الاثارب وزردنا وتل أعلي ومعره النعمان وكفر طاب^(١٦٧). وفي السنة التالية سار زنكي مع نائبه في حلب الأمير اسوار لمهاجمة اعمال اللاذقية، وتمكن من اخضاعها^(١٦٨).

انتبه الصليبيون الى خطر زنكي عليهم، ولهذا حاولوا توجيه ضربة موجعة له حتى يكف عنهم. ولهذا عندما كان عام ٥٣١/١١٣٦ منهمكاً في محاصرة حمص قاموا بمشدد جيش كبير وأسرعوا الى مباغتة زنكي للقضاء عليه، ولكنه سرعان ما علم بنبأتهم فسار للقائهم بعيداً عن حمص حتى لا يقع في شق الرحى، ورأى ان خير وسيلة يستدرج بها الصليبيين اليه وتتيح له بالوقت نفسه تولي زمام المبادرة هو ان يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعين الصليبي القريب، وما ان بدأ تقدمه باتجاه ذلك الحصن حتى تقدم اليه الصليبيون بقيادة كل من

فولك ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين وقتل وأسر عدد كبير من جند العدو وأمرائه وقادته وكان ريموند من بينهم، وقد تمكن فولك من الهرب الى حصن بعين، وقام عدد من المهاربين بطلب النجدة من البيزنطيين ومن اوربا، فجمع جيشاً كبيراً من الفرنجة والبيزنطيين وساروا لنجدة حصن بعين الذي كان في رأيهم مفتاح بقية الممتلكات الصليبية في بلاد الشام. وبعد ان عانى اهل الحصن من قلة المؤن اضطروا الى طلب الصلح وتسليم الحصن فوافق زنكي واشترط عليهم تقديم مبلغ من المال قدره خمسون الف دينار، فلم يتردد اصحاب الحصن في قبوله، والتمسوا منه اطلاق سراح أمرائهم وكبار أسراهم، فأطلقهم وتسلم الحصن^(١٦٩).

وصلت الحملة الصليبية التي يقودها الامبراطور البيزنطي (حنا كومنين) متأخرة فقد سقط الحصن بيد زنكي، فأراد الصليبيون الاستيلاء على بعض المواقع الاسلامية، وقد طالب الامبراطور البيزنطي بإعادة انطاكية اليه، فوافق صاحبها شريطة أن يعرض بأمانة جديدة تضم حلب وشيز وجها، وكتأكيد على هذا الاتفاق أعلن ريموند حاكم انطاكية تبعيته للامبراطور وأقسم بمين الولاء له بعد حصوله على موافقة فولك ملك بيت المقدس^(١٧٠).

تقدم الامبراطور يصحبه امير الرها وانطاكية ويدأوا بمهاجمة حصن بزاعة القريب من حلب وتمكنوا من الاستيلاء عليه، وفر بعض أهله الى حلب واندزروا أهلها بالخطر القريب منها، فقام نائب زنكي في حلب بالتحرز واقامة التحصينات الدفاعية وارسلوا الى زنكي يطلبون منه نجدة مستعجلة فأمدهم بقوة من الفرسان كان لها اثر بالغ في رفع المعنويات، وعند المتحالفين حلب فرضوا الحصار عليها وقد أدركوا من الوهلة الاولى

المناطق القريبة من ماردين كجملين والموزر وتل موزن وغيرها من حصون اقليم شبختان - وهو احد اقاليم ديار بكر - عند منابع نهر الخابور - وكان هدفه قطع الاتصال بين قرا أرسلان الارتقي امير حصن كيفا وبين جوسلين امير الرها بسبب تحالفها ضده. (١٧٣) وبالوقت نفسه اضعاف اماره الرها وتقليص ممتلكاتها.

كانت الرها على جانب كبير من الأهمية فهي قاعدة لأولى الامارات الصليبية تأسيساً، ثم لقرىها من العراق ولقوة تحصيناتها، وكانت عين البلاد الجزرية واصبحت غارات فرسانها تبلغ آمد وماردين ونصيبين ورأس عين والرقه، اما حران فقد كانت دائماً تحت رحمتهم، يضاف الى ذلك ان هذه الامارة تشكل عائقاً يحول دون قيام زنكي بتوحيد منطقة الجزيرة وشمالى الشام بسبب تدخلها المستعمر لصالح اعدائه من امراء المسلمين في المنطقة وتهديدها الدائم لخطوط المواصلات التي تربط بين الموصل وحلب وبين بلاد ايران وسلاجقة اسيا الصغرى من جهة اخرى. (١٧٤)

كانت الظروف ملائمة لزنكي لفتح الرها فقد انتهى الحلف القائم بين الصليبيين والبنزنطين وحل محله عداة شديدة وحروب مستمرة، وأخيراً جاءت وفاة الأمبراطور (حناكومنين) لكي تخلص زنكي من خطر عدو لدود. يضاف الى ذلك ان حاكم الرها جوسلين كان على خلاف مع حاكم انطاكية ريموند حول امور كثيرة. وقد استغل زنكي خروج جوسلين من الرها على رأس قواته لمساعدة حليفه قرا أرسلان الذي سبق لزنكي ان هاجمه، فقام مع ياغي سيان بمحاصرة الرها. وبذل لأهلها الامان ان سلموها الا أنهم أبوا فاشتد زنكي في محاصرتها والتضييق عليها مستخدماً آلات الحصار الضخمة التي جلبها معه لتدمير اسوار المدينة الحصينة قبل ان تتاح الفرصة لتجمع القوات الصليبية لاقاذا هذا الموقع المهم. ارسل جوسلين طالباً النجدة من كافة

حصانها وقوة دفاعاتها وقدرتها على المطالبة، وقام أهل حلب بشن الغارات المباشرة على معسكر الأعداء ادخلت الرعب في قلوبهم، فأثروا الانسحاب، وفي انسحابهم تسلموا حصن الاثارب الذي خاف من فيه فاحرقوا خزائن القلعة وانسحبوا فاستولى عليه الصليبيون كما استولوا على معرة النعمان، ثم فرضوا الحصار على شيزر - وكان الأمبراطور يقوم بمعظم العمليات الحربية بينما كان جوسلين وريموند يقضون وقتهم باللعب بالزرد ومنشغلين بملذاتهم، وقد دبّت الخلافات بين المتحالفين ولم يعد احد منهم يثق بالآخر. كما ان زنكي اخذ يقوي نفسه ويطلب النجدة من السلطان السلجوقي ومن الخليفة، وقد تحركت قوات دمشق لانجاده، كما ان المقاومة العنيفة التي ابداهها اهل شيزر جعلت الانسحاب امراً محتملاً. وفي التاسع من رمضان سنة ٥٣٢/١١٣٨ انسحب الامبراطور عن شيزر بعد ان عرض عليه أميرها مبلغاً من المال وهدايا قيمة وضريبة سنوية كرمز لتبعية، وبعد الانسحاب انقضّ زنكي على آلائهم الحربية الثقيلة ومجانيقهم الضخمة فاستولى عليها ورفعها الى قلعة حلب. (١٧١)

وكان من ابرز النتائج التي اسفرت عن هذه الحملة الفاشلة هو تدهور العلاقات بين البنزنطين والصليبيين، وعدم استطاعتهم القيام بعمل مشترك ضد نشاط زنكي المتنامي في المنطقة ولسنين عديدة.

واستطاعت قوات الموصل بقيادة زنكي بعد ذلك من استعادة كفر طاب وعرة الذي اسر من فيه وخربته ثم براعة وقتل معظم من فيه من قوات الصليبيين والروم ثم حاصر الاثارب وتمكن منه عام ٥٣٣/١١٣٩ (١٧٢). أستأنف زنكي نشاطه ضد الصليبيين بشكل واضح عام ٥٣٨/١١٤٤ حيث استغل مركزه القوي في ديار بكر لمهاجمة عدد من الحصون الصليبية العائدة لامارة الرها والمنتشرة في

ومقاومتهم وجهادهم وتقليص نفوذهم. وبذلك ابتعدت الموصل ولفترة من الزمن عن مساهمتها الفاعلة في مجاهدة الصليبيين.

وعلى الرغم من ان الرها كانت تقع ضمن املك سيف الدين، الا ان نور الدين بعد ان قضى على مؤامرة قام بها الارمن لاعادة المدينة الى سيطرة جوسلين اصبحت الرها من املكه وسكت سيف الدين على هذا التجاوز.^(١٧٨)

وقد تعاون الاخوان بشكل واضح في الجهاد ضد الصليبيين وكان اول عمل تجلى فيه هذا التعاون هو اشتراكهما في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين عندما حاصروها سنة ١١٤٨/٥٤٣ حيث اجتمع الوافدون منهم في الحملة الصليبية الثانية بزعامة ملك المانيا وملك فرنسا وغيرهم وهددوا دمشق، مما أدى بمعين الدين اتر ان يستنجد بسيف الدين غازي الذي لم يتردد في نصرة دمشق فبادر بالخروج وعبر الفرات على رأس جيش كبير واستصحب معه اخاه نور الدين^(١٧٩).

كان سيف الدين يعرف نيات اتر وسياسته المتتوية وانه محالف للصليبيين فيما مضى، لهذا طلب منه ان يكون هناك نائب عن الاتابكة في دمشق حتى يستطيع ان يطمئن على نفسه وجنده خوفاً من الوقوع بين شقي الرحا اذا ما غير اتر موقفه وتحالف مجدداً مع الصليبيين، مؤكداً له انه سيرحل عن دمشق حالما ينسحب الصليبيون عنها. كان معين الدين اتر يعرف مدى كراهية اهل دمشق له ولسياسته فعمل على الخروج من هذا المأزق دون ان يضطر الى الاستعانة بقوات سيف الدين وقبول شروطه. فتجاهل الرد على سيف الدين وماطله لينظر ما يكون من الفرنج.^(١٨٠) وبعد ان قام بتهديدهم بسيف الدين، بذل لهم مبالغ كبيرة من المال ووعدهم بمخص بانياس أن هم انسحبوا عن دمشق.^(١٨١)

وبعد انسحاب الصليبيين رحل نور الدين الى

الامارات الصليبية، ولكن لم يستجب له سوى الوصية على مملكة بيت المقدس والتي وصلت نجبتها بعد قوات الاوان. وبعد اربعة اسابيع من الحصار في السادس والعشرين من جادي الآخرة سنة ١١٤٤/٥٣٩ انهارت بعض اجزاء الحصن اثر الضرب المركز الشديد، فاجتاحت قوات زنكي المدينة ثم ما لبثت القلعة ان استسلمت بعد يومين. وقد اصدر زنكي اوامره بايقاف اعمال القتل والاسر والنهب واعاد ما اخذ من سبي وغنائم، كما اسرع في اعمار ما انهدم من اسوارها. وقد عامل اهلها بالاحسان واللطف.^(١٧٥)

حقق زنكي في فتحه للرها اعظم انجازاته العسكرية ضد الصليبيين، وكان لهذا الفتح اعظم الاثر في تحجيم النفوذ الصليبي وزيادة جرأة المسلمين عليهم وأصبح فتح الرها "حديث المحافل"^(١٧٦) واعاد الثقة الى نفوس المسلمين وجعلهم يشعرون بانهم قادرين على التصدي للقوى الصليبية وارتفاع المزيد من الانتصارات من الصليبيين، وكان هذا الانتصار اعظم ما ساهمت به الموصل في تصديدها للصليبيين في العهد الأتابكي، ولاشك ان هذا الانتصار عزز من مكانة زنكي تجاه السلطان السلجوقي والخليفة العباسي ورسخ أسس حكمه.

وقد أستفاد زنكي من اضطراب احوال الصليبيين واخذ يسعى للسيطرة على مراكزهم وحصونهم فانجه الى سروج واحتلها ثم ما لبث الحصون المجاورة ان اخذت تسقط في يديه واحدة تلو الاخرى.^(١٧٧)

وبعد مقتل زنكي سنة ١١٤٦/٥٤١ وانتقام امارته بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود، اصبحت التصدي للصليبيين هو الواجب الأساس لنور الدين محمود لان مركزه في حلب يحتم عليه ان يهتم بأمر الصليبيين والتصدي لهم واخذت سياسته تدور حول تقوية مركزه تجاه الصليبيين

حصن العريمة المجاور لطرابلس. وبعد حصار شاركت به فرقة من جيش الموصل سقط الحصن بيد نور الدين واخذ كل من به من فارس وراجل وصبي وامرأة، وتم تدمير الحصن ثم انسحب المسلمون عنه. وعاد سيف الدين الى الموصل. (١٨٢)

وفي اوائل سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ جمع رموند امير انطاكية الصليبي عسكره لمهاجمة اعمال حلب فاستنجد نور الدين بانرويسيف الدين الذي ارسل قوة من جيشه لمساعدة اخيه ودارت المعركة في انب بالقرب من اعزاز التابعة لحلب، فانهمز الفرنج هزيمة منكرة ولم ينج منهم الا القليل وكان من بين القتلى امير انطاكية الصليبي فحمل رأسه الى نور الدين الذي نزل على باب انطاكية وترددت الرسل بينه وبين الصليبيين، ثم ترك فرقة من جيشه عليها وزحف بمن معه نحو حصن اقامية، فلما سمع اهله بما حل بصاحب انطاكية اذعنوا الى تسليم حصنهم وطلبوا الامان وسلموا البلد في ربيع الاول من سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ وعادت قوات الموصل الى قواعدها بعد ان ادت واجبا في التصدي للصليبيين والمشاركة في الجهاد. (١٨٣)

وفي ولاية قطب الدين مودود تقتصر مساهمة الموصل في الحروب الصليبية على المعاونة في معركة حصن حارم التي جرت سنة ٥٥٩ / ١١٦٤ وكانت معركة كبيرة انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً انتهت بهزيمة الصليبيين واسر معظم امرائهم الذين سيقوا الى حلب وكان من بين الاسرى بوهموند الثالث ورموند حاكم طرابلس* وهو الثاني لوزينان، وقسطنطين كولمان حاكم قيلقية البيزنطي. وغيرهم. (١٨٤) وكذلك في عام ٥٦٢ / ١١٦٧ حيث اتفق نور الدين وقطب الدين مودود على الاغارة على كونية طرابلس مستغلين سوء اوضاعها الداخلية بعد اسر اميرها رموند الثالث، وقد حضر مودود وشارك في هذه الغارة التي شملت اطراف

حصن الاكراد وعرقه وحاصرا جبله القريب من اللاذقية وخرباها ثم استولى الاخوان على حصن العريمة وصافينا، ثم عاد الى حمص وبعد استراحة شهر رمضان سارا الى بانياس ودمرا قلعة هونين واراد نور الدين مهاجمة بيروت الا ان جنده تبرم بطول القتال ورغبته في التفرق، فعاد قطب الدين بعد ان اقطعه اخوه مدينة الرقة على القرات فاخذها في طريق عودته الى الموصل. (١٨٥)

وفي فترة حكم سيف الدين غازي الثاني سيطر نور الدين على الموصل مما أدى الى مشاركة الموصل في سنة ٥٦٧ / ١١٧٢ في الحملة ضد الصليبيين بسبب نقض الهدنة وأخذ مركبين تابعين للمسلمين فقام نور الدين باستدعاء الجيوش الاسلامية - ومنها جيش الموصل - الى معاونه ضد الصليبيين فلما تجمعوا هاجموا عرقه وحصن صافينا والعريمة، وتوغل نور الدين في اماره طرابلس مدمراً كل ما كان يقابله من مراكز عمرانية فاضطر الصليبيون الى مراسلته واعادة ما اخذوه من المركبين وجددوا الهدنة معه. (١٨٦)

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي عاد دور الموصل واضحاً في المساهمة بالحروب الصليبية وذلك بمشاركتها في الهجوم على طبرية ثم معركة حطين سنة ٥٨٣ / ١١٨٧ وكان قائد جند الموصل هو فخر الدين مسعود الزعفراني. (١٨٧) وكانت معركة حطين من اعظم المعارك التي خاضها المسلمون وحققوا فيها نصراً ميبئاً على الأعداء، وكانت ولارب اعظم انجازات صلاح الدين في مقارعته للصليبيين حتى ان ابن الاثير يقول عنها "وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل، وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الان، بمثل هذه الواقعة" (١٨٨) وكان من نتائج معركة حطين ضعف امر الصليبيين وتساقط حصونهم بيد صلاح الدين وقد تكلفت نجاحات صلاح الدين بفتح بيت

المقدس وكان لقوات الموصل دور واضح في هذا الفتح العظيم. (١٨٩) كما شارك عسكر الموصل في حصار عكة سنة ١١٩٠/٥٨٦ ، فقد ارسل عز الدين مسعود جيشاً كبيراً بقيادة ابنه علاء الدين خرمشاه مع كمية من النفط الأبيض ومجموعة كبيرة من التراس والرماح. (١٩٠)

وعندما اراد صلاح الدين تقوية تحصينات بيت المقدس شارك صاحب الموصل في ذلك حيث ارسل جماعة من خيرة الحجارين وعددهم خمسون رجلاً شاركوا في اعمال التحصين وقطع الصخور وعملوا برجاً وبدنة ، وكان هؤلاء يتسلمون اجورهم من عز الدين مسعود خلال الاشهر الستة التي استغرق فيها العمل ببيت المقدس. (١٩١)

وبعد وفاة صلاح الدين انشغل اولاده واخوته في تنازعهم على السلطة ، كما ان الاتابكة حاولوا استغلال هذا التنازع من اجل استعادة نفوذهم في اقليمي الجزيرة وبلاد الشام ، لهذا أهملت الجبهة الصليبية لتنافس وتقاتل المسلمين فيما بينهم. وبعد ان عقد الصلح بين صاحب الموصل نور الدين ارسلانشاه والملك الاشرف ابن العادل سنة ١٢٠٥/٦٠١ عادت الموصل الى المساهمة في التصدي للصليبيين. فقد شاركت جيوش الموصل الملك العادل في حصاره ومهاجمته للحصون القريبة من طرابلس سنة ١٢٠٨/٦٠٤ لان الصليبيين اكتروا الغارة على حمص وولاياتها ، كما ان حاكم عكا نقض عهده مع العادل مما جعل الاخير يهاجم املاكه حتى يلقنه درساً في الحفاظ على عهوده. (١٩٢) ثم انحسر بعد ذلك مجال مشاركة الموصل في التصدي للصليبيين في عهد بدر الدين لؤلؤ الذي انشغل بمشاكله وخلافاته مع الأيوبيين من ناحية ومع بقايا البيت الأتابكي من ناحية اخرى كما أن تدخل المغول في شؤون المنطقة جعلت حاكم الموصل بدر الدين ينشغل بمصانعة القادمين الجدد ، وبذلك انتهى دور الموصل في المساهمة

بالجهاد ضد الصليبيين.

بعد هذا الاستعراض الشامل للأوضاع السياسية التي عاشتها منطقة الموصل في ظل الحكم الأتابكي ، بات من الضروري ان نوضح نظام الحكم واسلوب الادارة الذي اتبعه الاتابكة في حكم الموصل.

١- نظام الحكم

أ- الأتابكية :

مند تعيينه على الموصل عرف زنكي بلقب اتابك (الأمير الوالد، الامير المربي) والامارة التي اسسها سميت بأسم (اتابكية الموصل) والسلالة التي اعقبت به بالحكم باسم الأتابكة. بدأت هذه التسمية عندما ولّاه السلطان محمود الموصل وسلمه ولديه الب ارسلان وفروخ شاه (المعروف بالخفاجي) وجعله اتابكاً لها.

كان على زنكي من الناحية الرسمية ان يحكم بأسم اكبر الاميرين ، الب ارسلان ، وان يختب له ، ولذلك اظهر للخلفاء والسلطين وأصحاب الأطراف ان البلاد التي يحكمها هي للملك (الب ارسلان) وانه نائب فيها لا غير ، ومن المؤكد فإن هذا الاجراء من قبل زنكي كان إجراءً شكلياً لأن السلطة الفعلية كانت بيده ، ولم يكن لأحد ولدي السلطان محمود سلطة فعلية ، بل كانا أشبه بالمتحجرين ، وقد فرق بينهما فجعل الب ارسلان في معقل من معقل سنجار والخفاجي تحت اشراف زوجته في الموصل (١٩٣).

وحاول زنكي استغلال وجود هذين الاميرين السلجوقيين فقام بعدة محاولات لتنصيب الب ارسلان على عرش السلاجقة في العراق بالاتفاق مع الخليفة العباسي من اجل ان يجعل السلطة الفعلية لسلاجقة العراق بيده باسم السلطان الشرعي ، لكن هذه المحاولات انتهت جميعها بالفشل (١٩٤).

وكان مما ترتب على اتابكية زنكي هي تلك المؤامرة التي قام بها الأمير الخفاجي سنة ٥٣٩/ ١١٤٤ أثناء غياب زنكي عن الموصل، اذ اتفق الخفاجي وانصاره على اغتيال نصير الدين جقر نائب زنكي في الموصل ثم السيطرة على المدينة وإعلان العصيان ضد زنكي. وقد نفذت الخطة عندما زار جقر الخفاجي للسلام عليه في قصره فقد هاجمه المتآمرون وقتلوه ونادوا بشعار الملك الخفاجي، فاضطربت المدينة وعمتها القوضى، الا ان القاضي تاج الدين يحيى الشهرزوري احد رجال زنكي استطاع ان يخذ الخفاجي حيث اظهر انه معه وطلب منه التوجه الى القلعة واتخاذها مقراً له حتى تتجمع لديه الاموال والجند فوافق الملك على ذلك فاتجه هو وانصاره مع القاضي الى القلعة وعندما دخلوها قبض عليهم جند زنكي وبعد ايام قليلة قتل الخفاجي وانصاره داخلها (١٩٥).

وقد أبدى زنكي بعد مقتل الخفاجي عطفه على الملك الآخر (الب ارسلان) فألغى احتجازه ومنحه حرية اكبر وعين له حراساً وموظفين لخدمته، وطلب من رجاله الاهتمام بأمره واحترامه، ويبدو انه استهدف من ذلك تغطية مقتل اخيه الخفاجي كي لا يثير السلاجقة ضده ولا استغلال الب ارسلان لتحقيق طموحاته في المستقبل وذلك بالمطالبة بتولية سلطنة العراق بعد وفاة عمه السلطان مسعود ليصبح زنكي الحاكم الفعلي باسم السلطان الجديد (١٩٦).

وعندما قتل عماد الدين زنكي اراد الب ارسلان ان ينتهز هذه الفرصة للاستيلاء على السلطة، فبادر بجمع العساكر والتوجه نحو الموصل، الا ان حركته لم يكتب لها النجاح اذ احبطت بفعل الجهود التي بذها كل من الوزير جمال الدين الاصفهاني وصلاح الدين ياغسياني - امير حاجب في عهد زنكي - اللذين تداركا الأمر ومهدا

لسيف الدين غازي لدخول الموصل واستقراره فيها. وما ان تم لسيف الدين الأمر حتى ارسل فرقة من الجند القت القبض على الب ارسلان واقتيد الى الموصل حيث قيل انه قتل بعد ذلك (١٩٧) أما ابن الأثير فيذكر انهم «أخذوه وأدخلوه الموصل فكان آخر العهد به» (١٩٨) ولم يأت ذكر بعد هذا التاريخ للملك الب ارسلان، باستثناء ظهور اسمه على دينار اتابكي مضروب سنة ١١٥٥/٥٥٠ وهذا يدل على انه بقي في الموصل ولكنه كان خامل الذكر محجوراً عليه لا يذكر اسمه الا على العملة بجانب اسم السلطان سنجرشاه (١٩٩).

وفي سنة ٥٥٤/ ١١٥٩ توفي السلطان السلجوقي محمد بن محمود بباب همدان فاختلف السلاجقة فيمن يولونه السلطنة وانقسم القوم فيما بينهم وأخيراً وافقوا على تولية سليمان بن محمد. وكان سليمان شاه هذا مسجوناً في قلعة الموصل منذ سنة ٥٥١/ ١١٥٦ عندما وقع اسيراً بيد زين الدين علي كوجك في حصار بغداد، فاتفق الأمراء على ارسال مبعوث الى الموصل للتفاوض حول اطلاق سراح سليمان شاه، وعرض الرسول على قطب الدين مودود ان يكون أتاكاً للسلطان سليمان شاه، والمرجع اليه في جميع ممتلكاته وان تسند الوزارة الى جمال الدين الاصفهاني وان يكون زين الدين علي كوجك مقدماً على عساكر السلطان (٢٠٠).

ولم يتردد قطب الدين في قبول هذا العرض المغربي ووجد فيه ما يحقق له من المكاسب والنفوذ ما كان يصبو اليه، فبادر الى إطلاق سراح سليمان شاه من السجن وامر بتجهيزه بالمال والثياب والخيل والالات ما يصلح للسلطين، وأرسل معه زين الدين مع فرقة من عسكر الموصل لمرافقة السلطان الجديد الى همدان. وعند اقتراب موكب السلطان من بلاد الجبل اقبل اليه الامراء بعساكرهم فاجتمعت لديه حشود كبيرة، الامر الذي اخاف زين الدين فرأى من كثرتهم ونجاوزهم في سلوكهم مع

”القائم مقام السلطان في عامة اموره او غالبها.“ (٢٠٦)

لاشك ان السلطات الادارية الواسعة التي كان نائب زنكي يمارسها كانت تتطلب جهازاً ادارياً واسعاً لتنفيذ الاوامر والقرارات ، وكان للنائب نواب ثانويون يعتمد عليهم في مهامه . (٢٠٧)

وقد تولى هذا المنصب النواب التالية اسمائهم :-

١- نصير الدين جقربن يعقوب (٥٢١-٥٣٩ / ١١٢٧-١١٤٤) وهو اول نائب يعينه زنكي له وكان يساعده في حكم الموصل واليعينه هو وقد ولي اولاً رجلاً يدعى بالقزويني كان ظالماً عسوفاً فكثرت شكوى الناس منه فعزله وعين محمد بن شكلة بدلاً منه ، وقد اساء هذا السيرة اكثر من سلفه . (٢٠٨)

ويبدو ان ما اتهم به جقربن ظلم كان بسبب نوابه هؤلاء . وقد قتل جقربن في المؤامرة التي دبرها الخفاجي كما اسلفنا .

٢- زين الدين علي كجك بن بككين (٥٣٩-٥٦٣ / ١١٤٤-١١٦٨) كان هذا الامير من ابرز رجالات زنكي عندما تولى الموصل ، واشترك معه في كثير من حروبه ولهذا اقطعه عدداً من المدن المهمة التي حكمها كاريل وعقر الحميدية ، وعين زين الدين نواباً عنه لادارة هذه الاقطاعات (٢٠٩) وكان حسن السيرة عادلاً في حكمه . (٢١٠) أصيب بالصمم والعشى في نهاية حكمه لهذا سلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وهي شهرزور وجميع قلاعها ، وجميع بلد الهكارية ومنها العمادية وعقر الحميدية ، وتكرت وسنجار وحران وقلعة الموصل . وبقيت معه اربل فقط التي ارتحل اليها وعاش فيها بقية عمره . (٢١١)

السلطان ما اوجب خوفه على نفسه ففضل العودة بعساكره الى الموصل . (٢١١)

الا ان ايام سليمان شاه لم تطل بالسلطنة لسوء سلوكه وانشغاله بملذاته فاتفق الامراء على القبض عليه في شوال من سنة ٥٥٥ / ١١٦٠ ومات مسموماً بعد ذلك . (٢١٢)

وعندما توحدت الموصل مع بلاد الشام ومصر في عهد صلاح الدين تم وضع نهاية للنفوذ الاسمي الذي كان باقياً للسلطان السلجوقي طغرل ، فنذ ذلك التاريخ قطعت الخطبة للسلطين السلاجقة ورفع اسمهم من السكة ، فقد كان من شروط الصلح بين صلاح الدين وصاحب الموصل ان يخطب له ويضرب اسمه على السكة بيلاده . (٢١٣)

ب- نائب الأتابك (دردار القلعة ، محافظ القلعة)

أنشأ زنكي هذا المنصب بعد دخوله الموصل في رمضان من عام ٥٢١ / ١١٢٧ واطلقت عليه المصادر لقب النيابة احياناً . وما ان زنكي كان في معظم اوقاته في حروب وتنقلات وكان مكوثه بالموصل قليلاً مما يرجح ان يجعل نائبه فيها المسؤول الاول وان يتمتع بسلطات عمليه واسعة . وكان عليه ان يدير شؤون الموصل وبقية اجزاء الامارة نيابة عن زنكي ، وان يكاتب السلطان السلجوقي والخليفة خلال تغيب الامير . (٢١٤) كما كان يقوم بجباية الضرائب وجمع الاموال والاشراف المستمر على تحصينات الموصل وتعميق خنادقها اضافة الى الاعمال العسكرية كالدفاع عن المدينة وقيادة الحملات العسكرية بناءً على اوامر الأتابك . (٢١٥)

بهذا فان النائب يمارس سلطات واسعة في شتى مجالات الادارية والمالية والعمرانية والعسكرية لانه كان معتمد الأتابك الاول في امارته . وهذا ينطبق على ما ذكره القلقشندي عن هذا المنصب في العهدين الايوبي والملوكي من ان النائب هو

وكان لزكري نائب في حلب وذلك لاهمية المدينة العسكرية والسياسية في بلاد الشام فاتخذها قاعدة له في المنطقة وعاصمة ادارية واقام فيها جهازاً ادارياً يشابه الى حد ما ذلك الذي اقامه في الموصل وجعل على هذا الجهاز نائبه في حلب ليقوم في منطقة الشام بما يقوم به نائبه في الموصل. (٢١٢) وقد تولى هذا المنصب سواربن ايتكين (٥٢٤ -

٥٤١ / ١١٣٠ - ١١٤٦) وهو من الامراء الهاريين من دمشق والمليئين الى زكري فاكرمه وخلع عليه وعينه نائباً عنه في حلب. (٢١٣)

٣- فخر الدين عبدالمسيح (٥٦٣ - ٥٦٦ / ١١٦٨ - ١١٧١)، ولما فارق زين الدين علي كچك الموصل عين قطب الدين نائباً عنه فخر الدين عبد المسيح وحكمه في البلاد فعمر القلعة وكانت خراباً لأن زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبدالمسيح سيرة حسنة، وكان من مماليك زكري، ولكن سيرته - على ما يبدو - لم تكن مقبولة من امراء الموصل مما دفعهم الى استدعاء نور الدين ليخلصهم منه. (٢١٤)

٤- سعد الدين كمشتكين (٥٦٦ - ٥٦٩ / ١١٧١ - ١١٧٤) وهو من امراء نور الدين محمود عينه نائباً عنه في حكم الموصل وأمر سيف الدين - أتابك الموصل أن لا ينفرد عنه بقليل او كثير من الامور، وبقي الى ان توفي نور الدين وعند ذلك هرب من الموصل. (٢١٥)

٥- مجاهد الدين قايماز (٥٧١ - ٥٩٥ / ١١٧٦ - ١١٩٩) كان من صالحى الامراء حسن السيرة محباً للعلم وله معرفة بالفقه الحنفي واطلاع على التاريخ، كان يحب العمارة ولهذا انشأ الكثير من المنشآت الدينية

وغيرها واثاره في الموصل عديدة، وقد استبد بشؤون الأمانة مما جعل عز الدين مسعود يلقي القبض عليه سنة ٥٧٩ / ١١٨٤ الا ان نتيجة هذا العمل كانت وخيمة فقد خرجت العديد من الولايات عن سلطة الأتابكة لانها كانت تدن بالولاء الشخصي والادارة المباشرة لهذا النائب مما اضطر مسعود الى اعادته الى منصبه بعد تسعة اشهر. (٢١٦)

٦- بدر الدين لؤلؤ (٥٩٥ - ٦٣١ / ١١٩٩ - ١٢٣٤) كان اقوى هؤلاء النواب واكثرهم تمكناً في البلاد، عينه نور الدين ارسلان شاه في منصب النيابة بعد وفاة مجاهد الدين قايماز، وبعد وفاة نور الدين سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ اصبح نائباً لاولاد نور الدين القصر والحاكم الفعلي لامارة الموصل، فقاد الجيوش وعقد المعاهدات، وعمل على التخلص من ملوك وامراء البيت الأتابكي الواحد بعد الآخر الى ان اعلن وفاة اخرهم ناصر الدين محمود سنة ٦٣١ / ١٢٣٤ فأنفرد بحكم الأتابكية وضرب اسمه على السكة. (٢١٧)

ج - ولاية المدن والاعمال

اضافة الى نائب زكري في الموصل وحلب كان له نواب على المدن والاقاليم والقلاع التي فتحها، والمعلومات عن سلطات وصلاحيات هؤلاء وحدود اختصاصاتهم الادارية غير واضحة، لكن يبدو ان اهم واجب عليهم تنفيذهم هو حماية المدينة او القلعة التي ينوب فيها او يتولاها. (٢١٨) مع ادارة شؤونها والنظر في مصالحها نيابة عن الأتابك وعند تحكم نائب الأتابك في الموصل فانه يقوم بتعيين نواب عنه في ادارة المدن والاقاليم التابعة للموصل كما فعل زين الدين علي كچك، وكما فعل مجاهد الدين قايماز، ولهذا عندما قبض نور الدين مسعود عليه -

كما رأينا - امتنع نواب مجاهد الدين عن طاعة الموصل وتحكم نوابه فيها كما حدث في اربل وجزيرة ابن عمر ودقوقا وشهرزور وغيرها. (٢١٩)

٥- الوزارة

عرفت الوزارة منذ قيام الخلافة العباسية وتطورت بتطور الاوضاع الادارية والحضارية ، وظل هذا النظام متبعاً حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨/٦٥٦ ، وقد اخذ السلاجقة هذا المنصب من جملة ما اخذوا من وسائل الإدارة العباسية واولوه مكانة كبيرة في ادارتهم بحيث اصبح الوزير نظام الملك في عهد السلطان الب ارسلان وملكشاه يتحكم بشؤون الادارة السلجوقية بشكل مطلق.

وكان امراً طبعياً ان يتخذ الأتابكة وزراء لهم تقليداً للادارة السلجوقية من ناحية ورفعاً لمكانتهم من ناحية اخرى .

وعلى الرغم من عدم وضوح واجب الوزير وصلاحياته في الإدارة الأتابكية ، حتى اننا نلاحظ وجود اكثر من شخص في وقت واحد يلقبون بالوزير ، وبخاصة في عهد زنكي ، وقد يكون ذلك لوجود وزير صحبه ووزير مقيم في العاصمة. (٢٢٠) ولكن مما لاشك فيه ان الوزير في العهد الأتابكي كان مسؤولاً عن الإدارة المدنية والمالية للإمارة وليس هناك من تعارض بينه وبين نائب الأتابك الذي كانت صلاحياته في الأساس سياسية عسكرية . لهذا نلاحظ ان سيف الدين غازي . كافأ الوزير جمال الدين الأصفهاني الذي احبط مؤامرة الب ارسلان بعد مقتل زنكي سنة ٥٤١/١١٤٦ و"حكمه اعطاه عشر دخل بلاده" (٢٢١) وهذا ما كان يأخذه الوزير نظام الملك .

ويظن ابن الأثير في وصف الوزير جلال الدين ابا الحسن علي بن جمال الدين الذي استوزره سيف الدين غازي سنة ٥٧١/١١٧٦

بقوله "فظهرت منه كفاية لم يظنها الناس ، وبدأ منه معرفة بقواعد الدول واوضاع الدواوين ، وتقدير الامور ، واطلاع على دقائق الحسابات ، وعلم بصناعة الكتابة الحسابية حيرت العقول ، ووضع للناس في كتابة الانشاء وضعاً لم يعرفوه. " (٢٢٢) ليست هذه الصفات هي الوظائف التي كان يتقلدها الوزير ، انها اختصاصاته ولاشك ، فهي الأمور الادارية والأشراف على الدواوين وخاصة ذات العلاقة بالحسابات والمالية وكتابة الانشاء والترسل .

وأبرز وزراء الأتابكة هم :-

- ١- ضياء الدين ابو سعد الكفرتوثي (٥٢٨ - ٥٣٦ / ١١٣٤ - ١١٤٢) وهو اول الوزراء الذي عينهم زنكي. (٢٢٣)
- ٢- ابو الرضا محمد بن صدقة (٥٣٦ - ٥٣٨ / ١١٤٢ - ١١٤٤). كان وزيراً للخليفة الراشد بالله ثم التجأ الى زنكي فعينه وزيراً له ، ويبدو من قصر فترة وزارته عدم كفاءته في الإدارة ، وبعد عزله عاد الى بغداد. (٢٢٤)
- ٣- ابو الفتاهم حبشي بن محمد الحلبي (٥٣٨ - ٥٤١ / ١١٤٤ - ١١٤٧) (٢٢٥) وهو اخر وزراء زنكي.
- ٤- جمال الدين الأصفهاني (٥٤١ - ٥٥٨ / ١١٤٧ - ١١٦٣) كان ادارياً محنتاً تقدم في عهد زنكي فجعله مشرفاً على جميع امارته. (٢٢٦) ويعود اليه الفضل في القضاء على تأمرآلب ارسلان ومجبي سيف الدين غازي الى الحكم ، كما لعب دوراً كبيراً في اقرار الصلح بين الاخوين سيف الدين ونور الدين ، واستمر وزيراً حتى سنة ٥٥٨ / ١١٦٣ حيث التى قطب الدين القبض عليه وأودعه السجن ويذكر ابن خلكان سبب سجنه بان قطب الدين "استكثر اقطاعه وثقل عليه امره ولذلك قبض عليه

وسجنه. “ (٢٢٧) لان وارده السنوي كان عُشر دخل البلاد. (٢٢٨) وهو مبلغ كبير ولاشك في حالة صحة الخبر.

كان هذا الوزير حسن السيرة وقد سببت تنحيته توتراً عاماً واضطراباً في الموصل ، وقد توفي سنة ١١٦٤/٥٥٩ في السجن ، فخرست الموصل بفقدته ركناً هاماً من اداريتها الجيدين ، وقد كانت له مآثر داخل الموصل وخارجها فقد شيد الجسور والربط ، وشيد سوراً على مدينة الرسول (ص) وزخرف الكعبة بالذهب والفضة وبني مسجداً في عرفات. (٢٢٩)

٥- جلال الدين ابا الحسن علي بن جمال الدين الأصفهاني (٥٧١ - ٥٧٣ / ١١٧٦ - ١١٧٨) كان وزيراً قديراً فاضلاً عالماً بالحساب والادارة والكتابة مثل أبيه ، وكان عمره عند تقلده الوزارة خمساً وعشرين سنة ثم قبض عليه سنة ١١٧٨/٥٧٣ وبقي أسيراً ثم اطلق سراحه فسار الى آمد ثم دنسرحيث توفي هناك سنة ١١٧٩/٥٧٤ ودفن عند والده في المدينة المنورة. (٢٣٠) ويذكر ابن الأثير ان القبض على هذا الوزير كان ”بغير جرم ولاعجز ولا تقصير بل لعجز سيف الدين ، فان جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايمآز مشاحنة فقال مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير ، فقبض عليه كارهاً...“ (٢٣١)

ويبدو ان منصب الوزارة اخذ بالتدهور والاختفاء لان اتابكية الموصل اخذت بالتقصص ، كما ان استبداد نواب الأتابكة بالسلطة وسيطرتهم على شؤون الامارة جعلهم ولاشك يصطدمون بالوزراء ، وهذا يؤدي الى أزواجية في الحكم كان لابد ان يُحسم للأقوى منهم ، ولهذا نلاحظ ان زين الدين علي كجك حرص الأتابك على تنحية جمال

الدين الأصفهاني وقايمآز عمل على تنحية الوزير جلال الدين بن جمال الدين .

وبعد وفاة قايمآز سنة ١١٩٩/٥٩٥ حاول نور الدين ارسلان شاه ان يكلف مجد الدين ابن الاثير بالوزارة الا ان الاخير اعتذر عن قبول المنصب بسبب انشغاله بالعلم وعزوفه عن الامور السياسية والادارية. (٢٣٢)

وهناك ذكر لوزير في عهد بدر الدين لؤلؤ ، يقول ابن الفوطي ”ان فخر الدين (كذا) كان من اعيان اهل الموصل واكابرها كان مقدماً عند بدر الدين ابي الفضائل لؤلؤ بن عبدالله صاحب الموصل ، واستؤزره وفوض اموره اليه واعتمد في جميع مهاته عليه.“ (٢٣٣)

هـ - الدواوين :

عني زنكي بامر الوظائف والموظفين كي يسير امارته بشكل منظم ويجنب جهازه الاداري الهزات والمشاكل التي تعرقل سير الأمور ، لهذا كان يعين الموظفين الاكفاء ويقرر رواتبهم على ضوء كفاءتهم ، وكانت الرواتب التي يخصصها لهم مجزية وكان يثق بهم كي يشعروهم بالامن والاستقرار حتى يقدموا أقصى ما في جهمهم في خدمته. (٢٣٤) وبالوقت نفسه كان قاسياً في عقوبة من يسيء منهم ، فقد عاقب عز الدين الديسي ، وهو من اكابر امرائه لانه سلب احد يهود جزيرة ابن عمر منزله ، وعاقب احد ولاته بِسُلْ عينيته لتعرضه لأمرأة. (٢٣٥) ولهذا السبب ”خاف الولاة وانزجروا“. (٢٣٦)

والحديث عن الوظائف لابد وان يجرنا الى الحديث عن الدواوين ، فهل كان للأتابكة دواوين؟ كم عددها؟ وما هي اختصاصاتها؟ بالحقيقة لانستطيع ان نجيب عن هذه التساؤلات اجابة وافية ، فباستثناء ديوان الجند لم ترد سوى اشارتين غامضتين عن الديوان بصورة عامة احدها

العملة الأتابكية :-

اهتم اتابكة الموصل بضرب النقود الخاصة بامارتهم منذ عهد زنكي ودققوا في نقابة معدنها - الذهب والفضة - وساراحفاده على نهجه ، فضربوا العملات الذهبية - الدنانير - التي تحمل اسماءهم ونقشوا عليها كتابات بالخط النسخي او الكوفي - المورق والمزهر على غرار الدنانير العباسية ، وازافة الى الدنانير الذهبية ضربوا الفلوس النحاسية على اساس انها نقود مساعدة تفيد في مرونة العمليات التجارية وشراء الحاجيات البسيطة ، كما ان بعض العملات الأتابكية التي عثر عليها كانت تزدان بنقوش تمثل رسوماً ادمية وحيوانية . وقد ظهرت هذه الصور على الدراهم الفضية والبرونزية وخاصة في عهد بدر الدين لؤلؤ ، وكذلك على الفلوس النحاسية المضروبة ابتداءً من عهد قطب الدين مودود . وكان يكتب على هذه النقود اسم الأتابك والسلطان السلجوقي - الى ان اسقط اسمه وحل محله اسم صلاح الدين ثم الملك الأشرف ، وفي عهد بدر الدين لؤلؤ ظهرت اسماء بعض الخانات المغول ، وكذلك اسم الخليفة وفي بعض الأحيان اسم ولي عهده ، وكانت غالبية الفلوس النحاسية تخلو من اسم الخليفة . (٢٤٣)

٢- القضاء في الموصل

كان القضاء يقوم على المذهب الشافعي في الموصل ، وقد اولى الأتابكة اهتماماً كبيراً بشؤون القضاء فجعلوا على رأس هذا الديوان مرجعاً اعلى غرف بقاضي القضاة وهو تقليد لما كان سائداً لدى العباسيين . وكانت ابرز واجبات قاضي القضاة هو الفصل في الخصومات وفرض العقوبات على الذين يخرجون عن الشريعة الإسلامية ثم الوصاية على اليتامى والمجانين والفاقرين ، وادارة المؤسسات الدينية وامامة الناس في صلاة الجمعة ، وتعيين

تقول ان زنكي جعل جمال الدين الاصفهاني مشرفاً على ديوانه ، دون اعطاء اية تفصيل عن اختصاصات هذا الديوان واقسامه المالية والادارية على الرغم من ان هذا الديوان كان لابد ان يكون ذواهمية كبيرة بحيث جعل الاصفهاني مشرفاً عليه ، وهو ذو المكانة الادارية العالية . اما الاشارة الثانية الى الديوان فهي تلك التي اوردها ابن الأثير وتقول ان ديوان زنكي كان " يقارن بدواوين السلاطين السلجوقية لكثرة التجميل ونفاذ الامر وعظم الحاشية والخراج . " (٢٣٧)

وبعد عهد زنكي ينعدم ذكر الدواوين بشكل صريح باستثناء اشارات الى جمع الضرائب ومساحة الارض ، ولكن دون الاشارة الى النظام المالي وهو على العموم لا يختلف عما هو متبع في الادارة العباسية ولكن بشكل مختصر .

اما بالنسبة لكتابة الانشاء فهي وظيفة ضرورية في الادارة ، ولهذا كانت الموصل تضم عدداً من كتاب الانشاء وخاصة في عهد بدر الدين لؤلؤ ، وكان يجب ان يكون كاتب الانشاء متفصلاً باللغة والكتابة ، كما انه لابد وان يطلع على اسرار سياسة الامير ، وله معرفة باحوال الادارة المختلفة وكان ابرز من تولى هذا المنصب هم :

ضياء الدين بن الاثير الذي كان اديباً بارزاً وله مؤلفات عديدة ككتاب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) (٢٣٨) وعلي بن احمد بن محمد ابو الحسن الكاتب الموصل الشيباني كتب الانشاء لنور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود (٢٣٩) والحسن بن محمد بن المي بكر الحجلي الموصل المعروف بابن الجهنبي - المتوفى سنة ٦١٧ / ١٢٢٠ (٢٤٠) . ومن كتب لبدر الدين لؤلؤ حمي الدين ابو الحسن يوسف بن سلامة الهاشمي المعروف بابن زبلاق (٢٤١) وكذلك ابراهيم بن عبد الكريم بن كنصا ابو اسحق الموصل الذي كان بارعاً بالكتابة . (٢٤٢)

القضاة في الولايات والمدن التابعة للامارة. (٢٤٤)
 واول من تقلد منصب قاضي القضاة في اتابكية
 الموصل هو بهاء الدين ابا الحسن علي بن
 الشهرزوري فقد جعله زنكي قاضي قضاة بلاده
 جميعها وما يفتح من البلاد واصبحت له مكانة
 رفيعة ومنزلة سامية (٢٤٥).

وفي عهد سيف الدين غازي الاول تولى كمال
 الدين محمد بن الشهرزوري منصب قاضي القضاة
 في الموصل ، الا ان سيف الدين اقدم على اعتقاله
 هو واخيه تاج الدين ابو طاهر ووضعها في قلعة
 الموصل سنة ١١٤٧/٥٤٢ ثم أطلق سراحها بعد
 ذلك فانتقل كمال الدين الى نور الدين محمود ،
 وفوض سيف الدين امر القضاء بعده الى القاضي
 نجم الدين ابي علي الحسن بن بهاء الدين
 الشهرزوري. (٢٤٦)

ثم تولى القضاء في عهد عز الدين مسعود ابو
 حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري
 الذي ارتفعت منزلته لدى الاتابك واختاره عنه
 رسولا الى بغداد مراراً وتوفي في سنة
 ١١٩٠/٥٨٦. (٢٤٧)

وتولى القضاء في زمن نور الدين ارسلان شاه
 عماد الدين محمد بن يونس بن منعة ثم عزل. (٢٤٨)
 ويبدو انه كانت في الموصل دار للعدل يجتمع
 فيها مجلس الحكم الذي يرأسه قاضي القضاة وقد
 ذكر ابن الاثير ان نور الدين ارسلان شاه الاول
 جلس في دار العدل للانصاف والاخذ للضعفاء من
 الأقوياء. (٢٤٩)

٣- النظام العسكري

أ- الجيش :-

انتشرت في منطقة الموصل والجزيرة والشام
 مجموعة من الامارات المحلية المتنافسة والمتنازعة فيما
 بينها ، وكان السيف - اي القوة العسكرية - هو

الحكم الوحيد والنهائي في بقائها اوزوالها ، وعندما
 قامت اتابكية الموصل كان عليها ان تثبت وجودها
 بالقوة ، وتوسع من ممتلكاتها عن طريق جيش قوي
 منظم وموالي لسلطة الاتابكة ، حتى يستطيعوا ان
 يركنوا اليه في نزاعاتهم المحلية وفي محاولاتهم لتوحيد
 المنطقة . والمعلومات المتوفرة عن جيش زنكي
 محدودة وفي اغلب الاحيان تكتفي بالاشارة المختصرة
 والتلميحات السريعة .

وقد نظم زنكي (ديوان الجيش) ليقوم
 بالاشراف على امور الجند وتنظيمهم وتوزيع رواتبهم
 واعطياتهم بانتظام . وجعل على راس هذا الديوان
 موظفاً اعلى يطلق عليه لقب (امير حاجب). (٢٥٠)
 ووظيفته تختلف عن وظيفة الحاجب القدماء إذا أن
 عمله هو ان " ينصف بين الامراء والجند تارة بنفسه
 وتارة بمراجعة النائب ان كان ، واليه تقديم من
 يعرض ومن يرد وعرض الجند وما ناسب
 ذلك ". (٢٥١)

كانت الرواتب تقسم بين جنده كل ثلاثة اشهر
 مرة ، وحدث مرة ان تأخرت رواتب حرسه
 الخاص - الخراسانية - فأجتمعا ووقفوا بحيث
 يراهم مجتمعين فلم انهم يشكون شيئاً فأرسل اليهم
 وسألهم عن حالهم فذكروا له فقال لهم " اشكوتكم
 الى الديوان ، قالوا : لا ، قال : فهل ذكرتم حالكم
 لصلاح الدين امير حاجب ، قالوا : لا ، قال :
 فلأي شيء اعطي الديوان مائة الف دينار واعطي
 الامير حاجب اكثر من ذلك ، اذا كنت انا اتولى
 الامور صغيرها وكبيرها ... " (٢٥٢) يتبين لنا من هذا
 النص وجود ديوان للجند ويشرف عليه (امير
 حاجب) ومخصص له مبلغ من المال لتوزيعه على
 الجند ، وله بالتالي صلاحيات كبيرة ، وليس لدينا
 معلومات عن اصناف موظفي ديوان الجند وما هي
 مناصبهم وعددهم ، ولكن من المؤكد ان زنكي
 اهتم اهتماماً كبيراً بهذا الديوان وبمخصصاته المالية
 وأجهزته .

وكان امير حاجب ، في الوقت نفسه ، احد قواد زنكي الكبار وربما قائداه الاعلى ، اذ وصف بكونه " اكبر امير مع زنكي " .^(٢٥٣) واشترك معه في قيادة الجيش والمعارك الحربية . وتولى هذا المنصب صلاح الدين محمد بن ايوب الياغسياني ، وكان يشغل ذات المنصب في عهد اقسنقر البرسي .^(٢٥٤) ويرجع سبب توليته هذا المنصب من قبل زنكي هو الجهد الذي بذله الياغسياني في توليه زنكي ولاية الموصل حيث وعده زنكي بهذا المنصب حالما يستقر في الموصل . وبربوعده واصبح الياغسياني امير حاجب وظل في منصبه حتى وفاة زنكي الذي اقطعه حماء وحصن الخبرة وكفر طاب .^(٢٥٥)

وبعد وفاة زنكي لم يتولى احد هذا المنصب في الموصل ولهذا لم يعد يذكر في مصادرنا التاريخية . اما بالنسبة لتنظيم الجيش والعناصر المكونة له فالمعلومات عنها قليلة ومقتضبة ، فهل كان جيش زنكي على غرار ما اتبعه السلاجقة حيث ينظم الامراء المشرفون على الجند بشكل متدرج يلقب اكبرهم بمقدم الف ويليهِ امراء المئين ثم امير اربعين ثم امراء العشرات والخمسات الذين يعتبرون من اكابر الاجناد ،^(٢٥٦) اننا لانستطيع ان نجيب عن ذلك لعدم توفر المعلومات . اما العناصر التي كونت جيش زنكي فهناك (الخراسانية) الذين كانوا (يخدمون في الركاب) اي ما يشبه الحرس الخاص المرافق للامير ، وكان هؤلاء يتقاضون رواتب عالية ، اذ كانوا بحاجة الى النفقات في اسفارهم وتحركاتهم المستمرة كمرافقين لزنكي .^(٢٥٧) ليس لدينا ما يشير الى مصدر هؤلاء الخراسانية هل جاءوا من بغداد ام كانوا مقيمين في الموصل ، كما لاثشير المعلومات الى امراتها وطبيعة تنظيمها .^(٢٥٨)

وكان التركمان عنصرراً اخر في الجيش الأتابكي ، ويشكلون نسبة عالية من جند

زنكي ، وكانوا منتشرون في معظم انحاء الشام وخاصة في مناطق الفرات ولذلك كان زنكي " يمضي الى الفرات لجمع التركمان " .^(٢٥٩) قبل القيام بمعاركه المهمة ، اذ كان هؤلاء باعدادهم الضخمة ويرانهم في الحرب وشجاعتهم يشكلون اهم عنصر في جيشه ، ومعظمهم كانوا متطوعة يسعون وراء الغنائم والجهاد ويتفرقون بعد المعركة .^(٢٦٠)

وهناك اشارات الى (الحليين) كقوة عسكرية اشتركت في معارك عديدة ضد الصليبيين . وقد قام الحلييون بدور هام في فتح الرها عام ١١٤٤/٥٣٩ جنبا الى جنب مع الخراسانيين ، وهؤلاء الحلييون هم من سكان حلب الاصليين اي من العرب ، وكانوا يملكون في القتال بلاءً حسناً ، حتى ان زنكي كان يكره فلاححي حلب على الالتحاق بجيشه في اوقات القتال ويعودون الى اعمالهم الزراعية بعد انتهاء المعارك . كما استصحب من اهل حماء عدداً كبيراً يخدمون الركاب اي للقيام بمهمة الحشم في خدمة الجيش وامراته في حلهم وترحالهم فضلاً عن حراسة زنكي الخاصة .^(٢٦١) كما ان سكان بقية المدن - والموصل على الأخص - لعبوا ادواراً بارزة في الدفاع عن مدنهم ضد الأعداء فاهل الموصل لعبوا دوراً بارزاً في الدفاع عن مدينتهم عندما حاصرها صلاح الدين ثلاث مرات ولم يسمحو له - كما رأينا - باقتحامها بالقوة ، ولاشك ان اهل بقية المدن لعبوا نفس الدور في الدفاع عن مدنهم . كما اتاحت الفرصة لاهل الموصل ان يشاركوا في الجهاد ضد الصليبيين تحت قيادة نور الدين وصلاح الدين والامراء والأتابكة الذين شاركوا مجدية في التصدي للصليبيين . وكان للجيش ميداناً خاصاً يؤدي فيه تمارينه العسكرية والعباءة ويشتمل الميدان على مقصورة (جوست) يشرف منها الأتابك على العساكر ويستعرضهم .^(٢٦٢)

ولاشك ان النظم السلجوقية من تسليح

وتكتيك قتالي قد اتبعه الأتابكة الموصل لان هذه النظم كانت متطورة آنذاك وتتيح الانتصار على اعداء الأمة ، يضاف الى ذلك ما استحدثه الأتابكة انفسهم فان سيف الدين غازي ” هــ واول من امر عسكره ان لا يركب احدهم الا والسيف في وسطه والدبوس تحت ركابه سقراً وحضراً ، ولم يكن يفعل قبل ذلك في سائر البلاد الا في السفر ، فلما امر هو عسكره إقتدى به غيره من اصحاب الاطراف . “ (٢٦٣)

كانت غالبية الجيش تتكون من الخيالة رماة السهام الذين يرمون سهامهم وهم على ظهور خيولهم ، ولهذا التقنية القتالية اهمية بالغة في القتال لسرعة تحرك الفرسان ومرونتهم وسرعة خيولهم التي يمتطونها وبالتالي يمتطرون الاعداء بوابل من سهامهم عند هجومهم او عند انسحابهم ، وهناك الرجلة الذين يمارسون الحرب على الارض ووجودهم ضروري في حالات الحصار واقامة المعسكرات والاعمال الحربية الاخرى ، وكان للحجارين الذين يتولون اعمال التحصين او ثقب الاسوار وهدم التحصينات وحفر الخنادق دور مهم في الجيش الأتابكي . كما كان لرماة النفط دورهم في حالات الحصار والمهجوم على تحصينات الاعداء وادواتهم القتالية وخاصة المجانيق التي كانوا يرمونها بالنفط حتى تحترق . (٢٦٤)

ب- البريد :

اولى الأتابكة عناية خاصة بشؤون البريد للأغراض العسكرية البحتة ، فاعدوا لذلك كل ما يتطلبه من خيول وهجن وحمام زاجل ورجال ، وذكر القلقشندي اهتمام الأتابكة بالبريد فقال ” فلما جاءت الدولة الزنكية اقامت لذلك النجاة واعدت لها النجب المتخبية ، ودام ذلك مدة زمانها ، ثم زمان بني ايوب الى انقراض دولتهم . “ (٢٦٥) وقد استخدم البريد وسيلة من

وسائل الاتصال وطلب النجدة وايصال الاخبار بسرعة وخاصة الى زنكي عن تحركات اعدائه وعن نواياهم واستخدم زنكي المهجن السريعة والحمام الزاجل . (٢٦٦) ويصف ابن الأثير مدى اهتمام زنكي بالبريد فيقول ” فن ارائه الصائبة انه كان شديد العناية باخبار الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في خلواتهم ولاسيما درگاه - سراي - السلطان وكان يخسر على ذلك المال الجزيل ، وكان يطالع ويكتب له كل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك .. “ (٢٦٧)

واستخدام الحمام الزاجل - الهوادي - في نقل البريد كان شائعاً ، وقد نقل نور الدين محمود هذا النوع من الحمام واستخدمه في نقل الاخبار ليوقف على تحركات الصليبيين في بلاد الشام بأسرع وقت . كما رتب من يقوم بتربية وحفظ هذا الحمام واجرى عليهم الجرايات الوافرة . (٢٦٨)

ج- الأقطاع :

كانت ولاية زنكي واولاده من بعده ولاية اقطاعية حسب النظم السائدة في العهد السلجوقي وعلى الرغم من تمتعه ومن جاء من بعده باستقلالية واسعة الا أنه كان نظرياً على الاقل يطبق الألتزامات الأقطاعية التي كانت تربطه بالسلطين السلاجقة وهي التبعية السياسية والعسكرية .

وكان بقاء الأتابك وهو من يرضى السلطان السلجوقي عنه لان السلاجقة بنو نظامهم الأقطاعي على فكرة اعطاء الاقطاع مقابل الخدمة وكان لديهم اكثر من صنف من الأقطاع ولكن اكثرها شمولية واهمية هو الاقطاع العسكري . (٢٦٩) وبما ان هذا النوع من الاقطاع هو الصيغة السياسية المتبعة آنئذ في ادارة الأقاليم لذا أدرك زنكي وخلفاؤه ان عليهم توزيع المناطق التي يحكمونها كاقطاعات على الامراء والاجناد لادارتها وحمايتها من الامارات الكثيرة المعادية المحيطة بها ، فكان

القسم من الغلال العشر، فلو فعلتم مثل فعلنا لم يفارقوكم.“ (٢٧٥) وقد علل زنكي ارتفاع الضرائب الى كثرة نفقاته في محاربة اعدائه وفي الجهاد ضد الصليبيين. (٢٧٦) وبصورة عامة فان اقطاعات الاتابكة كانت من باب اقطاع الاستغلال - او الاقطاع الاداري - لان الاتابكة كانوا يسترجعون هذه في حالات معينة كالوفاة او العزل، ولكن ظهر ميل نحو الاقطاع الوراثي لدى افراد الاسرة الزنكية ومن هنا نلاحظ ظهور اتابكيات جديدة انفصلت عن اتابكية الموصل هي اتابكية سنجار-واتابكية جزيرة ابن عمر واتابكية اربل (٢٧٧). كما ان نور الدين زنكي استحدث تورث الاقطاعات الصغيرة، فانه كان اذا توفي احد الاجناد وخلف ولداً أقر قطاعه عليه “فان كان صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً يثق اليه فيتولى امره الى ان يكبر فكان الاجناد يقولون هذه املاكنا يرثها الولد عن الوالد فنحن نقاتل عنها. وكان ذلك سبباً عظيماً من الاسباب الموجبة للصبر في المشاهد والحروب“ (٢٧٨)

كان اكبر المقطعين هم نواب الأتابك وكبار الامراء والوزراء واصحاب الدواوين، وكان هؤلاء لا يقدرون الموصل لادارة اقطاعاتهم بل كانوا ينيبون من يديرها عنهم، مثلاً فعل امير حاجب صلاح الدين الباغسياني الذي اقطع عدة مدن فاناب في كل منها من يعتمد عليه في ادارة شؤونها. وكذلك فعل زين الدين علي كجك بن بكتيكن وكذلك صنع مجاهد الدين قايماز وغيرهم. وقد سلم هؤلاء اقطاعاتهم بعد عزلهم الى الاتابكة او عادت بعد وفاتهم الى الادارة الاتابكية. (٢٧٩) فثلاً عند وفاة عز الدين الديس - وهو من الامراء اكبار في عهد زنكي سنة ١١٥٧/٥٥٢ في جزيرة ابن عمر “فسار قطب الدين مودود ابن الشهيد اليها ظناً منه انه لا يمتنع عليه، لانها كانت بيد الديسي اقطاعاً

عليهم ان يتبعوا الأساليب التي تضمن لهم تشكيل قوة عسكرية قوية يخلص افرادها للاتابكة ويرتبطون معهم بمصالح متينة هي الأقطاعات المعطاة لهم. لهذا فان اول عمل قام به زنكي عند دخوله الموصل عام ١١٢٧/٥٢١ هو “تقرير قواعد الجند واطلاع العساكر“ (٢٨٠) كما قرر قبل الاصطدام بالصليبيين والاستيلاء على ما بيد صاحب الرها “من البلاد الشامية والجزيرة والفراغ من اقطاع بلادها لجند يجتبرهم ويعرف نصيحهم وشجاعتهم.“ (٢٨١)

وقد حاول زنكي ان يكون امارة اقطاعية ولكن اقطاع لا يقوم على ملكية الارض بل على وأرد الارض، لهذا نهى امراءه عن اقتناء الاملاك، وقال موضعاً سياسته هذه “مهما البلاد لنا فاي حاجة بكم الى الاملاك، فان الاقطاعات تغني عنها، وان خرجت البلاد عن ايدينا فان الاملاك تذهب معها، ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم.“ (٢٨٢)

وكان على المقطع ان يدير اقطاعه ويدافع عنه وامداد جيوش الاتابك بقواته في اوقات القتال. وقد قام الاتابكة باقطاع بعض الأشخاص اعترافاً بفضلهم او استمالة لبعض الامراء المحليين حتى يتحالفوا معهم. (٢٨٣)

وكان المقطعون العسكريون بصورة عامة يقيمون في المدن ويديرون اقطاعاتهم عن طريق الوكلاء، وهذا اصبح الفلاحون يهيئون لهم الموارد المالية لينصرفوا للخدمة العسكرية ولاعداد الجند. (٢٨٤) لانعرف مقدار الضريبة او نسبة المقاسمة التي كان يأخذها المقطع من الفلاحين، ولكن يبدو انها كانت في زمن زنكي كبيرة يدل على ذلك هروب عدد من فلاحي الموصل الى مardin فلما طالب زنكي باعادتهم اجابه صاحب مardin “اننا نحسن الى الفلاحين ونخفف عنهم ونأخذ منهم في

منه^{٢٨٠} اي انها كانت اقطاع استغلال يجب ان تعود الى من اقطعها عند وفاة المقطع .

المواشم

- (٢٤) الكامل ح ١١ ص ٣٦٥ .
- (٢٥) الباهر ص ١٥٤ .
- (٢٦) الكامل - ح ١١ ص ٣٩٥ .
- (٢٧) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، حيدر اباد الدكن ١٩٥٩ ح ٨ ص ٢٩٣ .
- (٢٨) الكامل ح ١١ ص ٤٠٧ .
- (٢٩) الكامل ح ١١ ص ٤٦٢-٤٦٣ ، أنظر سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ح ١ - ص ١٩٤ .
- (٣٠) رشيد الجعيطي ، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٥ ص ١١٨ وما بعدها .
- (٣١) الباهر ص ١٨١ .
- (٣٢) الكامل ح ١١ ص ٤٦٣ .
- (٣٣) الكامل ح ١١ ص ٤٨٢-٤٨٦ ، بهاء الدين بن شداد ، سيرة صلاح الدين (السيرة الیوسفیة) تحقيق جمال الدين الشیال ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٥٧ .
- (٣٤) الكامل ح ١١ ص ٥٠٠ .
- (٣٥) ابن شداد - سيرة صلاح الدين ص ٦٨-٧٠ .
- (٣٦) الكامل - ح ١١ ص ٥١٧ .
- (٣٧) الكامل ح ١٢ ص ١٠١ ، الباهر ص ١٨٦ .
- (٣٨) الباهر ص ١٨٧ .
- (٣٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ح ٨ ص ٥٤٦ ، أبو شامة ، الدليل على الروضتين القاهرة ١٩٤٧ ص ٧٠ . ابن شداد ، الأملاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ح ٣ ، تحقيق يحيى عبارة دمشق ١٩٧٨ ص ١٩٢ .
- (٤٠) الكامل ح ١٢ ص ٢٩٤ ، سبط ابن الجوزي . ح ٨ ص ٤٦ ب .
- (٤١) سعيد الديوه جي - تأريخ الموصل ح ١ ص ٣٠٩ .
- (٤٢) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين - الدليل على الروضتين - ص ١١٤ .
- (٤٣) الكامل ، ح ١٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ .
- (٤٤) رشيد الجعيطي - دولة الأتابكة في الموصل ، ص ١٩٠-١٩١ .
- (٤٥) ابن الوردي ، تأريخ ابن الوردي ، النجف ١٩٦٩ ح ٢ ص ١٩٦ ، سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ، ح ١ ص ٣١١-٣١٢ .
- (٤٦) الكامل ح ١٢ ص ٣٣٩ .
- (٤٧) ابن كثير - البداية والنهاية ح ١٣ ص ١٣٦ ، سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ح ١ ص ٣١٤ .
- (٤٨) الحوادث الجامعة - منسوب الى ابن القوطي ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ ص ٥٢ .
- (٤٩) الحوادث الجامعة - ص ٧٢-٧٣ ، ٩٢ .
- (٥٠) الذهبي ، تأريخ الإسلام ح ٢٠ (مخطوطة أحمد الثالث رقم ٤٠١٤) ورقة ١٧١ أ .
- (٥١) خليل بن ابيك الصفدي ، نكت الهميان في نكت العبيان ، تحقيق أحمد زكي بك القاهرة ١٩١١ ص ١١٧ ، الحوادث الجامعة ، ص ٢٧١ ، ابن الهادي الحنبلي - شذرات
- (١) البندري ، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني ، تأريخ دولة آل سلجوق - من انشاء عماد الدين الأصفهاني ، واختصار البندري ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٨ ص ١٨٧ ، ابن كثير - البداية والنهاية ، مطبعة السعادة مصر ، ح ١٢ ص ١٩٦ .
- (٢) ابن الأثير - الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر أحمد طلبات ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٦ . ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أسدروز ، بيروت ١٩٠٨ ص ١١٩-١٢٠ .
- (٣) ابن القلائس ، ص ٢٩-١٣٠ . ابن الأثير - الكامل في التاريخ - دار صادر بيروت ١٩٦٥-١٩٦٦ ح ١٠ ص ٢٣٣-٢٣٢ .
- (٤) الباهر ص ١٥ .
- (٥) المصدر نفسه ص ١٦ .
- (٦) المصدر نفسه ص ١٦ وما بعدها وص ٢٤ ، أنظر عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، بيروت ١٩٧١ ص ٣٨-٤٠ .
- (٧) ابن الجوزي ، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ، الهند ١٣٥٩ هـ ح ٩ ص ٢٥٢-٢٥٩ ، ابن الأثير ، الباهر ص ٢٨-٣١ .
- (٨) الكامل ح ١٠ ص ٦٤١ .
- (٩) الكامل ح ١٠ ص ٦٣٣ ، الباهر ص ٣٤-٣٥ .
- (١٠) الكامل ح ١٠ ص ٦٤٣ وما بعدها .
- (١١) الباهر ص ٣٥ ، أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٨ هـ ح ١ ص ٣٠ .
- (١٢) الباهر ص ٣٦ ، أبو شامة ، الروضتين ح ١ ص ٧٧ .
- (١٣) الكامل ح ١٠ ص ٦٤٩-٦٥٠ .
- (١٤) الكامل ح ١١ ص ١٤-١٥ .
- (١٥) ابن القلائس ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ، الكامل ح ١١ ص ١١٠ وما بعدها .
- (١٦) الكامل ح ١٠ ص ٤٩٧ وص ٦٣٣ .
- (١٧) الباهر ص ٧٧-٧٨ ، سعيد الديوه جي ، الموصل في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٥٨ ص ٢٤-٢٥ .
- (١٨) الكامل ح ١١ ص ١١٢ وما بعدها .
- (١٩) الباهر ص ٨٦-٩٣ ، الكامل ح ١١ ص ١٣٨ ، سعيد الديوه جي - تأريخ الموصل ، الموصل ١٩٨٢ ، ح ١ ص ٢٨٦ .
- (٢٠) الباهر ص ٩٨ .
- (٢١) الباهر ص ٩٨ .
- (٢٢) المصدر نفسه ص ١٤٨-١٤٩ .
- (٢٣) الباهر ص ١٥٢-١٥٣ ، سعيد الديوه جي ، تأريخ الموصل ح

- (٧٥) ضياء الدين بن الأثير - رسائل ابن الأثير، تحقيق أنيس مقديس، بيروت ١٩٥٩، ص ٢٤٢-٣.
- (٧٦) ابن الجوزي، المنتظم، ح ١٠ ص ٨-١١. ابن العديم، زبدة الجلب في تاريخ حلب، تحقيق ساسي الدهان، دمشق ١٩٥٤، ح ٢ ص ٢٤٤.
- (٧٧) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٣، ح ١ ص ٤٦.
- (٧٨) عباد الدين خليل، عباد الدين زنكي، ص ٥٢-٥٣.
- (٧٩) الباهر ص ٤٧.
- (٨٠) عباد الدين خليل، ص ٥٤-٥٦.
- (٨١) المنتظم - ح ١٠ ص ٣٤.
- (٨٢) المنتظم - ح ١٠ ص ٤٥-٥٠.
- (٨٣) المنتظم - ح ١٠ ص ٥٥.
- (٨٤) أنظر عباد الدين خليل، ص ٥٨-٦١.
- (٨٥) ابن القلانسي ص ٢٨٤ عباد الدين خليل، ص ١٥٤-١٥٥.
- (٨٦) البنداري تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٢، الكامل ح ١١ ص ٢٠٧.
- (٨٧) الكامل ح ١١ ص ٢٠١.
- (٨٨) المنتظم ح ١٠ ص ١٧١، الكامل، ح ١١ ص ٢٠١، ٢١٢.
- (٨٩) الكامل - ح ١١ ص ٣٦٤.
- (٩٠) ابن شداد. سيرة صلاح الدين ص ٥٧، الكامل ح ١١ ص ٤٨٧-٤٨٦.
- (٩١) الكامل - ح ١١ ص ٥٠٠.
- (٩٢) الكامل ح ١٢ ص ٢٨٧.
- (٩٣) سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان - ح ٨ ص ٥٤٦.
- (٩٤) الكامل ح ١٢ ص ٣٣٤.
- (٩٥) الحوادث الجامعة - ص ٧٩-٨٠.
- (٩٦) الحوادث الجامعة ص ١٦٥.
- (٩٧) المصدر نفسه ص ١٦٥.
- (٩٨) المصدر نفسه ص ٩٥-٩٦، ١٤٣.
- (٩٩) الكامل - ح ١٠ ص ٦٤٥.
- (١٠٠) ابن الأثير - ح ١٠ ص ٦٤٥-٦٤٦، عباد الدين خليل ص ٧١.
- (١٠١) الكامل - ح ١٠ ص ٦٥٨.
- (١٠٢) الباهر ص ٣٧.
- (١٠٣) مفرج الكروب - ح ١ ص ٩٧.
- (١٠٤) ابن العديم، زبدة الجلب ح ٢ ص ٢٥٧، الباهر ص ٥٧-٥٨، المنتظم - ح ١٠ ص ١٠٢.
- (١٠٥) ابن القلانسي - ص ٢٨٤-٢٨٥.
- (١٠٦) الباهر ص ٣٦-٣٧، عباد الدين خليل ص ٩٣-٩٥.
- (١٠٧) الباهر ص ٤٨، ٦٤، عباد الدين خليل، ص ١١٢.
- (١٠٨) عباد الدين خليل ص ١٢٧.
- (١٠٩) Setton, K. M. A History of the Crusades, pennsylvania, 1955, vol I pp.459 - 460.
- (١١٠) الكامل ح ١١ ص ١٣١، سبط، ح ٨ ص ١٩٨، Setton, op. cit. p. 509

- الذهب. دار الآفاق الجديدة، بيروت (د. ت) ح ٥ ص ٢٢٩، سعيد الديوه جي، تاريخ الموصلى ح ١ ص ٣١٦.
- (٥٣) أنظر ابن القطي ص ٢٦٤-٢٦٥، ص ١٣١، ١٣٣، ١٣٦.
- (٥٤) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصلى ح ١ ص ٣١٦.
- (٥٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ح ٢٠ (مخطوطة أحمد الثالث رقم ٤٠١٤ ورقه ١٧١ ب - ١٧٢ ب، قارن - سعيد الديوه جي، تاريخ الموصلى ح ١ ص ٣١٧.
- (٥٦) الكامل ح ١٢ ص ٣٧٨ وما بعدها. البيهقي، ذيل مرآة الزمان، حيدر اباد الدكن - الهند ١٩٥٤، ح ١ ص ٨٧-٨٨.
- (٥٧) الحوادث الجامعة ٩٩.
- (٥٨) محمد باقر الحسيني، العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، بغداد ١٩٦٦، ص ١٢١.
- (٥٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ح ٨ ص ٧٤٥.
- (٦٠) رشيد، جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنك خان) ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد. بيروت ١٩٨٣، ص ١٨١.
- (٦١) المصدر نفسه ص ١٩٢، البريلغ مرسوم أمان يعطيه الخان لمن يريد حفاظاً على حياته، أما الهايضة فهي لوحة بمجم الكف تصنع من الذهب أو الفضة أو الخشب تعطي حاملها امتيازات لأنها تمنح للسفراء وكبار رجال الدولة. جامع التواريخ - المصدر أعلاه ص ٨ الهامش.
- (٦٢) الحسيني - المرجع السابق ص ٦.
- (٦٣) ابن كثير - البداية ح ١٣ ص ٢٠٠.
- (٦٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٦-١٩٥٦، ح ٧ ص ٤٨-٤٩.
- (٦٥) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩.
- (٦٦) رشيد الدين، جامع التواريخ تاريخ المغول الألبخانيون. ترجمة: محمد صادق نشأت محمد موسى مندودي، فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٩٦٠. ح ٢ قسم ١ ص ٣٠٠-٣٠١.
- (٦٧) الحوادث الجامعة، ص ٣٣٧، ابن خلكان وفيات الأعيان، تحقيق أحسان عباس، بيروت (د. ت) ح ١ ص ١٨٤، أما رشيد الدين: فيقول أنه تجاوز التسعين سنة، جامع التواريخ ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٠، وفي ص ٣٢٧ يقول عنه وكانت سنه قد بلغت السادسة والتسعين.
- (٦٨) ابن العربي - تأريخ مختصر الدول، تحقيق أطوار صالحاني البوسعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٠، ص ٤٨٦.
- (٦٩) رشيد الدين، ح ٢ قسم ١ ص ٣٠٦.
- (٧٠) الحوادث الجامعة ص ٣٤٤-٣٤٨، رشيد الدين، جامع التواريخ ح ٢ قسم ١ ص ٣٢٧-٣٣٠ البيهقي - ذيل مرآة الزمان، ح ١ ص ٤٥٢.
- (٧١) البيهقي - ح ١ ص ٤٩٤-٤٩٥.
- (٧٢) رشيد الدين، المصدر السابق، ح ٢ قسم ١ ص ٣٣٠.
- (٧٣) المصدر نفسه والصفحة.
- (٧٤) ابن العبري، ص ٤٩٦، الحوادث الجامعة، ص ٣٤٨.

- (١١١) ابن القلانسي ص ٣٠٠، الباهر ص ٩٠.
- (١١٢) ابن القلانسي ص ٣٠٥، البنداري، ص ٢٠٥-٢٠٦-سيط ح ٨ ص ٢٠١.
- (١١٣) الباهر ص ٩٦-٩٧.
- (١١٤) ابن القلانسي، ص ٣٥٥.
- (١١٥) الكامل - ح ١١ ص ٢٥١-٢٥٢.
- (١١٦) الباهر ص ١٥٢.
- (١١٧) الباهر ص ١٥٣، الكامل ج ١١ - ص ٣٦٥.
- (١١٨) باقر الحسيني، العملة الإسلامية... ص ٤٧.
- (١١٩) رشيد الجميلي، ص ١٠٥، سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٩٥.
- (١٢٠) الكامل ج ١١ ص ٤٢٠.
- (١٢١) الكامل ج ١١ ص ٤٦٣.
- (١٢٢) سيوط ابن الجوزي - ج ٨ ص ٣٦٥.
- (١٢٣) الكامل ج ١١ ص ٤٧٣.
- (١٢٤) المصدر نفسه ج ١١ ص ٤٧٤.
- (١٢٥) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٢٦) الكامل ج ١١ ص ٤٧٣-٤٧٥.
- (١٢٧) الكامل ج ١١ ص ٤٧٥.
- (١٢٨) سيوط ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٦٦. أبو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٢٤.
- (١٢٩) ابن شداد، سيرة صلاح الدين ص ٥٦-٥٧.
- (١٣٠) المصدر نفسه ص ٥٧. أبو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٣٢-٣٣.
- (١٣١) ابن شداد، ص ٥٧.
- (١٣٢) الكامل ج ١١ ص ٤٨٦.
- (١٣٣) أبو شامة، الروضتين ج ٢ ص ٣٣.
- (١٣٤) الكامل ج ١١ ص ٤٩٧.
- (١٣٥) سيوط ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٧٦.
- (١٣٦) الكامل ج ١١ ص ٤٩٩-٥٠٠.
- (١٣٧) الكامل ج ١١ ص ٥٠١.
- (١٣٨) الكامل ج ١١ ص ٥١٤.
- (١٣٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢ ص ١٦٦، أبو شامة، الروضتين، ج ٢ ص ٦٢.
- (١٤٠) الكامل ج ١١ ص ٥١٢.
- (١٤١) الكامل ج ١١ ص ٥١٢.
- (١٤٢) الكامل ج ١١ ص ٥١٣.
- (١٤٣) الكامل ج ١١ ص ٥١٥-٥١٦. أبو شامة، الروضتين، ج ٢ ص ٦٣.
- (١٤٤) الكامل ج ١١ ص ٥١٧. ابن شداد، سيرة صلاح الدين ص ٧٠.
- (١٤٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦.
- (١٤٦) الكامل ج ١٢ ص ١٠١.
- (١٤٧) سيوط ج ٨ ص ٤٢٥.
- (١٤٨) الباهر ص ١٨٤.
- (١٤٩) الباهر ص ١٨٤، ١٩٤، ١٩٥، سيوط ج ١ ص ٤٦٢،
- ٤٩٩، ابن واصل، ج ٢ ص ١٠٢.
- (١٥٠) الكامل ج ١٢ ص ١٩٢.
- (١٥١) الكامل - ح ١٢ ص ٢٩٣.
- (١٥٢) سيوط ح ٨ ص ٦٠١.
- (١٥٣) الكامل - ح ١٢ ص ٣٣٧، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر (لبنان د. ث) ح ٤ ص ٢٧٠-٢٧١.
- (١٥٤) الكامل ج ١٢ ص ٣٣٧.
- (١٥٥) الكامل ج ١٢ ص ٣٤٤، أبو الفدا ح ٦ ص ٢١.
- (١٥٦) الكامل - ح ١٢ ص ٣٤٤.
- (١٥٧) ابن العري، تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٣، الغاشية: غاشية سرج من ادم مخروزة بالذهب بخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدي الملك أو السلطان في المراكب - القلقشندي ج ٤ ص ٧.
- (١٥٨) الكامل - ح ١٢ ص ٣٤٤-٣٤٥.
- (١٥٩) الكامل ح ١٢ ص ٤٢٤-٤٢٥.
- (١٦٠) الكامل ج ١٢ ص ٤٥٣.
- (١٦١) الكامل ح ١٢ ص ٤٥٣.
- (١٦٢) الكامل - ح ١٢ ص ٤٩٠، سيوط ح ٨، ص ٦٦١.
- (١٦٣) أبو الفدا ح ٢ - ص ١٧٠، ابن العري ص ٤٥٦.
- (١٦٤) أنظر الباهر ص ١٧ ص ٣٤-٣٥.
- (١٦٥) الكامل - ح ١٠ ص ٦٤٧.
- (١٦٦) الكامل ح ١٠ - ص ٦٦٢، الباهر ص ٣٩-٤٢.
- (١٦٧) زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٩، Setton, A History of the Crusades, vol. I, pp. 457 - 458.
- (١٦٨) الكامل - ح ١١ ص ٤٠. زبدة الحلب، ح ٢ ص ٢٦٠-٢٦١.
- (١٦٩) ابن القلانسي، ص ٢٥٨-٩، الكامل، ح ١١، ص ٥١، عاد الدين خليل ص ١٤٢-١٤٣.
- (١٧٠) Steven Runciman, A History of the Crusades, vol II, pp. 213 ff. ص ١٤٤. أنظر أيضاً عاد الدين خليل، ص ٢٦٥-٦ - الكامل - ح ١١ - ص ٥٩-٨، زبدة الحلب ح ٢ ص ٢٦٤-٨، عاد الدين خليل ص ١٤٤-١٤٥. ٧-١٥ - Runciman, op.cit. pp. 15 - 16.
- (١٧٢) الباهر ص ٥٧، زبدة الحلب ح ٢ ص ٢٦٨، مفرج الكروب، ح ١ - ص ٨٣.
- (١٧٣) الكامل - ح ١١ - ص ٩٤.
- (١٧٤) عاد الدين خليل، ص ١٤٩.
- (١٧٥) Runciman, II, PP. 234-237، وكذلك ابن القلانسي ص ٢٧٩-٢٨٠.
- (١٧٦) الباهر ص ٦٩. Runciman, op. cit. p.237.
- (١٧٧) ابن القلانسي ص ٢٨٠، شاعر أحمد أبو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ببيروت ١٩٧٢، ص ١٥٢.
- (١٧٨) الكامل - ح ١١ - ص ١١٤.
- (١٧٩) الكامل ح ١١ ص ١٢٩، أبو شامة، الروضتين، ح ١ ص ٥٢-٥٣.
- (١٨٠) الباهر - ص ١٩، أبو شامة. الروضتين ح ١ ص ٥٣.

- (٢١٤) ابن الأثير - إكمال ج ١١ ص ٣٣١-٣٣٢ ، ٣٦٤ ، الباهر ص ١٥٤ .
- (٢١٥) إكمال ج ١١ - ص ٣٦٤ - ٥ .
- (٢١٦) إكمال ج ١١ ص ٤٣٤ ، ٤٩٩ - ٥٠٠ ، الباهر ص ١٩٣ - ١٩٤ .
- (٢١٧) الحوادث الجامعة ص ٥٢ .
- (٢١٨) القلقشندي ، ح ٤ ص ١٨٥ .
- (٢١٩) إكمال ج ١١ - ص ٥٠٠ .
- (٢٢٠) القلقشندي ح ٤ ص ٣٨ ، قارن مذكروه عاد الدين خليل في ص ٢٥٦ وبابعدا .
- (٢٢١) إكمال ج ٩٢ .
- (٢٢٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ .
- (٢٢٣) ابن القلانسي ص ٢٤٣ .
- (٢٢٤) نفس المصدر ص ٢٧٧ ، زبدة الجلب ح ٢ ص ٢٧٦ - ٨ .
- (٢٢٥) زبدة الجلب ، ح ٢ ص ٢٧٨ .
- (٢٢٦) ابن خلكان - ح ٥ ص ١٤٣ .
- (٢٢٧) المصدر نفسه ص ١٤٥ .
- (٢٢٨) إكمال ج ٩٢ .
- (٢٢٩) المصدر نفسه ص ١٢٧ - ١٣٠ ، ابن خلكان ج ٥ - ص ١٤٣ - ١٤٦ .
- (٢٣٠) إكمال ج ١١ ص ٤٣٤ ، ٤٤٨ .
- (٢٣١) إكمال - ح ١١ - ص ٤٤٨ .
- (٢٣٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ح ٩ - ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
- (٢٣٣) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، ح ٤ قسم ٣ ، تحقيق مصطفى جواد دمشق ١٩٦٥ ، ص ١٧١ .
- (٢٣٤) إكمال ج ٧٩ ، ٨٣ ، عاد الدين خليل ص ٢٦٦ - ٧ .
- (٢٣٥) إكمال ج ٧٦ - ٧ ، ٨٤ .
- (٢٣٦) سبط ابن الجوزي - ح ٨ - ص ١٩٠ .
- (٢٣٧) إكمال ج ٨٣ ، عاد الدين خليل ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .
- (٢٣٨) رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسي - بيروت ١٩٥٩ ، ص ٩ .
- (٢٣٩) ابن الشعار عقود الجمان - ح ٤ ورقة ٢٥٧ أ و ب .
- (٢٤٠) ابن كثير البداية والنهاية ح ١٢ - ص ٩٤ .
- (٢٤١) البويني ، ذيل مرآة الزمان ح ١ ص ٥١٤ .
- (٢٤٢) ابن الشعار - عقود الجمان ، ح ١ ورقة ٤٥ أ و ب .
- (٢٤٣) باقر الحسني ، العملة الإسلامية في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣٠ وبابعدا .
- (٢٤٤) الماوردي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، نشر المطبعة الحمودية التجارية بمصر (د . ت) ص ٦١ وبابعدا .
- (٢٤٥) إكمال ج ٣٥ .
- (٢٤٦) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ح ٤ ص ٢٤١ .
- (٢٤٧) ابن خلكان - ح ٤ - ص ٢٤٦ .
- (٢٤٨) ابن القوطي تلخيص مجمع الآداب ، ح ٤ قسم ٢ ص ٨٥٦ .
- (٢٤٩) إكمال ج ٢٠٣ .
- (٢٥٠) المصدر نفسه ص ٨٣ .
- (٢٥١) القلقشندي - ح ٤ - ص ١٩٠ .
- (١٨١) إكمال ج ١١ ص ١٣٠ ، ١٣١ .
- (١٨٢) ابن القلانسي ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، إكمال - ص ١٣١ - ١٣٢ .
- (١٨٣) ابن القلانسي ص ٣٠٤ - ٥ ، سبط ، ح ٨ ص ٢٠١ . ابن الأثير ج ١١ - ص ١٤٤ .
- (١٨٤) إكمال ج ١٢٢ - ١٢٤ ، إكمال ج ١١ - ص ٣٠١ - ٣٠٤ - Runciman, op. cit, pp. 369 -
- (١٨٥) إكمال - ص ٣٢٧ - ٨ ، ابن واصل ح ١ ص ١٥٢ .
- (١٨٦) إكمال ج ١١ - ص ٣٧٣ - ٤ .
- (١٨٧) إكمال ج ١١ ص ٥٢٩ ، ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ص ٧٥ .
- (١٨٨) إكمال ج ١١ - ص ٥٣٧ .
- (١٨٩) إكمال ج ١١ ص ٥٤٦ وبابعدا .
- (١٩٠) المواد الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق ، محمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٥٠ ، ٣٨٣ ، إكمال ج ١٢ ص ٤٧ .
- (١٩١) المواد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٥٦٥ ، إكمال - ح ١٢ - ص ٧٤ .
- (١٩٢) إكمال ج ١٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
- (١٩٣) البنداري تاريخ آل سلجوق ، ص ١٨٨ ، عاد الدين خليل ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- (١٩٤) عاد الدين خليل - ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- (١٩٥) إكمال ج ١١ - ص ١٠٠ - ١٠٢ ، إكمال ج ٧١ - ٧٢ ، البنداري ص ١٨٨ - ٩ عاد الدين خليل ص ٢٧٧ - ٨ .
- (١٩٦) البنداري ص ١٨٩ .
- (١٩٧) المصدر نفسه ص ١٩١ - ٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ح ١ - ١٠٩ .
- (١٩٨) إكمال ج ٨٦ . أما في إكمال فيذكر أنهم " قضوا عليه وجس في قلعة الموصل " . ح ١١ ص ١١٣ .
- (١٩٩) محمد باقر الحسني ، العملة الإسلامية في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٤٢ - ٣ .
- (٢٠٠) البنداري ، ص ٢٦٤ ، إكمال - ح ١١ - ص ٢٥١ .
- (٢٠١) ابن الجوزي - المنتظم - ح ١٠ - ص ١٩٢ ، إكمال - ح ١١ ص ٢٥٤ - ٥ .
- (٢٠٢) المنتظم - ح ١٠ ص ١٩٦ ، البنداري ص ٢٦٧ .
- (٢٠٣) ابن الأثير - ح ١١ - ص ٥١٣ .
- (٢٠٤) ابن القلانسي - ص ٢٦٢ - ٢٧٠ .
- (٢٠٥) إكمال ج ٦٤ . عاد الدين خليل ص ٢٣٥ .
- (٢٠٦) صبح الأعشى ، الطبعة الأميرية ، مصر (د . ت) ح ٥ ص ٤٥٣ .
- (٢٠٧) البنداري ص ١٨٩ .
- (٢٠٨) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ح ١ ص ٢٦٤ - ٥ .
- (٢٠٩) إكمال ج ١٠٩ ، ١٣٥ .
- (٢١٠) إكمال ج ٧٣ .
- (٢١١) إكمال - ح ١١ - ص ٣٣١ .
- (٢١٢) إكمال ج ٨٤ ، عاد الدين خليل ص ٢٤٢ .
- (٢١٣) زبدة الجلب ، ح ٢ ص ٢٤٥ .

- (٢٥٢) الباهر ص ٨٣.
 (٢٥٣) الكامل ح ١١ ص ٥٠.
 (٢٥٤) المصدر نفسه ح ١٠ - ٦٤٣.
 (٢٥٥) عاد الدين خليل - ١٩٤ - ١٩٥.
 (٢٥٦) القلقشندي - ح ٤ - ص ١٤ وما بعدها.
 (٢٥٧) الباهر ص ٨٣.
 (٢٥٨) عاد الدين خليل - ص ١٩٧.
 (٢٥٩) اسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق فليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة الأميركية ١٩٣٠، ص ٣١.
 (٢٦٠) عاد الدين خليل ص ١٩٨.
 (٢٦١) المرجع نفسه ص ١٩٨ - ٩.
 (٢٦٢) الباهر ص ١٨٦ - ٧.
 (٢٦٣) المصدر نفسه ص ٩٣.
 (٢٦٤) أنظر رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عاد الدين زنكي، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٧٥، ص ٢٥٧ وما بعدها.
 (٢٦٥) صبح الأعشى ح ١٤ - ص ٣٧.
 (٢٦٦) المصدر نفسه ح ١٤ ص ٣٦٩ - ٣٧٠، ٣٩٠.
 (٢٦٧) الباهر ص ٨٧.
 (٢٦٨) الكامل ح ١١ ص ٣٧٥.
 (٢٦٩) الدوري - مقدمة التأريخ الاقتصادي العربي، بيروت ١٩٦٩، ص ٩٦ - ٧.
 (٢٧٠) الباهر ص ٣٦.
 (٢٧١) المصدر نفسه ص ٣٧، ٨٠، ابن واصل ح ١ ص ١٠٣.
 (٢٧٢) الباهر ص ٧٧.
 (٢٧٣) نفس المصدر ص ٣٥.
 (٢٧٤) الدوري - المرجع السابق، ص ٩٧.
 (٢٧٥) الباهر ص ٧٩.
 (٢٧٦) نفس المصدر والصفحة.
 (٢٧٧) الكامل ح ١١ ص ٣٦٥، ٤٦٣، الدوري ص ٩٨.
 (٢٧٨) الباهر ص ١٦٩.
 (٢٧٩) الكامل ح ١١ ص ٥٠٠.
 (٢٨٠) الباهر ص ١١٢.

المظاهر الحضارية في الموصل في عهد الإدارة الأتابكية

د. عبد المنعم رشاد

لقرب مسافة بعضها من بعض ... وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصاً، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله، ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور وأبراجه في مائها، وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق وأحدث فيه بعض أمراء البلد، وكان يعرف بمجاهد الدين جامعاً على شط دجلة ماأرى وضع جامع أحفل منه ... وبني أيضاً داخل البلد في سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم تغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له، فما أرى في البلاد قيسارية تعدها^(٢)

ويفصفها الرحالة اليهودي بنيامين الذي زارها في

كان للهدوء الذي تمتعت به الموصل خلال فترة الحكم الأتابكي الطويلة دوره في تطورها العمراني وفي تقدمها الحضاري حتى أصبحت من المدن المشار إليها لحسن عمارتها وروعة بنايتها، واتساع رقعتها، كما أنها اشتهرت بأسواقها عمارة وتجارة حتى أن صاحب كتاب الحوادث الجامعة وصف أحد أسواقها بقوله "وغرق في الجانب الشرقي - من بغداد - ما كان ظاهر السور من مساكن كانت أستحدثت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله ويولع في عمارتها وكان بها أسواق مادة وحمامات وبساتين مشمرة حتى كادت تشبه حاضر حلب أو سوق الزكرمان بالموصل".^(١) وخير من وصف المدينة في العهد الأتابكي هو الرحالة ابن جبير فقد قال عنها "هذه المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن فاخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي أنظماً

هذا العهد أيضاً "والموصل مدينة واسعة الأرجاء
قديمة البنيان" (٣) ١

من هذا نلاحظ أن الموصل ازدهرت واتسعت
في العهد الأتابكي حتى غدت من أمهات المدن
العربية والتي يشار إليها سعةً وعمارة وقوة ورخاءً.

أ- الوضع الاقتصادي

ازدهرت الأوضاع الاقتصادية في الموصل
بسبب الهدوء والاستقرار السياسي الذي تمتعت به
من ناحية ولأنها أصبحت عاصمة أمانة واسعة
الأرجاء من ناحية أخرى، كان يقصدها الناس من
مختلف الأماكن للاتصال بأمرائها أو للأغراض في
جيشها أو للاستفادة من أمانة نشطة كانت دائمة
التصدي لأعداء الأسلام - الصليبيين ولذا كان
على حكامها أن يعتنوا بها ويسكنوها حتى يطمئنا
على أنفسهم في عاصمتهم وحتى يطوروا ولاء الناس
لهم، لهذا أعتنوا بكافة الأحوال الاقتصادية
والأشراف عليها وتنميتها ومن هنا ازدهرت فيها
الزراعة والصناعة والتجارة.

٢ - الزراعة -

كانت الزراعة حول الموصل قليلة قبل العهد
الأتابكي ولهذا كان يحمل البهم ما يحتاجونه من
محاصيل وفواكه من المدن والبلاد المجاورة لها. حتى
ندر وجود الفواكه فيها حتى كادت أن تختفي من
الأسواق (٤) فأهتم الأتابكة بالري وإيصال الماء
من دجلة وذلك بشتى الطرق، فزادت ثروتها الزراعية
وتحولت الأراضي الجذباء إلى أراضي خصبة مزروعة
تنتج مختلف أنواع البقول والخضراوات والفواكه
ويذكر ابن الأثير "وكانت الموصل أقل بلاد الله
فاكهة، فكان الذي يبيع الفواكه يكون عنده
مقراض يقص به العنب لقلته إذا أراد أن يزره، فلما
عُمرت البلاد وعملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها

فهني اليوم أكثر البلاد فاكهة فالرمان يبقى إلى أن
يدرك العتيق والجديد، وكذلك الكثرني وقريب منه
العنب، وأما التفاح فيجمع العتيق والجديد" (٥).

كما أن القرى المهجورة عمرت لأقبال الناس
على السكن بالموصل طلباً للأمان والاستقرار
الذي توافر في ظل الحكم الأتابكي. والدليل
على وفرة الزراعة في الموصل هو أن بغداد كانت
تعتمد في مبرتها على الموصل لمدة أربع أشهر في
السنة (٦). ويعطينا التعمري أحصائيات عن عدد
البساتين داخل الموصل فيقول أنها ست وثلاثون.
وبساتين الخضرة خمسة وتسعون ولكثرة الحبوب
الواردة إلى المدينة فقد كان عدد الطواحين المائية في
المدينة ثمان وستون رحى (٧). واشتهرت الموصل
بزراعة القطن وذلك لاستخدامه في صناعة
الأقمشة، كما زرع الفلاحون الحبوب كالحنطة
والشعير والرز والبقول والفواكه والخضراوات وأعتنوا
كذلك بتربية الأغنام والأبقار والماعز لسد حاجة
البلد من مواد العيش الضرورية كاللحوم والدهن
والحليب والجبن، والمواد التي يحتاجونها في
صناعاتهم كالصوف للحياكة وشعر الماعز الذي
يتخذ منه بيوت الشعر والغرائر، وكذلك الجلود
المستخدمة في صناعات كثيرة كالأحذية والسرير
والأحزمة ولوازم الخيول ولصناعة الدلاء والروايا. كما
عنوا بتربية الخيول للقتال والأنقال، فكانت
لديهم أجود الخيول الأصلية. (٨)

وقد ساد الرخاء في المدينة ولم تلاق قلة في
الطعام أو ارتفاع أسعار إلا في بعض السنين التي
تقل فيها الأمطار أو تفيض مياه دجلة فتغرق المزارع
أو تصاب ببرد شديد يتلف المحاصيل، كما حدث في
السنوات ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ /
١٢٢٤-١٢٢٧ حيث قلت الأمطار وارتفعت
الأسعار. (٩)

وقد أشار القزويني إلى ازدهار الزراعة على

كانت تصدر الى مختلف البلاد ، ومن هذه المنسوجات هو الشاش الموصل الرقيق المصنوع من القطن أو من خليط القطن والحرير ، وقد تطرز حواشيه بالحرير الملون وعرف هذا القماش في أوروبا بأسم الموزلين - نسبة الى الموصل ، كما نسجوا الحرير الخالص أو المخلوط والمنقوش بنقوش زاهية الألوان وقد تنقش حواشيه بالقصب أو بالذهب وتتخذ منه الأزهر الجميلة .^(١٤)

ونسجوا الصوف أقشة مختلفة منها مايلبس شتاء ومنها مايلستر به أو يفرش كالأغطية والبسط^(١٥) . كما اتخذوا من شعر الماعز بيوت الشعر الكبيرة المحبوكة النسيج ، حتى أن أحد أسواق الموصل عرف بسوق الشعارين نسبة الى بيع الشعر ومنسوجاته .^(١٦)

وأحتلت الموصل مركزاً مرموقاً في صناعة المعادن وخاصة صناعة الألواني النحاسية التي تمتاز بكثرة الرسوم الأدمية والحيوانية ويتم تطعيمها - تكفيتها - بالفضة والذهب ، فصنعت العُلب والقناديل والشمععدانات والمخابر والمباخر والطشوت والصواني وأواني الشرب والأكل والمزهريات والالات الفلكية ، كما كانوا يصنعون من البرونز الماونات وبأشكال مختلفة ويصنعون منه مدقات الأبواب ومواقد الفحم ومختلف الأدوات المنزلية^(١٧) . ويرز فنانوا الموصل بالزخرفة على الرخام والجبس وزخرفة الاجر والنحت على الخشب وصناعة الفخار ، ونشاهد أعمال هؤلاء الفنانين فيما تبقى من المساجد والمشاهد التي بنيت في العهد الأتابكي^(١٨) .

وانعش كذلك فن التصوير حيث أصبح للموصل مدرسة في التصوير بارزة المعالم ، وهناك الكثير من الكتب المصورة التي لازالت موجودة في الموصل وفي بعض المتاحف العالمية تشهد بدقة وروعة تصويرها وزخرفتها .^(١٩)

شواطئ دجلة وخاصة في فصلي الصيف والخريف والتي تسمى بالشواريق فيقول "وفي الجانب الشرقي عند أنتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح دجلة على أرض ذات حصباء يتخذ الناس عليها سراً وقباًباً من القصب في وسط الماء يسمونها الشواريق ويبتون فيها ليالي الصيف ويكون هواؤها في غاية الطيب ، وإذا نقص الماء وظهت الأرض زرعوا بها القثاء والخيار فتكون حول القباب مقناة ويبقى ذلك الى أول الشتاء"^(٢٠) وكان لهذا الأزدهار أثره في ضخامة واردات الجزيرة في العهد الأتابكي ، فقد بلغت واردات الجزيرة العشرة ملايين دينار (١٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار) علماً بأن الزراعة هي المورد الأساس للجبايات والضرائب .^(٢١)

٢ - الصناعة :-

تطورت الصناعة في الموصل لأنها حظيت بدعم الأتابكة وتشجيعهم ، كما أن أزدهار التجارة والزراعة في هذه الفترة ساعد على أزدهار الحرف والصناعة بشكل واضح ولذلك اشتهرت هذه المدينة بمصنوعاتها المختلفة والتي تشهد على دقة صانعيها ومهارتهم الفائقة في أعمالهم مما أدى بمصنوعاتهم أن تغزر أسواق أوروبا وآسيا لأن أهلها "أهل خير وتدقيق في الصناعات"^(٢٢)

أشتهرت الموصل بصناعة النسيج على اختلاف أنواعه وكانت تنتج الكثير منه وهذا دفع سبط ابن الجوزي أن يعطينا أحصائيات مبالغ فيها عن عدد أنوال الحياكة فذكر أنه كانت بالموصل (٧٥٠٠٠) نول - جومة - وخانات مختصة بأعمال الحياكة من صبيغ ودق ونقش وتطريز وقصر يبلغ (٩٠٨) حاناً^(٢٣) . وأن دلت هذه على شيء فأما تدل على مدى انتشار هذه الصناعة وكثرة العاملين فيها . وقد أنتجت الموصل الكثير من الأقمشة التي

والسكاكين والنشاب والطنرج الفائق والسلاسل^(٢٥) وقد اعتنى الأتابكة بالتجارة والحفاظ على مصالحهم وأموالهم ، مما شجع هؤلاء الى القدوم الى الموصل واتخاذها محلاً للتجارة والعيش^(٢٦) وبذلك كثرت الاستثمارات المالية فيها ولاشك . وهذا أدى الى ازدهار ورخاء مالي .

ب- الوضع الاجتماعي

يؤلف المسلمون العرب الغالبية العظمى لسكان مدينة الموصل^(٢٧) ، وكان فيها وفي أطرافها جماعات مسيحية . وكان في الموصل جالية يهودية ذكر بنيامين التطيلي أن عدد أفرادها سبعة آلاف يهودي .^(٢٨)

وينقسم المجتمع الموصل في هذا العصر ، كبقية المجتمعات العربية ، الى فئتين العامة والخاصة . أما العامة فهم السواد الأعظم من الناس ويختلفون عن الخاصة بكثرة عددهم ويكونهم ليسوا من أصحاب السلطة أو الجاه . بينا الخاصة هم أصحاب الأمير ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتّاب والقادة والأشراف والقضاة والشهود ، ويضاف اليهم بعض الموهوبين من العلماء والأدباء والفقهاء .^(٢٩)

أشتهرت في العهد الأتابكي بعض الأسر من الأعيان والكبراء ظهر من بينها الفقهاء والعلماء والشعراء والكتّاب والسياسيون والتجار والمحدثون والقضاة والعدول ، ومن أشهر هذه الأسر .^(٣٠)

١ - أسرة أبناء الأثير : وأبرز أفرادها هم الأخوة الثلاثة مجد الدين الفقيه وعز الدين المؤرخ ، وضياء الدين الوزير- الكتّاب .

٢ - أبناء يونس بن منعة : وأبرز أفراد هذه الأسرة هم عماد الدين بن يونس القاضي وكمال الدين بن يونس العالم الفيلسوف ، والفقيه شرف الدين بن كمال الدين .

٣ - أبناء بلدجي : وأشهرهم محمود بن مودود

يصف ياقوت الموصل قائلاً "هي محط الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يُقصد الى اذربيجان وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر إلا بها"^(٣١) بهذا يوضح ياقوت - وهو معاصر للأتابكة - الأهمية الجغرافية والتجارية لموقع الموصل والذي ساعد على ازدهار التجارة فيها . كانت أسواق الموصل وخاناتها واسعة ومتعددة وفيها من القيساريات مالا مثيل له في البلاد .^(٣٢) كما كانت تتوفر فيها وسائل الراحة للتجار والقادمين إليها" وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات مادعت إليها سكان البلاد النائية ، فقطنوها وجذبته اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها"^(٣٣)

ترتبط الموصل مع البلاد المجاورة بمجموعة من طرق المواصلات التجارية البرية والنهرية ، وكان هناك خانات على طول الطرق البرية فيها ما يحتاجه المسافرين طعام وماء وسكن وكانت القوافل تتراد هذه الطرق وتستخدم الخانات المتناثرة على طولها^(٣٤) . كما أن الطريق النهري كان مزدحماً حيث تجري فيه السفن والأحملاك المحملة بالبضائع والتي قد تتخذ واسطة لنقل الأشخاص من الموصل الى بغداد . وكانت دجلة غاصة بهذه السفن والأحملاك التي تنحدر الى الموصل محملة بالبضائع من بلاد الجزيرة وبلاد الروم ونواحي ميفارتين " ومن جزيرة ابن عمر تصل منها الى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والبن والجبن والجوز واللوز والبنديق والزبيب والتين . الخ"^(٣٥) أما المواد التي تصدرها الموصل فهي " الحبوب والعسل والتمكسود والفحم والشحوم والجبن والمن والسباق وحب الرمان والقيصر والحديد والأسطال

١- الوضع الصحي :

تعرضت الموصل في العهد الاتابكي الى بعض الموجات من الامراض الوافدة والمتوطنة وكانت المجاعة من ابرز اسباب انتشار الامراض في سنوات القحط ، كما ان المناخ يلعب دوراً مهماً في انتشار بعض الامراض كالحميات فيصف القزويني مدينة الموصل بكثرة البساتين «وكون خريفها كثير الحمى تأتي سنة سليمة وسنة مويثة يموت فيها عدد كبير من الناس» (٣٢) وكانت هناك امراض متوطنة كالسل والجذري وغيرها . فقطب الدين مودود بن زنكي توفي بحمى حادة سنة ١١٦٩/٥٦٥ (٣٣) اما سيف الدين غازي فقد توفي بمرض السل (٣٤) . ومن اجل معالجة هذه الامراض والأوبئة انشأت البيارستانات والتي كانت تضم عدداً من الاطباء والحكماء يقومون بمعالجة المرضى المقيمين فيها . كما ان هذه كانت مؤسسات تعليمية يدرس فيها الطلبة مهنة الطب والدواوة بالاعشاب وكان في الموصل بهارستانين احدهما في ريف المدينة الاسفل وهو من انشاء مجاهد الدين قايماز والآخر داخل المدينة (٣٥) .

٢- الحياة البيئية :

كانت الدور في الموصل تبنى بالحجارة والجص (٣٦) . بيوت الفقراء صغيرة المساحة وخالية من اي تزيين او نقش ، اما بيوت الموسرين فقد كانت واسعة المساحة وتزين بالرخام المطعم والاجر المزجج والزخارف المتنوعة ، وينشأ في هذه الدور حدائق وارقة ، وقد توضع النافورات فيها لتسقي الاشجار والأزهار، وما وصف من ابنية ذلك العصر تطلعا على دقة هندستها وجمال زخارفها . وكانت بيوت الموصل تبنى فيها سراديب للقبولة ولخزن المواد الغذائية والادوات المنزلية وكانوا يصنعون المراوح من الخيش لتكون واسطة لتبريد الجو في الصيف وكان الاغنياء يستعملون الثلج لتبريد

وكان علماً، وعبدالله بن محمود البلدي وكان من كبار الفقهاء الحنفية ، عبد الدائم بن محمود البلدي وكان من علماء الحنفية .

٤- بيت الشهرزوري : اختصت هذه الأسرة بالقضاء وقدم الحديث عن تولى القضاء في الموصل من أفراد هذه الأسرة .

٥- أبناء مهاجر : وهي من الأسر العلمية ، كان جدهم يشتغل بالتجارة فنشأ أولاده علماء ونجار وأشهرهم أبو القاسم علي بن مهاجر الذي أسس دار الحديث المهاجرة في الموصل ، ومحمد بن مهاجر التاجر والشاعر وبنى مدرسة فوق دار الحديث المذكورة .

٦- أبناء هبل : أشهرهم الطبيب مذهب الدين علي بن أحمد بن علي بن هبل وله كتاب في الطب هو (المختار في الطب) .

٧- أسرة النقيب : وهي من الأسر العريقة تولى أفرادها نقابة العلويين في الموصل ومن أشهرهم خضياء الدين زيد بن محمد الحسيني ، وأبو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد ، وكمال الدين حيدرة بن عبدالله الحسيني .

أما العامة فتكون أساساً من فئات عدة هي : (٣١)

١- فئة الخدم : وتشمل الرقيق من الجوارى والعبيد ومن الأحرار . ويعملون في البيوت أو الحوانيت .

٢- فئة الجند : وهؤلاء كان لهم دورهم الفعال في أسناد الأمانة والدفاع عنها .

٣- فئة العمال : الأحرار منهم والرقيق وهم ذوي الصنائع والمزارع وهم المنتجون الرئيسيون .

٤- فئة التجار : كانت لهم أسواق خاصة ينفرد كل منها بصنف معين من التجارة وكانت الثروات تتركز في أيديهم .

اشربتهم صيفاً.

٤- المهرجانات وأعياد الربيع :

في فصل الربيع تكسو وديان الموصل وسهولها حلة خضراء تزدهان بالأزهار الملونة وتنساب المياه في وديانها بين الحقول والأعشاب ، فيخرج اهل المدينة بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر البلد للتنزه وقيمون المهرجانات والألعاب المختلفة من فروسية ومصارعة ، وبعضهم كان يضرب الخيام خارج المدينة في هذا الفصل يقضون الليالي للراحة والاستجمام^(٤٢) . وكانوا يرتادون الاديرة للتنزه والترويح عن النفس لأن الاديرة تقع في المواضع النزهة المشرفة على الحقول والبساتين وتمتاز بالهدوء^(٤٣) .

٣- الاحتفالات الدينية :

اعتاد اهل الموصل الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى ، حيث يستعدون لهذين العيدين بصنع الكعك والحلوى وليس الملابس الجديدة او يخرجون الى ظاهر المدينة وقيمون المهرجانات المختلفة من فروسية وألعاب مسلية والمساخرة وخيال الظل^(٣٨) . وكانوا يحتفلون بيوم ولادة الرسول العظيم (ص) فيزيون الدور والاسواق ويحتمعون في المساجد يستمعون الى تلاوة المنقبة النبوية ، ويشارك في هذا مختلف فئات الناس ، فقد كان عمر بن محمد الملا يقيم احتفالاً كبيراً يحضره الملوك والوزراء والأمراء والعلماء والفقهاء والناس على اختلاف فئاتهم وتعد فيه الأطعمة المختلفة فيكون حفلاً مشهوداً في المدينة^(٣٩) .

وكانوا يحتفلون باستقبال شهر رمضان بالتكبير والتهليل وإقامة الصلوات في المساجد وسماع الوعظ والارشاد ، كما يحتفلون بعودة الحجاج من مكة ، ويتبركون بزيارة المشاهد الدينية كمشهد النبي يونس والرباط المجاور له^(٤٠) .

وكان المسيحيون يحتفلون بأعيادهم وخاصة بعيد الشعانين^(٤١) .

الألعاب الرياضية :

كانت ألعاب الفروسية تقام في الميدان ، وهي ارض واسعة ومنبسطة تمتد من دار الملك الى باب سنجار ، يستخدم لتدريب الجيش وعرضه وإقامة العابه ، يجتمع فيه اهل الموصل في اوقات فراغهم لمشاهدة ما يعرض من الألعاب المختلفة ، وكانت اكثر الألعاب انتشاراً هي اللعب بالكرة والصلولجان ، كان الانابكة والامراء يلعبونها مع كافة افراد الجيش ، فيتزلون بعد صلاة العصر من كل يوم الى الميدان ويجتمع الناس لمشاهدتهم ، وكان

زنكي مفرماً بهذه اللعبة وسار اولاده على نهجه ، وكان الهدف من هذه الرياضة العنيفة هو ابقاء الجند في حالة تدريب مستمرة وحتى لا يركنوا الى الكسل في اوقات السلم^(٤٦) .

كما انتشرت ألعاب الفتوة في الموصل كالرمي بالبندق والمسابقة بالحمام الزاجل ، وكانوا يتسبون في رمي الطير بالبندق الى احد الرؤساء البارزين كالخليفة او من ينيبه من أمراء الأطراف ، وإذا ما أصيب طير بهذه الطريقة فكان يكافأ الصائد بالهدايا والخلع من قبل الخليفة او الامير الاتابكي ، وكانوا يتسابقون بالحمام الزاجل - الهوادي - المستخدم في البريد لاختيار أفضل الاصناف واكثرها سرعة وتحملاً^(٤٧) .

وكان للركض - السعي دور في المسابقات الرياضية التي تقام في المواسم والأعياد وأشهر عدد من هؤلاء السعاة في الركض لمسافات طويلة فقد جرى معتوق الموصل في سنة ١٢٢٥/٦٢٥ من واسط الى بغداد "في يوم وليلة سوى ساعتين" فخلج عليه وأعطى الكثير من الأموال ، وفي سنة ١٢٤٥/٦٤٣ جرى معتوق هذا من دقوقاً الى بغداد فحصل على جوائز ثمينة^(٤٨) .

وما أن الموصل مشهورة بترية الخيول العربية الأصيلة ، لهذا كان أهلها يتباهون بما لديهم من خيول عتاق . وكان الشباب يقيمون حلبات السباق يشهد بها الناس وصار هذا مايتفاخر به أصحاب الخيول والفرسان^(٤٩) .

ح - الوضع الثقافي

ازدهرت الحياة الفكرية في الموصل في العهد الاتابكي لتوفر عوامل عديدة تظافرت في دعم هذا الأزدهار ، وكان من أبرز هذه العوامل هو الاستقرار

السياسي والتطور الاقتصادي فقد أصبحت الموصل عاصمة أمانة قوية واسعة نعمت بالأمن في ظلها .. وقد اضطلعت هذه الأمانة بمهمات عديدة كان أجلها هو مواجهة الخطر الصليبي ومحاولة دحره عن طريق توحيد المنطقة في وجه هذا الغزو الأوربي العاني ثم مهاجمته والقضاء عليه ، كما فعل زنكي في القضاء على أمانة الرها الصليبية . وقد أذكت انتصارات الاتابكة روحاً معنوية قوية في المدينة وخلقت حالة من التماسك الاجتماعي والاستقرار النفسي ، وهي أمور انعكست على سكانها ، فزادت ثقتهم بأنفسهم من ناحية وعمقت من تفاهمهم ولولاهم للاتابكة من ناحية أخرى ، كما أن أنشطتهم الحياتية تنوعت وأصبحت أكثر شمولية من السابق فجانب النشاطات الاقتصادية المتنوعة التي ساهم بها أهل الموصل نلاحظ أنهم شاركوا وبقوة كبيرة في الجانب العسكري أيضاً ، وبنفس الوقت كان للجانب الثقافي مكانته في أنشطتهم المتعددة . والعامل الأخر الذي تظافر للنهضة العلمية هو تشجيع الاتابكة ونوابهم ووزرائهم للعلماء والأدباء ، لأنهم كانوا يريدون أن يزينوا بلاطهم بهذه النخبة من الناس حتى يشتهر أمرهم ويعم صيتهم بأنهم رعاة للعلم والعلماء ، وقد أدى هذا الى توافد العلماء الى الموصل للاستفادة من معاهدها العلمية من ناحية ولتبل الحظوة عند حكامها من ناحية أخرى .

نمت المعاهد العلمية نمواً سريعاً في هذا العصر فقد كان في الموصل في القرن الخامس مدرسة واحدة هي المدرسة النظامية ، بينما أصبح عدد

هذه المدارس في نهاية العهد الأتابكي قرابة العشرين مدرسة ، أنشأ معظمها أمراء البيت الحاكم أونواهم ، إضافة الى دارين للحدّث وقرابة الثمانية أربعة استخدمت جميعها للأغراض الثقافية والتعليمية. (٥٠)

كانت مساهمة الأتابكة وذوي النفوذ في الأمانة دورهم الفاعل في هذه النهضة الثقافية خاصة وأن غالبيتهم كان على جانب من المعرفة والعلم أسهمت في هذا المجال . فنزكي مؤسس الأمانة كان يعتنى بالعلماء ويعتمدهم في مهات أمورهم (٥١) . أما نور الدين محمود فقد كان يجلب العلماء والفقهاء ويناقشهم في كثير من المباحث وله توقعات في غاية الأيجاز والبلاغة (٥٢) . أما سيف الدين غازي الأول فكان يجرى العطاء للشعراء ودوره بارز في تشجيع الحركة العلمية عن طريق بنائه للمدرسة الأتابكية العتيقة وهي من أحسن المدارس وأوسعها ، كما بنى رباطاً للصوفية (٥٣) . وكان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي من أحسن الملوك سيرة كريماً ويعتمد على العلماء في أعماله ومهاتهم (٥٤) . وكان سيف الدين غازي الثاني بن قطب الدين يقرب العلماء ويعهد إليهم بالمناصب ، عهد الى مجد الدين بن الأثير بخزانة الدولة ثم ولاه على ديوان الجزيرة وأعمالها (٥٥) . أما عز الدين مسعود الأول بن قطب الدين فقد كان كثير الاهتمام بالعلم والعلماء وبنى المدرسة العزية مقابل دار المملكة ، ودفن فيها بعد مماته وهي من المدارس الفخمة الكبيرة (٥٦) . وقد صنف له عبدالله بن علان بن زاهر الواسطي الخزاعي (ت ٦٢٣ / ١١٢٦) كتاب (المسألة الأتابكية العزية في الصفات الإلهية والتنبيه بالرد على من قال بالثنائية) (٥٧) . أما نور الدين أرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود فقد أهتم بالعلماء وتقرب إليهم وتمهدهم برعايته واحترامه (٥٨) . وبنى المدرسة

النورية مقابل دار المملكة وهي من أحسن المدارس وأوقف عليها الوقوف الكثيرة (٥٩) . أما الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني فقد بنى المدرسة القاهرية (٦٠) وقرب العلماء والأدباء ، ومن نال الحظوة عنده عز الدين بن الأثير الذي صنف له (كتاب ، الباهر في الدولة الأتابكية) (٦١) أما بدر الدين لؤلؤ فقد سار على منوال الملوك الأتابكة فقد كان يتفقد العلماء والشعراء ويجزل العطاء لمن يمدحه منهم . طلب من عز الدين أن يجمع له تاريخاً باسمه ففعل وألف كتاب (الكامل في التاريخ) فأجرى صلته ، وأنشأ المدرسة البدرية التي دفن بها . (٦٢)

وكان لنواب الأتابكة دورهم أيضاً في تشجيع الحركة العلمية في الموصل فزين الدين علي كچك بنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها (٦٣) . وكان مجاهد الدين قايماز على حظ من العلم والمعرفة ويحفظ الكثير من الشواهد الشعرية والحكايات التاريخية ولهذا أقبل عليه الشعراء يمدحونه وكان يجزل العطاء لهم . وعمل له أبو المعالي سعيد بن علي الحظيري كتاب (الأعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسم الأمير مجاهد الدين قايماز وقد بنى المدرسة المجاهدية ، وأنشأ مكتباً لتعليم الأيتام وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه . كما أنشأ في الموصل أيضاً جامعة المشهور والمارستان - والرباط وكلها قريبة من بعضها (٦٤) .

وكان للوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني دور مميز في تشجيع الحركة - العلمية - فكان يحضر مجالسه العلماء والفقهاء ، وكان يكثر الأحسان إليهم ، وألف الطبيب ابن هبل كتاب في الطب باسمه (الطب الجمالي) وأهداه له (٦٥) . وكان لهذا التشجيع أثره البالغ في كثرة القادمين إليها من الأدباء والشعراء والفقهاء أو من طلبة العلم للاستفادة من معاهدها العلمية أو لنيل عطايا المتنفذين فيها من أتابكة أو نوابهم أو

مجلدين^(٨٣) . كما صنف ابن الحدوس كتاب (الكامل في الفقه) وهو كتاب مطول في عشرة مجلدات^(٨٤) .

ومن الفقهاء الحنفية : الفقيه محمد بن ابراهيم ابوجعفر الرازي (ت ١٢١٧/٦١٤) وله كتاب في الفقه الحنفي وكتاب اخر اختصر به كتاب (القدوري) سماه (النوري في مختصر القدوري)^(٨٥) والفقيه عبد الله بن محمود بن مودود الموصل (ت ١٢٨٤/٦٨٣) وله تصانيف كثيرة منها، كتاب (المختار للفتوى) وكتاب (الاختيار لتعليل المختار)^(٨٦) .

وكان ابرز الفقهاء الحنابلة هو عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر الرسعني الحنبل، وقد صنف كتاباً شرح فيه (المختصر للخرقي)^(٨٧) .

٢- علوم العربية :-

من برز في علم اللغة هو مجد الدين بن الاثير، وصنف الشيخ عبد الوهاب بن ابراهيم الانجاني (ت ١٢٦٠/٦٦٠) كتاب (العرب كما في الصحاح والمغرب) في اللغة^(٨٨) واختصر الشيخ تاج الدين ابو القاسم عبد الرحيم بن رضي الدين بن منعة (ت ١٢٧٢/٦٧١) كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) لابي محمد قاسم بن علي الحريري (ت ١١٢٢/٥١٦) وسماه (مختصر درة الغواص) ويعد من كتب النقد اللغوي البارزة^(٨٩) .

اما في النحو فقد برز علي بن خليفة بن علي الموصل (ت ١١٦٦) الذي صنف مقدمة في النحو سماها (المعونة)^(٩٠) . وابو محمد سعيد بن المبارك بن البرهان النحوي (ت ١١٧٣/٥٦٩) كان عالماً بالنحو، وله تصانيف كثيرة في النحو ومنها (شرح الايضاح في النحو) وشرح (اللمع في العربية) لأبن جني و(الدروس في النحو) و(الرياضة في النكت النحوية) وغيرها^(٩١) . ومن النحويين البارزين ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن ابي السرايا

النحوي المعروف بابن الصائغ الموصل (ت ٦٤٣/١٢٤٥) ومن تصانيفه (شرح المفصل) و (شرح تصنيف ابن جني)^(٩٢) .

اما في مجال الشعر فقد ظهر العديد من الشعراء المبدعين، خاصة وان الملوك والامراء اعتنوا بالشعر والشعراء خاصة وان المديح كان دعاية فاعلة للمسؤولين وتنوياً بذكرهم ، ومن الشعراء البارزين :

ابو الفرج بن اسعد بن علي المعروف بابن الدهان (ت ١١٨٥/٥٨١)^(٩٣) والشاعر احمد بن محمد بن ابي الوفاء الموصل (ت ١٢٥٨/٦٥٦) وهو صاحب شعر في غاية الجزالة والركة وجودة المعاني^(٩٤) . ومنهم ابو الفتح عثمان بن عيسى البطلي الموصل (ت ١٢٠٢/٥٩٩) وله موشحه بمدح بها القاضي الفاضل تمتاز برقة الاسلوب وسهولة المعاني^(٩٥) .

والشاعر عبد الرحمن بن عبد الله بن علي التميمي المعروف بابن الصيقل (ت ١١٣٢/٦٣٢) كان شاعراً يمتاز بعذوبة الاسلوب ورقته^(٩٦) .

ومن الشعراء الذين مدحوا بدر الدين لؤلؤ: محمد بن حيدر بن محمد ابو طاهر الحسيني العلوي الموصل (ت ١٢٤٣/٦٤١)^(٩٧) ، واحمد بن بدران الموصل (ت ١١٩٩/٥٩٦) ولد سنة ٥٩٦/١١٩٩) وكذلك ابن الخلاوي المار الذكر فقد مدح الخلفاء والملوك

اما بطن الكتابة والانشاء فقد برع ضياء الدين ابن الاثير، وعلي بن احمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الكاتب الموصل (ت ٦٢٣/١١٢٦)^(٩٨) . كما برز في الخطابة عائلة الطوسي فقد تقلد العديد منهم هذه المهمة فبعد الله بن الحسن الطوسي (ت ١٢٤٥/٦٤٣) تقلد الخطابة في الجامع الاموي^(٩٩) وابو طاهر الطوسي وغيرهم^(١٠٠) .

٣- العلوم العقلية :-

على الرغم من وجود من اشتغل بهذه العلوم ، الا ان عددهم اقل بكثير ممن اشتغل بالعلوم العقلية ، تمثيلاً مع روح العصر السائدة ، وانحسار الدراسات العقلية .

كان هناك بعض الاطباء المشهورين مثل مهذب الدين بن هبل ، علي بن احمد بن علي ابن عبد النعم ابو الحسن الحكيم (ت ٦١٠ / ١٢١٣) المعروف بالخلاطي ولد في بغداد ودرس في النظامية^(١١٢) . وله من المؤلفات (المختار في الطب)^(١١٣) وكتاب (الطب الجمالي) صنفه للوزير جمال الدين الاصفهاني وكتاب (الاراء والمشاورات)^(١١٤) .

ومن اطباء الموصل علي بن ابي منصور بن ابي عبد الله ابو الحسن الموصل الضريير (ت ٦٠٧ / ١٢١٠) وكان ذكياً فظناً^(١١٥) . وكذلك كمال الدين محمد بن الحسن الموصل وهو طبيب بارع صنف كتاب بعنوان (كثر الطبيب)^(١١٦) . ومن الذين اهتموا بالطب والتأليف به هو كمال الدين بن منعة الذي ألف كتاباً بعنوان (مفردات الفاظ القانون لابن سينا)^(١١٧) .

اما في علم الكيمياء فالمشتغلون به قليل لان هذا العلم تركّز حول تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، ويقال أن الوزير جمال الدين الاصفهاني كان له اهتمام بالكيمياء^(١١٨) .

وقد طرد بدر الدين لؤلؤ عن الموصل محمد بن احمد بن سعيد المعروف بالباعشيقي عندما بلغه انه يعمل الكيمياء وربما كان من المشعوذين في هذه الصنعة^(١١٩) .

ونشط علم الفلك في العهد الاتابكي ونبغ علماء افاضل في هذا المجال وقد صنع فلكيو الموصل الكرات والجداول الفلكية التي تعكس نشاطهم وخبرتهم في هذه الصناعة ، وكان يسجل اسم الصانع وتاريخ الصنع ، فصنع محمد بن خلتج

جدولاً للحساب الفلكي مطعم بالذهب والفضة وعليه علامات فلكية صنعه لمحمد المحتسب البخاري (٦٣٩ / ١٢٤١)^(١١٠) . وصنع محمد بن هلال الموصل كرة ارضية سنة (٦٨٤ / ١٢٨٥) لازالت محفوظة في المتحف البريطاني^(١١١) .

وكان كمال الدين بن منعة اشهر الفلكيين في عصره ويقوم بتدريسه في مدارس الموصل ، حتى ان الشيخ اثير الدين المفضل بن عمر الابهري يقرأ كتاب (المجسطي) على كمال الدين بن منعة ، في الوقت الذي كان الناس يشتغلون بتصانيف الابهري^(١١٢) . وقد وضع ابن منعة بعض القوانين المتعلقة بالرقاص (البندول) واستخدامه في الرصد لقياس الفترات الزمنية وبذلك سبق غاليليو في هذا المجال^(١١٣) . وابرز مصنفات ابن منعة في هذا الحقل كتاب (الاسرار السلطانية في علم النجوم)^(١١٤) (رسالة في تصحيح (عصا) الشرف الطوسي) و (رسالة تتعلق بالمقالة الرابعة من المجسطي في مسألة اختلاف نظر القمر)^(١١٥) .

وعندما انشأ نصير الدين الطوسي رصد مراغه عام (٦٥٧ / ١١٥٩) شارك علماء الموصل ومنهم الفخر المرافي الموصل مع بقية علماء الفلك في العمل بهذا الرصد^(١١٦) .

وهناك من اشتغل بالتنجيم كعلي بن ابي منصور ابن ابي عبد الله ابو الحسن الموصل الضريير (ت ٦٠٧ / ١٢١٠) اذ كان له معرفة بالنجوم ولهذا كان مقرباً من نور الدين ارسلان شاه الاول^(١١٧) . وكان محمد بن عبد اللطيف بن ابي الفتح ابو عبد الله نزيل الموصل (ت ٦٢٨ / ١٢٣٠) له ولع شديد بالنجوم كما كان مقرباً من بدر الدين لؤلؤ وصار احد ندمائه وخصص له راتباً^(١١٨) . كما صنف ابن المستوفي الاربلي نزيل الموصل والمتوفى بها سنة (٦٣٧ / ١٢٣٩) كتاباً في احكام النجوم^(١١٩) .

اما في علم الحساب فقد نبغ ابراهيم بن نصر بن عيسى بن علي بن احمد ابو اسحق العبادي الموصل (ولد سنة ٥٨٢ / ١١٨٦) وكان لمعرفته

وكذلك القاضي ابن شداد، ابو المحاسن يوسف بن رافع بن نعيم الملقب بهاء الدين (ت ٦٣٢ / ١٢٣٤) وصف (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهي سيرة صلاح الدين الايوبي. ومن المؤرخين المشهورين ابن الشعار الموصل، كمال الدين ابو البركات المبارك بن ابي بكر حمدان ابن احمد بن علوان (ت ٦٥٤ / ١٢٥٦) صنف كتاب (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان) (١٢٧). وظهر عدد من المؤرخين الذين اُرتخوا المدينة الموصل مثل ابو اسحق ابراهيم بن محمد الموصل (ت ٥٧٧ / ١١٨١) (١٢٨) صنف كتاباً عن تاريخ الموصل، وكذلك فعل عماد الدين اسماعيل بن باطيش الموصل (ت ٦٥٥ / ١٣٥٧) (١٢٩).

د- خطط المدينة

اصاب مدينة الموصل الخراب قبيل العهد الاتابكي ويعود هذا الى التنازع بين السلاجقة على الحكم من ناحية والى عدم استقرار الادارة السلجوقية في المدينة من ناحية اخرى، حتى ان ابن الاثير يصف المدينة بقوله «كانت البلاد قبل ان يحكمها عماد الدين زنكي - خراباً من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج» (١٣٠). ويصف ابن الاثير الخراب الشامل الذي كانت عليه الموصل نقلاً عن ابيه «وكان الناس لا يقدرّون على المشي الى الجامع - الاموي - غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة» (١٣١). ثم يصف المدينة بعد ان تولاها زنكي فيقول «فلما طالت الايام الشهدية وحسى البلاد ومنع المفسدين وكف ايدي الاقوياء سارت سيرته في البلاد، فقصده الناس واتخذوا بلاده داراً فانه من اكرم ارتبط، فلم تزل العمارة تكثر في الموصل وغيرها حتى لقد ذهب كثيراً من المقابر وبنيت دوراً» (١٣٢) ويقول مختصر كتاب ابن حوقل - صورة الارض. «اما في زماننا هذا وهو سنة ستين وخمسائة فقد عمرت - الموصل - عمارة لم تكن قط منذ اسست حتى ان العمارة قد استولت

الجيدة بالحساب قد تولى النظر في الاعمال السلطانية والأشغال الديوانية في الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ» (١٣٠). وكان ابن المستوفي الاربلي بارعاً بحسابات الديوان وضبط قواعده (١٣١). وكان لضياء الدين بن الاثير معرفة وثيقة بعلم الحساب واستخدم معرفته هذه في اعماله الديوانية (١٣٢). وكان كمال الدين بن منعة من خيرة علماء الحساب الذين انجبتهم مدينة الموصل في العهد الاتابكي وله معرفة بمختلف فروع الرياضيات، كما برع بعلم الهندسة وله مصنفات كثيرة في هذا العلم كان من ابرزها (رسالة في البرهان عن المقدمة التي اهملها ارخميدس في كتابه تسبيع الدائرة وكيفية اتخاذ ذلك) وكتاب (شرح الاعمال الهندسية) (١٣٣).

اما الفلسفة فقد كان هناك من اشتغل بها في العصر الاتابكي وخاصة كمال الدين بن منعة الذي قرأ كتب الشهاب السهروردي (١٣٤) وصف ابن منعة في المنطق (عيون المنطق) وكتاب (لغز في الحكمة) (١٣٥). ومن الفلاسفة المشهورين في الموصل اثير الدين المفضل بن عمر الابرهي (ت ٦٦١ / ١٢٦٢) برع في الفلسفة ودرس في المدرسة البدرية وله مصنفات منها (تنزيل الافكار في تعديل الاسرار) وكتاب (هداية الحكمة) وكان له مجموعة فلسفية سماها (زبدة الاسرار) ترجمها الى السريانية ابن العبري (١٣٦).

٤- علم التاريخ :-

ظهر عدد من المؤرخين في الموصل في هذا العصر وكان من أشهرهم عز الدين ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢).

وصنف الكتب التالية :

١- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل.

٢- الكامل في التاريخ.

٣- اسد الغابة في معرفة الصحابة.

والسور الاتابكي وهو ارض واسعة خالية من العارة اتخذت ميداناً لتدريب الجيش وعرضه وفي وسطه كشك يشتمل على غرف يشرف منها الاتابك على اعداد الجيش. وفي الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد (١٣٨).

٤- دور المملكة :-

وتقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة في مواجهة الميدان ، وهي التي اتخذها امراء الموصل ورجالهم سكناً لهم ، ولا تزال اثار هذه الدور قائمة الى الآن تعرف باسم (قره سراي) ، وعند مجي زنكي الى الحكم لم يكن في الموصل غير دار الملك التي تقابل الميدان فأمر ببناء دور المملكة واعتنى بزخرفة هذه الدور ونقوشها الجصية وزين سقفها بالذهب (١٣٩).

٥- القلعة :-

وتقع شمالي الموصل تجاور دور المملكة واصبحت في العهد الاتابكي واسعة تتسع لكثير من الجند وفيها مخازن للمؤن والعتاد ولوازم الحرب ، وكانت القلعة تمتد من (باش طابيه) الحالية الى دور المملكة ولها ابواب اشهرها هو باب القلعة المؤدي الى الميدان ، يقابل الغرب ، وباب السر المؤدي الى النهر من جهة عيمن كبريت وهو امنع ابوابها (١٤٠) . وظلت القلعة عامرة حتى اكتسح المغول المدينة عام ٦٦٠ / ١٢٦١ حيث امر سنڨاو بتدمير القلعة بعد احتلاله للمدينة (١٤١).

٦- السور :-

كان حد السور الذي بناه العقيليون وجدده السلاجقة من بعدهم من جهة الشمال يمتد من باب المشرقة قرب عيسى دده. وينته غرباً تاركاً الميدان خارجه حتى ينتهي في باب سنجار اي باب الميدان ، ولما تولى عماد الدين زنكي الموصل وسع السور من الجهة الشمالية من المدينة وادخل الميدان بما فيه قصور الامارة داخل السور الجديد ، كما انه

عليها ولم يبق بها موضع فامتدت العارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق (١٣٣).

هكذا اصبحت مدينة الموصل من المدن العامرة وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية ، فشيدت فيها المدارس والمساجد ودور الحديث والرباطات والقصور والمتنزهات وبرز معالمها العمرانية هي :-

١- الارياض :-

كان في المدينة العديد من الارياض فلما اتسعت عمارتها خرج الناس الى الارياض فعمروها وسكنوها وكان اشهر هذه الارياض هما الرض الاعلى والارض الاسفل ، فالارض الاعلى يقع شمالي الموصل خارج السور الاتابكي ويمتاز بموقعه المثل على دجلة ويمتد من باب سنجار الى نهر دجلة ، وفي هذا الرض قصور الامراء والولاة وارباب الحكم ، وقد امر عماد الدين بفتح الباب المعادي لايصال المدينة بالارض الاعلى (١٣٤) . اما الرض الاسفل وهو اكبر الارياض واحسنها عمارة فقد شيدت فيه المدارس والمساجد والاسواق والحمامات والخانات ، وفي هذا الرض شيد مجاهد الدين قايمآز مسجداً ومدرسة وبيارستاناً ورباطاً وجسراً يصل بينه وبين ساحل دجلة الايسر (١٣٥).

٢- المحلات :-

كان في الموصل العديد من المحلات والاحياء السكنية ، ومن اشهر تلك المحال : محلة سوق التركمان ومحلة درب دراج ومحلة المربعة (جهارسوك) ثم محلة سوق الاربعاء التي كان بداخلها فضاء واسع وعلى كل ركن فندق (١٣٦) . اما الاحياء فهي حي الحديبيين وحي التغالبه وحي خزرج وحي الجصاصه الذي كان يشتمل على شارعين هما درب الجصاصه ودرب الجصاصين ، ثم حي التكاثره وحي الطباين (١٣٧).

٣- الميدان :-

يقع في المنطقة المحصورة ما بين السور العقيلي

رفع السور من سائر جهاته ، كما عمر الخندق الذي يحيط به وكان هذا سنة ٥٢٧ / ١١٣٣^(١٤٢) .
ووصف ابن جبير هذا السور ووصفاً يدل على عظمتة واحكام بنائه^(١٤٣) . وكان لهذا السور ابواب عديدة هي :

- ١- الباب العادي ، فتحه زنكي سنة ٥٢٧ / ١١٣٣ وسمي باسمه وكان يؤدي الى الرض الأعلى .
- ٢- باب سنجار وهو من اقدم ابواب المدينة ويؤدي الى الجهة الغربية وكان اوسع ابواب المدينة .
- ٣- باب كندة ، وهو من الأبواب التي تقع غربي المدينة .
- ٤- باب الحصاصة نسبة الى الحصاصين الذين يعملون الجص ويقع في جنوبي غربي المدينة .
- ٥- باب العراق يؤدي الى الجهة الجنوبية - أي جهة العراق ، والحلّة التي تقع بالقرب منه عرفت بهذا الاسم .
- ٦- باب القصابين ويقع الى الجنوب من المدينة وربما كان يؤدي الى سوق القصابين .
- ٧- باب الجسر : وهو من ابواب الموصل القديمة ويؤدي الى الجهة الشرقية ، ولا زال يعرف بهذا الاسم .
- ٨- باب المشرعة يقع قريباً من دور المملكة ويؤدي الى النهر ، وبني عليه سيف الدين غازي سنة ٥٤١ / ١١٤٧ رباطاً يسمى اليوم مقام (عيسى دده)^(١٤٤) .

٧- الأسواق :-

كان من نتائج توسع المدينة ان انتقلت بعض الأسواق الى قرب الجامع التوري واصبحت تحيط به . كما ان هناك اسواق اخرى بقت في اماكنها القديمة . فسوق الشعارين وهو من اقدم اسواق المدينة ذكر منذ القرن الأول للهجرة ولا زال معروفاً

الى هذا اليوم بهذا الاسم ، وسوق القتابين - قتب الابل وما يلحقها من ادوات ، وسوق الأربعاء - يقام فيه سوق في يوم الأربعاء من كل اسبوع . ثم اصبح من الأسواق الدائمة . وهناك اسواق اخرى في احياء الموصل الداخلية وأرباضها ، ففي الرض الأسفل بنى مجاهد الدين قياز سوق كبير للتجار القادمين من جهة الجنوب . ومن الأسواق الكبيرة داخل المدينة (جهارسوك) ولا زالت محلة تعرف بهذا الاسم . وسوق التركان وهو يقع شرقي المدينة يجاور الميدان .

وفي الموصل قيساريات عديدة اشهرها قيسارية الجامع النوري ، والقيسارية التي بناها مجاهد الدين قايماز داخل المدينة وكذلك قيسارية المسك داخل المدينة ايضاً^(١٤٥) .

٨- الشوارع (الدروب) :-

كانت تخترق المدينة شبكة من الدروب والشوارع التي تربط بين احياء الموصل وأرباضها ، واهم الطرق التي كانت معروفة هي : درب الدير الأعلى ، ودرب باصلوت ودرب الحصاصين ، ودرب بني ميدة ودرب ايليا الطيب ، درب رحى امير المؤمنين ، ودرب الدباغين ، ودرب جميل ، وسكة ابني نجيح وتقع فيها دار الحديث المهاجرة^(١٤٦) .

٩- المساجد :-

كان في مدينة الموصل في هذا العصر الكثير من المساجد ثلاثة منها جامعة :-

١- الجامع الأموي :-

وهو اول مسجد بني في الموصل منذ عهد عمر بن الخطاب ثم جدد في العهد الأموي فسمي بهم ، وفي العهد الأتابكي رمم واقامت له نافورة وقد زين وزخرف في عهد سيف الدين غازي سنة ٥٤٣ / ١١٤٩^(١٤٧) .

٢- الجامع النوري :-

انشأه نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي انتهى من عمارته سنة ٥٦٨ / ١١٧٣ واشرف على بنائه الشيخ عمر بن محمد الملا ، واوقف نورالدين عليه قرية من قرى الموصل وقيسارية كبيرة ، ثم انشأ مدرسة في هذا الجامع ، منارته - الحدباء - هي اطول منارة في العراق يبلغ ارتفاعها ٥٥ متراً تمتاز بزخارفها الاجرية النافرة . ويعرف الآن باسم الجامع الكبير ^(١٤٨) .

٣- الجامع المجاهدي :-

انشأه ابو منصور مجاهدالدين قايمآز - نائب الأتابك وكملت عمارته سنة ٥٧٥ / ١١٧٩ وكان من اجمل الجوامع واكبرها وقد اعجب به ابن جبير لحسن موقعه ودقة هندسته وتنوع زخارفه وكتابات ^(١٤٩) . اما المساجد فأبرزها هي ^(١٥٠) .

١- مسجد الخلال :-

اسمه الشيخ محمد الخلال المتوفى سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧ ودفن في هذا المسجد .

٢- مسجد ابراهيم المهراني الجراحي :-

شيده ابراهيم المهراني الجراحي وهو من اتباع عدي بن مسافر الأموي ، اتخذ بدرالدين لؤلؤ فيه مشهداً للإمام ابراهيم المسمى بإبن جعفر الصادق ولا يزال يعرف بهذا الاسم .

٣- مسجد الرحاني :-

ويسمى أيضاً مسجد الحكيم .

٤- مسجد عمر الملا :-

شيده الشيخ عمر بن محمد الملا الذي تولى عمارة الجامع النوري ، ودفن في هذا المسجد .

٥- مسجد عبدالحميد :-

يقع في محلة شهر سوق .

٦- مسجد امين الدين باقوت :-

يقع في الرض الاعلى ظاهر الموصل ، اسمه احد ممالك بدرالدين لؤلؤ امين الدين باقوت ، واتخذ فيه تربة لولده سنة ٦٣٧ / ١٢٤٠ .

٧- مسجد منصور المحلاج :-

من المساجد القديمة في الموصل اسمه الحديثيون الذين نقلهم زنكي الى الموصل وكانت المحلة تسمى بإسمهم ، دفن فيه قبل قرنين من الزمن شخص حلاج اسمه منصور ، فعرف المسجد به - اي لاعلاقة له بالصوفي المشهور .

٨- مسجد التركاني :-

يقع في حظيرة السادة ويسمى حالياً مسجد ملا علي ورد ذكر هذا المسجد في القرن السادس وتعرف محله بمحلة التركمان .

١٠- المراقدة والمشاهد ^(١٥١) :-

١- الخشمي وهو من الصحابة ، لازال القبر قائماً يسمى (ابو الجوادين) .

٢- مرقد الشيخ ابراهيم المهراني - المعروف حالياً بمرقد الإمام ابراهيم .

٣- مرقد الفتح الموصل : وهو من الأولياء .

٤- مرقد العناز ، الشيخ عناز الأسود ، كان اسود حبشي يسكن الموصل ودفن فيها واوقف الجبانة التي تحيط بقبره الآن .

٥- مرقد الخلال : يقع في محلة الميدان توفي سنة ٦٣٦ / ١٢٣٩ .

٦- مرقد الشيخ محمد الغلاني ، كان صوفياً دفن في رباطه الواقع على سفح التل المعروف بإسمه .

٧- مرقد عمر المولى مدفون في مسجده ، المذكور سابقاً . في محلة لازالت تعرف بإسمه محلة الشيخ عمر .

- ٨- مشهد النبي يونس :- من المشاهد الكبيرة والمهمة والتي يتبرك بها اهل الموصل.
- ٩- مشهد النبي جرجيس : يقع قرب سوق الشعارين.
- ١٠- مشهد الطرح : المعروف بـ (بنجة علي) كان يقابله الباب العادي في الرض الأعلى.
- ١١- مشهد النقطة الحسينية . قرب دير سعيد جنوب الموصل.
- ١٢- مشهد عمرو بن الحنق الخزاعي : كان من انصار الامام علي ، يقع المشهد بالقرب من باش طاية . وقد بنى بدرالدين لؤلؤ العديد من المشاهد العلوية وهي :-
- ١٣- مشهد ابن الحسن - او عون الدين .
- ١٤- مشهد الامام يحيى بن القاسم .
- ١٥- مشهد علي الهادي .
- ١٦- مشهد الامام الباهر .
- ١٧- مشهد اولاد الحسن .
- ١٨- مشهد العباس - جامع العباس الحالي في شارع النجفي .
- ١٩- المدارس :-
- اولى الأتابكة رعاية خاصة بالتعليم ولهذا انشأوا العديد من المدارس فكانت هذه سبباً في تطور الحياة العلمية في الموصل ، الا ان بدرالدين حول اكثر هذه المدارس فيما بعد الى مقامات ومشاهد لأبناء آل البيت ليطمس آثار اسياده الأتابكة . ومن المدارس التي تعود الى العصر الأتابكي :- (١٥٢)
- ١- المدرسة النظامية :-
- انشأها نظام الملك السلاجوقي درس فيها الكثير من العلماء ابرزهم ابو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (٥١٠-٥٨٦/١١١٦-١١٩٠) ، اتخذ فيها بدرالدين مقاماً لعلي الاصغر المعروف (بمقام ابن علي) او (ابن الحنفية) .

٢- المدرسة الأتابكية العتيقة :-

بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي ، ودفن بها بعد وفاته سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ جعلها مقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة ، درس فيها ابو البركات عبدالله بن الحسين المعروف بإبن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٤ / ١١٧٨ .

٣- المدرسة الكالبية :

كانت بالاصل مسجداً اتخذها كمال الدين بن يونس مدرسة فعرفت بإسمه . بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين (ت ٥٦٣ / ١١٦٧) والد الملك المظفر كوكبور صاحب اربل لازالت باقية وتعرف بمدرسة ابن يونس او بجامع شيخ الشط ..

٤- المدرسة الزينية :-

بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين درس فيها عماد الدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعه .

٥- مدرسة ابن الشهرزوري او المدرسة (الكالبية القضيوية) :

انشأها القاضي ابو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري الملقب بكمال الدين (ت ٥٧٢ / ١١٧٦) ودرس فيها جلال الدين عبد الرحمن الشهرزوري بن القاضي كمال الدين وكذلك القاضي ابو حامد محي الدين محمد بن القاضي كمال الدين ، ودرس فيها ايضاً الفقيه احمد بن نصر بن الحسين الانباري المعروف بالشمس الدينلي .

٦- مدرسة ابن الشيرجي :-

درس فيها عبدالله بن المعتز بن الحسين الموصللي المعروف بإبن الشيرجي (ت ٥٧٤ / ١١٧٨) بناها له الأمير عزالدين - زلفندار .

٧- المدرسة المجاهدية :-

بناها مجاهد الدين قايماز الرومي نائب الأنابك ، تقع في الرض الأسفل على نهر دجلة .

٨- مدرسة ام الملك الصالح :

والملك الصالح هو اسماعيل بن نورالدين كانت بالاصل داراً فاوقفتها ام الملك الصالح مدرسة .

٩- المدرسة المهاجرة :-

بنى هذه المدرسة علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر والد الفقيه محمد بن علوان بن مهاجر . واوقف عليها الوقوف الكثيرة ، درس فيها الفقيه ابو المظفر وعلوان بن مهاجر ، وموفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي (ت ٦٢٩ / ١٢٣١) .

١٠- المدرسة العزية :-

انشأها عزالدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود ، درس فيها الشيخ عمادالدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعه ، وتقع قرب دور المملكة .

١١- المدرسة النورية :-

بنى هذه المدرسة نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود انشأها مقابل دار المثلثة ووقفها على ستين فقيهاً من الشافعية ودرس فيها عمادالدين محمد بن يونس بن محمد بن منعه . وكذلك الفقيه يوسف بن ابراهيم بن نصر بن عسكر ابو العز الموصلي .

١٢- المدرسة النفيسية :-

لايعرف بانها درس فيها الفقيه عمادالدين ابو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعه .

١٣- المدرسة العلالية :-

يقال ان بانيها هو علاءالدين خرمشاه بن عزالدين مسعود ، درس فيها عمادالدين ابو حامد بن يونس بن منعه وكذلك كمال الدين بن يونس بن منعه .

١٤- المدرسة القاهرية :-

أسسها الملك القاهر عزالدين مسعود الثاني بن نورالدين ارسلان شاه الأول ، درس فيها كمال الدين بن يونس بن منعه والفقيه شرف الدين ابو الفضل احمد بن كمال الدين بن منعه (ت ٦٢٢ / ١٢٢٥) ومحمد بن علي سبط يونس بن منعه (ت ٦٢٢ / ١٢٢٥) وتقع هذه المدرسة بين دور المملكة والباب العمادي .

١٥- المدرسة العادية :-

لايعرف بانها ، درس فيها ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت ٦١٥ / ١٢١٨) .

١٦- المدرسة الفخرية :-

لايعرف مؤسسها تقع على نهر دجلة درس فيها الفقيه ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر .

١٧- المدرسة البيرية :-

بناها بدرالدين لؤلؤ في قلعة الموصل تجاور مشهد يحيى بن القاسم ، درس فيها الفقيه محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي ، وكذلك كمال الدين يونس بن منعه الموصلي ، والشيخ ابو العباس احمد بن الحسين بن احمد النحوي الضرير المعروف بإبن الخباز (ت ٦٣٩ / ١٢٤١) .

١٨- مدرسة ابناء بلدجي :-

انشأ هذه المدرسة محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي الموصلي (ت ٦٢٣ / ١٢٢٦) ودرس فيها .

١٩- المدرسة البرسقية :-

يمكن ان تكون من انشاء اقسنقر البرسقي الذي تولى الموصل سنة (٥١٥ / ١١٢١) درس فيها الفقيه نصرالله ابن علي بن نصرالله ابو الفتح المعروف بإبن السمين .

١٢- دور الحديث :-

كان هناك دارين للحديث الأول دار الحديث المهاجرة انشأها علي بن علوان بن مهاجر بن علي ، بناها في سكة (المنجيج) ومن تولى مشيختها ابو اسحق البرقي المتوفى سنة (١١٥٧ / ٥٥٢) وابو عبدالله بن محمد بن يوسف بن محمد الرسعني ، رتبته بدرالدين بدار الحديث هذه يحدث في فضائل آل البيت (١٥٣) والثانية هي دار الحديث المظفرية ، بناها مظفرالدين كوكبوري صاحب اربل ومن تولى مشيختها عبدالقادر بن عبدالله بن عبدالرحمن الراوي (٥٢٦ - ٦١٢ / ١١٣٢ - ١٢١٥) .

١٣- الاربطة

كانت الاربطة معاهد علمية يقصدها طلاب العلم والصوفية للتعبد من ناحية وللاشتغال بالعلم من ناحية اخرى ومن اشهر الاربطة في الموصل (١٥٤) .

١- رباط سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ - ٥٤٤) بناه على باب المشرعة ووقف عليه وعلى مدرسته الوقوف الكثيرة . ولعل عيسى دده انشأ في محل هذا الرباط .

٢- الرباط الزيني :- بناه زين الدين علي كجك بن بكتكين ، ولا نعلم موقع هذا الرباط .

٣- رباط ابن الشهرزوري :- بناه كمال الدين بن الشهرزوري ، يمكن ان يكون قرب قضيب البان الموصل .

٤- الرباط المجاهدي :- بناه مجاهد الدين قيازي في الرض الاسفل على دجلة .

٥- رباط درب دراج :- لابي السعادات ابن الاثير .

٦- رباط قصر حرب :- لابي السعادات ابن الاثير .

٧- رباط الشيخ قضيب البان :- بناه لنفسه ابو عبد الله الحسين قضيب البان الموصل (٤٧١ - ٥٧٣) ودفن في رباطه بعد وفاته ويقع ظاهر المدينة خارج باب سنجار .

١٤- المقابر (١٥٥)

- ١- مقبرة النبي جرجيس .
- ٢- مقبرة الجامع العتيق - الاموي .
- ٣- تربة غسان التي تجاور مسجد العناز .
- ٤- مقبرة الباب المعادي .
- ٥- وظاهر الباب المعادي كان هناك مقبرة اخرى . في المسجد الذي شيده ابن ياقوت البدري .
- ٦- مقابر تل توبة تجاور مشهد النبي بونس .
- ٧- مقابر العلويين :- دفنوا موتاهم في مشهد الطرح ومشهد الامام عون الدين ، ومشهد النقطة الحسينية قرب دير سعيد وقرب قبر عمرو بن الجمعة الخزاعي وتعرف اليوم بمقبرة الست فاطمة تجاور الامام محسن .
- ٨- مقبرة ظاهر الجصاصة .
- ٩- مقبرة الشيخ قضيب البان الموصل .

١٥- الكنائس والاديرة

اهم الكنائس التي كانت في العصر الانابكي والتي لم تزل موجودة هي :-

- ١- كنيسة مارتوما :- وهي من الكنائس القديمة ذكرها الازدي في حوادث سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢ م) .
- ٢- كنيسة مار حوديبي (احودمة) :- بني هذه الكنيسة البنائون الذين نزحوا من تكريت الى الموصل منذ نهاية القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر الميلادي) ، زخارف هذه الكنيسة وبنائها تعود الى

فنية رائعة تمثل فن العمارة في العصر الآتابكي
اجمل تمثيل (١٥٦).

الهوامش

- (١) الحوادث الجامعة ص ٢٣٠-٢٣١.
- (٢) ابن جبير - رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت ١٩٥٩ ص ٢١٠-٢١١.
- (٣) بنيامين التليل، رحلة بنيامين التليل الأندلسي، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٩٤٥، ص ١٢٧.
- (٤) الأصلحري المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١، ص ٥٣.
- (٥) الباهر ص ٧٨، الكامل ح ١١-ص ١١١.
- (٦) ابن تقي بري، النجوم الزاهرة، ح ١- ص ٤٥.
- (٧) ياسين العمري، مئة الأدياب في تأريخ الموصل الحدياء، تحقيق سعيد الديوه جي الموصل ١٩٥٥، ص ٦٧.
- (٨) الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١ ص ٤٢٦.
- (٩) الكامل ح ١٢ ص ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٨١.
- (١٠) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠ ص ٤٦١-٤٦٢.
- (١١) Hamd - Allah - Mustawfi of Qazwin, The Geographical Part of Nuzhat al - Qulub, trans. by G, le Strange, leiden, 1919, p. 102.
- (١٢) القزويني - آثار البلاد، ص ٤٦١.
- (١٣) ياسين العمري، مئة الأدياب ص ٦٦-٦٧.
- (١٤) Thomas Arnold, The legacy of Islam O. II. P. 1952 p. 104.
- أنظر كذلك الدوري، تأريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بغداد ١٩٤٨ ص ٩١.
- (١٥) الماحظ - التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مصر ١٩٣٥ ص ٣٣.
- (١٦) الديوه جي، تأريخ الموصل ح ١ ص ٢٢٢.
- (١٧) الديوه جي، الموصل في العهد الآتابكي ص ٥١ وما بعدها، أنظر سوادتي عبد محمد، الأحوال الأجنبية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، بغداد ١٩٨٩، ص ٢٧٨.
- (١٨) الديوه جي، الموصل في العهد الآتابكي ص ٦٠-٦٦.
- (١٩) المرجع نفسه ص ٦٦-٦٧.
- (٢٠) معجم البلدان، مصر ١٩٢٣، ح ٨ - ص ١٩٥-١٩٦.
- (٢١) رحلة ابن جبير، ص ٢١٢.
- (٢٢) ابن حوقل - صورة الأرض - ص ١٩٥.
- (٢٣) رحلة ابن جبير ص ٢١٣.
- (٢٤) صورة الأرض ص ٢٠٢-٢٠٣.
- (٢٥) القدسي، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، لندن ١٩٠٦، ص ١٤٥.
- (٢٦) الكامل - ح ١٢ - ص ٢٩١-٢٩٢.

العصر الآتابكي يحتوي على زخارف متنوعة وإبوابها مزدانة بكتابات مختلفة وفوق أقواسها تصاوير محفورة نافرة بالمرمر.

٣- كنيسة شمعون الصفا: تقع في محلة مياسة وهي تحت الكنيسة الحديثة بنفس الاسم وفيها نقوش وزخارف تعود الى العصر الآتابكي.
اما الاديرة التي تحيط بالموصل فهي :-

١- دير سعيد: من الاديرة القديمة في جنوب الموصل، وكان من متزهات اهل الموصل خربه الفرس عند غزوهم للموصل في عهد نادرشاه.

٢- دير ميخائيل :- وهو من متزهات الموصل وكان الشعراء يقصدونه في اوقات فراغهم يتمتعون بجمال موقعه وكان في الدير مدرسة يدرس بها الرهبان مختلف العلوم والاداب.

٣- دير ماركوركيوس :- وهو من الديارات القديمة واخباره قليلة في العصر الآتابكي.

٤ دير الريان هرمزد :- وهو من الديارات القديمة في القوش.

٥- دير متى :- ويعرف بدير الشيخ متى هو من اقدم ديارات الموصل يقع في سفح جبل مقلوب. كان فيه مدرسة دينية تحوي كتباً ثمينة وسكن هذا الدير المؤرخ المشهور (ابن العبري) وهو من الاديرة الخاصة بالارثوذكس.

٦- دير الجب (مارنهام) :- يقع جنوب شرقي الموصل ويبعد عنها حوالي ٣٥ كيلومتر، وهو من الاديرة الكبيرة للسريان وتعد اثاره التي تفنن بها التكريتيون من اجمل ما خلفه الفنانون في القرون الوسطى. فيه الكثير من الزخارف المنحوتة في المرمر. وصور بارزة بالرخام والجبس والآجر المزجج وغير ذلك. وقبة المصلى من اجمل القباب التي وصلتنا من العصر الآتابكي والدير بصورة عامة تحفة

- (٢٧) ابن حوقل - صورة الأرض، ص ١٩٥.
- (٢٨) رحلة بنامين، ترجمة عزرا حداد، ص ١٧٧.
- (٢٩) الصائغ، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد ١٩٦٤، ص ٢١. وكذلك سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٦٠-١٦١.
- (٣٠) أنظر عن هذه الأسرة: الديوب جي، الموصل في العهد الأتابكي ص ٩٦-١٠٢.
- (٣١) سوادي عبد محمد، التنظيمات الأجنبية ص ١٧٠-١٧٢.
- (٣٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٦١.
- (٣٣) الكامل ح ١١ ص ٣٥٥.
- (٣٤) المصدر نفسه ص ٤٦٢.
- (٣٥) رحلة ابن جبير - ص ٢١٠-٢١١ أنظر أيضاً سوادي عبد محمد، ص ١٣٣-١٣٤.
- (٣٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٩٥.
- (٣٧) الديوب جي - تأريخ الموصل ح ١ ص ٤٤٣-٤٤٤.
- (٣٨) الديوب جي - الموصل في العهد الأتابكي ص ٨٧-٨٨، عن خيال الظل أنظر: إبراهيم حادة، خيال الظل وتجليات ابن دانيال، القاهرة ١٩٦٣ - ص ٨٧-٨٩.
- (٣٩) الكامل - ح ١١ ص ٣٦٤.
- (٤٠) ابن جبير الرحلة ص ٢١١-٢١٢.
- (٤١) الذهبي - تأريخ الإسلام ح ٢٠ (مخطوطة أحمد الفاتح رقم ٤٠١٤) ورقة ١٧١-٢٥٧.
- (٤٢) الديوب جي - الموصل في العهد الأتابكي - ص ٨٢.
- (٤٣) ابن الساعي - الجامع المختصر ح ٩ ص ٢٥٦-٧، الشياشي، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، الطبعة الثانية بغداد ١٩٦٦، ص ١٧٦، ١٨٤، ٣٠٠... الخ.
- (٤٤) الديوب جي - الموصل في العهد الأتابكي ص ٨٤.
- (٤٥) الشياشي، ص ١٧٦.
- (٤٦) الباهر ص ١٨٩.
- (٤٧) الحوادث الجامعة ص ٩٥، ٩٦، ١٢٣... الخ.
- (٤٨) المصدر نفسه ص ٢٩١، ٢٣٦.
- (٤٩) الديوب جي - الموصل في العهد الأتابكي - ص ٨٧.
- (٥٠) عبد الجبار حامد أحمد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الموصل - ص ١١٣ وما بعدها.
- (٥١) الباهر ص ٦٣، ٨٣.
- (٥٢) المصدر نفسه ص ١٦٥-١٧٣ وما بعدها.
- (٥٣) المصدر نفسه ص ٩٣.
- (٥٤) المصدر نفسه ص ١٨٤-١٨٩.
- (٥٥) ابن الساعي - الجامع المختصر - ح ٩ - ص ٢٩٩.
- (٥٦) الكامل - ح ١٢، ص ١٠١-١٠٢.
- (٥٧) ابن الشعار، عقود الحمان، ح ٣ ورقة ١٢٠ ص ١٢١ أ.
- (٥٨) ابن خلكان - وفيات الأعيان ح ٤ ص ٢٥٤، ح ٢، ص ٢٣٩-٢٣٧.
- (٥٩) الباهر - ص ٢٠١.
- (٦٠) ابن خلكان - ح ٥ - ص ٢٠٨.
- (٦١) الباهر، ص ٢-٣.
- (٦٢) الحوادث الجامعة - ص ٣٣٧.
- (٦٣) الباهر ص ١٣٦.
- (٦٤) المصدر نفسه ص ١٩٣-١٩٤، ابن خلكان، ح ٤ - ص ٨٤-٨٣.
- (٦٥) المساء الأصفهاني - تاريخ دولة الـ سلجوقي، ص ١٩٣-١٩٤، الصفدي، نكت الحميان في نكت العميان، ص ٢٠٦.
- (٦٦) ابن خلكان - ح ٦ - ص ٧١-١٧٣ عن تفاهيل العلوم العقلية انظر عبد الجبار حامد رسالة شتر ص ١٨٥ وما بعدها.
- (٦٧) ابن الشعار، ح ٥ ورقة ٢٠ أ.
- (٦٨) المصدر نفسه ح ٦ ورقة ٢٦٢ أ و ب.
- (٦٩) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي - القاهرة ١٩٥٢، ج ٢ ص ٢٩٨.
- (٧٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٦.
- (٧١) حاجي خليفة، كشف الظنون، استنبول ١٩٤١، ج ١ - ص ٣٣٩، ٤٥٧.
- (٧٢) ابن رجب، ج ٢ ص ٢٧٥.
- (٧٣) ابن الشعار، ح ٤ ورقة ١١٣٢ أ.
- (٧٤) ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في اخبار ابن ذهب، ج ٤ ص ٣٣٥.
- (٧٥) ابن الساعي - الجامع المختصر - ج ٦ - ص ٢٩٩-٣٠١.
- (٧٦) ابوشامة - ذيل الروضتين ص ٦٨.
- (٧٧) ياقوت الحموي، معجم الادباء، بيروت (د) ج ١٧ ص ٧٦.
- (٧٨) ابن الديبشي، ذيل تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٧.
- (٧٩) ابن الصائغي، تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقباء، تحقيق مصطفى جواد بغداد ١٩٥٧، ص ١٦٢-١٦٥.
- (٨٠) الاسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد ١٩٧٠ - ج ٢ - ص ٤٥١.
- (٨١) الاسنوي - ج ٢ ص ١١١.
- (٨٢) ابن خلكان - ج ٤ ص ٢٥٣.
- (٨٣) ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق تزار رضا بيروت ١٩٦٥، ص ٤١٢.
- (٨٤) الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢ - ص ٤٥٠.
- (٨٥) ابن قطلوبغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية، بغداد ١٩٦٢، ص ٥٩.
- (٨٦) القرشي، الجواهر المضية، ج ١ - ص ٢٩١.
- (٨٧) ابن الشعار، ج ٤ ورقة ١١٣٢ أ.
- (٨٨) حاجي خليفة، ج ٢ - ص ١٧٣٨.
- (٨٩) المزاري - تاريخ الادب العربي في العراق - بغداد ١٩٦١، ج ١ - ص ٣٢.
- (٩٠) ياقوت الحموي - معجم الادباء، ج ١٣ - ص ٢١٥.
- (٩١) العماد الأصفهاني - الخريدة، قسم شعراء العراق، م ج ٣ -

الجزئين الثاني والثامن، وموجود في مكتبة (مسند افندي في

استانبول برقم ٢٣٢٣-٢٣٣٠).

(١٢٨) البغدادي- هدية العارفين ج ١- ص ١٠.

(١٢٩) حاجي خليفة، ج ١- ص ٣٠٧.

(١٣٠) الكامل- ج ١١- ص ١١١.

(١٣١) الباهر ص ٧٧.

(١٣٢) المصدر نفسه ص ٧٧.

(١٣٣) صورة الأرض، ابن حوقل- بيروت دار مكتبة الحياة ص

١٩٥، بالإضافة المذكورة هي من المختصر الذي عمل في

الاندلس في القرن الثاني عشر بين عامي ٥٣٤- ٥٨٠ هـ أي

في الفترة الاتابكية، انظر عن ذلك كراتشكوفسكي، تاريخ

الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،

القاهرة ١٩٦٣، ج ١ ص ٢٠٥.

(١٣٤) الباهر ص ٧٨-، الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي،

ص ١١٠-١١١.

(١٣٥) الباهر ص ١٩٤، ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩-

ص ٨.

(١٣٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٣٨.

(١٣٧) المصدر نفسه والصفحة، الديوه جي، الموصل في العهد

الاتابكي ص ١١٤-١١٥.

(١٣٨) الديوه جي- الموصل في العهد الاتابكي- ص ١١٦-١١٧.

(١٣٩) ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٨٦، الديوه المرجع السابق

ص ١١٧.

(١٤٠) الديوه جي- الموصل ص ١١٨-١١٩.

(١٤١) الحوادث الجامعة ص ٣٤٦-٣٤٧.

(١٤٢) الديوه جي- الموصل ص ١٢٠-١٢١.

(١٤٣) رحلة ابن جبير- ص ٢١٠.

(١٤٤) الديوه جي- الموصل ص ١٢١-١٢٣.

(١٤٥) المرجع نفسه ص ١٢٤-١٢٥.

(١٤٦) المقدسي احسن التقاسيم، ص ١٣٨، الديوه جي، الموصل

ص ١٢٦-١٢٧.

(١٤٧) الديوه جي، الموصل ص ١٢٨-١٢٩.

(١٤٨) المرجع نفسه ص ١٢٩-١٣١.

(١٤٩) المرجع نفسه ص ١٣١-١٣٣.

(١٥٠) عن هذه المساجد انظر الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١-

ص ٣٤٠-٣٤٢.

(١٥١) عن هذه المشاهد انظر الديوه جي- الموصل في العهد

الاتابكي ص ١٥٨-١٧٠.

(١٥٢) عن هذه الممارس انظر الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١-

ص ٣٤٤-٣٥٢. وكذلك عبد الجبار حامد احمد، الحياة

العلمية في الموصل في عصر الاتابكية- رسالة ماجستير،

ص ١١٣-١٥٤.

(١٥٣) الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١- ص ٣٥٣.

(١٥٤) عن الربط انظر- المرجع السابق ص ٣٥٥-٣٥٨.

(١٥٥) الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١- ص ٣٦٥-٣٦٧.

(١٥٦) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي- ص ١٧٠-

ص ١٧٤.

ص ١٩-٢١.

(٩٢) الفسافي، المسجد المسبوك، ص ٥٤١-٥٤٢، السيوطي،

بنية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو

الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٦٤، ج ٢ ص ٣٥٢.

(٩٣) ابن خلكان- ج ٣ ص ٥٧.

(٩٤) البيهقي- ذيل مرآة الزمان، ج ١- ص ٩٦.

(٩٥) الباد الاصفهاني- الخريدة، قسم شعراء الشام ج ٢-

ص ٣٨٩.

(٩٦) ابن الشعار، ج ٣ ورقة ٢٢١ ب.

(٩٧) المصدر نفسه ج ٧- ورقة ٤٤ أ، ص ٥.

(٩٨) المصدر نفسه ج ١- ورقة ٢١١ ب.

(٩٩) المصدر نفسه ج ١- ورقة ٢٥٧ أ وب.

(١٠٠) المصدر نفسه ج ٣- ورقة ١٦٠-١٦١ ب.

(١٠١) المصدر نفسه ج ١- ورقة ٨٢.

(١٠٢) المنذري عن التكلة لوفيات النقلة- تحقيق بشار عواد، النجف

١٩٧١، ج ٤- ص ٥٠-٥١.

(١٠٣) مطبوع في الهند سنة ١٣٦٣ هـ.

(١٠٤) الملوحى، عبد الحميد، تاريخ الطب العراقي بغداد ١٩٦٧،

ص ٤٨٣.

(١٠٥) ابن الشعار- ج ٥- ورقة ٢٤٤ أ وب.

(١٠٦) الديوه جي، تاريخ الموصل ج ١- ص ٣٩٦.

(١٠٧) ابن ابى اسبيعة، ص ٤١٢.

(١٠٨) سبط ابن الجوزي، ج ٨- ص ٢٤٩.

(١٠٩) ابن الشعار ج ٧، ورقة ١٥٠ أ.

(١١٠) الديوه جي- تاريخ الموصل- ج ١- ص ٤٠٨.

(١١١) سليمان صانع- تاريخ الموصل ج ٣- ص ٨٢.

(١١٢) ابن خلكان- وفيات الاعيان، ج ٥- ص ٣١٣.

(١١٣) حافظ قدرى طوقان- تراث العرب العلمي في الرياضيات

والفلك، القاهرة ١٩٥٤، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(١١٤) ابن ابى اسبيعة- ص ٤١٢.

(١١٥) عباس المزوي، "علماء الرياضيات والفلك في العراق" مجلة

سور مجلد ٢٨ ج ١ و ٢ (بغداد ١٩٧٢) ص ٢٣١-٢٣٢.

(١١٦) الكشي- فوات الوفيات، ج ٣- ص ٢٥١.

(١١٧) ابن الشعار ج ٥- ورقة ٢٤-٢٥ أ.

(١١٨) المصدر نفسه ج ٤- ورقة ٢٠ ب و ٢١ أ.

(١١٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١- ص ٥.

(١٢٠) ابن الشعار ج ١- ورقة ١٧٣ م.

(١٢١) المصدر نفسه ج ٦ ورقة ٢٠ أ.

(١٢٢) المصدر نفسه ج ٩ ورقة ٢٧ أ.

(١٢٣) ابن خلكان- ج ٥- ص ٣١٢، وما بعدها، طوقان، تراث

العرب العلمي، ص ٣٤٧.

(١٢٤) ابن ابى اسبيعة- ج ٦٨٦.

(١٢٥) المصدر نفسه ص ٤١٢.

(١٢٦) حاجي خليفة، ج ١- ص ٤٩٤، الدويطي، العلم عند

العرب واثاره في تطور العلم العالمي ترجمة عبد الحليم النجارو

محمد يوسف موسى، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢٩٩.

(١٢٧) الكتاب لايزال مخطوطاً يتكون من عشرة اجزاء ناقص منه

الموصل في عهد السيطرة المغولية الإيلخانية

(٦٦٠ - ١٢٦٢ - ١٣٣٥ م)

د. عبد المنعم رشاد

١ - مقدمة عن ظهور المغول :-

لم يكن هناك قوة تسنده ، لهذا كان الضعيف مستعبداً والقوي هو السيد والمسيطر ، وكانت اللصوصية شائعة بينهم لا أحد منهم يحترم جاره أو أقاربه فلا يسبقون الحياة الا على من وضع نفسه تحت حمايتهم اي اصبح تابعاً ذليلاً لهم . ولا يرى المغول في الحرب الا وسيلة للتقتيل والسلب والنهب ، وابادة الخصوم امر اعتيادي لديهم . والزواج من داخل التكتل او الاسرة محرم لديهم . ولهذا وجب عليهم ان يبحثوا عن الزوجات خارج اسرهم وتكتلاتهم التي يربطها بهم النسب ، وعملية الزواج معقدة باهظة ، اذ يجب ان يهب الأب ابنه الى والد العروسة فيعيش العريس عبداً لدى اسرة عروسه الى ان يحين موعد زواجه عند ذلك يكون له اسرة مستقلة او يعود الى ذويه مع عروسه ، ويجب ان يقدم الهدايا كما على العروس وذويها ان تقدم الهدايا ايضاً . ولهذا وبغية التخلص من هذه الاجراءات المعقدة والصعبة ، كان الاقوياء يخطفون النساء من القبائل الأخرى ويتزوجون بهن لافرق بين من كانت متزوجة او غير متزوجة ، وكانت عملية الخطف تؤدي الى اعمال ثأرية لاحصر لها . وكان تعدد الزوجات شائعاً لديهم ولكن كانت المكانة الاسمى في الاسرة هي للزوجة الاولى (١) .

كان هؤلاء المحاربون الاقوياء في حالة تأهب دائم للدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة او القبائل المجاورة ، وكانوا يترصدون مجيئ العدو اذا مارأوا غائماً الغبار ترتفع في الافق او اذا الصقوا آذانهم بالارض ، ويجتمع هؤلاء الفرسان حول راية الحرب التي ترافقهم في كل المعارك والتي كانت

المغول من المجموعة الالطائية (الأتراك المغول) يسكنون البلاد التي تمتد بين الصين والتبت جنوباً ومنشوريا شرقاً وسيبيريا شمالاً وبلاد التركستان وماوراء النهر غرباً ، وقد عرفت هذه المنطقة بقسوة مناخها القاري الحار الجاف صيفاً والبارد المتجمد شتاءً ، وقد تصل درجات الحرارة في بعض مناطق هذا الاقليم الى ٦٠° مئوية صيفاً و ٣٨° مئوية تحت الصفر شتاءً وهو مناخ قاس يصحبه ندرة في المياه صيفاً ونقص في المواد الغذائية شتاءً ، لذا ترى المغول على جفوة من العيش وقسوة لاثمیل لها . وكانت الأفواه الآكلة دوماً أكثر مما هو متوفر من طعام ، ولهذا تعرضت البلاد المتحضرة المحيطة ببلاد المغول الى هجمات صاعقة وإلى نهب مستمر من قبل هؤلاء . كانت حياة المغول تعتمد على القبيلة والترحال ، وبما ان وسائل الرعي ، والبور الصغيرة التي تتوافر فيها وسائل العيش من مياه وكلاً قليلة ومتباعدة لهذا فانها لاتساعد على تجمع قبائل ضخمة في مكان واحد ، لهذا كانت القبيلة تضطر الى التجزئة الى عشائر وإلى أسر وحتى الاسرة الواحدة قد تضطر الى الانقسام والتجزئة حتى تستطيع مواشها الرعي وافرادها ايجاد الطعام لهم (١) .

كانت المعتقدات الاساسية لدى المغول هي الشامانية ، كما انتشرت بينهم ديانات متعددة هي البوذية والمسيحية - السطورية - والكونفوشيوسية والمائوية واليهودية والاسلام ، ولكن أكثر المعتقدات شيوعاً بينهم هي عبادة القوة وكل مايتصل بها ولهذا ليس ثمة قيمة لحقوق الفرد ان اعوزته القوة التي يفرض فيها حقه على الآخرين ، ولاقيمة للعدل ان

يستولي على امبراطورية ال (كن Ken) الصينية وعاصمتها بكين عام ١٢١٥م وارتركب هناك الكثير من المهازر، حتى قيل ان اكثر من ٦٠,٠٠٠ قاة صينية رمين بانفسهن من اسوار بكين حتى لايقعن أسرى بأيدي الغزاة^(٧).

وفي عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م وجه جنكيزخان همه باتجاه الغرب- الدولة الخوارزمشاهية واستغرقت حملته غرباً خمس سنوات ابتداءً بآثار التي قاومت الحصار ببسالة نادرة فكان نصيبها التدمير الكامل ومقتل جميع سكانها، ثم اتجه جنكيزخان الى بخارى التي استسلمت له صلحاً الا انها لم تنج من التدمير والقتل وكذلك مدينة سمرقند التي قاومت الحصار معتمدة على حصانها وكثرة الجيوش المدافعة عنها، الا ان المغول اتبعوا اسلوباً اعتادوا عليه في هجومهم وهو جمع الاسرى من سكان المدن المقهورة ووضعهم في مقدمة جيشهم الزاحف عند الحصار لايها المخاصرين بكثرة الجيش المغولي من ناحية واضعاف معنويات المخاصرين من ناحية أخرى عند اقتراب الجيش من الاسوار حيث يرى المخاصرون ابناء جلدتهم واقاربهم يتقدمون الى الاسوار يسوقهم المغول الى الموت فيقتلهم في عضدهم، لهذا لم يدم حصار سمرقند سوى ثلاثة ايام ثم استسلمت فالحق المغول الدمار والقتل بها حتى لم يبق أحد من اهلها، كما سقطت مدينة خجندة بأيديهم وغيرها من مدن خوارزم، وبذلك أصبحت جميع بلاد ماوراء النهر تحت سيطرة المغول. وجهز جنكيزخان جيشاً قوياً ارسله باعقاب خوارزمشاه مع توجيه قادة هذا الجيش ان لايعطوا فرصة للشاه للراحة او لتجميع قواته للمقاومة بل يجب مطاردته حتى يتم القضاء عليه. اما خوارزمشاه فقد اصابه الرعب والخوف منذ ان وطئت اقدام المغول مدينة اترار فترك بلاد ماوراء النهر ورحل الى خراسان بعد ان وزع جيشه كحاميات للمدن الرئيسية عليها توقف الزحف المغولي، الا ان هذه الحاميات فشلت في اداء ماكان يأمله الشاه، كما انه بتوزيعه لجيشه بهذه

مقدسة في نظرهم. ويعتمدون على خيول ليست دونهم قوة ووحشية، اذ نادراً ماتعلف بل تحصل على طعامها من نبات الأرض او تحفر باقدامها عن جذور النباتات لتقتات عليها^(٨). وكان المغول يقتاتون على حلب الافراس واذا اعوزهم القوت او الطعام يمكن ان يقتاتوا على دماء خيولهم لعدة ايام حتى يجدوا ماياكلون، لهذا كان المغولي وحصانه مكملين احدهما للآخر، وكانوا خيالة ممتازين يستخدمون النبال والاقواس الصغيرة التي يرمون بها وهم يركضون بخيولهم مهاجمين او منسحبين لانهم يجيدون الركوب ووجوههم نحوراداف خيولهم، ولهذا كان لهجاتهم السريعة الخاطفة اثر فعال في انتصاراتهم الساحقة وبث الرعب في قلوب اعدائهم^(٩).

كانوا دائمى القتال بعضهم لبعض، والنزاع بين القبائل كان امراً لانهية له اخذاً بالثار ونبها لماشية او للحصول على زوجة او لسرقة امور تافهة. وكان المجتمع المغولي مجتمعاً طبقياً داخل الاسرة او القبيلة حيث هناك قبائل او تجمعات مستعدة جميعها- رجالها ونسائها واطفالها- وهناك قبائل سيدة بعد افرادها مقدسين وواجبي الطاعة، فرضوا طاعتهم عن طريق القوة او الثراء او النسب^(١٠). ظهرت محاولات لتوحيد بعض القبائل المغولية على يد اجداد جنكيزخان، فقد استطاع احدهم المدعو (قابو) ان يجمع حول قبيلته- البورجكين- العائلات والتجمعات التي طلبت حمايته فأسس بذلك التجمع- المملكة- المغولية الاولى، الا أن هذا التجمع إنهار بعد فترة قصيرة من الزمن، بيد أن الحفيد توجين استطاع ان يوحد منغوليا كلها تحت سيطرته باستخدام مختلف السبل بالعنف والتهديد والابادة في بعض الاحيان والتحالف والتزواج. وفي (القرولتاي)- مجلس رؤساء القبائل المغولية- نودي به خاناً اعظم (كاهان او قان) ولقب بلقب جنكيزخان^(١١).

وبعد ان تم له هذا التوحيد وجه قواه الى محاربة الامبراطورية الصينية عام ١٢١١م واستطاع ان

انشغل المغول بوفاة جنكيزخان وباقرار العرش لخلقه اوكتاي - ابنه الاوسط وهذا مغاير للعرف المغولي القديم الذي كان يعطي مثل هذا المنصب للابن الاصغر، وقد استغرق التهيؤ لعقد القوريلتاي (مجمع القبائل المغولية) سنتين ودام الاجتماع اربعين يوماً ثم في هذا الاجتماع الموافقة على تسليم اوكتاي للعرش وانتخب قاتانا (كاهان) اي خانا اعظم بدلاً من ابيه (١٢). كما تم الاتفاق على السير على سياسة جنكيزخان بالاستمرار بالحرب والقضاء على بقايا الدولة الخوارزمية التي استطاعت ان تلحق بعض الخسائر بالمغول على يد جلال الدين منكوبرتي بن الشاه محمد الذي استطاع ان يعيد النفوذ الخوارزمي على معظم بلاد ايران وخراسان، ولكن سوء سياسة وبشاعة تصرفات جلال الدين ظهرت في عدائه ومهاجمته للولايات الاسلامية وكذلك الخلافة العباسية مما جعل الجميع يكرهونه خاصة وان اتباعه كانوا اسوأ من المغول تصرفاً وسلوكاً مع اهالي بلاد ايران والعراق والجزيرة والشام، واخيراً قضى عليه سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م (١٣). وبغياض جلال الدين الذي كان يشبه السد الذي يحول بين المغول والامراء المسلمين، اتيح للمغول التوسع ومهاجمة بلاد ايران واطراف العراق والجزيرة على نحو دوري ومستمر.

وقد بدأت هجمات المغول على العراق سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م في خلافة الناصر لدين الله وقد استعد الخليفة للالاقة المغول وأرسل الى الموصل الى اربل يأمر ولايتها بالاجتماع مع عساكره في مدينة داوقا لمحاربتهم المغول، فسار مظفر الدين كوكبوري من اربل كما سار جمع جيد من عسكر الموصل ومعهم عدد كبير من المتطوعة، كما استنجد الخليفة بالملك الاشرف الايوبي، الا ان هذا اعتذر عن المشاركة لانشغاله بمحاربة الفرنج. وقد استطاعت هذه الجيوش على الرغم من قلتها على ردع المغول عن التقدم في العراق بل سرعان ما جعلتهم

الصورة اضعف نفسه ولم يعد قادراً على مواجهة المغول او التصدي لهم، لهذا اخذ يفر من امامهم دون قتال وقد اصابه الرعب فهرب من جيحون الى نيسابور ثم الى بسطام ثم الى الري ثم مازندران واخيراً التجأ الى جزيرة صغيرة في بحر قزوين حيث مات طريداً شريداً خائفاً فقيراً يتحسر على ملك لم يكون اهلاً لحكمه وتملكه (١٤).

لم يلق جنكيزخان مقاومة تذكر في غزوته هذه وسبب عدم وجود المقاومة هو ان خوارزم شاه محمداً كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافتاهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم، لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها (١٥).

عاد جنكيزخان الى عاصمته قراقورم في منغوليا سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م متعباً من كثرة الحروب والسفر وكبر السن وتوفي سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م. استطاع جنكيزخان ان يؤسس في فترة لا تزيد عن العشرين سنة (١٢٠٧م - ١٢٢٧م) امبراطورية شاسعة امتدت من بكين شرقاً الى الفولغا غرباً مع مناطق بلاد ماوراء النهر وافغانستان والقسم الاعظم من بلاد ايران (١٦).

وقد سن جنكيزخان للمغول قانوناً عرف باسم (الياسا او اليسق) واصبح من اقوى القوانين التي اتبعها المغول وطبقوها على انفسهم وعلى البلاد التي سيطروا عليها، وهي مجموعة من المفاهيم والتقاليد التي كانت سائدة عند قومه، فاسقط العوائد الذميمة منها و اضاف اليها ما استعاره من الأمم الأخرى، واخرجها على هيئة قانون. ولم يقتصر هذا القانون على النواحي المدنية او على العقوبات بل يقدم نظام يرتب كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للمجتمع المغولي. واصبحت هذه القوانين مناراً سار على هديه ابناء جنكيزخان واحفاده، وكان تطبيق تعليماتها والخضوع لاحكامها واجباً مقدساً كان على الجميع احترامه (١٧).

يتراجعون الى ايران ثم اذريجان^(١٤) .

وتكررت هجماتهم على الاقسام الشرقية للعراق في الاعوام ١٢٢٨ هـ / ١٢٣١ م و ١٢٢٩ هـ / ١٢٣٢ م و ١٢٣٢ هـ / ١٢٣٥ م و ١٢٣٤ هـ / ١٢٣٦ م و ١٢٣٥ هـ / ١٢٣٧ م و ١٢٤٢ هـ / ١٢٤٤ م و ١٢٤٣ هـ / ١٢٤٥ م وفي سنة ١٢٤٧ هـ / ١٢٤٩ م^(١٥) . وكانت هجمات المغول هذه تمهد الطريق لهم باتجاه بغداد الا انهم لم يجرأوا على مهاجمتها او الاستقرار في اطراف العراق ، بل كانوا يهاجمون وينهبون ويقتلون ويخطفون وراءهم الدمار والفرق والخراب ويعودون الى بلاد ايران واذريجان بالغنائم والاسلاب . وربما كانوا يقصدون من وراء ذلك اختبار قوة الخلافة ومدى استعدادها وقدرتها على المقاومة وعلى التصدي لهم . ولا ادل على ذلك من قول تاجر من تبريز في رسالة ارسلها الى أصحابه في الموصل سنة ١٢٢٧ هـ / ١٢٣٠ م « ان الكافر لعنه الله ما تقدر ان نصفه ولا تذكر جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين ، فان الامر عظيم ، ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوفا كان قصدهم النهب ، انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يرددهم ام لا ، فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر ففوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم ، وما يبق عندكم مقام ، فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم »^(١٦) وقد ادت وفاة اوكتاي قاآن والتنازع على خلافته الى الارتداد الى الورا ، وحالت ولاية كيوك القصيرة ٦٤٣ - ٦٤٦ هـ / ١٢٤٥ - ١٢٤٨ م دون تحقيق مهاجمة الدول الاوربية ، وعندما انتخب مونكو قاآن (١٢٥٠ م - ١٢٥٩ م) ارسل هولاكو لاكمال السيطرة على الغرب ، وايران والعراق^(١٧) .

١ - احتلال المغول لبغداد :-

جاءت الضربة الاخيرة على يد هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان الذي سار على رأس حملة

ضخمة ضمت الكثير من الامراء ابناء واحفاد جنكيزخان مايدل على تصميم المغول على الاستمرار في سياستهم العدوانية وتشير الى اهمية الحملة ايضاً . سار هولاكو على مهل من منغوليا سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م واستغرق سيره عبر بلاد ماوراء النهر حوالي الثلاث سنوات ثم حاصر قلاع الاسماعيلية وقضى عليهم سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م وبذلك فتح الطريق امامه لمهاجمة العراق واحتلال بغداد . وفي بداية الحرم من سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م دخل حدود العراق ونزل على بقعوبيا يوم ٩ من الحرم وفي اليوم الحادي عشر من الشهر نفسه بدأت عمليات حصار بغداد من جميع الجهات . وكان يشرف على الحصار فضلاً عن هولاكو كبار قادته وكان جيشه يقرب من مائتي الف مقاتل^(١٨) . وقد تم الحصار على وفق خطة محكمة ، واقاموا سوراً مشرقاً على سور بغداد كما حفروا حوله خندقاً ونصبوا آلات الحصار على هذا السور التي اخذت تدك بغداد بالحجارة التي جلبوها من جبال حمرين او بقطع اشجار النخيل^(١٩) .

وعلى الرغم من محاولة الخليفة الاستنجاد بالقوى الاسلامية فان احداً لم ينجده بل على العكس كان هناك قوى اسلامية عاونت المغول في هجومها على العراق ومحاصرة بغداد وخاصة من بلاد فارس مثل حاكم اقليم فارس الانابك ابى بكر وكذلك مظفر الدين تركة حاكم لورستان ، كما ان بدر الدين لؤلؤ عاون المغول بقوة قوامها الف فارس بقيادة ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل الا انها وصلت متأخرة بعد احتلال بغداد ، كما ان قوة قوية من الجورجيين كانت تعاون المغول ايضاً^(٢٠) .

وبعد قتال شديد استطاع المغول من فتح ثغرة في برج العجمي من سور بغداد ثم تدفقوا على بغداد وسيطروا على اسوارها يوم ٢٨ الحرم بعد حصار دام قرابة الاسبوعين وقد وجد الخليفة الا جدوى من القتال فأرسل الى هولاكو طالباً الأمان لنفسه ولأهل بغداد ، الا أن هولاكو لم يجبه الى

ذلك^(٢١). وفي الرابع من صفر خرج الخليفة الى هولاكو مستسلماً فطلب منه هولاكو ان يأمر اهل بغداد بوضع اسلحتهم والكف عن القتال وليخرجوا خارج الاسوار لاحصائهم ، وفعل ذلك الخليفة فالتى الناس اسلحتهم وصاروا يخرجون فكان المغول يقتلونهم جميعاً^(٢٢). وكان بدء القتل العام والنهب واستباحة بغداد يوم الاربعاء السابع من صفر من سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م واخذ المغول بنهب المدينة وحرقها وقتل كل من يصادفهم من اهلها واستمر النهب والسلب والقتل لمدة اختلف المؤرخون فيها فمنهم من جعلها سبعة ايام وآخرون يقدرونها بأربعين يوماً^(٢٣).

وقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى فبعضهم جعل العدد ثمانمائة الف قتيل وآخرون يقدرون العدد بموالي المليونين^(٢٤) ، ولكن على الأرجح ان العدد لا يتجاوز الثمانين ألفاً^(٢٥) وقد نجا من القتل كل من كان على صلة بالمغول كبعض التجار والاداريين واهل الذمة^(٢٦). كما ان دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ابقى عليها وسلم فيها خلق كثير وكذلك دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدواسي^(٢٧). وكان هؤلاء على صلة جيدة بهولاكو ومتواطين معه على تسليم بغداد لقاء الابقاء على حياتهم ومناصبهم ، وقد وفي لهم هولاكو بذلك. وفي الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م رحل هولاكو عن بغداد باتجاه بعقوبا وذلك بسبب انتشار الاوبئة والروائح الكريهة بسبب كثرة القتلى ، فنزل في قريتي (وقف وجلايه) اللتين تبعدان مرحلة عن بغداد وهناك قتل الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين مع اولاده وحاشيته ، وقد وضع في غرارة ثم رفسوه بالارجل حتى مات^(٢٨). وهذه عادة مغولية يتبعونها في تنفيذ حكم الاعدام بعظائهم وذلك لانهم يؤمنون بأن الروح تسكن في الدم فاذا اريق الدم فان القتال يصبح مالكا وسيدا لروح المقتول ، فعندما يبعث المقتول في الدنيا الاخرة فانه يبعث

وهو عبد لقاتله ، ولهذا نرى المغول يكثرون من القتل حتى يصبحوا ابطالاً في هذه الدنيا واسياداً في الدنيا الاخرة بملكون الكثير من العبيد. واستناداً الى هذا الاعتقاد فان القتل دون اراقة الدم تبقى روح المقتول في جسده - احتراماً له - حتى لا يكون عبداً في الاخرة لقاتله^(٢٩).

وقد خلت بغداد من معظم اهلها وهذا يدلون المغول في كل مدينة تظهر مقاومتهم فانهم يبيدون اهلها قتلاً وأسرًا وتشريداً وحرقاً لتكون عبرة لغيرها من المدن حتى لا تقاوم غزوهم ، وهذه الاستراتيجية العسكرية اتبعتها المغول منذ عهد جنكيزخان ، وكانت سياسة ناجحة فقد ادخلت الرعب في قلوب الناس شرقاً وغرباً منهم واصبح الدمار والخراب والموت مرافقاً لاسم المغول^(٣٠).

اما الحلة والكوفة فقد سار وفد من اهلها حاملاً معه الكثير من الهدايا والمال الى هولاكو وسأله حقن دمائهم فاجاب سؤلهم وعين لهم شحنة فعاد الوفد ولم يتعرض المغول لها تين المدينتين^(٣١). اما واسط فقد قاومت المغول فقام قائد الجيش المغولي بوقا تيمور بمحاصرتها ثم دخلها عنوة وذبح اكثر من اربعين ألفاً من اهلها^(٣٢). كما قاومت أربل حصارهم وحتى بعد أن سلم ابن الصلايا حاكمها المدينة الا ان القلعة ظلت تقاومهم فعجز المغول عن اخذها فاستعانوا ببدر الدين لؤلؤ الذي قام بمحاصرتها ثم اخذها وهدم اسوارها واصبحت تابعة له^(٣٣). اما الموصل فقد نجت من هذا المصير في عهد بدر الدين لانه دخل في طاعة المغول ومنذ وقت مبكر.

٢- بدر الدين لؤلؤ وعلاقته بالخلافة العباسية وبالمغول :-

اتبع بدر الدين لؤلؤ- حاكم الموصل - سياسة ميكافيلية تجاه جميع الأطراف محاولاً ارضاءهم حتى يحمي حكمه ، وخير من وصفه هو الذهبي الذي يقول عنه «كان يُعزَم على القصاد اموالاً وافرة ،

ويداري الخليفة من وجه والتار من وجه وملوك الاطراف من وجه فلم ينخرم ملكه ولم تطرقه آفة»^(٣٤). وهذا القول يوجز سياسة بدر الدين التي رأيناها في الفصل السابق، فقد حاول ان يرضي جميع الاطراف في آن واحد، فداخلياً ارضى اهل الموصل على اختلاف نخلهم وطوائفهم فيقول عنه الذهبي «وكان - مع ظلمه وجوره محبباً الى رعيته لانه كان يعاملهم بالرغبة والرغبة... كان ملكاً جليل القدر عالي المهمة عظيم السطوة والسياسة قاهراً لامرائه قتل وشقن وقطع مالا نهاية له حتى هذب البلاد ومع هذا كان محبباً الى رعيته يحلفون بحياته ويتغالون فيه ويلقبونه (قضيبي الذهب)^(٣٥)» ويؤيد هذا ما قاله صاحب كتاب الحوادث الجامعة عنه «..... وكان كثير الاحسان الى الرعية مائلاً الى شهوراتهم عادلاً شهماً حسن السياسة كثير القتل والتشويه والمواخذة...»^(٣٦) كما حاول ارضاء الخلافة عن طريق المهاداة وارسال الرسل وتزويج بناته من امراء متنفذين لدى الخليفة المستنصر وكذلك باهتمامه بالقوة والرمي بالبندي والاهتمام بالحام الزاجل. كما حاول ارضاء ملوك الاطراف وخاصة الايوبيين منهم، فقد دخل في طاعة الملك العادل وابنه الاشرف وضرب اسماءهم على نقوده كسباً لرضاهم وطلباً لحايتهم طالما كانت مصلحته تقتضي منه ذلك، وعندما انتفت حاجته من حماية الايوبيين لضعفهم وانقسامهم على انفسهم تحول بولائه نحو المغول فدخل في طاعتهم اعتباراً من سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م. فمتدماً حاصر المغول اربل في هذه السنة استعانوا ببدر الدين فأمدهم بما احتاجوه من ميرة وآلة وغيرها^(٣٧). وفي هذا الوقت ضربت القاب خان المغول على النقود النحاسية المضروبة في الموصل «القآن الاعظم» الذي هو اوكتاي^(٣٨).

تظاهر بدر الدين باحترامه وتعلقه بالخلافة وكذلك بعلاقته الحميمة ببعض الامراء المسلمين، الا انه ولاشك لاحظ الخلافات التي تنخرين القوى الاسلامية الموجودة على الساحة السياسية في

العراق والجزيرة وبلاد الشام وضعفها عن مواجهة اعدائها، فالايوبيون وصلوا مرحلة التفكك والانهايار، كما ان الخلافة العباسية لم يعد بمقدورها ان تصمد أمام التحديات المغولية كما كانت عليه في عهد الناصر لدين الله فقد ضعفت اقتصادياً وعسكرياً عن مواجهة الاخطار القادمة من الشرق، وهكذا وجد بدر الدين نفسه، وهو المتلون والذي تهمه مصلحته قبل اي شيء اخر، منساقاً الى ان يمد يده الى المغول ليتحالف معهم دون خوف من لوم اوادانة، اذ لم يعد هناك من يدين او يلوم لان الجميع يتبعون الاسلوب نفسه ولو باشكال مختلفة ولاتهمهم الا مصالحهم الذاتية. وقد جرأت هذه الطاعة بدر الدين على الاستمرار بالتظاهر بها حتى اصبحت جزءاً من سياسة لا يستطيع التراجع عنها، خاصة وان وجود المغول في بلاد ايران قد تعزز وكثرت هجماتهم على اطراف العراق^(٣٩).

ففي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م اصبح بدر الدين وكيلاً للمغول في جباية الاموال وفرض الأتاوات على حكام المسلمين في الجزيرة وبلاد الشام^(٤٠). وارسل سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م رسولاً لحضور الاحتفال بجلوس كيوك خان على عرش المغول^(٤١). كما ارسل هدايا بصحبة رسول سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م لتقديم التهنئة والولاء عند جلوس منكوقان على العرش المغولي^(٤٢). وقد ظهر اسم منكوقان على الدينار الذهبي المضروب في الموصل سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م وهذا يدل دلالة واضحة على تبعية بدر الدين للمغول واستمر تظاهره بالتبعية لهم حتى احتلالهم للعراق^(٤٣). لم يكن موقف بدر الدين للؤلؤ المتخاذل هو الفريد من نوعه تجاه المغول، ففي سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤١م وصل رسول اوكتاي قآن الى شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ومعه كتاب موجه الى ملوك الاسلام يامرهم بالدخول في طاعته ويطلب من الشهاب هدم اسوار بلده، فاعتذر الشهاب له بان بلده حقيمة لا شأن لها بالنسبة لبلاد الشام والروم ومصر، ووجه الرسول نحوهم لكي يفعل ما

سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م فشمله هولاكو بالتكريم واعاده في السادس من شعبان من نفس السنة.^(٥٠) وقد وصل معسكر هولاكو بعد بدر الدين عدد من الامراء المسلمين لتقدم تهنيتهم بأخذ بغداد فقد وصل اتابك اقليم فارس سعد بن المي بكر. كما وصل من بلاد الروم السلطانان عزالدين وركن الدين.^(٥١)

وقد حاصر المغول اربل ففتح ابن الصلايا ابواب المدينة لهم الا ان القلعة عصت عليه ولم تستلم لهذا عهد المغول لبدرالدين لان يقوم باحتلال القلعة بعد ان يتركها الاكراد صيفاً، وقد تم لبدرالدين تسلم القلعة بعد رحيل المغول عنها وهدم اسوارها واصبحت تحت ادارته.^(٥٢) ومن هذا نلاحظ ان ثقة المغول ببدر الدين كانت عالية واستمروا بالاعتماد عليه، ولهذا بعد عودته من تهنة هولاكو ارسل المغول اليه قائلين "ان سنك قد جاوزت التسعين ولذلك اعطيناك من السير معنا، ولكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر".^(٥٣) فسير بدرالدين ابنه حسب الاوامر الصادرة اليه، "ولما وصل الملك الصالح الى حضرة هولاكو خان منحه ابنة السلطان جلال الدين خوارزمشاه ليتزوج منها".^(٥٤) ويبدو ان هولاكو بهذه المكافأة وضع جاسوساً على الملك الصالح لان هذه الفتاة على الرغم من اصلها الخوارزمي تربت بكنف المغول، فهي مغولية الهوى والمشرّب لانها منذ وفاة ابيها سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م عاشت لدى المغول ولا تعرف اهلاً غيرهم وقد اعدوها لهذا الغرض، لان المغول كانوا يهتمون بالجاسوسية على نحو كبير حتى ان اليوناني يصفها بانها "تتريه" اي مغولية.^(٥٥)

توفي بدرالدين لؤلؤ سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م فتزوج اولاده حكم الامارة، فخلفه بأنه الملك الصالح اسماعيل على الموصل، في حين تولى ابنه الثاني علاء الدين حكم سنجار، وسيف الدين اسحق تولى الحكم على جزيرة ابن عمر. وقد اقر هولاكو

يفعلون^(٥٦). وعند اختيار كيوك للخانبة جاء شقيق صاحب حلب الملك الظاهر محملاً بالهدايا الى قراقرم نيابة عن اخيه الناصر يوسف الايوبي متخذين بذلك يداً لدى المغول قد تشفع لهم في الايام المقبلة.^(٥٧)

وعند اقتراب المغول من العراق كانت رسل الخليفة المستعصم بالله تجوب البلاد تستصرخ امراءها لنجدة بغداد، في حين كان هؤلاء الامراء يسارعون في تقديم الولاء والطاعة والتسهيلات الى قائد الجيش المغولي هولاكو^(٥٨). وعند وصول القوات المغولية الى العراق لاحتلال بغداد قدم بدر الدين لؤلؤ كافة التسهيلات للقوات المغولية لعبور جسر الموصل في طريقها الى بغداد. مهيناً لهم «الاقامات والسلاح»^(٥٩) كما اردف هذه القوات بنجدة من الف فارس بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل للمشاركة في حصار بغداد، ولكن هذه القوة وصلت متأخرة مما اغضب هولاكو من بدر الدين وعنف الملك الصالح على تردد ابيه وعدم ثقته بقدرة المغول على الانتصار، انتم بعد في شك من امرنا ومطلعت نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً وأخرتم اخرى لتنتظروا من الظافر بصاحبه، فلوانتصر الخليفة وخذلنا كان يجيئكم اليه لا الينا»^(٦٠) وزيادة في إرهاب حاكم الموصل فان هولاكو بعد احتلاله لبغداد وقتله من قتل من اهلها، ارسل رؤوس الدويدار الصغير وابن الدويدار الكبير - وهما أنسياء بدر الدين لؤلؤ، ورأس سليمان شاه الأيغوي، وهو من اصدقاء بدرالدين العسكريين المناوئين للمغول، مع الملك الصالح الى الموصل لتعلق هناك، فحملها الملك الصالح وعلقها ظاهر سور الموصل يرهب الناس ويروع كل من تسول له نفسه مقاومة المغول او التمرد عليهم.^(٦١)

وبعد انسحاب هولاكو الى اذربيجان استدعى بدر الدين لمقابلة الخان فجاء على عجل محملاً بالهدايا والتحف والاموال فوصل المعسكر خارج مراغة في التاسع والعشرين من شهر رجب

الفرمان الذي اعطاه هولاء للقاضي محي الدين ابن الزكي الذي جعل سلطانه يمتد من قنسرين حتى العريش.^(٥٩) ولكن التهديد الفعلي جاء عندما ارسل هولاء قبيل عودته عن بلاد الشام في جادي الاخرة سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م رسله الى سلطان المالك مظفر الدين قطز، يطلب منه الاعتراف بطاعته وحمل القدية اليه وقبول شحنة مغولي في بلادهم.^(٦٠)

وكانت معركة عين جالوت التي وقعت في منتصف رمضان ٦٥٨هـ/١٢٦٠م اول تحدٍ حقيقي للمغول فقد استبسل الجيش المملوكي فيها بقيادة مظفر الدين قطز، واستطاع ان يكسر الجيش المغولي ويبيد معظمه ويقتل قائده (كتيغا نويدان) محطماً بذلك سمعه المغول والخرافة القائلة بأنهم لا يقهرون. وقد فر من بقى من المغول عبر الفرات لايملون على شيء.^(٦١)

وقد نجم عن هذه المعركة الفاصلة نتائج كثيرة.^(٦٢) فقد قضت على آمال المغول في مد سيطرتهم على بلاد الشام ومصر واصبحت سياستهم مقصورة على الدفاع عن ممتلكاتهم في العراق وفي بعض بلاد الجزيرة وتخلوا عن سياسة الهجوم واصبح همهم الاحتفاظ بنهر الفرات حداً طبيعياً لحدودهم مع الممالك.

اما اهمية المعركة للممالك فقد اعطت كيانهم السياسي الفتي السند الشرعي لحكم مصر والبلاد الاسلامية التي حرروها من السيطرة المغولية، وجاء نجاحهم بعد ذلك في احياء الخلافة العباسية ونقلها الى القاهرة مؤكدة لهذه الشرعية باعتبارهم حداة الاسلام ومفذي ارادة الخليفة. كما تم نتيجة ذلك توحيد بلاد الشام ومصر بقيادتهم، وبذلك امتدت حدودهم من جهة الشمال الشرقي الى نهر الفرات الذي اصبح يحجزهم عن المغول، مما مكّنهم بعدها من تحقيق الكثير من الانتصارات السياسية والعسكرية على المغول من جهة وعلى الامارات الصليبية من جهة اخرى.

واحيث هذه المعركة معنويات المسلمين الذين

هذه التقسيمات^(٥٩). وقد استمر اولاد بدر الدين لؤلؤ في مولاتهم للمغول لفترة من الزمن، ولكن التغيرات الحاصلة على الساحة السياسية في بلاد الشام ومصر واندحار المغول في معركة عين جالوت، خلقت ظروفاً جديدة، حتمت عليهم تغيير مواقعهم تجاه المغول فأخذوا بالانحياز الى جانب الممالك الذين تصدوا بشجاعة للمغول وافشلوا خططهم في السيطرة على بلاد الشام.

٣- ثورة الموصل :-

قامت ثورة الموصل ضد المغول لأسباب متعددة، ولكن السبب الرئيس هو تغير الأوضاع السياسية في الساحة العربية وخاصة بعد ان ظهرت دولة الممالك الفتيّة في بلاد مصر، كما ان سيطرة المغول على بلاد الجزيرة والشام جعلهم يواجهون الممالك وجهاً لوجه. فضلاً عن ان اهل الموصل وامراءها شق عليهم ان يخضعوا لارادة المغول واهانتهم بعد ان كانوا سادة امارة نالت حظها من القوة والتقدم والنفوذ لمدة طويلة من الزمن في العهد الأتابكي وعادت تقهّم بأنفسهم خاصة بعد خسارة المغول في معركة عين جالوت. نجح هولاء في حصار حلب بمساعدة القوى الاسلامية التي دخلت طاعته مثال ذلك مشاركة صاحب الموصل - بدر الدين الذين اناب عنه ابنه الصالح اسماعيل وصاحب الروم الذي شارك في حصار حلب.^(٥٧) وبعد سقوطها بيد هولاء اول صفر ٦٥٨هـ/١٢٦٠م لقيت حلب من الخراب والتدمير ما لقيته بغداد. وقد افزع هذا سكان البلاد ووقع الرعب في نفوسهم، ودانت مدن الشام بالطاعة وهولاء لم يتجاوز معسكره في حلب، فقد وفد اليه بعض امراء الأيوبيين مثل الأشرف موسى صاحب حمص واعيان حماة وعلبك ودمشق يلتسون الأمان منه لبلادهم وأنفسهم فكان يقبل طاعتهم ويرسل معهم شحنة لثقله في بلادهم.^(٥٨)

وبدأ التهديد المغولي للممالك عندما حاول المغول مد نفوذهم الى العريش كما نص على ذلك

وصلوا اسوارها غلقت ابوابها في وجههم نزلوا خارج المدينة وشرعوا يقاتلون المغول فانفق محيي الدين بن زبلاق - وهو كاتب انشاء في الموصل وجاعة من اهل المدينة وفتحوا ابواب الموصل لهم ولا دخل علم الدين سنجر هرب الشحنة ياسان وتركوا وأعوانهم المغول الى القلعة وتحصنوا بها . وسرعان ما تقدم جيش مغولي من منطقة الجزيرة الى الموصل فخرج علم الدين سنجر مع جيشه للملاقاة وبعد معركة ضارية قتل فيها غالبية الجيش الموصل على يد المغول الذين كانوا يفوقونهم عدداً وعاد الناجون الى المدينة ثم جاءت تعزيزات المغول بقيادة سمداغو الذي احاط الموصل فارضاً الحصار عليها في كانون الاول من سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م. (١٥)

اما الملك الصالح فقد سار الى مصر وبصحبته أخوه سيف الدين اسحق واتصلا بالظاهر بيبرس، السلطان المملوكي، الذي قبل شفاعتهم في اخيه الثالث علاء الدين علي الذي كان مسجوناً بسبب اساءته السيرة مع الامراء عندما كان في ولاية حلب، فافرج عنه واعيد اليه اعتباره وانضم الى اخويه. (١٦)

يبدو ان بيبرس كان قد اعد خطة لتحرير العراق من السيطرة المغولية فاستغل وجود اولاد بدر الدين لؤلؤ مع الخليفة العباسي المستنصر الذي بويع بالخلافة في ١٣ رجب من سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م (١٧). وقام الخليفة بتقليد السلطنة للملك الظاهر بيبرس "فالبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه وقيده." (١٨) كما اصدر الخليفة تقليداً لاولاد بدر الدين علي حكم الموصل وسنجر والجزيرة "ثم رسم السلطان بكتابه تقاليدهم ببلادهم من مولانا الخليفة فكتب تقليد الموصل وبلادها وقلاعها للملك الصالح ركن الدين اسماعيل وهي الموصل وللاياتها ورسايقها ونصيبين وولاياتها والرها والجزيرة والبوازيح وما يتعلق بها، وعقر شوش ودارا واعمالها والقلع العادية وبلادها وكواشي وبلدها، وكتبت بلاد الجزيرة واعمالها

كانوا يرزحون تحت حكم المغول فاسترجعوا ثقتهم بأنفسهم واستبشروا خيراً بهذا النصر وتشجعوا على تحدي سلطان المغول والتمرد عليهم وتبجلى ذلك عند أهل الشام الذين ثاروا على حكاهم حالما وصلتهم انباء الخزيمة فشاركوا في عرقله هرب المغول وأبادوا الكثير منهم فضلاً عن مشاركتهم في مطاردة الآخرين. كما تبجلى اثر هذه المعركة على المسلمين الذين كانوا تحت السيطرة المغولية فان امراءهم عملوا على التخلص من نير السيطرة المغولية فثاروا عليهم وسعوا للاتصال بالممالك والاستعانة بهم لانجاح هذه الثورات كما فعل صاحب شيراز وصاحب الموصل الملك الصالح اسماعيل.

ان الذي ساعد على تحول موقف الملك الصالح فضلاً عما ذكر سابقاً هو تغير المغول عليه فانهم "كانوا شرعوا يخلقون له ذنباً يريدون القبض عليه فاستشعر منهم الغدر." (١٩) وسرع في هذا التحول وقمع احدى رسائل اخيه علاء الدين والتي يحرصه فيها على ترك المغول والاتحاق بالممالك، بيد محمد بن يونس الباعشيقي وهو احد امراء ابيه وكان يتحين الفرص للابقاع بسببه حتى يحل محله في ادارة الموصل. فقد سرق الباعشيقي الرسالة وغادر الموصل متجهاً الى اربل حتى يطلع عليها المغول، وحاول ان يبرر عمله هذا بان الملك الصالح "عزم على قتل جميع اكابر النصارى ببلد نينوى وانه بعد ذلك يتوجه الى الشام..." (٢٠) ويبدو ان الغاية من ترويح هذه الاشاعة هي بليلة الوضع حتى يتخذ المغول موقفاً معادياً من الملك من ناحية واكرامه الملك الصالح على مغادرة الموصل. وهذا ما حصل لأنه شعر ان المؤامرة عليه احكمت حلقاتها لهذا غادر الموصل هو وامراؤه فقد سيطرت زوجته الخوارزمية - ترکان - مع الشحنة المغولي ياسان على مدينة الموصل وغلقت ابواب المدينة. ويبدو ان الملك الصالح قدم على تركه الموصل دون ان يترك فيها جاعة من اتباعه يضمن ولاءها له، لذا اعاد بعض الامراء وعلى رأسهم علم الدين سنجر الى الموصل فلما

للملك المجاهد سيف الدين اسحق ... وكتبت للملك المظفر سنجار واعمالها وكتبت لعلاء الملك ولد الملك الصالح المذكور تقليداً بقلعة النجم. (٧٦) وبعد هذا التقليد طلب بيبرس من اولاد بدر الدين ان يزوجوا اختهم من الامير بدر الدين بيليك الخزندار. وهو امير مقرب منه ، فوافقوا على ذلك، (٧٧) ويظهر ان بيبرس اراد بهذه المصاهرة تقوية العلاقة مع اولاد بدر الدين وبربطهم بدولته . ومن اجل ان ينفذ خطته جمع بيبرس جيشاً لازيد مقداره على الالائي فارس وضمهم تحت قيادة الخليفة (٧٨) وفي الثاني والعشرين من ذي القعدة سافر الخليفة بمن تبعه من العسكر نحو العراق ، وكان بصحبته اولاد بدر الدين لؤلؤ، وفي الرحلة انفصل عنه هؤلاء متوجهين الى بلادهم ، وقد التمس منهم الخليفة السير معه فابوا قائلين "ما معنا مرسوم بذلك" (٧٩) اي ان السلطان كان يريد منهم السير الى بلادهم . ويبدو ان خطة بيبرس كانت ترمي الى اثارة الناس في اقاليم العراق والجزيرة والموصل للانتفاضة على المغول وفتح جهات متعددة لا يستطيع هؤلاء مقاومتها جميعها، علماً تؤدي الى اندحارهم وتحرير هذه الاقاليم من سيطرتهم. (٨٠) الا ان هذه الخطة فشلت فالخليفة بعد نجاح مؤقت في السيطرة على الحديثة وعانة اندحر على مقربة من الانبار على يد القائد المغولي قرايغا وتشنت شمل جيشه وفقد ولم يُعثر له على اثر (٨١) . ويتنقد شافع بن علي هذه الخطة التي وضعها بيبرس بقوله "قال الصاحب محيي قال لي السلطان- بيبرس- الذي انفقته على تجهيز الخليفة والملوك الموصلة الف الف دينار وستون الف دينار، اقول: ما رأيت اعجب من هذا الرأي واعجب منه موافقة ذو الرأي والمشورة عليه . وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم - اي المغول - واستعداد عددهم وقوة جأشهم وكثرة جيشهم كيف يسير اليهم هذه الشرذمة القليلة المتحقق انها لاتفي بالف منهم ، وانما هي اموال ضُيعت وارواح

للحياة ودعت ، ولو توجه العسكر المصري بكاله والشامي بعريه ورجاله لكان فيه اعظم تغير وانما هي المقادير والسلام. (٨٢) اما الملك الصالح اسماعيل فقد رجع الى الموصل وكان المغول محاصرين لها فتأخروا عن المدينة الى حين دخوله اليها ثم عادوا واحاطوا بها وبنوا السبب حولها في ليلة واحدة وابتدأوا بالقتال. (٨٣) وقد دافع اهل الموصل عن مدينتهم دفاعاً بطولياً . فعندما نصب المغول ثلاثة منجنيقات لترمي المدينة. نصب اهل الموصل حبال الجيش المغولي ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً. (٨٤) فلما طال الحصار ورأى سنداغو انه بحاجة الى نجيدات جديدة ارسل. الى هولاءكو يطلب مدداً ، فارسل هولاءكو جيشاً اخر لامداد سنداغو نويان بالجنند. (٨٥)

لقد طال الحصار على اهل الموصل فقد دام قرابة السنة (٨٦) ، استنفذت خلالها المؤن والاقوات. كما انه لم يكن مع الصالح من الفرسان والجنود ما يزيد عن الالف. (٨٧) فضلاً عن ان الامدادات التي وعد بيبرس بارسالها الى الموصل لم تصل لان المغول تعرضوا لها وبادوها قرب سنجار. (٨٨) وهكذا وقع عيى الدفاع عن المدينة المحاصرة بجيوش غفيرة من المغول على اهل الموصل الذين اثار فيهم الجوع والوباء حتى اكلوا الميتة ولحوم الكلاب ومع كل ذلك فقد كان صمود اهل الموصل رائعاً ، وقد استغل المغول هذا الوضع وبدأوا بمراسلة الصالح طالبين منه الاستسلام مقابل حفاظهم على حياته وحياة اهل الموصل حتى انهم اوهموه "ان وصل اليهم كتاب من هولاءكو مضمونه ان علاء الملك- ابن الصالح- ماله عندنا ذنب وقد وهبنا له ذنب ابيه فسيره الينا لنصلح امرك معه- اي هولاءكو. (٨٩) وقد جمع الصالح اهل البلد والاجناد وشاورهم في الامر فاشاروا عليه بالخروج فقال "انكم تقتلون لاهالاً واقتل بعدكم فصموا على خروجه. (٩٠) وبعد ان توثق لنفسه ولاهل الموصل من المغول واخذ العهد منهم (٩١)

خرج بعد ان ودع الناس ولبس البياض ، فلما وصل الى المغول احتاطوا به ووكّلوا عليه وعلى من معه وحملوه الى الجوسق . ثم دخل بعد ذلك شمس الدين الباعشيقي البلد ومعه الفرمان ونادى في الناس بالامان فظهروا بعد اختفائهم وشرعوا مع المغول في خراب الاسوار. (٨٥)

وبعد ان اطمأن الناس واخذوا بمزاولة حياتهم اليومية من بيع وشراء دخل المغول المدينة واستباحوها قتلاً وتدميراً وتخريباً لمدة تسعة ايام. (٨٦) اما رشيد الدين - المولي للمغول - فيصف عملية الاستباحة بقوله : "وقد فتح المغول مدينة الموصل في رمضان سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م . وقتلوا بقية سكان المدينة بحد السيوف ، واسروا بعضاً من ارباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل . فلما رحل المغول عن المدينة ، خرج ما يقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمّعوا." (٨٧) اما الملك الصالح اسماعيل فقد حمل الى مراغة في اذربيجان فامر هولاء - الذي كان غاضباً عليه - ان يدخل في الدهن (اللي) ويربط عليه بالبد ووضع في الشمس الى ان تحول الدهن الى ديدان اخذت تلتهم جسد الصالح ، وهذا منتهى القسوة في تعذيب الضحية الذي يموت ببطء شديد نتيجة التهام الديدان لجسده . ثم بعثوا بابنه علاء الملك الذي كان في الثالثة من عمره الى الموصل ليقوده نصفين على ساحل دجلة وعلقوا جثته على جانبي الجسر حتى تعفنت وتناثرت. (٨٨) بهذه الصورة البشعة اظهر المغول انفسهم بانهم اساتذة العالم في التعذيب والتنكيل ارضاءً لوحشيتهم وقساوتهم التي لا حدود لها .

أما اخوة الملك الصالح سيف الدين اسحق صاحب الجزيرة والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار فقد توجهوا الى الملك الظاهر بيبرس بمصر الذي احسن اليها واقطعها بعض الاقطاعات وبذلك انقضت دولة بدرالدين لؤلؤ واولاده من

الموصل واعمالها (٨٩) ، واصاب الموصل ما اصاب بغداد من قبل على يد المغول من تدمير وتخريب والحقت الموصل بالحكم المغولي المباشر.

كان من ابرز نتائج ، ماحدث للموصل هو التدمير البشري والعمراني للمدينة التي كانت من ازهى المدن العربية - الاسلامية في العصور الوسطى . وقد أدت ثورتها على المغول الى ابادة سكانها باعتراف مؤرخ المغول الرسمي رشيد الدين - كما رأينا بإستثناء قرابة الألف شخص خرجوا من المغائر والجبال وعادوا اليها بعد القتل والذبح الذي حل بأهلها ، كما ان اسوارها دمرت حتى لاتعود الى العvisان مرة اخرى .

واسر المغول بعض المدنيين ولابد انهم ارسلوهم الى بلادهم كعادتهم مع الاسرى من الحرفيين في معاركهم السابقة ، وهكذا خلت المدينة من الأيدي العاملة الماهرة التي كانت تزخر بهم والذين كانوا يشاركون في انتاج السلع التي اشتهرت بها مدينة الموصل ، وكان لابد أن يؤدي هذا الى تدهور مستوى الحرف والأعمال الفنية في المدينة بعد ذلك ، كما ادى ذلك الى انتقال بعض تقاليد هذه الصناعات والفنون الى البلاد المجاورة مثل بلاد الشام ومصر كصناعة تكفيت المعادن ، وصناعة الأقمشة الجيدة كالموسلين وغيره . فضلاً عن ان الاحتلال والادارة المغولية المباشرة للمدينة الحقةا بممتلكاتهم وقطعها عن بقية البلاد العربية وخاصة بلاد الشام والجزيرة مما ابعدها عن مجالها الحيوي ومناطق تصديرها لبضائعها عن طريق بلاد الشام ثم البحر المتوسط ، كما انها خسرت استقلاليتها التي كانت تتمتع بها فيما مضى من زمن وجعلها تابعة على نحو مباشر للمغول . كما انها خسرت مكانتها كعاصمة لولاية مهمة لعبت دوراً سياسياً وحضارياً مهماً في المنطقة ولفترة طويلة من الزمن . وأصبحت مدينة تابعة لاقليم ديار بكر المغولي .

٢- الادارة المغولية للموصل.

تحول العراق بعد هذه الكوارث الى ولاية من الولايات الكثيرة التي تكوّن الامبراطورية الايلخانية المترامية الأطراف الممتدة من نهر جيحون الى المحيط الهندي ومن السند الى الفرات ، مع اجزاء من آسيا الصغرى وبعض القفقاس . وأصبحت قاعدتها في اذربيجان وكانت هذه الدولة تابعة نظرياً للامبراطورية المغولية المركزية . وبعد ان كانت بغداد قاعدة الخلافة وعاصمة العالم الاسلامي مدة تزيد على الخمسة قرون اصبحت مراغة ثم تبريز واخيراً السلطانية - وكلها في اذربيجان - عواصم الامبراطورية الايلخانية ، ولذلك اعتنى سلاطين هذه الأسرة الحاكمة بآيران دون العراق . وقد الغيت في هذا العهد اكثر الدواوين الادارية ، وبقي ديوان الوزير ثم صار رئيسه صاحب الديوان وهو الحاكم الأعلى في العراق ، وبقي منصب قاضي القضاة ، أما في ولاية الجزيرة وديار بكر- التي صارت الموصل جزءاً منها - وفي احيان عاصمة لها . فقد الغيت الدواوين التي كانت موجودة في العهد الأتابكي وبقيت وظائف قليلة كما سنرى . وتميزت الفترة الايلخانية الممتدة من سنة ٦٥٦ - ٧٣٦هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٥م بإضطراب احوال الادارة وانتشار الفساد والرشوة وكثرة الثورات والمشاكل واضطراب الأحوال المعاشية للناس . وكان هم المغول الأول هو الحصول على المال بأية طريقة كانت دون رعاية لأحد ، ولهذا قضى على غالب موظفيهم الماليين لآتاهم بالاختلاس والتلاعب بأموال الدولة . وقد ضعف الحكم المغولي الايلخاني بسبب المرض الذي يصيب دوماً الحكومات البدوية ، وهذا المرض هو الصراع على السلطة بين الامراء وتفكك الروابط الاسرية التي كانت تحكم سلوك الملوك السابقين ، كما ان الياسا التي وضعها جنكيزخان لم تعد ذات اهمية بالنسبة للايلخانيين بعد ان ابتعدوا عن

عاداتهم وتقاليدهم التي كانوا عليها سابقاً واخذوا بمادة التحضر والتحذن وخاصة بعد ان دخلوا الاسلام وتعايشوا مع المسلمين الذين كانوا ارق منهم حضارياً وفكرياً .

أسس هولاكو امبراطورية واسعة ضمت الولايات التالية : الجزيرة الفراتية والعراق وخوزستان والأحواز وفارس وكرمان وسجستان والزخج وارمينيا واذربيجان وايران وبلاد الجبال وبلاد الديلم والجبل وطبرستان ومازندران وقومس وخراسان وزابلستان والغور^(٩٠) . واتخذ هولاكو مدينة مراغة مركزاً لحكمه الجديد حيث قضى معظم اوقاته^(٩١) . وقد اتخذ هولاكو لنفسه لقباً يميزه عن غيره من الامراء ويعين في الوقت نفسه مكانته من مقام اخيه القاءان ، فقد اتخذ لنفسه لقب (الايخان) وهي لفظة تركية تعني الخان التابع (اي التابع لأخيه القاءان)^(٩٢) .

توفي هولاكو مؤسس الامبراطورية الايلخانية سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م وجرى مراسم دفنه على الطريقة المغولية فدفن في ضريح اعد له على الجبل في قلعة شاهو المطلّة على بحيرة اورمية ودفن معه عدد من البنات العذراوات بالبستنة الجميلة وحليهن ، ووزع اللحم عند قبره لأيام عديدة ، وكان قد أوصى لابنه الأكبر اباقا من بعده بإشارة من زوجته دوقوز خاتون^(٩٣) .

وتولى بعد هولاكو الايلخانات التالية اسمائهم :-

- ١- اباقا خان بن هولاكو ٦٦٣ - ٦٨٠هـ / ١٢٦٥ - ١٢٨٢م .
- ٢- احمد تكدار بن هولاكو ٦٨٠ - ٦٨٣هـ / ١٢٨٢ - ١٢٨٤م .
- ٣- ارغون خان بن اباقا ٦٨٣ - ٦٩٠هـ / ١٢٨٤ - ١٢٩١م .
- ٤- كيخاتو خان بن اباقا ٦٩٠ - ٦٩٣هـ / ١٢٩١ - ١٢٩٤م .

- ٥- بايدو خان بن طوقاي بن هولكو ٦٩٣- ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٤ م.
- ٦- غازان خان بن ارغون ٦٩٣- ٧٠٣ هـ / ١٢٩٤ - ١٣٠٣ م.
- ٧- اولجايتو محمد خدابنده بن ارغون ٧٠٣- ٧١٦ هـ / ١٣١٦ - ١٣٠٣ م.
- ٨- ابو سعيد بهادور بن خدابنده ٧١٦- ٧٣٦ هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٥ م.

١- نواب المغول في ديار بكر والجزيرة :-

نالت الجزيرة اهتماماً خاصاً من الادارة المغولية لأنها تجاور قوى مازالت خارج سيطرة المغول كالماليك في مصر والشام ، ودولة ارمينية المسيحية في آسيا الصغرى ، وكذلك الامبراطورية البيزنطية^(٩٤).

ويبدو أن الموصل أصبحت بعد احتلال المغول لها العاصمة الادارية لاقليم ديار بكر والجزيرة^(٩٥). وكان نواب المغول هؤلاء هم المسؤولين عن ولاية الموصل في العهد الايلخاني ، وهم الذين يعينون ولاية المدن وبقية الموظفين^(٩٦).

كان اول النواب المغول على الجزيرة هو الأمير ارغون عين سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م وقد ميزه القاء ان منكو «وفوض اليه حكم اقاليم ايران وغير ايران مثل خراسان ومازندران والعراق وفارس وكرمان واذريجان وجورجيا (گرجستان) واللور واران والارمن والروم وديار بكر والموصل وحلب»^(٩٧). لا يغرب عن بالنا أن هذا التعيين جرى قبل ان يسيطر المغول على العراق والجزيرة وقبل تأسيس الامبراطورية الايلخانية. ويبدو ان منكو كان اراد من هذا التعيين اشعار الامراء المواليين له في اقليم الجزيرة وبلاد الشام بوجود المغول الاداري وخاصة لجباية الأتاوات المالية المفروضة عليهم.

وفي عهد هولكو أصبح تودان المسؤول عن الجزيرة وديار بكر "... وسلم الأمير تودان ديار بكر

و ديار ربيعة حتى شاطئ الفرات" (٩٨).

وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م عهد اباقا خان بالنيابة للأمير (دورباي نويان) بدلاً من تودان الذي كلف بالعمل في بلاد الروم^(٩٩).

وبعد اغتيال احمد تكودار وجيى ارغون الى الخانية سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٦٥ م أصبح الأمير (اروق) نائباً للایلخان على العراق وديار بكر^(١٠٠). ولم تكن سيرة هذا النائب مقبولة من ارغون لأنه كان يعيش باهه وترف حتى ان رشيد الدين يقول عنه "وكان الأمير اروق يعيش في بغداد لاعلى طريقة الامراء بل على نحو ما يعيش الملوك ، ولم يكن يحترم رسل ارغون ، ولم يكن يرسل اموال بغداد الى الخزانة..."^(١٠١) وقد قتل هذا النائب لاشترائه في مؤامرة مع أخيه بوقا ضد ارغون سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م^(١٠٢). وعين بدلاً عنه امين الدولة بن الصني اليهودي على ديار بكر^(١٠٣). وامين الدولة هذا هو آخر سعد الدولة اليهودي وزير ارغون الذي تحكم وسيطر على مقاليد الامور في الامبراطورية الايلخانية نتيجة دسائسه وارضااته للخان بجمعه الأموال بشتى الأساليب والطرق الخبيثة^(١٠٤). وكان مصير امين الدولة مرتبط بأخيه ، ولهذا عندما قتل سعد الدولة نتيجة اكتشاف دسائسه سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م فإن المغول بطشوا بأخوته ومنهم امين الدولة^(١٠٥). كما بطشوا بعدد كبير من اليهود الذين عاونوا سعد الدولة ووقفوا بجانبه وساعدوه في دسائسه^(١٠٦).

وتولى الأمير (سنبغا) نيابة ديار بكر في عهد السلطان غازان وعزل سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م وعين بدلاً عنه الأمير (بولاي) ، وتولى هذا مهمة القضاء على الأتراء المشفقين على غازان الذين اتخذوا من الجزيرة ملجأ لهم^(١٠٧). جاء بعد (بولاي) الأمير بدر الدين جنكي (اوجنكلي) بن البابا وكان هذا على علاقة حسنة بالماليك وكان يكاتبهم بأخبار المغول ، وخوفاً من انفضاح امره سار من ديار بكر الى

بلاد الشام والى مصر بعد ذلك سنة ٦٠٣هـ / ١٣٠٣م^(١١٨). وجاء بعده الأمير قبرتو^(١١٩) ثم النوين (إبك باصميش) ثم (سوتاي) الذي استمر حاكماً منذ أوائل حكم اولجايتو محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦هـ / ١٣٠٣ - ١٣١٦م) الى ان توفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م في مدينة بلد (اسكي موصل) ودفن بمدينة الموصل^(١٢٠). واعقب سوتاي ابنه (حاجي طوغاي) الذي كان على صلات جيدة بالماليك، وبقي في نياحه ديار بكر الى ان توفي السلطان ابو سعيد بهادر سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، الذي انقرضت بوفاته مملكة الايلخانيين وتحول الحكم في العراق وايران الى الدولة الجلائرية^(١٢١).

٢- ولاية الموصل :-

كان المغول في تعيينهم لولايتهم لايتوخون منهم كفاءة او مقدرة ادارية بقدرما يتوخون منهم الطاعة العمياء لهم وتقديم اكبر كمية من المال يجمعونها بأية طريقة كانت، وكان بعض الولاة يعينون مكافأة لهم على خدمات قدموها للمغول او بسبب مساهمتهم في الكشف عن اختلاسات الموظفين الآخرين. ولكن الطاعة والانقياد لهم هي اكثر ما يطلبون ممن يعينون في الوظائف الادارية^(١٢٢).

وقد تولى على الموصل سلسلة من الولاة هم :-
١- الأمير شمس الدين محمد بن يونس الباعشقي، عين هذا الأمير والياً على الموصل من قبل القائد المغولي سنداغو نويان بعد احتلاله للموصل مكافأة له على خيائته لسيدو وعلى ما قدمه من معلومات ساعدت على احتلال الموصل. ولكن ولايته لم تطل فقد قتل سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م^(١٢٣) ويجعله الكتبي نائباً لهولاكو على الجزيرة^(١٢٤). ويبدو ان سبب قتله هو دفعه رشوة الى المحافظي حتى لا يحقق معه في

الامور المالية "فدفع للحافظي ستة عشر الف دينار رشوة لترك محاqqته والكشف عنه... وكان الزكي الاربلي مقيماً بالموصل وعلم بما أخذه من الرشا فتوجه الى هولاكو ورفع اليه وعلى الباعشقي فعقد لها مجلساً فظهر صدق الاربلي فقتل الباعشقي"^(١٢٥).

٢- وعين الزكي الاربلي والياً على الموصل سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م بعد مقتل الباعشقي وكان تعيينه مكافأة له على دوره في كشف اختلاسات الباعشقي، وبقي في الولاية الى سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م حيث عين :-

٣- رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الافشاري القزويني والياً بدلاً عنه من قبل اباقا خان قبض على الزكي الاربلي وطالبه ببقايا الأموال التي ثبت انها بحوزته واستوفى منه معظمها ثم قتله^(١٢٦).

٤- وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م عزل رضي الدين بابا وعين بدلاً عنه مسعود البرقوطي بن اعلم الدين يعقوب^(١٢٧). وهو من قرى اربل اسمها برقوطا ويبدوانه عين تكرماً لأبيه اعلم الدين الذي كان من المقربين لاباqa خان^(١٢٨).

٥- ولكن ولاية مسعود لم تطل لأن رضي الدين بابا رفع سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م شكوى ضده متهماً اياه بالاختلاس وبعد اجراء التحقيق والمحاسبة ثبت اختلاسه فعزل عن ولاية الموصل وسلمت لرضي الدين بابا- للمرة الثانية^(١٢٩).

٦- ظل رضي الدين بابا والياً على الموصل الى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٨م وعندما توجه مسعود البرقوطي الى اباقا خان وعرض عليه انه ظلم في المحاسبة، فأمر اباقا خان بإجراء تحقيق وانتهى الأمر الى تجريم رضي الدين بابا والأمر

بقتله . وقد قتل وعلّق رأسه على باب الجسر في الموصل واعيد مسعود البرقوطي الى ولاية الموصل للمرة الثانية (١٢٠) .

٧- حكم مسعود البرقوطي الى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م وقد اضيفت اليه مدينة اربل ، ولكن في هذه السنة ثار اصحاب رضي الدين بابا على مسعود البرقوطي واتهموه بنهب اموال احد اصحاب رضي الدين بابا ، فقبضوا عليه وتكلوا به وباصحابه وتمكن مسعود من بعد مضي ايام على احتجازه من الهرب والاختفاء . وقد وردت الاوامر باللقاء القبض عليه وارساله مقيداً الى الموصل حيث يقدم خمس ربات من الدراهم“ ولما جيئ به الى الموصل رشى الجند المغول وهرب ليلاً (١٢١) .

٨- وفي فترة حكم احمد تكودار (٦٨٠-٦٨٣ هـ / ١٢٨١-١٢٨٤ م) تم الاتفاق بينه وبين المالك على تقرير الصلح بينها وتفويض حكم الموصل وبغداد وسنجار لابن بدر الدين لؤلؤ بنفس الضمان الذي يقدمه عاهلهم لها . فرضي احمد بذلك ولكنه عزل ثم قتل قبل ان تتوثق عرى الصلح بين الطرفين (١٢٢) .

٩- وبعد وصول ارغون الى الخانية سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م اعيد مسعود البرقوطي الى ولاية الموصل للمرة الثالثة ، وكان مسعود من المقرين للأمير بوقا ، ولكن بعد ان اتهم هذا الأمير واخيه اروق بالخيانة “امر ارغون بقتله مع اصحابه ، ارسل الى الموصل الأمير بيتمش القوشجي الذي قبض على مسعود فنكل به وباصحابه ومن ثم قتله سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م وسلمت الموصل لبيتمش (١٢٣) .

١٠- لم يدم حكم بيتمش سوى بضعة اشهر اذ

عزل وعين بدلاً عنه امين الدولة اخو سعد الدولة اليهودي - وزير ارغون ، وقد بطش المغول به سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م (١٢٤) .

١١- وتولى الحكم في عهد غازان فخر الدولة ابو محمد عيسى بن هبة الله ابراهيم النصراني الموصل ، وكان هذا الوالي كريماً قاصده الشعراء والأدباء فأحسن صلتهم ، وكان ممن قصده صني الدين محمد بن علي بن الطقطقي وصنف له كتاباً في التاريخ سماه (الفخري في الاداب السلطانية) وقد قتل هذا الوالي سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م على يد الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق (١٢٥) .

١٢- الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق تولى الموصل بعد قتله لفخر الدولة ولكن على ما يبدو ان مدته لم تطل وذلك لأنه كان حاكماً على ماردین (١٢٦) .

١٣- تولى الأمير ايليا جميش مسؤولية حكم الموصل في عهد السلطان اولجايتو خدابنده ثم عزل عن منصبه سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م وعين بدلاً عنه سيف الدين سوناي لنيابة ديار بكر والموصل (١٢٧) .

١٤- وفي عهد السلطان ابو سعيد بهادر كان والي الموصل هو علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بجيدر ، وكان ذو منزلة عالية لدى السلطان وذكره ابن بطوطة في زيارته للموصل سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م (١٢٨) ويبدو انه ظل في ولاية الموصل الى سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م وبعد وفاة السلطان أبي سعيد عمت الفوضى ارجاء دولته فاستغل ذلك ابراهيم شاه بن بارنباي بن سوتاي وتمكن من السيطرة على الموصل وديار بكر بمساعدة اتباع والده سوتاي الذي كان قبله والياً على ديار بكر (١٣٠) .

٣- الشحنة :-

وظيفة استحدثت في العهد السلجوقي وكان صاحبها يعينه السلطان وهي اشبه ماتكون بمحافظ المدينة او صاحب الشرطة او الحاكم العسكري وصاحبها مسؤول عن المحافظة على امن المدينة واستقرارها وملاحقة الخارجين عن النظام ومعاقبة المسيئين^(١٣١).

وفي العصر المغولي وسعت صلاحية الشحنة فأصبح مراقباً لحاكم المدينة والدفاع عن البلاد ضد التهديدات الخارجية وقيادة الجيش وقمع حركات التمرد. وكانوا لايعينون الا مغولاً في هذه الوظيفة لأهميتها وعدم ثقة الخانات بغير ابناء جنسهم وخاصة في ما يتعلق بالأمور العسكرية^(١٣٢).

وقد عين سلسلة من الشُحن في الموصل :-

١- اول من تولى هذه الوظيفة هو ياسان في عهد الملك الصالح اسماعيل ، وقد سيطر هذا على الموصل بعد خروج الصالح منها سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م^(١٣٣).

٢- وفي سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م عين تورين شحنة على الموصل^(١٣٤).

٣- وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م تولى هذا المنصب اشموط الابغوري الذي استمر في هذا المنصب حتى عزل سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م وذلك لانهاهه بالارتشاء^(١٣٥).

٤- وفي احداث سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م ورد اسم الطرغاشي الذي قام باخاد فتنه حدثت في الموصل^(١٣٦).

٥- وفي سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٨م اعيد اشموط الى شحنة الموصل واستمر هذا حتى سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م^(١٣٧) ولا نجد بعد هذا التاريخ ذكراً لأي شحنة في الموصل ، فاما ان وظيفة الشحنة اضيفت الى الوالي واصبح هو المسؤول عن الأمن والجانب العسكري . او

ان المعلومات ضئيلة ولم تعد تهتم بذكر مثل هذه الوظائف الثانوية .

٤- الاشراف المالي :-

وهي احدى الوظائف المهمة التي استحدثت منذ العهد السلجوقي ومتوليا يعرف (بالمشرف) وهو المسؤول عن المحاسبات وضبط الصادرات والواردات والموازنة بينها^(١٣٨) . وقد استمرت هذه الوظيفة الى العهد المغولي حيث استحدث المغول منصب (مشرف الممالك) الذي يعين نواباً عنه مشرفين على اقاليم الامبراطورية الايلخانية^(١٣٩) .

وكان اول من عين مشرفاً على اموال بلاد الروم والكرج والموصل وديار بكر هو ايلجيكيتاي الذي عينه كيوك خان^(١٤٠) . وفوض منكوقان هذه المهمة للأمير ارغون سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م^(١٤١) . وفي سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م عين هولكو سليمان بن مؤيد بن عامر زين الدين العقربائي المعروف بالحافظي مشرفاً على الموصل والجزيرة واستمر هذا في وظيفته حتى قتله هولكو سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م بسبب اختلاسه الأموال^(١٤٢) .

وفي سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م عهد بمهمة الاشراف على ولاية ديار بكر الى جلال الدين طرير والملك رضا الدين بابا^(١٤٣) .

وفي سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م عين مجد الملك بن صفي الملك اليزدي مشرفاً على الموصل وديار بكر "وقد ارسله الصاحب شمس الدين الجويني - وزير اباقا خان - لاحصاء اموال كرجستان ققام بهذه المهمة في امد وجيز بحيث اعجب به الجميع ثم اوفدوه مرة اخرى الى الموصل وديار بكر ليحصل الاموال ويشرف على النظام في تلك الولايات ، فأدى ذلك العمل على احسن وجه وقفل راجعاً"^(١٤٤) .

وفي سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م عين ارغون الأمير متي الشجاع مشرفاً على الموصل فاغتاز المسلمون

٦- ناظر الأوقاف :-

النظر في الأوقاف هو الاشراف على الأموال المحبوسة للجوامع والربط والزوايا والمدارس وانفاقها في وجوهها الشرعية^(١٥٢). والوقف نوعان : الوقف الخيري او الديني يوقف لغرض النفع العام والآخر الوقف الذري الذي انتشر بصورة واسعة في العصر المغولي من اجل تأمين الحماية للملكية ضد التجزئة بحكم الوراثة اي ان الشخص يوقف ارضه او املاكه على عائلته كي تستفيد من وارضها دون بيعها والتصرف بها^(١٥٣).

بعد احتلال هولاء للعراق ولي نصير الدين الطوسي "جميع الأوقاف في سائر بلادِه وكان له - لنصير- في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرين ويحمل اليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد..."^(١٥٤) وكان الطوسي يتصفح اموال الوقوف والنظر فيها خاصة في بغداد^(١٥٥).

وفي عهد احمد تكودار اصبحت مسؤولية الأوقاف مناطه بكمال الدين عبد الرحمن بن مسعود البغدادى المعروف بالشيخ عبد الرحمن^(١٥٦). وكان هذا الشيخ مقرباً من السلطان احمد لاعتقاده بعلمه وفضله وكان يرأس به المصريين لاهرار الصلح^(١٥٧).

وفي سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م انتقلت مسؤولية الأوقاف الى اولاد نصير الدين الطوسي : فقد عين فخر الدين احمد بن نصير الدين الطوسي على امر الوقوف بالمالك جميعها "وحذفت الحصّة الديوانية من الوقوف ووفرت على اربابها"^(١٥٨). ثم اعقبه اخوه صدر الدين ثم تولّاها بعد ذلك اصيل الدين ابو محمد الذي صار ناظر اوقاف المملكة في زمن غازان^(١٥٩).

ومن تولى كتابة الأوقاف بالموصل عاد الدين ابو الفتح عبد الرحمن بن محمد بن بلد جي الموصلى المعدل، وهو من بيت العلم والفضل رآه ابن الفوطي سنة ٧٠٦ هـ في السلطانية بمعية اصيل

منه وثاروا عليه وقتلوه فتقدم اولاد المقتول بشكوى عند ارغون فأمر هذا بقتل القاتلين وتغريم المشاركين في التحريض عشرة (ربوات ذهب) اي مائة الف دينار^(١٤٥).

٥- القضاء :-

كانت وظيفة القاضي هي الفصل في الخصومات واستيفاء الحقوق ثم الوصايا على التامى والمجانين والقاصرين وادارة المؤسسات الدينية ، وأمور الزواج والطلاق والميراث والنظر في الأوقاف^(١٤٦).

عين هولاء كمال الدين عمر بن العديم الحلبي قاضياً للقضاة عندما سيطر على بلاد الشام سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ، واتخذ هذا القاضي من دمشق مركزاً لعمله^(١٤٧). ولكن هذا التعيين لم يدم وذلك تمكن المالك من تحرير بلاد الشام في السنة ذاتها ، وبذلك اصبحت قضاة الموصل والجزيرة تابعين (لقاضي قضاة المالك) فكان هذا يعين القضاة في جميع الولايات الايلخانية^(١٤٨). بإستثناء قاضي قضاة بغداد الذي كان يعين القضاة في العراق^(١٤٩).

وكان ممن تولى القضاء في الموصل موسى بن محمد بن موسى بن يونس الاربلي المعروف بكمال الدين بن الرضي الذي ارتفعت منزلته عند السلطان غازان فجعله عضواً في الوفد المرسل الى المالك سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م لعقد الصلح بين الطرفين ، وقد توفي هذا القاضي في سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م^(١٥٠).

وتولى القضاء كذلك يوسف بن محمد بن موسى بن يونس بن منعه ، وقد اشترك هذا القاضي في الوفد الذي ارسله غازان للتفاوض مع المالك سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م. وتوفي هذا القاضي في السلطانية عاصمة الايلخانيين سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م^(١٥١).

الدين محمد بن نصير الدين الطوسي^(١٦٠).

كما ورد اسم السيد ركن الدين الحسن بن محمد ابن شرف شاه الاسترابادي المتوفى سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م على انه كان متولي النظر في اوقاف الموصل^(١٦١).

٧- نقابة العلويين

ظهرت نقابة الأشراف منذ القرن الثالث للهجرة. والأشراف أطلاقاً هم المتمون الى أسرة الرسول (ص) وأنحصر اللقب بالعلويين والعباسيين^(١٦٢). وفي العصر العباسي الأخير كانت نقابة العباسيين والعلويين من الوظائف المهمة حيث كان الخليفة يعين النقيب وله ديوان خاص به ، إلا ان نقابة العباسيين فقدت أهميتها في العهد الأيلخاني ، في حين اكتسبت نقابة العلويين أهمية كبيرة وأهتمام وأحترام الحكام المغول وكان لبعض النقباء ، نفوذ واسع ومكانة محترمة^(١٦٣). وكانت وظيفة النقيب "التحدث عن ولد علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم المراد بالأشراف في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المتعدي منهم ونحو ذلك"^(١٦٤).

وأول من تولى نقابة العلويين في الموصل في العهد الأيلخاني هو مجد الدين أبو منصور محمد بن ضياء الدين زيد بن محمد العبيدلي الموصل المتوفى سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م^(١٦٥) وفي سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م مات في بغداد غرقاً ابن نقيب العلويين في الموصل محيي الدين محمد بن حيدر وأسم الفتى الغريق هو ركن الدين ، وكان شاباً حسن الخلقة عمره سبع عشرة سنة ودفن في مشهد علي- عليه السلام^(١٦٦) ومن الشريط الكتابي الموجود في أسفل محراب بنجه علي في الموصل يظهر ان نصير الدين محمد بن محمد بن المرتضى بن عبد المطلب ابن محمد... كان نقيباً للموصل سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م^(١٦٧).

وقد ذكر ابن النوطي عدداً من النقباء في هذه

الفترة إلا أنه لم يذكر تواريخ وفاتهم منهم : مجد الدين أبو المظفر علي بن محمد بن زيد العلوي الموصل ، ومجد الدين أبو جعفر أحمد بن زيد الحسيني الموصل ، والنقيب كمال الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن زيد العلوي الموصل^(١٦٨).

وينسب الى النقيب أحمد ابن العباس محيي الدين حيدر بن محمد الحسيني بأنه جدد سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م بناء المدرسة النظامية في الموصل^(١٦٩).

وقد قرر غازان أنشاء (دار السيادة) في كل مدينة كبيرة مثل بغداد والحلة وتبريز وأصفهان وشيراز والموصل. وجعل وقفه يصل الى الفقراء والمحتاجين من العلويين وتنفق في وظائفهم^(١٧٠). كان لابد أن يعهد بهذه المؤسسات الخيرية الى النقباء العلويين للأشراف عليها وعلى أوقافها لأنها أصلاً أسست لهم ولأتباعهم رعاية من غازان للعلويين وجباً بهم^(١٧١).

الهوامش

- (١) Relph Fox, Genghis Khan, London, 1962 PP. 21-22
- (٢) ادوار بروي. تاريخ الحضارات العام، القرون الوسطى، ترجمة يوسف اسعد داغر، فريد م. داغريروت ١٩٦٥ ج ٣ ص ٣٦١ وبابها.
- (٣) ابن الاثير- الكامل في التاريخ، دار صادر- بيروت ١٩٦٥-١٩٦٦، ج ١٢، ص ٣٦٠.
- (٤) عبد المتعم رشاد. العرب الذي احده الغزو المغولي ج ١٢، ادب الراقيين، ج ٢، ١٩٧١، ص ١٢ وبابها.
- (٥) ادوار بروي. مصدر سابق ج ٣ - ص ٣٦٦.
- (٦) Relph, Fox, op. cit., p. 47.
- ومعنى لقب جنكيزخان غامض فالصينيون يقولون ان الكلمة صينية من شنك سز-ابن السباء- او المقاتل الكامل، او يكون من اصل مغولي يعني الامبراطور العظيم او المتحكم على الجميع، وقد يكون اللقب ذو معنى ديني له علاقة بالديانة الشامانية ومزمها السحرة- انظر: An Outline History of China, Peking 1958, p. 152.
- (٧) عبد المتعم رشاد، المرجع السابق، ص ٦-٥.
- (٨) ابن الاثير- الكامل، ج ١٢ ص ٣٧، انظر القزاق- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف سنة ١٩٧٠، ص ٣.
- (٩) الكامل- ج ١٢ - ص ٣٦١.
- (١٠) ادوار بروي، مرجع سابق - ج ٣ - ص ٣٦٠ - ٣٦١.

- (١١) المقرئ - المراعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار (بغداد د. ت) ج ٢ - ص ٢٢٠.
- Sounders, J. History of the Mongol Conquest, London 1977, p. 69.
- (١٢) رشيد الدين - جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ترجمة فتّاد عبد المعطي الصياد، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٨.
- (١٣) ابن كثير - البداية والنهاية، مطبعة الاستقامة القاهرة، ١٩٣٢، ج ١٣ ص ١٣٢.
- (١٤) ابن الأثير - الكامل - ج ١٢ - ص ٣٧٨ - ٣٧٩.
- (١٥) المصدر نفسه ج ١٢ ص ٥٠١ انظر جعفر حسين خصصاك، العراق في عهد المغول الأيلخانيين بغداد ١٩٦٨ ص ٨-١١.
- (١٦) ابن الأثير - الكامل - ج ١٢ - ص ٥٠٣.
- (١٧) انظر رشيد الدين. المصدر السابق، ص ١٨٠ ومابعدها انظر ادور بروي، تاريخ الحضارات العام ج ٣ - ص ٣٦١ ومابعدها.
- (١٨) رشيد الدين - جامع التواريخ (الأيلخانيون - تاريخ هولاكو) ج ٢ قسم ١ ص ٢٨٦: ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، مصر ١٩٦٠م، الذهبي - تاريخ للاسلام، ج ٢٠ مخطوطة اباصوفيا (٣٠١٣) ورقة ١٥٥ ب.
- (١٩) الحوادث الجامعة - رشيد الدين، مصدر سابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٨٧.
- (٢٠) محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف ١٩٧٠ ص ١٠٠ هامش (٢).
- (٢١) عبد المنعم رشاد، واحتلال المغول لبغداد، مجلة اداب الراقدين العدد الاول ١٩٧١ ص ٢٠.
- (٢٢) رشيد الدين - المرجع السابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٩٠-٢٩١.
- (٢٣) المصدر نفسه السابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٩١، الحوادث الجامعة ص ٣٢٩، ابن كثير - البداية ج ١٣ ص ٢٠٢.
- (٢٤) الحوادث الجامعة ص ٣٣١، ابن كثير - البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٢، ابن تيري بردي - النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٠، المقرئ، السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٤١٠.
- (٢٥) E. Bretshneider, Medieval Research from Eastern Asi. Sources, London, 1910, vol. I. pp. 138 - 139.
- (٢٦) رشيد الدين - المصدر السابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٢٠.
- (٢٧) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٢٨) عبد المنعم رشاد واحتلال المغول لبغداد، ص ٢٤-٢٥.
- (٢٩) انظر: Encyclopaedia of Ethics and Religion, S. V. Shamanism.
- (٣٠) عبد المنعم رشاد والرعب الذي احده الغزو المغولي، اداب الراقدين ج ٢ ص ٥ ومابعدها.
- (٣١) الحوادث الجامعة ص ٣٣٠، رشيد الدين، المصدر السابق ج ٢ قسم ١ ص ٢٩٦-٢٩٥.
- (٣٢) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٢٩٦، الحوادث الجامعة ص ٣٣٠-٣٣١.
- (٣٣) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٢٩٨-٢٩٩.
- (٣٤) تاريخ الاسلام ج ٢٠ مخطوطة اباصوفيا (٣٠١٣) ورقة ١٧١.
- (٣٥) المصدر نفسه ورقة ١٧١ ب.
- (٣٦) الحوادث الجامعة ص ٣٣٧.
- (٣٧) المصدر نفسه ص ٩٩.
- (٣٨) محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، بغداد ١٩٦٦، ص ١٢١.
- (٣٩) الحوادث الجامعة ص ١٠٩-١١٢، ١٩٩-٢٠٠، ٢٤٤، ٢٦٠-٢٦١.
- (٤٠) المقرئ، السلوك، تحقيق مصطفى زيادة ١٩٣٤، ج ١ قسم ٢ ص ٣١٥، ٣٢٠.
- (٤١) رشيد الدين، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص ١٨١.
- (٤٢) المصدر نفسه ص ١٩٢.
- (٤٣) الحسيني، العملة الاسلامية، ص ٦.
- (٤٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، جدير آباد الدكن، ١٩٥١ ج ٨ ص ٧٣٣.
- (٤٥) رشيد الدين - جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص ١٨١.
- (٤٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان - ج ١ ص ٤٥، انظر: محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٩٢.
- (٤٧) السبكي - طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤.
- (٤٨) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول. تحقيق انتوان صالحاني، بيروت ١٨٩٠، ص ٤٧٦.
- (٤٩) الحوادث الجامعة - ص ٣٢٩.
- (٥٠) رشيد الدين. جامع التواريخ، ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٠-٣٠١، ابن العربي، ص ٤٧٦-٤٧٧.
- (٥١) رشيد الدين - ج ٢ قسم ١ ص ٣٠١.
- (٥٢) المصدر نفسه السابق - ص ٢٩٨-٢٩٩.
- (٥٣) المصدر نفسه السابق ص ٣٠٥.
- (٥٤) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٥.
- (٥٥) ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٤٥٢.
- (٥٦) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٤٨٦، ابن خلدون، المعبر، بولاق ج ٥ ص ٢٧٦، ٢٨٢.
- (٥٧) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٣٠٥-٣٠٦.
- (٥٨) ابوشامة، الذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهر الكوثري، القاهرة ١٩٤٧، ص ٢٠٣-٢٠٦.
- (٥٩) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٥، اليونيني - ذيل - ج ١ ص ٣٥٦.
- (٦٠) رشيد الدين - ج ٢ قسم ١ ص ٣١٠.
- (٦١) E.I./II, S.V. Ayn Djalut, by B.Lewis.
- (٦٢) عن نتائج معركة عين جالوت انظر: جمال الدين الشيبال: تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ العصر الايوبي والمملوكي، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٣-١٧٠، انظر كذلك القزاز - الحياة السياسية... ص ٣٧٦-٣٧٧.

- (٦٣) اليوناني، ذيل مرآة الزمان. ج ١ - ص ٤٥٢.
- (٦٤) ابن العربي - مختصر تاريخ الدول، ص ٤٩٢-٤٩٣.
- (٦٥) نفس المصدر السابق، ص ٤٩٤-٤٩٥، الحوادث الجامعة ص ٣٤٥.
- (٦٦) المقرئ - السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٤٦٠-٤٦٢.
- (٦٧) اليوناني - ذيل ج ١ ص ٤٤٢.
- (٦٨) نفس المصدر ج ١ ص ٤٤٣.
- (٦٩) ابن عبد الظاهر سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري، مخطوطة (فاتح ٤٣٦٧) ورقة ١٩ ب- ٢٠ أ.
- (٧٠) اليوناني - ج ١ - ص ٤٥٣.
- (٧١) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ورقة ١٧ ب. أما المقرئ فيذكر الرقم بأنه لثلاثة فارس فقط، السلوك ج ١ قسم ٣ - ص ٤٦٢.
- (٧٢) اليوناني - ذيل ج ١ - ص ٤٥٤.
- (٧٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر. القسطنطينية ١٢٨٦ و ح ٣ ص ٢٢٢.
- (٧٤) اليوناني - ذيل ج ١ ص ٤٥٦-٤٥٧.
- (٧٥) شافع بن علي - حسن المقاب السرية المنزعة من السيرة الظاهرية، مخطوطة (أبا صوفيا ٣١٥٠) ورقة ٢٢ أ و ب.
- (٧٦) ابن العربي تأريخ مختصر الدول، ص ٤٩٦.
- (٧٧) الحوادث الجامعة ص ٣٤٦-٣٤٧ ابن العربي ص ٤٩٦.
- (٧٨) رشيد الدين، جامع التواريخ ج ٢ قسم ١ - ص ٣٢٨.
- (٧٩) الحوادث الجامعة ص ٣٤٥، بينها يجعل اليوناني فترة الحصار أمدتها ثمانية أشهر - الذيل ج ١ ص ٤٩٢-٤٩٤.
- (٨٠) رشيد الدين جامع التواريخ ج ٢ قسم - ص ٣٢٧.
- (٨١) نفس المصدر السابق ص ٣٢٨-٩.
- (٨٢) اليوناني - ذيل ج ١ ص ٤٩٤.
- (٨٣) اليوناني ذيل ج ١ ص ٤٩٤.
- (٨٤) رشيد الدين، جامع التواريخ ج ٢ قسم ١ ص ٣٢٩-٣٣٠.
- الحوادث الجامعة ص ٣٤٧.
- (٨٥) اليوناني ج ١ ص ٤٩٤.
- (٨٦) نفس المصدر السابق ص ٤٩٤-٤٩٥.
- (٨٧) جامع التواريخ ج ٢ قسم ١ ص ٣٣٠.
- (٨٨) نفس المصدر السابق ص ٣٣٠.
- (٨٩) اليوناني ذيل ج ١ ص ٤٩٥.
- (٩٠) القلقشندي صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٣-٣١٤.
- (٩١) أبو الفداء تقديم البلدان. تحقيق رينود ودبسلان، باريس ١٨٤٠، ص ٣٩٨-٣٩٩.
- (٩٢) المقرئ، السلوك، ج ١ قسم ٢. ص ٥٤١ الحاشية.
- (٩٣) رشيد الدين ج ٢ قسم ١ ص ٣٤١، أنظر Howorth, History of the Mongol, london, 1888, vol. II, pp. 208 - 9
- (٩٤) أنظر علاء محمود خليل، المنفل في الموصل والجزيرة (١٩٦٦-٧٣٦ هـ) رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الموصل - مكتوبة على الآلة الكاتبة، ص ١٢١ وما بعدها.
- (٩٥) أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، ج ٤ ص ٣.
- (٩٦) الحوادث الجامعة ص ٤٤٨.
- (٩٧) رشيد الدين تأريخ خلفاء جنك خان، ص ٢١٥.
- (٩٨) رشيد الدين جامع التواريخ، ج ٢ قسم ١ ص ٣٣٨.
- (٩٩) نفس المصدر السابق ج ٢ قسم ٢، ص ١٢.
- (١٠٠) الحوادث الجامعة ص ٤٣٥-٦-٧.
- (١٠١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ٢ قسم ٢ ص ١٤١.
- (١٠٢) نفس المصدر السابق ص ١٤٧ وما بعدها.
- (١٠٣) نفس المصدر السابق ص ١٥٢.
- (١٠٤) نفس المصدر السابق ص ١٤٩-١٥٣.
- (١٠٥) الحوادث الجامعة ص ٤٦٤-٤٦٦.
- (١٠٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٤.
- (١٠٧) علاء محمود خليل، مرجع سابق، ص ١٢٣.
- (١٠٨) ابن كثير ج ١٤ ص ٢٩، علاء محمود، ص ١٢٣.
- (١٠٩) المقرئ، السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ١٥٥-٦.
- (١١٠) الصفي نكت المهيان في نكت العميان، ص ١٦١.
- (١١١) نوري عبد الحميد الغاني، العراق في العهد الجلائري، بغداد، ١٩٨٦ ص ١٩ وما بعدها أنظر علاء محمود ص ١٢٤.
- (١١٢) أنظر علاء محمود ص ١٢٦.
- (١١٣) ابن العربي ص ٤٩٦، الحوادث الجامعة ص ٣٤٧.
- (١١٤) محمد بن شاكر الكشي عيون التواريخ ج ٢٠ تحقيق د. فيصل السامر ونيلة عبد المنعم داؤد، بغداد ١٩٨٠، ص ٢٩٩.
- (١١٥) اليوناني ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٢٣٦.
- (١١٦) الحوادث الجامعة، ص ٣٥٤، ابن القوطي، تلخيص ج ٤ قسم ٢ ص ٦٨٣.
- (١١٧) الحوادث الجامعة ص ٣٦١.
- (١١٨) علاء محمود ص ١٢٧.
- (١١٩) الحوادث الجامعة، ص ٣٦٧، ويهتم ابن العربي رضى الدين بابا بأنه هباً شهيد زور لأبنايت اختلاسات مسعود كما رشا القضاة، تأريخ مختصر الدول ص ٥٣٩.
- (١٢٠) الحوادث الجامعة ص ٣٩٧-٨.
- (١٢١) ابن العربي ص ٥٤٣.
- (١٢٢) سليمان صائغ تأريخ الموصل ج ١ القاهرة ١٩٢٣، ص ٢٤١.
- (١٢٣) ابن العربي، ص ٥٦٥.
- (١٢٤) نفس المصدر السابق ص ٥٦٩، الحوادث الجامعة ص ٤٦٦.
- (١٢٥) ابن القوطي، تلخيص ج ٤ قسم ٣، ص ٢٧٧.
- (١٢٦) علاء محمود ص ١٣٠.
- (١٢٧) الصقلاني، أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق (القاهرة د. ت) ج ٢ ص ٢٧٥.
- (١٢٨) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصر ١٩٣٨، ج ١ ص ١٤٩.
- (١٢٩) علاء محمود ص ١٣١.
- (١٣٠) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤٥. علاء محمود ص ١٣١.
- (١٣١) حسين أمين، تأريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦٥، ص ٢٠١.

- (١٣٢) علاء محمود ص ١٤٢ .
 (١٣٣) ابن العربي ص ٤٩٤-٥٠ .
 (١٣٤) الحوادث الجامعة ص ٣٤٧ .
 (١٣٥) الحوادث الجامعة ص ٣٦١ ، ٣٦٧ .
 (١٣٦) علاء محمود ص ١٤٣ .
 (١٣٧) الحوادث الجامعة ص ٣٩٧ ، علاء محمود ص ١٤٣ .
 (١٣٨) حسين امين المرجع السابق ص ١٩٩ .
 (١٣٩) الحوادث الجامعة ص ٤١٢-٤١٣ .
 (١٤٠) رشيد الدين ، جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنكيزخان) ص ١٨٣ .
 (١٤١) نفس المصدر ص ٢١٥ .
 (١٤٢) الزينبي - ذيل ح ٢ ص ٢٣٤-٢٣٦ .
 (١٤٣) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم ٢ ص ١٣ .
 (١٤٤) نفس المصدر السابق ص ٧٦ .
 (١٤٥) علاء محمود ص ١٤٥ .
 (١٤٦) الماوردي - الأحكام السلطانية ، نشر المطبعة المحمودية ، القاهرة (د.ت) ص ٦٧ وما بعدها .
 (١٤٧) الزينبي ذيل ح ١ ص ٣٥٠ .
 (١٤٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ح ٤ ، ص ٤٢٤ .
 (١٤٩) الحوادث الجامعة ص ٣٧١-٣٧٢ ، ٤٩٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٩٠ .. الخ .
 (١٥٠) ابن تغريد بردي ، النجم الزاهرة ، ح ٨ ص ١٣٥ .
 (١٥١) المسفلاني ، الدرر الكامنة ، ح ٥ ص ٢٥١ .
 (١٥٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ح ٤ ص ٣٨ .
 (١٥٣) كلود كاهن - تأريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، بيروت ١٩٧٧ ح ١ ص ١٢٤ .
 (١٥٤) ابن شاكر الكشي ، فوات الوفيات ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤ ، ح ٣ ص ٢٥٠ .
 (١٥٥) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠ .
 (١٥٦) ابن القوطي تلخيص ح ٥ ص ٢٠٠ .
 (١٥٧) رشيد الدين جامع التواريخ ح ٢ قسم ٢ ص ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، أنظر الحوادث الجامعة ص ٤٣١-٤٣٢ .
 (١٥٨) الحوادث الجامعة ص ٤٤٣ .
 (١٥٩) ابن شاكر الكشي - فوات الوفيات ، ح ٣ ص ٢٥١ .
 (١٦٠) ابن القوطي تلخيص ح ٤ قسم ٢ ص ٧٥٨-٩ .
 (١٦١) السيوطي ، بنية الرعاة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٦٤ ، ص ٥٢١-٢ .
 (١٦٢) دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى ترجمة الشتناوي وآخرون ، مادة شريف م ١٣ ص ٢٧٢ .
 (١٦٣) جعفر نصيبك ، العراق في عهد المغول الإيلخانيين ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٧٣ .
 (١٦٤) القلقشندي صبح الأعشى ، ح ٤ ص ٣٨ .
 (١٦٥) ابن القوطي ، تلخيص ح ٥ ص ٢٣٤ .
 (١٦٦) الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ .
 (١٦٧) أحمد قاسم الجمعة ، الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والأيلخاني رسالة دكتورة مقفلة الى كلية الآثار ، جامعة القاهرة ح ٢ ص ٥٩٦ ، علاء محمود ص ١٥١ .
 (١٦٨) ابن القوطي ، تلخيص ، ح ٥ ص ٩٤ ، ١٩٢ ، ٢١٧ .
 (١٦٩) أنظر علاء محمود ص ١٥٢ .
 (١٧٠) التأريخ البغدادية ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٥٣ .
 (١٧١) أنظر مصطفى طه بدر ، مغول إيران بين المسيحية والإسلام (دار الفكر العربي ، بيروت) ص ٣١-٣٢ .

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطر المغولية الإيلخانية

١٢٦٠هـ - ١٢٦١هـ / ١٢٦١ - ١٢٦٠م

د. أحمد عبد الله الحسوي

ويقدر تعلق الأمر بالموصل - نقترت من الصورة التي رسمها ابن خلدون حين تحدث عن خراب العمران الذي حل بالعراق بسبب ذلك الغزو، والذي عده سبباً في انقطاع سند التعليم فيه حيث قال : «ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة ،

استعرضنا في البحث السابق أبعاد التخريب المغولي في العراق ، والموصل بخاصة ، سواء خلال الغزو او في أعقابه ، وعلى مدى ثمانية عقود تلت احتلال بغداد سنة ١٢٥٦هـ / ١٢٥٨م ، واحتلال الموصل سنة ١٢٦٠هـ / ١٢٦٢م ، فهل يجعلنا ذلك ،

١٢٦١م، فقد استمرت خلالها، الأنشطة المشار إليها^(٥).

تلکم هي الصورة التي كانت عليها الموصل قبل الاحتلال المغولي لها سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، فكيف آل اليه أمرها طوال العقود الثمانية التالية لذلك، والمتثلة بحقبة التسلط الايلخاني (المغولي)؟

تأثرت أنشطة الموصل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها في هذه الحقبة بعاملين متناقضين:

١- توافر ارضية اقتصادية وعلمية وثقافية رصينة، تم بناؤها في العهد الاتابكي، اي حتى تاريخ خضوع المدينة للاحتلال المغولي كما اشرنا آنفاً، فضلاً عما كانت تمتلكه المدينة من ارث حضاري، وتراكم خبرات ترجع في جذورها الى مراحل عريقة في التاريخ القديم والوسيط.

٢- خضوعها الى إدارة أجنبية حديثة عهد بالانتقال من حياة البداوة والتنقل الى حياة الاستقرار، تتحكم في سلوكها وتوجيه سياستها قيم وتقاليده بدوية مغولية، تتناقض في جوهرها مع القيم الحضارية التي كانت متأصلة في المجتمع الذي تسلطوا عليه، ومنه المجتمع الموصل^(٦).

في إطار هذين العاملين تكيفت أنشطة المدينة المختلفة، فهي بفعل العامل الأول استطاعت الاستمرار والاحتفاظ بقدر من الحيوية، وهي بفعل العامل الثاني تراجعت الى الخلف، وكان من أبرز مظاهر تراجعها:

١- تقلص حركة العمران التي كانت مزدهرة قبل احتلال المغول للموصل. إذ يلاحظ خلو المصادر الأولية بعد ذلك من اية اشارة الى قيام منشآت جديدة كالمدارس والمساجد والمنشآت الخدمية والاجتماعية.

٢- تقلص النشاط الزراعي في سواد الموصل (ريفها)، بسبب أعمال التخريب التي

فانتقل شأنها من الخط والكتابة، بل والعلم الى مصر والقاهرة» وأن «اللغة العربية فسدت على الاطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية [في المشرق] بالعراق وخراسان» بسبب ذلك،^(١) فهل يعني ذلك ان الموصل - في اطار الصورة العامة للعراق - افتقدت فاعليتها الحضارية؟

إن من الصحة بمكان قبل الأجابة عن هذا السؤال أن نسترجع في اذهاننا الصورة التي كانت عليها المدينة في الحقبة التي سبقت التسلط الايلخاني، ونعني بذلك العهد الاتابكي (٥٢١ - ٦٦٠هـ / ١١٢٧ - ١٢٦١م)^(٢).

تشير المصادر الى أن الموصل في هذا العهد شهدت تطوراً عمرانياً واسعاً، فقد جاء على لسان بلداني مجهول سجل انطباعاته عنها سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م، قوله:

«وأما في زماننا هذا - وهو سنة ستين وخمسةائة - فقد عمرت الموصل عمارة لم تكن قط منذ اسست، حتى أنَّ العمارة قد استولت عليها، ولم يبق بها موضع، فامتدت العمارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق»^(٣).

ووصف أبن جبير المدينة بعد التاريخ المشار اليه بعشرين سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) فقال: «مدينة ضخمة، حصينة، فخمة، قد طالت صاحبها للزمن»^(٤).

ويبدو أن هذا التوسع العمراني اتصل طوال العهد الاتابكي، الى جانب نشاطات متميزة للمدينة في حقول الثقافة والزراعة والتجارة وغيرها، فهذا هو ما يفهم من يوميات المؤرخ الموصل، ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م. ولا يخرج عن هذه الصورة الحقبة التي حكم فيها بدر الدين لؤلؤ والتي امتدت بين سنتي ٦٣١ - ٦٦٠هـ / ١٢٣٣ -

إن ما يصح من تراجع في أنشطة الموصل العمرانية والزراعية والثقافية ينسحب على مجمل أنشطتها الأخرى، بقدر يتناسب طردياً مع حجم التأثيرات السلبية المتوه عنها، والناجمة عن الغزو المغولي، قياساً على ما كان عليه وضعها قبل ذلك، بيد أن هناك من الدلائل ما يشير - على الرغم من هذه الصورة - إلى استمرار قدر من الحيوية في الأنشطة المشار إليها، بفعل مانوئها عنه من إرث حضاري وتراكم خبرات امتلاكها المدينة من جهة، وبفعل الموقع الجغرافي للمدينة الذي جعلها نقطة استقطاب وتسويق للمناطق المحيطة بها من جهة ثانية، فضلاً عن توافر المياه والأراضي الصالحة للزراعة.

النشاط الزراعي

يفهم مما أورده ابن بطوطة وقد زار الموصل أواخر الحقبة موضوعة البحث (١٧٢٨هـ) أن الموصل كانت إذ ذاك كثيرة الخصب، وأن القرى المحيطة بها كانت عامرة (١٢)، كما أشاد القزويني (ت ٦٨٢هـ)، وهو بلداني معاصر، بحسن انتفاع الموصل بمياه «دجلة، بشكل جيد، عن طريق شق القنوات، أو نصب النواير والطواحين على دجلة التي يديرها الماء بنفسه»، ووصفها بأنها «ذات ضياع، ومزارع ممتدة» (١٣)، ويبدو أن زراعة الحنطة فيها، وفي المناطق حولها كانت متسعة، بحيث كان بإمكانها تصدير الدقيق إلى مدن عراقية أخرى (١٤). كما أن إشارة المصادر البلدانية - آنفاً - إلى كثرة الضياع والزرع، وتوافر وسائل الأرواء والأمطار الغزيرة شتاء وربيعاً، يعطي انطباعاً باستمرار زراعة المحاصيل الأخرى التي اشتهرت بها الموصل، كالشعير والزيتون والكرام فضلاً عن قصب السكر، والسمسم، والقطن، والأشجار المثمرة الأخرى.

قامت بها القوات العسكرية المغولية، ابتداء بأول غزو للمدينة سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م، ثم احتلالهم لها سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، وحتى نهاية تسلطهم عليها سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م. لقد كان من الطبيعي في وضع كهذا تناقص القدرات البشرية للمدينة والمنطقة المحيطة بها، جراء الموت والهجرة أو التهجير أو فقدان الأمن (٧). ويلاحظ هذا التقلص على نحو واضح في النشاط الزراعي، من مقارنة مقدار الضرائب المترتبة على إقليم ديار بكر (والموصل جزء منه) (٨) في عهد بدر الدين لؤلؤ (٥٣١ - ٦٦٠هـ / ١١٣٦ - ١٢٦١م) من جهة، ثم مقداره في أواخر عهد التسلط الأيلخاني، فقد بلغت الضريبة في الحالة الأولى عشرة ملايين دينار، في حين انخفضت في الحالة الثانية إلى أقل من مليوني دينار (١,٩٢٥,٠٠٠) ديناراً (٩)، وبرغم أن السبب في هذا التباين الكبير بين الرقيين قد يكون متعدداً، فإن من الطبيعي أن يكون وراءه العوامل المشار إليها آنفاً، فضلاً عن عوامل أخرى (١٠).

٣- تراجع الأنشطة الثقافية إذ يلاحظ :

- أ: كثرة أعداد المهاجرين من المثقفين الموصليين في هذه الحقبة، حيث بلغت نسبتهم أكثر من ٥٢٪ من مجموع المثقفين (انظر الجدول رقم ٧ ص أدناه).
- ب: تقلص أعداد المدارس التي زاولت نشاطاً علمياً في هذه الحقبة قياساً إلى ما كانت عليه في العهد الاتابكي، حيث لم تشر المصادر إلا إلى نشاط قلة من المدارس فحسب (١١) منها المدرسة النورية ومدرسة الجامع النوري، والمدرسة الصارمية.

* آثر الباحث استخدام مصطلح (المثقفون) على الرغم من أنه مصطلح حديث، للدلالة على المشتغلين بالأدب والعلوم والفنون خلال الحقبة موضوعة البحث.

النشاط الحرفي والصناعي :

الحلية ، مما يتطلب هذا التوسع في العمران . ويتأكد استنتاجنا هذا مما ذكره مؤرخان بلديان معاصران ، فقد ذكر الأول، وهو ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) بأن « في الموصل صناعات جمة ، ولاسيما اواني النحاس المطعم ، [التي] يحمل منها للملوك» (٢٠) ، وذكر الثاني ، وهو القزويني (ت ٦٨٤هـ) أن اهلها عرفوا بالتدقيق في الصناعات (٢١) ، وقد وصلت الينا فعلاً نماذج من التحف المعدنية من هذه الحقبة ، محفوظة في متاحف العالم (٢٢) .

النشاط التجاري

ترتبط التجارة في تقدمها وتأخرها بمدى توافر الأمن والاستقرار ، وهو أمر لم يكن قائماً في الموصل خلال حقبة التسلط الايلخاني (المغولي) ، كما أن ذلك يرتبط من جهة أخرى بطبيعة علاقات الايلخانيين بالدول المجاورة وقد كانت في معظمها علاقات سلبية ، بيد أن وقوع الموصل على ملتقى الطرق التجارية ، والميزات الجغرافية التي امتاز بها موقعها ، جعلها نقطة استقطاب وتسويق للمناطق المحيطة بها ، وساعدها على الاستمرار في نشاطها التجاري . يؤيد هذا الاشارات التي اوردها ابن العبري (ت ٦٨٥هـ) واليونيبي (ت ٧٢٦هـ) وابن بطوطة (زار الموصل سنة ٧٢٨هـ) ، وابو الفداء (ت ٧٣٢هـ) وغيرهم ، والتي يستنتج منها :

أ : ان التجار كانوا يتنقلون بين بغداد والموصل ، وبين الاخيرة والعادية مما يفيد ان الموصل كانت نقطة تسويق لمنتجاتها من جهة ، ومنتجات المناطق المحيطة بها من جهة اخرى (٢٣) .

ب : احتواء الموصل على اسواق متعددة منها سوق البزازين ، والصناعة والعمود ، وغيرها فضلاً عن قيساريها وما احتوته من دكاكين محيطة بها (٢٤) .

ج : وجود فنادق عدة في الموصل مخصصة للتجار القادمين من خارجها ، مما يفيد بوجود حركة تجارية نشطة (٢٥) .

يمكن ان نستنتج مما ذكرته المصادر البلدانية أنفاً وجود نشاطات حرفية وصناعية ، فشقت القنوات ، ونصب النواعير ، والطواحين المتكاثرة في المنطقة ، بما تتطلبه من مواد مصنعة وتقنية تؤكد هذا الاستنتاج . وقد وردتنا نصوص تشير الى نشاط متميز في صناعة النسيج في الموصل ، حيث كانت تصنع ثياب الحرير المعروفة بالموزلين والتي اشاد بها ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) (١٥) والرحالة ماركوبولو (ت ٧٢٥هـ) (١٦) .

ويبدو أن هذه المهارات كان موضع اعجاب الناس في البلاد الاخرى مما دعا بعض المتميزين فيها الى الهجرة ومزاولة نشاطهم في تلك البلاد ، ومن هؤلاء : الحسن بن الحسين بن يوسف الموصل (٦٤٢ - ٧١٠هـ) الذي تميز بصناعة النقش ، وخياطة الزركش ، وقد هاجر الى تبريز ومارس حرفته فيها ، ويوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصل الذي تميز بتطريز نسيج الحرير بخيوط الذهب ، وقد هاجر هو الآخر للممارسة مهنته في بلاد اليمن (١٧) .

إن ما وصفت المدينة به من قبل ابن بطوطة بأنها (مدينة عتيقة) ، وان سورها (محكم البناء) وأن (قيساريها مليحة ... يدور بها دكاكين وبيوت ، بعضها فوق بعض ، متقنة البناء) ، ووصفه لمسجد النبي يونس بأنه (بناء عظيم) (١٨) ، يعطى انطباعاً باستمرار الصناعات المتعلقة بالبناء وفنونه ، كصناعة الجص والخزف والفخار والأجر المزجج ، والنقش على الجص ، والصناعات الخشبية (وبخاصة صناعة النواعير ، والطواحين والأثاث المنزلي) ، والصناعات المعدنية ، وليس من شك أن تعدد الابنية ، بين سور ، وبيوت ومساجد وحمامات وقصور وفنادق وأسواق وقيساريات ، وما يلتحق بها من شبايك وابواب الحديد ، وصف بعضها بأنه متقن الصنع ، ونافورات رخامية مصنوعة على نحو فني دقيق على حد تعبير ابن بطوطة (١٩) ، يشير الى استمرار ماعرف عن الموصل من تميز في صناعاتها

وعلى الرغم من قلة النصوص عن ابعاد وحجم التجارة الخارجية للموصل، فإن نمة مايفيد بأن التجار فيها وجدوا لهم متفناً في الاتجار مع بلاد الشام بعيداً عن الرقابة الايلخانية التي لم تكن تسمح بذلك، بحكم ماكان بينها وبين المالك من عدااء مستحكم. وقد ساعد على هذا النشاط التجاري المحدود حاجة اهل الموصل وحكام مصر وبلاد الشام، المالك، كل الى الآخر، فن المعروف ان الموصليين شأنهم في ذلك شأن كل العراقيين في هذه الحقبة كانوا يتطلعون الى المالك لأسنادهم وتقديم العون لهم للتخلص من التسلط الايلخاني (المغولي)، كما ان المالك كانوا هم كذلك يتطلعون الى ازاحة هذا التسلط، وكان احد ابرز وسائلهم لمعرفة الاوضاع، ونقل الرسائل الى العراقيين، هم التجار، فضلاً عن أن هذه التجارة كانت مريحة الى حد كبير اذا أخذنا بنظر الاعتبار ان المالك كانوا يسكنون بتجارة العالم آنذاك^(٢٦).

ويمكن ان نميز مرحلتين في تاريخ العلاقات التجارية بين العراق وبلاد الشام ومصر، انتعشت خلالها تجارة الموصل الخارجية:

١- الحقبة الأولى: وتمتد بين سنتي ٦٨٠- ٦٨٣هـ، والتي تم فيها عقد صلح بين الايلخانيين وبين المالك، وكان من ابرز شروطه اتفاق الطرفين على ازالة العراقيين التي كان موضوعه على التجار من قبل الجهتين المملوكية والايلخانية^(٢٧).

٢- الحقبة الثانية: وتمتد بين سنتي ٧٢٣- ٧٣٦هـ، والتي تم فيها عقد الصلح ثانية بين الايلخانيين وبين المالك، وكان ابرز مايتعلق بهذا الاتفاق:

أ: حرص الطرفين على توفير اسباب الأمن، كل تجاه الآخر، وتأمين حركة التجار بين البلدين.

ب: ان الدور الكبير في تحقيق هذا التحالف يرجع الى تاجر من منطقة الموصل هو إسماعيل بن محمد المعروف بالجد السلمي، نسبة الى

السلامية، من ضواحي الموصل^(٢٨).

ان هذا التركيز على التجارة في اية مفاوضات بين الايلخانيين، والمالك، ووجود دور كبير للتجار فيها يشير الى أن عقبات كبيرة كانت تقف في وجه التجارة، كما انه يوضح ان النشاط التجاري كان حيويًا وفعالاً بحيث كان موضوعه من المحاور الاساسية التي شغلت الدولتين في أية مفاوضات قامت بينها، كما انه يشير الى مكانة الموصل ومنطقة الجزيرة في هذا الميدان.

وفهم من خلال بعض النصوص ان التبادل التجاري بين منطقة الموصل وغيرها شمل تجارة العبد، والجواري، والأقشة وبخاصة الموزلين، والتحف المدنية، والدقيق والخنطة والحبوب الاخرى، فضلاً عن تجارة الخيول والمواشي^(٢٩). اما الأماكن التي كانت مراكز لهذا التبادل، فقد تركزت على دمشق والقاهرة، وتبريز وآسيا الصغرى^(٣٠)، وان كنا نقدر ان حركة التجارة لا بد أن تكون اوسع مدى من ذلك، بيد أن النصوص لاتسعنا في هذا الاتجاه. ويلاحظ ان بعض التجار الموصليين اتخذوا من بلاد الشام ومصر مستقراً لهم، وقد تمكن عدد منهم تحقيق مكانة تجارية عالية، وبين هؤلاء محمد بن داود بن متاب المعروف بالشمس الموصلي (٦٧٠- ٧٢٨هـ)^(٣١)، وعلي بن محمد المعروف بابن الدرهم (٧١٢- ٧٦٢هـ)^(٣٢) ويقف على رأس هؤلاء المجد السلمي المشار اليه آنفاً والذي اتخذ من تبريز والقاهرة مستقراً لأعماله التجارية. وقد اشار ماركوبولو الى ان التجار الموصليين كانوا يقدون الى تبريز للتجارة يبعاً وشراءً، مما حقق لهم ثروات ضخمة، على حدّ تعبيره^(٣٣).

الوضع الاجتماعي

إن الموصل- باعتبارها مدينة عريقة تمتد تاريخها الى ما قبل ظهور الاسلام، وباعتبارها كانت تمتلك من مقومات الموقع والمناخ، نهضت بدور كبير في تعميق التيار المدني في الأقليم المحيط بها.

وليس من شك ان مازحرت به من نشاط اقتصادي ، وثقافي ، وعمراني كان عامل جذب لسكان الاريايف من العرب والاكرد وكذلك البدو الذين كانوا يشكلون غالبية السكان في المناطق المحيطة بها ، بيد أن ماأصاب المدينة جراء الغزو المغولي مما اشير اليه في البحث السابق^(٣٤) أقفدها دورها القيادي هذا ، في عملية التحول الاجتماعي الذي بدأ يتجه نحو غلبة التيارات البدوية على عوامل التحضر ، فهل يعني هذا تغيراً في التركيب السكاني للمدينة ؟

لم يحصل خلال هذه الحقبة تغير جذري في التركيب السكاني لمجتمع الموصل وما حولها ، باستثناء وجود العنصر المغولي الحاكم الذي تمثل بعدد محدود من الحكام والاداريين المغول ، وبعدد اكبر من جندهم . ومهما كانت اعداد هؤلاء فانها لم تصل حداً يؤثر جذرياً في التركيب السكاني ، فقد احتفظت المدينة بطابعها العربي ، وذلك لأن العرب كانوا يشكلون الغالبية العظمى فيها وفي المناطق المحيطة بها ، الى جانب عناصر أخرى أبرزها الاكرد الذين كان وجودهم مرتبطاً بمناطق سكناهم في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية من الموصل .

عاش المجتمع الموصل في هذه الحقبة حالة انكماش اجتماعي ، فلم ترد اليها نصوص تتحدث عن مشاركة أهلها في الاحتفالات والأعياد والمناسبات الاجتماعية ، إلا في حدود ضيقة ، ويبدو أن الهموم العامة التي واجهها الموصليون - في إطار ما واجهه العراق - جراء الغزوات الاحتلال المغولي ، وما رافقه من قحط وغلاء وأمراض^(٣٥) ، لم تدع لهم مجالاً للاهتمام بذلك باستثناء الاحتفالات الدينية والرسمية . فذلك هو مايفهم مما ذكره ابن بطوطة من أن الموصلين كانوا يخرجون كل ليلة جمعة للتعبد في رباط النبي يونس (= جامع النبي يونس) ، ومن أن كبراء اهل الموصل ووجوهها اذا ماشاهدوا موكب الوالي (وهو- كما وصفه - موكب عظيم) تحف به بماليكه وأجناده ، خرجوا للسلام

عليه غداً وعشياً) ، وربما تكون اشارة ابن بطوطة وهو يصف (المساطر التي نشرت على دجلة والتي كانت في النهاية من الحسن والأفنان) دليلاً على أن ثمة اهتماماً ما بالتزينة ، وبقية مما عرف به اهل الموصل من عشق لطبيعة بلادهم وتغن بها^(٣٦) .

يقفهم مما أورده أبْن المنشئ الاربلي (ت ٦٩٢) ، صاحب التذكرة أن المجالس الادبية التي كانت تنخر بها الموصل قبل سنة ٦٦٠ هـ والتي ساهم فيها أدباء وشعراء من أمثال أبْن زريق (أُستشهد على يد المغول سنة ٦٦٠ هـ)^(٣٧) ، وشرف الدين احمد أبْن الحلوي (ت ٦٥٤ هـ)^(٣٨) ظلت قائمة إبان عهد التسلسل الأيلخاني المغولي^(٣٩) . ومن ذلك مارواه أبْن المنشئ المشار اليه حيث قال : «كنت بالموصل في ذي القعدة سنة اثنين وستين وستائة ونحن في مجلس أنس قد واصل حبيبه ، وغاب رقيه ... فجاء الى الباب [نجم الدين ينجي الشاعر الموصل مولداً] فأخبر بحالنا فكتب اليّ بهذه الايات ومشي :

أتيت هذا الحرم المرتضى

وهو مقر الحِلْم والعلم

فقبل مولاك على لذة

لازال منها وافر القَسَم

فليس يدري العَبْد هل يمدح الصهباء أوشرع في الذم

وما ظننت الشمس في كأسها

أن تحجب البدر عن النجم^(٤٠) .

الوضع الثقافي

يظهر المسح الأحصائي الذي أجريناه لمعظم المصادر التي ارخت لهذه الحقبة ، أن عدد المتقنين الموصلين المتخصصين والمهتمين في حقول المعرفة المعروفة آنذاك ، والذين عاشوا بين سنة ٦٦٠ هـ وسنة ٧٣٦ هـ ، بلغ مائة واربعة عشر رجلاً ولدى تحليلنا للجداول (رقم ١ - ٦) تظهر النتائج التالية :

١- بلغ عدد اولئك الذين كان الفقه يمثل تخصصهم الأول ستة وعشرين شخصاً (ينظر بجدول رقم ١)، وبغني هذا نسبة تزيد على ٢١,٥ ٪ من المجموع العام البالغ مائة وعشرين رجلاً.

جدول رقم (١)

يتضمن اعداد الموصليين الذين كان الفقه يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى.

المحسن بن يوسف بن الحسن ^{١٧}	الفقه الأدب	الموصل	ت ٧١٤	الموصلي البغدادي	مهاجر
المحسن بن المبارك ^{١٨} بن يوسف ^{١٩}	الفقه	حي	٧٤٢	الموصل	مهاجر
عبد العزيز بن محمود	الفقه	الموصل	حي ٦٨٠	البلدجي	مقيم
علي بن محمد بن يوسف	الفقه	ت	٧٣٤	الموصل	مهاجر
علي بن أحمد ^{٢٠} بن بلر	الفقه التصوف	حي ق ٧ هـ	أصله من جزيرة ابن عمر	قادم	
علي بن محمد بن رضا بن توبة	الفقه	ت ٧١٤			مقيم
عمر بن محمد ^{٢١} بن خلف	الفقه	حي	٦٧١	الموصل	مهاجر
عبد الرحمن بن محمد ^{٢٢} بن محمد بن يونس بن محمد بن منة	الفقه اللغة	٥٩٨ الموصل	٦٧١	الموصل	مهاجر
عبد الرزاق بن إبراهيم ^{٢٣} بن رقيقا	الفقه	ت ٦٧٩	الجزري الموصل	قادم	
عبد الله بن محمود بن رقيقا	الفقه	ت ٦٦٢ هـ	الجزري الموصل	قادم	
عبد الله بن علي ^{٢٤}	الفقه	حي ق ٧ هـ	السنجاري	قادم	
عبد الرحمن بن عمر ^{٢٥} بن أحمد	الفقه	حي	٦٦٦	المجلبي القزويني	قادم

الاسم	لتخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها أو تاريخه كان فيه حياً	النسبة	مهاجر /مقيم /قادم
إبراهيم بن أحمد ^{٢٦}	الفقه	ت ٧٠٠ هـ	الموصل		مقيم
أبو بكر بن عبدالله ^{٢٧}	الفقه	٦٤٤ هـ	الموصل ثم الدمشقي	الموصل ثم الدمشقي	مهاجر
أبو بكر بن عمر بن عثمان ^{٢٨}	الفقه الحديث	حوالي ٦٨٠	الكردي الموصل الدمشقي		مهاجر
إبراهيم بن عبد الرزاق ^{٢٩} بن دقاق بن الله بن أبي بكر	الفقه الادب	٦٤٢	ت ٩٦٥ دمشق	الرسيني (سمع من والده في الموصل)	مهاجر
أحمد بن مبارك ^{٣٠} بن نوفل	الفقه	ت ٦٦٤	أقام الحارثي	التنسيحي الحارثي	قادم
المحسن بن محمد بن ^{٣١} رضى الدين بن توبة	الفقه	حي سنة ٦٨٠	الموصل		مهاجر

جدول رقم (٢)
يتضمن اعداد الموصليين الذين كان الحديث يمثل
تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى.

الاسم	التخصص	ولادته وسكانها	نسبته وسكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر /مقيم قادم
ابو بكر عبد ^{٦٧} الرحمن بن جامع	الحديث التصوف	ت	الموصل	٦٩٣	مهاجر
ابراهيم بن ^{٦٨} محمد بن علي	الحديث الخط	حي	الموصل الاصل البغداد	ق ٧ هـ	مقيم
احمد بن ^{٦٩} علي	الحديث	ت	الموصل	٦٩١	قادم
جعفر بن احمد ^{٧٠} بن ابي القاسم	الحديث	ت	الموصل	٦٩٣	مهاجر
عبدالرزاق بن ^{٧١} رزق الله بن ابي بكر	الحديث التفسير الفقه	ت	الموصل	٦٦١	قادم
عبدالقادر بن ^{٧٢} محمد بن مقلد بن درع	الحديث الحديث الخط		معاصر لاين الفرطى الفرطى سنة ٧٢٣ هـ	الموصل	مهاجر
عبدالعزيز بن ^{٧٣} عمر بن مقلد	الحديث التاريخ		معاصر لاين الفرطى ت ٧٢٣ هـ	الموصل	مهاجر
علي بن ابي ^{٧٤} السعادات بن سكن	الحديث	حي	الموصل	٦٧٣	مقيم
علي بن مسعود ^{٧٥} بن القيس	الحديث	ت	الموصل ثم الحلي دمشق	٧٥٤	مهاجر
عمر بن محمد ^{٧٦} بن عمر	الحديث	ت	الموصل	٧١٧	مهاجر
عبدالله بن ^{٧٧} محمد بن مروان	الحديث الفقه	ت	الموصل	٦٨٣	مهاجر

عبدالرحمن بن عبد ^{٧٨} الرحيم بن محمود بن بلديجي	الفقه الادب	حي	الموصل	٦٧٩	البلديجي	مهاجر
عبدالرحمن بن ^{٧٩} عمر بن عثمان	الفقه الادب	ت	القدس	٦٦٩	الباقريني	مهاجر
عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن نصر ^{٨٠}	الفقه الموصل		الموصل	٦٥٣	الموصل	مهاجر
عبدالرحمن بن عبد الدائم بن بن محمود ^{٨١}	الفقه الادب	حي	الموصل	٧٠٦	الموصل	مقيم
عبدالكريم بن عبدالرحمن بن عمود ^{٨٢}	الفقه الادب	حي	الموصل	٦٧٦	الموصل	مهاجر
عبدالدائم بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن ^{٨٣}	الفقه الادب	ت	الموصل	٦٨٠ هـ	البلديجي	مقيم
جابر بن ^{٨٤} محمد بن بكر	الفقه الاصوف	ت	الوادياشي زار الموصل	٦٩٤	ت ٦٦١ هـ	قادم
موسى بن محمد بن موسى بن منعة ^{٨٥}	الفقه	ت	الاربطي	٧١٥	ثم الموصل	قادم

٢- بلغ عدد اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث
وفنونه تسعة عشر رجلاً (ينظر الجدول رقم
(٢) ، ويعني هذا نسبة ١٥,٩ ٪ تقريباً من
المجموع العام لأعداد المثقفين.

جدول رقم (٣)
يتضمن اولئك الذين كان التفسير وعلم القراءات
يمثلان تخصصهم الأول الى جانب التخصصات
الأخرى

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها وتاريخه كان فيه حيًا	النسبة	مهاجر /مقيم قادم
أبو بكر بن خطاب ^{٨٦} بن عبد الرحمن	القراءات		حي سنة ١٦٧٦هـ	الموصل	مقيم
أبو بكر بن محمد بن أبي بكر ^{٨٧}	القراءات الفقه	٦٣٠ الموصل	ت ٧١٦ دمشق	الموصل	مهاجر
أحمد بن يوسف ^{٨٨} بن الحسن رافع	التفسير القراءات اللفظ	٥٩١ كراشة	ت ٦٨٠ الموصل	الكركشي الشيباني الموصل	مقيم
أحمد بن موسى ^{٨٩}	القراءات		ت ٧١٠		مهاجر
جعفر بن مكّي بن ^{٩٠} جعفر	القراءات فقه	ولد بالموصل ونشأ بها	ت ٧١٣ شيراك	الموصل	مهاجر
الحسين بن حسن ^{٩١} بن عبدالله	القراءات الفقه الادب	حي	٦٧٦	الموصل	مقيم
محمد بن عمر بن المشجج ^{٩٢}	القراءات	ولد في جزيرة ابن عمر	الواسط ق ٨٧ بالموصل	الجزري	قادم مهاجر

محمد بن عبد ^{٩٣} القاهر	الحديث الأدب	٦٩٨ الموصل		الموصل	الشهرزوري مهاجر
محمد بن عبدالله ^{٩٤} بن علي المافئي	الحديث	ت ٧٣٠		الموصل	مهاجر
عبدالله بن محمود ^{٩٥} بن مؤيد	الحديث اللفظ الفقه	٥٩٩ ٦٨٣ الموصل	ت	البلدجي الموصل	مهاجر
محمود بن يحيى ^{٩٦} بن عمر	الحديث	٦٦٠ ٧٣٣	ت	القيسي الموصل	مهاجر
محمد بن عبدالله ^{٩٧} بن هبة الله	الحديث الفقه	٦١٧ ٦٨٠ الموصل	حي	الواسطي	قادم
محمد بن رضى ^{٩٨} بن توبة	الحديث		حي ٦٨٠	الموصل	مهاجر
محمد بن عبد ^{٩٩} الزقاق بن رزق الله	الحديث الفقه التعين	٦٢١ رأس التعين	ت ٦٨٩	الرغيني الموصل	قادم مهاجر
محمد بن المظفر ^{١٠٠} بن الحسن بن الحسين بن أبي سنان	الحديث		حي ٧٠٥	الحسيني الموصل	مقيم

٣- بلغ عدد أولئك الذين كان علم تفسير القرآن
الكريم ، وعلم القراءات اهتمامهم الأول سبعة
اشخاص ، ويعني هذا نسبة ٥,٩ ٪ من
المجموع العام (ينظر الجدول رقم ٣) .

٤- يتضح مما سبق أن أولئك الذين كانت
الدراسات الدينية ، تمثل اهتمامهم الأول ،
بلغ اثنين وخمسين رجلاً (من اصل مائة
وواحد وعشرين) ؛ ويعني هذا حوالي
٤٣,٤ ٪ من المجموع العام ، فإذا ما أضفنا
اليهم أولئك الذين لم تذكر المصادر
تخصصاتهم حصراً ، وهم اربعة عشر رجلاً ،

فان النسبة ترتفع الى ٥٥ ٪ من المجموع
العام .

٥- بلغ عدد أولئك الذين كانت علوم اللغة
العربية وآدابها ، تمثل اهتمامهم الاول ثلاثة
واربعين شخصاً ، ويمثل هذا قرابة ٣٥,٩ ٪
من المجموع العام . (ينظر الجدول رقم ٤) .

جدول رقم (٤)

يتضمن الموصليين الذين كانت علوم اللغة العربية وآدابها، تمثل اهتمامهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى.

مقيم	الموصل	ت ٧٥٥	٦٨١	اللغة الفقه	علي بن الحسين ^{١١٢} بن القاسم بن منصور
قادم	الديوك		٦٦٨ نشأ بالموصل	الادب	عبد الرحمن بن ^{١١٤} احمد بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى
مقيم	الموصل	ت ٦٦٠		الادب الفناء و الموسيقى	عبد الرحمن بن ^{١١٤} المعلم
مقيم	الموصل	معاصر لابن النقيش الديوك ٦٩٢ هـ		الادب	عبد الرحمن بن ^{١١٤} علي
مقيم	الحسيني الجزري الموصل	ت ٧٣٥		اللغة الفقه	عبد المطلب بن ^{١١٤} مرتضى
مهاجر	الموصل	حي ٦٧١		الادب	المظفر بن محمد ^{١١٢} بن عيش
مهاجر	الموصل	ت ٦٦٢	٥٧٩ الموصل	الادب	محمد بن علي ^{١١٢} بكر بن سيف
مقيم	الموصل	حي أواخر ق ٧ هـ		اللغة	محمد بن الحسين ^{١١٤}
مهاجر	الموصل	ت ٧١٤		الادب	محمد بن خيال ^{١١٥} الله
مقيم	الموصل	ت ٦٨٧		الادب الموسيقى الطب	محمد بن زين ^{١١٢} الدين بن الحسن بن علي نصر
مقيم	الاربي ثم الموصل		٦٨٦	اللغة الفقه	محمد بن علي ^{١١٢} بن احمد
مهاجر	الديوك المجل	ت ٧٣٩ دمشق	٦٦٦ الموصل	الادب اللغة الفقه	محمد بن عبد ^{١١٤} الرحمن بن عمر بن أحمد
مهاجر	الموصل	ت ٧٢٧ الموصل	حدود ٦٤٠ بالموصل	الادب اللغة القراءات الفقه	محمد بن علي بن ^{١١٤} عمر بن علي القاسم بن خروف
مهاجر	البيبي الموصل	حي ٧٤٨	٦٩٩	الادب	محمد بن محمد ^{١١٢} بن عبد الكريم بن رضوان

الاسم	التخصص	الولادة وبكانها	الوفاة وبكانها أو تاريخ كان فيه حياة	النسبة	مقيم
احمد بن علي بكر ^{١١٢} بن عبد الكريم	الادب		حي ٦٦٨	القزويني	قادم
احمد بن علي ^{١١٢} بن علي الكاظم	الادب	٥٩٧	ت ٦٨٠ الموصل	الانصاري الموصل	مهاجر
احمد بن علي ^{١١٢} بن تطلب	الادب	بغداد	حي ق ٧ هـ	الموصل البغداد	مهاجر
احمد بن الحسين ^{١١٢} بن علي	الادب		حي ٦٩٨		مقيم
الحسن بن الحسين ^{١١٢} بن يوسف	الادب التصوف	٦٤٢	ت ٧١٠ الموصل		مهاجر
الحسن بن محمد ^{١١٢} بن شرفشاه	لغة فقه منطق		ت ٧١٠ الاسترابادي	الحسيني الاسترابادي	مهاجر
الحسن ^{١١٢}	الادب		حي ٦٦٠	الموصل	مهاجر
الحسين بن علي ^{١١٢} بن علي بكر	الادب	٦٩٠	ت ٧٥٩ الموصل		مهاجر
عبد العزيز بن ^{١١٢} جمعة بن زيد	اللغة الفقه	٧٢٨	ت ٦٩٦ الموصل		مهاجر
علي بن يعقوب ^{١١٢} بن شجاع	اللغة الادب الفقه القراءات	٦٢١ الموصل	ت ٦٨٢ دمشق	الموصل	مهاجر
علي بن محمد ^{١١٢} بن غالب	الادب		ت ٧٥٣ الموصل	العمري الموصل	مقيم
علي بن عدلان ^{١١٢}	الادب اللغة	٥٨٣	٦٦٦ الموصل	الريسي الموصل	مهاجر
علي بن محمد ^{١١٢} بن عبد العزيز ابن النديم	الادب الفقه الحساب	٧١٢	٧٦٢ الموصل		مهاجر
علي بن عيسى ^{١١٢} بن النقيش	الادب		ت ٦٩٢ هـ	الاربي	قادم

شخصاً (من أصل مائة وواحد وعشرين) ،
 ويعني هذا نسبة ١٠٪ من المجموع العام .
 (ينظر الجدول رقم ٥) .

جدول رقم (٥)

يتضمن الموصليين الذين تركز تخصصهم الأول على
 غير العلوم الدينية وعلوم وآداب اللغة العربية

الرفقة				الاسم	التخصص	الولادة وسكانها أو تاريخ كان فيها حياً	النسبة	مقيم مهاجر قادم
مهاجر	مهاجر	ت ٦٨٧	الوصلي	الحسين بن ١٣٦ الحسن بن منصور	الموسيقى الادب	ت ٦٨٧	٦٨٧	مهاجر
مهاجر	مهاجر	حس ٨٢٦	الوصلي	داؤد بن ناصر ١٣٧ (طبيب الدولتين)	الطب	حس ٨٢٦	٨٢٦	مهاجر
مقيم	مقيم	حس ٩٧٠	الوصلي	علي بن عثمان ١٣٨	تاريخ	حس ٩٧٠	٩٧٠	مقيم
مهاجر	مهاجر	ت ٧٣٠	الوصلي	عبد الرحمن بن ١٣٩ عبد الرحمن بن نصر	الطب الفقه	ت ٧٣٠	٧٣٠	مهاجر
مهاجر	عائد	ت ٧١٩	البلدي الوصلي	عبد العزيز بن ١٤٠ عدي بن عبد العزيز والقائلة الفقه	الطب الغبر والقائلة الفقه	ت ٧١٩	٧١٩	مهاجر
مقيم	مقيم	حس ٦٨٤	الوصلي	عبد الدين ١٤١ ابن البرهان	الفلك التنجيم	حس ٦٨٤	٦٨٤	مقيم
قادم	قادم	ت ٦٨٥	المطبي	غريغوريوس ١٤٢ (ابن العبري)	تاريخ	ت ٦٨٥	٦٨٥	قادم
مهاجر	مهاجر	ت ٩٩٦	الوصلي	محمد بن الحسن ١٤٣	الطب	ت ٩٩٦	٩٩٦	مهاجر
قادم	قادم	ت ٨٧٠٩	الحسني	محمد بن علي بن ١٤٤ طباطبائي	التاريخ	ت ٨٧٠٩	٨٧٠٩	قادم
قادم	قادم	ت ٦٦٣	الابري	القفل بن عمر ١٤٥	المطبخ والفلسفة الفقه	ت ٦٦٣	٦٦٣	قادم
قادم	قادم	ت ٦٦٣	الصبي	الرفق ١٤٦	الطب	ت ٦٦٣	٦٦٣	قادم
مهاجر	مهاجر	حس ٦٦٠	الرافعي	القفر ١٤٧	الفلك	حس ٦٦٠	٦٦٠	مهاجر

مهاجر	مهاجر	٦٧٥ هـ	الموصل	التلفري الشياني	٥٩٢	الادب	محمد بن يوسف ١٤٨ بن مسعود بن بركة
مقيم	مقيم	حس ٦٧٢	الوصلي	محمد بن منصور ١٤٩	٥٩٢	الادب	محمد بن منصور ١٤٩
مهاجر	مهاجر	٧٠٠	الوصلي	موسى بن الحسن ١٥٠	٥٩٢	الادب	موسى بن الحسن ١٥٠
مقيم	مقيم	ت ٦٨٠ هـ	الوصلي	محمد بن ميكال ١٥١ بن احمد بن راشد	٥٩٢	الادب	محمد بن ميكال ١٥١ بن احمد بن راشد
مهاجر	مهاجر	حس ٦٦٠	الوصلي	محمد بن محمد ١٥٢ بن الهادي الكرم	٥٩٢	الادب	محمد بن محمد ١٥٢ بن الهادي الكرم
مهاجر	مهاجر	ت ٧١٠	الوصلي	محمد بن دانيال ١٥٣ بن يوسف	٥٩٢	الادب	محمد بن دانيال ١٥٣ بن يوسف
مقيم	مقيم	ت ٦٧٣	الوصلي	محمد بن يحيى ١٥٤ بن الفضل بن يحيى	٥٩٢	الادب	محمد بن يحيى ١٥٤ بن الفضل بن يحيى
مهاجر	مهاجر	ح ٦٩٠ هـ	الوصلي الخليلي	محمد بن الحسن ١٥٥	٥٩٢	الادب	محمد بن الحسن ١٥٥
مقيم	مقيم	ت ٦٨٧	الوصلي	محمد بن زين ١٥٦ الدين بن الحسن الموسيقى الطب	٥٩٢	الادب	محمد بن زين ١٥٦ الدين بن الحسن الموسيقى الطب
قادم	قادم	ت ٧٥٥	الاريلي ثم الموصل	محمد بن علي ١٥٧ بن احمد	٥٩٢	الادب	محمد بن علي ١٥٧ بن احمد
مهاجر	مهاجر	ت ٦٨٦	الوصلي الاسل الدشتي	مظفر بن محاسن ١٥٨ بن علي	٥٩٢	الادب	مظفر بن محاسن ١٥٨ بن علي
مهاجر	مهاجر	ت ٦٦٠	الوصلي	يوسف بن عبد ١٥٩ الطليط بن يوسف	٥٩٢	الادب	يوسف بن عبد ١٥٩ الطليط بن يوسف
مهاجر	مهاجر	ت ٧١٦	الوصلي	يوسف بن موسى ١٦٠ بن يونس بن منعة	٥٩٢	الادب	يوسف بن موسى ١٦٠ بن يونس بن منعة
مهاجر	مهاجر	حس ٦٦٢	الوصلي	يحيى بن محمد الدين ١٦١ بن يوسف	٥٩٢	الادب	يحيى بن محمد الدين ١٦١ بن يوسف
قادم	قادم	ت ٦٨٨	الاريلي بالموصل	يوسف بن ١٦٢	٥٩٢	الادب	يوسف بن ١٦٢

٦- بلغ عدد اولئك الذين كانت فروع المعرفة
 الأخرى ، بما فيها العلوم العقلية ، والعلوم
 الصرفة ، تمثل اهتمامهم الأول اثنا عشر

اما إذا اخذنا بنظر الاعتبار تعدد التخصصات التي تمثل مجموع اهتمامات المثقفين الموصليين (اي التخصص الأول والتخصصات المرافقة) ، فان نتائج التحليل للجداول المذكورة آنفاً ، تكون كما يلي :

١ - بلغت التخصصات الأولى والمرافقة التي اهتم بها المثقفون الموصليون خلال حقبة التسلسل الايلخاني مائة واثنين وثمانين حالة (ينظر الجدول رقم ٧) .

جدول رقم (٧)
بالتخصصات التي اهتم بها المثقفون في الموصل خلال حقبة التسلسل الايلخاني

التخصص	الموضوع	العدد كما يظهر في حالة احساب جميع التخصصات لكل شخص كائناً	العدد كما يظهر في حالة احساب جميع التخصصات لكل شخص كائناً
العلوم الدينية	الفقه	٢٦	٤٨
	الحديث	١٩	٢١
	القرآن الكريم التفسير التصريف	٠٧	٢١
اهتمامات عامة	في إطار العلوم الدينية	١٤	١٤
علوم العربية وآداب اللغة العربية	اللغة العربية	١٠	١٦
	الأدب	٣٣	٤٤
علوم أخرى	الطب	٠٥	٠٨
	الفلك	٠٢	٠٣
	الرياضيات	—	٢
	المنطق والفلسفة	١	٢
	الموسيقى والفن	١	٤
	التاريخ	٣	٣
	النحو	—	٢
المجموع		١٢١	١٨٢

جدول رقم (٦)
يتضمن الموصليين اولئك الذين لم تحدد اختصاصاتهم الأولى ، وكان لهم اهتمام بالعلوم الدينية

ابراهيم بن الهيثم ^{١١٨} القاسم بن حسان		حي سنة ٦٧٦ هـ	الموصل	مقيم
ابو بكر بن عمر ^{١١٩} بن عثمان	٦٨٠ هـ	ت ٧٥٧ هـ	الموصل	مهاجر
احمد بن محمد ^{١٢٠}		حي سنة ٦٦٨ هـ	الموصل	مقيم
الحسين بن ^{١٢١} محمد بن عبدالله		اقام بالقدس سنة ٧٩٧ هـ	الشيبي الموصل	مهاجر
عبد العزيز بن ^{١٢٢} عثمان بن الحسن بن ثابت		الموصل معاصر لابن الفوطي ت ٧٢٣ هـ	الانصاري	مهاجر
عبد الحلي بن ^{١٢٣} علي بن الهادي حامد		حي سنة ٧٠٦ هـ	الانصاري الموصل	مهاجر
علي بن محمد ^{١٢٤} بن يوسف		ت ٧٣٤ هـ	الموصل	مهاجر
عبد الرحمن بن ^{١٢٥} الي القاسم بن يحيى		حي سنة ٦٧٦ هـ	الموصل	مقيم
عبد الوهاب بن ^{١٢٦} ابراهيم		ت ٦٦٠ هـ	الجزائري الزنجاني الخزرجي	قادم
محمد بن احمد ^{١٢٧} بن حسين		حي سنة ٦٧٦ هـ	الموصل الطراحي	مقيم
محمد بن المظفر ^{١٢٨} بن الحسن		حي سنة ٧٠٥ هـ	الموصل	مهاجر
محمد بن زيد ^{١٢٩} بن محمد		ت ٦٦١ هـ	المطري الموصل	مقيم
محمد بن مسعود ^{١٣٠} بن عمر		حي في حدود سنة ٦٦٠ هـ	الموصل	مقيم
محمد بن ^{١٣١} الحديثي		ت ٧١٠ هـ	الموصل	مهاجر

٢- بلغت التخصصات الأولى والمراقبة في العلوم الدينية (فقه، حديث، قراءات، تفسير، تصوف) اربعاً وثمانين حالة، ويشكل هذا نسبة أكثر من ٤٦٪ من مجموع حالات التخصص، فإذا ما أضفنا اهتمامات أولئك الذين عنوا بالعلوم الدينية دون ان تحدد المصادر تخصصاتهم وعددهم اربعة عشر، فان النسبة ترتفع الى ٥٤٪ تقريباً.

٣- بلغت التخصصات في علوم اللغة العربية (لغة، ادب) ستين حالة، ويشكل هذا نسبة ٣٣٪ تقريباً.

٤- بلغت التخصصات في العلوم الأخرى، بما فيها التاريخ والفلك والطب والرياضيات والمنطق، اربعاً وعشرين حالة، ويشكل هذا نسبة ١٣٪ تقريباً.

أما اذا أخذنا بنظر الاعتبار أعداد المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين، فان النتائج تكون كما يلي، وكما يظهرها الجدول رقم (٧).

١- بلغت نسبة المقيمين من المثقفين الموصليين في مدينتهم في حدود ٢٧,٣٪ من المجموع العام لاعدادهم والبالغ مائة وواحداً وعشرين.

جدول رقم (٧)

يوضح اعداد المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين خلال حقبة التسلط المغولي (الايلاخي).

المقيسون	المهاجرون	القادمون	المجموع
٣٢	٦٤	٢٥	١٢١

٢- بلغت نسبة القادمين الى الموصل من المثقفين في حدود ٢٠,٧٪ من المجموع العام.

٣- بلغت نسبة المهاجرين من المثقفين الموصليين أكثر من ٥٢٪ من المجموع العام، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه النسبة تشمل من هاجر بنفسه، أو كان من أسرة سبق لها ان هاجرت قبل الغزو المغولي، او خلاله او في اعقابه.

نخلص مما سبق، أن الحياة الثقافية في الموصل خلال حقبة التسلط المغولي (الايلاخي)، تميزت بما يلي:

١- تبدو معاناة المثقفين الموصليين واضحة في ظل التسلط الايلاخي، من ارتفاع نسبة المهاجرين منهم، ممن آثروا أن يزاووا نشاطهم الثقافي في اقطار أخرى.

٢- على الرغم من ارتفاع اعداد المهاجرين فإن حوالي ٢٨٪ من المثقفين، اتخذوا المدينة مستقراً لنشاطاتهم، فإذا، أضفنا اعداد أولئك الذين قدموا الى الموصل لأغراض ثقافية، فإن النسبة ترتفع الى قرابه ٤٨٪، مما يشير الى قدر من الحيوية في النشاط الثقافي والعلمي في الموصل لم يقتصر على المدينة وحدها، بل وجد له مجالاً من خلال هجرة عدد من المثقفين الى المدن المجاورة في العراق وفي غيره، مما ترك بصماته في الحياة الثقافية العربية بشكل عام.

٣- إن هذا الاهتمام، والتركيز على العلوم الاسلامية، ثم آداب اللغة العربية، يمثل في نظرنا رد المدن العراقية - ومنها الموصل - على التحديات التي واجهتها، فقد مثل الغاء الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ، وهي آنذاك رمز وحدة العرب والمسلمين، ووقوع العراق تحت وطأة حكم المغول، وتحوله الى جزء في كيان سياسي غريب عنه لغة وثقافة وديناً، وفشل المحاولات العسكرية لتحرير العراق والموصل سنة ٦٥٩ هـ، تحدياً

خطط المدينة

سبقت الأثر إلى أن عمران الموصل أوسع على نحو لافت للانتباه، في الحقبة التي سبقت التسلط المغولي الأيلخاني عليها سنة ٦٦٠ هـ. أما في هذه الحقبة فيلاحظ خلوص المصادر من أية معلومات عن جهد للمغول الأيلخانيين في عمران المدينة، ويعني هذا في حدوده الدنيا، توقفاً في تطورها العمراني من جهة، وبقاء لخططها السابقة على عهدها من جهة أخرى، إلا ما أصابه تخريب المغول. لاشير المصادر إلى ما أصاب عمران المدينة من تخريب جراء الغزو والحصار المغولي، باستثناء أمرهم بتهديم القلعة، والسور، بيد أن بإمكاننا أن نفترض أن الأماكن التي كانت آهلة بالسكان خارج سور المدينة - كما اشير إلى ذلك في المبحث الخاص بالآتابكة^(١٦٥)، لم تعد مع الوضع الجديد آمنة، وربما يكون أهلها قد هجرها، كما أن درجة نمو عمران المدينة ومحوها لابد أن تكون قد تقلصت بسبب الاضطرابات وفقدان الأمن.

في إطار هذه الصورة يمكن أن نحدد معالم مدينة الموصل في هذه الحقبة، مستفيدين من مشاهدات ابن بطوطة لها سنة ٧٢٨ هـ، وهي:

١- سور (محكم البناء) يليه فسحة يعقها سور آخر، ولكليهما (أبراج كثيرة متعاقبة).

٢- دور السلطان (الوالي)، وهي تتصل بالسور، يفصل بينها (وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله).

٣- دور السكن: ويبدو أن وسط المدينة لم يتسع لها، فاضطر أهلها إلى التوسع. قال ابن بطوطة (وفي باطن السور بيوت وبعضها على بعض، مستديرة بحداده، قد تمكن فتحها فيه لسعته). كما أشار إلى أن داخل المدينة كان يضم ما يأتي: جامعاً قديماً، وآخر حديثاً، ومشهد النبي جرجيس وقيسارية الموصل.

كبيراً دفع بالمتقنين إلى الاهتمام بما يؤكد هويتهم الثقافية والدينية واتجاههم العربي الإسلامي^(١٦٦)، وقد ساعدتهم على ذلك وجود عدد من المدارس التي احتفظت بنشاطاتها العلمية في هذه الحقبة، ومنها المدرسة النورية، ومدرسة الجامع النوري، والمدرسة الصارمية وغيرها، إضافة إلى المساجد والجماعات التي سنأتي على ذكرها عند حديثنا عن خطط المدينة. وقد ساعد على استمرار هذه المؤسسات الدينية والعلمية، ما كان مخصصاً لها من أملاك وأراض موقوفة عليها لتأمين احتياجاتها المالية^(١٦٧).

٤- إن ضالة النسبة التي شكلتها العلوم العقلية والعلوم الصرفة، بين اهتمامات المتقنين الموصليين، وتباينها الكبير مع الاهتمامات بالعلوم الدينية، وعلوم وآداب اللغة العربية يأتي متسقاً مع حالة التأزم التي كان يعانيها الفكر العربي في هذه الحقبة بشكل عام، من سيادة الروح التقليدية المحافظة، مما يعود في جذوره إلى (غلبة الأقوام ذات الجذور الرعوية من بويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ)، وسلاجقة (٤٤٧ - ٥٩٢ هـ) وإيلخانيين على مقاليد السلطة السياسية، اعتباراً من أواسط القرن الرابع الهجري، واستمراراً حتى القرون التالية، والذي بلغ مداه خلال القرن السابع الهجري^(١٦٨).

٥- مع أن نسبة الاهتمام بالعلوم العقلية والعلوم الصرفة ظهرت متدنية في الحقبة موضوعة البحث إلا أن من الضروري أن نشير إلى أن جانباً من هذه العلوم، وبخاصة المنطق والرياضيات، ظل جزءاً لا يتجزأ من مناهج التعليم المعمول بها آنذاك، فقد كانت تعتبر من ضرورات الثقافة العامة لأي دارس أو طالب علم.

٤- رَبَّصُ المدينة : وصفه ابن بطوطة بأنه
(رض كبير) يحتوي على :

أ : مساجد ب : حمامات ج : فنادق د : اسواق
هـ : مسجد جامع على شط دجلة و : مارستان .
٥- ضواحي المدينة :

ذكر ابن بطوطة مجموعة من المنشآت في تل
النبي يونس حددها بما يأتي :

أ : رباط ، ويعني به جامع النبي يونس
ب : بيوت كثيرة .

ج : مقاصر ومظاهر وسقايات (١٦٦)

تلك صورة عن خطط الموصل إبان عهد
التسلط الایلخاني عليها ، وربما تفصح
البحوث مستقبلاً عن اضافة او تعديل مما
يجعل الصورة اكثر اكتمالاً ووضوحاً .

الهوامش

(١) ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، المقدمة ، طبع دار البيان ، المجلد
الأول ص ٤٢٠ ، ٤٢٢ انظر كذلك الصفحات ٣٣٨ ،
٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) عن تاريخ الموصل في العهد الاتابكي انظر المبحث السابق عن
هذه الحقبة .

(٣) ابن حوقل (ت ٣٩٥) ، صورة الارض ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت ص ١٩٥ .

ابن جبیر ، رحلة ابن جبیر ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت
١٣٤٨ هـ ، ص ٢١٠ - ٢١٢ .

(٥) ابن الأثير (ت ٦٣٠) الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت
١٩٧٨ ، ج ١٠ ص ٦٥٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ج ١١ ص ١١ ،
٢٧ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٩٥ ، وانظر عن عهد بلر الدين لؤلؤ ،
عمود حمو ياسين ، الحياة الفكرية في القرن السابع الهجري ،
رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الى قسم
التاريخ / كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، باشراف
الدكتور احمد عبدالله الحسو ، ص ٤١ .

(٦) عمود حمو ياسين ، المرجع السابق ص ٥٢/٥٣

(٧) انظر عن ذلك المبحث السابق

(٨) قاعدة هذا الاقليم ، هي مدينة آمد ، ويعتبر الاقليم جزءاً من
اقليم الجزيرة الفراتية ، وقد جاءت التسمية بهذه الصيغة ، نسبة
الى قبيلة بكر العربية التي كانت تسكن هذه المنطقة وماحولها ،
شرقي الاناضول .

(٩) علاء محمد خليل ، الفول في الموصل والجزيرة ، رسالة
ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الى قسم التاريخ /
كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٥ ، باشراف الدكتور عمود
ياسين احمد ، ص ١٥٤ نقلاً عن

AL-Mustwfi Nuzhat AL-Qulub. (Trans. by-G-
Le-Strange). Leydo Brill, London 1919 p. 102

(١٠) أجاب أحد المزارعين العراقيين على استفسار للتزويج المتزويج
سنة ٧٣٣ هـ عن سبب التدهور في الانتاج الزراعي في العراق
في عصره فقال : ((قلة الزرع) مع ما استهلكه القتل زمن
هولاكو، وحيزه العراق، والبلاد المجاورة)). الفلكنسدي
(٨٢١ هـ) صبح الأعشى... ، النسخة المصورة عن طبعة
بولاق ، ج ٤ ص ٣٣٧ .

(١١) انظر عمود حمو ياسين ، المرجع السابق ، ص ٥٣

(١٢) ابن بطوطة (ت ٧٢٨) ، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ،
بيروت ٩٦٨ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

(١٣) القزويني (ت ٦٨٤ هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، منشورات
دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

(١٤) مجهول ، الحوادث الجامعة ، مطبعة الفرات بغداد ١٥٣١ هـ
(تحقيق المرحوم الدكتور مصطفى جواد ص ٤٤٦ .

(١٥) ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) . كتاب الجغرافيا ، ط ١ ،
المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧ (تحقيق
اسماعيل العربي) ، ١٥٧ .

(١٦) ماركوبولو (ت ٧٢٥) ، رحلات ماركوبولو ، ترجمة عبدالعزيز
توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص

٣٧ ، وينظر علاء محمد ، المرجع السابق ص ٣٧

(١٧) ابن القزويني (ت ٧٢٢ هـ) ، تلخيص مجمع الآداب في معجم
الالفاظ ، مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٢ ،

(تحقيق المرحوم الدكتور مصطفى جواد) ، ج ٤ القسم الأول ص
٦٦ ، ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) الذيل على طبقات الحنابلة

ح ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥ ، (تحقيق محمد
حامد الفقي) ج ٢ ص ٤٧٢ ، الديوهجي ، اعلام الصانع

المواصلة ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٠ ص ٦٧ .

(١٨) ابن بطوطة ، المصدر السابق ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ص ١٥٧ .

(٢١) القزويني ، المصدر السابق ص ٤٦٢ .

(٢٢) السيلي ، التحف المعدنية الموصلية .

(٢٣) ابن العربي (ت ٦٨٥) تاريخ مختصر الدول ، نشره الاب
انطون اليسوعي ، الطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،

بيروت ١٨٩٠ ص ١ ، ابن بطوطة ، ص ٢٢٧ ، ٢٣٤

(٢٤) ابن بطوطة ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) يونس ، سالم العراق في السياسة الملكية ، رسالة ماجستير
مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة الى قسم التاريخ / كلية

الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، باشراف الدكتور احمد
عبدالله الحسو ص ٤٧ .

(٢٧) المرجع نفسه . وينظر في الملحق رقم (٤) والملحق رقم (٥) ،

- كذلك ص ١٦ وما بعدها، وهاشم (١) كذلك.
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ١١٦، ١١٧، ١١٨، وانظر عن المجد الإسلامي فيه ص ١١٧ هامش ٥.
- (٢٩) ابن العربي، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ وينظر علاء محمود، المرجع السابق ص ١٦٥ - ١٦٦، الحوادث الجامعة ص ٤٤٦.
- (٣٠) ينظر ابن حجر، الدرر الكامنة، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٦ (تحقيق محمد سيد جاد) ج ٢ ص ١٤١، ج ٣ / ١٠٦، ج ٤ ص ٥٧ - ٥٨، وينظر علاء محمود، المرجع السابق ص ١١٧، ابن القوطي، المصدر السابق ج ٤ ق ٢ ص ١٠٥٤.
- (٣١) ابن حجر، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥٧ - ٥٨.
- (٣٢) المصدر نفسه ج ٣ / ١٠٦.
- (٣٣) مازكربولو، المصدر السابق ص ٤٢ وينظر علاء محمود، المرجع السابق ص ١٧١.
- (٣٤) انظر المبحث السابق.
- (٣٥) الحوادث الجامعة ص ٤٤٦، ٤٤٨.
- (٣٦) ابن بطوطة، ص ٢٢٨، ٢٢٩.
- (٣٧) ابن المشيء الأربلي (ت ٦٩٤هـ)، الذكرة الفخرية، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ ص ١١٢، ١١٤.
- (٣٨) المرجع نفسه، ص ١٣٦.
- (٣٩) المرجع نفسه، ص ١٢٥ - ١٧٠.
- (٤٠) المرجع نفسه، ص ١٨٩.
- (٤١) كحالة، معجم المؤلفين ج ١ / ١٠.
- (٤٢) الدرر الكامنة ج ١ / ١٢٠١.
- (٤٣) المصدر نفسه ج ١ / ١٢١٢.
- (٤٤) ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق احمد يوسف نجاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٩ ج ١ / ٨٤ (٤٦).
- (٤٥) الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، طبعة جمعية المستشرقين الألمانية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ج ٧ / ٣٠٢، ٣٠٣.
- (٤٦) ابن القوطي، المصدر السابق ج ٥ ق ٢ / ١٦٣.
- (٤٧) المصدر نفسه ج ٤ ق ١ / ١١٢ (١٢٤).
- (٤٨) الدرر الكامنة ج ٢ / ٢٦٠٩.
- (٤٩) اللكنوي، محمد عبدالحسي (ت ١٣٠٤هـ)، الفوائد البية في تراجم الحنفية، كراچی، ص ١٠٦.
- (٥٠) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٩٠٢.
- (٥١) البيهقي (ت ٧٧٢هـ)، ذيل مرآة الزمان، طبعة دار المعارف الألمانية، حيدرآباد ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠، ج ٣ / ١٥٧٥.
- (٥٢) ابن القوطي، المصدر السابق ج ٤ ق ٢ / ١٥٧٥.
- (٥٣) المصدر نفسه ج ٥ ق ١ (٢٠٤).
- (٥٤) البيهقي، المصدر السابق ج ٣ / ١٤، مجهول (منسوب لابن القوطي) الحوادث الجامعة - ص ٣٦٤.
- (٥٥) ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب... بيروت، ج ٥ / ٣٢٢.
- (٥٦) ابن رجب، ج ٢ / ٢٩٨، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، غاية
- النهاية في طبقات القراء، نشره برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٣٢م ج ١ / ٤٠٣.
- (٥٧) ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر في إنباء العمر، تحقيق الأستاذ الدكتور حسن حبشي، لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٩٩٢هـ / ١٩٧٢م ج ٢ / ١٣٠.
- (٥٨) ورد ذكره ضمن ترجمة ابنه محمد، وقد اشير فيها إلى أنه - اي محمد - درس على والده في الموصل قبل هجرتهم منها، انظر ادناه هامش ١١٨.
- (٥٩) ابن القوطي، المصدر السابق ج ٤ ق ٢ / ٧٥٩ (١١٠٠).
- (٦٠) الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد ١٣٩٠ هـ، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥ (٢٦١).
- (٦١) الدرر الكامنة ج ٢ / ٤٦٥.
- (٦٢) ابن القوطي، المصدر السابق ج ٤ ق ٢ / ١٠٩٩.
- (٦٣) المنهل الصافي، ج ١ / ٢١١، ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة هاني، بغداد ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ج ٢ / ٢٣٠.
- (٦٤) ابن أبي الوفاء (ت ٧٧٥هـ)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، حيدرآباد الدكن ١٩١٣، ج ١ / ٢٩٨.
- (٦٥) ابن الخطيب، الأحاطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة ج ١ / ٣٥٠.
- (٦٦) الدرر الكامنة ج ٥ / ٤٨٩٧، شذرات الذهب ج ٦ / ٤٣ - ٤٤.
- (٦٧) الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المعجم المختص... تحقيق الدكتور محمد الحبيب الحيلة، الطائفة ١٩٨٨، ص ٣٠٥.
- (٦٨) الدرر الكامنة ج ١ / ١٧٠.
- (٦٩) الإسلامي (ت ٧٧٤هـ)، منتخب المختار، المسنى بتاريخ علماء بغداد، من انتخاب التقي القاسمي (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق عباس الزواوي، مطبعة الأهلبي، بغداد ١٩٣٨ ص ٣٦، ٣٧ (٢٧٧).
- (٧٠) القاسمي (ت ٨٣٢هـ)، المقدّمين... تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٤ ج ٣ / ٤١٧.
- (٧١) شذرات الذهب ج ٥ / ٣٠٥، ابن رجب ج ٢ / ٢٧٤ (٣٨٦).
- (٧٢) ابن القوطي، المصدر السابق ج ٤ ق ٢ (١١١٨).
- (٧٣) المصدر نفسه ج ٤ ق ١ (٢٧٨).
- (٧٤) المصدر نفسه ج ٤ ق ٣ (٢٢٢٩).
- (٧٥) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٠٣ (٢٩١٦)، ابن رجب، المصدر السابق، ج ٢ / ٣٥١ (٤٦٣).
- (٧٦) الدرر الكامنة ج ٣ / ٣٠٧٩.
- (٧٧) منتخب المختار، ص ٧٥ (٧٠).
- (٧٨) الوافي بالوفيات، ج ٣ / ٢٧٥ (١٣١٧)، الدرر الكامنة، ج ٤ / ٣٩٣٤.
- (٧٩) الدرر الكامنة ج ٤ / ٣٧٩٩.
- (٨٠) شذرات الذهب ج ٥ / ٣٦٣، ابن رجب ج ٢ / ٤٠٣.

- (٨١) الدرر الكامنة ج ٥ / ٤٨٨٨ .
- (٨٢) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٥ / ١ (٤١٧) .
- (٨٣) المصدر نفسه ج ٥ / ٢ (١٦٣) .
- (٨٤) منتخب اختصار ، ص ١٨٧ (١٦١) ، الوافي بالوفيات ، ج ٣ / ٢٥١ ، ابن رجب ، المصدر السابق ج ٢ / ٤٣٢ .
- (٨٥) ابن القوطي ج ٤ / ٣ (٢٤٣٠) .
- (٨٦) ناجي معروف ، المرجع السابق ج ٢ / ٢٢٤ .
- (٨٧) الدرر الكامنة ج ١ / ٤٨٩ (١٢٢٩) ، ابن الجزري ، غاية النجاة ج ١ / ١٨٣ .
- (٨٨) اليونيني ، المصدر السابق ج ٤ / ١٠٤ ، الوافي بالوفيات ، ج ٨ / ٢٩٢ ، ٢٩١ .
- (٨٩) ابن الجزري ، غاية النجاة ج ٢ / ٤٣ ، الدرر الكامنة ج ١ / ٨١٥ .
- (٩٠) ابن الجزري ، ج ١ / ١٩٨ (٩١٤) .
- (٩١) ناجي معروف ، المرجع السابق ج ٢ / ٢٢٤ .
- (٩٢) منتخب اختصار ، ص ١٩٧ (١٦٩) ، الدرر الكامنة ، ج ١ / ١٢١٣ .
- (٩٣) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٥ / ٢ (١١٣) .
- (٩٤) المصدر نفسه ج ٥ / ٢ (١٧٣) .
- (٩٥) منتخب اختصار ص ٣٥ ، ٣٦ .
- (٩٦) المنهل الصافي ج ١ / ٢٥١ .
- (٩٧) ابن القوطي ، المصدر السابق ، ج ٤ ق ١ (٧٣) .
- (٩٨) اليونيني ، المصدر السابق ج ٤ / ٢٥٥ ، السيوطي (ت ٨١١) بنية الوعاة ج ١ / ٥٢١ ، شذرات الذهب ج ٦ / ٤٨ .
- (٩٩) وردت اشارة اليه تفيد انه كان حياً سنة ٦٦٦ هـ ، ضمن ترجمة ابنه موسى انظر الدرر ج ٥ / ٢٥ (١٧٨) .
- (١٠٠) المصدر نفسه ج ٢ / ١٥٩٨ .
- (١٠١) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٤ ق ١ (٢٦٤) ، المزاري ، تاريخ الأدب العربي ج ٢ / ١٦٤ (٩) .
- (١٠٢) اليونيني ، المصدر السابق ج ٦ / ١٩٢ ، شذرات الذهب ج ٥ / ٣٧٩ ، معرفة القراء الكبار... دار التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٤٩ .
- (١٠٣) ذيل كشف الظنون ج ٣ / ٤٨٨ .
- (١٠٤) ابن الجزري ، غاية النجاة ج ١ / ٥٨٤ .
- (١٠٥) الدرر الكامنة ج ٣ / ١٨١ .
- (١٠٦) الوافي بالوفيات ج ٣ / ٥٧ (٣٤٧) .
- (١٠٧) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٧٣ .
- (١٠٨) المصدر نفسه ج ٢ / ٤٢٩ (٢٢٧٧) .
- (١٠٩) اليونيني ، المصدر السابق ج ١ / ٥٠٦ .
- (١١٠) ابن المنشيء ، التذكرة ص ١٨٨ .
- (١١١) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٨ (٢٥١٦) .
- (١١٢) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٥ / ٢ (٢٩٠) .
- (١١٣) اليونيني ، المصدر السابق ج ٢ / ٣١٠ .
- (١١٤) ابن رجب ، ج ٢ / ٤٧٦ ، شذرات الذهب ج ٦ / ٣٦ .
- (١١٥) شذرات الذهب ج ٦ / ٣٥ .
- (١١٦) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٥ ق ٢ (٢٥١) ، المزاري ، الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥١ ص ٣٥ .
- (١١٧) الدرر الكامنة ج ٤ / ٢٠٢٣ ، بنية الوعاة ج ١ / ١٧٥ .
- (١١٨) الوافي بالوفيات ج ٣ / ٢٤٢ (١٢٥٥) ، الاسني (ت ٧٧٢) .
- (١١٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ (٩٦٣) .
- (١٢٠) المصدر نفسه ج ٤ / ١٧٥٨ ، ابن رجب ، المصدر السابق ج ٢ / ٣٨١ (٤٩١) ، الدرر الكامنة ج ٤ / ٤٠٨٠ ، شذرات الذهب ج ٦ / ٧٨ .
- (١٢١) الوافي بالوفيات ج ١ / ٢٦٢ (١٦٧) .
- (١٢٢) المصدر نفسه ج ٥ / ٢٢٥ (٢٣٣٧) .
- (١٢٣) اليونيني ، المصدر السابق ج ٣ / ١٤٨ ، المزاري ، تاريخ الأدب العربي ج ١ / ٢٥٥ (١٠) .
- (١٢٤) الدرر الكامنة ج ٥ / ١٤٥ (٤٨٧٨) .
- (١٢٥) بنية الوعاة ج ١ / ٢٥٤ (٤٧١) .
- (١٢٦) ابن القوطي ج ٥ / ٢ (٢٧٦) .
- (١٢٧) الوافي بالوفيات ج ٣ / ٥١ (٩٥١) ، الدرر الكامنة ج ٤ / ٥٤ .
- (١٢٨) اليونيني ، المصدر السابق ج ٣ / ١٠٢ .
- (١٢٩) ابن رجب ، المصدر السابق ج ٢ / ٤٧٦ ، شذرات الذهب ج ٦ / ٣٦ .
- (١٣٠) ابن القوطي ج ٥ / ٢ (٢٥١) .
- (١٣١) الدرر الكامنة ج ٥ / ١٤٥ (٤٨٧٨) .
- (١٣٢) ابن شاكر الكيتي ، غوات الوفيات ... تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، دار راسد ، بيروت ١٩٧٣ / ١٩٧٤ ، ج ٤ / ١٥٠ .
- (١٣٣) اليونيني ، المصدر السابق ج ٢ / ١٨٠ .
- (١٣٤) الدرر الكامنة ج ٥ / ٢٥١ .
- (١٣٥) ابن المنشيء الاريلي ، التذكرة الفخرية . ص ١٨٩ ؟
- (١٣٦) المزاري ، تاريخ الأدب العربي ج ١ / ٢٥٩ .
- (١٣٧) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥١ ، ص ٣٥ ، (تقلاً عن مسالك الأضواء) .
- (١٣٨) البغدادي ، ذيل كشف الظنون ج ٣ / ٤٢٥ ، هدية العارفين ج ٥ / ٣٦٠ .
- (١٣٩) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٩ (سنة ١٩٦١) ، ص ١٣٢ .
- (١٤٠) الدرر الكامنة ج ٢ / ٢٣٨٨ .
- (١٤١) المصدر نفسه ج ٢ / ٤٨٧ (٢٤٤١) ، السبكي ، المصدر السابق ج ٨ / ٢٥٧ (١١٨٥) ، وإحاشية رقم (٢) .
- (١٤٢) التتبع به الشيخ شرف الدين السنجاري بالموصل سنة ٦٨٤ هـ بوصفه برأس التجميع فيها . انظر ابن آييك ، كثر النذر وجامع الفر ، تحقيق هارمان ، القاهرة ١٩٧١ ، ج ٨ ص ٢٧٢ .
- (١٤٣) علاء محمود ، المرجع السابق ص ٢٠٢ .
- (١٤٤) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٧٩ .
- (١٤٥) ابن القوطي ، المصدر السابق ج ٤ ق ٣ (٢٢٧٩) .
- (١٤٦) شذرات الذهب ، ج ٥ / ٣٦٣ .
- (١٤٧) ابن العربي ، تاريخ الدول السرياني ، العدد (٥٠) ١٩٥٦ ، ص ١٤٤ تقلاً عن علاء محمود ، المرجع السابق .
- (١٤٨) الهداني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨ هـ) ، جامع

التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، القاهرة

١٩٦٠، مجلد ٢ ج ١ / ٣٤.

(١٤٨) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ / ٤٢٥.

(١٤٩) الدرر الكامنة ج ١ / ٤٨٤.

(١٥٠) العامل، اعيان الشيعة، دمشق ١٩٣٨، ج ١٠ / ١٢٨.

(١٥١) انظر المبحث المشار اليه اعلاه.

(١٥٢) ابن القوطي ج ٤ ق ١ (٢٧٥).

(١٥٣) المصدر نفسه ج ٥ ق ١ (٣٨٨).

(١٥٤) الدرر الكامنة ج ٣ / ٢٩٠٢.

(١٥٥) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ / ٢٢٥.

(١٥٦) كماله، ج ٦ / ٢١٦.

(١٥٧) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ / ٢٣٤.

(١٥٨) الدرر الكامنة ج ٤ / ٤٠٢٣.

(١٥٩) ابن القوطي، المصدر السابق ج ١ / ٥ (٢٣٤).

(١٦٠) ابن رجب ج ٢ / ٤٩١.

(١٦١) الوافي بالوفيات ج ٣ / ٢٢ (٨٨٧).

(١٦٢) محمود حموايسين، المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(١٦٣) كان لنظام الأوقاف دوره الكبير في انعاش الحركة العلمية

والثقافية، فقد ظلت ايرادات الأملاك الموقوفة على خدمات

المدارس والجوامع وغيرها، المنفذ لاستمرار هذه المؤسسات في

اوقات الاضطرابات والتقلبات السياسية.

(١٦٤) محمود حموايسين، المرجع السابق، ص ٥٠ وانظر ص ٣١ وما

بعدها، كذلك ص ١٦٦ - ١٦٩.

(١٦٥) ابن بطرقة. ٢٢٨ - ٢٢٩.

(١٦٦) المرجع نفسه.

الموصل في عهد السيطرة الجلائرية ٧٣٦-٨١٤هـ / ١٣٣٥-١٤١١م

د. احمد عبدالله الحسو

فأصبحت بذلك جزءاً من الدولة التي اسسها في كل من العراق وبلاد فارس واستمرت حتى سنة ٨١٤هـ^(١).

يمكن ان نقسم حقبة التسلط الجلائري على الموصل الى مرحلتين:

أولاً: مرحلة الحكم المباشر:

تبدأ هذه المرحلة مع تمكن الشيخ حسن من بسط نفوذه على اقليم ديار بكر - الموصل مركزه - بين سنتي ٧٣٦هـ، ٧٣٩هـ، وتنتهي بسنة ٧٥٧هـ^(٢)، عندما تحالف السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلائري مع اماره قره قوينلو مطلقاً يدها لاختاد ثورة قامت ضده في الموصل^(٣).

واجه الشيخ حسن مع بداية هذه الحقبة:

أ: ثورة القبائل الكردية والتركمانية القريبة من الموصل.

خضع العراق للحكم الجلائري^(١) في اعقاب انهيار دولة المغول الايلخانيين سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م^(٢)، ذلك ان امراء البيت المغولي دخلوا صراعاً بعضهم مع بعض لاقتراس املاك الدولة المنهارة^(٣). ولقد كان الشيخ حسن الجلائري المعروف بالشيخ حسن الكبير؛ أحد هؤلاء الأمراء؛ وكان آنذاك والياً على بلاد الروم^(٤). بدأ الشيخ حسن تحركه، بفرض هيمنته سنة ٧٣٦هـ وما بعدها، على اجزاء من اقليم (ديار بكر العربي)^(٥) الذي كان يشمل في هذه الحقبة مدن الموصل، واربيل، وماردين، وجزيرة ابن عمر، وميفارقين، ورأس العين، وسنجار. ويقدر تعلق الامر بالموصل - موضوع بحثنا هنا -، شهدت المدينة عدة صدامات بين أميرها آنذاك ابراهيم بن شاد بن بارنباي بن سوتاي، وبين الشيخ حسن، الذي تمكن من السيطرة عليها سنة ٧٣٧هـ^(٦)،

ب: قيام الماليك بشن هجمات عسكرية عديدة على الموصل ومدن العراق الأخرى.

ويدوان ضغط القوات المملوكية كان قوياً، فقد ذكر المقرئزي (ت ٨٤٥هـ) ان الامير تنكز؛ نائب الشام المملوكي «عدى الفرات مروراً... وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجمعهم»^(١٠)، مما دفع الشيخ حسن الى فتح باب المفاوضات معهم، معلناً تبعيته لهم، واستعداده لتسليم مدن العراق كافة، الى جيش يرسلونه لهذا الغرض^(١١). وقد قامت فعلاً اتصالات دبلوماسية بين الطرفين استمرت حتى سنة ٧٤١هـ؛ اوضح المقرئزي بعض جوانبها، فقد اشار ضمن احداث سنة ٧٤٠هـ قائلاً:

«وفيها، قدم رسول الشيخ حسن... بكتابه، يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد، والموصل، وعراق العجم، ليقام بها الدعوة للسلطان»^(١٢). كما أشار الى قدوم رسول آخر في السنة التالية فقال:

«قدم ابراهيم شاه، ابن اخي الشيخ حسن.. في مثنى فارس.. ثم احضروا بين يدي السلطان... وفيهم قاضي بغداد، وقاضي الموصل، وقاضي ديار بكر، فقدموا... كتاب الشيخ حسن ونسخة أيمانها، وإيمان عامة اهل بلادهم من الامراء، والاجناد، وأرباب المعاش بطاعة السلطان، وانهم من جنده، ومقاتلة من عاده، وقدموا الخطبة التي خطب بها للسلطان في بغداد، والموصل، وديار بكر»^(١٣).

لقد كان هذا التحرك الجلائري موضع ترحيب من الموصليين، رغبة في الانضواء تحت لواء الخلافة العباسية التي كان مقرها آنذاك في القاهرة، وهو امل ظل يراودهم منذ احياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ، في أعقاب سقوطها في بغداد سنة ٦٥٦هـ^(١٤).

ومع ما اظهره الشيخ حسن من حماس لتنفيذ افكاره، فقد تراجع عنها فجأة سنة ٧٤١هـ، بسبب ما واجهه من معارضة قوية، تزعمتها مجموعة من الامراء الجلائريين المنتفذين^(١٥). ولقد عرّض هذا التغيير المفاجئ منطقة الجزيرة- والموصل مركزها- الى اضطراب سياسي، حيث شهدت الست عشرة سنة التي اعقبت التاريخ المشار اليه (٧٤١-٧٧٧هـ) جملة مستجدات، يمكن ان نجملها بما يأتي:

١- خرجت الموصل عن ولائها للجلائريين سنة ٧٥١هـ، إثر تمكن امير سنجار بدر الدين حسن بن هندو من السيطرة عليها^(١٦).

٢- شعر الماليك بمخاطر بدر الدين، وبخاصة بعد تحالفه مع امانة قرة قوينلو، وقيامه بقطع الطرق، فقاموا بمهاجمته، وتمكنوا منه، فأعلن تبعيته لهم، وأقام الخطبة في الموصل باسم السلطان المملوكي. وقد اشار المقرئزي الى ذلك ضمن احداث سنة ٧٥١هـ فقال: «قدم الخبر ان هندو؛ احد الاكراد، استولى على بلاد الموصل، وصار في جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركاني، فاستنابه، وتقوى به، وركب (هندو) الى سنجار، وتحصن بها وأغار على الموصل، ونهب وقتل، ومضى الى الرحبة، وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردین، ونهبها، فخرجت اليه عساكر الشام، وحصلوه بسنجار ومعهم عسكر ماردین، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هندو الأمان، على ان يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه، ونجمة [التركاني] في عقد الصلح، ويقطع قطيعة يقوم بها كل سنة...»^(١٧)

٣- على الرغم من ان الجلائريين تمكنوا من استعادة هيمنتهم على الموصل سنة ٧٥٤هـ، في اعقاب مقتل بدر الدين هندو، فقد ثارت المدينة في وجههم بعد ثلاث سنوات من التاريخ المشار اليه، مستغلة وفاة الشيخ

حسن (سنة ٧٥٧هـ) ووصول ابنه أويس الى السلطنة ، وكذلك فعلت مدينة سنجار القريبة منها ، واعلنت المدينتان ولاءهما ثانية للمالك ، وخطبوا فيها لهم^(١٨) .

٤- استقبل المالك موقف المدينتين بترحاب كبير ، وقاموا بارسال (صناجق خليفية ، وسلطانية ، وتقاليذ وخلع)^(١٩) .

أمام هذه الأوضاع القلقة في الموصل والجزيرة ، سواء بفعل اضطراب الجبهة الداخلية التي كان ولاؤها الحقيقي يتجه نحو المالك والخلافة العباسية ، او تحت تأثير الضربات العسكرية المملوكية المتوالية ، لجأ السلطان اويس بن الشيخ حسن (٧٥٧-٧٧٦هـ) للاستعانة بأمارة قره قوينلو التي كان اتباعها من التركان يتجولون بقطاعهم بين بحيرة (وان) في آسيا الصغرى ، وبين الموصل ، طالباً منهم اخضاع المدينة وإعادتها الى الهيمنة الجلائرية .

جاء هذا الطلب من^(٢٠) السلطان الجلائري مشجعاً ، فقد كانت امارة قره قوينلو في دور التكوين ، وكانت بأمس الحاجة الى ان تحصل على مزيد من المراعي ، والأراضي الخصبة لتلبية حاجة القبائل المتحالفة تحت قيادتها ، كما كانت بحاجة الى تأمين حياض الجلائريين^(٢١) ، امام تحركها في الأراضي المجاورة لهم ، لذا فان كلاً من الأمير بيرم خواجه ، وابن اخيه الأمير قره محمد اللذين كانا ابرز زعماء التحالف المشار اليه ، رجبا بطلب السلطان اويس ، وعقدا اتفاقاً معه ، على أن يكونا الى جانبه «كلما دامه عدو» ، مقابل تعهده بعدم التدخل في شؤونهم الداخلية^(٢٢) ، ولقد شكل هذا التحالف نقطة تحول كبيرة في حياة مدينة الموصل والجزيرة ، كما سنجد في الفقرة التالية .

ثانياً: مرحلة الحكم غير المباشر

تمثل هذه المرحلة التي امتدت اكثر من نصف قرن (٧٥٧هـ - ٨١٤م) حالة تأرجح في ولاء الموصل ، بين الجلائريين من جهة ، وامارة قره

قوينلو من جهة ثانية ، ذلك ان نجاح الأمارة بالقضاء على تمرد المدينة ، وإعادتها الى الهيمنة الجلائرية ، منحها مكانة خاصة ترسخت معها اقدمها في المناطق المحيطة بالموصل ، وفتح لها معرفة اوسع باوضاع المدن والمناطق المجاورة ، ومهد الطريق لأزاحة الجلائريين عن الموصل وما حولها ، وحكمها من قبلهم^(٢٣) ، وهو ما يمكن ملاحظته من المستجدات الآتية :

- ١- اعلنت امارة قره قوينلو استقلالها بحكم الموصل سنة ٧٦٥هـ ، بيد أن رد الفعل الجلائري جاء قوياً ، فقد تمكن السلطان اويس سنة ٧٦٧هـ من استعادتها وضرب السكة فيها باسمه ، كما اسر الوالي التركياني (برد خجا)^(٢٤) .
- ٢- استعادت إمارة قره قوينلو السيطرة على الموصل سنة ٧٧١هـ ، ولكنها اضطرت الى التخلي عنها سنة ٧٧٣/٧٧٤هـ ، ثم استعادتها ثانية سنة ٧٧٦هـ^(٢٥) .
- ٣- خضعت المدينة سنة ٧٧٧ هـ الى احد التركان الخارجين على امارة قره قوينلو ، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) أن الموصل كانت تحكم في السنة المشار اليها من قبل أمير تركاني اسمه (بيرم) ، وان هذا الأمير حوصر فيها من قبل سميح بيرم خواجه ، امير تركان قره قوينلو^(٢٦) ، وأن الصراع بينها انتهى سنة ٧٧٨هـ باستسلام الأول ، وتصارفه مع الثاني الذي هيم على المدينة ، وعين اخاه (برد خجا) والياً عليها^(٢٧) .
- ٤- رفض الجلائريون خطوة الامير بيرم خواجه هذه ، ووجدوا فيها خطورة على كياناتهم السياسي ، مما جعلهم يدعون كبار أمرائهم لعقد اجتماع للقوريلتاي^(٢٨) في السنة ذاتها في مدينة اوجان ، قرب تبريز لتدارس وضع الموصل . وقد اتخذ المجلس قراراً بضرورة التخلص من الامير المشار اليه^(٢٩) .
- ٥- تمكن السلطان الجلائري حسين بن اويس

(٧٧٦-٧٨٤هـ) من اخضاع بيرم خواجه له، وقد توصل الطرفان الى حل وسط حيث رضي الجلائريون به او بمن يمثله حاكماً للموصل في اطار تبعيته لهم^(٣٠).

٦- ترسخ هذا التحالف في عهد كل من السلطان الجلائري احمد بن اويس^(٣١) الذي حل في السلطنة بعد وفاة اخيه حسين سنة ٧٨٨هـ، والأمير قرة محمد الذي تولى إمارة قرة قوينلو بعد وفاة اخيه بيرم خواجه سنة ٧٨٢هـ، فقد كان كل منها بحاجة الى الآخر، إذ واجه الأول معارضة لحكمه في كل من بغداد وتبريز، وكان الثاني بحاجة الى توسيع نفوذه في المنطقة، وكان من مظاهر ذلك انها عقدا مصاهرة بينهما تم بموجبها زواج السلطان احمد من ابنة الأمير قرة محمد، وقد تجملت ثمرة هذا التحالف بوقوف الأخير الى جانب صهره في التصدي لمعارضيه سنة ٧٨٥هـ، بيد أنه اشترط ان تكون قيادة الجيش له حتى بالنسبة للقوات الجلائرية، والأخير تدخل أحد غيره في حركة وتنقل الجيش، وأن تكون الغنائم له، مما يوضح مدى الطموحات التي كان يهدف اليها.^(٣٢)

يتضح مما اورده اعلاه أن مرحلة الحكم غير المباشر للموصل، شهدت رسوخاً لنفوذ إمارة قرة قوينلو، على حساب النفوذ الجلائري فيها، والذي كاد ان يكون انحساراً تاماً. ويبدو أن الصراعات^(٣٣) الإقليمية المعاصرة وبخاصة بروز الخطر التيموري منذ الربع الأخير من ق ٨هـ / ١٤ وما تضمنه من مخاطر على كيان الدولة الجلائرية، هو الذي يقف وراء غياب اي رد فعل جلائري حاسم، تجاه تزايد نفوذ إمارة قرة قوينلو في الموصل وما حوّلها، وبخاصة في عهد الأمير قرة يوسف الذي حكم المدينة كما لو انها مستقلة عن الحكم الجلائري^(٣٤). بيد أن غياب تيمورلنك (ت سنة ٨٠٧هـ) وتضاؤل المخاطر التيمورية في عهد ابنه شاه رخ (٨٠٧-٨٥٧هـ)، شجع السلطان احمد الجلائري، على التحرك لكبح جماح

إمارة قرة قوينلو، واستعادة النفوذ الجلائري في الموصل والجزيرة فالتقى جيشاهما قرب تبريز سنة ٨١٣هـ، ولكن نتائج المعركة لم تكن لصالحه، فقد تمكن الأمير قرة يوسف منه، وأمر بقتله مسجلاً بذلك نهاية للدولة الجلائرية وبداية هيمنة إمارة قرة قوينلو المباشرة على الموصل والعراق وبلاد فارس^(٣٥).

مع سنة ٨١٣ / ٨١٤هـ، تنطوي صفحة من حياة مدينة الموصل لم يتمكن الجلائريون خلالها من اضعاف مايدفع بمسيرتها نحو الأفضل، فقد تركوها نهياً للقرى المحلية، وكانوا عاملاً في دخولها حقبة حالكة في حياتها، امتدت قرناً كاملاً من الزمن (٨١٤هـ - ٩١٤هـ)، وهو ما سنتعجله في المباحث التالية.

الهوامش

- (١) نسبة الى قبيلة جلاير، وهي قبيلة كبيرة كانت تسكن شرقي منغوليا على مقربة من نهر (ارن). شغل امرأه هذه القبيلة وظائف عسكرية وإدارية كبيرة في العهد الإيلخاني. انظر عنهم الفصل الأول من كتاب الدكتور نوري العاني: العراق في العهد الجلائري (ص ١٩ فا بعدها)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- (٢) حكمت الدولة الإيلخانية التي أسسها هولاكو في العراق وبلاد فارس بين سنتي ٦٥٧هـ، ٧٣٦هـ. انظر عنها: C.E., Bosworth, *The Islamic Dynasties*, Edinburgh university, Edinburgh 1980 pp. 149 – 151.
- (٣) القرظي، السلوك لمرحلة دول الملوك، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢ ص ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٤ وانظر هامش (١) فيها، ٤٠٧ وانظر هامش ٢ فيها، النبائي، التاريخ العياني، (الفصل الخامس من سنة ٦٥٦ - ٨٩١هـ)، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد؛ بغداد ١٩٧٥ ص ٨٢.
- (٤) عين الشيخ حسن حاكماً على بلاد الروم سنة ٧٣٣هـ وبقي فيها حتى سنة ٧٣٦هـ. انظر العاني، العراق في العهد الجلائري، ص ٢٢.
- (٥) تباين المصادر البلدانية في تحديد المدن التابعة لهذا الأقليم. انظر العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري ص ٣٨، ٣٩، وانظر هامشه (٢١) ص ٦١.
- (٦) المرجع نفسه ص ٥١.
- (٧) تعتبر بعض المراجع سنة ٧٣٨ هـ بداية لعهد هذه الدولة. انظر: العاني، المرجع السابق، ص ٢٥، ٢٢، ٢٣، النبائي، المصدر السابق، ص ٨٤.

- (٨) العاني، المرجع السابق ص ٥١.
- (٩) المرجع نفسه.
- (١٠) المقرري، المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٥١٢.
- (١١) العيني، محمود، تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر، (نسخة الباحث، مصورة عن نسخة المتحف البريطاني رقم ٢٢٣٦٠)، ورقة ٣٨-أ.
- (١٢) المقرري، المصدر السابق، ج ٢ ق ٢ ص ٤٨٩.
- (١٣) العيني، تاريخ البدر...، ورقة ٤١-أ، انظر السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥١٩، ٥٢٠.
- (١٤) انظر عن ذلك المولى، سالم، العراق في السياسة المملوكية، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٩، باشراف الدكتور احمد الحسو، ص ٩٤ فما بعدها.
- (١٥) المقرري، المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٥٢١، ٥٢٢ وانظر المولى، المرجع السابق ص ١٢٨ فما بعدها، كذلك المصادر التي اعتمد عليها.
- (١٦) المصدر نفسه، ج ٢ ق ٢ ص ٨٣٠.
- (١٧) العيني، المصدر السابق، ورقة ٥٦ - المقرري، المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٨٣٠.
- (١٨) العاني، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٩) العيني، المصدر السابق، ورقة ٥٦.
- (٢٠) العاني، المرجع السابق، ص ٥١.
- (٢١) وردت القبائل التركمانية المنصوية تحت قيادة امارة قرة قوينلو، الى شرق الأناضول من تركستان الشرقية، تحت تأثير الغزو المغولي. ورغم انهم اسسوا كياناً سياسياً لهم، الا انهم - كجيرانهم تركان الآق قوينلو - ظلوا محتفظين بتقاليدهم البدوية.
- (٢٢) العاني، المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٨.
- (٢٣) المرجع نفسه، ص ٥١، ٥٢.
- (٢٤) المرجع نفسه، ص ٥٢.
- (٢٥) Faruk Summer, Kara Koyunlular, Ankara, 1967, vol. I p. 42.
- (٢٦) ابن حجر، المصدر السابق، ج ١٠٧/١، ١٣٣.
- (٢٧) العاني، المرجع السابق ص ٥٢، وينظر النبائي، المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٢٨) يقصد به المجلس الأعلى الذي اعتاد المغول ان يعقدوه، ويخضره عادة كبار امراء البيت المغولي لمناقشة القضايا الكبرى. وقد درج الجلائريون على تطبيق التقاليد المغولية هذه ابان حكمهم.
- (٢٩) العاني، المرجع السابق، وانظر المصادر التي اشار اليها فيه، ص ٧٨.
- (٣٠) ابن حجر، ابنه الغمر ص ٥٢، العاني، المرجع السابق ص ٥٢.
- (٣١) عن السلطان احمد بن اويس، انظر السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) الضوء اللامع -، بيروت، ج ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥.
- (٣٢) عن الامير قرة محمد، انظر ابن حجر، ابنه الغمر، ج ١ / ٢٩١، ٢٩٢، ٣٥٤.
- ٣٣ - ٣٤
- (٣٣) ابن حجر، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٩٤.
- (٣٤) العاني، المرجع السابق، والمصادر التي اعتمدها فيه ص ١٥٨.
- (٣٥) ابن حجر، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣٥ قام التيموريون بغزو الموصل سنة ٧٩٦ هـ ثم سنة ٧٩٩ هـ ثم سنة ٨٠٤ هـ. (المصدر نفسه، ج ٤٧٢/١، ٥٢٣، ج ٢٠٨/٢)، كما قام امراء قرة قوينلو بزعماء الأمير قرة يوسف بمهاجمة التيموريين في الموصل وأزاجهم عنها مرتين سنة ٧٩٨ هـ ثم سنة ٨٠٠ هـ. (المصدر نفسه ج ٥١٣/١، ج ١٩/٢).
- (٣٦) ابن حجر، المصدر السابق ج ١ ص ٥١٣، النبائي ص ٢٣٩.
- (٣٧) النبائي، المصدر السابق ص ١٣٥.

الواقع الحضاري في الموصل في عهد السَّيْطَةِ الجَلَاثَرِيَّةِ

٧٣٦ - ٨١٤ / ١٣٣٥ - ١٤١١ م

د. احمد عبدالله الحسو

تمهيد

فالجلائريون اسرة تشبعت بالقيم المغولية^(١)، وهم رغم اعتناقهم الاسلام، ظلوا يتمسكون بقيم (الياسا) التي كان جنكيزخان قد اعتمدها لتكون الاساس الذي يحتكم اليه المجتمع المغولي^(٢). ومع

لم تكن حقبة التسلط الجلائري (٧٣٦-٨١٤ هـ) على العراق الا استمراراً للحقبة التي سبقتها، ونعني بذلك حقبة التسلط الايلخاني (المغولي) بين سنتي ٦٥٦ هـ - ٧٣٦ هـ،

كان أكثر ضراوة مما أصابها جراء الغزو التيموري المشار اليه ^(٨).

الوضع الاقتصادي

تمة اشارات تفيد أن الانتاج الزراعي كان قائماً في هذه الحقبة في الموصل وما حوها، وأنه كان على قدر من الجودة. وبخاصة في المناطق المحيطة بالموصل شرقي دجلة التي كانت تنتج الفواكه والحبوب والقطن والزيتون والكروم وغيرها ^(٩)، وقد اورد الدكتور نوري العاني في كتابه الموسوم «العراق في العهد الجلائري» امتداح الرحالة ماريتولي الذي زار الموصل في بداية حقبة التسلط الجلائري، ولما كانت تُنتج المناطق المحيطة بالمدينة من فواكه وغيرها ^(١٠) بيد ان هذه الاشارات تعطي انطباعاً عاماً، ولانقصنا امام واقع الانتاج الزراعي فعلاً. بدراسة الجدول (١) وبمقارنة واردات اقليم ديار بكر (ومنهُ الموصل) اواخر العهد الايلخاني (المغولي)

الجدول (١)

واردات اقليم ديار بكر؛ وبضمن ذلك الموصل والمناطق المحيطة بها ^(١١)

الحقبة	الواردات بالدينار
اواخر العهد الايلخاني هـ ٧٣٦	١,٩٢٥,٠٠٠
العهد الجلائري هـ ٧٥٠	٣٤٠,٠٠٠
العهد الجلائري هـ ٧٦٥	١٠٠,٠٠٠

ان من المفروض أن يكون الجلائريون قد تأثروا بالوسط الاجتماعي المتحضر الذي حلوا فيه، منذ ظهورهم قبيلة مساندة لجنكيزخان في اوائل القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، إلا ان مظاهر تأثرهم هذه، وبقدر تعلق الأمر بالعراق تبدو محدودة، فقد اقتصررت على مدينة بغداد، وبعض المدن القريبة منها، اما الموصل التي كانت - كما اشرنا في البحث السابق - ضمن مناطق تسلطهم، فلم نعر في المصادر على ما يشير الى انجازات جلائرية فيها، في مجال العمران والثقافة والاقتصاد، بل على العكس من ذلك، وجدنا ان المدينة كانت في معظم سني حياتها ساحة حرب بين الجلائريين انفسهم والقوى المحلية تارة، ثم بينهم وبين تركان قره قوينلو تارة اخرى، ثم بينهم وبين التيموريين تارة ثالثة ^(١٢). وقد زاد من ضراوة هذه الحروب أن أطرافها جميعاً يحكم ما كانوا عليه من مستوى حضاري متدنٍ، لم يمتلكوا نزوعاً للبناء، أو ادراكاً للحدود التي تبتدىء او تنتهي عندها متطلبات حالة الحرب، ^(١٣) لذا فقد آفتقدت المدينة استقرارها. ويمكن ان نشير في هذا المجال الى ما فعله تيمورلنك الذي احتل الموصل ثلاث مرات سنة ٧٩٦هـ، ٧٩٩هـ ثم سنة ٨٠٤هـ ^(١٤)، وسارفي اهلها - على حد تعبير المؤرخ المعاصر ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) - «مسيرة واحدة من القتل، والأسر، والسلب، والنهب، والتعذيب» ^(١٥)، كما ان هيمنة تركان قره قوينلو على المدينة بتحويل من الحكام الجلائريين بين سنتي (٧٧٨هـ - ٨١٤هـ)، جعلها مرمى لأعدائهم؛ تركان آق قوينلو، فقد هاجمها اميرهم عثمان قرايلك سنة ٨١٤هـ ونهب اهلها، ووقع بالاكراة ^(١٦). والواقع ان ما أصاب الموصل ممن تسلطوا عليها، وبخاصة ايان حقبة الحكم الجلائري غير المباشر عليها (٧٧٨ - ٨١٤هـ) ثم ما بعدها،

بإورادته خلال حقبتين في العهد الجلائري، والجدول (٢) ومقارنة واردات مدينة الموصل خلال هذا العهد بإورادات مدن عراقية أخرى، يتضح ان الواردات المترتبة على الانتاج الزراعي كانت منخفضة في الموصل بشكل خاص، واقل من ديار بكر بعامة، وان هذا الانخفاض كان يتزايد سنة بعد اخرى، بحيث بلغت نسبة الانخفاض في واردات الموصل سنة ١٧٦٥هـ / ٩٣,٥٪ عما كانت عليه في بداية الحكم الجلائري سنة ٧٣٦هـ، ويلاحظ ذلك في انخفاض واردات مدينة الموصل.

الجدول (٢)

موارد الموصل في العهد الجلائري مقارنة بموارد مدن عراقية أخرى

اسم المدينة	مواردها سنة ١٧٣٦هـ / بالدينار	مواردها سنة ١٧٦٥هـ / بالدينار
بغداد	٨٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
البصرة	٤٤١,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠
الموصل	٣٢٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
سنجار	١٤٧,٥٠٠	١٠,٠٠٠
اربيل	٢٢,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
واسط	٤٤٨,٥٠٠	١٠٠,٠٠٠

ان هذه النتائج تعني فيها تعنيه تقلص مساحة الاراضي التي كانت تزرع عادة مع ابتداء الحكم الجلائري، لذا فان ما يشار اليه في المصادر والمراجع من وجود انشطة زراعية في الموصل وما حولها كان

يمثل حدوداً دنيا، لها، قياساً على مراحل سابقة، كما انه كان يعبر في واقعه عن حالة تراجع كانت تتزايد مع تزايد وجود الجلائريين على رأس السلطة. ان هذا الاستنتاج ينسجم مع واقع الوضع السياسي الذي نوهنا عنه في بحثنا السابق، فقد كانت الدولة الجلائرية منشغلة في حروب وصراعات عدة في الداخل والخارج، وهو امر لم يكن يسمح للفلاحين بمواصلة نشاطهم الزراعي الا في حدود ضيقة. ولا يتناقض رأينا هذا مع ما ذهب اليه الدكتور نوري العاني حين علل نقص واردات مدن الاطراف - ومنها الموصل - في الدولة الجلائرية - بسبب ان سلطتهم لم تكن راسخة فيها، وجراء (تمنع حكامها) اي حكام منطقة ديار بكر - بالاستقلال في اكثر الاحيان) وكونهم (يستهرون من دفع الضرائب)..^(١٢)، فان هذه الأسباب، الى جانب ما اصاب الاراضي الزراعية من تقلص وتدهور، تقف وراء النقص المشار اليه.

٢ - افاد الموصليون في هذه الحقبة من خبرتهم في مجال الصناعات، فمارسوا حرفهم الصناعية على مستويين؛ توفير الحاجات الضرورية لاستخدام اهل الموصل والمناطق المجاورة من أدوات معدنية، خشبية، وأنسجة، وملابس، وغيرها من جهة، ونتاج مصنوعات فنية متميزة؛ اما بتوصية من سلطان او أمير، او لغرض تصديرها الى البلاد الأخرى. وقد وصل البنا نموذج لتلك التحف؛ هو عبارة عن اناء نحاسي كبير صنع في الموصل بعد سنة ١٧٥٨هـ، يتضمن على اطرافه الأربعة كتابات. قدم هذا الاناء باسم السلطان الشيخ أويس الجلائري الى مزار الشيخ صفوي الدين الارديلي^(١٣). كما ظلت الموصل متميزة في صناعة المنسوجات والملابس. ويفهم من كثرة الطلب من الاسواق الخارجية على الثياب الموصلية المعروفة بالشاش و (الموزلين) والنصافي الموصلية، ان صناعتها كانت متقدمة^(١٤).

ونستطيع ان نفترض ان الصناعات التقليدية الاخرى ، التي يشكل وجودها ضرورة ، كصناعة مواد البناء ، من رخام وجص ونورة كانت مستمرة . كما ان تميز الحرفيين في الموصل - ومنهم الصاغة - ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية توجي بأن الصياغة ، وصناعة المجوهرات ، كانت قائمة كذلك ، بالرغم اننا لامتلك نماذج لذلك من هذا العهد . كما كانت الموصل وبعض المدن الاخرى كسنجار وعقرة وأربيل من مراكز سك النقود^(١٥) . وقد أشارت المصادر الى ان بعض اطراف الموصل كانت تنتج في هذه الحقبة اجود انواع الخمور التي كان يفضلها السلاطين الجلائريون^(١٦) .

وقد نجم عن هذا النشاط النسبي في الزراعة ، والصناعات المحلية ، وبخاصة صناعة النسيج ، والتحف المعدنية ، انتعاش حركة التجارة ، حيث قام التجار الموصليون بتصدير ما يفيض عن حاجة المدينة والمنطقة ، وقد وصلت الينا اخبار عن تجارتهم في هذه الحقبة ، مع مصر وبلاد الشام والحجاز^(١٧) .

ومن ابرز التجار من منطقة الموصل الخواجة محمد الدين السلامي (وكان ذا خبرة باخلاق الملوك وما يليق بمخاطرتهم ، وما يتحفظها من الرقيق والجوهر ، وكان السلطان المصري يأمر بمساحة بعض المكس عن تجارته^(١٨)) .

بيد ان من الضروري ألا يُبالغ في حجم هذا النشاط ، وذلك لانه قام في اطار وضع مضطرب ، لم يكن فيه التجار يأمنون على انفسهم ، أو تجارتهم ، بسبب اعمال السلب والنهب التي كانت احدى سمات هذه المرحلة .

الوضع الاجتماعي

على الرغم من أن الموصل تعرضت ابان عهد التسلط الايلخاني الى متغيرات في تكوينها السكاني ، فان هذا التغير كان محدوداً ، في حين ان

الوضع هذا في عهد التسلط الجلائري اختلف عما كان عليه من قبل . ويمكن ان نعد الحقبة بين سنتي ٧٧٨هـ - ٨١٤هـ بمثابة نقطة تحول اجتماعي في حياة المدينة ، ففيها فتح الجلائريون ابواب الموصل لتغلغل حكام امارة قرة قوينلو ومن كان ينظوي تحت سلطتهم من قبائل ، عرفت بانها (كما سبقت الإشارة) قبائل بدوية امية ، هي اقرب الى حياة التنقل منها الى حياة الاستقرار^(١٩) . واذا كانت هذه القوة الجديدة قد تمكنت ان ترسخ أقدامها في الموصل والمناطق المحيطة بها عبر ستة وثلاثين عاماً (٧٧٨ - ٨١٤هـ) ، ثم توسع نفوذها ليشمل انحاء العراق كافة فتحكمه حتى سنة ٨٧٢هـ^(٢٠) ، فقد شكل ذلك تهديداً لهُوية المدينة القومية ولمكانتها الثقافية ودفع بها نحو حقبة حالكة اخرى في حياتها امتدت قرناً كاملاً (٨١٤ - ٩١٤هـ) .

ويبدو ان هذا التحدي ، اضافة الى ما أحاط الموصل من ظروف قاسية ؛ بتسلط قوة اجنبية عليها - هي السلطة الجلائرية - ، وبضعف هذه السلطة ، وتركز اهتمامها على مركز الدولة دون اطرافها ، دفع بابنائها نحو قدر كبير من التكافل الاجتماعي . نلاحظ ذلك في :

١ - فاعلية المؤسسات الوقفية التي لم تؤد دوراً ثقافياً ودينياً فحسب ، بل أدت دوراً واضحاً في تقديم خدمات اجتماعية وبخاصة لطلبة العلم وشيوخه فقد وفرت لهم الرواتب والسكن والطعام^(٢١) .

٢ - بروز المؤسسة القضائية ، وهو أمر لاحتضانه في عهد التسلط الايلخاني (المغولي) ، ويلاحظ في العهد الجلائري بوضوح . ويبدو ان التزام الجلائريين والايلاخانيين قلوبهم بمحاكم البارغو التي كانت تحكم بموجب قواعد الياسا المغولية دون احكام الشريعة الاسلامية ، فضلاً عن ضعف السلطة المركزية ، وضع الى جانب

الجدول (١)
يتضمن الموصليين الذي كان الفقه يمثل تخصصهم
الأول الى جانب التخصصات الأخرى

الترتيب	الاسم	التخصص	الولاية وسكانها	الرياسة وسكانها	النسبة	شتم / مهاجر قادم
١	ابراهيم بن احمد بن يحيى ^{١٢}	الفقه	—	من ٧٧٠	الموصل	شتم
٢	ابراهيم بن احمد بن صبيح ^{١٣}	الفقه التبليغ	—	ت ٨١٠	الموصل القائري	مهاجر
٣	ابراهيم بن عبدالله ^{١٤}	الفقه	—	ت ٨١٤	الموصل	شتم
٤	احمد بن عبد ^{١٥}	الفقه التفسير الحديث	٧١٨	ت ٨٧٠	الموصل الدمشق	مهاجر
٥	ابو بكر بن عبدالله ^{١٦}	الفقه / الحديث	٧٢٤	ت ٧٩٦	الموصل القدس	مهاجر
٦	ابو بكر بن علي ^{١٧}	الفقه	—	ت ٨١٥	الموصل زيت الطائفة	مهاجر
٧	عبدالقادر بن ابراهيم ^{١٨}	الفقه	٧٨٨	ت ٨٢٢	الموصل الدمشق	مهاجر
٨	عبدالله بن علي ^{١٩}	الفقه	—	ت ٨٤٤	الموصل بيت القدس القدس	مهاجر
٩	علي بن الحسين ^{٢٠} القاسم	فقه نحو	٦٨١ الموصل	٧٥٥ الموصل	الموصل	مهاجر عائد
١٠	عبد بن احمد بن عبد الرحمن ^{٢١}	فقه الأدب	—	٧٦٥	الموصل الدمشق	مهاجر
١١	عبد بن احمد بن عبد ^{٢٢}	فقه أدب	—	ت ٨٧٢	الموصل نحو الدمشق	مهاجر
١٢	عبد بن عاطر بن ^{٢٣}	الفقه الأدب	—	٨٣٣ الموصل	الموصل	شتم
١٣	عبد بن عبدالقادر ^{٢٤} بن عبد الرحمن	فقه حديث أدب	٦٩٨	ت ٧٨٨	التيقاني الشهر زقدي الموصل	مهاجر
١٤	عبد بن عبد بن علي ^{٢٥}	فقه أدب	—	ت ٨٥٥ ٨٠٠	الموصل	مهاجر

رجال القضاء امام تحديثات جديدة، ودفعهم نحو
مزيد من الاهتمام ، بأنشطتهم القضائية » (٢٢).

الوضع الثقافي :

أظهر مسحنا لمعظم المصادر التي ارخت لحقبة
التسلط الجلائري على الموصل أن مجموع المثقفين
الموصليين الذي كان لهم دور ثقافي بلغ ستة وأربعين
شخصاً (انظر الجدول ١) وهو رقم يشير الى نقص
كبير اذا ما قورن بإعداد المثقفين الموصليين الذين
بلغت اعدادهم مائة واحداً وعشرين ، ممن كان
لهم نشاط علمي وثقافي ابان الحقبة السابقة ،
ونعني بذلك حقبة التسلط الایليخاني .

ويلاحظ ان الموضوعات التي شغلت بال
المثقفين الموصليين في هذه الحقبة تركزت - على غرار
ما كانت عليه ابان عهد التسلط الایليخاني - على
العلوم الدينية فقد بلغ عدد الفقهاء اربعة عشر فقيهاً
من اصل ثمانية وأربعين منهم (انظر الجدول
(١)) ، اما اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث
وفنونه فقد بلغوا سبعة اشخاص (انظر الجدول
٢) ، اما علوم اللغة العربية وفنونها وآدابها ، فقد
حظيت بإهتمام اكبر ، فقد بلغ عدد المتخصصين
والمهتمين بها اثني عشر اديباً ولغوياً (انظر الجدول
٣).

أما بقية الاهتمامات الثقافية ، فقد شملت
التصوف، والخط والموسيقى الى جانب اهتمامات
ثقافية عامة ، وقد بلغ عدد هؤلاء ثلاثة عشر
شخصاً (انظر الجدول ٤) ، ويلاحظ من مجموع
الجداول الأتفة الذكر، أن عشرة فحسب من بين
مجموع المثقفين الذين برزوا في هذه الحقبة - كانت
الموصل المكان الذي استقروا فيه ، في حين بلغ
عدد المهاجرين منهم ، او من اولئك الذين يرجعون
الى اصول موصلية اربعة وثلاثين شخصاً .

ونستطيع ان نفترض ان الصناعات التقليدية الاخرى ، التي يشكل وجودها ضرورة ؛ كصناعة مواد البناء ، من رخام وجص ونورة كانت مستمرة . كما ان تميز الحرفيين في الموصل - ومنهم الصاغة - ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية توحى بأن الصياغة ، وصناعة المجوهرات ، كانت قائمة كذلك ، بالرغم اننا لا نمتلك نماذج لذلك من هذا العهد . كما كانت الموصل وبعض المدن الاخرى كسنجار وعقرة وأربيل من مراكز سك النقود^(١٥) . وقد أشارت المصادر الى ان بعض اطراف الموصل كانت تنتج في هذه الحقبة اجود انواع الخمور التي كان يفضلها السلاطين الجلائريون^(١٦) .

وقد نجم عن هذا النشاط النسبي في الزراعة ، والصناعات المحلية ، وبخاصة صناعة النسيج ، والتحف المعدنية ، انتعاش حركة التجارة ، حيث قام التجار الموصليون بتصدير ما يفيض عن حاجة المدينة والمنطقة ، وقد وصلت اليها اخبار عن تجارتهم في هذه الحقبة ، مع مصر وبلاد الشام والحجاز^(١٧) .

ومن ابرز التجار من منطقة الموصل الخواجة محمد الدين السلامي (وكان ذا خبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطهم ، وما يتحفظها من الرقيق والجوهر ، وكان السلطان المصري يأمر بمساحة بعض المكس عن تجارته^(١٨)) .

يبد ان من الضروري الأيُّبالغ في حجم هذا النشاط ، وذلك لانه قام في اطار وضع مضطرب ، لم يكن فيه التجار يأمنون على انفسهم ، أو تجارتهم ، بسبب اعمال السلب والنهب التي كانت احدى سمات هذه المرحلة .

الوضع الاجتماعي

على الرغم من أن الموصل تعرضت ابان عهد التسلط الايلخاني الى متغيرات في تكوينها السكاني ، فان هذا التغير كان محدوداً ، في حين ان

الوضع هذا في عهد التسلط الجلائري اختلف عما كان عليه من قبل . ويمكن ان نعد الحقبة بين سنتي ٧٧٨هـ - ٨١٤هـ بمثابة نقطة تحول اجتماعي في حياة المدينة ، ففيها فتح الجلائريون ابواب الموصل لتتغلغل حكام امارة قره قوينلو ومن كان ينطوي تحت سلطتهم من قبائل ، عرفت بانها (كما سبقت الإشارة) قبائل بدوية امية ، هي اقرب الى حياة التنقل منها الى حياة الاستقرار^(١٩) . واذا كانت هذه القوة الجديدة قد تمكنت ان ترسخ أقدامها في الموصل والمناطق المحيطة بها عبر ستة وثلاثين عاماً (٧٧٨-٨١٤هـ) ، ثم توسع نفوذها ليشمل انحاء العراق كافة فتحكمه حتى سنة ٨٧٢هـ^(٢٠) ، فقد شكل ذلك تهديداً لوهية المدينة القومية ولكانتها الثقافية ودفع بها نحو حقبة حالكة اخرى في حياتها امتدت قرناً كاملاً (٨١٤-٩١٤هـ) .

ويبدو ان هذا التحدي، اضافة الى ما أحاط الموصل من ظروف قاسية ؛ بتسلط قوة اجنبية عليها - هي السلطة الجلائرية - ، ويضعف هذه السلطة ، وتركز اهتمامها على مركز الدولة دون اطرافها ، دفع بابنائها نحو قدر كبير من التكافل الاجتماعي . نلاحظ ذلك في :

١ - فاعلية المؤسسات الوقفية التي لم تؤد دوراً ثقافياً ودينياً فحسب ، بل أدت دوراً واضحاً في تقديم خدمات اجتماعية وبخاصة لطلبة العلم وشيوخه فقد وفرت لهم الرواتب والسكن والطعام^(٢١) .

٢ - بروز المؤسسة القضائية ، وهو أمر لاحظناه في عهد التسلط الايلخاني (المغولي) ، ولاحظ في العهد الجلائري بوضوح . ويبدو ان التزام الجلائريين والايلاخانيين قبلهم بمحاكم الياغو التي كانت تحكم بموجب قواعد الياسا المغولية دون احكام الشريعة الاسلامية ، فضلاً عن ضعف السلطة المركزية، وضع الى جانب

الجدول (١)
يتضمن الموصليين الذي كان الفقه يمثل تخصصهم
الأول الى جانب التخصصات الأخرى

الترتيب	الاسم	التخصص	الولادة	الوفاة	السنه / سنة هجرة
١	ابراهيم بن احمد بن روك	الفقه	—	ص ٧٧٠	الرسول
٢	ابراهيم بن احمد بن حسين	الفقه التبليغ	—	ت ٨١٠	الرسول القاضي
٣	ابراهيم بن عبدالله	الفقه	—	ت ٨١٤	الرسول
٤	احمد بن عبدالله	الفقه التفسير الحديث	٧١٨	ت ٨٧٠	الرسول الدين
٥	ابوبكر بن عبدالله	الفقه / الحديث	٧٣٤	ت ٧١٦	الرسول
٦	ابوبكر	الفقه	—	ت ٨١٥	الرسول ترياق القاهرة
٧	عبدالقادر بن ابراهيم	الفقه	٧٨٨	ت ٨٦٢	الرسول الدين
٨	عبدالمطلب بن ابي باسم	الفقه	—	ت ٨٤٤	الرسول بيت الدين القاضي
٩	علي بن الحسين القاسم	فقه محرر	٦٨١	الرسول ٧٥٥	الرسول مكة
١٠	محمد بن احمد بن عبد الرحمن	فقه الادب	—	٧٦٥	الرسول الدين الدين
١١	محمد بن احمد بن محمد	فقه ادب	—	ت ٨٧٢	الرسول الدين الدين
١٢	محمد بن ظاهر بن يونس	الفقه الادب	—	الرسول ٨٣٣	الرسول
١٣	محمد بن عبدالقادر بن عبد الرحمن	فقه حديث ادب	٦٨٨	ت ٧٨٨	الدين الدين الدين
١٤	محمد بن محمد بن علي	فقه ادب	—	ت ٨٤٥	الرسول

رجال القضاء امام تحديات جديدة ، ودفعهم نحو مزيد من الاهتمام ، بأنشطتهم القضائية (٢٢) .

الوضع الثقافي :

أظهر مسحنا لمعظم المصادر التي ارخت لحقبة التسلسل الجلائري على الموصلي أن مجموع المثقفين الموصليين الذي كان لهم دور ثقافي بلغ ستة واربعين شخصاً (انظر الجدول ١) وهو رقم يشير الى نقص كبير اذا ما قورن بإعداد المثقفين الموصليين الذين بلغت اعدادهم مائة وواحداً وعشرين ، ممن كان لهم نشاط علمي وثقافي ابان الحقبة السابقة ، ونعني بذلك حقبة التسلسل الاليلخي .

ويلاحظ ان الموضوعات التي شغلت بال المثقفين الموصليين في هذه الحقبة تركزت - على غرار ما كانت عليه ابان عهد التسلسل الاليلخي - على العلوم الدينية فقد بلغ عدد الفقهاء اربعة عشر فقيهاً من اصل ثمانية واربعين منهم (انظر الجدول (١)) ، اما اولئك الذين اهتموا بعلم الحديث وفنونه فقد بلغوا سبعة اشخاص (انظر الجدول (٢)) ، اما علوم اللغة العربية وفنونها وآدابها ، فقد حظيت بإهتمام اكبر ، فقد بلغ عدد المتخصصين والمهتمين بها اثني عشر اديباً ولغويّاً (انظر الجدول (٣)) .

أما بقية الاهتمامات الثقافية ، فقد شملت التصوف ، والخط والموسيقى الى جانب اهتمامات ثقافية عامة ، وقد بلغ عدد هؤلاء ثلاثة عشر شخصاً (انظر الجدول ٤) ، ويلاحظ من مجموع الجداول الأتفة الذكر ، أن عشرة فحسب من بين مجموع المثقفين الذين برزوا في هذه الحقبة - كانت الموصلي المكان الذي استقروا فيه ، في حين بلغ عدد المهاجرين منهم ، او من اولئك الذين يرجعون الى اصول موصلية اربعة وثلاثين شخصاً .

الجدول (٢)

يتضمن الموصليين الذين كان علم الحديث يمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

الجدول (٣)

يتضمن الموصليين الذين كانت اللغة العربية وآدابها وفنونها تمثل تخصصهم الأول الى جانب التخصصات الأخرى

الاسم	التخصص	الولادة وسكانها	الوفاة وسكانها او تاريخ كان فيه حيا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١ ابراهيم بن محمد بن علي ^{٣٧}	الحديث المنطق	٦٧٦	ت ٧٧٤	الموصلي البدادي	مهاجر
٢ احمد بن ابراهيم بن ^{٣٨} عبد العزيز	الحديث الأدب	حدود ٧٢١	ت ٨٠١	الموصلي الدمشقي	مهاجر
٣ ابوبكر بن عمر بن عثمان ^{٣٩}	الحديث	حوالي ٦٨٠	ت ٧٥٧	الموصلي الكردي / الدمشقي	مهاجر
٤ الحسن بن عبد الواسع ^{٤٠} بن المي بكر	الحديث		ت ٧٦٩	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
٥ داود بن ^{٤١} سليمان بن ^{٤٢} عبد الله	الحديث	٧٦٤	ت ٨٤٤	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
٦ عمر بن محمد بن عمر ^{٤٣}	الحديث		ت ٧٤٧	الموصلي	مقيم
٧ عمر بن المي بكر بن علي ^{٤٤}	الحديث		ت ٩ هـ	الموصلي الدمشقي	مهاجر

الاسم	التخصص	الولادة وسكانها	الوفاة وسكانها او تاريخ كان فيه حيا	سنة	مقيم / مهاجر مقيم
١ احمد بن المي الوفاة ^{٤٥}	الأدب		معاصر الأجنة المثوق سنة ١١١ هـ	الموصلي	مقيم
٢ الحسن بن علي بن المي بكر ^{٤٦}	الأدب	٦٩٠	ت ٧٥٩	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
٣ شعبان بن محمد بن داود ^{٤٧} عبد الرحمن بن المي الوفاة ^{٤٨}	الأدب	٧٦٥	ت ٨٢٨	الموصلي	مهاجر
٤ عبد الله بن علي بن عمر ^{٤٩}	الأدب		ت ٨١١	الموصلي	مقيم
٥ عبد الله بن علي بن عمر ^{٥٠}	اللغة / الفقه	٧٢٢ منجار	ت ٧٩٩ منجار	لبنجاري تفقه الموصلي	قادم
٦ الحسين بن علي بن علي بن عبد العزيز بن بن المي محمد ^{٥١}	الأدب		ت ٧٨٩	الموصلي	مهاجر
٧ الحسين بن علي بن علي بن عبد العزيز بن بن المي محمد ^{٥٢}	الأدب		ت حدود ٧٥٠ هـ	الموصلي	مقيم
٨ علي بن محمد بن غالب ^{٥٣}	الأدب		ت ٧٥٣ الموصل	الموصلي	مقيم
٩ علي بن محمد بن عبد العزيز ^{٥٤}	الأدب	٧١٢	٧١٢	الموصلي الدمشقي	مهاجر
١٠ محمد بن علي بن احمد ^{٥٥}	اللغة الأدب الموسيقى	٦٨٦	٧٥٥ وقيل ٧٤١	الارابي ثم الموصلي	قادم
١١ محمد بن محمد بن عبد الكريم ^{٥٦}	الأدب / الحديث التصوف	حدود ٧٠١	ت ٧٧٤	الموصلي نزيل دمشق	مهاجر
١٢ محمد بن موسى ^{٥٧}	الأدب	٧٧٠ ٨٦٠	من	الموصلي الاصلي نزيل دمشق	مهاجر

الجدول (٤)

يتضمن اعداد الموصليين الذين كان لديهم تخصصات او اهتمامات مختلفة

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حيا	النسبة	مقيم / مهاجر قادم
١ احمد بن حسين ^{١٠}	النسخ	حدود ٧٦٥	ت ٨١٥	الموصل	مهاجر
٢ ابو بكر (الشيوخ) ^{١١}	الصفوف		حبي ٨٠٠ هـ	الموصل الدمشقي	مهاجر
٣ الحسين بن المازك ^{١٢}	الصفوف		٧٤٢	الموصل	مهاجر
٤ عبدالله بن علي ^{١٣}	اعتماد تقاني عام		ت ٨٢٠	الموصل الشياني	مقيم
٥ علي بن احمد بن ابي بكر ^{١٤}	-		ت ٨٨٢	الموصل غم الدمشقي	مهاجر
٦ علي بن محمد بن فتح الله ^{١٥}	-		ت ٨٤٦	الموصل / زابل طرابلس	مهاجر
٧ قطب الدين ^{١٦}	الموسيقى		ت ٨٠٠	الموصل	مهاجر
٨ محمد بن داود بن محمد ^{١٧}	اعتماد تقاني عام	بعد سنة ٦٧٠	ت ٧٢٨	الموصل سكن دمشق	مهاجر
٩ محمد بن ابي بكر بن علي ^{١٨}	-	٧٥٠ هـ	—	الموصل	مقيم
١٠ محمد بن عبدالرحيم بن محمد ^{١٩}	-	—	ت ق ٩ هـ	الموصل الدمشقي	مهاجر
١١ محمد بن عبدالله بن علي ^{٢٠}	تصوف ادب		ت ٧٩٧	الموصل	مهاجر
١٢ محمد بن علي بن يحيى ^{٢١}	-	حدود ٧٧٥		الموصل أبوه الدمشقي	مهاجر
١٣ محمد بن علي بن محمد ^{٢٢}	-		ت ٨١٧ هـ	الموصل القمي	مهاجر

الجدول رقم (٤)

يوضح الموصليين المقيمين والقادمين الى الموصل والمهاجرين منها من المثقفين خلال حقبة التسلسل

الجلالري

المقيمين	المهاجرين	القادمون	المجموع
١٠	٣٤	٢	٤٦

ان ابرز ما يلاحظ في الصورة التي يظهرها المسح أمران :

١ - تزايد نسبة التراجع في الحياة الثقافية والعلمية للموصل.

٢ - غياب اي اهتمام بالعلوم العقلية والعلوم الصرفة.

ولا تبدو هذه النتائج امرأ مستغرباً، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان العراق - والموصل جزء منه - واجه خلال العقود التي تلت الغزو والاحتلال المغولي له تحديات ثقافية وسياسية واجتماعية مما اشير اليها مسبقاً في المباحث الذي تناولت الغزو المشار اليه وآثاره والذي وضع الموصل امام تراجع تدريجي في نشاطاتها المختلفة، فعلى الرغم من انها حاولت جاهدة مواجهة ذلك، فإنها ومع اتصال هيمنة القوى الأجنبية المتخلفة حضارياً على البلاد، كانت هي الأخرى تفتقد بعضاً من قدراتها على مواجهة التحدي، لذا فإننا نلاحظ مع المسح الذي اجريناه عن انشطة المثقفين (وهو مسح لاندعي انه نهائي، بل هو قابل دوماً للنقد والاضافة والتعديل) في مبحثنا هذا، او المباحث الأخرى في هذه الموسوعة، تناقص اعداد هؤلاء، وزيادة نسبة المهاجرين بينهم، كما يلاحظ تناقص اعداد القادمين للدراسة او من اجل الرحلة في طلب العلم. واذا جاز لنا ان نتحرى هنا مواطن الضعف في الواقع الحضاري لمدينة الموصل وما حولها ابان عهد التسلسل الجلالري، فلنا ان نذكر بتقدير الى اولئك الذين ظلوا يواصلون عطاءهم الحضاري من ابناء المدينة في ظروف عصيبة.

- (١) عن علاقة الجلائريين بالمغول وتطورها وانتهائهم اليوم، انظر نوري الغاني، العراق في العهد الجلائري، بغداد ١٩٨٦ ص ١٩-٢٢، كذلك ص ١٠٣-١٠٤.
- (٢) كانت محاكم البارغوا الجلائرية تمارس عملها في العراق بموجب قواعد الياسا التي وضعها جنكيزخان، الى جانب المحاكم الشرعية الاسلامية. انظر الغاني، المرجع السابق ص ١٠١، ١٠٣، وهوامشه رقم ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٧٢.
- (٣) انظر الغياني، التاريخ الغياني، تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، ص ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٠، ابن حجر، ابناء الفخر بأبناء الفخر، تحقيق الدكتور حسين حبشي، القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢ ج ١/ ١٠٧، ١٣٣، ٤٧٢، ٥١٣، ج ٢/ ١٩، ٢٠٨، ٤٠٤، ٤٨١، ج ٣/ ٥٢٠.
- (٤) كانت جميع اطراف النزاع من جلائريين، وقرةقوينلية، وآق قوينلية، وتيموريين، جماعات رعوية منتقلة حديثة عهد بالانتقال الى المجتمعات المستقرة.
- (٥) ابن حجر، المصدر السابق ج ١/ ٤٧٢، ٥٢٣، ج ٢/ ١٩.
- (٦) المصدر نفسه ج ١/ ٤٧٢.
- (٧) المصدر نفسه، حوادث سنة ٨١٤.
- (٨) انظر على سبيل المثال ما تعرضت له المدينة على يد حكام قرقوينلو، المصدر نفسه، ج ١/ ٥١٣، ج ٢/ ١٩، ٤٠٤، ج ٣/ ٥٢٠، الغياني، المصدر السابق ص ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٠.
- (٩) الغاني، المرجع السابق ص ٢٢٠ فا بعدها.
- (١٠) المرجع نفسه.
- (١١) اعتمد الباحث في هذا الجدول والجدول الذي سبقه (رقم ١) على الدكتور نوري الغاني في كتابه: العراق في العهد الجلائري ص ٢٢٣، ٢٢٥، نقلاً عن (رسالة فلكنية) التي تناولت حسابات البولة الجلائرية. لمؤلفها عبدالله بن محمد بن كيا المازندراني. انظر الهامش ٩٢ ص ٢٢٢.
- (١٢) المرجع نفسه ص ٢٢٣، ٢٢٦.
- (١٣) يحتفظ متحف الآثار القديمة في طهران بهذه التحفة المعدنية.
- (١٤) انظر المرجع نفسه ص ٢٤٧.
- (١٥) المرجع نفسه ص ٢٤٥.
- (١٦) المرجع نفسه ص ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨.
- (١٧) المرجع نفسه ص ٢٨٤ نقلاً عن المقرئ، السلوك لمهرة دور المولود ج ٢/ ٢٢، ٤٥٥، ج ٣/ ٢٠٩، ٥٠٩.
- (١٨) المرجع نفسه ص ٢٧٢.
- (١٩) انظر البحث السابق، حقبة الحكم الجلائري غير المباشر للموصل.
- (٢٠) انظر البحث التالي.
- (٢١) كان هذا الدور واضحاً طوال حقب التاريخ الاسلامي، فقد كانت الموارد التي تدبرها الاوساط الموقوفة الممول الرئيسي للمدارس والمساجد والزوايا وغيرها من المؤسسات العلمية
- والدينية، لذا فإنها لم تتأثر كثيراً بالتقلبات السياسية.
- (٢٢) برزت أسر اشتهرت بالقضاء في هذه الحقبة، ومنهم آل الشهرزوري في الموصل. انظر عن ذلك البحث الذي كُتبه الاستاذ الدكتور كاسد الزبيدي ادناه.
- (٢٣) ابن حجر، الدرر الكامنة ج ١/ ٧ (٤).
- (٢٤) ابن حجر، ابناء الفخر ج ٢/ ٥٢٣ (١)، السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ١/ ١٣٧.
- (٢٥) كحالة، معجم المؤلفين ج ١/ ٥٦.
- (٢٦) المرجع نفسه ج ٣/ ٦٥.
- (٢٧) الدرر الكامنة ج ١/ ٢٢٩، ابناء الفخر ج ١/ ٤٩٧ (١٣).
- (٢٨) ابناء الفخر ج ٢/ ٥٢٦ (٨)، الضوء اللامع ج ١/ ١٥٧.
- (٢٩) الضوء اللامع ج ٥/ ٢٥٩ (٩٧٥).
- (٣٠) المصدر نفسه ج ٥/ ٨٤ (٣١٤).
- (٣١) الدرر الكامنة ج ٣/ ٢٧٣٠.
- (٣٢) المصدر نفسه ج ٣/ ٤١٤ (٣١٩٠).
- (٣٣) الضوء اللامع ج ٧/ ٧٢ (١٣٥).
- (٣٤) المصدر نفسه ج ٧/ ٧٠٠.
- (٣٥) ابناء الفخر ج ١/ ١٤٤، الدرر ج ٤/ ٣٩٣٤.
- (٣٦) الضوء اللامع ج ٩/ ١٥٢ (٣٨٧).
- (٣٧) الدرر الكامنة ج ١/ ١٧٠.
- (٣٨) ابناء الفخر ج ٢/ ٥٦ (١)، الضوء ج ١/ ١٥٩.
- (٣٩) الدرر الكامنة ج ١/ ٤٨٤ (١٢١٢).
- (٤٠) الدرر الكامنة ج ٢/ ١٠٢ (١٥٢).
- (٤١) الضوء اللامع ج ٣/ ٧٩٥.
- (٤٢) الدرر الكامنة ج ٣/ ٣٠٧٩.
- (٤٣) الضوء اللامع ج ٦/ ٧٦ (٢٥٧).
- (٤٤) المزاري، تاريخ الأدب العربي في العراق ج ١/ ٣٣٠.
- (٤٥) الدرر الكامنة ج ١٠٩٨.
- (٤٦) ابناء الفخر ج ٣/ ٣٥٣.
- (٤٧) المزاري، المرجع السابق ج ١/ ٣٣٠.
- (٤٨) كحالة، ج ٦/ ٩١.
- (٤٩) الدرر ج ٣/ ٢٧٢٩، ابناء الفخر ج ١/ ٣٤٢.
- (٥٠) كحالة، ج ٧/ ١٢٤.
- (٥١) المرجع نفسه ج ٧/ ٢٣٥.
- (٥٢) الدرر الكامنة ج ٣/ ١٠٦ (٢٨٧١).
- (٥٣) الدرر الكامنة ج ١/ ٢٩٤.
- (٥٤) ابناء الفخر ج ١/ ٥٢ (٣٩)، المزاري، المرجع السابق ج ١/ ٤٦.
- (٥٥) الضوء اللامع ج ١٠/ ٦٥ (٢١٨).
- (٥٦) المقرئ، درر العقود الفريدة، نسخة خطية مصورة عن مكتبة كوتة لدى الباحث، ورقة ٤.
- (٥٧) الضوء اللامع ج ٢/ ٢٥٥ (٧٢٥).
- (٥٨) الدرر الكامنة ج ٢/ ٢٦٠٩.
- (٥٩) كحالة ج ٦/ ٩١.
- (٦٠) الضوء اللامع ج ٥/ ٢٨٠ (٩٥).
- (٦١) الدرر الكامنة ج ٦/ ١٣.

(٦٢) ابن عرشاه، عجائب القلندر من أخبار تيمور، ط١، القاهرة
١٢٨٥هـ، ص ٧٩.
(٦٣) الدرر الكامنة ج ٤ / ٣٦٨٩.
(٦٤) كحالة ٩ / ١١٤.

(٦٥) الضوء اللامع ج ٨ / ٥٣ (٦٣).
(٦٦) مجمر الدين، الأنس الجليل ج ٢ / ١٦٤.
(٦٧) الضوء اللامع ج ٨ / ٢٢٤ (٥٨٦).
(٦٨) الضوء اللامع ج ٩ / ١٥ (٤٢).

الموصل في عهد سيطرة دولق الخوف الاسود والخوف الابيض

٨١٤ - ٩١٤ هـ / ١٤١١ - ١٥٠٨ م

الموصل تحت سيطرة (الخوف الاسود)؛ قرة قوينلو
٨١٤ - ٨٧٢ هـ / ١٤١١ - ١٤٦٩ م

علي شاكركلي

اولا: الامارة في مرحلة التكوين :-

حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي وكل ما يستطیع الباحث، الوقوف عليه من المصادر المتوفرة انهم يتسبون الى اوغوز او الغز البطل الاسطوري عند الاتراك، وانهم كانوا عشائر متعددة متناحرة حتى تمكنت احدى العشائر « بهارلو » من فرض سيطرتها على العشائر الاخرى عندما تمكن بيرام خواجه من كبح جماح العشائر الاخرى واخضاعهم لدائره نفوذه وقد اقره امراء العشائر « أولوس » رئيسا لهم^(٥). فبدأ يقود اتباعه في هجمات على المدن. والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا ان تنامي قوة القره قوينلو قد تزامن مع انفجار الاوضاع السياسية في شمال وشرق العراق في عهد السلطان الجلائري اويس بن الشيخ حسن ٧٥٧ - ٧٧٦ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٧٤ م، فادرك بيرام خواجه امير القره قوينلو ان الفرصة مواتية لظهور قوته وفرض سيطرته على القوى القبلية الاخرى، ففرض خدامته للسلطان الجلائري فاستطاع الاخير بالمساعدة القره قوينلوية من اخضاع الموصل وسنجار وارجلس فترة اخرى للحكم الجلائري سنة ١٣٧٣ م وفي السنة التالية ١٣٧٤ م زحف بيرام خواجه نحو مدينة الموصل فحاصرها اربعة اشهر ثم اخذها بالامان وتملك

في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت القبائل التركمانية الرعوية في اواسط اسيا - هذه المنطقة التي دأبت بين فترة واخرى، ان تغدو بابنائها غربا وشمالا محدثين تغيرات مهمة في خارطة العالم السياسية - تتحرك غربا باتجاه الجهات الجنوبية لاذربيجان والاناضول لتمارس حياة الرعي والتنجوال ومتابعة اساليب الحياة البدائية^(١).

ومن اشهر القبائل التركمانية التي هاجرت في السنوات الاخيرة من القرن الثالث عشر قبيلة قرة قوينلو « البارانية »^(٢) نزحت من بلاد ماوراء النهر وخراسان باتجاه الغرب ثم تابعت سيرها الى اذربيجان حيث استقرت في ارزنكان وسيواس^(٣) وكان ذلك في زمن السلطان المغولي ارغون ١٢٨٤ - ١٢٩٢ م. ولما كانت هذه القبيلة من القبائل الرعوية، لذا كانت مشاتها في جهات ديار بكر والجهات العليا من نهر الفرات ومصايفها في منطقة الداغ^(٤).

لا توجد مصادر تركية معتبرة، يمكن الركون اليها فيما يتعلق بأصل القره قوينلو « البارانية » وطبيعة العلاقة بينهم وبين السلطات الايلخانية المغولية الحاكمة في المنطقة طيلة الفترة الممتدة من ١٢٨٤

وتعامله مع قرة يوسف الامير القرة قوينلي ، اذ اصبح خطره يهدد مركز الجلائريين في العراق ، وهكذا شن احمد الجلائري هجوما على القرة قوينلو في جهات اذربيجان غير ان قرة يوسف وجميع القرة قوينلو تمكنوا من الحاق الهزيمة بالسلطان وجيشه ، وقد أسر السلطان نفسه مع عدد كبير من قادته واتباعه ، فامر قرة يوسف بقتل سيده السابق لتكره ونسيانه الجميل الذي اسداه القرة قوينلو اثناء الغزو التيموري للدولة الجلائرية ، ثم لحق به من تبقى من قادته ^(٨) واتباعه ففجعوا جميعا كأس المنية وكان ذلك سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م فألّت الى القرة قوينلو ممتلكات الجلائريين في جهات اذربيجان واهمها تبريز والسلطانية ، ولم تبقى الا بغداد وباعتبارها اهم معقل من معاقل الجلائريين وقد تم لقرة يوسف قوينلي احتلال بغداد في السنة التالية ١٤١١م على الرغم من تشبث الجلائريين بكل الوسائل الممكنة هكذا قامت الدولة القرة قوينلوية في العراق / فقام قرة يوسف امير القرة قوينلو بتوزيع المناصب لاقربائه في اهم المدن العراقية على شكل اقطاعيات استغلال .. او لكه ^(٩) .

ثانيا : الحكام القرة قوينلو في الموصل وتوابعها

شهدت الموصل في الفترة التي حكم فيها القرة قوينلو ، والتي استمرت قرابة ستين سنة ، عهدا من اكثر العهود اضطرابا وفوضى . كما استمرت على وضعها الاداري السابق كولاية او منطقة ادارية تابعة لدولة عاصمتها تبريز . كان الحاكم القرة قوينلي ، يعين من يراه مناسبا لحكم الولاية ولعل من المناسب ، ان نشير هنا ، الى مسألة في غاية الاهمية تعينا الى حد كبير في تفسير سلوك الحكام التركمان . « القرة قوينلو » في تعاملهم مع سكان المناطق المحتلة ، سواء في الموصل او غيرها ، هذه المسألة هي انتقال القرة قوينلي . وخلال فترة قصيرة من كونهم رعاة حيوانات الى حكام مناطق

سنجار ايضا ، منتهزا اضطراب جبل الامن في الدولة الجلائرية بعد وفاة السلطان اويس ^(١٠) . هكذا اصبح الامير القرة قوينلوي امير المناطق من ارجش وادزنك حتى سنجار والموصل وهي مناطق ذات اهمية استراتيجية من الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسة ، ولم يكن امام السلطان الجلائري الجديد احمد بن اويس ٧٨٤- ٨١٣هـ / ١٣٨٢- ١٤١٠م الا الاعتراف بالأمر الواقع ، فاعترف بحكم بيرم خواجه للموصل وسنجان على ان يأتمر بأوامره ومن ناحية اخرى ، فان القرة قوينلو لم يعلنوا انفصالهم لاحساسهم بان الظروف السياسية المحلية تحول دون قيام كيان سياسي مستقل لهم . وفي عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م توفي بيرم خواجه فخلفه في رئاسة امارة القرة قوينلو الامير قرة محمد بن تورميش الذي استمر في خدمة سيده الجلائري ، الذي اضحى بامس الحاجة الى مساعدة القرة قوينلو بسبب تفاقم الاوضاع السياسية في بغداد من جهة وتطور الاحداث في بلاد ماوراء النهر بحيث بات الخطر التيموري يطرق حدود الدولة الجلائرية في الجهات الشرقية ، لقد دفع الامير القرة قوينلي قرة محمد حياته ثمنا لتبعية الدولة الجلائرية اذ قتل في معركة جرت قرب تبريز بين القوات الجلائرية والتيمورية سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م غير ان موقف خلفه قرة يوسف بن قرة محمد تغير والذي استمر في مساندة الجلائريين حتى زوال خطر تيمورلنك سنة ١٤٠٥م ^(١١) .

حقا ، لم تقدم امارة القرة قوينلو الفائدة من تبعية الدولة الجلائرية اذ ان دائرة نشاطها ، امتدت لتشمل اجزاء مهمة من المناطق الخاضعة للدولة الجلائرية فقد كانت حدود الامارة من اذربيجان الى ماردين وسنجان والموصل واربيل . الامر الذي جعل السلطان الجلائري يعيد النظر في اسلوبه

ذات جذور حضارية عريقة ، تتطلب ادارتها خبرة متراكمة في كافة المجالات الادارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذا نجد ان الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي برزت امامهم كانت تعبر بشكل او باخر عن تجاربهم الرعوية القبلية . فالحكم ارتث مشترك بين ابناء العائلة الحاكمة ، لايحوز لاحد ان يشاركهم فيها كما ان حياة الفقر والعوز التي عاشوها في الفترة السابقة جعلتهم يسخرون موارد البلاد لخدمة مآربهم الخاصة دون اكتراث بمصالح السكان .

وفي ضوء ماسبق ، فان الحكام التركمان القرة قوينلو الذين تعاقبوا على حكم الموصل وتوابعها ، قد تصرفوا في ضوء الصورة التي رسمناها ، ومع قلة معلوماتنا عن جميع اولئك الحكام وبالتالي معرفة التفاصيل المتعلقة بحكمهم ، فان الاشارات القليلة الواردة في ثنايا المصادر ، توضح ان حاكم الموصل كان في الاغلب من ابناء الحكام القرة قوينلو في حين كان حكام توابع الموصل من الامراء ممن يتمتعون بثقة العائلة الحاكمة .

تشير المصادر التاريخية الى تعيين حكام على الموصل وتوابعها ، كركوك ، داقوق واربييل وغيرها ، منذ الايام الاولى لقيام الحكم القرة قوينلي غير ان هذه المصادر لا تذكر اسماءهم والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا ، ان معلومات المصادر الموصلية المحلية ، مضطربة الى درجة عدم التمييز بين حكم القرة قوينلو والعثمانيين والتمموريين الغبائي ان اقرب المؤرخين عهدا الى حكم القرة قوينلو ، لايشير الى حكام المدينة من سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م حتى ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م وهي الفترة التي شهدت احتدام الصراع بين ابناء قرة يوسف بحيث غدت البلاد مسرحا للتطاحن بين الامراء للانفراد بحكم المدن ذات الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية ففي سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م تمكن الشاه محمد بن قره يوسف حاكم بغداد السابق من احتلال مدينة الموصل بمساعدة من امير آل فضل حديثه الطائي الشيخ حارث فشكل حكومة مستقلة وقد اناط

حكم اربيل لميرزا علي ، وحكم كركوك وداقوق لاحد قواده والمسمى علي اتابك ، غير ان حكومة الشاه محمد لم تستمر الا سنة واحدة ، اذ قتل سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م ، على يد اعوان اخيه اسبان بن قرة يوسف ولم يكفث الاخير باغتيال اخيه بل جرد حملة عسكرية للاستحواذ على ممتلكاته ففي سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م فرض حصارا قاسيا على مدينة اربيل استمر خمسة اشهر ، الضطر حاكمها الى الاستسلام (كما سيرد في الصفحات اللاحقة) ثم زحف نحو الموصل فدخلها دون مقاومة (انه كان قد دير من يتخلص من حاكمها توشمال زينل ، الذي قضى نجه مسموما ، وقد نصب اسبان بن قرة يوسف حاكما على المدينة وهو عيسى بيك ، وقد عمل هذا بكل ماوسعه من اجل تسخير خيرات المنطقة لخدمة جيوش سيده اسبان بن قرة يوسف الذي تكرر مجيئه للموصل وذلك لمقاومة خصومه الاق قوينلو الذين بات خطرهم يهدد الموصل نفسها وقد استمر حكم عيسى بيك للموصل حتى سنة ٨٤٨هـ / اذ اضطر الى تركها بعد وفاة اسبان ابن قرة يوسف (١٠) .

في سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٩م كان حاكم الموصل الوند بن اسكندر القرة قوينلي غير ان حكمه لم يستمر الا بضعة اشهر ، اذ تركها خوفا من بطش ابن عمه بير بوداق بن جها نشاة ، فتحصن في قلعة بولاد القريبة من اربيل ومن هناك توجه نحو امانة المشعشين في الاحواز (١١) .

ليست لدينا اية معلومات عن حكام الموصل خلال الفترة ٨٥٠هـ حتى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م حيث لقي جها نشاه حاكم القرة قوينلي مصرعه على يد حسن الطويل حاكم الاق قوينلو في صحراء موصل . ولكن هذا لا يمنع من القول ان الذين تولوا حكمها لم يكونوا احسن من اسلافهم ، هكذا كتب على السكان وهم لاحول لهم ولا قوة ان يعيشوا حقه من الفلق والفرع والارهاب بسبب الحروب الاهلية بين الامراء الطائرين على البلاد

وليس لهم من هم غير اضطهاد الناس وتفرغ جيوهم من اجل ارضاء اسيادهم في تبريز.

ثالثاً: - الانحلال السياسي واثاره الاجتماعية والصحية والاقتصادية :

اذا كان القول ان مظاهر التخريب والدمار والقوضى كانت سمة عامة لمعظم البلاد الممتدة من خراسان شرقاً حتى الشام غرباً ، ومن البحر الاسود شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً صحيحاً . فإن تأثيرها في منطقة الموصل كان اعمق ، لاعتبارات متعددة ، في مقدمتها موقعها الجغرافي ، فالموصل هي المفذ المهم سواء للوصول الى الاناضول او حلب او البحر المتوسط ، كذلك كثرة خيراتنا الاقتصادية جعلتها هدفاً ثابتاً لغارات امراء القره قوينلو وغيرهم من القوى القبلية في جهات ديار بكر السفلى او في بلاد الشام . ومن ناحية اخرى ، فان الجيوش التيمورية التي غزت الموصل مرتين الاولى ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م ، والثانية ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م^(١٢) واتخذتها قاعدة لغاراتها العسكرية على الجزيرة وماردين جعلت المدينة تعيش حالة من الخراب والدمار الحقيقي ، ثم جاء حكم القره قوينلو ، وما اعقبه من تنافس وتطاحن ليكون «ضغناً على ابالة» ويزيد من شقاء السكان وبؤسهم ، ولا يحتاج المتتبع للمصادر العراقية والمملوكية الى عناء كبير في تشخيص مظاهر الانحلال السياسي ، وفي مقدمتها نهب المدن وتخريبها وانتشار الامراض والابوة ناهيك عن تخريب الاراضي الزراعية وتقلص مساحتها ، كما ان الكوارث الطبيعية كالزلازل والثلوج كانت هي الاخرى تزيد في الطين بلة .

وبقدر تعلق الامر بالامراض والابوة ، فقد ارتبط انتشارها بمحادثات حصار المدن في العراق والبلدان المجاورة ، واهمال السدود والقنوات وكثرة المستنقعات ، وضعف الوعي الصحي . ومن اكثر الامراض انتشاراً مرض الطاعون الذي نعت في

المصادر العربية «بالوباء» او الفناء العظيم ، وهو سريع الانتشار والفتك حتى بالحيوانات على اختلاف انواعها والمصاب به بتقياً لمدة ثلاثة ايام دماً دون انقطاع مع ظهور بشور في اجزاء مختلفة من جسمه ، واذا تقيحت هذه البثور نجح المريض واذا بقيت صلبة فعنى ذلك هلاك المصاب في اليوم الخامس ويصف ابو المحاسن المؤرخ المصري اعراض هذا المرض بقوله «كان يخرج خلف اذن الانسان ، بثرة فيخر صريعاً ثم صار يخرج للانسان كبه فيموت ايضاً سريعاً ثم خرجت بالناس خيارة ، فقتلت خلفاً كثيراً ، ثم صار الادمي يبصق دماً .. فكان الرجل يموت خلف محراثه ، ويوجد اخر قد مات وفي يده ما يذره والشاة اذ ذبحت وجد لحمها تنناً قد اسود وتغير»^(١٣) .

وقد ميزت المصادر التاريخية ، سنوات معينة تعرضت فيها الموصل وتوابعها لوباء الطاعون ففي سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م انتشر الطاعون في الموصل «ومات عالم لا يحصى عددهم الا الله» .

وفي سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م زحف الطاعون من بلاد فارس الى الموصل والجزيرة وفتك باعداد كبيرة من الناس كما تكرر انتشاره في سنوات ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م ، ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م / ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م وما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ان امراضاً أخرى كانت تفتك بالناس مثل السل (التدرن الرئوي) والصرع والسرطان غير ان المصادر اغفلت الاشارة اليها ، كما يبدو لان ضحاياها اقل من الطاعون .

اما بالنسبة الى المجاعات والتي اقترن ظهورها بمحادثات الحصار ايضاً وانتشار الطاعون فكانت كارثة حقيقية تخيم على السكان خاصة اذا تزامن ظهورها مع سنوات المحل او القحط بسبب انحباس المطر او زحف الجراد ويمكن الاشارة الى سنوات ٨١٧هـ / ٨٣٦هـ / ٨٦٠هـ بانها سنوات مجاعة وقحط ومحل في الموصل وتوابعها^(١٤) .

اما اعمال التخريب والاستباحة التي تعرضت لها الموصل وتوابعها فقد ادت احياناً الى نزوح

جماعي للسكان بمجرد سماعهم بتوجيه حملة عسكرية نحو المدينة ، وقد اشارت المصادر الى تعرض اربيل والموصل للنهب والاستباحة خلال الفترة القرة قوينلوية في سنة ١٤٣٩هـ / ١٤٥٣م حاصر اسبان مدينة اربيل و استمر الحصار اكثر من سنة وعندما عجز عن اقتحامها عمد الى تسعيم ابار الشرب في قلعتها فاعلنت المدينة الاستسلام^(١٥) غير ان هذا لم يمنع الغزاة من يهبها ، بعد ان حولوا بيوتها الى اخيرة يعيش فيها اليوم ثم توجه اسبان الى الموصل ، فتنح بعض سكانها ، خوفاً من تعرضهم للمرض^(١٦) .

وقد تدهورت الاحوال الاقتصادية لمنطقة الموصل بدرجة لم يسبق لها مثيل بسبب التصرف السيء لحكام القرة قوينلي تجاه الارض ، ولعل ابرز مظهر لهذا التصرف التعسفي هو شيوخ اقطاع الاستغلال «اولكه» والذي شمل مدناً بأكملها ، فقد كانت كركوك واربيل وداقوق اقطاعات استغلال لابناء حاكم القرة قوينلي والامراء المتنفذين في الدولة .

رابعاً : الوضع الاداري لمنطقة الموصل

اتسم الوضع الاداري لمنطقة الموصل بالتعقيد بسبب عدم الاستقرار في اوضاعها السياسية اولا وتعرضها باستمرار لغارات القوى السياسية المجاورة مثل الاق قوينلوي في ديار بكر والدولة المملوكية الثانية في بلاد الشام ومصر لذا تأرجحت تبعية بعض مدنها خاصة التخومية منها . كما ان فقدان سجلات الضرائب الخاصة بالمنطقة تزيد من غموض وضعها الاداري اكثر ومادام الامر كذلك ، فليس من مناص الا الرجوع الى الفترة الجلائرية اذ كانت الجزيرة الفراتية وفيها الموصل وسنجار والعمادية واربيل تشكل ولاية مهمة بجانب الولايتين الاخرتين (بلاد الجبل) وفيها مدينة شهرزور والعراق العربي غير ان حدود الجزيرة الفراتية توسعت اكثر في فترة الغزو التيموري فقد الحق تيمورلنك كلاً من كركوك

وداقوق لدائرة نفوذ حاكم الموصل حتى سنة ١٤٣٦هـ / ١٤٣٢م عندما نجح اسبان بن قرة يوسف حاكم بغداد من اخضاعها لدائرة نفوذه^(١٧) .

اما الهيئة الحاكمة في الجزيرة الفراتية ومركزها الموصل ، فقد كان الوالي يأتي في المقدمة ، ويعرف احياناً بصاحب الموصل ، فقد كانت صلاحياته غير محددة خاصة في ظل اضطراب جبل الامن في الدولة القرة قوينلوية وبتبعه عدد كبير من الموظفين يقومون بخدمته ، ويحيطونه علماء بما جرى في منطقته ويشترط^(١٨) فيمن يتولى هذا المنصب ان يكون احد ابناء السلطان القرة قوينلي اي من (الشاهز داكية) . اما حكام المدن التابعة للموصل ، فكانوا من الامراء العسكريين ويعرفون باسم «الداروغه» ويلي الوالي في الاهمية ، من الناحية النظرية ، القاضي ويكاد يكون هذا المنصب هو الوحيد الذي ترك بيد السكان الاصليين ولم يكن مرد هذه الاستعانة ، رغبة حكام الموصل الاجانب في اشراك السكان في مسؤولية الحكم ، بل لضعفهم الثقافي والديني ويظهر ان عوائل معينة في الموصل انيط لها هذا المنصب وبما يعزز هذا الرأي ما يذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن طاهر بن قاضي القضاة الشمس بن يونس الشافعي الموصلسي اذ يقول «وولي قضاء الموصل ، كأبائه من قبل سنين . . . وحدث سيرته الى ان ثار اصحابان «اسبان» بن قرة يوسف ، وعاث بتلك البلاد ، فلما اخذ الموصل عذبه حتى هلك في العقوبة سنة ٨٣٣هـ .^(١٩) .

ويلى القاضي في الاهمية الصوباشي وواجباته الاساسية هي حفظ الامن ومراقبة الابنية المتداعية وتنبية اصحابها باصلاحها والاشراف على الحامية العسكرية في المنطقة ، وكان عليه ايضا معاونة القاضي في تنفيذ اوامره الشرعية^(٢٠) .

اما الامور المالية في المنطقة فكان المسؤول عنها موظف يعرف باسم (اتو شمال Tuşmal) وواجبه الاشراف على عملية جمع الضرائب والرسوم وارسالها الى ديوان الاستيفاء Divan – istifa في العاصمة تبريز^(٢١) .

كما وجد في الموصل منصب آخر، وهو «مجبب الغلة»^(٢٢)، كان واجب من يتولاه جباية حصة الدولة من المحاصيل الزراعية في المنطقة وتخزن الغلال من الحبوب والعلف، ووضعها تحت تصرف الحامية، عند تكليفها بواجب قتالي.

انحسر الحكم القرة قوينلي في الموصل سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٩م فانطوت بذلك صفحة أخرى من تاريخ الحقبة المظلمة التي اعقبت الغزو المغولي وبدأت صفحة جديدة هي صفحة الاق قوينلو.

الموصل تحت سيطرة (الخروف الابيض)؛ آق قوينلو
٨٧٢-٩١٤هـ / ١٤٦٩-١٥٥٨م

أولاً: الاق قوينلو بين الترحال والاستقرار

كانت الاق قوينلو «البانديريه» من العشائر التركمانية التي نزحت في اواسط اسيا واستقرت فترة من الزمن في اذربيجان، وكان ذلك في فترة حكم السلطان الايلخاني ارغون (١٢٨٤-١٢٩١م) غير ان الاق قوينلو نزحوا فيما بعد الى جهات ديار بكر^(٢٣) وفي مطلع القرن الخامس عشر، بدأت دائرة نفوذ الاق قوينلي تتسع، لتشمل كلا من ماردين وخرتوت اضافة الى ديار بكر^(٢٤) ويعود الفضل في ذلك الى جهود رئيس العشيرة قرة عثمان الذي نعتته المصادر بـ «قرة عثمان يلوک»^(٢٥)، تعريفاً بشراسته واستباحته لدماء خصومه، وجبه للغزوات شأنه شأن تيمورلنك، القائد التيموري في المعروف وعلى قاعدة شبيه الشهي منجذب اليه، فقد اتخذ تيمورلنك قرة عثمان خليلاً له في حله وترحاله وتشير المصادر انه كان حامل راية القوات التيمورية عند غزو تيمور لبلاد الشام^(٢٦)، وجهوده واخلاصه لسيده، كافاه تيمورلنك بمنحه اربيل وسنجار والموصل اقطاعاً كما أقر وضعه كحاكم مطلق لكل من ديار بكر (امد) وماردين فعاشت اماره الاق قوينلو عصرها الذهبي وبدأت الامارات الاخرى في الاناضول تحسب لها الف

حساب، لهذه القوة القبلية الفتية، غير ان وضع الامارة قد تأثر كثيراً بعد انهيار الحكم التيموري في العراق سنة ١٤٠٥م اذا انحسر حكمهم في اربيل والموصل وسنجار وبدأت دولة القرة قوينلو تمارس ضغطاً شديداً على الاق قوينلو وبالتعاون مع الممالك الذين عانوا الامرين من هجمات قرة عثمان على مدنها التخومية، خاصة الرها «أورفة حالياً في تركيا»^(٢٧) لقد خرقة عثمان القائد الاق قوينلي، صريعاً سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م على يد أسكندر بن قرة يوسف القرة قوينلي^(٢٨)، الذي ارتكب خطأ كبيراً في عدم ملاحقة فلول الاق قوينلي المنهارة الامر الذي فسح المجال للاق قوينلو في إعادة تنظيم قواتهم وترتيب بيتهم من الداخل في فترة لا تتجاوز الا سنوات معدودة، فقد استطاع احد امراءهم المدعو اوزون حسن (الطويل) من تصفية كل الامراء المعارضين في الداخل اولاً ثم زحف نحو القرة قوينلو في عقر دارهم فانزل ضربة قاصمة بخصمه اللدود جهان شاه في موش ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م فدانت له في السنوات التالية الثلاث كل من بلاد فارس والعراق وارمينيا وشرق الاناضول^(٢٩) وهنا يعلق المؤرخ مينورسكي وهو من ابرز المختصين بتاريخ هذه الفترة عن اهمية بروز حسن الطويل وخلال فترة قصيرة كرجل دولة «لم يمثل حكم اوزون حسن بروزاً للاق قوينلو فحسب، بل مثل اعظم الخطوات الاق قوينلوية نجاحاً ولا يمكن عزوها الى الظروف غير الطبيعية التي احاطت بها كانهيار القوة التيمورية او نتائج ماخاضه الطويل من معارك وعلى الرغم من اهمية التفسيرات السابقة فان ماحمله من صفات بالغة الاهمية ليس في كونه قائداً عسكرياً بل في كونه رجل دولة ايضاً^(٣٠).

ثانياً: الموصل تحت السيطرة الاق قوينلو:

ثمة صعوبات كبيرة تواجه الباحث عن الازواضع السياسية والاقتصادية والادارية في الموصل وتوابعها. فالمصادر المتوفرة لدينا تسهب في الحديث

الموصل والجزيرة الفراتية لتدخل مرحلة من الفوضى والاضطراب انعكست على اوضاع الموصل الاقتصادية والاجتماعية وبقدرة تعلق الامر بالاوضاع الاقتصادية فقد استمر الاق قوينلي في توزيع الاراضي على اتباعهم كاقطاع استغلال ولكن بشكل متخلف متبعداً كثيراً عن شكله الايجابي في العصور الاسلامية وكانت مخيلة الاقطاعي الاق قوينلي . عن وسائل ابتزاز ما نزل بها من سلطان في سبيل تسخير الارض ومن عليها لخدمة مآربه ومآرب اسباده القابعين في تبريز ، وبالإضافة الى الضرائب الشرعية المفروضة على السكان فان الضرائب غير الشرعية تنوعت وجبايتها خضعت لامزجة الحكام المحليين ومن الضرائب التي شاعت في عهد الاق قوينلو هي ضريبة اردغادة وهي ضريبة قديمة كانت تؤخذ من المنازل لاغراض تعبير القلاع وكذلك ضريبة ثمنغاي سياه Tam-gayisiaha وباج بزرک Baci Buzurk^(٣٥) ، ورسم العروس وليست لدينا اي معلومات عن مقداره ولكن لنا ان نفترض ان التميز بين زواج الباكرو والمرأة الثيب ، كان واردا في هذا المجال ، كما فرض الاق قوينلي رسم السياب resim - asyab^(٣٦) ، وهو رسم يفرض على الطواحين . كما تسعف امراء الاق قوينلو في جميع الضرائب الديوانية^(٣٧) .

ويبدو ان هذه الضرائب والرسوم لم تشجع بطون حكام الاق قوينلو فلجأوا الى بيع الاراضي الاميرية والمنشآت القائمة عليها وهو اجراء يعكس بالضرورة شعور امراء الاق قوينلو في عدم اطمئنانهم على المستقبل ورغبتهم في جمع اكبر ما يمكن جمعه من اموال خلال فترة قصيرة فقد عرضت للبيع قرى باطويا الواقعة في بلد المرج ، وبرابنتا من اعمال الجزيرة العمرية وجميع الحمامات بقرية كرمليس من اعمال الموصل والرحى الواقعة بقرية زورانا المساة برحى رثيان من اعمال الجزيرة العمرية وكان ذلك في سنة ٨٩٦هـ^(٣٨) .

اما فيما يتعلق بالوضع الاداري للموصل في

عن الاحداث ذات الصلة بعلاقات الاق قوينلو الخارجية سواء مع المالك في بلاد الشام ومصر او مع القوى الاوربية ونادرا ما تنعرض لحكام المدن وسنوات حكمهم وتأسيا لما سبق فلم نجد الا نصا واحدا في الغياثي نقلا عن ديار بكره بشير الى قيام حسن الطويل بتعيين خليل اغا التواجي حاكما على الموصل وشاه علي حاجيلو على اربيل عند زحفه على بغداد ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م^(٣٩) ، الامر الذي يعني ان الموصل دخلت تحت السيطرة الاق قوينلوية منذ السنوات الاولى لقيام حكم الاق قوينلي .

ان الصورة الايجابية التي ترسمها المصادر المحلية والمملوكية عن فترة حكم حسن الطويل القصيرة من انها فترة استقرار وامان والمباشرة بتشريع قوانين ادارية ومالية واجتماعية من شأنها تحقيق العدالة بين الناس اذا طبقت بشكل سليم ، يقول الغياثي وهو مصدر معاصر «كتب قانون نامة في الشكاوي والتخاصم الذي يقع بين ما يوجب على كل شيء من التعزير والتحریم وغير ذلك وارسلها الى جميع بلاده .. ولم يغادر من امور العدل شيئا يقدر عليه الا وفعله»^(٤٠) ، كما اصدر قانونا حول كيفية جباية الاموال من الرعايا ، وبغض النظر عن شك بعض المؤرخين حول وجود قانون في عهد حسن الطويل وان مافعله هو جمع للنظم المحلية المتوارثة وتنظيمها^(٤١) فان مجرد التفكير في الاقدام على هذا العمل يعد بمجد ذاته مؤشرا ايجابيا قياسا الى من سبقه في حكم البلاد . وفي ضوء ما سبق نستطيع القول ان الموصل عاشت في ظل نوع من الاستقرار النسبي في عهد حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب «٨٨٢ - ٨٩٦هـ» الذي حذا حذوابيه في فرض هيمنته على الامراء ومحاولته تطبيق قوانين الشريعة غير ان الامور اضطرت بعد وفاة السلطان يعقوب ، لم يكد يتوسد الثرى حتى انطلق ورثته والطامعين في السلطة ، يتسابقون في حبك المؤامرات للوصول الى كرسي الحكم^(٤٢) ، فعادت

الذي وضع كتابه في النصف الأول من القرن التاسع عشر الذي شهد انتماشا في الدراسات الانثروبولوجية ، حول «الطوطمية» التي كانت سائدة عند القبائل الأسترالية والهنود الحمر، فاسقط مالكوالم نتائج دراسات علماء الانثروبولوجيا على القبائل التركية في اواسط اسيا. غير ان الدراسات التركية الحديثة اسقطت هذا الاعتقاد، فقد اظهرت هذه الدراسات ان اعلام ورايات الفترة قوبيل والاق قوبيل خالية تماما من صورة لهذا الحيوان وانما عليها اسماء الحكام والخلفاء الراشدين، كما ان قبورهم تقليدية شأنها شأن قبور المسلمين. انظر دراسة :

Faruk sumer • Kara koyunlar (Ankara 1967) – I
cit 55 – 13 – 15

ويبدو ان تسميتهم بقره قوبيل وآق قوبيل قد شاعت بعد وصولهم جهات اذربيجان والاناضول، الخراف السود والبيض، كما عرف غيرهم باصحاب الماعز السوداء «قرة كيجلي» وهي عادة شائعة معروفة في تميز مجموعة بشرية بما تملك في حيوان أو شيء آخر. انظر: عباس الغزالي (تاريخ العراق بين احتلالين) بغداد ١٩٣٩. ص ٢٤.

(٣) ارزنجان وسيواس : ارزنجان او ارزنگان : مدينة قديمة ضمن بلاد ارسنة وهي الآن في الجهة الشرقية من تركيا اما سيواس فهي مدينة تركية معروفة وتقع على نهر قيزل ايرماق. انظر : كمي لسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس ، وكوكيس عواد . «مطبعة اسعد بغداد ١٩٥٤. ص ١٥٠-١٧٩.

(٤) I. Hakki, uzun, car, sili, Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu, kararoyunlu, Devletleri.
(Ankara 1969). 5. 180

وقارن مع مايلذكرو :

malcolm op.cit. Vol. 1.p. 491.

(٥) عبد الله بن فتح الله البندادي، التاريخ الغياي، تحقيق طارق الحمداني (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٣٧ وما بعدها

(٦) انظر بحثا المنشور: العراق والغزو القره قوبيل في القرن الخامس عشر بمجلة المورخ العربي العدد ٢٨ لسنة ١٩٨٦. ص ٣٨ :

(٧) uzun, cursili. op. cit. 5. 182.

(٨) جهانكير زيل اوغلو: مختصر اذربيجان تاريخي (استانبول) ١٩٢٤. ص ٨٩.

(٩) لمزيد من التفاصيل : انظر عباس الغزالي : المرجع السابق ج ٣. ص ١٩٦-١٩٧.

(١٠) التاريخ الغياي ص ٢٤٥-٢٥٣.

(١١) المصدر السابق نفسه ص ٣٠٥.

(١٢) للوقوف على تفاصيل أكثر عن الغزو التيموري للعراق انظر جاسم حسين الماوي : الغزو التيموري للعراق والشام واثاره السياسية ١٣٨٥-١٤٠٥ م

هذه الفترة. فقد انفصلت الجزيرة عن تبعتها للموصل، فشكلت وحدة ادارية واحدة ويشير البرليسي ان أول حكامها في عهد حسن الطويل هو جلبي بك (٣٩).

كما ان الموصل لم تعد مركز اقليم كما كان في عهد القره قوبيلو بل اصبحت مدينة تابعة لولاية ديار بكر مركزها امد^(٤٠)، ويعتقد ان هذا التغير الاداري قد ارتبط الى حد كبير بالتطورات السياسية والعسكرية التي حصلت في المنطقة والتي تمثلت في تدهور العلاقات المملوكية الاق قوبيلو من جهة والعلاقات الاق قوبيلو- العثمانية من جهة ثانية.

على اية حال فقد ظلت الموصل تحت سيطرة الاق قوبيلو حتى مطلع القرن السادس عشر حيث سقطت دولة الاق قوبيلو في العراق سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م على يد الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية وبسقوطها تكون صفحة أخرى من تاريخ الحقبة المظلمة قد انطوت بينا بقيت الموصل تدافع عن شخصيتها الاجتماعية والثقافية جاهدة تحاول تجاوز مرحلة الانكفاء رغم استبدادية الادوات القمعية والبطشية التي توسل بها الحكام الطائرين على البلاد.

الهوامش

(١) رغم امتداد النفوذ القره قوبيل على جهات الموصل واربيل وستجار قبل مايقرب من سبع وثلاثين سنة من قيام دولتهم سنة ١٤١١م غير اننا لم نجد الاسهاب في الحديث عن اوضاع الموصل خلال تلك الفترة، لان القره قوبيلو كانوا تابعين للدولة الجلانية، وبالتالي ليست لهم سياسة خاصة، ولان التطورات التي وقعت خلال فترة التبعية، والتي تمثلت بالغزو التيموري للعراق ١٣٩٣-١٤٠٥م كانت موجهة ضد الدولة الجلانية بالاساس وليست ضد القره قوبيلو وهم قوة قبلية صغيرة.

(٢) القره قوبيلو والاق قوبيلو: اي اصحاب الخراف السود والبيض على التوالي وقد وقع أكثر من مؤرخ في خطأ عندما اعتقدوا ان التسمية «القره قوبيلو» جاءت لرسمهم صور الخراف على اعلامهم وراياتهم ونصبتهم هياكلها على قبورهم ومصدر هذا الخطأ، كان المؤرخ الانكليزي مالكوالم Sir. Joun, malcolm

- (٢١) Ibid. 5. 201
- (٢٢) اشار الثنائي الى قيام حبيب الفلة في الموصل بمراقبة حاكم المدينة (الموصل) عيسى بيك في حملته على العشائر في سنجار والخانيات سنة ٨٤١هـ، الامر الذي يحملنا على الاعتقاد انه كان يشرف ايضا على الاسلاب والغنائم.
- انظر التاريخ الثنائي. ص ٢٧٢
- (٢٣) ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني
- اخبار الدول واثار الاول في التاريخ (بغداد ١٢٨٢ ص ٣٣٦
- (٢٤) uzun, car, sili op. cit. 5188.
- (٢٥) التاريخ الثنائي. ص ٣٧٢. Vol. 1. p. 430. Malcolm op. cit.
- (٢٦) للوقوف على تفاصيل أكثر انظر, uzun, car, sili. op. cit. s, 189.
- انظر كذلك: نظمي زادة مرتضى افندي، كلشن خلفا. ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس. (النصف ١٩٧١) ص ١٧٦.
- (٢٧) لقد تكررت غارات قره عثمان على الاراضي المملوكية طيلة الفترة ٨٢١هـ - ٨٢١م / ٨٣٢هـ - ١٤٢٩م، فغارت مدن عنتاب والبيرة والرها، الأرمين وتعملت شتى انواع المآسي والفقر للاستزادة انظر ابن حجر العسقلاني إنباء الفهر باباء العمر تحقيق حسن حبشي / القاهرة ١٩٧٢، ج ٣ ص ١٧٠ - ٤٢٢.
- (٢٨) ابن تقي بريدي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
- تحقيق ابراهيم علي طرخان / القاهرة (١٣٩١هـ / ١٩٧١) ج ٥ ص ٢٠١.
- (٢٩) عن الصراع العائلي الذي احدثم بعد قتل قره عثمان، انظر بالتفصيل التاريخ الثنائي ص ٣٧٣ - ٣٧٨.
- (٣٠) Peter, Jackson, (editor), the cam Bridge History of Iran (volume 6) (london. 1986) p. 169.
- (٣١) التاريخ الثنائي ص ٣٣٤.
- (٣٢) المصدر السابق ص ٣٩٢.
- (٣٣) V. F. minorsky the Aqqouonlu and land. Reforms, Bulletin of the School of oriental and African Studies (london 1955) Vol. xvit. Part. 3. p459.
- (٣٤) للوقوف على تفاصيل أكثر انظر: 5. 193. uzun, cars, ili. cit.
- (٣٥) يلاحظ الباحث ان الضرائب الاق قونيلوية هي استمرار للضرائب التي كانت تجبي في الفترة الإيلخانية والجلالونية والقره قونيلوية وان الاختلاف الوحيد هو في التسميات فقط كما ان العثمانيين لم يغيروا من واقع الامر شيئاً بل ان الوثائق العثمانية تشير صراحة ان هذه الضرائب هي ما كانت في عهد حسن بادشاه (حسن الطويل) فرضية تمنحني سياه (الاسود) وباج برزك (الكبير) ضربتين فرضان على السلع والمتوجات الزراعية والصناعية والاواني النحاسية والفضية والاحمال والاملاك، والفرق بين تمنحسياه وباج برزك ان الضريبة تؤخذ عن السلع التي تمر من مدينة الى اخرى وهي للبيع في حين باج برزك هي ضريبة العبور فقط.
- رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٧٦ ص ٣٧ وما بعدها.
- (١٣) ابن تقي بريدي الاتابكي: النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة
- دار الثقافة والارشاد القومي. القاهرة. (د.ت) ج ١. ص ١٩٨.
- (١٤) E. Ashotor, A social and Economic History of the near east. in the middle ages - (london 1979) p 377.
- انظر كذلك ياسين بن خير الله العمري. زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية
- تحقيق وتعليق د. عاهد عبد السلام رؤوف (النصف ١٩٧٤) ص ٥٢ - ٥٤.
- (١٥) التاريخ الثنائي. ص ٢٦٩ ويؤثر الثنائي الى ان اثار التسمم قد استمرت لفترة طويلة فكان اذا مرض احد من السكان قيل (هو من طول مدة الحصار).
- (١٦) المصدر السابق نفسه ص ٢٦٩.
- (١٧) اصبحت كل من كركوك وداقوق تدار من قبل حاكم الموصل منذ سنة ١٣٩٣ / ٧٩٦هـ عندما منحتا كقطاع سيرورغك ونوع من اقطاع التملك، وظلتا كذلك حتى ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م اذا رجعا لدائرة نفوذ حاكم بغداد.
- انظر: نظام الدين الشامي، ظفرنامه، تحقيق فيلكس تاوور. (براغ ١٩٣٧) ص ١٤٥ وما بعدها.
- ولم ترد في المصادر اشارة الى قيام حكام القره قونلي باجراء تغيير في الوضع الاداري للعراق، اذ بقي كما كان الحال في العهد الجلائري والذي هو استمرار عما كان عليه في الفترة الإيلخانية.
- انظر جعفر حسين خصبك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين (مطبعة الماني بغداد ١٩٦٨) ص ٧٨ - ٧٩.
- عاهد عبد السلام رؤوف، حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الإيلخانيين ٦٥٦ - ٧٣٨هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٨م. مجلة المورخ العربي العدد ١١ لسنة ١٩٧٩. ص ٥٢ - ٨٦.
- (١٨) كان يرتبط بالوالي عدد كبير من الموظفين الذين يساعدونه في ادارة المنطقة، في المقدمة منهم رقيبدار Rikbdar الذي هو عين الوالي على كل صغيرة وكبيرة ثم الاناق inak، وفي هذه الفترة كان واجبه تنظيم عملية الاتصال مع حكام المدن التابعة للموصل ثم يليه برده دار Perdedar وهو شبه ما يكون بالحاجب وهناك جاندار Candar وهو المسؤول عن البريد ويتداخل واجبه مع واجب المصاحب musahip
- انظر uzun cur, sili - op cit 205
- ولاغراض المقارنة انظر: ابو العباس احمد بن علي الفلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا. (المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٩٦٣). ج ٤. ص ٣٢٨.
- (١٩) انظر ترجمته بالتفصيل: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الضوء اللاع لاهل القرن التاسع. (بيروت. لا. ت) ج ٨. ص ٢٧٤.
- (٢٠) uzun, cur, sili. op. cit. S. 201.

(٣٨) بطرس نصري القلداري : ذخيرة الاذهان في تواريخ المشاركة والمقاربة السريان (الموصل ١٩١٣م) ج ٢ ص ٨٤.
(٣٩) شرف خان البريلسي. شرفنامه، ترجمه الى العربية، محمد علي عوني (دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨) ج ١ ص ١١٩.
(٤٠) لمرقة مزيد من التفاصيل عن التفسيرات الادارية لولاية ديار بكر في نهاية حكم الاق قوينلي انظر: Sevkett, Bey san oglu

Risaltlmlis, Diyarbakir Tarihi ve Abideleri Ank-ara 1960. ss. 180 – 185.

انظر: عبد الرحمن وقي، تكاليف قواعدي (قدر مطبعة س - استانبول ١٣٢٨هـ، ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١

(٣٦) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي ١٦٣٨ - ١٧٥٠م (الطروحة ماجستير، قدمت الى جامعة بغداد ١٩٧٦) الصفحات ٣٣٢.

(٣٧) الديوانية : ضريبة تفرض لمواجهة الحالات الطارئة مثل المجاعة او الحرب من قبل السلطان الاق قوينلي.

الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخوفا السود والخوفا الابيض

٨١٤ - ٩١٤هـ / ١٤١١م - ١٥٠٨م

د. احمد عبدالله الحسو

توفر استقرار سياسي فيها، ولقد كان حظ مدينة الموصل في استمرار هذا التكامل اكبر منه بالنسبة الى مدن أخرى في العراق، خلال العقود الستة عشرة (٦١٨ - ٧٧٨) التي سبقت تاريخ تسلط اسرة قوينلو (باسم الجللائين) على الموصل سنة ٧٧٨هـ، حيث انها لم تتعرض الى نفس الضراوة والتأثير اللذين تعرضت لهما بغداد ومدن أخرى في العراق، جراء الاحتلال المغولي ثم الجللائي، واذ كان هذا الوضع قد اعطى الموصل قدرة على مواصلة انشطتها الاقتصادية، ومواجهة التحديات المغولية والجللائية كما اشرنا الى ذلك في مبحث سابق فإنها مع سنة ٧٧٨هـ؛ اي مع بداية تسلط قبائل قوينلو شهدت وضعاً مختلفاً، أدى الى إضعاف قدرتها تلك على مواصلة أنشطتها الاقتصادية، فعَهِمَة القبائل المشار اليها على الموصل بخاصة، واقليم ديار بكر والحزيرة بعامة، اصبحت المنطقة يرمتها مسرحاً لاضطرابات وحروب شبه دائمة، سواء بين ابناء الاسرة الحاكمة ذاتها، او بينها وبين غيرها^(٢)، كما أن اعتماد هذه القبائل

أصبحت الموصل - كما ورد آنفاً - تحت النفوذ الفعلي لأمانة الخوفا السود؛ قرة قوينلو سنة ٧٧٨هـ، على الرغم انهم من لم يهيمنوا عليها استقلالاً مع بقية أنحاء العراق، الا في سنة ٨١٤هـ عندما تمكنوا من إنهاء حقبة التسلط الجللائي^(١). استمرت المدينة تحت سيطرتهم حتى سنة ٨٧٢هـ، ثم حلت محلهم امانة الخوفا الابيض؛ آق قوينلو التي ظلت تحكم الموصل وبقية أنحاء العراق حتى سنة ٩١٤هـ.

عالجنا في المبحث السابق اوضاع الموصل السياسية خلال الحقبة موضوعة البحث، وسوف نتناول هنا الواقع الحضاري في الموصل إبان الحقبة ذاتها.

الوضع الاقتصادي:

أدت الموصل عبر عصور التاريخ المختلفة دوراً فاعلاً وإيجابياً في اقتصاد المناطق المحيطة بها، بيد أن هذا الدور كان دائماً رهيناً بالتكامل بين انشطتها الاقتصادية، وأنشطة المناطق المشار اليها، وبضمان

على الرعي والتنقل لم يدفعها الى الاهتمام باستثمار الارض ، بل باستهلاكها ؛ ونعني بذلك اتخاذها مراعي لها تردا مع كل شتاء^(٣) ، كما أن الموصل والمناطق المحيطة بها ، كانت خلال العقود السبعة التالية لسنة ٧٧٨هـ ؛ تاريخ ابتداء وجود قبائل قره قوينلو فيها ؛ اي حتى سنة ٨٤٨هـ ، عرضة لغزوات عدة^(٤) ، كما انها خلال الحقبة نفسها تعرضت اربع مرات لاحتلال التيموريين بقيادة تيمورلنك^(٥) .

ان بالامكان تصور مايكون قد نجم عن ذلك من تأثير سلبي على الوضع الاقتصادي ، وبخاصة مايتعلق بالزراعة والتجارة ؛ وهما عنصرا اساسيان في اقتصاد المدينة . ورغم ان المؤرخين المعاصرين لهذه الحقبة لم يحددوا حصراً ما اصاب الاقتصاد من خلل ، الا انهم تحدثوا عن التخريب الحاصل بعامه ، كالذي جاء على لسان ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ في معرض ترجمته لأحد أبرز قادة اماره قره قوينلو ؛ ونعني به قره يوسف (ت ٨٢٣هـ) حيث قال :

(وقد خربت في ايامه ، وايام اولاده ، مملكة العراقيين)^(٦) وقال عن التخريب الذي اصاب الموصل في عهد ابنه أصبهان « وأخرب .. الموصل »^(٧) ويتفق مع ابن حجر في اعطاء هذه الصورة ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) فقد ذكر أن أصبهان بن قره يوسف ثار على اخيه سنة ٨٣٣هـ « ونزل على الموصل ، ونهب تلك البلاد ، وقتل ، وأفسد فساداً كبيراً »^(٨) ، وجاء في تقرير لمؤلفه كان السلطان المملوكي قد ارسله لكشف احوال العراق ، نقل لنا ابن تغري بردي جانباً مما جاء فيه (قدم التقرير في شوال ٨٣٧هـ) بخصوص الموصل فقال :

وانه - يعني أصبهان بن قره يوسف - خرب ايضاً الموصل حتى صارت مثل بغداد ، واعظم ، من انه سلب اهلها ، وأمرهم فأخرجوا ، وتزقوا في

البلاد)^(٩) .

وتبدو هذه الصورة التي نقلها لنا مؤرخان مصريان معروفان بمكانتهما الرصينة في الكتابة التاريخية ، وبقرها من مركز الأخبار ، اعني الدولة المملوكية ، متفقة مع انطباعات مؤرخ عراقي معاصر (كان حياً سنة ٨٩١هـ) هو الغياث البغدادي الذي قال : « ما عمى قلوب هذه الطائفة - يعني حكام قره قوينلو - [التي] تدعي التسلط على عباد الله بغير الحق ، كلما زادهم الله نعماً ، زادوا عنواً وفجوراً »^(١٠) ووصف اصبهان المشار اليه آنفاً بالظلم والفجور ، ووصف أخاه جهانشاه بأن « ظلمه وفجوره وفكره الفاسد ، أخرب البلاد ، واباد العباد »^(١١) .

في إطار هذه الصورة القائمة للموصل ، وبقبة مدن الجزيرة ، والعراق ، إبان الحقبة موضوعة البحث ، نقف على حدود دنيا من الأنشطة الاقتصادية ، يستدل عليها ، مما يأتي :

١- استمرار صناعة الأقمشة المعروفة بالموزلين Muslin ، وهي اقشة حريرية مذهبة اشتهرت بها الموصل ، ويبدو ان انتاجها لم يكن لغرض تغطية السوق المحلية فحسب ، بل لتصديرها الى اقطار أخرى.^(١٢)

٢- ان ارتفاع مستوى التخصص في هذه الصناعة ، ونتاج قماش ذي تقنية عالية ، يعني ان المدينة كانت تنتج غير الموزلين من القماش . ويفترض في ضوء ذلك ان الصناعات المرتبطة بصناعة النسيج كالندف والغزل ، وصيغ الغزل ، وقصرها كانت قائمة ، كما انه يعني توافر المواد الأولية اللازمة لها من حرير وقطن وغيره .

٣- ان قيام التجار الموصليين بتصدير كميات كبيرة من قماش الموزلين الى بلاد الشام ومصر حتى عهد السلطان المملوكي الأشرف

ماردين^(١٥) .

الوضع الثقافي :

على الرغم من ان المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة والقرية منها ، اهتمت بأخبار امراء قره قوينلو وآق قوينلو الا انها لم تتضمن مايفيد برعايتهم او اهتمامهم بالعلم والثقافة . إن غياب هذا الاهتمام ادى الى غياب المؤرخين الذين كان من الممكن - لو أنهم وجدوا - ان يضعونا امام بعض الحقائق التي قد تبيط اللثام - لوجدت - عن الوضع الثقافي والعلمي للموصل في هذه الحقبة ، كما ان ما قنا به من مسح لمعظم كتب التراجم التي تطرقت لرجال القرن التاسع والعاشر الهجريين لم تسعنا الا في حدود ضيقة ، فبين أكثر من اثني عشر ألف ترجمة لشخصيات القرن التاسع الهجري والتي تضمها كتاب الضوء اللامع للمؤرخ المصري شمس الدين السخاوي^(١٦) ، لم نجد الا ترجحات محدودة لشخصيات علمية موصلية ، أما كتاب (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) للغزي ، فلم يتضمن اية ترجمة لمثقفين عاشوا في الموصل^(١٧) .

واذا كنا امام هذا النزر القليل من المعلومات عن الحياة الثقافية في الموصل ابان حقبة تسلط اسرتي قره ، وآق قوينلو ، فإن المثقفين الموصلين - على قلوبهم - كان لهم نشاط نسبي خارج مدينتهم ، اذ تظهر كتب التراجم مجموعة من الشخصيات التي سبق لها ان هاجرت بحثاً عن مأمن او حياة أفضل ، وكما هو واضح من الجداول (١ ، ٢ ، ٣) حيث بلغ عددهم ثمانية عشر مهاجراً ، من اصل عشرين شخصية ثقافية ، امكننا معرفتهم خلال هذه الحقبة ، وهذا يعني ان الهجرة بين المثقفين شكلت مايقرب من ٨٠٪ من مجموع اعدادهم ، في حين ان ٢٠٪ فحسب من المجموع العام

برسبائي^(١٨) يؤشر وجود نشاط تجاري مماثل مع اقطار اخرى فتل هذا النشاط امرطبيعي مادام تجار الموصل قد وصلوا بتجارتهم الى مصر وشواطئ البحر المتوسط ، كما أن من الطبيعي كذلك انهم كانوا يتاجرون الى جانب (الموزلين) بمواد أخرى من انتاج الموصل كالتحف المعدنية التي اشتهرت بها . واذا كان من الطبيعي أن نفترض أن الصناعات المحلية الأخرى التي عرفتها المدينة ، وتميزت بها خلال الحقب السابقة كالصناعات الخشبية والفخارية والمعدنية ومواد البناء وغيرها ، كانت قائمة بحكم الحاجة اليها ، فإن من الصحة بمكان الانبأ في ذلك ، فإن هذه الأنشطة قامت في بيئة معمة في التخلف والجهالة ، والفوضى ، والواقع أن ما عرفناه من تراجع في الدور الحضاري لمدينة الموصل خلال عهد التسلط الأبلخاني (المغولي) ثم الجلائري ، غدا في عهد أسرتي قره قوينلو ، وآق قوينلو أكثر تعقداً ، إذ دفع تحلفها ، وفساد ادارتها ، بالمدينة الى فقدان دورها القيادي ، وتمكن قيم البداوة منها . ولا يتناقض مع هذا الحكم ، أن كلا من الاسرتين المشار اليها ، اتخذتا من المدن مستقراً ، وتنافسا في الحصول عليها ، ذلك ان حرصهم هذا لم يعكس نزوعاً نحو التحضر والتطبع بقم المدينة ، فلم تكن بالنسبة لهم سوى مراكز يطمون بقلاعها واسوارها ، ويستفيدون من المراعي المحيطة بها ، فهي أثبتة ماتكون بمعسكرات لهم ، فضلاً عن انهم لم يظهروا حرصاً على تعمير المدينة ، او الحفاظ على عمرانها . ودليلنا على ذلك انهم كانوا اذا ماتصارعوا ، بعضهم مع بعض على مدينة ما ، اعتادوا ان يقوموا بتخريبها ، قبل مغادرتها ، كما حصل لمدينة اربيل^(١٩) ، بل انهم نظروا الى المدن كما لو انها سلعة تباع وتشترى ، فهذا ما فعلوه في الموصل سنة ٨١١ هـ عندما قام حاكمها قره يوسف بمقايستها مع مدينة

الجدول رقم (١)
يتضمن اعداد المواصلة الذين تخصصوا في العلوم الدينية ، خلال حقبة
تسلط اسرتي قره ، وآق قوينلو . (٨١٤ - ٩١٤ هـ)

الاسم	التخصص	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
ابو بكر (الشيخ) ^{١٨}	التصوف		ت ٨٥٣	الموصلي الدمشقي	مهاجر
داؤد بن سلبان ابن عبد الله ^{١٩}	الحديث حوالي ٧٦٤		ت ٨٤٤	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
عبد الملك بن المني بكر ^{٢٠}	الفقه		ت ٨٤٤	الموصلي الاصل الدمشقي المقدسي	مهاجر
عبد القادر بن ابراهيم ^{٢١}	الفقه	٧٨٨	ت ٨٦٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
علي بن محمد بن احمد ^{٢٢}	الفقه	—	ت ٨٨٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
علي بن محمد بن فتح الله ^{٢٣}	الفقه	—	حي ٨٤٦	الموصلي تزيل طرابلس	مهاجر
محمد بن احمد بن محمد ^{٢٤}	الفقه الادب	—	ت ٨٧٢	الموصلي ثم الدمشقي	مهاجر
محمد بن طاهر بن يونس ^{٢٥}	الفقه التفسير	—	٨٣٣ الموصل	الموصلي	مقيم
محمد بن محمد بن علي بن حسان ^{٢٦}	الفقه الادب	٨٠٠	ت ٨٥٥	الموصلي الاصل المقدسي ثم القاهري	مهاجر
محمد بن علي بن عبد الكريم ^{٢٧}	التصوف الادب		ت ٧٤٥	الموصلي الواسطي	مهاجر

الجدول رقم (٣)

يتضمن اولئك الذين كانت لهم اهتمامات ثقافية عامة خلال حقبة تسلط اسرني قره ، وآق قوينلو.

الاسم	التخصص	الولادة وسكانها	الزفة وسكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
علي بن يحيى بن ابراهيم ^{٣١}	—	—	حي سنة ٧٧٢ هـ	الاريلي الموصل	مهاجر
عيسى بن محمد بن قاسم ^{٣٢}	—	—	ت ٩٠٠ هـ	الموصل / الدمشقي	مهاجر
محمد بن أحمد بن عبد الملك ^{٣٣}	—	—	ت ٩٠٠ هـ	الموصل	مهاجر
محمد بن عبد الرحيم ابن محمد ^{٣٤}	—	—	ت ٩٠٠ هـ	الموصل الدمشقي	مهاجر
محمد بن علي بن يحيى ^{٣٥}	—	—	ت ٨٦٢ هـ	الموصل ابوه الدمشقي	مهاجر
محمد ^{٣٦}	—	٧٧٧ هـ	٨٦٠ هـ	الموصل	مقيم

الجدول رقم (٢)

يتضمن المواصلة الذين تركزت اهتمامهم على الأدب واللغة خلال حقبة تسلط اسرني قره ، وآق قوينلو

الاسم	التخصص	الولادة وسكانها	الزفة وسكانها او تاريخ كان فيه حياً	النسبة	مهاجر/ مقيم
أحمد بن محمد بن أحمد ^{٣٧}	اللغة — التفسير الحديث	٧٨٨	ت ٨٧٠ هـ دمشق	الجيلي الموصل الدمشقي	مهاجر
شعبان بن محمد بن داؤود ^{٣٨}	الأدب — اللغة	٧٦٥	٨٢٨	القرشي الموصل	مهاجر
عبد الرحيم بن محمد ^{٣٩}	الأدب	—	حي ق ٩٠٠ هـ	الموصل الدمشقي	مهاجر
محمد بن موسى ^{٤٠}	الأدب	—	ت بعد ٨٦٠ هـ	الموصل الأصل	مهاجر

الجدول رقم (٤)

يوضح اعداد المقيمين والمهاجرين والقادمين من المثقفين الموصلين خلال حقبة التسلط الايلخاني والجلائري واسرني قره وآق قوينلو.

المقيمون	المهاجرون	القادمون	المجموع
٣٢	٦٤	٢٥	١٢١
١٠	٣٤	٢	٤٦
٢	١٨	—	٢٠
٤٤	١١٦	٢٧	١٨٧

المغولي والجلائري ، كما ان ما وَجَدناه من نشاط

للمثقفين هي التي مارست نشاطها في الموصل فلم تهاجر منها . ويلاحظ ان هؤلاء المثقفين توزعوا بين مهتم بالفقه والحديث والتصوف وبلغ عددهم عشرة اشخاص ، وبين مهتمين باللغة العربية وآدابها لم يتجاوزوا اربعة منهم ، أما الباقيون الذين لم تحدد اختصاصاتهم وكان لهم اهتمام بالعلوم الدينية فقد بلغوا ستة اشخاص .

ان من الواضح ان التراجع الثقافي الذي تتبعناه في المباحث السابقة ، منذ الغزو المغولي للموصل سنة ٦٦٠ هـ بلغ اوجه في هذه الحقبة ، وهذا ما يمكن ان نتلمسه من ملاحظة الجدول (٤).

ان هذه الحالة تمثل نتيجة طبيعية لتراجع كان قد ابتدأ في حقبة سابقة ، وتعاضم مع الاحتلال

- (٨) ، ٤٨١ ، ٤٨٤ (٥) ، ٥٢٠ ، ٥٤٨ ، الغياني (تبعد ١٩٩١ هـ) التاريخ الغياني ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، ص ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ .
- (٣) Faruk Summer' Kara Koyunlar, Amkara, 1967. vol. I P. 41.
- (٤) إنباء الفرج ج ١ / ٥٢٣ ، ٤٧٢ ، ٤٥٠ ، ج ٢ / ٢٠٨ .
- (٥) المصدر نفسه ، ج ١ / ١٠٧ ، ١٣٣ ، ج ٢ / ١٩ ، الغياني ص ٢٣٧ .
- (٦) ابن حجر ، إنباء الفرج ج ٣ / ٢٣٠ .
- (٧) المصدر نفسه ج ٣ / ٢٢٠ .
- (٨) ابن تقي بري ، النجوم الزاهرة ج ١ / ١٠ ، تحقيق جمال محمد عزز وفهم محمد شلثوت ، المكتبة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ج ١٤ / ٣٤٨ ، ابن حجر ، إنباء الفرج ج ٣ / ٥٤٨ .
- (٩) ابن تقي بري ، المصدر السابق ج ١٤ / ٢٤٨ .
- (١٠) الغياني ، ص ٣٠٠ .
- (١١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ .
- (١٢) انظر المقرئ ، السلوك ، تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢ ، ج ٤ / ٢٠٢ ، ٧٢٢ ، ٨٠٠ ، وانظر الغياني ، (المرجع السابق ص ٤٤٠) .
- (١٣) المصدر نفسه .
- (١٤) الغياني ص ٢٦٩ ، ٢٨٦ .
- (١٥) ابن حجر ، إنباء الفرج ج ٢ / ٤٠٤ ، الغياني ص ٢٤١ .
- (١٦) يقع كتاب السخاوي في اثني عشر جزءاً ، وقد خصص الجزء الأخير منه إلى تراجم نساء القرن التاسع الهجري والحقن بهفوس تفصيل .
- (١٧) قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٢ .
- (١٨) الضوء اللامع ج ٨ / ٢٢٤ (٥٨٦) ، ويلاحظ أننا احتسبنا في هذه الجداول بعض الشخصيات الثقافية في أكثر من حقبة ، كما هو الحال بالنسبة للشيخ أبي بكر من هذا الجدول ، ذلك أنه عاصر حقبتين هما حقبة التسلسل الجلائري ثم تسلسل أسرة قره قوتلو .
- (١٩) المصدر نفسه ج ٣ / ٧٩٥ .
- (٢٠) المصدر نفسه ج ٥ / ٨٤ (٣١٤) .
- (٢١) المصدر نفسه ج ٤ / ٢٥٩ (٦٧٥) .
- (٢٢) المصدر نفسه ج ٥ / ٢٨٠ (٩٥) .
- (٢٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٦ / ١٣ ، الضوء اللامع ج ٩ / ١٣ .
- (٢٤) الضوء اللامع ج ٧ / ٧٢ (١٣٥) .
- (٢٥) المصدر نفسه ج ٧ / ٢٧٤ (٧٥) .
- (٢٦) المصدر نفسه ج ٩ / ١٥٢ (٣٨٧) .
- (٢٧) فهرس مخطوطات مكتبة أوقاف بغداد ، بغداد (رقم ٨٨٥) .

علمي وثقافي ابان ذلك ، يمثل أقصى حدود ما كانت تمتلكه المدينة - كآية مدينة اخرى من العراق عانت من الضغوط ذاتها - من تراكم خبرات ، وقدرات مادية ومعنوية ، بيد أن هذا التحدي المقابل ظل يتناقص بحكم تزايد التأثيرات السلبية للحكام المشار اليهم ، وتناقص موارد الوقف التي كانت الأجيال السابقة قد وقفها لصالح الأجيال اللاحقة ، وكانت ملاذاً للمثقفين وسبباً في استمرار المؤسسات العلمية والدينية ، لذا فقد وجدنا نسبة المثقفين الموصليين تتناقص مع تقدمنا زمنياً نحو حقبة التسلسل الأيلخاني فالجلائري ، ثم الحقبة موضوعة البحث هنا . كما نلاحظ ان نسبة اعداء المقيمين منهم في مدينتهم ، مقارنة بإعداد المهاجرين منهم ، تسير باتجاه عكسي حيث يتناقص المقيمون ، ويكثر المهاجرون حتى اذا وصلنا الى الحقبة التي نعالجها ، نقف امام حالة ضمور وتراجع في الحياة الأدبية والثقافية ، بحكم توفر عامل جديد الى جانب العوامل السابقة ، وهو أن الذي تولى قيادة المدينة قرابة مائة وستة وثلاثين سنة (٧٧٨ - ٩١٤ هـ) عناصر أجنبية أكثر أمية ممن سبقها ، لا تمتلك منظوراً حضارياً ، ولعل خير ما يوضح مقدار التأثير الذي أحدثته هذه العناصر ، الصورة التي قدمها شاهد عيان زار العراق بعد ستة عقود من تغلغل هذه القبائل في الموصل وما حوفا (سنة ٨٣٧ هـ) حيث قال :

«واستولت عليها - أي الموصل - العربان ، فصارت ... منزلة من منازل العرب بعد ان كانت تضاهي بغداد دار السلام» (٣٨) .

المواضع

- (١) انظر البحث السابق الموسوم : الموصل في عهد التسلسل الجلائري وكذلك البحث السابق .
- (٢) ابن حجر ، أنباء الفجر بآباء العمر ، تحقيق الدكتور حسن جيشي ، القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ ، ج ٣ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

- (٣٤) المصدر نفسه ج ٦ / ٣٢٩ (١٠٧٥).
 (٣٥) المصدر نفسه ج ٨ / ٥٣ (٦٣).
 (٣٦) المصدر نفسه ج ٨ / ٢٢٤ (٥٨٦).
 (٣٧) كحالة ، ج ١٢ / ٦٨.
 (٣٨) النجوم الزاهرة ج ١٥ / ٤٥.

- (٢٨) كحالة ، معجم المؤلفين ج ٣ / ٦٥.
 (٢٩) الضوء اللامع ج ٣ / ٣٠١ ، أنباء الفرج ج ٣ / ٣٥٣.
 (٣٠) المصدر نفسه ج ٨ / ٥٣ (٦٣).
 (٣١) المصدر نفسه ج ١٠ / ٦٥ (٢١٨).
 (٣٢) المصدر نفسه ج ٨ / ٢٢٤ (٥٨٦).
 (٣٣) المصدر نفسه ج ٦ / ١٥٧ (٥٠٤).



نُظْمُ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ

أ. د. توفيق اليوزبكي

الموصل في ظل الدولة العربية الاسلامية

اتسعت الدولة العربية الاسلامية إثر حركات التحرير العربي الاسلامي التي قام بها العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، وكانت من الاقاليم التي حررها العرب في عهده الموصل والجزيرة، وذلك بعد انتصار العرب على الفرس في معركة القادسية سنة ١٦ هـ = ٦٣٧ م بقيادة القائد العربي سعد بن ابى وقاص حيث تقدمت الجيوش العربية الاسلامية شمالاً الى تكريت ودحروا قوات الروم التي كانت بقيادة الانطاك بمؤازرة

القبائل العربية التي كانت في الموصل، واتجهت الجيوش العربية بعدها الى الموصل، فقد فتحت صلحاً على يد القائد العربي ربعي بن الافكل العنزي، وقيل إنها «فتحت سنة ١٨ هـ أو ٢٠ هـ بقيادة عياض بن غنم وعتبة بن فرق». (١)
 ويذكر بعض المؤرخين ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أمر عتبة بن فرق المسلمين بفتحها فقاتل أهل نينوى وَاخذ حصنها الشرقي وعبر دجلة فصالحه اهل الحصن الغربي. (٢) ويبدو أن الفتح

الاول كان قاصراً على الموصل فقط، وفي المرة الثانية أتمام تحرير المناطق المجاورة للموصل.

لقد ازدادت أهمية الموصل بعد تحريرها من قبل العرب في خلافة عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٦هـ = ٦٣٧ م فقد مصرها واختط منازل العرب بها حتى غدت إحدى القواعد العسكرية المهمة لحركات التحرير العربي الاسلامي والقاعدة الادارية لمنطقة الجزيرة فيعتبرها ابن قتيبة (٣) من أقاليم الجزيرة في حين يذكر الأزدى : ان الموصل هي الجزيرة وهي ما بين دجلة والفرات. (٤) وانها اقليم واحد باعتبار الموصل والجزيرة تشكلان وحدة جغرافية وبشرية مرتبطة بوشائج كثيرة منها أنهم عرب أصلاً تربطهم صلات قبلية واقتصادية لذلك اطلقوا على الموصل والجزيرة (الموصلان). (٥).

وقد حظيت الموصل بعناية المؤرخين العرب القدماء في مختلف مراحل تاريخها وظهرت العديد من المصنفات والكتب تناولت تاريخ الموصل والاحداث السياسية التي مرت بها والأسر الحاكمة التي تعاقبت على حكمها. ويعزى هذا الاهتمام الى الدور الكبير والبارز الذي نهضت به الموصل على مسرح الاحداث العسكرية والسياسية في المشرق العربي ومنذ التحرير العربي الاسلامي لها في عهد الراشدين والعهود التالية من أموية وعباسية، وفي فترات النفوذ الأجنبي من (فرس وترك وبوهميين وسلاجقة ومغول) وفي فترة قيام الامارات العربية شبه المستقلة من (حمدانيين وعقيليين).

وعظم شأن الموصل وغدت عاصمة اقليمية فنظمت بها الدواوين الخاصة بإعمال ادارة الجزيرة، واصبحت مركزاً عسكرياً للدفاع عن الحدود الشمالية الشرقية للدولة العربية الاسلامية، حيث نالت اهتمام المؤرخين والبلدانيين فوصفها ابن حوقل انها (مسكن سلطات الجزيرة ودواوينها وجنتي أموالها). (٦)

وكانت الموصل موطن العديد من القبائل العربية منذ عصور موغلة في القدم هاجرت من

موطنها الاصلي في الجزيرة العربية واستقرت في انحاء متعددة من الشرق القديم، ويؤكد هذه الحقيقة ابن حوقل بقوله إن (مدينة الموصل اهلها عرب ولهم بها خطط وأكثر اهلها من نافلة الكوفة والبصرة) (٧) وازدادت هجرات القبائل العربية بعد تحريرها. واصبحت الموصل يحكم موقعها الجغرافي احدى الثغور العربية المهمة. لانها باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى اذربيجان (٨). وهي المنفذ الذي يمكن ان تهدد منه جيوش الروم بلاد

العراق والجزيرة والشام. (٩) كما انها متصلة بآرمينيا واذربيجان (١٠) لذلك اهتم العرب بتأمين حمايتها ووضع قوات عربية فيها ولوقوعها على طرق التجارة العالمية. مما جعلها تتمتع بمكانة بارزة ومتقدمة من بين عواصم ومدن الدولة العربية مما حدا بالخليفة مروان بن محمد إلى ان يفكر في اتخاذها عاصمة جديدة له، وكاد ابو جعفر المنصور العباسي ان يتخذها عاصمة له لولا أن اهتدى الى موقع بغداد. أصبح إقليم الموصل والجزيرة يتكون من الناحية الادارية من ثلاثة اقسام: هي ديار ربيعة وديار مصر وديار بكر. (١١) وحددها ابن الاثير بقوله : إن الجزيرة هي البلاد الواقعة ما بين دجلة والفرات فيها: الموصل وسنجار وحران والرها والرقعة ورأس العين وآمد وميافارقين وديار بكر. (١٢) ويمكن تحديد اتجاهاتها من الشمال أرمينية وبلاد الروم، ومن الغرب بلاد الشام، ومن الجنوب السواد ومن الشرق والشمال الشرقي اذربيجان. (١٣) وبعد تحرير سواد العراق من السيطرة الفارسية وتحرير الموصل والجزيرة من النفوذ البيزنطي اتصلت اجزاء العراق ببعضها واخذت خارطته شكلاً موحداً ، وقد قسم العراق ادارياً منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) الى قسمين:

الأول: (الجنوبي) وهو ما اطلق عليه اسم (السواد) وقد حدد حده الشمالي من الأنبار على الفرات إلى تكريت على دجلة التي كانت تقع جنوبي الموصل والجزيرة، وحده الجنوبي فهو الخليج العربي،

ويتكون هذا القسم من ولايتين هما: الكوفة والبصرة ،
فولاية البصرة تشمل على البصرة والاحواز على
الخليج العربي ومنطقة الطيب ، أما ولاية الكوفة
فتشمل ما بقى من القسم الجنوبي.^(١٤)
والثاني : وهو الذي يقع شمال القسم الجنوبي ويعرف
باسم (الجزيرة) اذ يديره أمير الجزيرة الذي اتخذ من
الموصل مقراً لادارته وعاصمة لاقليم الجزيرة^(١٥).

ولاية الموصل في عهد الراشدين والامويين (١٦- ١٣٢ هـ) = (٦٣٧- ٧٥١ م)

بلغت الدول العربية الاسلامية من السعة في
خلافة عمر بن الخطاب (ر) بحيث ادى الى
صعوبة ادارتها مركزياً مما دفع الخليفة عمر (ر) الى
تقسيمها ادارياً الى عدة اقاليم (ولايات) وجعل
على كل اقليم او ولاية اميراً يعينه الخليفة ويحكم
باسمه ، ويكون مسؤولاً تجاهه^(١٦) ويتكون كل اقليم
من عدد من الكور^(١٧) ويتبع كل كورة عدد من
القرى يديرها موظف يعينه الامير ويكون مسؤولاً
تجاهه.

فكانت الموصل احدى الولايات المهمة في
عصر الراشدين ، وكان اغلب ولايتها ممن يتمتعون
بالقدرة والكفاءة العسكرية والادارية ، فهم الذين
يقودون الحملات العسكرية ويشرفون على شؤون
ادارة ولاياتهم ، وكانت مسؤولياتهم تجاه الولاية
تشبه لحد كبير مسؤولية الخليفة^(١٨) ويعاون الامير
(الوالي) في ادارة امور الولاية عدد من الموظفين
منهم صاحب الخراج الذي يتولى امور الجباية ،
والقاضي الذي يتولى النظر في الخصومات والحقوق
بين الناس ، وصاحب الشرطة الذي يتولى حفظ
الامن وتنفيذ احكام القضاء^(١٩)

وقد توالى على حكم ولاية الموصل في عصر
الراشدين نخبة من الامراء (الولاة) كانوا على درجة
كبيرة من المقدرة الادارية والعسكرية مما جعل
الولاية تعيش في أمن واستقرار ورخاء اقتصادي
وتقدم عمراني نذكر منهم: ربيعي بن الانكل

العنزي (١٦ هـ = ٦٣٧ م) وعبدالله بن المعتم الذي
اناب عنه مسلم بن عبدالله (١٧ هـ = ٦٣٨ م)
وعتبة بن فرقد السلمي (٢٠ هـ = ٦٤٠ م) وهرثمة
ابن عرفة الباري (٢٢ هـ = ٦٤٢ م) وحكيم بن
سلامة الخراسي (٣٤ هـ = ٦٥٤ م) والاشتر مالك
ابن الحارث النخعي (٣٦ هـ = ٦٥٦ م)^(٢٠) وكانت
ولاية الموصل في عصر الراشدين تضم ثماني عشرة
كورة^(٢١) ويزداد عددها وينخفض تبعاً للعصور
الاسلامية التي مرت على ولاية الموصل. وقد
اشتملت على الكور الآتية كورة نينوى ، والجزيرة ،
وتكريت ، والحديثة (حديثة الموصل) ودرباذ ،
والصامغان ، والطبرهان ، والمعلقة (المقلة) ،
والبرية ، والكسر ، وسليان ، والمرج ، والسن ،
والبعثاء ، وباجرمي ، وباهدرا ، ومرج جبهينة ،
وكورة باجرين^(٢٢) وتضم هذه الكور فضلاً عن
عدد من القرى عدداً من النواحي التي اتسعت
بمرور الزمن واصبحت مدناً صغيرة وهي : اسكي
موصل ، وسنجار ، وبرقعيد ، وبافكي ،
وبعشيقية والمكارية والشوش ومعلثايا^(٢٣).

اما في العصر الاموي فقد كان الخلفاء يختارون
ولايتهم من البيت الاموي أو من امراء القبائل العربية
القوية والمالية لهم ، اذ كان الوالي يستعين بأبناء
قبيلته في ادارة شؤون الولاية ويشاركه بعضهم في
ادارتها^(٢٤).

وكانت نظم الادارة في الموصل صورة مصغرة
ومطابقة لنظم الخلافة الاموية في العاصمة
دمشق ، وقد حاول هؤلاء الامراء ان يجدوا حذو
الخلفاء في حياتهم الخاصة واساليب حكمهم ونظم
امارتهم وحتى في تقاليد البلاط^(٢٥).

وقد توالى على حكم الموصل عدد من الولاة
ممن يتمتعون بمكانة ادارية عالية مكنتهم من ترسيخ
الحكم الاموي بالقضاء على حركات المعارضة ،
كحركات الخوارج ، وحركات القبائل المناوئة
للامويين نذكرهم وتواريخ ولاياتهم ، مع ذكر الولاة
الذين حكموا الموصل من قبل عبدالله بن الزبير ،

والمختار الثقفي ، والخوارج . وهم :-

- عبدالرحمن بن عثمان الثقفي

(٥١١هـ = ٦٧١م)

- محمد بن الاشعث بن قيس

(٦٤هـ = ٦٨٣م) تولى من قبل عبدالله بن

الزبير

- سعيد بن عبدالملك بن مروان

(٦٥هـ = ٦٨٤م)

- عبدالرحمن بن سعيد بن قيس

(٦٦هـ = ٦٨٥م) تولى من قبل المختار الثقفي

- ابراهيم بن الاشتر

(٦٧هـ = ٦٨٦م) تولى من قبل المختار الثقفي

- المهلب بن ابي صفرة

(٦٧هـ = ٦٨٦م) تولى من قبل مصعب بن الزبير

- ابراهيم بن الاشتر (للمرة الثانية)

(٦٨هـ = ٦٨٧م) تولى من قبل مصعب بن الزبير

- محمد بن مروان بن الحكم

(٧١هـ = ٦٩٠م)

- يحيى بن يحيى الغساني

(١٠١هـ = ٧١٩م)

- محمد بن هبيرة الفزاري

(١٠١هـ = ٧١٩م)

- مروان بن محمد بن مروان

(١٠٢هـ = ٧٢٠م)

- الحر بن يوسف

(١٠٦هـ = ٧٢٤م)

- يحيى بن الحر بن يوسف

(١١٣هـ = ٧٣١م)

- الوليد بن تليد العبيسي

(١١٤هـ = ٧٣٢م)

- الوليد بن بكير

(١٢١هـ = ٧٣٨م)

- مروان بن محمد بن مروان (للمرة الثانية)

(١٢٦هـ = ٧٤٣م)

- القطران بن أكمة الشيباني

(١٢٧هـ = ٧٤٤م)

- الضحاك بن قيس

(١٢٨هـ = ٧٤٥م)

- هشام بن عمرو الزهيري

(١٢٨ - ١٣٢هـ = ٧٤٥ - ٧٤٩م) (٢٦)

ويضيف الازدي الى قائمة ابن الاثير اسماء ولاية

تقلدوا ولاية الموصل في العهد الاموي وهم الهيثم بن

عبدالله العدوي (١٢٩هـ = ٧٤٦م) واسحاق بن

أيوب العدوي ثم مروان بن محمد (١٢٩هـ =

٧٤٦م) وتبعه هشام بن عمرو الزهيري الذي بقي

والياً على الموصل حتى سنة ١٣٢هـ (٢٧).

ويظهر من خلال الاحداث التي وقعت في

الموصل في اواخر العصر الاموي ان الولاة تعرضوا

الى حركات خارجية متعددة ولى حركات القبائل

العربية المناوئة للامويين وكان لهذه الحروب وعدم

الاستقرار اثره الكبير الذي دفع أهل الموصل الى

التخلص من الحكم الاموي ، فلما تقدمت الجيوش

العباسية رحبوا بها لتسقطهم من الحروب

والاضطرابات .

إدارة الموصل في الفترة العباسية الاولى

(١٣٢ - ٢٩٣هـ) = (٧٥١ - ٩٠٥م)

حظيت الموصل باهتمام شديد من الخلفاء

العباسيين لموقعها الجغرافي والاستراتيجي ولقرتها من

حدود الدولة البيزنطية ولقوة المعارضة الاموية

والخارجية والقبلية ضد الدولة العباسية ولذا فقد

اهتم الخلفاء باقليم الموصل والجزيرة فاقاموا القلاع

والحصون العسكرية في اجزاء متعددة من الاقليم

لمواجهة الخطر البيزنطي من جهة ولمواجهة حركات

المعارضة ضدهم. فقد شهد اقليم الموصل والجزيرة

خلال العصر العباسي الاول سلسلة من حركات

المعارضة التي كانت تهدد أمن الاقليم وسلامته

وحاولوا انتهاز سياسة كسب ود أهل الموصل وتأنييد

القبائل في الجزيرة وبلاد الشام باغداق الاموال

على شيوخ القبائل ومنحهم الاقطاعات الواسعة كما

قاموا بتعيين ولاية قديرين معظمهم من الاسرة

العباسية ومن رجالات الدعوة العباسية ومنحورهم سلطات واسعة، كما قاموا بزيارات تفقدية للأقليم للتعرف على اوضاعه والوقوف على احتياجاته ومشكلاته. وتفقد أعمال الولاة وسلوكهم، فقد ولى ابو العباس اخاه المنصور اميراً على الموصل. وبعد تولي المنصور الخلافة زار اقليم الموصل والجزيرة أكثر من مرة بين عامي (١٤١ - ١٤٥ هـ) وفي خلال عامي (١٤٩ - ١٥٠ هـ) قام بزيارتين تتعلق بالاطلاع على استقرار الادارة في الاقليم (٢٨).

ولما عزم الخليفة المهدي بمهاجمة الروم عام (١٦٣ هـ = ٧٧٩ م) سلك طريق الموصل وخرج معه ابنه الرشيد حتى وصلا الموصل وزلا في قصر المنصور (٢٩) كما قام الهادي بزيارة الاقليم لتفقد احواله عام (١٦٩ هـ = ٧٨٥ م) وفي خلافة الرشيد قام بزيارة الموصل أكثر من مرة فقد زارها سنة (١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) وبنى فيها قصراً (٣١). كما زارها عام (١٨٠ هـ = ٧٩٦ م) ثم قدم اليها ومعه ابو يوسف القاضي بهدف كسب ود اهل الموصل وحل مشكلاتهم والقيام ببعض الاعمال العمرانية والاصلاحية (٣٢).

وزار الخليفة المأمون عام (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) عدداً من مدن اقليم الجزيرة اذ زار تكريت والموصل ونصيبين والرها ومنبج وانطاكية وطرسوس وقام منها بمهاجمة بلاد الروم (٣٣). لقد كانت الموصل والجزيرة موالية للأمويين بما تركوه في نفوسهم من آثار طيبة، كما كان ولاة الامويين من شيوخ القبائل العربية الموالية لهم في حين اعتمدت الدولة العباسية على القيادات العسكرية في ادارة المناطق المضطربة لحين استقرار الاوضاع فيها فلما عين ابو العباس الخليفة العباسي الاول محمد بن صول - مولى بني خثعم والياً على الموصل (٣٤) لم يقبل اهل الموصل بولاية ابن صول وقالوا : (مانرضى ان يكون اميرنا مولى لخثعم) (٣٥) فوثب أهل الموصل على عاملهم واخرجوه من بلادهم (٣٦). وكان ذلك الشرارة الاولى لاشعال نيران ثورة الموصل سنة (١٣٣ هـ =

٧٥٠ م) (٣٧) اذ كشف ابن صول عن عجزه عن الادارة على الرغم من نجاحه في القيادة العسكرية (٣٨). ولم يحسن التصرف في معاملة اهل الموصل واركتبت الادارة المركزية العباسية خطأ آخر حين استبدل الخليفة بوال جديده هو يحيى بن محمد أخ الخليفة ابو العباس الذي اثبت هو الآخر فشله في ادارة الموصل وتصرف بطيش واستعلاء في معاملة اهل الموصل، فلما احتجوا على اعماله اوقع فيهم السيف مما اعطت نتائج عكسية وخطيرة على الدولة العباسية، اذ ساعدت هذه السياسة على تكتل العناصر المناوئة للعباسيين. (٣٩) مما دفعت الخليفة العباسي الى نبذ سياسة الشدة والاعتراف بالظلم الذي وقع على اهل الموصل، فعزل اخاه يحيى عن ادارة الموصل ونصب عمه الامير اسماعيل ابن علي مكانه (٤٠) وقد حاول اسماعيل ان يزيل اسباب النقمة على العباسيين بازالة آثار الظلم واعترف بما صنعه الولاة السابقون واحسن السيرة في معاملة اهل الموصل، ورد المظالم، ودفع ديات القتلى فقال مخاطباً اهل الموصل (أنا أرد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتله يحيى منكم) (٤١) وكتب الى الخليفة يعلمه بما حل بالموصل من الخراب والدمار الذي احدثه يحيى فأجابه الخليفة (ان ارفق بالناس وتألفهم) (٤٢).

وقام اسماعيل بسلسلة من الاعمال العمرانية لدرجة انه لم يدفع الى الخلافة العباسية من واردات الموصل درهما واحداً طيلة ولايته مما ادى الى اطمئنان الناس وعودتهم الى المدينة فيقول الازدي (وتراجع الناس الى الموصل واصلح اسماعيل حالها) (٤٣) فأجبه الناس فقوى مركزه مما دعا الخليفة المنصور الى التخوف منه فعزله سنة ١٤٢ هـ = ٧٥٩ م وبيدوا مخاوف الخليفة كانت في محلها اذ رفض اسماعيل تسليم الولاية للوالي الجديد وتذكره بانشقاق عمه عبدالله بن علي في الشام مما تكشف مدى اطلاع الخلافة على ما يجري في اقاليمها خاصة في اقليم الموصل والجزيرة. وأسند

ويقول عنه الأزدي : (والناس معه في شدة وعسف وظلم) (٥١). فقد طالبهم بخراج ستين مائة إلى هجرة كثير من السكان إلى أذربيجان (٥٢) فعين الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني الذي استطاع الحد من الصراع القبلي (٥٣). فأعاد الاستقرار إلى الموصل ، وفي ولاية أحمد بن يزيد السلمي سنة ١٨١ هـ = ٧٩٩ م تسبب في قيام المنازعات بين الثمانية والنزارية فعزل (٥٤) وتقلد ولاية الموصل بعده سنة ١٩٠ هـ = ٨٠٥ م خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب (٥٥). ولم يلبث أن عزل سنة ١٩٣ هـ = ٨٠٨ م وتقلدها الحسن بن صالح الحمداني فعادت المنازعات بين القبائل فاجتمعت عليه قبيلة عترة فقتلته (٥٥)

إن انتشار المنازعات بين القبائل واضطراب الأوضاع في الموصل أدى بالخلافة العباسية إلى العودة إلى الاعتماد على أمراء البيت العباسي في إدارتها ، ففي سنة ١٩٤ هـ = ٨٠٩ م تولى إبراهيم بن العباس الهاشمي ولاية الموصل واستطاع بمؤازرة إشراف الموصل وضع حد كبير لمشكلات الرعية وعبر الأزدي عن دورهم بقوله (أنهم كانوا هم الغالبون على الأمر) (٥٦) فقد قام بنو الحسن بن صالح بدور فاعل في مجابهة الأحداث في الموصل طيلة عهد الخليفة الأمين وكان لوالي الموصل المطلب بن عبيد الله الخزاعي دور رئيسي في اخذ البيعة للمأمون من الجند ومن أهالي الموصل (٥٧).

إن اضطراب أوضاع الخلافة العباسية في أوائل عهد المأمون أدى إلى اشتداد المنازعات بين القبائل العربية فقد حاول والي الموصل علي بن الحسن الحمداني حسم المنازعات إلا أنه قتل على يد الأزد سنة ٢٠٢ هـ = ٨١٧ م وخروج بنو الحسن من الموصل وتقلب السيد بن أنيس زعيم الأزد على الموصل (٥٨) فأحسن السيرة في معاملة أهل الموصل واستخدم الشدة تجاه أعداء الخلافة العباسية وخاصة الخوارج مما نال ثقة الخليفة العباسي (٥٩) إلا أنه قتل وأسف الخليفة المأمون لمقتله وعين علي

ولاية الموصل إلى أوثق أمراء البيت العباسي فوجد في ابنه جعفر أهلاً لهذه الثقة فولاه الموصل (٦٠) فازدهرت الموصل في عهده اقتصادياً وعمرانياً وحضارياً وعم الأمن والاستقرار، ولما اشتدت حركات بعض القبائل الكردية في أطراف الموصل سنة ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م لم يستطع جعفر مجابهة الموقف المتأزم مما اضطر الخليفة المنصور إلى تعيين خالد بن برمك لما عرف عنه من سيرة حسنة وحزم في إدارة الأمور (٦١) وقد وفق خالد في معالجة الأمور وقضى على عوامل الفتنة والفوضى، ولكن التهاون الإداري أدى إلى التسبب واستبداد الموظفين بالسكان وإرهاقهم بالضرائب مما دفع الخليفة إلى عزل خالد بن برمك سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م وعين مكانه اسماعيل بن عبدالله البجلي وكتب الخليفة إليه كتاباً يأمره بمعاينة العمال والكتاب والأعوان الذين أساءوا التصرف في الجباية (٦٢) وبقي اسماعيل حتى سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م فولى المنصور موسى بن كعب، فوجه المنصور ابنه محمد المهدي سنة ١٥٥ هـ = ٧٧١ م وأمره بالسير إلى الموصل والقبض على موسى بن كعب إذ شك في أمانته وولى مكانه خالد بن برمك للمرة الثانية (٦٣) وفي سنة ١٦٣ هـ = ٧٧٦ م عزل خالد ابن برمك وعين الخليفة أحمد بن اسماعيل العباسي فكان كما وصفه الأزدي (له سيرة جميلة حسنة بالموصل وكان معظماً لأهل السنن مائلاً إلى أهل الصلاح) (٦٤)

وفي خلافة الهادي ولى الموصل هاشم بن سعيد فلم يحسن السيرة مع أهلها فعزل وتقلد ولاية الموصل عبد الملك بن صالح الهاشمي وبقي في خلافة الرشيد فعزله وسجنه سنة ١٨٧ هـ = ٨٠٢ م لما بلغه أنه يريد الخلافة لنفسه (٦٥).

وتذكر بعض المصادر إلى انتشار الفوضى والاضطرابات بسبب اشتداد العصية القبلية، ومجيء بعض الولاة الذين استخدموا الشدة والقسوة منهم يحيى بن سعيد الخرخشي ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م

(٢٥٦-٢٩٥ هـ) واصبح من العسير على الاتراك التدخل في شؤون الخلافة او التناول على سلطة الخليفة، فانتعشت مؤسسات الدولة وظهرت هيبتها، وانصرف الخلفاء للقضاء على الحركات الخارجية والانفصالية فكثرت الاموال وضبطت الثغور واستمر الوضع حتى خلافة المقتدر الذي انتهى حكمه سنة ٣٢٠ هـ (٦٧) فاستعاد الاتراك نفوذهم من جديد مما ادى الى ضعف الخلافة لانقطاع الاموال الواردة الى بغداد من الاقاليم واستئثار الولاة بالاموال والنفوذ في ولاياتهم (٦٨).

ادارة الموصل في عهد بني حمدان (٢٩٣-٣٦٧ هـ) = (٩٠٥-٩٧٧ م)

يتنسب الحمدانيون الى قبيلة تغلب العربية التي اقامت بنواحي الموصل، ولما توقفت علاقتهم بالخلفاء العباسيين قلدوهم الولايات، فقد قلد الخليفة المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان الموصل سنة (٢٩٢ هـ = ٩٠٤ م) ويعد بداية لعهد الحمدانيين السياسي، وامتد نفوذ ابى الهيجاء الى ديار بكر وريجة ولقبه الخليفة التتبي بـ (ناصر الدولة) ولقب أخاه الذي ولي على حلب فيما بعد بـ (سيف الدولة) وذلك لاعتقاد الخلفاء العباسيين بأن الحمدانيين هم وحدهم الذين يستطيعون السيطرة على القبائل العربية في الموصل والجزيرة وعلى حركات الخوارج والاكراذ، وقاموا بدور بارز في صد خطر الروم والتصدي لنفوذ الاتراك والبولبيين في الدولة العباسية.

وكان من اثر حاجة الخلفاء العباسيين الى الاموال ان لجأوا الى اتباع اسلوب الضمان او الالتزام في جباية الضرائب من الاقاليم وفي ادارتها، فكان العامل يحمل الى الخلافة العباسية سنوياً مبلغاً مقدراً من المال ويتولى هو جباية الضرائب وفق اسلوبه ورغباته، هذا النظام ادى الى انفصال الولايات اسماً او فعلياً عن الدولة ولاسيما في فترة ضعف الخلفاء ووجود عمال اقوياء، فقد اتاح هذا

الموصل محمد بن حميد الطوسي وانتدب لقتال زريق بن علي الذي ثار على الخلافة طامعاً بولاية الموصل فقبض عليه وحمله الى المأمون، كما انتدب لقتال بابك الخرمي (٦٩) وتوالى على ولاية الموصل هارون بن ابى خالد الذي سار بأهل الموصل سيرة حسنة واهتم بالعمران واعقبه مالك بن طوق (٧١) فأستقر الحال نهائياً في الولاية حتى وفاة المأمون.

وفي خلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ = ٨٣٣ م تولى عبدالله بن السيد ولاية الموصل سنة ٢٢٤ = ٨٣٨ م فقصى على حركات القبائل العربية والكردية فعاد للموصل الامن والاستقرار.

وهكذا شهدت الموصل في العصر العباسي الاول الكثير من الحركات الخارجية ومنازعات القبائل وتعسف وظلم بعض الولاة مما كانت سبباً في انعدام الأمن والاستقرار.

ويعد عهد الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ = ٨٣٣-٨٤٢ م) بداية النفوذ التركي في الدولة العباسية وكانت الظروف السياسية للدولة العباسية هي التي اوجت الى المعتصم استخدام الاتراك في الجيش ومصالح الدولة (٧٢) فقد كان العباسيون قد اساءوا الظن بالعرب على اعتبار انهم انصار الامويين (٧٣) كما تعددت ثورات القبائل العربية في الموصل والجزيرة وتغلب بعض رؤساء القبائل على ادارتها ومال بعضهم الى العلويين (٧٤) كما لم يعد يطمئن العباسيون الى الفرس لمحاولاتهم باستعادة مجدهم المندثر ودينهم المجوسي، فاضطر المعتصم ان يبحث عن عنصر ثالث جديد تعتمد عليه الدولة فاستخدم الاتراك (٧٥) وادى ازدياد نفوذ الاتراك في الدولة العباسية الى انتشار الفتن والاضطرابات، وظهر الحركات الاستقلالية الخارجية على الدولة وفساد نظم الادارة وجباية الضرائب وانعدام الاموال لاستحواذهم عليها وانفاق البعض الآخر منها لمقاومة الحركات الانفصالية والفتن الداخلية (٧٦) واستمر التدهور من خلافة الواثق والمعتمد والمعتضد والمكتفي، وبدأ يقلص نفوذ الاتراك وانتعشت مؤسسات الخلافة مؤقتاً بين سنتي

النظام للحمدانيين فيما بعد الاستقلال في الموصل والجزيرة وفي ديار بكر ومضر وربيعة مع اعترافهم بتبعيةهم للخلافة العباسية بذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة والاعياد مع اسمائهم^(٧٠) وبالطاعة الدينية للخليفة العباسي باعتباره حامي الاسلام ومنفذ احكامه وحدوده واستيفاء الاموال الشرعية^(٧١) وتجهيز الجيوش لقتال اعداء الاسلام والدولة.

وعلى الرغم من قلة المعلومات لدينا عن التنظيم الاداري لمناطق نفوذهم فانهم قسموا الاقاليم الخاضعة لهم الى عمالات وجعلوا عاملاً ينوب عنهم في كل ولاية وكان ناصر الدولة اول من اتبع هذا الاجراء^(٧٢) فولى ابنه حمدان الرجة ، وولى ابنه هبة الله ميفارقين ، وولى ابو الفوارس نصيبين ، ولم يقتصر تعيين ابناءه على المدن والاعمال الاخرى بل استعانوا بالمقرين اليهم من غلمانهم لكي يضمنوا ولائهم واخلاصهم ، ومع ذلك فقد قامت في وجههم كثير من حركات العصيان والتمرد^(٧٣) فكانت النظم الادارية في الموصل صورة مصغرة للنظم الادارية العباسية في العاصمة بغداد.

فكان الامير الحمداني المرجع لجميع السلطات فهو الذي يشرف على الادارة والجيوش والاموال ويتولى تعيين العمال والوزراء والكتّاب والقضاة والموظفين ويأمر بعزلهم. مما يؤكد ان الحمدانيين اتبعوا اسلوب المركزية في الحكم وذلك بسبب المخاطر الكثيرة التي كانت تهددهم كحركات الخوارج والقبائل غير الموالية لهم في اقليم الموصل والجزيرة ، وتهديد البويهيين والفاطميين والبيزنطيين مما دفعهم الى تكوين الجيوش الكبيرة المزودة بأحسن العدد والسلاح والحمدانيون فرسان اشداء وقواد ممتازون تمثلت فيهم صفات العرب الخُلص وقد ساعدتهم موقف اهل الموصل المؤازر الذين اظهروا العداء للعناصر الاجنبية من فرس واتراك وديالمة ، مما يعطي صورة صادقة للروح العربية المتأصلة في نفوس عرب الموصل الذين لم

يستسيغوا الخضوع للنفوذ الاجنبي^(٧٤).

وبقيت الاسرة الحمدانية تحكم اقليم الموصل والجزيرة حتى تمكن محمد بن المسيب العقيلي من تنحيتهم من الموصل وبذلك حلت الاسرة العقيلية محل الاسرة الحمدانية في حكم الموصل والجزيرة

إدارة الموصل في عهد بني عقيل (٣٢٧-٤٨٩هـ) = (٩٧٧-١٠٩٦م)

أقام بنو عقيل في بداية امرهم وسط الجزيرة العربية ثم رحل كثير منهم الى العراق والشام بعد الاسلام ، وفي القرن الرابع الهجري اصبح بنو عقيل تابعين لبني حمدان .

فلما ضعف الحمدانيون آلت ولاية الموصل اليهم ، ويعد محمد بن المسيب العقيلي المؤسس الاول لامارة بن عقيل في الموصل ، وكانت امارتهم امانة استيلاء ، فقد اضطر الخليفة الى اقرارهم عليها وفوض اليهم تدبير امرها وسياستها^(٧٥) مقابل مبلغ من المال ومعاونته في الحروب .

اخذ نفوذ العقيليين بالتوسع فأمتد الى نصيبين وديار ربيعة وجزيرة ابن عمر ، وقد حاول البويهيون بعد وفاة محمد بن المسيب العقيلي السيطرة على الموصل ولكنهم لم يفلحوا ، وامتد النفوذ العقيلي بعد ذلك ليشمل الكوفة والحلة والانباء والمدائن وذلك في عهد المقلد العقيلي الذي يعد المؤسس الحقيقي للامارة العقيلية^(٧٦) والتي اصبحت شبه مستقلة عن الخلافة العباسية ، ومع ذلك لم تكن الخلافة العباسية راغبة في زوال بني عقيل كما انها لم تعمل على اضعافهم لما تميزوا به من نزعة عربية فضلاً عن ميل زعمائهم للخلفاء العباسيين^(٧٧) لقد حرص امراء بني عقيل في الحصول على ألقاب سلطانية لتضفي على حكمهم الصفة الشرعية فلقب الخليفة القادر بالله المقلد بن المسيب بـ (حسام الدولة) ولقب قرواش (معتمد الدولة)^(٧٨) ولقب أبا كامل ابن بركة بـ (زعيم الدولة)^(٧٩) ولقب مسلم بن

قريش بـ (شرف الدولة) ولقب علي بن مسلم بـ (سعد الدولة)^(٨٠).

لقد نهض بنو عقيل بدور مهم وفعال في التصدي للتيارات الشعبية التي سادت المنطقة آنذاك حاملين راية العروة للتصدي للتسلط الاجنبي على حاضرة الخلافة العباسية من بوهيين وغيرهم، وكان قيام الامارة العقلية في الموصل والجزيرة تجديداً للدولة العربية التي تكالب عليها الأجانِب بعد زوال الدولة الاموية.

لقد كانت ولاية الموصل من الناحية الادارية تضم ثمانى عشرة كورة هي: دراباذ، والصامغان، تكريت، الطبرهان، والحديثة، ونينوى، والبرية، وياجرا، وسليمان، والمرج ومن كور الجزيرة تضم: ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر، ومن مدن دجلة هي: دجيل، واردانا، وعكبرا، والحظيرة، وداقوقا، ومن مدن الفرات: خلاط، وبلغ، وملطية، وسيمسياط، ومنيج، وبالس، ونصيبين، والركة، وقرقيسيا، وعانات، وهيت، وحديثة الانبار، والحلة والكوفة: الى البطيحة^(٨١) وكان النظام الاداري عند العقيليين متأثراً بالنظام القبلي الذي يقوم على اختيار اكبر ابناء الاسرة واكثرهم كفاءة وحسن تدبير وشجاعة وكرم، ولم يكن النظام الوراثي مقبولاً لديهم رغم أخذهم به في تولية بعض امرائهم، لكونه كان مصدراً لكثير من المنازعات بين افراد الأسرة، وباعثاً على المنازعات والانقسامات بعد وفاة الامير الحاكم^(٨٢). وقد ظهر ذلك واضحاً بعد وفاة ابي الدردار محمد بن المسيب الملقب (الذؤاد) سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م فقد تنافس الاخوة على الامارة فقد طمع الاخ الاصغر المقلد ابن المسيب بالامارة في حين اجتمعت كلمة بني عقيل على تولية علي بن المسيب اخيهم الاكبر سنة^(٨٣) لاعتبارات قبلية، فانقسم العقيليون الى قسمين وكادت تقع الحرب بينها، وانتهت باشتراكهما في ادارة شؤون الامارة^(٨٤). وتجنباً للمنازعات التي قد تقع بين

امراء بني عقيل فقد عهد المقلد الى ابنه قرواش بالامارة خلفاً له مما ادى الى تجدد النزاع فقد نافسه عمه الحسن على الامارة، مما حاول اقناع شيخ بني عقيل على تأييده، ولكنه فشل فاضطر الى الصلح مع قرواش، وبقيت الامور غير مستقرة حتى وفاة الحسن سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م وفاة مصعب بن المسيب سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م الذي نازعه الامارة ايضاً^(٨٥).

ولكن النزاع لم يلبث ان تجدد بين ابناء الاسرة العقلية على الامارة ففي سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م خرج ابو كامل بركة المقلد الأخ الاصغر لقرواش وانتهى بالصلح الا ان النزاع تجدد بعد عام ثانية انتصر فيها ابو كامل على اخيه قرواش فحبسه وتولى الامارة مكانه ولقب بـ (زعيم الدولة)^(٨٦) وبعد وفاة أبي كامل سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م اجتمع بنو عقيل على تأمير علم الدين ابي المعالي قريش بن بدران بن المقلد^(٨٧). وخلفه ابنه مسلم سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م فخرج عليه عمه مقبل بن بدران، ودارت الحرب بينهما على الخابور وانتهت بالصلح^(٨٨). وقد افضت هذه المنازعات بينهم الى ضعف هذه الاسرة فبعد مقتل مسلم بن قريش سنة ٤٧٨ هـ لم يظهر بينهم امير قوي يجمع كلمتهم، كما لعبت العناصر الاجنبية دورها في تمزيق وحدتهم. فبعد وفاة قريش عقد الامر الى ابراهيم بن قريش واشتد النزاع بين امرائهم انتهى بوفاة ابراهيم سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م أعقبه النزاع بين اخويه علي ومحمد انتهى باستيلاء السلاجقة على الموصل سنة ٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م^(٨٩).

لم تشهد أمانة الموصل الأمن والاستقرار طيلة حكم العقيليين، وذلك من جراء الحروب التي خاضها العقيليون مع العباسيين والفاطميين ومع قبائل اقليم الجزيرة، وكذلك من جراء المنازعات التي قامت بين افراد الاسرة العقلية على حكم الامارة، فكانت هذه الاسباب عاملاً مهماً في اضعافهم وتمزقهم ثم سقوطهم، بعدها أثروا العودة

الى موطنهم الاصلي البحرين وذلك سنة
٤٨٩هـ = ١٠٩٦م .

ادارة الموصل في عهد السلاجقة (٤٨٩ - ٥٢١هـ) (١٩٦ - ١١٢٧م)

استولى السلاجقة على الأمور في الموصل سنة
٤٨٩هـ = ١٠٩٦م بعد قضائهم على نفوذ العقيليين
في الموصل ، وكان اثرهم السياسي السليبي كبيراً
تمثل في استحوادهم على مقاليد الأمور دون الخلفاء
العباسيين ، ولم يعترفوا لهم الا من الناحية الاسمية ،
كما تميز عهدهم بكثرة الحروب الداخلية التي دارت
بين امراءهم على حكم الموصل ، مما زاد في تدهور
اوضاع الموصل المختلفة دخول البساسيري
قائد الجيش الفاطمي المدينة وهدم قلعتها وأعم
الخراب والاضطراب فيها . ولقد اتخذ السلاجقة
من الموصل قاعدة عسكرية للانطلاق منها باتجاه
القواعد الصليبية في الجزيرة وشمال بلاد الشام ،
ولذا فقد اسندوا ولاية الموصل الى شخصيات
عسكرية تتمتع بكفاءة عالية وقدرة عسكرية
فائقة ، فقد تولى القائد السلجوقي قوام الدولة كربوقا
ادارة الموصل سنة ٤٨٩هـ = ١٠٩٦م ، وتعاقب
على حكم الموصل عدد من امراء السلاجقة (مارسوا
مهامهم الادارية نواباً عن سلاطين السلاجقة
يعاونهم عدد من الموظفين يعينون من قبلهم ، وكان
حاكم كل اقليم مستقل بشؤون اقليمه الداخلية ،
وغالباً ما كان هذا الحاكم او ذاك يتوسع على
حساب الاقاليم الاخرى^(١١) . كما اتسمت تلك
الفترة بعدم الاستقرار . فقد توالى على حكم الموصل ما
يزيد على عشرة ولاة للفترة من (٤٨٩ - ٥٢١هـ)
(١٠٩٥ - ١١٢٧م) وغالباً ما كانت تنتهي حياتهم
بالعزل او الموت^(١٢) . وبعد عام ٥٢١هـ = ١١٢٧م
انتقلت تبعية الموصل الى عماد الدين زنكي بن

قسيم الدولة اقسنقر مؤسس أمانة الاتابكة في
الموصل والتي استمرت حتى عام ٦٣١هـ /
١٢٣٣م^(١٣) .

بعد وفاة كربوقا ارسل اعيان الموصل الى موسى
التركاني عامل كربوقا على حصن كيفا ليتولى امانة
الموصل فاستجاب لهم واستقر له الامر^(١٤) . في
حين وجد شمس الدولة جكرمش حاكم جزيرة ابن
عمرانه اجدر من غيره في حكم الموصل ، فاستولى
على نصيبين وتقدم الى الموصل فاستنجد موسى
بالامير سقمان بن ارتق حاكم ديار بكر ، الا ان
اغتيال موسى على يد اتباع كربوقا انهى الحرب
فاستولى جكرمش على الموصل واحسن السيرة في
اهلها^(١٥) . فأقر السلطان محمد السلجوقي
جكرمش على ولاية الموصل سنة ٤٩٨هـ /
١١٠٤م^(١٦) ولم يلبث ان عزله السلطان السلجوقي
واقطع ولاية الموصل واعاها الى الامير جاولي سقاوه
سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م وعهد اليه بقتال الفرنج .
والصليبيين الا ان جكرمش تحصن في المدينة
وكتب قلعج ارسلان لمساعدته فدخل الموصل في
رجب ٥٠٠هـ / ١١٠٦م وخلع على زنكي بن
جكرمش واصحابه وخطب لنفسه بعد الخليفة
العباسي ، واسقط اسم السلطان محمد السلجوقي من
الخطبة ، وامر بدفع الرسوم المحدثه ، وافر القاضي
ابا محمد عبدالله بن القاسم الشهرزوري على قضاء
الموصل^(١٧) . ولم يلبث جاولي ان اعاد احتلال
الموصل وتخلص من قلعج ارسلان وصادر اموال
اتباع جكرمش ، وأمر بإعادة الخطبة للسلطان
محمد السلجوقي^(١٨) .

لقد عزم جاولي سقاوه على الاستقلال ، وامتنع
عن القيام بالتزاماته تجاه السلطان السلجوقي محمد
وعن قتال اعداء السلطان ولم يستجب للملاقة
السلطان محمد له في بغداد^(١٩) . فارسل السلطان
جيشاً لقتاله ، وتمكن الأمير مودود من اقتحام

المدينة بمعاونة اهل الموصل فدخلها في صفر سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م واستقر بها^(١٠٠).

اقر السلطان محمد السلجوقي مودود والياً على الموصل وأمره باستئناف حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين، فشاركت عساكر الموصل والجزيرة مع عساكر الشام لتؤدي دورها في الدفاع عن الوطن، فكان كما وصفه الفارقي بأنه (من خيار الملوك ديناً وشجاعة وخيراً)^(١٠١) واستمر مودود يقود حركة الجهاد ضد الصليبيين للفترة من ٥٠٣-٥٠٧هـ / (١١٠٩-١١١٣م) حتى اغتيل في المسجد على يد احد الباطنية^(١٠٢). فأُسند السلطان محمد السلجوقي ولاية الموصل الى اقسنقر البرستي في اوائل عام ٥٠٨هـ / ١١١٤م وعهد اليه مواصلة الجهاد ضد الصليبيين ولم يلبث ان عزل عام ٥٠٩هـ / ١١١٥م لاختفاقه في تحقيق النصر على الصليبيين، واقطع السلطان الموصل الى الامير جيوش بك^(١٠٣) توفي السلطان محمد السلجوقي في ذي الحجة من عام ٥١١هـ / ١١١٧م وتولى ابنه محمود السلطنة فأقر أخاه مسعوداً على الموصل مع اتابكة جيوش بك الذي زين لمسعود المطالبة بالسلطنة فانجه الى بغداد سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م لاحتلالها ولما فشل عقا عنها السلطان وعقد الصلح وانسحباً الى الموصل^(١٠٤). واكتفى بعزل جيوش بك عن امارة الموصل واقطعها للامير اقسنقر البرستي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م^(١٠٥) وفي سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م لقي البرستي مصرعه على يد احد الباطنية وهو يصلي الجمعة مع العامة في المسجد^(١٠٦). وكان ولده عزالدين مسعود مقيماً في حلب ليحفظها من الصليبيين فأُسرع الى الموصل واحسن الى اصحاب أبيه، فاستقر له الأمر، وأقره السلطان محمود على ولاية الموصل^(١٠٧).

وما ان استقر عزالدين مسعود في ولاية الموصل حتى شرع بالتوجه الى حاة باحثاً عن قاتل ابيه،

فاستولى على ظاهر الرجة وحاصرها وتمكن من دخولها فأتت بعد ساعة^(١٠٨). وخلفه في حكم الموصل اخ له صغير فتولى السلطة الفعلية فيها احد ممالك ابيه يعرف بـ(الجاويلي) الذي ارسل الى السلطان محمود يطلب تقليد البلاد لولد البرستي، ولم ينجح في اقناع السلطان محمود الذي استشار وزيره في من يصلح للامارة فوقع الاختيار على عماد الدين زنكي لكفائته وإخلاصه للأسرة السلجوقية وذلك في رمضان عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م^(١٠٩) وهو بداية فترة جديدة من تاريخ الموصل وخضوعها لحكم الأتابكة.

[إدارة الموصل في عهد الأتابكة]

(٥٢١-٥٦٠هـ) = (١١٢٧-١٢٦٠م)

يبدأ العهد الاتابكي^(١١٠) بتولية عماد الدين زنكي الموصل سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م وينتهي بهروب ولدي السلطان لؤلؤ بعد موته الى مصر عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م) واشتهرت امارة الموصل باسم (اتابكية الموصل) والسلالة التي اعقبت على حكمها باسم الأتابكة^(١١١).

يرجع اصل الأتابكة الى السلاجقة اذ كان جدهم اقسنقر مملوكاً سلجوقياً للسلطان ملكشاه بن ارسلان السلجوقي، وقد كان من مظاهر الحكم السلجوقي ظهور (الأتابكيات) التي ترجع الى نظام الاقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في الاقاليم التي سيطروا عليها، واصبح عنصراً مهماً من نظمهم السياسية والادارية والاجتماعية، ومن اشهر الاتابكيات على المسرح السياسي (اتابكية الموصل) التي اسسها عماد الدين زنكي عندما اسندت اليه ولاية الموصل واعمالها سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م من قبل الخليفة العباسي المسترشد والسلطان محمود السلجوقي، وسمي زنكي اتابكاً واصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت اشرافه المباشر^(١١٢). وقد تميزت الموصل في ظل الأتابكة بالاستقرار

السياسي والاداري والازدهار الحضاري ومقاربة الصليبيين، وما تجب الاشارة اليه ان الانابكة الذين حكموا الموصل نحو قرن ونصف لم يدخل شيئاً من آدابهم ولغتهم واخلقهم على العرب بل هم انفسهم استعربوا فاصبحوا عرباً بلغتهم واخلقهم وآدابهم (١١٣).

حاول عماد الدين زنكي بعد توليه امانة الموصل ان يقوي صلاته بالسلطان السلجوقي وتنفيذ سياستهم ورغباتهم، كما سعى ان تكون علاقته بالخلافة العباسية قائمة على الطاعة والمودة حرصاً منه على عدم استهلاك جهوده في صراع قد يؤدي بمطامحه (١١٤). وخلال العقد الاول من حكم زنكي اصاب العلاقات مع الخلافة العباسية والسلطان السلجوقي شيئاً من التوتر، ولكنها عادت الى مجراها الطبيعي معها بعد النصر العظيم الذي احرزه على الصليبيين في الرها حيث منحه الخليفة المقتفي الالقاب الشرفية كالامير الكبير العادل المؤيد المظفر المنصور (١١٥).

وقد تمكن زنكي خلال حكمه الذي ناهز العشرين عاماً من دحر الصليبيين واسترداد مواقعهم وتوحيد البلاد المفككة شمل المنطقة المحصورة ما بين شهرزور شرقاً الى قرب سواحل الشام غرباً ومن ديار بكر وآمد وجبال الحكارية والحميدية في الشمال الشرقي للعراق شمالاً الى مدينة الموصل جنوباً، هذا فضلاً عن الاعمال العمرانية التي قام بها منها بناء دور الامارة في الموصل وترميم سورها وفتح الباب العمادي فيه وبناء قلعة العمادية التي مازالت قائمة حتى اليوم (١١٦). واتخذها قاعدة للدفاع والتكوين في حالة تمرد القبائل الكردية، ونقطة انطلاق لتوسيع نفوذه في المنطقة (١١٧).

وقد شهد اقليم الموصل والجزيرة وشمالي الشام في عهده ازدهار مدنها وكان حكام هذه المدن يتمتعون بشبه استقلال وكثيراً ما كانت تقع الحروب بينهم بسبب مطامعهم فبدأ زنكي محاولاته لتوحيد المنطقة بضم هذه المدن (١١٨).

وكانت اولى خطواته الوحدوية تمثلت بضم الامارات والمدن والقلاع الجبلية المجاورة فاستولى على مدينة أربل سنة ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م لأهيتها العسكرية بالنسبة للموصل لكونها بمثابة الباب الشرقي الذي يصلها ببلاد فارس والمشرق، ونقطة الدفاع الرئيسية عن الطريق الذاهب غرباً الى بلاد الشام (١١٩).

وكان هدف عماد الدين زنكي من هذه الاعمال العسكرية توحيد المواقع الاسلامية التي تخدeme في صراعه ضد الصليبيين، واتخاذ هذه المناطق حزاماً واقياً ضد هجمات الخنز والقفجاق على الجهات الشمالية من آسيا الصغرى (١٢٠).

ووجه زنكي اهتمامه نحو القلاع الجبلية الكردية المحيطة بالموصل من جهاتها الشمالية والشمالية الشرقية لأهيتها البالغة لأمن الموصل، واتخاذها خطوطاً دفاعية تحمي ظهره في حروبه في الجزيرة او الشام، فسيطر على القلاع المجاورة للموصل، كالحميدية في (عقرة) والحكارية في منطقة (العمادية) والخابور والمهدانية والبشونوية في منطقة جزيرة ابن عمر (١٢١). وكانت هذه القبائل تقوم بقطع الطرق وتهديد امن المنطقة ثم تعود وتحتمي بقلاعها الجبلية اذا ماداهما الخطر (١٢٢).

ورأى زنكي ان يضم الى ملكه بعض المدن الكبرى في بلاد الشام لتكون نواة الدولة الجديدة، فاستولى على حمص وبلبك وتوج اعماله في سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م بافتتاح الرها لانها تشكل خطراً كبيراً على خطوط مواصلاته بين الموصل وآسيا الصغرى، واستطاع توحيدها جميعاً وتكوين جبهة اسلامية موحدة تستطيع ان تقارع الصليبيين وتقف امام زحفهم، واعقبها بالهجوم المنظم على قواعد الصليبيين، وقد ترك عماد الدين زنكي مابداً به في مقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام الى نورالدين محمود زنكي ومن بعده الى صلاح الدين الايوبي وبعد وصول أبناء اغتيال عماد الدين زنكي الى الموصل عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م انقسمت امارته

الامراء بتنصيب سيف الدين
جل (١٢٣). ونورالدين محمود
(١). وكان لهذا الانقسام اثره
كبك في الموصل، وشجع
الى الانفصال بولاياتهم

عن اماره الموصل وكان آخر امراء سلالة زنكي
نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود وذلك
في عام (٥٨٩-٦٠٧هـ) = (١١٩٣-١٢١٠م)
الذي عهد بالحكم لابنه القاصر عزالدين مسعود
الثاني وتولى تدبير امارته مملوكه بدرالدين لؤلؤ (١٢٥)

والذي اصبح فيما بعد وصياً للابن الاكبر نورالدين
ومديراً له، وبعد وفاة عزالدين مسعود الثاني سنة

(٦١٥هـ = ١٢١٨م) استغل بدرالدين لؤلؤ
فرصة تجدد وصايته على نورالدين واعتراف الخليفة
العباسي الناصر لدين الله بحكم الموصل نيابة عن
الأتابك، كما استغل صغر نورالدين فاستبد بامور
الولاية ولم يلبث ان قتله وتولى ولاية الموصل سنة
٦٣١هـ / ١٢٣٣م فاستطاع كسب عطف الخليفة
المستنصر بالله لترسيخ نفوذه في الموصل وانفرد في
حكمها الى سنة ٦٤٢هـ = ١٢٤٤م (١٢٦).

عندها دان بدرالدين لؤلؤ بالولاء والتبعية للمغول،
اذ شرع في جمع الضرائب وحملها للمغول (١٢٧).
ودخلت الموصل في تبعيتها الى المغول وتعطلت قوة
الموصل العسكرية، ومنعت من تأدية دورها
الايجابي في مساندة القوى السياسية العربية
الاسلامية لمواجهة خطر التقدم المغولي في الدولة
العربية الاسلامية.

وبعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون
على المغول بقيادة السلطان المملوكي مظفر الدين
قنطر في موقعة عين جالوت في رمضان سنة
٦٥٨هـ = ١٢٦٠م دفع اولاد بدرالدين لؤلؤ المظفر
علاء الدين صاحب سنجار والملك الصالح
ركن الدين وسيف الدين اسحق الى الخروج عن
طاعة المغول واعلان الولاء للسلطان المملوكي
وارتحلوا الى مصر (١٢٨)

ولم يلبث ان عاد الملك الصالح الى الموصل بناءً
على دعوة اهل الموصل لانقاذهم من خطر المغول،
فدخلها في العشرين من ذي الحجة عام
٦٦٠هـ = ١٢٦٢م (١٢٩). ولم يستطع الملك
الصالح الصمود امام حصار المغول للموصل
لانتشار الوباء والقحط فيها فاستغل المغول هذه
الحالة وكتبوا للصالح بتسليم المدينة مقابل حماية
ارواح الناس فدخلها المغول في ١٥ شعبان
٦٦٠هـ = ١٢٦٢م وشرعوا بعد ذلك في هدم
اسوار المدينة واسر اصحاب الحرف والصنائع فيها
واستباحوا المدينة تسعة ايام قتلاً ونهباً (١٣٠).
وهكذا اسدل الستار على اسوء كارثة حلت
بالموصل على يد المغول.

[المؤسسات الادارية في الموصل]

(١٦ - ٦٦٠هـ) = (٦٣٧ - ١٢٦٢م)

أ- المؤسسات الادارية في عصر الراشدين
والامويين:

ظهرت المؤسسات الادارية خلال عصر
الراشدين نتيجة لحاجة العرب الى التنظيم الاداري
العسكري والمالي، وبدأت بداية يسيرة ومحدودة ثم نمت
وتعددت وتنوعت حسب تطور أوضاع الدولة
العربية، فنشأت دواوين مركزية في العاصمة،
ووجدت دواوين محلية في الولايات والامصار التي
حررها العرب خاصة خلال عهد الخليفة عمر بن
الخطاب (رض) فالدواوين المركزية التي أنشأها
العرب كانت تستعمل اللغة العربية، في حين
كانت الدواوين المحلية التي وجدت في العراق
والشام ومصر وفارس تستعمل اللغات الاجنبية
المحلية كالفهلوية في العراق وفارس واليونانية في
الشام والقبطية في مصر، وقد عربت أغلب
الدواوين المحلية في خلافة عبدالملك بن مروان
والوليد بن عبدالملك، واصبحت الدواوين المحلية
بمروء الزمن في الولايات صورة مصغرة للدواوين

المركزية وانطبعت بطابع الوحدة مثل غيرها من المؤسسات (١٣١).

فكان عمر بن الخطاب (ر) أول من دون الدواوين من العرب في الاسلام (١٣٢) والسبب المباشر لانشاء الديوان هو كثرة الاموال الواردة من البلاد التي حررها العرب ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في تنظيم توزيعها ، ولانه أراد أن يجعل من العرب أمة عسكرية وبوجهها للجهاد في سبيل نشر الاسلام ، ولضمان موارد مالية للانفاق على الجيوش ، فضلاً عن ميل الخليفة الى المركزية الادارية وتبنيته موارد دائمة للدولة فاستحدث الديوان (١٣٣) وقد سمي ديوان بيت المال او ديوان الجند لانه كان الديوان الوحيد في العاصمة (المدينة) (١٣٤) وإلى جانب ديوان الجند نشأ ديوان بيت المال ، وفيه تودع الاموال الواردة من الغنائم ومن الجزية والخراج والصدقات ويتولى الانفاق على الجند وعلى مصالح الدولة العامة. اما في الامصار الاسلامية فكانت فيها الدواوين المحلية كديوان الخراج وديوان النفقات ثم نشأت فيها دواوين الجند على غرار ديوان المدينة. (١٣٥)

وفي العصر الأموي أصبحت دمشق عاصمة الدولة واصبحت مركزاً لدواوين الدولة ، وقد توسعت الدواوين وتعددت لتناسب مع حاجة الدولة الجديدة وتطورها ، فنشأت دواوين جديدة كما نشأت في الاقاليم دواوين متشابهة لتقوم بالاشراف على ادارة الولاية. فكانت ولاية الموصل مركزاً لدواوين أقليم الجزيرة منها ديوان الجند وديوان الخراج وديوان البريد وديوان النفقات وغيرها من الدواوين (١٣٦)

ويبدو ان النظام الاداري في الدولة الاموية يقوم على اللامركزية الادارية ، فقد كان الخليفة الاموي يمنح امراء الاقاليم سلطات واسعة على ولاياتهم تسهلاً لادارتها. ولأهم هذه الدواوين الاموية :

١- ديوان الجند : فقد وضع أسسه الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) لحفظ اسماء الجند وتحديد اعطياتهم ، ثم تطورت اعماله فصار يقوم بوظيفة احصاء اسماء الجند وتسجيل مقدار اعطياتهم (١٣٧) .

٢- ديوان بيت المال : وهو احد الدواوين العظيمة الاهمية في الدولة الاسلامية ، وبعده بعض المؤرخين (أصل الدواوين ومرجعها اليه) (١٣٨) ويرجع بعض المؤرخين بداياته في خلافة ابي بكر (ر) بعد فتح بعض من اقاليم العراق والشام وورود الاموال الكثيرة الى المدينة ، ويذكر القلقشندي ان عمر بن الخطاب (ر) كان على بيت المال في خلافة ابي بكر (ر) (١٣٩)

ونشأ في اقليم الموصل والجزيرة ديوان بيت المال وذلك لعظم الاموال الواردة اليها من اموال الجزية والنيء والغنيمة والصدقات والخراج والعشور، وكانت واجباته في حفظ الاموال الواردة ، ويتولى في الوقت نفسه الانفاق على مصالح الولاية ومرتبات الجند والعمال بعد ارسال حصة الخليفة في دمشق.

٣- ديوان الخراج : ويتولى تنظيم جباية الخراج والنظر في مشكلاته باعتباره عماد الموارد المالية . وهو من الدواوين المحلية التي وجدت في بلاد الشام قبل تحريرها وكانت لغته يونانية (١٤٠) وقد عرب مع دواوين الشام في خلافة عبدالملك بن مروان. وقد نشأ ديوان الخراج في الموصل بعد تحريرها يرأسه موظف يسمى (كاتب الخراج) يعاونه عدد من الموظفين والكتاب ، فقد أمر الخليفة عبدالملك بن مروان الضحاك بن عبدالرحمن الاشعري وضع أسس الخراج على الغلات الزراعية في اقليم الموصل والجزيرة ، فجعل على كل مائة جريب ديناراً واحداً ، وعلى كل الف شجرة كروم دينار ، وعلى كل مائة شجرة زيتون دينار ، وراعى القرب والبعد من الاسواق (١٤١) .

استخدموا الخيول والابل والبغال. (١٥٠) كما استخدموا سفن البريد في النقل النهري واستخدموا الحمام الزاجل لنقل الاخبار السريعة وهكذا كان لديوان البريد في العصور الاسلامية دور مهم خطير في مجالات تنظيم نقل الرسائل والمعلومات السرية داخل الدولة وخارجها، وعن التحركات العسكرية للاعداء.

ب- المؤسسات الادارية في العصر العباسي :

اهتم العباسيون بإدارة أقليم الموصل والجزيرة لأهمية موقعه الاستراتيجي ولقربه من الحدود البيزنطية ، ولقوة المعارضة الخارجية والقبيلية والاموية ضد الخلافة العباسية ، فقاموا بتعيين ولاية قديرين معظمهم من البيت العباسي ، ومن رجالات الدعوة العباسية ، ومنحهم سلطات واسعة ، كما قاموا بزيارات تفقدية للاقليم للتعرف على اوضاعه والوقوف على مشكلاته واحتياجاته ، ولتفقد اعمال الولاية وسلوكهم تجاه اهل الموصل.

لقد كان ولاية الموصل في العصر الاموي من شيوخ القبائل العربية الموالية لهم ، في حين اعتمدت الخلافة العباسية على القيادات العسكرية في ادارة الموصل ، اذ كشف هؤلاء عن عجزهم في الادارة على الرغم من نجاحهم في القيادات العسكرية. (١٥١) مما ادى بالخلافة العباسية الى ان تعيد النظر في سياستها من تعيين الولاية لاطليم الموصل والجزيرة ، ونبد سياسة الشدة تجاه اهل الموصل والعمل على حل مشكلاتهم ، والحد من الظلم الذي وقع على الاهالي من الولاية ، مما أعاد الاستقرار والهدوء الى الولاية في الفترة التالية خلال العصر العباسي الاول.

ترجع التنظيم الادارية في الموصل الى ايام الراشدين والامويين واستمرت طيلة العصر العباسي الاول (١٣٢ هـ - ٢٩٢ هـ) (٧٤٩ - ٩٠٤ م) عندما كان ولاية الموصل يعينهم الخلفاء العباسيون مباشرة ، وبعد هذا التاريخ وحتى احتلال المغول

٤- ديوان الرسائل : وهو من الدواوين المستحدثة في الاسلام ، ويمكن ان نرجع بدايات مهامه الى مراسلات النبي (ص) الى الامراء والملوك بدعوتهم الى الاسلام ، وكان يتولاها زيد بن ثابت (١٤٢) واستمر بوضعه البسيط طيلة عهد الراشدين ، وظهر بشكله الوطني والاداري في العصر الاموي فكان يتولى على مكاتبات الخليفة مع العمال والقواد والملوك ، وكان كتابه من العرب والموالي ، وبلغ درجة من التنظيم في عهد عبدالملك بن مروان (١٤٣) وكان في ولايات الدولة الاموية موظف يتولى هذه المهمة يسمى (كاتب الرسائل) يتولى تحرير الرسائل التي يبعث بها الامير للخليفة او الى عامل النواحي ويتلقى الرسائل التي ترد الى الامير (١٤٤) وكان يختار من الشخصيات التي يثق الامير بأمانته لاطلاعه على اسراره .

٥- ديوان البريد : لقد اهتم العرب بتأمين طرق مواصلاتهم ، وكانت أحد عوامل تفوقهم العسكري على اعدائهم ، كما عتوا بإنشاء القناطر والجسور لربط الطرق بين العاصمة واجزاء الدولة ، فاستحدثوا نظام البريد لنقل الرسائل الى اقاليم الدولة ، وتبادلها بين الدول المجاورة ، كما يقوم بنقل الوفود والسفراء ، ويصاحب عامل البريد الجيوش في اثناء الحروب لمعرفةهم بالطرق والمسالك (١٤٥) وكان صاحب البريد في العاصمة هو (صاحب الاخبار) يضع العيون على العمال في الولايات لارسال الاخبار عن احوالها (١٤٦) ، وفي العصر العباسي كان يقوم بجمع المعلومات عن الحركات المناهضة للدولة في الداخل ، ومنها حركات الروم (١٤٧) . وقد نصح القاضي ابو يوسف الخليفة الرشيد بأن يدر الاموال لرجال البريد لكي لا يرتشوا او يتواطأوا مع العمال على ستر الاخبار عنه (١٤٨) . فكان عامل البريد في الاقاليم ينقلون الرسائل والاخبار منها الى العاصمة والى النواحي التابعة للاقليم وكانت طرق البريد تقسم الى محطات عدة يطلق عليها السكك ، وفي كل سكة دواب معدة تحمل الرسائل. (١٤٩) وقد

الاعطيات بين الجند ، فاحتاج الى النظر في جمعه وتفرقه ، وأضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ... وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الضياع والشياخ ، ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة (١٥٦).

وقد استخدم العباسيون الفرس لتولي منصب الوزارة جزاء مساهمتهم في الثورة العباسية فكان تعيين ابي سلمة الخلال وقيام نقيب الدعوة العباسية بمنحه لقب (وزير آل محمد) فاصبح وزيراً لابي العباس وسلموا اليه الرياسة (١٥٧). ويرى الدوري : ان ظهور نظام الوزارة وشارك الفرس في السلطة ادى بمرور الزمن الى رسوخه كأساس للادارة العباسية (١٥٨) كما ظهر تدخل النساء في اختيار الوزراء من الفرس اذ كانت بعض امهات الخلفاء العباسيين من امهات الاولاد الفارسيات مما ادى الى وصول الفرس الى مراكز الادارة والقيادة والسياسة واصبحت عادة استخدام الفرس في الوزارة والمناصب الاخرى الادارية في الدولة مألوفة لدى خلفاء العصر العباسي الاول (١٥٩).

كانت سلطات الوزير في بداية العصر العباسي الاول محدودة لاتتعدى المشورة وابداء الرأي وتنفيذ اوامر الخليفة ، ثم نمت وتطورت وتوسعت صلاحياته واصبح الوزير يشرف على الشؤون المالية وعلى الدواوين والجيش ، وقد اختلفت سلطات الوزير باختلاف شخصيات الخلفاء والوزراء وان ظل الخليفة مصدر السلطات وعنه تصدر جميع الاوامر الخاصة بشؤون الدولة (١٦٠). وكان الوزير غالباً هو نائب الخليفة ويحكم باسمه ويهيمن على جميع الاعمال الرسمية ويشرف على الشؤون المالية ، ويقوم بتعيين الولاة والموظفين وعزلهم ويدي المشورة للخليفة (١٦١).

للموصل تشكلت كيانات سياسية شبه مستقلة عن الخلافة العباسية من حمدانيين وعقيليين وسلاجقة واتابكة ، مما ادى الى ظهور نظم ادارية جديدة في الموصل لم يكن بعضها موجوداً في الموصل مما سنتناوله تفصيلاً .

الدواوين في العصر العباسي الاول :

ورث العباسيون التنظيم الاداري عن الامويين ، ولم يحدث العباسيون تغييراً كبيراً في النظم الادارية للدولة ، فقد حدث تطور في بعض دواوين الدولة ومؤسساتها ، واوجدوا دواوين جديدة بصورة تدريجية حسب مقتضيات الحاجة ، ولايلت بعضهما أن يزول بزوال الحاجة اليها ، وزادوا في الاشراف عليها باستحداث نظام الوزارة ، فأصبح الوزير هو المهيمن على جميع دواوين الدولة (١٥٢) واهم المؤسسات الادارية التي استحدثوها.

نظام الوزارة :

لما تولى بنو امية الخلافة واتسعت الدولة العربية الاسلامية في عهدهم احتاجوا الى من يستعينوا بهم في امور الكتابة ، فكان الكاتب من أبرز الموظفين في العصر الاموي وكان بمثابة الوزير اذ يعاون الخليفة في شؤون الدولة ويحفظ سره (١٥٣) وينشئ رسائله وكان اهل الذمة يتولون احياناً وظيفة الكتابة اذ ان اعمال الدواوين كانت في مطلع العصر الاموي تكتب بلغات عدة حتى عرت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (١٥٤).

وبعد قيام الدولة العباسية استحدثت وظيفة الوزير وكانت اعماله تقارب الى حد كبير (١٥٥) ووظيفة الكاتب الاموي ، ويتضح هذا في قول المسعودي (استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً) ومع ذلك فقد عظم شأن الوزير (وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب ، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطته في قسم

١- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد الحمدانيين.

كان من آثار سيطرة العناصر الاجنبية على الجيش والادارة والمالية منذ اوائل العصر العباسي الثاني ان لجأ الخلفاء العباسيون في سبيل الحصول على الاموال الى اتباع اسلوب الضمان او الالتزام في جباية الضرائب في الاقاليم وفي ادارتها ، فكان العامل يحمل سنوياً مبلغاً مقررأ من الاموال الى الخليفة العباسي ، وهذا النظام ادى الى نتيجة حتمية هي انفصال الولايات عن جسم الدولة العباسية ، فقد اتاح هذا النظام للحمدانيين ان يستولوا على الموصل والجزيرة والاستقلال فيها مع اعترافهم بتبعيةهم للخلافة العباسية ، وذلك بذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة والعديد مع اسمائهم (١٦٢) لانهم كانوا يدينون بالطاعة الدينية للخليفة باعتباره حامي الاسلام.

ولقد سعى الحمدانيون بعد استقلالهم بالموصل وبعض مناطق الجزيرة - ديار مضر وديار ربيعة وديار بكر - اخذوا يحكمونها بما كان سائداً من النظم الادارية في الدولة العباسية فاتخذوا الوزراء والكتاب والولاة وعمال الدواوين (١٦٣).

وعلى الرغم من قلة معلوماتنا عن التنظيم الاداري في الموصل في عهد امراء بني حمدان فان بعض المصادر تشير الى ان الامير الحمداني كان مرجع لجميع السلطات ، فهو الذي يشرف على الادارة والجيش والمالية والدواوين ، وهو الذي يعين الوزراء والقضاة ورؤساء الدواوين والموظفين ويعزهم ، ولم يكن الوزراء والموظفون سوى ادوات مسخرة لخدمة رغبات الامير وتنفيذ اوامره مما يؤكد التزعة المركزية التي كان يحكم بموجبها الامراء الحمدانيين (١٦٤).

الوزارة والدواوين :

لقد اتخذ الحمدانيون لأنفسهم وزراء متشبهين بالخلفاء العباسيين ليعاونوهم في ادارة شؤون الدولة ، وذلك لانشغالهم بالحروب ، ولم يكن لديهم الوقت الكافي للنظر في اعمال الدواوين مباشرة ، وعلى الرغم من قلة المعلومات عما كان يقوم به الوزير من الاعمال وما كان يتمتع به من الصلاحيات والامتيازات ، فاننا نجد ان صلاحيات الوزير كانت محدودة ، ويتحدد بقاء الوزير في منصبه على رضا الامير الحمداني عنه ، وقد وردت اسماء بضعة وزراء تولوا مهام الوزارة للامراء الحمدانيين منهم الوزير الحسين بن علي المغربي (١٦٥) . وقد وصفه ابن الاثير بأنه كان كاتباً علماً يقول الشعر وقد اتخذ مشرف الدولة البيهقي وزيراً عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م (١٦٦) .

اما النظم الادارية في الموصل في عهد بني حمدان فكانت صورة مصغرة للنظم الادارية في العاصمة بغداد فقد وجدت دواوين فيها يعود بعضها الى ايام الدولة الاموية تشرف على ادارة اقليم الموصل والجزيرة كديوان الخراج ، وديوان الجند ، وديوان الرسائل وديوان البريد وغيرها من الدواوين ، وقد ابقاها الحمدانيون لأهميتها في ادارة الامور الادارية والمالية والعسكرية .

٢- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد بني عقيل

كان النظام الاداري في الموصل في عهد امراء بني عقيل استمراراً للنظام الاداري في عهد امراء بني حمدان في الموصل ، وعلى صورة مصغرة للنظام الاداري في الدولة العباسية فقد اتخذوا الوزراء والكتاب والقضاة ورؤساء الدواوين و اضافوا عليها باستحداث منصب نائب الامير.

٤١١هـ / ١٠٢٥م ، وتولى الوزارة بعده ابو القاسم سليمان بن فرد ، وكان يكتب في حدائنه بين يدي المي اسحق الصامئي ، ثم اتصل بالأمير مقلد العقيلي فولاه الامير قرواش الوزارة ، واساء ابو القاسم سليمان في جباية الاموال من اهل الموصل فقضى عليه الامير وحبسه وطلبه بالاموال التي صادرها من الاهالي فلما أمتنع قتله (١٧٦) .

وفي اماره شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي قلد وزارته ابا العز بن صدقة ، ولكن الامير مسلماً أنكر عليه بعض اعماله فحبسه ثم اطلق سراحه (١٧٧) .

وهكذا نجد ان وزراء الامراء العقيليين في الموصل لقوا نفس المصير الذي لقيه الوزراء العباسيين وذلك لاستئثارهم باموال الجباية ، واغتصابهم ضياع الامير وعامة الناس مما تنتهي حياة اغلبهم بالمصادرة او الموت (١٧٨) .

٣- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد السلاجقة

إن قلة المعلومات عن النظام الاداري في الموصل في عهد السلاجقة يعود الى عدم الاستقرار والاضطراب الذي ساد المنطقة مما ادى الى اضطراب المؤسسات الادارية فيها وللدلالة على ذلك فقد حكم الموصل خلال الفترة من ٤٨٩ - ٥٢١هـ / ١٠٩٥ - ١١٢٧م مايزيد على عشرة ولاه كانت تنتهي حياتهم بالموت او العزل كما ان انشغال السلاجقة بقتال الصليبيين والتنافس بين امراء السلاجقة ادى الى انصرافهم عن الاهتمام بالنظم الادارية والنواحي العمرانية (١٧٩)

ان عدم اشارة المصادر الى التنظيمات الادارية في الموصل لايعني عدم وجود مؤسسات ادارية كما ان انتقال ادارة الموصل من اسرة الى اخرى لايعني زوال مؤسسات الحكم وتنظيماتها الادارية (١٨٠) بل

اتخذ الامراء العقيليون نواباً لهم في حكم الكور والنواحي في الولايات التابعة لهم ، وكان هؤلاء النواب من الاسرة العقيلية ، وهم اداة طيعة بيد الامير العقيلي الذي تميز بسلطته المركزية على الكور والنواحي والاعمال التابعة لهم كافة مثل نصيبين ، وحلب ، وهيت ، وتكريت وحديثة الفرات وعانة (١٧٧) . ومن اشهر نواب الامير مسلم بن قريش العقيلي الذي تولى نيابة حلب سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م (١٧٨) وتولى نيابة عانة وحديثة الفرات مهاوش ابن الهجلي العقيلي (١٧٩) . وتولى نيابة نصيبين بدران ابن المقلد العقيلي واولاده من بعده (١٨٠) . وتولى بهاء الدولة العقيلي واخوته من بعده نيابة هيت (١٨١) . كما تولى رافع بن الحسين بن حصن العقيلي نيابة تكريت حتى وفاته سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م فولاه بعده ابن اخيه ابو منعة خميس بن تغلب العقيلي (١٨٢) .

الوزارة

اتخذ العقيليون لانفسهم الوزراء شأنهم شأن الحمدانيين ، متشبهين بالخلفاء العباسيين ولم تكن للوزير في عهد العقيليين سلطة تفويضية في ادارة امور الولاية في الشؤون الادارية والمالية والعسكرية ، شأنه شأن الوزير في الدولة العباسية ، وانما كانوا وزراء تنفيذ لاستبداد الامير العقيلي بامور الاقليم (١٨٣) .

ومن وزراء بني عقيل في الموصل ابو القاسم الحسين بن علي المغربي - الذي كان وزيراً للحمدانيين - تولى الوزارة في عهد الامير قرواش بن المقلد العقيلي ، وقد عرف بغزارة علمه واجادته الكتابة والشؤون المالية ، ولكنه لم يلبث ان اختلف مع الامير قرواش فقضى عليه سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م وصادر امواله وحبسه ثم اخلى سبيله (١٨٤) . فرحل المغربي الى بغداد وتولى الادارة (١٨٥) . لمشرف الدولة البوهسي سنة

١٢٥٦هـ = ١٢٥٨م. وقد اختلفت سلطة الوزير وصلاحياته خلال العصور العباسية (١٨٥) وقد انعكس ذلك على امراء الاطراف. لقد كانت اختصاصات الوزير في الموصل في العصر السلجوقي تقوم على تقديم المشورة وتنفيذ ما يؤمر به، وهي تشبه لحد كبير اختصاصات الوزير في العصر العباسي الأول، كما انها تمثل استمراراً لتلك الصلاحيات التي كان يتمتع بها الوزير ايام الحمدانيين والعقيليين.

وما تجب الاشارة اليه الى ان ولاية الموصل لم يتخذوا الوزراء باستمرار، ويعزى ذلك الى قصر عهود الولاة واعتمادهم على الدزار الذي كان المسؤول عن الدفاع عن المدينة وبأني بالمرتبة الثانية من الناحية الادارية بعد الوزير، وبدليل ان عباد الدين زنكي حين تولى امانة الموصل سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م لم يتخذ وزيراً في السنوات الاولى من حكمه (١٨٦).

وقد ظهرت في العصر السلجوقي أسر استأثرت بمنصب الوزارة امثال بني نظام الملك فقد تمتع الوزير بسلطات تحوله الاشراف على جميع الدواوين (١٨٧).

الدزار (١٨٨)

كان منصب الدزار من المناصب المهمة في ولاية الموصل، فكانت تقع عليه عبء حماية المدينة والدفاع عنها في اوقات الخطر، فهي المركز الرئيسي للدفاع عن المدينة بعد الاسوار وما يكتنفها من ابراج، وما يحيط بها من خنادق، ولذا اصبح الدزار (حامي القلعة) الشخصية الثانية بعد الامير تقع عليه مسؤولية حماية المدينة والاشراف المستمر على احكام تحصيناتها وتفقد منشآتها العسكرية، وتهيتها للدفاع عن المدينة (١٨٩).

ولقد توسعت صلاحيات الدزار، فأصبح يجمع بين النيابة (نائب الأمير) وقيادة الجيش

ان معظم هذه المؤسسات الادارية ظلت قائمة في عهد السلجقة مع اجراء بعض التعديلات واستحداث بعض المناصب الادارية والعسكرية التي تقتضيها الظروف الجديدة.

وما تجب الاشارة اليه ان نظم الحكم والادارة في اقليم الموصل والجزيرة تشبه لحد كبير ما كان سائداً من النظم الادارية ايام العقيليين في الموصل وفي الخلافة العباسية ببغداد فاتخذوا الوزراء والنواب والحجاب والقضاة والعمال الذين كانوا يعينون من قبلهم على المدن والمراكز الخاضعة لنفوذهم (١٨١).

وأهم الوظائف الادارية والدواوين في الموصل في العصر السلجوقي هي :-

نظام الولاية: كان والي الموصل يعينه السلطان السلجوقي مباشرة، وهو صاحب السلطة العليا في الولاية في الامور الادارية والمالية والعسكرية، وعلاقته بالسلطان السلجوقي تتحدد بمدى تنفيذ ما يترتب عليه من التزامات مالية وعسكرية تجاهه، وفي حالة تناقله في تنفيذ ذلك يعرض لل عزل من الولاية (١٨٢) كتجهيز الجيوش لقتال اعداء السلطان والخارجين عن طاعته او عدم حمله المال اليه.

لقد تمتع ولاية الموصل بنفوذ واسع في اقليم الجزيرة وديار بكر وشمال بلاد الشام وسعوا الى فرض نفوذهم على المدن والامارات المجاورة واخضاعها لنفوذهم باسم السلطان السلجوقي باعتبارهم نواباً عنه في حكم هذه الاقاليم (١٨٣). وقد انابوا عنهم بإدارة المدن والنواحي الى الامراء العسكريين ومرتبطين بهم مباشرة ويلتزمون باداء واجبات عسكرية ومالية تجاه والي الموصل (١٨٤).

نظام الوزارة: ان نظام الوزارة من مستحدثات العصر العباسي الاول وذلك منذ سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وبقي كذلك حتى احتلال المغول ببغداد سنة

٤- المؤسسات الادارية في الموصل في عهد الاتابكة :

ان تحول ادارة الموصل في عهد ولاة السلاجقة الى عهد ولاة الاتابكة لم يؤد الى ظهور مؤسسات ادارية جديدة بل ان معظم هذه الدواوين والمؤسسات ظلت موجودة في العهد الاتابكي مع اجراء بعض التغييرات من حيث الغاء او استحداث مناصب ادارية جديدة اقتضتها الظروف السياسية والمالية والعسكرية ، وكانت هذه المؤسسات الادارية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ، وأهم هذه المؤسسات الادارية هي : -

نيابة الموصل :

يعد هذا المنصب من الوظائف الادارية التي وجدت في الموصل منذ ايام السلاجقة ، وقد ابقاه زنكي بسبب انشغاله في معظم الاوقات في الحروب ، فكان مكوثه في الموصل قليلاً مما اقتضى ان يكون فيها نائباً عنه يتمتع بسلطات واسعة ، ويكاتب الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي عن احوال الامارة خلال فترة تغيب الامير^(١٩٦) فضلاً عن جباية الضرائب والاموال والاشراف على الدواوين ، وعلى تحصينات الموصل ، والدفاع عنها عند تعرضها للخطر^(١٩٧) والقيام بقيادة الجيش بناءً على اوامر زنكي^(١٩٨) كما يترأس ديوان الجيش ، ويعتبر رأس الموظفين الاداريين في الولاية^(١٩٩) وقد توسعت صلاحياته وتجاوزت سلطات الوزير.

نائب القلعة

تقتصر وظيفة نائب القلعة واختصاصاته على الاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخرجهم ، والقيام بتفقد اسوار القلعة ومنافذها ، واصلاح وصيانة اسوارها^(٢٠٠) . واضيف اليه فيما بعد النظر في الخصومات بين

فضلاً عن جمع الضرائب وجباية الاموال مما دفع بعضهم الى الاستبداد بأمور الولاية والسيطرة عليها^(١٩٠) . وخاصة اذا ما توفي الامير وخلف ولداً صغيراً فيبادر الدزدار بتعيينه ليستأثر هو بالحكم الفعلي دونه^(١٩١) .

الحاجب :

ظهر منصب الحجابة لأول مرة في التاريخ الاسلامي في العصر الأموي لتنظيم دخول الناس على الخليفة ، وانتقل هذا النظام الى العباسيين بعد قيام الدولة العباسية وتولى الحاجب فيها نفس المهام التي كان يقوم بها أيام الأمويين في تنظيم مقابلات الخليفة والمحافظة على حياته ، وقد ارتفعت منزلة بعض الحجاب لدرجة نافس فيها الوزير في صلاحياته واجباته بالتدخل في شؤون الوزير وفي التأثير في تعيين حكام الأقاليم^(١٩٢) .

وقد تطور منصب الحاجب في العصر السلجوقي ، وقد اصبح يطلق عليه (الحاجب الاعظم) و (الامير الحاجب الكبير) وأصبحت واجباته تلقي اوامر السلطان الشفهية وتبليغها الى الوزير لتنفيذها ، او نقل وجهة نظر السلطان في بعض الأمور السياسية الى ملوك وأمراء الدول المجاورة^(١٩٣) .

وقد استخدم ولاة الموصل في العهد السلجوقي الحاجب على الرغم من قلة المعلومات عنهم سوى اشارة تتعلق بالحاجب صلاح الدين الباغيستاني الذي كان أمير حاجب البرستي للفترة من ٥١٥ - ٥٢٠ هـ^(١٩٤) ١١٢١ - ١١٢٦ م وقد نهض الباغيستاني بدور بارز في تنصيب عماد الدين زنكي والياً على الموصل ، واصبح من اكبر موظفي اتابكية الموصل ، فقد تولى الاشراف على شؤون الجيش المسؤول الاول عن تنظيم شؤون^(١٩٥) .

العامه ، وهي اشبه بوظيفة صاحب الشرطة ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن نائب الامير^(٢٠١) .

ولاة المدن :

لما كان امراء آل زنكي اصلاً هم ولاه ، وغالباً ما كانوا امراء استيلاء ، فكانوا يسعون الى توسيع رقعة ولاياتهم على حساب الدولة العباسية ، فكان من الطبيعي ان يتحولوا الى امراء او سلاطين ، ولابد لهم من تعيين ولاه على المدن والاعمال والنواحي التابعة لهم يحكموها باسمهم ، فكانت مهام الوالي واختصاصاته تتحدد بتنفيذ الاحكام واقامة الحدود ، وتعقب المفسدين ومثيري الفتن والخارجين على الامير^(٢٠٢) . فضلاً عن الاشراف على جباية الاموال والجيش والادارة ، ومساعدة السلطان في اوقات الحروب بالجند والميرة والاموال^(٢٠٣) . ومطالعة السلطان بكل مايتجدد لديه من الاخبار^(٢٠٤) وقد اختلفت طبيعة صلاحيات عمال المدن الذين عينهم زنكي باختلاف وظيفة الوالي عند تعيينه ، فقد وردت تارة باسم (ولي) وتارة (اقطع) وثالثة (وهب) ويبدو ان هذه التسميات تشير الى طبيعة السلطة التي يمارسها العامل ، فالمقطع كان يمارس صلاحيات اوسع في مجال اقطاعه عن الوالي الذي يمارس عملاً ادارياً فحسب^(٢٠٥) . وقد روعي في اختيار هؤلاء الولاة من الاسرة الحمدانية ، ومن رؤساء القبائل الذين يتمتعون بثقتهم ، ويعتمدون عليهم.

نظام الوزارة

ظهر منصب الوزارة كمؤسسة ادارية منذ قيام الدول العباسية ، وكان معظم الخلفاء العباسيين يفوضون وزراءهم في حكم الدولة ، فكان الوزير يقوم بتدبير المال وعرض الجيوش ، وتوفير الاموال والاشراف على الجباية ، واجراء رسوم الخلافة ، والاشراف على الدواوين^(٢٠٦) واستمر هذا المنصب طيلة العصور العباسية ، ولكن سلطات الوزير

ضعفت وخاصة السياسية والادارية والمالية والعسكرية نتيجة استبداد الاثراك واليوميين بالنفوذ في الدولة العباسية ، ولم تعد سيطرة الوزير الاعلى الجباية والاشراف على الامور الادارية^(٢٠٧) واضمحلت وظيفة الوزير بعد استحداث منصب امير الامراء ، واصبح الوزير مجرد كاتب يتولى الامور المالية للخليفة لانتقال سلطاته الى امير الامراء^(٢٠٨) .

إن مهام الوزير في عهد عاد الدين زنكي لم تكن واضحة المعالم بسبب عدم وضوح صلاحياته لاسيما وان منصب نائب الوالي الذي كان يتمتع بصلاحيات تفويضية واسعة على شؤون الدواوين والموظفين قد حددت من صلاحيات الوزير ، كما ان استحداث وظائف ادارية جديدة وعلى رأس كل منها شخص يدعى (الناظر) كناظر الجيش ، وناظر الدولة ساعد على انتقال هذه الصلاحيات منه إليهم^(٢٠٩) .

ومع ذلك لم يفقد الوزير بعض الاختصاصات المهمة فيذكر شاهين : (إن من أنصب لوظيفة الوزارة لزمه النهوض بمهام الدولة وامور المملكة بأن يحمل ائقاعها ويزيح اختلالها ويصلح احوالها ويحفظ رجالها وينمي اموالها ، ويستخدم الكفاة ويوليهم اعمالها ، ويعتني بجهاث الاموال وحراسة اسبابها وضبط حسابها والعدل في جبايتها ، وتوزيع القطائع والعطاء^(٢١٠))

ويبدو ان عدم وضوح صلاحيات الوزير كان له الاثر الكبير في ضعف منصب الوزارة . كما أن المصادر لم تسعنا بالمعلومات الواضحة عن اختصاصاتهم واعمالهم الفعلية ، وانما اكتفت بذكر اسماء وزراء الاتابكة وسني حكمهم منهم : جمال الدين الاصبهاني والكفرتوني (٥٢٨-٥٣٥م) ، (١١٣٣-١١٣٦م) والي الرضائي صدقة (٥٣٦-٥٣٨م) (١١٤١-١١٤٣م) وأبي الفناثم حبشي (٥٣٨-٥٤١م) (١١٤١-١١٤٩م) وقد لقب زنكي جمال الدين الاصبهاني

بـ (وزير صاحب الموصل) (٢١١) ويبدو من هذا اللقب ان الوزير كان المهيمن على كل الأمور الادارية في الامارة وهي تبدو اعلى من مرتبة الوزير ونائب الامارة بدليل ما ذكره ابن الاثير: ان زنكي جعل جمال الدين مشرف المملكة كلها وحكمه تحكيمياً لا مزيد عليه (٢١٢).

ومن الملاحظ أن وزراء زنكي لم يكونوا من القادة او الامراء العسكريين وانما كانوا من المدنيين لاعتقاده بأن منصب الوزارة بطبيعته منصب مدني يستند الى ارباب الاقلام لا إلى ارباب السيوف، وسيراً على نهج الخلافة العباسية في اسناد منصب الوزارة الى الكتاب وارباب الاقلام لا إلى ارباب السيوف.

وما تجدر الاشارة اليه ان المصادر التي بين ايدينا لم تتطرق الى ذكر دواوين الموصل في عهد زنكي سوى بعض الاشارات فيما يخص ديوان الجند، الذي كان يرأسه من كبار قواد الجيش، وله المكانة العليا لدى الأمير ويطلق عليه (أمير حاجب) (٢١٣) فكان يقوم بالاشراف على تنظيم الجند وتسليحهم وتنظيم توزيع مرتباتهم واعطياتهم، كما يتولى قيادة الجيش، ويساهم مع الأمير بالمعارك الحربية لذلك

وصف بـ (اكبر أمير مع زنكي) (٢١٤) وقد تولى منصب أمير حاجب في امانة زنكي صلاح الدين بن ايوب الياغيسباني لدوره الفعال في اقناع الخليفة العباسي باقرار زنكي اميراً على الموصل، وقد كافأه زنكي فولاه عام ٥٢١ هـ ١١٢٧ م هذا المنصب الهام (٢١٥). وجعله احد قواده الكبار، وكلفه بقيادة جيشه في المعارك التي خاضها (٢١٦)

وبقي يتولى هذا المنصب طيلة حكم عماد الدين زنكي، كما لم تتطرق المصادر الى الجهاز الذي نظمه زنكي لضبط الأمن كالشرطة، ويعتقد ان زنكي اعتمد الى حد كبير على جهاز استخباراته الدقيق، وعلى صاحب البريد لتحقيق الامن الداخلي والخارجي يجمع الاخبار والمعلومات لحساب الخليفة العباسي والامير الاتابكي (٢١٧).

ويبدو من خلال المعلومات المتوفرة في المصادر التداخل بين عمل المؤسسات الادارية وعدم وضوح اختصاصات الموظفين فيها، وسكوت هذه المصادر عن تحديد دقيق لاختصاصات المؤسسات الادارية، ومع ذلك فهي تشير الى استمرار الكثير من النظم العربية الاسلامية التي كانت متبعة في الدولة العباسية.

ملحق

بولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

١ - (ولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين)

اسم الوالي	السنة
ربيعي بن الأفكل العتري	١٦ هـ = ٦٣٧ م
عبدالله بن المعتم	١٧ هـ = ٦٣٨ م
عتبة بن فرقد السلمي	٢٠ هـ = ٦٤٠ م
هرثمة بن عرفة البارقي	٢٢ هـ = ٦٤٢ م
حكيم بن سلامة الحزامي	٣٤ هـ = ٦٥٤ م
الأشتر مالك بن الحارث النخعي	٣٦ هـ = ٦٥٦ م

٢- (ولاية الموصل في العهد الاموي)

السنة	اسم الوالي
٦٧١ هـ = ٦٧١ م	عبدالرحمن بن عثمان الثقفي
٦٨٣ هـ = ٦٨٣ م (من قبل عبدالله بن الزبير)	محمد بن الاشعث بن قيس
٦٨٤ هـ = ٦٨٤ م	سعيد بن عبدالملك بن مروان
٦٨٥ هـ = ٦٨٥ م (من قبل المختار الثقفي)	عبدالرحمن بن سعيد بن قيس
٦٨٦ هـ = ٦٨٦ م (من قبل المختار الثقفي)	ابراهيم بن الأشتر
٦٨٦ هـ = ٦٨٦ م (من قبل مصعب بن الزبير)	المهلب بن ابي صفرة
٦٨٧ هـ = ٦٨٧ م (من قبل مصعب بن الزبير)	ابراهيم بن الاشتر (للمرة الثانية)
٦٩٠ هـ = ٦٩٠ م	محمد بن مروان بن الحكم
٧١٩ هـ = ٧١٩ م	يحيى بن يحيى الغساني
٧١٩ هـ = ٧١٩ م	عمر بن هبيرة الفزازي
٧٢٠ هـ = ٧٢٠ م	مروان بن محمد بن مروان
٧٢٤ هـ = ٧٢٤ م	الحر بن يوسف
٧٣١ هـ = ٧٣١ م	يحيى بن الحر بن يوسف
٧٣٢ هـ = ٧٣٢ م	الوليد بن تليد العبيسي
٧٣٨ هـ = ٧٣٨ م	الوليد بن بكير
٧٤٣ هـ = ٧٤٣ م	مروان بن محمد (للمرة الثانية)
٧٤٤ هـ = ٧٤٤ م	القطران بن أكمة الشيباني
٧٤٥ هـ = ٧٤٥ م	الضحاك بن قيس
١٢٨ - ١٣٢ هـ = ٧٤٥ - ٧٤٩ م ^(١)	هشام بن عمرو الزهيري

٣- (ولاية الموصل في العصر العباسي الاول)

السنة	اسم الوالي
٧٤٩ هـ = ٧٤٩ م	محمد بن صول
٧٥٠ هـ = ٧٥٠ م	يحيى بن محمد العباسي
٧٥١ هـ = ٧٥١ م	اسماعيل بن علي
٧٥٩ هـ = ٧٥٩ م	مالك بن الهيثم الخزاعي
٧٦٢ هـ = ٧٦٢ م	جعفر بن المتصور العباسي
٧٦٥ هـ = ٧٦٥ م	خالد بن برمك
٧٦٨ هـ = ٧٦٨ م	اسماعيل بن عبدالله القسري
٧٧١ هـ = ٧٧١ م	موسى بن مصعب الخثعمي
٧٧٦ هـ = ٧٧٦ م	خالد بن برمك (للمرة الثانية)

(١) انظر: ابن الاثير: الكامل ج٣ ص ٣٨، ص ١٤٧، ص ١٧٧، ج ٤ ص ٢٧٧، ص ٢٦٥، ص ٢٧٥، ج ٥ ص ١٣٢، ص ١٧٦،

ص ٢٤١، ص ٢٤٩. السلطان: الموصل في المهددين الراشدي والاموي ص ١٦٦ - ١٦٩.

اسم الوالي	السنة
اسحاق بن سليمان	١٦٠ هـ = ٧٧٧ م /
حسان السري	١٦١ هـ = ٧٧٨ م
عبد الصمد بن علي	١٦٢ هـ = ٧٧٩ م
محمد بن الفضل	١٦٣ هـ = ٧٨٠ م
احمد بن اسماعيل	١٦٥ هـ = ٧٨٢ م
هاشم بن سعيد	١٦٩ هـ = ٧٨٦ م
عبد الملك بن صالح	١٧٠ هـ = ٧٨٧ م
اسحاق بن محمد	١٧١ هـ = ٧٨٨ م
سعيد بن مسلم الباهلي	١٧٢ هـ = ٧٨٩ م
عبد الله بن مالك الخزاعي	١٧٣ هـ = ٧٩٠ م
محمد بن العباس الهاشمي	١٧٦ هـ = ٧٩٣ م
يحيى بن سعيد الحرشي	١٨٠ هـ = ٧٩٦ م
هرثمة بن أعين	١٨٢ هـ = ٧٩٨ م
عمرو بن الهيثم	١٨٣ هـ = ٧٩٩ م
هرثمة بن أعين (للمرة الثانية)	١٨٥ هـ = ٨٠١ م
علي بن شريك	١٨٦ هـ = ٨٠٢ م
ندال بن رقاعة	١٨٨ هـ = ٨٠٣ م
خالد بن يزيد بن حاتم	١٩٠ هـ = ٨٠٥ م
علي بن صدقة بن دينار	١٩١ هـ = ٨٠٦ م
محمد بن الفضل بن سليمان	١٩٢ هـ = ٨٠٧ م
ابراهيم بن العباس	١٩٤ هـ = ٨٠٩ م
خالد بن يزيد بن حاتم (للمرة الثانية)	١٩٥ هـ = ٨١٠ م
المطلب بن عبد الله الخزاعي	١٩٦ هـ = ٨١١ م
الحسن بن عمرو التغلبي	١٩٧ هـ = ٨١٢ م
طاهر بن الحسين	١٩٨ هـ = ٨١٣ م
علي بن الحسن الحمداني	١٩٩ هـ = ٨١٤ م
محمد بن سعيد بن مالك	٢٠٢ هـ = ٨١٧ م
السيد بن أنس الأزدي	٢٠٢ هـ = ٨١٧ م
محمد بن حميد	٢١٢ هـ = ٨٢٧ م
ابو المنى التليدي	٢١٣ هـ = ٨٢٨ م
مالك بن طوق التغلبي	٢١٤ هـ = ٨٢٩ م
منصور بن بسام	٢١٩ هـ = ٨٣٤ م
عبد الله بن السيد بن أنس	٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م ^(١)

(١) الأزدي: تأريخ الموصل ج ٢ ص ٤٩٤ - ٤٩٦، العمري: ياسين: مئة الأدياء في تأريخ الموصل الجديدة - تحقيق الديوه جي - الموصل - ٣٠١

١٩٥٥ م ص ٢١٣ - ٢١٥، زاباور: معجم الاسر والسلالات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ص ٥٦ - ٥٧.

الهوامش

- (٣٢) الأزدي : تأريخ الموصل ، ج ٢ ص ٢٨٩.
- (٣٣) ابن بطيوط: تاريخ بغداد ، سويسرا ص ١٤٢ - ١٤٣.
- (٣٤) العمري: منهل الأولياء ص ٢١٠ .
- (٣٥) الأزدي: تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٤٦
- (٣٦) اليقيني: تاريخ ج ٢ ص ٣٥٧
- (٣٧) الأزدي: تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٤٦
- (٣٨) حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل ص ٣٩٨
- (٣٩) المصدر نفسه ص ٣٩٧
- (٤٠) الطبري تاريخ ج ٧ ص ٤٦
- (٤١) الأزدي: تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٥٦
- (٤٢) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٥٦ .
- (٤٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٦ .
- (٤٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٧ .
- (٤٥) الطبري : تاريخ ج ٨ ص ٥٥ .
- (٤٦) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢١٤ .
- (٤٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٤ .
- (٤٨) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٤٦
- (٤٩) اليقيني : تاريخ ج ٢ ص ٤٣٤
- (٥٠) الأزدي : تاريخ ج ٢ ص ٢٩٣
- (٥١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٧
- (٥٢) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٤٢٣
- (٥٣) الأزدي ج ٢ ص ٢٩٨
- (٥٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان القاهرة ١٣٦٧ هـ
- (٥٥) الأزدي : تاريخ ج ٢ ص ٣١٥
- (٥٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٢٤
- (٥٧) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٤٣٢
- (٥٨) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٤
- (٥٩) الطبري : تاريخ ج ٨ ص ٦١٩
- (٦٠) الأزدي : ج ٢ ص ٣٨١
- (٦١) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣٨٥
- (٦٢) البيزنيكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٦ ص ١٩ .
- (٦٣) سرور: الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩ ص
- (٦٤) الأعطسي : مختصر تاريخ بغداد، بغداد ١٩٢٦ ص ٢٥
- (٦٥) البيزنيكي : الوزارة، ص ١١٩
- (٦٦) البيزنيكي : الوزارة، ص ١٤٥
- (٦٧) المرجع نفسه، ص ١٤٩
- (٦٨) الذهبي : دول الإسلام، الدكن ١٣٦٤ هـ
- (٦٩) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب بغداد ١٩٧٠ ج ١ ص ٢٠٢ .
- (٧٠) ديميرين : النظم الإسلامية بغداد ١٩٥٢ ص ١٤٩ وما بعدها
- (٧١) الماوري : الأحكام السلطانية، مصر ص ٤٧
- (٧٢) السامر : الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣١٤
- (٧٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٣١٦
- (١) البلاذري : فتوح البلدان القاهرة ١٩٥٧ ج ٢ ص ٣٢٨ ، الطبري : تاريخ ليدن ١٩٠١ ج ٣ ص ١٤٢ ابن الأثير : الكامل بيروت ١٩٦٥ ج ٢ ص ٢٢١ .
- (٢) المصدر السابق نفسه، ج ٢ ص ٤٠٧ ، ابن الأثير : (الكامل في التاريخ) ج ٢ ص ٥٢٤ .
- (٣) أبو قتيبة : عيون الأخبار، دار الكتب المصرية ١٩٣٠ ج ١ ص ٢١٤ .
- (٤) أنظر : تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ص ٢٢٦ .
- (٥) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٢٧ .
- (٦) أنظر : صورة الأرض بيروت ص ١٩٤ .
- (٧) المصدر نفسه ص ١٩٥
- (٨) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد طبعة كوتجي ١٩٤٨ ص ٣٥٤ .
- (٩) البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٢٥٦ .
- (١٠) المصداقي : بغداد مدينة السلام ج ٢٩ .
- (١١) ابن شداد : الأعلاني الخطيرة ، دمشق ١٩٥٣ ج ٣ ص ٤ .
- (١٢) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ج ١ ص ٢٧٧ .
- (١٣) حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل دار الرسالة بغداد ١٩٧٧ ص ٤٥ .
- (١٤) الدروبي : تاريخ العراق الاقتصادي مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨ ص ٦ .
- (١٥) المصدر نفسه ص ٥ .
- (١٦) أمير علي : مختصر تاريخ العرب والتقدم الإسلامي بيروت ١٩٦٧
- (١٧) الكور جمع كورة : وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى (ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٦)
- (١٨) السلطان : الموصل في المهندسين الراشدين والاموي رسالة ماجستير غير مطبوعة :
- (١٩) أمير علي : مختصر تاريخ العرب ص ١٨١ .
- (٢٠) ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٥٢٤ ، الطبري : تاريخ ج ٤ ص ٣٧ .
- (٢١) البكري : معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٢٧٨ .
- (٢٢) ابن خردادبة : المسالك والممالك، بريل ١٨٨٩ م ص ٩٤ .
- (٢٣) السلطان : الموصل في المهندسين الراشدين والاموي ص ١٤٨ - ١٥٠ .
- (٢٤) خداجش : حضارة الإسلام، بيروت ١٩٧١ ص ١٥٧ .
- (٢٥) اليقيني : تاريخ التجف ص ١٨ .
- (٢٦) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٣٨ ، ص ١٤٧ ، ص ١٧٧ ، ج ٤ ص ١٤٤ ، ص ٢٢٧ ، ص ٢٦٥ ، ص ٢٧٥ ، ج ٥ ص ١٣٢ ، ص ١٧٦ ، ص ٢٤٩ ، السلطان : الموصل في المهندسين الراشدين والابوي ص ١٥٠
- (٢٧) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨ ، السلطان : الموصل ص ١٥١ .
- (٢٨) الأزدي : تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ٢١١ .
- (٢٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٤٣ .
- (٣٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٥٨ .
- (٣١) الحموي : التاريخ المنصور، موسكو ١٩٦٣ ص ٩٥ .

(٧٤) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج ١ ص ٣١٨ -

٣٢١.

(٧٥) المارودي : الأحكام السلطانية ص ٢٧

(٧٦) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٥٧ ، المعاضدي دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ٥٥

(٧٧) المصدر نفسه ج ٧ ص ١٥٧

(٧٨) ابن الرودي : تاريخ القاهرة ١٢٨٥ هـ

(٧٩) ابن الجوزي : المنتظم ، الدكن ج ٨ ص ١٩٣

(٨٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، الهند ١٩٥١ ص ٢٢٤

(٨١) المعاضدي : دولة بني عقيل في الموصل ص ١٤٨ .

(٨٢) المرجع السابق نفسه ص ١٥٠ .

(٨٣) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٨١ .

(٨٤) المصدر السابق نفسه ج ٧ ص ٢٠٩ - ص ٢١٠ .

(٨٥) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٢٠٩ - ص ٢١٠ .

(٨٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٤

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٠

(٨٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٤

(٨٩) المعاضدي : دولة بني عقيل في الموصل ص ١٢٤ ، ص ١٥٢

(٩٠) السلاجقة : يستبون أصلاً إلى إحدى القبائل التركية تعرف باسم القنق انحدرت من موطنها الأصلي في سهول التركستان خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة واستقرت أول الأمر في بلاد ما وراء النهر ، وتزايد عددهم مرور الزمن بما انضم إليهم ، وقامت النزاعات بينهم مع القبائل الأخرى في المنطقة وتكاثرت من إخضاعها لسيطرتهم (الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١ نشر محمد أقبال - لاهور ١٩٣٣ ، عبد المنعم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ص ١٦ مصر ١٩٥٩ م).

وتسمية السلاجقة ترجع إلى جدهم سلجوق بن دقاق اللبي اعتنق الإسلام على المذهب السني الذي كان سائداً بين السامانيين والغزنويين (الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١) وقد توسع نفوذهم على حساب السامانيين والغزنويين ، وقام زعيمهم طغرل بك سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م بالاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وعرض عليه الولاء والجهاد في سبيل الله مقابل اعترافه بشرعية حكمه للبلاد ، فاستجاب الخليفة لطلبه في وقت كانت الخلافة بأمرس الحاجة إلى قوة جديدة تستطيع مواجهة نفوذ البيهقيين والقاطميين وما تعرض له الخلافة من أحداث خطيرة (الراوندي : راحت الصدور ص ١٦٦ - ١٦٧) فاستولى السلاجقة على معظم أجزاء إيران ثم اتجهوا إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ لوضع حد للنفوذ البيهقي في عاصمة الخلافة العباسية (حسيني : سلاجقة إيران والعراق ص ٣٧) .

(٩١) الجميلي : إمارة الموصل في العصر السلجوقي بغداد ١٩٨٠ ص ٩٣ .

(٩٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٩ .

(٩٣) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٣٤٢ .

(٩٤) المصدر السابق والصفيقة ، ابن خلدون ، العبر القاهرة ١٢٨٤ هـ ج ٥ ص ٦٢ .

(٩٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٨٨ .

(٩٦) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨ ص ١٤٧ .

(٩٧) ابن الأثير : ج ١٠ ص ٤٢٦ .

(٩٨) الفارقي : تاريخ ميفارقين مصر ١٩٥٩ ص ٢٧٣ .

(٩٩) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية لاهور ١٩٣٣ ص ٨١ .

(١٠٠) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٤٥٨ .

(١٠١) الفارقي : تاريخ ميفارقين ص ٢٧٥ .

(١٠٢) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ .

(١٠٣) الجميلي : إمارة الموصل في العصر السلجوقي ص ١٢٩ .

(١٠٤) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٩٧ .

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٥٦٤ .

(١٠٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٢٢ .

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الجلب دمشق ١٩٥٤ ج ٢ ص ٢٣٦ .

(١٠٨) ابن العديم : زبدة الجلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣٦ .

(١٠٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية القاهرة ١٢٩٠ هـ ص ٣٤ .

(١١٠) الأتابكة : مفردتها (اتابك) التي تتكون من لفظين تركيين هما (أتا) بمعنى (أب) و(بك) بمعنى (أمير) أي (الأمير الأب) (ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٦) وأول من لقب بذلك نظام الملك وزير ملكشاه وهو يعني كبير الأمراء أو أمير الأمراء ، أو أبو الأمراء ، ولم تكن للأتابكة وظيفة محدودة وإنما لقب تشريف أو كانت وظيفة يقوم بالصيانة على أحد أبناء السلطان حين لم يبلغ سن الرشد (الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨)

(١١١) خليل : عباد الدين زنكي الأتابكي ، بيروت ١٩٦٧ ص ٢٢٦

(١١٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ج ٢ ص ٨٠ - ٧٩

(١١٣) الصائغ : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٨٥

(١١٤) خليل : عباد الدين زنكي ص ٤٩

(١١٥) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣

(١١٦) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٣٧ ، التاريخ الباهر ص ٦٤

(١١٧) خليل : عباد الدين زنكي ص ١١٠

(١١٨) المرجع السابق ص ٦٩

(١١٩) خليل : عباد الدين زنكي ص ٧٥

(١٢٠) المرجع السابق نفسه ص ٧٦

(١٢١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٦٠ - ٦١

(١٢٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٠

(١٢٣) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥

(١٢٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٣٠٣

(١٢٥) المصدر السابق نفسه ج ٩ ص ٣١٩

(١٢٦) ابن القوطي : الحوادث الجامعة بغداد ١٣٥٠ هـ ص ١٤

(١٢٧) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، الهند ١٩٥١ ص ٨٥ ص ٧٤٥

(١٢٨) ابن شداد : الإغلاط الخطيرة ٣ ت ص ١٣٦

(١٢٩) الذهبي : تاريخ دول الإسلام ص ٥٣٥

(١٣٠) القرطبي : السلوك في معرفة دول الملوك دار الكتب المصرية

ص ٤٧٥

- (١٣١) الدوري: النظم الإسلامية، بغداد ١٩٥٠
- (١٣٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب، مصر ١٩٣٨ ص ١٦
- (١٣٣) الديوان: كان يعني السجل الذي يحفظ فيه أسماء المقاتلين وأهليهم وأعطيتهم ثم صار يعني المكان الذي يحفظ فيه السجل، ثم أصبح يعني اسم الموضع الذي يجلس فيه الكتاب (القلقشندي: صبح الأعشى، القاهرة ١٣٣٠ هـ ج ١ ص ٩٠)
- (١٣٤) الدوري: النظم الإسلامية ص ١٨٨
- (١٣٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣٨
- (١٣٦) البيزنيكي: دراسات في النظم العربية الإسلامية مطبعة جامعة الموصل ج ٢١ ص ١٣٣
- (١٣٧) المرجع السابق نفسه ص ١٣٦
- (١٣٨) العباسي: آثار الأول في ترتيب الدول ص ٧٤
- (١٣٩) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ٤١٣
- (١٤٠) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٢٤
- (١٤١) الرئيس: الخراج والنظم المالية مصر ١٩٦٩ ص ٤١
- (١٤٢) المسعودي: التنبيه والأشراف القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٤٦، الأعظمي كتاب التبييض ص ١٤٠١ هـ ص ٦٦
- (١٤٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٢٤
- (١٤٤) ابن الطقطقي: القفري في الآداب السلطانية طبع القاهرة ص ٧٩
- (١٤٥) الطبري: تاريخ ج ٦ ص ٣٣٩
- (١٤٦) ابن خردادبة: المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ م ص ٣٢
- (١٤٧) مسعودي: نظام البريد في الدولة الإسلامية طبع مصر ص ٥٣
- (١٤٨) أبو يوسف: الخراج القاهرة ١٣٥٢ هـ ص ١٨٥
- (١٤٩) ابن الطقطقي: القفري ص ٧٩
- (١٥٠) الخوارزمي: مفاتيح العلوم مصر ١٣٤٢ هـ ص ٤٢
- (١٥١) حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل ص ٣٩٨
- (١٥٢) البيزنيكي: دراسات في النظم العربية الإسلامية ط ٣ ص ١٤٤
- (١٥٣) البيزنيكي: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط ٢ ص ٢١
- (١٥٤) المرجع السابق نفسه ط ٢ ص ٢٢
- (١٥٥) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٢٩٤، البيزنيكي الوزارة ص ٢٩
- (١٥٦) ابن خلدون: القلمة مصر ١٣٢١ هـ ج ١ ص ٤٢٣، البيزنيكي: الوزارة ص ٢٣
- (١٥٧) الجهشياري: الوزراء ص ٨٤، البيزنيكي الوزارة ص ٢٩
- (١٥٨) الدوري: العصر العباسي الأول بغداد ١٩٤٢ ص ٦٢
- (١٥٩) البيزنيكي: الوزارة العباسية ص ٣٣
- (١٦٠) المرجع السابق نفسه ص ٥٠
- (١٦١) أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٣٤٩
- (١٦٢) ديمويين: النظم الإسلامية بغداد ١٩٥٢ ص ١٤٩
- (١٦٣) السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج ١ ص ٣١٤
- (١٦٤) المرجع السابق نفسه ج ١ ص ٣١٦
- (١٦٥) السامر: الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٢٢
- (١٦٦) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ١١٤، ابن خلدون العرب ج ٣ ص ٩٢٢، ابن الجوزي المتنظم دار المعارف الثانية الدكن ج ٨ ص ١٣
- (١٦٧) ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ١١٤
- (١٦٨) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ١٤٩
- (١٦٩) البغدادي: مرآة الأطلاع إدار أحياء الكتب العربية ١٩٥٥ ج ١ ص ٣٨٧
- (١٧٠) ابن خلدون: العرب ج ٤ ص ٦٧٨
- (١٧١) للمعاصيدي: دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ٦٩
- (١٧٢) ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ٤١٩
- (١٧٣) للمعاصيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص ١٥٧
- (١٧٤) المرجع السابق نفسه ص ١٥٨
- (١٧٥) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم مصر ١٣٣٤ هـ
- (١٧٧) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص ١١٥
- (١٧٨) البيزنيكي: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ص ٢٠١
- (١٧٩) خليل: قوام الدين كربوقا/ مجلة آداب الرافدين العدد الخامس ١٩٧٤ ص ١٥٢
- (١٨٠) الجميلي: أمانة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٠
- (١٨١) المرجع السابق نفسه والصحيفة
- (١٨٢) الجميلي: أمانة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٢-٢٧٣
- (١٨٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص ١٥، الجميلي أمانة الموصل ص ٢٧٤
- (١٨٤) الجميلي: أمانة الموصل ص ٢٧٤
- (١٨٥) البيزنيكي: الوزارة ص ٢٤
- (١٨٦) خليل: عباد الدين زنكي ص ٢٦٢
- (١٨٧) الجميلي: أمانة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٧
- (١٨٨) اللزدار: كلمة فارسية مكونة من مقطعين (دز) وتعني القلعة و (دار) تعني الحافظ فهي بذلك تطلق على محافظ القلعة اومتلي القلعة (انظر ابن خلدون: وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٢)
- (١٨٩) ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤، الجميلي: أمانة الموصل في العصر السلجوقي ص ٢٧٥
- (١٩٠) ابن القوطي: الحوادث الجامعة ص ٥٢، الجميلي ص ٢٧٦
- (١٩١) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص ٣٢، الجميلي ص ٢٧٧
- (١٩٢) مسكويه: تجارب الأمم ج ١ ص ٣١٩، البيزنيكي: الوزارة ص ٥٦
- (١٩٣) التنداري: تاريخ دولة آل سلجوق مصر ١٩٠٠ م ص ١٠٧
- (١٩٤) ابن الأثير: الكامل ج ١٠ ص ٦٤٢
- (١٩٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص ٨٣
- (١٩٦) ابن القلائس: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣
- (١٩٧) ابن خلدون: وفيات الأعيان القاهرة ١٣٦٧ هـ ج ١ ص ٣١٥
- (١٩٨) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٥
- (١٩٩) خليل: عباد الدين زنكي ص ٢٣٤
- (٢٠٠) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠٢
- (٢٠١) علي إبراهيم حسن: تاريخ الممالك، القاهرة ١٩٤٨ ص ٢٣١
- (٢٠٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٣٠
- (٢٠٣) خليل: عباد الدين زنكي ص ٢٤٦

(٢١٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية القاهرة ١٢٩٠ هـ
ص ١١٨
(٢١٣) المصدر السابق نفسه ص ٨٣
(٢١٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢١
(٢١٥) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ٢٤٦
(٢١٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٤٨
(٢١٧) خليل: عباد الدين زنكي ص ٧٤

(٢٠٤) القلقشندي: صبح الاعشى ج ١١ ص ٩٣
(٢٠٥) خليل: عباد الدين زنكي ص ٢٤٩
(٢٠٦) اليزبكي: الوزارة العباسية ط ٢ ص ٥٠
(٢٠٧) المرجع السابق نفسه ص ١٣٥
(٢٠٨) المرجع السابق ص ١٩٦
(٢٠٩) خليل: عباد الدين زنكي ص ٢٥٦ وما بعدها
(٢١٠) شاهين: زبدة كشف المالك باريس ١٨٩٤ م ص ٩٣
(٢١١) ابن العاد: شلرات الذهب في خبر من ذهب ج ٤ ص ١٨٥

الحياة الاقتصادية

١. د. توفيق سلطان اليزبكي

مدخل في النظم الاقتصادية

المجتمع ، فإن النظام الاقتصادي لأي مجتمع يلي احتياجات ذلك المجتمع من خلال الرؤيا الحضارية لذلك المجتمع^(١).

يقوم النظام الاقتصادي الاسلامي من خلال الرؤيا الشاملة للكون وللانسان والحياة ومن خلال معايير وموازن وأحكام وتشريعات وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية (الشريعة الاسلامية) التي تأمر بالاعمال والنشاطات الاقتصادية الانسانية المرغوب فيها والنافعة وتصفها بأنها (حلال) ولا تقبل بأعمال ونشاطات اخرى وتصفها بأنها (حرام)^(٢). فالنشاطات الاقتصادية من وجهة نظر الاسلام في مجالات الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك مسترشدة بقاعدتي الحلال والحرام.

فالانتاج بحذ ذاته مباحاً ولكن المؤسسة التي تقوم على الانتاج والتوزيع قد تستغل وتمارس سياسة الاحتكار او تمارس سياسة تبادل السلع والنفوذ عن طريق الربا او الفائدة^(٣). وفي هذه الحالة يلجأ الانتاج ولا تبادل السلع والنقد وانما يحرم الفعل اللاحق وهو الاحتكار والربا لاختلافها والشريعة الاسلامية وأخلاقية المجتمع. وتعد الدولة في النظام الاسلامي مؤسسة عليا لاغنى عنها

جاء الاسلام بمبادئ جديدة وسياسة متميزة توجه حياة البشر في كافة نواحي نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ففي المجال الاقتصادي وضع الاسلام اصول اقتصادية معينة تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة ، وقد تركزت اجتهادات فقهاء وعلماء المسلمين على بيان حكم الاسلام في المسائل الاقتصادية والمالية وإظهار الحلول لمشكلاتها خاصة فيما يتعلق بموارد الدولة الاسلامية (المالية) وتحريم الربا (الفائدة) والاحتكار، وتحديد الاسعار، وحكم العمل في شركات الأفراد والأموال والتي وردت بشكل تفصيلي في كتب الفقه والاحكام^(٤).

إن النشاط الاقتصادي الاسلامي شأنه شأن الأنشطة الاقتصادية الاخرى تسعى الى تحقيق اهداف مادية معينة كالوصول بالانتاج الى اقصى توسعه ، وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية وذلك بإعادة توزيع الدخل بين فئات المجتمع ، وقد يكون الهدف تنويع الانتاج ، وتوسيع قاعدة الصناعة ، وكل هذه الاهداف ومثلياتها يستلهمها النظام الاقتصادي من القيم الدينية والسياسية والفلسفية والاجتماعية ، والقانونية والاخلاقية التي يدين بها

ان من اساليب الاحتكار اقفال السوق والتحكم في الانتاج عن طريق منع استخدام الموارد الاقتصادية او السلع وغلط منافذ التسويق واغراق الاسواق لتدمير المؤسسات المنافسة وعلى الدولة التدخل لفسح المجال امام مؤسسات جديدة لترشيد الانتاج وتحسين السلع وتوفيرها وتخفيض الاسعار اذ أن اهم مزايا المنافسة تحسين الانتاج وتخفيض الاسعار^(٩) وكان المحتسب يقوم بمراقبة الاسواق والسلع والاسعار فاذا رأى احداً قد احتكر من سائر الاقوات الزمه ببيعه اجباراً لان الاحتكار حرام والمحتكر ملعون^(١٠) فقد نهى الرسول (ص) عن احتكار الشراء، ونهى عن بيع السلع حتى تهبط الى الاسواق بسبب الجهل باحوال السوق^(١١)

٤- منع الربا (الفائدة) :-

ان من الانشطة الاقتصادية التي حرّمها الاسلام الفائدة (الربا) فقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة ورويت احاديث نبوية تدّين الفائدة وتؤكد موضوع القاها فالفائدة (ربا) بجميع مظاهرها بغض النظر عما اذا كانت توجد على شكل قروض لاغراض انتاجية او استهلاكية، وعما اذا كان المقرض شركة او فرد، وان كان سعر الفائدة منخفضاً او مرتفعاً، فحرم الاسلام الاستيلاء على ثروة الناس او ممتلكاتهم او اموالهم بوسائل غير مشروعة مثل الربا او المقامرة او الخداع او الغش^(١٢) في حين ان الحصول على منفعة من ثروات الناس في ظل معاملة يكتنفها الرضا انما هو امر مباح والبديل للفائدة في ظل النظام الاقتصادي الاسلامي هما المشاركة في الربح والخسارة والقرض الحسن .

٥- تدخل الدولة في سوق العمل والاجور

يتحدد الأجر بالنسبة للعامل تبعاً لسوق العمل

بعض الفوائد
(١٣١) الدينار
(١٣٢) الدينار
(١٣٣) الدينار
والدينار
لم
٣٤
٣٥

جميع
رية وهذا
الملكية الفردية
ب دوره في البناء
مع ، بتوفير التشريعات
والمستلزمات العامة وتشجيع

مراقبة السوق والأسعار:

ان تقوم الدولة بحماية المستهلك ومراقبة السوق- مايعرض وما ينتج- وذلك عن طريق تدخلها وقد عرف هذا التدخل بـ (نظام الحسبة) الذي يقوم على مراقبة الاسعار لكي لا يحدث التلاعب فيها او الغش في السلع المنتجة والمعرضة، كما يراقب ارباب الصناعات والمهن، ويدقق في المقاييس والمكاييل والاوزان، ويراقب نظافة السوق وما يعرض فيه^(٦).

ويتربط على الدولة المحافظة على الاستقرار المالي والنقدي بتثبيت مستويات الاسعار في الحدود التي لا يؤدي الى التضخم الذي ينتج عنه تدهور مستوى المعيشة لذوي الدخل المحدود لان عدم الانتظام في اسعار السلع والمنتجات ناتج اما عن نقص في العرض السلعي بصورة تلقائية او الزيادة على طلب السلع بسبب زيادة الثروة او لزيادة السكان، وهو امر طبيعي لا مجال للدولة في التدخل فيه، ولكن تدخل الدولة يقتضي فيما اذا تحكم البائع في العرض بصورة متعمدة بإخفاء السلع ولاسيما تلك السلع الضرورية للمجتمع مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار وفي مثل هذه الحالة لابد للدولة من التدخل في تحديدها^(٧).

لقله تعالى (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٢٠) وتعتبر حروب الـى بكر الصديق للمنعى الزكاة أول حرب في التاريخ تخوضها دولة في سبيل الضمان الاجتماعي (٢١).

(نظرة الاسلام للملكية والمال)

ان النظام الاقتصادي الاسلامي من الوجهة الواقعية يقوم على اساس الملكية الفردية والاسلام لا ينظر فقط الى الملكية الفردية من الزاوية الاقتصادية وانما من زوايا عدة منها فردية ونفسية واجتماعية وسياسية تحفظ لتمط الحياة الاسلامية سمته المتميزة.

وحق الملكية الفردية في الاسلام ليس حقاً طارئاً او موقوتاً او عرضياً يتحدد بفترة زمنية مرحلية ، وانما الملكية الفردية ركيزة عضوية تضرب عمقا في صميم البنية الاسلامية التكاملية (٢٢) والملكية الفردية هي المؤسسة التي تعمق مفهوم الشورى وتجعل التنفس السياسي متنفساً موضوعياً له منافذ ملموسة وليس تجسيدا مادياً لها . اذ أن توزع القوى الاقتصادية بسبب وجود الملكية الفردية وما تتيحه من فرص الاختيار والبدائل في مجالات العمل والانتاج والاستثمار من شأنه ان يشكل ضابطاً موضوعياً وقيداً اجتماعياً يحفظ سلطة الدولة الاقتصادية في حدود معينة ، فاذا ماتحرر الافراد والمؤسسات من ان يكونوا جميعاً أجراء وفعله لاجهزة السلطة فان مناخ الحرية الاقتصادية وما يستتبعه في المجالات السياسية والاجتماعية يظل مناعاً صحياً وتحول التناقضات الحتمية بين الافراد والمؤسسات بما فيها الدولة الى وسيلة للإصلاح والتقدم (٢٣) وتنقسم ملكية الاموال من وجهة النظر الاسلامية الى ثلاثة انواع رئيسية : هي اموال يحق للافراد تملكها وهي مدار الملكية الفردية ، واموال تملكها الجماعة كالانهار (المياه) ، واموال تملكها

من حيث العرض والطلب وتتفاوت الاجور تبعاً لطبيعة العمل والانتاج ومهارة العمال وتخصصهم . والعمال احرار في اختيار نوع ومكان العمل ، وصاحب العمل حر في توظيف العمال وقد عد الاسلام للعمل مكانة كبرى فقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (١٣) وأشاد القرآن الكريم بالعمل البدوي فقال تعالى (ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون) (١٤) وقال النبي (ص) (ما اكل احد طعاماً قط خيراً من ان يأكل من عمل يده) (١٥) وقد اكد الرسول (ص) على دفع اجر العامل حال انجاز العمل بقوله (اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه) (١٦) واكد الاسلام على حاية العامل وواجب الدولة في ذلك فقال تعالى (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى) (١٧) وذلك بالتدخل في سوق العمل بسن القوانين والتشريعات كتحديد ساعات العمل وتحسين ظروف العامل الصحية وتحديد سن العمل والاجور لمنع استغلال اصحاب الاعمال للعمال.

٦- واجب الدولة الاسلامية في تحقيق الضمان الاجتماعي

أكد الاسلام في المجال الاقتصادي مبدأ الضمان الاجتماعي الذي هو كفالة المستوى اللائق لمعيشة كل فرد وقد عبر عنه الفقهاء باصطلاح (حد الكفاية) وتقوم الدولة بكفالة المواطنين الذين لم تسعفهم ظروفهم الخاصة كالمرض او العجز او التعطل عن العمل لتحقق لهم المستوى اللائق من المعيشة ، يعتبر حد الكفاية بمثابة الحد الأدنى الذي تكفله الدولة للمواطن اباً كانت ديانته (١٨) وقوميته وذلك امتثالاً لقله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) (١٩) وتحقيقاً لذلك اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة اي حق الضمان الاجتماعي والتي هي الركن الثاني في العقيدة الاسلامية بعد الصلاة

الدولة وتديرها لصالح الجماعة، كالطرق والمرافق العامة والنظام الاقتصادي الذي يلغى الملكية الفردية إنما يلغى الحرية والابداع والتعاون ويصاحبه في الغالب الحرمان^(٢٤).

والاصل في الملكية من وجهة النظر الاسلامية لله وحده ولكن الانسان مستخلف في هذه الملكية، والاسلام في اباحته للملكية لم يطلق للفرد العنان بل فرض على هذه الملكية الفردية القيود الاخلاقية والشرعية لتحد من انطاعتها وتطوعها للانظام في اطار مبادئ الاسلام^(٢٥).

ان الاسلام في اعترافه للملكية سواء اكانت خاصة او عامة باعتبارها وسيلة اتمائية اي حافز من حوافز التنمية وتسقط شرعية الملكية الخاصة والعامة اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا المال استثماراً وانفاقاً في مصلحة الجماعة وقد عبر عن ذلك اصدق تعبير الخليفة عمر بن الخطاب حين قال لبلال الحبشي وقد اعطاه الرسول (ص) ارض العقيق فقال عمر يا بلال (ان رسول الله لم يقطعك لتحبز عن الناس وانما اقطعك لتعمل فخذ ما قدرت على عارته ورد الباقي)^(٢٦) والملكية الفردية تنشأ بالكسب وتنتهي بالانفاق، والكسب اما ان يكون عن طريق العمل او عن طريق التجارة او كليهما او ان يكون عن طريق الوراثة والهبة^(٢٧).

وقد هدف النظام الاسلامي الى عدم تركيز الثروات في ايدي قليلة وذلك من اجل مبدأ التكافل الاجتماعي ونظاما الزكاة والتورث في الاسلام يؤديان الى هذا الهدف^(٢٨). ففي نظام الزكاة يقول تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم)^(٢٩) وفي نظام التورث يقول تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرابون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقرابون مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً)^(٣٠).

إن غريزة حب التملك من الغرائز الاصلية في النفس البشرية والتي تكون حافزاً قوياً على العمل

وقيده الاسلام بالحلال والحرام والقيم الاخلاقية، وهذا التحريم إنما لدفع الضرر او درء اللطم او وقاية من مفسده او حاية من مضرة وقد اشار النبي (ص) إلى بعض من الوان الانشطة التي تتعارض مع اهداف الاسلام كالربا والاحتكار والغبن^(٣١)، ولقد أقر الاسلام الملكية الفردية وحماها الى حد قطع يد السارق.

واستحدث الاسلام صوراً جديدة من الملكية، وهي الملكية العامة هي ملكية الدولة للاراضي التي حررها العرب وفتحها المسلمون ورفض توزيعها واعتبرها ملكية عامة وابقاؤها في ايدي اصحابها الاصليين مقابل الخراج، كما قدر الاسلام الملكية المزدوجة الخاصة والعامة ومسامحتها معاً في عملية التنمية، وكلاهما مقيد باعتبارات مصلحة التنمية، فقد توسع الدولة في اعمال الملكية العامة في مجال التنمية الاقتصادية او التصنيق في الملكية الخاصة طالما كانت ظروفها تقتضي هذا التوسع او التصنيق دون انكار او اهدار لاحدى المملكتين^(٣٢). وقد عبر عنها ابن تيمية بقوله (إنه اختلاف تنوع لاختلاف تضاد)^(٣٣).

وللدولة ان تتدخل في استعمال الملكية الفردية اذا كان طرقها غير مشروعة للتخلص كالرشوة، او تعاطي الرذيلة والفحش، وبامتنان السحر والشعوذة، ودور الخمر والميسر والدولة اجبار المالك على استثمار ملكيته لحاجة المجتمع اليه^(٣٤).

ولتحقيق الرفاهية المتوازنة للمجتمع دون تفریط بالجوانب الاجتماعية والمادية للفرد يقتضي قيام الدولة بتشجيع القطاع الخاص والمختلط عن الانتاج وتوفير المناخ الامني والتشريعي والضرائي ومده بمحافز ليلعب دوره في التيار الاقتصادي والاجتماعي.

سياسة الدولة المالية والاقتصادية

بعد هجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة شرع في تنظيم شؤون الدولة الاسلامية الاولى وبادر بارساء

والزمنة والعميان والرهبان^(١١) وفعل ذلك على قدر الطاقة واليسار.

وقد اراد الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في هذا الاجراء ان يجعله نظاماً ثابتاً يسير عليه المسلمون فيما بعد ويؤيد الماوردي ماذهب اليه عمر بن الخطاب بقوله : (وجعلها عمر نظاماً ثابتاً يسير عليه الولاة في سائر الامصار الاسلامية لمنع اجتهادهم فكتب بذلك الى عماله (ولا يوضع عليهم اكثر من ذلك ومن عجز منهم (اهل الذمة) ، خفف عنهم^(١٢) والترم به خلفاء المسلمين.

٢- الخراج^(١٣) : هو المال المفروض على ما يخرج من غلة الارض^(١٤) . وقد اتبع الرسول (ص) عدة اجراءات في فرض الخراج ، فقد فرض على الاراضي التي فتحت عنوة (حرباً) والتي لم يكن سكانها عرباً وهي اراضي خيبر ووادي القرى ، فطلبوا من الرسول (ص) ان يعاملهم في الاموال على النصف وفي الاراضي على نصف ثمنها^(١٥) . باستثناء اراضي بني النضير فكانت فيئا للرسول (ص) ولم يسهم فيها لاحد من المسلمين لانهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب) ينفق منها على اهله والباقي جعلها عدة في سبيل الله^(١٦) .

اما الاراضي التي يمتلكها العرب فقد اتبع الرسول (ص) سياسة خاصة فلم يضع الخراج بل فرض العشر وله في ذلك هدف سياسي واجتماعي فالخراج يحمل معنى الخضوع والذلة وهو يريد للعرب وحدة سياسية^(١٧) . في حين لما فتح الرسول (ص) مكة من على اهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فيئا^(١٨) . فاجرى الاراضي العربية هذا المجرى واعتبرت اراضيهم عشرية وليست خراجية ، وقد فعل عمر بن الخطاب ما فعله الرسول (ص) فكانت اغلب اراضي السواد في العراق قد حررت عنوة عدا عدة قرى تم تحريرها صلحاً فتركها عمر ابن الخطاب بيد اصحابها مقابل مقدار معين من المال وجعله بدل الجزية والخراج^(١٩) .

اما الاراضي التي حررت بالحرب (عنوة) فقد

دعاهم الدولة الجديدة من الناحية الادارية والمالية ، فبدأ بخطوات اقتصادية واجتماعية مهمة فقد آخى بين المهاجرين والانصار ثم اتبعها بخطوات اخرى وذلك بوضع دستور للمدينة نظم فيه العلاقة بين المسلمين واليهود ، ووضع اسس المبادئ المالية الاساسية في الجزية والخراج والتي لم يشرع القرآن فيها بشكل تفصيلي في احتسابها واخذها فقد فرض الرسول (ص) أول الأمر.

١- الجزية : لقد أوجبت الجزية على اهل الذمة استناداً الى ما جاء في القرآن الكريم والسنة والاجماع فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)^(٢٥) .

وتؤخذ الجزية ممن دخل الذمة من اهل الكتاب والمجوس لقاء الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين كما في قول النبي (ص) (احفظوني في ذمتي)^(٢٦) فقد اخذها الرسول (ص) من مجوس هجر كما اخذها عمر بن الخطاب (رض) من مجوس العراق^(٢٧) . وقد اخذها استناداً لقول عبد الرحمن بن عوف فقال : اشهد لسمعت رسول الله يقول (سنوا بهم سنة اهل الكتاب)^(٢٨) .

وتجبي الجزية عن الذكور العقلاء والبالغين ولا تجب على الصبيان والنساء والمجانين والزمن والعميان ، الشيوخ والرهبان^(٢٩) . وتؤخذ في المحرم من كل سنة . اما مقدار الجزية فقد اختلف أئمة الاسلام في تقديرها فقد وضع الرسول (ص) الجزية على النصاري واليهود والمجوس وجعلها على الرجل ديناراً واحداً وليس في ذلك النساء ولا الصبيان^(٣٠) ثم جعلها عمر بن الخطاب (رض) على أهل السواد في العراق ديناراً (اثنى عشر درهماً) على الطبقة السفلى وعلى الوسطى دينارين (اربعة وعشرون درهماً) وعلى العليا أربعة دنائير (ثمانية واربعون درهماً) واسقط ذلك عن النساء والصبيان والمعزة

بعد الصلاة فقال تعالى (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة)^(٥٩) وقد خاضت الدولة الاسلامية في خلافة ابي بكر الصديق اول حرب ضد مانعي الزكاة فقال ابو بكر الصديق (والله لاقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) وهي اول ضريبة فرضها الاسلام على اغنياء المسلمين، وتجي مرة واحدة في السنة، وكانت اول الامر اختيارية استناداً لما جاء في القرآن الكريم (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)^(٦٠) ثم اصبحت الزامية لقوله تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم)^(٦١) وكانت تستعمل حصيلة اموال الزكاة للاتفاق على فقراء المسلمين وهي بمثابة الضمان الاجتماعي لهم وتوزيعها على مستحقها وفق الالة الكريمة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله فريضة من الله)^(٦٢) والزكاة حق مقرر شرعاً نص عليها النبي (ص) بنسبة ٢,٥٪ من الاموال الموقولة كالنقود والذهب والفضة والجواهر وعروض التجارة، وما بين ٥ - ١٠٪ من الدخول لقول النبي (ص) (ماسقت السماء فقيه العشر وما سقي بقر أو آلة فقيه نصف العشر) وبواقع ٢٠٪ من الركاك وما يستخرج من باطن الارض او من البحار^(٦٣).

وتنفق اموال الزكاة في الدولة الاسلامية على العاجزين والمحتاجين للضمان الاجتماعي في المجتمع الاسلامي ولتحرير الانسان المسلم باسم الدين من عبودية الحاجة والحرمان.

٤- الفنى والغنيمة

تعد اموال النية والغنيمة من الموارد المهمة لبيت مال المسلمين، واموال النية ما يحصل عليها المسلمين دون قتال^(٦٤). وتوزع حسبما جاء في القرآن الكريم (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)^(٦٥) اما اموال الغنيمة هي التي يحصل عليها المسلمون عن طريق

ابقاها الخليفة عمر بن الخطاب بيد اصحابها مقابل مقدار من الخراج عليها وابق الجزية عليهم^(٥٠). واعتبرها ارض صلح، واتخذت طريقتين في جباية الخراج الاولى: مايفرض على مساحة الارض فجعل على كل جريب^(٥١) ارض صالحة للزراعة قفيزاً^(٥٢) ودرهماً. والثانية: مايتخذ بالمقاسمة، وهو اخذ نسبة معينة من الحاصل نحو الخمس او السدس^(٥٣). ويؤخذ الخراج مرة واحدة في السنة اذا كان بحسب المساحة، واما خراج المقاسمة فيتكرر اخذ الخراج بتكرار زراعة الارض^(٥٤). وقد راعى المسلمون في تحديد مقدار الخراج حسب كثافة الارض وخصوبتها ونوعية الانتاج وأمانه وطريقة السقي وموضع الارض من المدن والاسواق^(٥٥).

وقد بق نظام الخراج معمولاً به بحسب الطريقتين في العصرين الاموي والعباسي ولكنها اختلفت مقاديرها حسب الظروف والاضاع السياسية والمالية في الدولة العباسية ولاسيما في فترة سيادة نفوذ حكام الاقاليم في اقليم الموصل والجزيرة جبي الحمدانيون الخراج بطريقتين المحاسبة (المساحة) والمقاسمة، وقد استطاع الحمدانيون في الموصل ان يرفعوا من نسبة ضريبة الخراج الى خمسين في المائة وذلك لحاجتهم الى الاموال للاتفاق على الحروب والادارة والعمران، فعملوا على تعبئة جميع موارد الموصل لخدمة نفقات البلاط وتوفير حاجاتهم الحربية والمدنية^(٥٦). فبلغت واردات خراج الموصل من الخطة والشعير وحدها خمسة ملايين درهم^(٥٧). وبلغ مقدار ضمان الموصل واعمالها سنة ٣٥٨ هـ ستة عشر مليون ومائتي وتسعين الف درهم^(٥٨).

٣- الزكاة (الصدقة)

تشكل اموال الزكاة احد الموارد المالية التي تجبها الدولة الاسلامية لفقراء المسلمين فقد اعتبرها الاسلام بمثابة الركن الثاني في العقيدة الاسلامية

الحرب^(٦٦) . وتقسم خمسة اخماس يوزع خمسها حسبها ورد في القرآن الكريم (واعلموا ان ماغنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)^(٦٧) اما الاربعة اخماس الباقية فتقسم بين الجند، وتشمل الغنائم الاراضي والضياع والعقارات (الاموال غير المنقولة) والاموال المنقولة من النقود والذهب والفضة والمواشي والاثاث واسرى حرب . وقد اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب قراراً ان مواقع في ايدي المحاربين من اموال منقولة واسرى حرب انما داخل في الغنيمة وهو من نصيب المقاتلين ، اما الاراضي والعقارات فليس كذلك اذ هي من حق جمهور المسلمين لانها فيهم وللدولة حق الاشراف عليها وجباية غلتها بوساطة موظفين وتتفق مواردها لمصلحة المسلمين . إن هذا النهج ناتج عن قدرة الخليفة عمر بن الخطاب في تأويل النصوص وتطبيقها بما يخدم مصلحة الدولة ، وقد برر الخليفة عمر بن الخطاب موقفه هذا بقوله (فاذا قسمت ارض العراق وارض الشام فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره)^(٦٨) فابقى الاراضي بيد اهلها وضرب الخراج عليها ، وقد سار العرب في العصرين الاموي والعباسي مسيرة الخليفة عمر في معاملة اراضي العنوة واعتبارها ارض صلح .

٥ - عشور التجارة

العشر: هو الضريبة المفروضة على الاموال المعدة للتجارة والمنقولة من دار اهل الحرب الى دار الاسلام وبالعكس ، وقد وضعت هذه الضريبة في عهد عمر بن الخطاب بناءً على قاعدة المعاملة بالمثل ، فقد كتب ابو موسى الاشعري في ولايته على العراق الى الخليفة عمر بن الخطاب (ان تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر) فكتب الخليفة عمر بن الخطاب اليه قائلاً (خذ انت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من اهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين ،

ربع العشر وليس فيما دون المائتين درهم)^(٦٩) ، وتستوفى ضريبة العشر من الذمي والمسلم والحربي مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة^(٧٠) فاذا ازداد المال اخذ من الزيادة وحدها لانها لم تعشر^(٧١) .

يعني من ضريبة التجارة كل من دخل بميرة والناس اليها بحاجة ليكثرها على المسلمين^(٧٢) وتعني التجارة الداخلية في الدولة العربية الاسلامية من ضريبة العشر، ويؤيد ذلك ما رواه الماوردي بقوله (واما اعشار الاموال المنقلة في دار الاسلام من بلد الى بلد فحرمه لا يبيحها شرع ولا يسوغها اجتهاد ولا هي من سياسات العدل ولا من قضايا النصفة)^(٧٣) .

٦ - الضرائب المستحدثة (غير الشرعية)

وهي الضرائب التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم او شرعها الرسول (ص) والخلفاء الراشدون وقد استحدثت في العصرين الاموي والعباسي ، فقد اعاد الامويون بعض الضرائب الساسانية التي ألغها الخليفة عمر بن الخطاب وهي (هدايا النوروز والمهرجان) وهي ضرائب اعتاد الناس تقديمها باسم هدايا للملوك الساسانيين في عيدي النوروز والمهرجان وكان ذلك منذ خلافة معاوية بن ابي سفيان ، اذ انه طالب اهل السواد ان يهدوا له في النوروز والمهرجان ففعلوا فبلغت عشرة ملايين درهم^(٧٤) . وقد ألغها الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ثم اعيدت من بعده . وقد وردت اشارات الى وجودها في العصر العباسي أيضاً فذكر صاحب الفخري (ان احمد بن يوسف وزير الخليفة المأمون اهدى الخليفة يوم نوروز هدية قيمتها الف ألف درهم)^(٧٥) . وذكر المسعودي الهدايا الثمينة التي قدمت للخليفة المتوكل يوم النوروز^(٧٦) . ويفهم من هذه النصوص ان هذه الهدايا في العصر العباسي لم تكن تؤخذ من عامة الناس وانما تقدم للخليفة من الحاشية وكبار رجال الدولة . وهناك ضرائب فرضت في فترات متباعدة من

العصر الأموي والعصر العباسي ، فقد وضع الأمويون ضرائب على الصناعات والحرف ، وإن هذه الضرائب لم تكن محددة بل كانت تعتمد على رغبة الدولة ^(٧٧) . فقد فرض الخليفة المهدي ضريبة على الاسواق والحوانيت والطواحين ^(٧٨) فذكر اليعقوبي : ان اجرة الاسواق يبلغاد جميعاً ومن ربحى البطريق وما اتصل بها في كل سنة بلغت اثنا عشر مليون درهم ^(٧٩) . ومن الضرائب الاخرى المستحدثة الغرامات التي تأخذها الشرطة من الجناة ^(٨٠) . وفرض الخليفة المتوكل الخمس على الاموال المدفونة والكنوز وعلى ما يستخرج من البحر مثل العنبر واللؤلؤ والاحجار الكريمة ، كما فرض ضريبة على الموارث ^(٨١) . وعلى الدور وما يباع في الاسواق من الدقيق والخضر والفواكه والماشى ^(٨٢) .

ويبدو ان تعدد الضرائب وتنوعها في العصر العباسي كان بسبب قلة الموارد المالية للدولة واضطراب الوضع السياسي وتسلسل العناصر الاجنبية على مقاليد الحكم من اترك وبويهيين وانفاقهم اموال المسلمين على بذخهم وترفعهم .

النقود (السكة)

ظهر الاسلام ولم يكن للعرب في مكة والمدينة نقد (عملة) خاص بهم بل كانوا في الغالب يتداولون الدينار الذهبي البيزنطية والدراهم الفضية الساسانية ، فكانت الولايات الاسلامية الشرقية تتعامل بالدراهم الفضية ، والولايات الاسلامية الغربية تتعامل بالدينار الذهبي البيزنطية ^(٨٣) . ولما كانت مساحة الدولة العربية الاسلامية لم تكن قد اشتملت مناطق انتاج الذهب والفضة في ذلك الحين لهذا لم تتجه الدولة الاسلامية في عهد الرسول (ص) الى سك نقود ^(٨٤) . وفي عهد الخلفاء الراشدين استمر المسلمون في استخدام النقود الرومية والفارسية ، وهذا لا يعني انه لم يدر بخلداهم

قضية سك النقود ، وتذكر المصادر ان الخليفة عمر ابن الخطاب ضرب سنة ١٨ هـ الدراهم على نقش الكسروية وجعل نقش بعضها (الحمد لله) ونقش بعضها الآخر (محمد رسول الله) و (لا اله الا الله وحده) وثبت معيارها واوزانها ^(٨٥) . وهدف من ذلك ابراز شخصية الدولة العربية الاسلامية ثم ضرب الخليفة عمر الفلوس على غرار البيزنطية سجل فيها اسمه بحروف عربية وهو اقدم ما وصلنا حتى الآن ^(٨٦) . وضرب عثمان بن عفان دراهم عربية بنقش (الله اكبر) ^(٨٧) اما علي بن ابي طالب فقد شغلته الفتنة عن ضرب عملة جديدة. ولما تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان كتب الى زياد بن أبيه والي العراق ليضرب عملة جديدة غير عملة عمر بنقش عليها اسمه ^(٨٨) . ولما اعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز ضرب دراهم نقش على احد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل) ^(٨٩) . وضرب أخوه مصعب سنة ٧٠ هـ دراهم في العراق اعطاها للناس في العطاء ^(٩٠) . نقش على احد وجهي الدرهم (بركة) وعلى الوجه الآخر كلمة (الله) ^(٩١) .

لم يكن في الامصار الاسلامية في بداية العهد الأموي سكة (عملة) عربية معترف بها قبل مجي الخليفة عبدالملك بن مروان ، فقد كان لامراء الولايات دور سك خاصة يسكون فيها النقود حسب احتياجاتهم ، ولهذا كانت قيمة النقد غير مستقرة الامر الذي شجع على التزييف والتلاعب ، ولكن الغالب كان التعامل بالدرهم الفضي الفارسي والدينار الذهبي البيزنطي حتى قيام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بضرب النقد العربي (تعريب السكة) وذلك سنة ٧٤ هـ ^(٩٢) . وكان عيار الدينار الاسلامي هو المقياس العربي وقد حدد بـ (اثنين وعشرين قيراطاً ألاً حبة) وعيار الدرهم ١٠/٧

خلدون ان الامير مسلم بن قريش العقيلي ضرب نقوداً في الموصل نقش عليها اسمه عندما استولى على حلب وحران وطاعه اهل الرها وكانت ذلك سنة ٤٧٤هـ (١٠٢).

وهكذا أدت الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية في عصورها المتأخرة الى اضطراب النقد وقيام الولاة في الاقاليم التي استقلت عن السلطة العباسية الى ضرب نقود خاصة بها.

الأنشطة الاقتصادية في الموصل

١ - الزراعة :

مقدمة: بعد ان تم تحرير العراق والشام ومصر وفتح فارس في خلافة عمر بن الخطاب شرع في اتخاذ سلسلة من الاجراءات في معاملة الاراضي الزراعية التي حررها العرب من السيطرة الفارسية والبيزنطية ، وقد استند عمر بن الخطاب في معظم اجراءاته تجاه الأراضي الزراعية الى اجراءات الرسول (ص) في الجزيرة العربية وأطرافها ، فقد اتبع الرسول (ص) سياسة خاصة مع اراضي العرب التي فتحها ، فلم يفرض عليها الخراج بل فرض العشر ، وترك لأهل مكة بعد فتحها ولم يفرض عليها شيئاً ، وفي ذلك هدف سياسي واجتماعي ، فالخراج يحمل معنى الخضوع والنبي (ص) يريد للعرب وحدة سياسية (١٠٣)؛ فضلاً عن الوحدة الدينية والاجتماعية ، وعند تحرير العراق في خلافة عمر بن الخطاب قال الفاتحون له (قسمة بيننا فانتا فتحنا عنة بسيفنا فأنى وقال لهم : فما لمن جاء بعدكم من المسلمين، (١٠٤) ويروي ابو يوسف ان عمر بن الخطاب قال لهم (... فإذا قسمت ارض العراق وأرض الشام وأرض مصر فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد ، وبين ان المقاومة تحتاج الى عطاء فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون، (١٠٥) واراد الخليفة عمر بن

الوزن الشرعي وثبت بذلك أساس عيار الدرهم والدینار (٩٣) ولقد حافظ الخلفاء الأمويون على نقاء الدينار والدرهم كما حافظ الخلفاء العباسيون على نقاء النقود واستمر ذلك حتى القرن الثالث الهجري حيث اصاب النقود التدهور وانخفض نقاء النقد في فترة النفوذ التركي وبلغ درجة خطيرة في فترة النفوذ البويهی (٩٤) التي صاحبها فترة استقلال بعض الولاة باطراف الدول الاسلامية حيث بدأ غش النقود (٩٥) فقد اذن الخلفاء العباسيون تحت وطأة الوضع السياسي الجديد لامراء وحكام الاقاليم ان ينقشوا اسماءهم على السكة مع اسم الخليفة ، فقد نقش امراء بني حمدان في الموصل اسماءهم على النقود الى جانب اسماء الخلفاء العباسيين بعد ان كانت النقود تضرب تحت اشراف الخلفاء (٩٦) وذكر ياقوت: ان ناصر الدولة الحمداني ضرب النقود باسمه في الموصل سنة ٣٣٠هـ / (٩٧) ولما تولى ناصر الدولة منصب امرة الامراء سنة ٣٣١هـ ضرب نقوداً في مدينة السلام تحمل اسمه واسم اخيه سيف الدولة (٩٨) وضرب سيف الدولة دنانير وزن الواحد منها عشرة مثاقيل (٩٩).

ويبدو ان الظروف السياسية دفعت بالحمدانيين الى ضرب نقود مختلفة فقد ذكروا على بعض الدنانير اسم الخليفة العباسي حين اعترفوا بسيادته على الموصل ، كما ذكروا اسم الخليفة الفاطمي حين خضعوا لسلطان الفاطميين ، وكان هذا التغيير السريع في نقود الحمدانيين ناتج عن اضطراب الاوضاع السياسية من جهة ورغبتهم بالقضاء على تلاعب الصرافين في عيار النقود من جهة اخرى (١٠٠) وضرب بنو عقيل حكام الموصل نقوداً نقشوا اسماءهم الى جانب اسم الخليفة ، فكان ابو الدوداء (الدواد) محمد بن المسيب اول امراء بني عقيل الذين نقشوا اسماءهم على النقود في الموصل ، ثم الامير سنان الدولة ، والامير حسام الدولة ، والامير معتمد الدولة (١٠١) وذكر ابن

١ - ضياع الدولة (الأراضي السلطانية)

وهي أراضي الخليفة والسلطان وربما هي في الأصل أراضي الصوافي التي استصفها العرب عند تحريرهم اقليم الموصل والجزيرة ، وقد فرض عليها العشر وللخليفة الحق في اقطاعها وفرض نوعية الضريبة عليها^(١١٠)

ففي العهد الأموي قد استصنى معاوية بن أبي سفيان أراضي في عدة قرى من اقليم الموصل والجزيرة كما استصنى هشام بن عبد الملك عدداً من الاقطاعات وغرس فيها الاشجار والنخيل^(١١١)

وقد تحولت ملكية ضياع الأمويين وللاهم في اقليم الموصل الى العباسيين فاستصفوها لهم ومنحوها لأنصارهم^(١١٢)؛ فاستولى العباسيون على ضياع الوالي الأموي يحيى بن الحر^(١١٣). وأقطع العباسيون لوائل بن الشحاح الذي انضم الى العباسيين في مطاردة مروان بن محمد القطيع الأولى والتي كانت تعود لهشام بن عبد الملك^(١١٤). عرفت فيما بعد بقطائع بني وائل^(١١٥).

٢ - الاقطاعات :

وهي الأراضي التي كان يقطعها الخلفاء من الضياع السلطانية (الصوافي) للشخصيات الكبيرة في الدولة من الأمراء وزعماء القبائل وقادة الجيش والولاة ، وقد توسع الأمويون في منح الاقطاعات منذ عهد معاوية بن أبي سفيان^(١١٦). واستمرت هذه السياسة طيلة العصور العباسية حيث زادوا في منح الاقطاعات بدل المرتبات بسبب عجز الدولة عن دفعها ، لافلاس بيت المال وفوضى الإدارة وفسادها في العهد البويهي خاصة^(١١٧).

٣ - أراضي الملك :

وهي عامة الأراضي التي ابقاها القائمون بيد اصحابها بعد تحريرهم الموصل ولم يقسموها بين الجند واعتبرت ملكاً مشتركاً للمسلمين (من

الخطاب بهذا الاجراء ان تكون العرب امة عسكرية مهمتها نشر الاسلام والجهاد في سبيله ، وأن تبقى الأرض بيد أهلها لأنها المورد الأساس لمعيشتهم ، ولتوفير مورد مالي دائم للدولة العربية الاسلامية للافادة منها في حروب التحرير العربي الاسلامي ، ولتتمتع قيام الاقطاعات ، فصار من الطبيعي ان يستمر اهل البلاد التي حررها العرب في زراعة ارضهم واعتبار هذه الأرض - من الناحية النظرية - ملكاً لكل المسلمين ودفع الخراج ، وتحول الأرض الخراجية الى عشرية حال اسلام الذمي^(١١٨)!

وستتناول نظام الأراضي في الدولة العربية الاسلامية وسنقصر الكلام على الموصل باعتبارها احدى اقاليم الدولة العربية الاسلامية .

نظام الأراضي في الموصل :

فبعد تحرير الموصل اعتبرت ارضها ملكاً مشتركاً للمسلمين وتركت الأرض بيد أهلها لقاء الخراج وتمتد الأراضي التي حررت عنوة في العراق ضمن منطقتين رئيسيتين هما : منطقة السواد في الجنوب واقليم الموصل والجزيرة في الشمال ، وتعد الموصل مركزاً لاقليم الجزيرة الذي يشمل ديار مضر وديار ربيعة والأراضي التي تحاذي نهري دجلة والفرات والحديثة ومرج جهينة ونيوى وباجلى وباهدرى وباعندرا^(١١٩) وهناك مجموعة من المراكز الزراعية الممتدة على طول نهر دجلة من الموصل الى ديار بكر^(١٢٠). وكذلك الأراضي الواقعة غرب الموصل الى مدينة سنجان حيث تكثر العيون^(١٢١)

كان نظام ملكية الأراضي في الموصل يشكل جزءاً من نظام الأراضي السائد في العراق ، فقد عوملت اراضيها معاملة ارض السواد في جنوب العراق فبرزت اصناف الأراضي كما برز تنوع في صيغة ملكيتها واستغلالها وأهمها :

الناحية النظرية) يدفع عنها صاحبها الخراج ، ومنها ايضاً اراضي الموات التي تم احيائها استناداً الى قاعدة عمر بن الخطاب (من احيا ارضاً مواتاً ليست في يد مسلم ولا معاهد فهي له)^(١١٨) ، والاراضي التي اقطعها الخلفاء لبعض الشخصيات وهي (اقطاع تملك)^(١١٩) ومنها ما بيع من اراضي الصوافي وضباع الخلافة في اوقات الازمات المالية^(١٢٠).

وقد كانت هذه الاراضي مهددة بالمصادرة التي انتشرت خلال القرن الرابع الهجري بسبب افلاس بيت المال ، واستبداد العناصر الاجنبية في امور الدولة واموالها ولكثرة الوشايات والخلافات السياسية^(١٢١) . مما دفع بعضاً من ملاك الارض الى حاية ملكياتهم الزراعية الخاصة من السيطرة عليها او للتخلص مما يوجب على الارض من حق الدولة باتباع طريقة الاجلاء التي كان صغار الملاكين يلجأون اليها بسبب ضغط الحياة واضطراب الوضع السياسي فيضعون اراضيهم في حاية الخليفة او احد الأمراء والقادة وتسجيل تلك الاراضي بأسمائهم في الدنوان مقابل دفع جزء من الحاصل الى الحامي^(١٢٢).

وقد يكون ثمة لجوء للتخفيف من الضرائب المفروضة على الاراضي الزراعية^(١٢٣) وبمرور الزمن يصبح هؤلاء ملاكين اصليين ويصبح الملاكون الحقيقيون مزارعين عندهم^(١٢٤).

ومن تلك الظواهر الاقتصادية ايضاً التقبل والضمان ، وهو ما يعبر عنه تارة أخرى بالكفالة او الضمان^(١٢٥) . وذلك حين يجعل الرجل نفسه قتيلاً او كفتيلاً لمالك الارض يحصل بأسمه الخراج لقاء اجر معلوم يدفعه مالك الارض الحقيقي اليه ، وغالباً ما كان القبيل او الكفيل من العمال وذوي الجاه وقد عده الفقهاء من وسائل التملك الفاسد وأكل اموال الناس بالباطل^(١٢٦).

٤- اراضي الموات :

الاراضي الموات هي الاراضي غير الصالحة للزراعة سواء كانت اراضي البطائح ام الاراضي السبخة ام الاراضي التي تكثر فيها الصخور. وقد حاول الخليفة عمر بن الخطاب ارساء قواعد ثابتة لاحياء الاراضي الموات بصفة خاصة ، فاشتراط ان يكون اقطاع هذا النوع من الاراضي متوقفاً على اصلاحها وزراعتها ، وان تملكها يتوقف على احيائها لا مجرد تحجيرها وان تعطيل الارض بدون زرع ثلاث سنين يسقط حق المحتجر^(١٢٧) . وقد روي عن عمر بن الخطاب قوله (من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنوات لايعمرها منحوها قوماً آخرين فهم احق بها)^(١٢٨) . وكان قول عمر (من احيا ارضاً مواتاً ليست في يد مسلم ولا معاهد فهي له)^(١٢٩).

٥- أراضي الوقف :

وهي اراضي اقطعها الاتقياء من المسلمين لأغراض دينية تكون وارداتها للأماكن المقدسة (مكة والمدينة) او لبناء الحصون والثغور او للمجاهدين والفقراء واليتامى والأرامل او لفق الأسرى او للمصالح العامة للمسلمين^(١٣٠).

والوقف على نوعين : خاص وعام ، فالوقف الخاص (الرسمي) ما يوقفه الخليفة وأهله وحاشيته من الاراضي والمعارات للأماكن المقدسة ، ولا يكون الوقف الا من الأملاك الخاصة ، ولا يجوز بيعها او مصادرتها^(١٣١) . وتدار هذه الأوقاف بواسطة ديوان خاص اطلق عليه (ديوان البر)^(١٣٢) والوقف العام هو ما يوقفه عامة الناس من الاتقياء والزهاد للأغراض التي أشرنا اليها آنفاً ، ومن الوقف العام ما يسمى بالوقف الذري وهي ان توقف الاراضي والمعارات لغرض منع الذرية والاهل والاقرباء من بيعها وانما التمتع بوارداتها بصورة دائمة فقط^(١٣٣) ، وتناط بالقاضي للاشراف على وارداتها وصرف ما هو مخصص لها^(١٣٤).

الزراعة في الموصل

بعد اقليم الموصل والجزيرة من الاقاليم الزراعية المهمة لما يمتاز به من خصوبة التربة وملاءمة المناخ وغزارة الامطار الشتوية والريعية فضلاً عن امكان الاستفادة من مياه الانهار والعيون والينابيع والآبار في الزراعة، فقد انتشرت في هذا الاقليم القرى والضياع، واحترف اهلها الزراعة ولا سيما زراعة الحبوب والفاكهة والكروم والخضراوات، وأصبح الانتاج الزراعي من الوفرة لدرجة يفوق كثيراً عن حاجة السكان فتصدر هذه المنتجات الزراعية الى الأقاليم المجاورة، فقد بلغت موارد خراج الموصل من الحنطة والشعير وحدها خمسة ملايين من الدراهم^(١٣٥) مما يعطي صورة واضحة عن ضخامة الانتاج، وهي تشكل مورداً مهماً لبيت المال.

في العصر العباسي الأول بلغ التطور الاقتصادي في الموصل درجة كبيرة وخاصة الزراعة واستمر حتى عهد الحمدانيين نتيجة للاستقرار السياسي الذي تمتعت به الموصل ويؤيد ذلك ما رواه ابن حوقل بقوله (... فلما ملك بنو حمدان غرسوا الاشجار وكثرت الكروم وغرست النخيل)^(١٣٦) كما عتوا بزراعة القطن والرز والسمن والحنطة^(١٣٧) لأنها كانت تدر عليهم ارباحاً كثيرة فأدى هذا الى زيادة الخراج فقد بلغت موارد الخراج من الورق ستة عشر مليون درهم ومائتين وتسعون الف درهم^(١٣٨).

ولقد هدف الحمدانيون من تشجيع الزراعة واستخدام الأساليب الراقية فيها الى الافادة من موارد الاقليم المالية، لوضعهم الجغرافي المحصور بين البيزنطيين في الشمال الغربي وبين بغداد التي كانت تخضع لسيطرة عناصر اجنية من اترك وبويعيين في الجنوب الشرقي^(١٣٩). ولقد تأثر الوضع الاقتصادي بعامة والزراعة بخاصة في عهد بني عقيل بسبب اضطراب الوضع السياسي الذي ساد العراق في العصر البويهي فضلاً عن موجات القحط الذي اصاب الموصل بسبب قلة الأمطار، وتكاثر

التلوج، وانتشار النظام الاقطاعي ولذلك قل الانتاج الزراعي، كما كان للفساد الاداري والتزعزعات العنصرية والمذهبية التي اثارها البويهيون اثر في عرقلة التجارة وتأخر الصناعة^(١٤٠) مما أدى الى تأخر اقتصاد الأقليم. ان قلة الموارد الاقتصادية في الموصل في عهد بني عقيل دفعهم الى الاهتمام بما يحصلون عليه من غنائم الحروب الكثيرة التي سادت الموصل في فترة حكمهم^(١٤١) كما ان الحروب الكثيرة التي خاضها العقيليون سببت تدهوراً في الزراعة وإهمالاً في وسائل الري، واشتداد حدة المصادرات وعجز الملاكين الصغار عن حماية املاكهم واضطرارهم الى اللجوء بتسجيل اراضيهم بأسماء الخلفاء والأمراء والولاة لحمايتها من المصادرة ومن الضرائب الزراعية الباهضة^(١٤٢) وكذلك فقد تعرضت الموصل لهجمات خارجية من حروب وحصار في فترة نفوذ السلاجقة والصراع بين امرائهم على السلطة في الولاية، وقيام ولاة السلاجقة بتوزيع الاقطاعات على امراء الجيش^(١٤٣). وتعمل الموصل عبء الدفاع عن اقليم الجزيرة وبلاد الشام ضد الغزو الصليبي بتوفير الأموال والمؤن لخدمة اهداف الجهاد ومشاركة الفلاحين في العمليات الحربية مما أدى الى نقص الموارد الزراعية، وقد عبر عنها ابن الأثير بقوله (ان الموصل كانت اقل بلاد الله فاكهة)^(١٤٤).

السياسة الزراعية:

لقد أولت الدولة العربية الاسلامية عناية كبيرة للزراعة باعتبارها المصدر الأساس من مصادر الثروة الاقتصادية للسكان والمورد المهم لخزينة بيت المال، فقد انجذبت في سياستها الزراعية الى العناية بالري من حفر الانهار والقنوات والجداول وبناء السدود والمستنات لحماية الأراضي الزراعية من الفيضانات وتشجيع الفلاحين على الاستقرار في الأرض وزراعتها، وبدأت هذه السياسة منذ عهد

والأشجار والبقول والزهور وأمر بزراعتها على جانبي دجلة^(١٥١) وكانت الدولة تتخذ اجراءات متعددة اذا ما تعرضت المزروعات الى الآفات الزراعية او الفيضانات فتقوم الدولة بمساعدة الفلاحين بتخفيض ضريبة الخراج عنهم^(١٥٢) او انها تقدم المساعدات المالية للفلاحين، ففي خلافة المتوكل اقترض الفلاحون في منطقة بلسورين في الموصل الأموال من اجل مساعدة الفلاحين على الزراعة^(١٥٣) مما يؤكد اهتمام الدولة بالزراعة.

وسائل الارواء (الري)

تعتمد الزراعة في الموصل والجزيرة على مياه الأمطار التي تسقط بغزارة في فصلي الشتاء والربيع، وبعد نهر دجلة ونهرا الزاب الكبير والزاب الصغير المصدر الثاني من مصادر ري الأراضي الزراعية اضافة الى توفير مياه العين والآبار والتي تستخدم في الري للأراضي الزراعية البعيدة عن الانهار، فاهتم اهل الموصل بإنشاء قنوات الري واستخدموا النواير والدواليب على دجلة لرفع المياه لري الأراضي الزراعية^(١٥٤).

ويبدو ان اهل الموصل لم يستغلوا مياه نهر دجلة للزراعة الا على نحو يسير وذلك لغزارة مياه الأمطار، ولانخفاض مجرى نهر دجلة عن مستوى الأراضي الزراعية، لذلك فقد اعتمدوا في ري بعض المناطق المحيطة بالموصل على مياه العين والينابيع والآبار في سقي مزارعهم. لذلك فقد تعددت مسميات آلات الري المستخدمة فيها النواير والدواليب والدلو^(١٥٥).

طرق وأساليب الزراعة :

كان النظام الشائع في زراعة الأرض هو نظام المناوبة، اذ كان الفلاحون يزرعون قسماً من الأرض ويتروكون القسم الآخر دون زرع ليستعيد

الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين، ففي العهد الأموي حفر الوالي الأموي الحر بن يوسف سنة ١٠٧ هـ نهراً في الموصل سمي بنهر الحر^(١٥٦).

وانتهجت الدولة سياسة تخفيف الضرائب التي كانت على الفلاحين ولاسيما ضريبة الخراج وحماية الفلاحين من تصف جباة الخراج واعتاد سياسة زراعية اصلاحية، فقد اصدر الخليفة العباسي المنصور امراً بتطبيق المنهج الذي اعتمد منذ خلافة عمر بن الخطاب (في منع تحويل الاراضي الخراجية الى اراضي عشيرة، وحكم بأن أرض الخراج فيء تملكه الأمة ولا يتصرف به الافراد من الناس^(١٥٦)). وفي عهد الخليفة المهدي احدث اصلاح زراعي بأن أوجد نظام القاسمة في جباية الخراج بدل نظام المساحة^(١٥٧). وحدد الضرائب الزراعية على الأراضي حسب طريقة السقي وطبيعة الارض من حيث قربها وبعدها عن الاسواق والمدن، فوضع النصف على الأراضي التي تسقى سيقاً والثلث على الأراضي التي تسقى بالدواليب، والربع على الأراضي التي تسقى بالنواير^(١٥٨) وأمر الخليفة المأمون سنة ٢٠٤ هـ بتخفيض نسبة الخراج فجعلها ٤٠٪ من الناتج بعد ان كانت النصف^(١٥٩).

ومن السياسة اصلاحية في الزراعة التي اعتمدها المتوكل والمتعبد تأخير جباية الخراج، فبعد ان كان الخراج يجبي يوم النوروز من شهر نيسان جعل بداية جبايته في ١٧ حزيران^(١٥٠) مما كان له أثره الحسن على الفلاحين لأنه يتفق مع جني الغلات والمحاصيل الزراعية فلا يرهق المزارع في دفع ضريبة الخراج، اذ كانوا يضطرون الى الاقتراض من الصرافين بفائدة مرتفعة لتسديد ضرائب الخراج او بيع المحاصيل قبل نضجها وبأسعار رخيصة. كما انتهجت الدولة سياسة تكثير المحاصيل من حيث انواعها واصنافها فقد جلب الخليفة المعتصم انواعاً متعددة من النباتات

بسائين التخيل متشرة في سنجار وتل اعفر وفي باعشيقا والسلامية^(١٦٥). كما تكثر اشجار الزيتون في جوار معلتايا وفي باعشيقا وبلد وسنجان^(١٦٦). واشتهرت الرساتيق والقرى المحيطة بالموصل بانتاج محاصيل مختلفة منها الجوز واللوز والشاه بلوط والبندق والساق والارز والحمص والعفس والسمنسم والتوت والليمون والبرتقال والسفرجل^(١٦٧).

وتعد زراعة القطن من المزروعات المهمة في الموصل واشهر مناطق انتاجه قرى بازدي وفردى ونيسوى والمرج وحزة وعربان ورأس العين وسنجان^(١٦٨).

ان هذه المحاصيل الزراعية التي تنتج في الموصل وبكميات كبيرة تفيض عن حاجة السكان فتصدر الى الاقاليم المجاورة وكان لها اثرها في ازدهار الحياة الاقتصادية في الموصل.

الثروة الحيوانية :

تمثل في اقليم الموصل كل اشكال التضاريس الطبيعية من سهول وهضاب ووديان وجبال وبراري ، وهذا التنوع في التضاريس الارضية ساعدها لحد كبير على تنوع المحاصيل الزراعية ، كما ان وفرة المياه ساعد لحد كبير على ازدهار الزراعة كما ساعد على تربية المواشي والاعنام وغيرها من الحيوانات المختلفة وذلك لكثرة المراعي والمروج في السهول والوديان وعلى سفوح الجبال ، ومن اشهر هذه المراعي او (المروج) في الموصل مرج المي عبيدة^(١٦٩) ومرج القلعة^(١٧٠) حيث تربت عليها الاعنام والابقار والجاموس والخيول وحيوانات النقل ، وهذا ادى الى وفرة الانتاج الحيواني وازدهار صناعة منتجات الالبان والاصواف والشعر^(١٧١) كما تربى في هذه المراعي الحيوانات التي استخدمت في النقل والحراثة^(١٧٢). واشتهرت الموصل بتربية الخيول العربية الاصيلية التي وصفها المقدسي بقوله (وخصائص هذا الاقليم - الموصل - الخيل

قوته ، وفي الموسم الثاني يترك المزروع ويزرع المتروك^(١٧٣) ويسمى (نبرونير) فضلاً عن استخدام دورتين زراعتين هما الزراعة الشتوية والزراعة الصيفية^(١٧٤). وعرفوا كذلك طريقة صنع واستخدام الأسمدة (المفردة والمركبة) في الزراعة بحسب نوعية المحاصيل الزراعية ، وغالباً ما كانت تسد الأرض من فضلات الحيوانات والرماد^(١٧٥). كما استخدموا بعض المواد في معالجة النباتات والحشائش الضارة للمزروعات وذلك بخلط مواد مثل (البنج والخلاف والطرفاء) ونثرها على الأرض فيقضي على النباتات والحشائش الضارة الموجودة في الأرض^(١٧٦).

أما الآلات الزراعية فقد استخدم الفلاح الفدان او المحراث الذي تجره الثيران والمسحاة في حراثة الأرض ، واستخدم المنجل في عمليات الحصاد^(١٧٧). كما استخدم الفلاح الفدان الذي تجره الحيوانات لفصل البذور عن القش .

الثروة الزراعية :

تعد المحاصيل الزراعية في الموصل في مقدمة المصادر الاقتصادية ، وأهم هذه المحاصيل الحنطة والشعير والتي تزرع في سهول الموصل والجزيرة لخصوبة التربة وملاءمة المناخ وغزارة الامطار ، فقد اشتهرت قرى الموصل وسنجان ونصيبين بإنتاج الحنطة والشعير والقطن والكتان^(١٧٨) وتأتي اشجار الفاكهة على اختلاف انواعها في المرتبة الثانية من المحاصيل الزراعية ، حيث نمت اشجارها في مناطق الجبال المحيطة بالموصل وفي مدينة الموصل ، ويحفظ قسم منها ويصدر الى خارج الموصل^(١٧٩) كما تكثر زراعة الكروم في الموصل وبلد ونصيبين وماردين وجزيرة ابن عمر وفي الحسينية وقرى معلتايا وباصفرا شرقي الموصل^(١٨٠). وفي السلامة وجبل شعران شرقي الموصل وفي قرية باجروانا^(١٨١). وكانت

العناق^(١٧٣) وامتازت الموصل بترية النحل حيث اشتهر غسل الموصل بمجودته^(١٧٤). وكان يصدر منه كميات كبيرة الى الاقاليم المجاورة، وأشارت قوائم الخراج الى ان انتاجه في بعض السنين بلغ ما صدر منه ٢٠ ألف رطل من العسل الأبيض^(١٧٥)، وعنى اهل الموصل بترية دودة القز التي تنتج الحرير الطبيعي والذي يستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية^(١٧٦) وتكثر في الموصل حيوانات الصيد كالغزلان والارانب والطيور بأنواعها^(١٧٧). كما تكثر الاسماك في نهر دجلة وروافده فكانت تصطاد وتباع طرية او تجفف وتلحم وتصدر^(١٧٨). وبهذا فإن الثروة الحيوانية ومنتجاتها في الموصل تشكل مصدراً مهماً من مصادر المواد الغذائية الأساسية لمعيشة السكان وثروة طائلة تعود على سكان الاقليم والدولة بالخير العميم.

٢ - التجارة

(العوامل المؤثرة في نمو التجارة في الموصل)

١ - الموقع الجغرافي :

تتميز الموصل بموقعها الجغرافي الذي ساعدها على ان تحتل مركزاً تجارياً مهماً بين مدن العراق، وذلك لوقوعها بين العراق والشام والجزيرة وأرمينية واذربيجان، وبهذا الموقع اصبحت الموصل مع العراق تشكل جسراً يصل بين طرق المواصلات البرية في جنوب آسيا، وطرق المواصلات البحرية في جنوب اوربا، وذلك بحكم الموقع المتوسط بين البحر المتوسط والخليج العربي^(١٧٩). فكانت السفن تأتي من الصين والهند الى البصرة محملة بالبضائع والسلع المنتجة في تلك الاصقاع ثم تعود الى بلادها بمنتجات الشرق واوربا^(١٨٠). فاصبحت البصرة مركزاً تجارياً ومخزناً للسلع، والبضائع منها تنقل الى العراق وشمالاً الى الموصل^(١٨١). وكانت تأتي الى الموصل برأ او بالراكب بضائع ارمينيا واذربيجان،

كما تصلها القوافل التجارية برأ من اواسط آسيا وفارس محملة بالبضائع^(١٨٢). ومن بلاد الشام والجزيرة تنقل السلع والبضائع برأ الى اسواق الموصل^(١٨٣).

وما ساعد على نشاط التجارة وتوسعها انتقال مركز الخلافة الى بغداد التي كانت تقع على ملتقى الطرق التجارية البرية والنهرية ومنها تنقل التجارات الى الموصل وغيرها من الاقاليم.

٢ - الطلب على السلع والبضائع

ان تحول المجتمع العربي الاسلامي الى طور صارت فيه التجارة من أهم أركان الحياة الاقتصادية، واحتلت مكانة مهمة في الاقتصاد، وذلك لزيادة الثروة وبروز ظاهرة الترف، وسهولة وسائل الاتصال التجاري البري والبحري، فضلاً عن ازدهار الزراعة والصناعة، فكانت الموصل تتميز بانتاج كثير من السلع المصنوعة والمواد الغذائية والاولية والتي تزيد عن حاجة السكان فتصدر الى الخارج^(١٨٤). وادى هذا الرخاء الاقتصادي في اقليم الموصل الى زيادة الطلب على السلع والمنتجات المختلفة من الاقاليم الاخرى خاصة من ارمينيا واذربيجان والجزيرة وبلاد الشام والهند والصين وفارس^(١٨٥) فاصبح الطلب على السلع والبضائع على نحو متبادل بين الموصل والاقاليم الاخرى

٣ - حماية طرق التجارة

لقد كانت طرق التجارة في الموصل كثيرة ومتنوعة فكانت الطرق التجارية تصل بين الموصل والعراق وبين الموصل ومدن الجزيرة وبلاد الشام وبين الموصل ورمينيا وبلاد الروم بوساطة نهريه وبرية مما ساعد لحد كبير على نشاط التجارة الداخلية والخارجية وقد بذلت الدولة العربية الاسلامية عناية بالطرق التجارية وحمايتها فكانت تزود القوافل التجارية بالحراس لحمايتها من

للصوص وقطاع الطرق براً ومن قراصنة البحر بحراً ودليلاً على ذلك فقد بذل الحمدانيون في الموصل وبالتعاون مع السلطة المركزية في بغداد جهوداً كبيرة من اجل صيانة الطرق وحماية امنها لتسهيل مرور التجارة ، ففي ولاية ابي تغلب بن ناصر الدولة على الموصل امر بأن يوكل بالطرقات من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهاراً ، ويستقر بها سهلاً وجبلاً ويسير في برها ويمررها ويقلد عليهم اهل النجدة والبسالة... لتؤمن السبل وتحمي المسالك وتدر للريعة المتاجر لتستقيم لها اسباب العيش وتكون الطرق مضبوطة والآمال محوطة (١٨٦).

٤- تأمين اقامة وحماية التجار

كان من آثار السياسة التجارية التي اعتمدها الخلفاء الامويون والعباسيون في حماية التجارة ان نشطت التجارة الداخلية والخارجية ، فكانت الموصل محطة للقوافل التجارية وسوقاً تجارية واسعة مما استدعت الحاجة الى ايجاد اماكن لسكنى التجار وايواء حيواناتهم فانشأوا الفنادق والخانات والحمامات لتسهيل اقامة التجار الاجانب فضلاً عن التجار العرب المسلمين الوافدين من الاقاليم الاسلامية ، فقد ذكر الأزدي انه كان للحر بن يوسف فنادق (١٨٧) وقد سماها بعض المؤرخين التزل (١٨٨) ومن هذه الفنادق فندق دار الحواكين الواقع في سوق الحشيش (١٨٩) وقد أشار اليها ابن حوقل في حديثه عن الموصل ان بها خانات وفنادق (١٩٠) لايواء التجار ، وكان التاجر يستطيع ان يودع امواله وبضائعه وحيواناته في خان او فندق ، وغالباً ما كانت هذه الخانات والفنادق قريبة من الاسواق لتسهيل نقل البضائع منها واليها (١٩١).

٥- الرقابة على الاسواق :

ولمكانة موقع الموصل التجاري واحاطتها بكثير من المدن والقرى والقصباء أصبحت تجارتها رائجة

بما ادى الى توسع اسواقها وكثرة عددهم بحيث كان لكل صنف من اصناف البضائع سوقان او ثلاثة او اربعة خاصة بها ، وكان كل سوق منها ينتظم مائة حانوت او اكثر (١٩٢). ويذكر الأزدي (١٩٣). من اسواق الموصل المهمة سوق الاربعاء يقام في كل يوم اربعاء. وكان على كل ركن من السوق فندق (١٩٤) وهناك العديد من الاسواق المهمة منها سوق البزازين ، وسوق السراجين ، وسوق القتابين وسوق الشعارين ، وسوق الدواب ، وسوق الحشيش يباع فيه علف الحيوانات (١٩٥). وغيرهم ولقد فرضت الدولة رقابة شديدة على الاسواق التجارية بهدف تنظيم معاملات البيع والشراء وحماية التجار الوافدين لمنع الغش والتلاعب بالاسعار ، فكان المحتسب يتخذ له اعواناً يساعدونه في مراقبة الاسواق والأوزان والمكاييل (١٩٦). والمعاملات التجارية والاشراف على نظافة الاسواق ، ومنع التجاران بغبوا الرعايا اشيائهم ، ولا يفسح لهم ان يرفعوا عن الحق اسعارهم (١٩٧). ومنع ان يحتكر التجار صنفاً من اصناف السلع ويلزمهم بيعه (١٩٨). ويتصدى المحتسب للنظر في البيوع الفاسدة ومراقبة النقود التي يتعامل بها الناس (١٩٩). ويحمل على الماطلين على اداء ما عليهم من الديون (٢٠٠). وبذلك فرضت الدولة رقابتها على الاسواق التجارية .

٦- نشاط العمليات المصرفية التجارية :

كان من آثار نشاط الحركة التجارية في الدولة العربية الاسلامية عامة والموصل خاصة ان تدفقت الاموال على التجار واصحاب رؤوس الاموال ، فظهرت الحاجة الى ايجاد أسهل الوسائل لنقل الاموال من بلد الى آخر للحفاظ عليها من السرقة ، ولايجاد اماكن لحفظها وتداولها وصرفها وقت الحاجة ، وإلى اقراض التجار وقبول الودائع كل ذلك ادى الى ظهور النظام المصرفي الذي بدأ اول الامر بشكل بيوتات مالية قام عليها الصرافون ، أصحاب

٦- طريق الموصل - آمد - الرقة ، يبدأ من الموصل - نصيبين - آمد - شمشا (الرها حران - باجروان - الرقة (٢٠٩).

اما وسائط النقل الرئيسة فهي الأبل ، واهالي شرقي الموصل جالون يكرون جماعهم للتجارة الى خراسان (٢١٠) وتشكل البغال والحميز والخيل الوسائل المهمة لنقل البضائع والمسافرين (٢١١)

وكانت طرق المواصلات البرية تحت اشراف الدولة ويقوم بها ديوان البريد حيث تنتشر محطات البريد على طول هذه الطرق لحماية القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق ، وتقدم خدمات للمسافرين لوجود اماكن الراحة مزودة بالماء والطعام كما في طرق بريد الموصل (٢١٢).

الطرق التجارية النهرية

بعد نهر دجلة الطريق النهرى الرئيس حيث تنقل بوساطته التجارة والمسافرون بالزوارق والسفن والمراكب التي تسير في دجلة الى الموصل (٢١٣). وكانت تصل السفن التجارية من الموصل الى البصرة (٢١٤). وبالعكس ، كما تنقل التجارة بوساطته من بلاد الروم الى الموصل (٢١٥).

وكانت الضرائب تجبى على التجارة النهرية في اماكن معينة تسمى (المآصر) او الحواجز وهي سلسلة تمتد على طرقي النهر توصله السفن والسابلة ليؤخذ منهم العشر (٢١٦). فيذكر ياقوت انه (كان في العقرقرة في كف جبل حميرين من جهة الموصل وبه مآصر لصاحب الموصل يأخذون فيه الخفارة لحفظ السابلة ، فقد كان اميرها يفرض على كل السلع التجارية (٢١٧). ومكان آخر قرب الموصل لأخذ العشر على الطريق النهرى (٢١٨) ويبدو أن هذه الضرائب فرضت ايام الحمدانيين ، فقد فرضوا ضريبة العشر على التجارة البرية والنهرية وذلك لحاجتهم الى الاموال لمواجهة حركة الجهاد ضد الصليبيين.

الاموال والتجار من اهل الذمة ، ولم يلبث ان قام هؤلاء الصيارفة فيما بينهم بتكوين شركات مالية ، ثم توسعت عمليات الصيرفة الى قبول الودائع واقراض التجار (٢١١) ثم اخذت اعمال الصيارفة بالتوسع فشملت تحويل النقود على شكل سفاتج وصكوك (٢١٢) وتصفية الحسابات بين التجار في مدن مختلفة دون الحاجة الى نقل النقود (٢١٣). ودون تعرضها لاختطار الطريق مما سهلت ووسعت التبادل التجاري.

طرق التجارة (البرية والنهرية)

ان الموقع الجغرافي الذي تتمتع به الموصل بين اقاليم عدة جعلها ملتقى الطرق التجارية الداخلية والخارجية البرية منها والنهرية . واهم هذه الطرق هي :

الطرق التجارية البرية

تعد الموصل ملتقى للطرق التجارية البرية التي تربطها بالاقاليم والمناطق المجاورة . فهي ترتبط براً مع العراق جنوباً وشمالاً مع ارمينيا وبلاد الروم وشرقاً مع خراسان واذربيجان وغرباً مع الجزيرة وبلاد الشام . واهم الطرق البرية هي :

- ١ - طريق الموصل - السواد ويسير محاذياً لنهر دجلة ماراً بالحديثة - السن - بارما الكرخ - القادسية - عكبرا - بردان - السواد (٢١٤)
- ٢ - طريق الموصل - نصيبين ماراً ببلد - سنجان - برقيمد - تل الفراسنة - نصيبين (٢١٥).
- ٣ - طريق الموصل - آمد ماراً ببلد - جزيرة ابن عمر - التل - آمد (٢١٦)
- ٤ - طريق الموصل - جزيرة ابن عمر ماراً بمعلثايا - الحسينية - جزيرة ابن عمر (٢١٧)
- ٥ - طريق الموصل - قرقيسيا ماراً ببلد - تل اغفر - سنجان - ماكسين - الخابور - قرقيسيا (٢١٨)

التجارة الداخلية والخارجية

والصناعات الجلدية ، والصناعات المعدنية وذلك لتوافر معدن الحديد في جبل الهكارية شرقي الموصل ، ومن هذه الصناعات صناعة الاسلحة والابواب الحديدية والسكاكين والسلاسل والصناعات النحاسية (٢٢٦) المنزلية . وتنتج الموصل نوعاً من الصخور السود والمسماة بحجر الارحاء وتصنع منها احجار الطواحين والتي تستخدم في طحن الحبوب وتصدرها الى العراق (٢٢٧) والاقاليم المجاورة وترد الى الموصل من نواحيها الكثير والعديد من المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية فيرد الى الموصل من نصيبين الرصاص وماء الورد (٢٢٨) ومن ماردين جوهر الزجاج ، (٢٢٩) والاكسية المصنوعة من المرز (٢٣٠) وتصدر آمد الثياب المشاة والمناديل والحارم الرقاق والطيايسة وثياب الصوف (٢٣١) .

اما التجارة الخارجية فكانت تأتي الى الموصل سلع ومنتجات الهند والصين بوساطة البحر الى البصرة وتحمل عن طريق دجلة الى بغداد والموصل ، كما تأتيها التجارة من ارمينيا واذريجان وتحمل اليها البسط والفرش واللبد بوساطة القوافل البرية ، كما تصل الى الموصل القوافل التجارية براً من فارس ومنها بضائع الصين والهند وفارس (٢٣٢) من المنسوجات الحريرية والتوابل والاخشاب والعطور والاحجار الكريمة وتعود منها منتجات الموصل والعراق واوروبا (٢٣٣) .

ان نشاط التجارة الداخلية والخارجية ساعد لحد كبير على زيادة الثروة وازدهار الحياة الاقتصادية .

(الصيرفة وعمليات الائتمان)

الصيرفة :

كان من آثار نشاط الحركة التجارية والتوسع في مجال المعاملات التجارية ان تدفقت الاموال على التجار واصحاب الثروات من الشرق والغرب ، وظهرت الحاجة الى ايجاد وسائل اكثر سهولة واماناً

ان موقع الموصل الجغرافي المتميز جعلها تشكل حلقة المواصلات التجارية بين العراق ورمينيا واذريجان وبلاد الشام وبلاد الروم ، وتشكل جسراً دولياً يربط بين طرق المواصلات التجارية البحرية في جنوب اسيا وطرق المواصلات التجارية البحرية في جنوب اوربا وذلك لتوسط الموقع بين الخليج العربي والبحر المتوسط (٢١٩) كما تعد الموصل بداية الممر المائي الذي يصل الموصل ببغداد والبصرة بالخليج العربي بوساطة نهر دجلة ولذلك فقد عدها القزويني (...) محط رحال الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى اذريجان وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام نيسابور لانها باب المشرق ودمشق باب المغرب والموصل لان القاصد من الجهتين قل ما لا يمر بها (٢٢٠) .

وكان لوفرة الانتاج الزراعي والحيواني والصناعي اثر كبير في ازدهار التجارة وتقدمها فتصدر الموصل الحبوب والفواكه والخضراوات والمواد الغذائية الاخرى كالعسل والشحوم والزيوت والجلين والساق والفواكه المجففة (٢٢١) . الى الاقاليم المجاورة وتصدر الموصل الماشية من الابقار والاغنام والماعز والجاموس (٢٢٢) واللحوم المملحة والسمن ، كما تصدر الاخشاب التي تقطع من جبل شعران شرقي الموصل (٢٢٣) .

واشتهرت الموصل بانتاجها الصناعي ، لتوافر المواد الاولية للصناعة والخبرة الماهرة قامت فيها صناعات تعتمد على الانتاج الزراعي والحيواني كصناعة الانسجة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية واشهرها صناعة نوع من المنسوجات الرقيقة عرفت في اوربا باسم الموسيليني نسبة الى الموصل (٢٢٤) كما تصدر الستور والمسوح (٢٢٥) .

ومن الصناعات الاخرى التي اشتهرت بها الموصل صناعة الالبان (الجبين) وصناعة الصابون ،

والسفتجة.

الصك :

استخدم الصك وسيلة لدفع الاموال في مجالات عدة في المعاملات التجارية وفي الاقراض وفي ايفاء الديون ، وهو امر خطي يدفع بوساطته مقدار من النقود الى الشخص المسمى به (٢٤٣) وتشير بعض المصادر الى استعمال الصك منذ صدر الاسلام اذ كانت الارزاق والرواتب تدفع احياناً على شكل صكوك فيذكر اليعقوبي (ان عمر بن الخطاب كان اول من صك وختم في اسفل الصكالك) (٢٤٤) وكثر استعمال الصكوك خلال العصر العباسي ، فكان الخليفة الوالي يصرف راتب الامير المتوكل من بيت المال بصك يتضمن المبلغ المقرر له (٢٤٥) وفي خلافة المعتضد كانت تحرر الصكوك شهرياً لصرف رواتب العاملين في دار الخلافة وعطاء الجيش (٢٤٦) واكثر انواع الصكوك هي صكوك الدين التي يتعامل بها عامة الناس والعادة ان الصكوك تحال الى الصيارفة لصرفها باسم حاملها (٢٤٧) وهناك معنى آخر لكلمة الصك اذ كانت تطلق عليه (سند الدين) وفي هذه الحالة كان يلزم تصديقه من قبل الشهود (٢٤٨) ويقوم الصيارفة بصرف الصكوك لقاء فائدة محدودة (٢٤٩) وكانت في كل دينار درهم (٢٥٠).

السفتجة :

استخدمت السفتجة وسيلة متقدمة من وسائل التعامل المالي والتجاري وكثر التعامل بها على النطاق الشعبي والرسمي بسبب نشاط الحركة التجارية فكانت تستخدم في تسوية الديون بين التجار وفي تسديد الولاة ماعليهم للخلافة الى جانب التعامل بالصكوك والنقود وقد اوجدت السفتجة وسيلة لنقل النقود من مكان الى آخر دون تعرضها لاختار الطريق ، وهو ان يقوم صاحب المال بارسال كتاب (سفتجة) الى وكيله يخوله ان يدفع مالا قراضاً بأمن

لنقل هذه الاموال من بلد الى آخر، وإيجاد وسائل امينة لحفظها وتداولها وصرفها وقت الحاجة ، والقيام بتسوية المعاملات المالية بين التجار وذلك لاختلاف العملات النقدية بين الاقاليم والبلدان المختلفة ، وهذه الصعوبات ادت الى التفكير في ايجاد بيوتات مالية وشركات مالية تتولى هذه الامور لتسهيل مهمة التجار فأدى ظهور النظام المصرفي الذي استطاع ان يوسع عمليات الصيرفة وقبول الودائع من التجار (٢٣٤). ثم اخذت تتوسع اعمال الصيارفة لتشمل تحويل النقود بطريقة الصكوك والسفاتيح (٢٣٥) وقام الصرافون بتقويم النقود من حيث جودتها ووزنها ، ثم توسعت اعمال الصيارفة بتوسع التجارة فقاموا بتسليف التجار وقبول الودائع منهم ، وصرف الصكوك والسفاتيح لتسهيل تجارة الائتمان (٢٣٦). كما قام الصرافون بتقديم القروض والسلف للدولة في اوقات الازمات المالية ولما كانت الشريعة الاسلامية تحرم على المسلم التعامل بالربا فقد مارس اليهود والنصارى لذلك مهنة الصيرفة ونالوا ارباحاً طائلة (٢٣٧) مما دفعهم الى تأسيس بيوت الاموال والمصارف (٢٣٨).

وكانت اموال الصيارفة تتكون من اموالهم الخاصة ومن اموال ودائع التجار وكبار رجال الدولة ومن فوائد معاملات الاقتراض وتسليف التجار ومن فوائد تبادل النقود (٢٣٩).

وكان هناك صيارفة رسميون في الدولة العباسية سماهم بـ (الجهابذة) والواحد منهم (جهبذ) والجهبذ الناقد الخبير بغوامض الامور المالية والعارف بطرق النقد وصرفها وتبادلها وكان يقوم ايضاً بالصيارفة في العمليات المالية من حيث الاقراض او التسليف (٢٤١).

وكانت معاملات الائتمان التجاري تتم عن طريق الصيارفة حيث يحول التاجر ثمن التجارة على الصراف الذي يمنحه صكاً بالاموال (٢٤٢). وتم عمليات تحويل اموال التجار بطريقة الصك

به خطر الطريق^(٢٥١) كما استخدمت السفتجة لتحويل الديون من شخص لآخر وتصفية الحسابات بين التجار في مدن مختلفة دون الحاجة الى نقل النقود وقد كان ولاية الاقاليم يرسلون مازاد من دخل ولاياتهم الى بغداد بسفانج^(٢٥٢) ولم تكن السفانج قابلة للتحويل لغير صاحبها^(٢٥٣) ولذا فهي تشبه الكبيالة في بنائها واستعمالها^(٢٥٤) وكان هناك نوع من السفانج تحدد فيها مدة معينة لصرفها^(٢٥٥).

وهذا فقد اسهمت المؤسسات المالية من صياقة وجهابذة وبيوت الاموال بدرجة كبيرة في تسهيل معاملات التجار بتوفير النقود وعمليات الائتمان وتسوية المعاملات التجارية بوساطة السفانج والصكوك بين التجار في مختلف المدن والاقطار.

عمليات الائتمان التجاري

كان للائتمان دور مهم في النشاط التجاري ، اذ يوفر المال للتجار عند الحاجة الى جانب الاموال ، وبمجي الفرص لتشغيل رؤوس الاموال الزائدة على نحو منتج ، وقد شاع استخدام عمليات الائتمان في التجارة الخارجية لاختلاف قيم النقود وانواعها ولتجنب أخطار نقل النقود من اقليم الى آخر. كما ان اتساع النشاط التجاري في التجارة الخارجية استدعى استخدام التجار للوكلاء يكتبون اليهم بحال الاسواق وينوبون عنهم في تسوية الاموال في المعاملات التجارية^(٢٥٦). وبذلك اصبح للتجار وكلاء وعملاء في مختلف المدن التجارية كما كان الائتمان شائعاً بين التجار انفسهم مما يدل على اهمية ضرورة في تسهيل التجارة وكانت معاملات الائتمان (الاقراض والتسديد) تنظم في صكوك ويوقع شاهدان على الصك^(٢٥٧) ويختم الصك ، وحيثما كان يشترط الدائن على المدين وجود كفيل يتعهد بدفع الدين

متى عجز المدين عن دفع الدين^(٢٥٨) وكان الدين يحول احياناً الى شخص آخر لتصفية الديون (وتسمى في الوقت الحاضر المقاصة) كما استخدمت السفتجة في تصفية الديون دون استخدام النقود^(٢٥٩) وكانت معاملات الائتمان تحصل بين التجار والدولة وخاصة في اوقات الازمات المالية وتقدم الدولة للصياقة ضمانات بالدين على شكل سفانج^(٢٦٠) وكان التجار يأخذون فائدة على مايقترضونه للدولة وعلى السفانج التي يصرفونها . فمثلاً كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح يدفع فائدة قدرها درهم في كل دينار من الدين^(٢٦١) كعمولة عن الاموال التي اقترضتها الدولة.

انواع الائتمان التجاري :

١- السلف المؤجلة : وهي الاموال التي تقرض للتجار وتسد في وقت معين حسب طبيعة الائتمان ، وهذا الاسلوب متبع حتى الان حيث تقوم المصارف الرسمية والاهلية به لتسهيل مهمة اقراض التجار^(٢٦٢).

٢- السلف المنجمة : وهي الاموال التي تقرض للتجار على ان تدفع بأقساط معينة بمحدد معها وقت الدفع ومازالت متبعة حالياً وتقوم به المصارف الرسمية والشركات التجارية لتسهيل اقراض التجار^(٢٦٣).

٣- المضاربة : وهو قيام شخص باستخدام اموال شخص آخر في التجارة لقاء حصة من الربح ، ويحدد الاتفاق بشروط العمل والامكان التي يذهب اليها المضارب لايكون مسؤولاً عن تعويض اية خسارة تمس رأس المال ، وتخصم اجور النقل والاقامة من صافي الارباح ، وقد يساهم المضارب برأسمال بسيط^(٢٦٤).

الصناعة :

كان لتقدم الزراعة والصناعة والتجارة اثر كبير

في ازدهار الحياة الاقتصادية في الموصل وتعد الصناعة إحدى ركائز التقدم الاقتصادي في الموصل وذلك لوفرة المواد الأولية المختلفة كالمواد المعدنية مثل الحديد والنحاس والكبريت والقيز^(٢٦٥) والصخور الكلسية التي استخدم نوع منها في صناعة احجار الطواحين وفي بناء العائر والمآذن^(٢٦٦) كما تتوافر في الموصل المنتجات الزراعية والحيوانية والتي استخدمت في الصناعات المختلفة كصناعة الالبان وصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية. كما ان ظهور طبقة غنية ثرية مارست مهنة التجارة والزراعة والصناعة وحصلت على ثروات طائلة اخذت تشكل قوة شرائية كبيرة للحصول على متطلباتها الجديدة مما حملت اصحاب الصناعات والتجار الى توفيرها ولاسيما المنسوجات والمصنوعات الكالية وادوات الزينة والحلي والفرش والاثاث وغيرهم.

اهم الصناعات

اشتهرت الموصل بالعديد من الصناعات منها صناعة الادوات المنزلية كالاسطال والسكاكين^(٢٦٧) والصناعات النحاسية والمعدنية كصياغة الذهب والفضة^(٢٦٨) والصناعات الحديدية كصناعة الاسلحة والابواب وادوات الحراثة^(٢٦٩) وصناعة الارحاء التي تستخدم في طواحين طحن الحبوب^(٢٧٠) كما اشتهرت الموصل بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية ، واشتهرت بصناعة نوع من المنسوجات الرقيقة عرفت في اوربا بالموسيلين نسب الى الموصل^(٢٧١) وصناعة الستور والمسوح^(٢٧٢).

ونشأت في الموصل صناعات قائمة على الانتاج الحيواني وأهمها صناعة الالبان (الجبن) كما اشتهرت الموصل بانتاج العسل^(٢٧٣) ومن الصناعات الغذائية التي اشتهرت بها الموصل صناعة حفظ

اللحوم وصناعة تجفيف الفواكه وصناعة الجبن^(٢٧٤) والصناعات الجلدية ، كالسروج والخفاف وديع الجلود^(٢٧٥) وصناعة نسج بيوت الشعر من شعر الماعز وله سوق خاص به عرف ب (سوق الشعارين)^(٢٧٦) وازدهرت في الموصل صناعة التجارة فكان التجارون يصنعون المناضد والكراسي والابواب والسقوف الخشبية والاثاث المنزلية من اسرة ودواليب^(٢٧٧). كما صنع التجارون الآلات الموسيقية من الخشب كالعود، ومن الصناعات الخشبية صناعة القوارب والزوارق^(٢٧٨).

وبرز العديد من الصناع في الصناعات الدقيقة كالنقاشين والتقارين والبنائين ظهرت آيات فنونهم المهنية والحرفية في المشاهد والاضرحة والمساجد من خلال ماتركوه من نقوش في الرخام والكتابات المتنوعة في المساجد والمحارب^(٢٧٩).

وقد ازدهرت الصناعة كثيراً في عهد الحمدانيين وكان لهم دور كبير في تشجيع الصناعات التي تهمهم مثل صناعة الثياب والسجاد والصناعات الحديدية التي لها علاقة في صنع الاسلحة وفي بناء المساجد والقصور^(٢٨٠).

الا ان هذه الصناعات قد تأثرت في فترة حكم العقيليين لكثرة الحروب والمنازعات وفي الفترات التالية وخلال حكم الاتابكة انتشر الامن فازدهرت فيها الصناعات^(٢٨١) واصبح للموصل مركز مهم في صناعة التحف المعدنية المنزلية والمزينة بالذهب والفضة وقد تميزت منتجاتها بدقة الزخارف المطعمة بالذهب واصبح لمدرسة الموصل في الصناعة في فترة النفوذ السلجوقي اكبر الاثر في تطور صناعة المعادن في سائر الاقاليم الاسلامية حيث رحل صناع كثيرون الى القاهرة وحلب ودمشق وبغداد ، واسسوا مدارس جديدة هناك لصناعة التحف بأسلوب فني ظهر فيها التأثير بأساليب مدرسة الموصل الفنية^(٢٨٢).

وبما يدل على رسوخ الصناعات في الموصل من خلال ما ذكر عن اعلامها وهم : الحداد والنجار والحائك والنحاس والصباغ والصائغ والبناء والخياط وغيرهم وكان لكل صناعة وحرفة سوق خاص بها مثل سوق الشعارين وسوق الغزل وسوق البزازين وسوق الحدادين وسوق النجارين وسوق الصقارين وسوق القزازين... وغيرهم (٢٨٣).

التنظيم المهني والحرفي

كانت طبقة الصناع في الدولة العربية الاسلامية تتكون من فئات متعددة عرب مسلمين وغير مسلمين وموالي واهل ذمة وعبيد، وقد اباح الاسلام لهم جميعاً القيام بجميع المهن والحرف والتجارة والزراعة، كما اباح الاسلام للذمي مشاركة المسلم في التجارة والاعمال الصناعية (٢٨٤) وقد اختص اهل الذمة ببعض الحرف والصناعات، فكان اليهود والنصارى يقومون باعمال الصباغة والصباغة والخياطة والاسكافة والحجامة والقصاري والقصابة والصيرفة (٢٨٥) وامتن العرب المهن والصناعات المتعددة منها الحياكة والصباغة والحدادة والنجارة وتفتنوا في نقوشها وزخارفها، وبرعوا في الصناعات الحديدية كالسيوف والدروع ونصل الرماح كما تفتنوا في صياغة الحلبي الذهبية والفضية المرصعة بالجواهر، وبرعوا في الحياكة فنسجوا الخز والكتان والصوف، وحاكوا البرود والحلل المخططة المشوة بالقصب والمطرزة بخيوط الذهب، كما زاولوا مهنة التعليم، واتقوا فن الهندسة والبناء وبرزوا في مهنة الطب وصناعة الادوية وكانت هذه الصناعات منتشرة في مختلف مدن وحواضر الدول العربية الاسلامية ومنها الموصل.

وكان اصحاب الصناعات والحرف في الموصل يعملون في اماكن مخصصة لكل حرفة او صناعة

لا يختلطون بغيرهم، فهناك اسواق الحدادين والنجارين والاسكافة والصباغة، والنحاسين... الخ وكان لكل صانع حانوت يديره لوحده او يساعده فيه ابناؤه او عدد من الصناع والشركاء يعاونهم عدد من المتدربين يتدربون على أيديهم على نوع الصناعة حتى يتم اتقانها.

الحرف والاصناف

تعود بدايات تنظيم العمل بين اصحاب الصناعات وتكتل العمال وتكوين النقابات على شكل مهن وحرف وأصناف وطوائف بالمدن العربية الاسلامية الى القرن الثالث الهجري (٢٨٦) حيث وردت في المصادر التاريخية مصطلحات تشير الى بدايات التنظيم المهني لاصحاب الحرف منها (الاصناف) (٢٨٧) و (اصحاب المهن) (٢٨٨) و (اهل الصناعات) (٢٨٩) و (ارباب المهن) (٢٩٠) وقد ارتبط مصطلح (الصنف) بالاسواق وتنظيمها، فقد وصف يعقوبي في معرض حديثه عن اسواق سامراء قوله (وجعل لكل تجارة منفردة وكل قوم على مهنتهم) (٢٩١) وقد ولد لدى الصناع واصحاب الحرف هذا الانفراد شعور بالتكتل والاستقلال (٢٩٢).

كما اوجد ذلك نوعاً من الترابط والتعاون بين اصحاب الحرفة الواحدة، وقد أشار الجاحظ الى اهمية ذلك في حفظ اسرار بعضهم لبعض (٢٩٣) وقد فشت النسبة الى المهنة حتى صار من امثالهم (الصناعة نسب) (٢٩٤) فظهر بجانب النسب المألوف الى القبيلة او المدينة النسب للحرفة مثل (ابن الجراح) و (الحائك) و (الخصاص) و (الثعالي) و (الحلاج) وغيرهم من اصحاب الصناعات مما يدل على ان الاشتغال بالمهن لم يعد محقراً.

وقد نظمت الاسواق في الموصل على غرار اسواق البصرة واسط وسامراء وجعل اصحاب كل حرفة او مهنة معزولين في ناحية معينة (٢٩٥)

وقد استخدم لفظ الصنف للتعبير عن اهل الحرف فيذكر الجاحظ اصناف الجزارين والشوائب^(٢٩٦). ويطلق ياقوت كلمة صنف على اهل المهن والحرف كصنف الصاغة وصنف الصياغة^(٢٩٧) واطلقت الحرفة للدلالة على العمل الصناعي^(٢٩٨).

كان التنظيم المهني عند أصحاب الحرف والاصناف قائماً على اساس ان لكل صنف وحرفة (رئيس) يختار من اعضاء الحرفة او الصنف تعينه الحكومة وهو شيخ الصنف^(٢٩٩) وهناك (الاستاذ) وهو المتقدم في الحرفة^(٣٠٠) ويليهم العمال (الصناع) وهم الذين اتقنوا الحرفة وبامكانهم فتح حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين^(٣٠١). وادنى درجة في الحرفة (المبتدئ) الذي انتسب للحرفة حديثاً ولا يزال في مرحلة التعلم^(٣٠٢).

ولقد كانت الحرف والاصناف والاسواق تحت مراقبة واشراف الدولة من خلال وظيفة المحتسب الذي يتولى الاشراف على الاسواق لمنع الغش في الصناعات، وبراعي في انتاجها الجودة^(٣٠٣) في الصنعة وختاماً: يمكن القول ان التنظيمات المهنية والحرفية نشأت بصورة تدريجية وأخذت تتطور وفقاً لحاجات المجتمع العربي الاسلامي خلال العصور، وظهرت بصورتها الكاملة الواضحة في العصور العباسية المتأخرة فكانت عصرها الذهبي.

الهوامش :

- (١) انظر الماوردي (الاحكام السلطانية)، مالك بن أنس (المودة الكبرى)، القرطبي (احكام القرآن) ابو بكر الرازي (احكام القرآن) السرخسي (المبسوط) الشافعي (الأم) ابن تيمية (الفتاوى الكبرى) ابن القيم الجوزية (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية) وغيرهم.
- (٢) محمد احمد صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومركزات ص ٣٣ (مجلد الاقتصاد الاسلامي/ مكة المكرمة ١٩٨٠).
- (٣) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومركزات مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٤٢.

- (٤) المصدر نفسه ص ٤٥.
- (٥) محمد شوقي الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام مجلد الاقتصاد الاسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٥٤.
- (٦) انظر: ابن الاثير محمد احمد القرشي (معالم القرية في احكام الحسبة) كمبرج ١٩٣٣ ص ١١-١٣ ابن تيمية (الحسبة في الاسلام) ص ١٠. الماوردي (الاحكام السلطانية) القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٧-٥٢ الغزالي (احياء علوم الدين) القاهرة ١٩٣٩ ج ٢ ص ٣٠٤. الشيزي (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) القاهرة ١٩٤٦ ص ١٢-٢٠ وغيرهم.
- (٧) ابن تيمية: الحسبة في الاسلام طبع المكتبة العلمية- القاهرة. ص ١٦-١٩
- (٨) الاحتكار: معناه ان يشتري وقت الكثرة ليرخص الاسعار ويخزنه ليبيع وقت القلة ليزداد ثمنه.
- (٩) صقر: دور الدولة في الاقتصاد الاسلامي (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٦٠
- (١٠) القرشي: معالم القرية في طلب الحسبة ص ٦٦٢
- (١١) ابن تيمية: الحسبة في الاسلام ص ٢٧
- (١٢) محي الدين طرزي: النظام للمالي الاسلامي ص ٢٠ ص ١١٠ بحث ضمن مجلد ندوة التنظيم الاسلامي الرياض ١٩٨٤
- (١٣) سورة التوبة آية ٢٥
- (١٤) سورة يس آية ٣٥
- (١٥) رواه البخاري واحمد بن حنبل
- (١٦) رواه ابن ماجة وانظر محمد فهد شقفة (احكام العمل وحقوق العمال في الاسلام) دار الارشاد ببيروت ١٩٦٧
- (١٧) سورة آل عمران آية ١٩٥
- (١٨) محمد شوقي الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٠٠
- (١٩) سورة التوبة آية ٦٠
- (٢٠) سورة البقرة آية ٨٣
- (٢١) الفنجري: المذهب الاقتصادي ص ١٠٣
- (٢٢) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومركزات ص ٥٠
- (٢٣) المصدر السابق نفسه ص ٥٢
- (٢٤) صقر: الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومركزات ص ٥٣
- (٢٥) الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام ص ٩٢
- (٢٦) المصدر السابق نفسه ص ٩٥
- (٢٧) حسن عمر بلخي: الاقتصاد الاسلامي (مجلد الاقتصاد الاسلامي) مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٤٦
- (٢٨) حسن عمر بلخي: الاقتصاد الاسلامي ص ١٤٧.
- (٢٩) سورة التوبة آية ١١٣.
- (٣٠) سورة النساء آية ٧.
- (٣١) مناع خليل القطان: مفهوم وسنخ الاقتصاد الاسلامي ومجلد الاقتصاد الاسلامي مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٣٩.
- (٣٢) الفنجري: المذهب الاقتصادي في الاسلام ص ٨٧.
- (٣٣) انظر فتاوى ابن تيمية طبع مكتبة المعارف- الرباط- المغرب ج ٦ ص ٥٨.
- (٣٤) محمد المبارك: نظام الاسلام الاقتصادي مجلد الاقتصاد

- (٦٤) أبن آدم : الخراج ص ١٧ .
- (٦٥) سورة الحشر آية ٧ .
- (٦٦) ابن آدم : الخراج ص ١٧ .
- (٦٧) سورة الانفال آية ٤١ .
- (٦٨) أبو يوسف الخراج ص ٢٤ - ٢٥ .
- (٦٩) المصدر السابق نفسه ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٧٠) ابن سلام ، الأموال ، ص ٥٣٨ .
- (٧١) ابن قيم الجوزية : احكام اهل الذمة ص ١٦١ .
- (٧٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦٧ .
- (٧٣) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٨٣ .
- (٧٤) أبو يوسف الخراج ص ٢٣ - ٢٤ .
- (٧٥) ابن طاطايا : الفخري في الاداب السلطانية طبع القاهرة ص ٢٠٦ .
- (٧٦) السعدي : مروج الذهب القاهرة ١٩٥٨ ج ٢ ص ٢٧٩ .
- (٧٧) بنبلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام القدس ١٩٢٨ القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٢ .
- (٧٨) ابن الجوزي : مناقب بغداد ، بغداد ١٣٤٢ هـ ص ١٣ .
- (٧٩) اليعقوبي : البلدان - ليدن ١٨٩٢ م ص ٣٠ .
- (٨٠) الطبري : حوادث سنة ٢٢٧ هـ .
- (٨١) آدم متر : الحضارة الاسلامية ببيروت ١٩٦٧ ج ١ ص ١٨٩ .
- (٨٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ببيروت ١٩٧٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .
- (٨٣) المقرئ : شذور المقود في اخبار القود الاسكندرية ١٩٣١ ص ٣٠ .
- (٨٤) معيد علي الجارحي : النظم المثالية الاسلامية ج ٢ ص ٢٣ بحث في مجلد وقائع ندوة النظم الاسلامية - الرياض
- (٨٥) المقرئ : شذور المقود ص ٣٢
- (٨٦) محمد باقر الحسيني : تطور القود العربية ص ١٤
- (٨٧) المقرئ : شذور المقود ص ٣٢
- (٨٨) البلاذري فتح البلدان نشر مكتبة النهضة المصرية ص ٤٧٣
- (٨٩) البلاذري : فتح البلدان ص ٤٧٣
- (٩٠) المقرئ : شذور المقود ص ٣٣
- (٩١) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٤٨
- (٩٢) ابن سلام : الأموال ص ٤٦٦
- (٩٣) المقرئ : شذور المقود ص ٤ - ٦
- (٩٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٠٥
- (٩٥) رفيق المصري : الاسلام والمقود ص ٢٧ - ٢٨
- (٩٦) الكرمل : (القود العربية وعلم القبايح ص ١٢٢) القاهرة ١٩٣٩ ص ١٢٢ .
- (٩٧) ياقوت : معجم البلدان ببيروت ١٩٥٧ ج ١ ص ٣٢٩
- (٩٨) فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج ١ ص ٣٤٤
- (٩٩) الثعالبي : بتيمة الدهر القاهرة ١٩٥٦ ج ١ ص ١٢
- (١٠٠) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥
- (١٠١) الكرمل : القود العربية ص ١٢٦
- الاسلامي - مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ٧٢ .
- (٣٥) سورة التوبة آية ٢٩ .
- (٣٦) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٤٣ .
- (٣٧) الطبري : اختلاف الفقهاء ليدن ١٩٣٣ ص ١٩٩ ، ابن سلام : الاموال ، نشر كلية الالويات الازهرية - القاهرة ص ٣٣ .
- (٣٨) ابن قيم الجوزية احكام اهل الذمة دمشق ١٩٦١ ص ٢ ، الصولي : أدب الكتاب طبع بغداد ص ٢١٤ .
- (٣٩) ابن سلام : الأموال ص ٥١ ، أبو يوسف : الخراج القاهرة ١٣٨٢ هـ ص ١٢٢ .
- (٤٠) الصولي : ادب الكتاب ص ٢١٤ .
- (٤١) ابن قيم الجوزية احكام اهل الذمة ص ٢٨ .
- (٤٢) ابن آدم : الخراج القاهرة ١٣٤٧ هـ ج ١ ص ٩ .
- (٤٣) الخراج : مصطلح عربي الاصل بمعنى (خراج الارض) وقد استعارها الفرس والروم من مفردات العرب الشائعة في العراق والشام واحتفظ العرب بكثير من تفاصيل النظام القديم في حياتها (دائرة المعارف الاسلامية ومادة خراج ج ١ ص ٨٠ وما بعدها).
- (٤٤) لويس معلوف المنجد بيروت ١٩٣٧ ص ١٦٩ ، الرافعي الصباح المنير القاعدة ١٩٢٨ ج ١ ص ٢٢٧
- (٤٥) ابن سلام الأموال ص ١٥ ، البلاذري فتح البلدان ص ٣٩ ، قداسة : الخراج وصناعة الكتابة ص ٢٢٣ وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨١ .
- (٤٦) المصدر السابق نفسه ص ١٢ .
- (٤٧) الدوري : النظم الاسلامية بغداد ١٩٥٠ ص ١٠٢ .
- (٤٨) ابن سلام الأموال ص ١٥ .
- (٤٩) الكاساني : بدائع الصنائع مصر ١٣٢٨ هـ ج ٢ ص ٥٨ .
- (٥٠) أبو يوسف الخراج ص ٤٤ .
- (٥١) الحرب يساوي ١٣٦٦ متراً مربعاً .
- (٥٢) الفقيز يساوي ٢,٧٥١ كم (ادب الخراج في الدولة الاسلامية مصر ١٩٦٩ ص ٢٧٧) .
- (٥٣) الكاساني بدائع الصنائع ج ٢ ص ٦٣ .
- (٥٤) ابن عابدين : رد المختار على الدر المختار المطبعة الثانية ١٣٢٤ هـ ج ٣ ص ٣٦٥ .
- (٥٥) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ابو يعلى الاحكام السلطانية القاهرة ١٩٣٨ ص ١٥١ .
- (٥٦) فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب بغداد ١٩٧٠ ج ١ ص ٣٢٥ .
- (٥٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ م ص ٩٤ .
- (٥٨) السامر : الدولة الحمدانية ج ١ ص ٣٣٢ .
- (٥٩) سورة البقرة آية ٨٣
- (٦٠) سورة الماعج آية ٢٤ - ٢٥ .
- (٦١) سورة التوبة آية ١٠٣ .
- (٦٢) سورة التوبة آية ٦٠ .
- (٦٣) الفتنجري : للمذهب الاقتصادي في الاسلام مجلد الاقتصاد الاسلامي مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ص ١٠٣ .

- (١٠٢) ابن خلدون : (التبر وديوان المبتدأ والخبر) بيروت ١٩٦١ ج ٤ ص ٥٧٢-٥٧٣.
- (١٠٣) الدوري : النظم الإسلامية بغداد ١٩٥٠ م ص ١٠٣.
- (١٠٤) البلاذري : فتح البلدان مكتبة النهضة المصرية ص ٤٨.
- (١٠٥) ابويوسف : الخراج القاهرة ١٣٨٢ هـ ص ١٤-١٥.
- (١٠٦) اليزيدي : تاريخ أهل الذمة في العراق مطبعة دار العلوم- الرياض ١٤٠٣ هـ ص ٨١.
- (١٠٧) وتشمل الجزيرة ملطية وسيحياط ومنج وبالي والاباروتكريت والموصل وأمد. (انظر ابن حوقل : صورة الأرض طبع بيروت ص ١٩٠).
- (١٠٨) سهوب عجائب الاقاليم السبعة قينا ١٩٢٩ ص ١٢١.
- (١٠٩) ياقوت : معجم البلدان مطبعة السعادة مصر ج ٣ ص ٢٦٢.
- (١١٠) ابويوسف : الخراج ص ٥٩.
- (١١١) البلاذري : فتح البلدان بيروت ١٩٨٣ ص ٢١٤.
- (١١٢) حادي : الجزيرة القرآنية والموصل بغداد ١٩٧٧ ص ٢٠٧.
- (١١٣) الأزدي تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ص ١٥٨.
- (١١٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٧.
- (١١٥) حادي الجزيرة القرآنية والموصل ص ٢٠٥.
- (١١٦) البعلبكي : تاريخ، بيروت ١٩٦٠ ج ٢ ص ٢٣٤.
- (١١٧) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص ١٦٧.
- (١١٨) قدامة : (الخراج وصناعة الكتابة) بغداد ١٩٨١ ص ٢١٧.
- (١١٩) الماوردي : الاحكام السلطانية البالي الحلبي - مصر ١٩٦٠ ص ١٩٠.
- (١٢٠) الدوري : الاقطاع في المجتمعات الإسلامية ص ٩ مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٠.
- (١٢١) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ص ٦٧.
- (١٢٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة القاهرة ١٩٥٥ ج ٨ ص ٥٦.
- (١٢٣) الاصطخري : المسالك والممالك القاهرة ١٩٦١ ص ١٢٨.
- (١٢٤) البلاذري فتح البلدان ص ٣١١.
- (١٢٥) ابن قيم الجوزية : احكام أهل الذمة دمشق ١٩٦١ ص ١٠٩.
- (١٢٦) ابن سلام، الاموال، القاهرة ١٩٦٨ م ص ٧٠.
- (١٢٧) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٦٨، ابن القيم الجوزية ص ١٠٨.
- (١٢٨) محمد عبد الحواد : ملكية الأراضي في الاسلام ص ١٢٤.
- (١٢٩) الحبيب الجنحاني : الحياة الزراعية في عصر الرسول والراشدين ص ٢٠٠-٢٠١.
- (١٣٠) قدامة : الخراج بغداد ١٩٨١ ص ٢١٨.
- (١٣١) الصائمي : الوزراء، القاهرة ١٩٥٨ ص ٣١٠.
- (١٣٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة القاهرة ١٩٥٥ ج ١ ص ١١٩.
- (١٣٣) الصائمي : الوزراء ص ٢٨٦.
- (١٣٤) الجاحظ : البخله القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٩.
- (١٣٥) الصائمي : الوزراء ص ٣١١.
- (١٣٦) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ليدن ١٨٨٩ ص ٩٤.
- (١٣٧) ابن حوقل : صورة الأرض، طبع بيروت ص ١٩٤، السامر الدولة الحمدانية في الموصل بغداد ١٩٧٠ ج ١ ص ٣٣٦.
- (١٣٨) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي بغداد ١٩٤٨ ص ٥٦.
- (١٣٩) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٩٨.
- (١٤٠) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل ص ٢٨، الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٥٦.
- (١٤١) الماضيدي : دولة بني عقيل في الموصل القاهرة ١٩٢٣ ص ١٦٤-١٦٥.
- (١٤٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦٥.
- (١٤٣) المصدر السابق نفسه ص ١٦٨.
- (١٤٤) ابن القلانسي : زبدة الطلب في تاريخ حلب ص ٢١٢.
- (١٤٥) ابن الاثير : (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية) القاهرة ١٢٩٠ هـ ص ٧٨.
- (١٤٦) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٦.
- (١٤٧) صبحي الصالح : النظم الإسلامية بيروت ١٩٥٦ ص ٣٨٧.
- (١٤٨) قدامة : الخراج ص ٧٦٨.
- (١٤٩) صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٣٨٩.
- (١٥٠) ابن بطاطا : (الفخري في الآداب السلطانية مطبعة صبيح القاهرة ص ٢١٦).
- (١٥١) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية، لايزيك ١٩٢٣ ص ٣١.
- (١٥٢) البعلبكي : تاريخ النجف ١٣٥٨ هـ ج ٢ ص ٤٧٣.
- (١٥٣) مسكويه : تجارب الأمم مصر ١٩١٤ ج ٢ ص ٨.
- (١٥٤) التنوخي : نشوار المحاضرة بيروت ١٩٧١ ج ٨ ص ١١٧.
- (١٥٥) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد طبعه كونيي ١٩٤٨ ج ١ ص ٤١٢.
- (١٥٦) الخوارزمي : مفاتيح العلوم القاهرة ١٣٤٢ هـ ص ٧٠.
- (١٥٧) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٥٠.
- (١٥٨) الصائمي : الوزراء ص ٢٣٨.
- (١٥٩) الجاحظ : الحيوان بيروت ١٩٦٩ ج ١ ص ٢٤٤.
- (١٦٠) مجهول : (مفتاح الراحة لأهل الفلاحة) الكويت ١٩٨٤ ص ١١٨.
- (١٦١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي بيروت ١٩٧٤ ص ٦٠.
- (١٦٢) الأزدي : تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ص ٣٣٩.
- (١٦٣) المقدسي : احسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦ م ص ١٤٥، عبدالمجيد السلطان : الموصل في المهدلين الراشدي والأموي ص ١٠٤.
- (١٦٤) ابن حوقل : صورة الأرض طبع بيروت ص ١٩١.
- (١٦٥) الحمداني : مختصر كتاب البلدان ص ١٣١، السلطان الموصل ص ١٠٤.
- (١٦٦) الاصطخري : المسالك والممالك القاهرة ١٩٦١ ص ٥٣، السلطان الموصل ص ١٠٥.
- (١٦٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٩٩.
- (١٦٨) المقدسي : ص ١٤٦، السلطان الموصل ص ١٠٥.
- (١٦٩) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٠، الاصطخري ص ٥٣.
- (١٧٠) الجوهري : معجم البلدان بيروت ١٩٥٧ ج ٢ ص ١٠١.
- (١٧١) المصدر السابق نفسه والصفحة.
- (١٧٢) ابن حوقل صورة الأرض ص ١٩٣.

- (١٧٢) السلان : الموصل في المهدلين الراشدي والأموي ص ١٠٧ .
- (١٧٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٣٦ ، ١٤٥ .
- (١٧٤) التالبي : ثمار القلوب القاهرة ١٩٦٥ ص ٥٣٨ .
- (١٧٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٨٥ .
- (١٧٦) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٦ .
- (١٧٧) المسعودي : مروج الذهب القاهرة ١٩٥٨ ج ١ ص ٢١٠ .
- (١٧٨) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢١٠ ، المقدسي : ص ١٤٥ .
- (١٧٩) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية دار الكتاب العربي - القاهرة ج ١ ص ١٤٢
- (١٨٠) السلان : الموصل في المهدلين الراشدي والأموي ص ١١٧
- (١٨١) العمري : غابة المرام في تاريخ عمان بنده دار السلام ص ٥٢
- (١٨٢) الديوبجي : الموصل في العهد الاتاكيي الموصل ١٩٨٢ ص ٤١
- (١٨٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٥
- (١٨٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٥
- (١٨٥) الديوبجي : الموصل في العهد الاتاكيي ص ٤١
- (١٨٦) الصائغ : رسائل الصائغ مصر ١٩١٦ ج ١ ص ١٣٤ ، السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ص ٣٤٠
- (١٨٧) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٥٦ / السلان : الموصل ص ٨٤
- (١٨٨) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب والتقدم الاسلامي القاهرة ١٩٣٨ ص ١٨٥
- (١٨٩) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٥٧
- (١٩٠) قدامة : الخراج ص ٢٤٢
- (١٩١) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٦٧
- (١٩٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٩٥
- (١٩٣) الأزدي : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٤٨
- (١٩٤) المقدسي : ص ١٣٩
- (١٩٥) الأزدي : ج ٢ ص ٣٦٣ .
- (١٩٦) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٢٤٠
- (١٩٧) القلقشندي : صبح الاعشى القاهرة ١٩١٣ ج ١٢ ص ١٢٠
- (١٩٨) ابن الاخرة : معالم القرية في احكام الحسية كنج ص ١٩٣٧
- (١٩٩) الحصان : الحسية بنقاد ١٩٤٦ ص ٢٦
- (٢٠٠) ابن خلدون : المقدمة بيروت ١٩٠٠ م ص ١٩٦
- (٢٠١) الصائغ : الوزراء ص ٩٠
- (٢٠٢) ابن منظور : لسان العرب (مادة سفينة) ج ٢ ص ٢٩
- (٢٠٣) مسكويه : تجارب الامم مصر ١٩١٤ ج ١ ص ٤٣
- (٢٠٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك بربل ١٨٨٩ ص ٩٣
- (٢٠٥) المصدر السابق نفسه ص ٩٥
- (٢٠٦) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق روما ١٩٥٢ ص ٣٨
- (٢٠٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٨
- (٢٠٨) ابن خرداذبة : ص ٩٦
- (٢٠٩) الادريسي : نزهة المشتاق ص ٣٥
- (٢١٠) الحموي : المشترك وصفاً والمفترق صفاً ص ١٥٦
- (٢١١) كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية بيروت ١٩٧٢ ص ٢٢٥
- (٢١٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٣
- (٢١٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٠
- (٢١٤) الجاحظ : الحيوان بيروت ١٩٦٩ ج ٢ ص ١٢٦
- (٢١٥) المقدسي : ص ١٢٠
- (٢١٦) الصائغ : رسوم دار الخلافة بنقاد ١٩٦٤ ص ٢٥
- (٢١٧) الحموي : المشترك وضعاً والمفترق صفاً ص ٣١٣
- (٢١٨) ابن رسته الاعلاق النفيسة لندن ١٨٩١ ص ١٨٥
- (٢١٩) فتحي عثمان الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٤٣
- (٢٢٠) القزويني : اثار البلاد واختار العباد بيروت ١٩٦٠ ص ٣٥٤
- (٢٢١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٦
- (٢٢٢) ابن حوقل صورة الأرض ص ١٩٣
- (٢٢٣) ابن الفقيه الحمدي : مختصر كتاب البلدان طبعة دي غول ص ١٣١
- (٢٢٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب مصر ١٩٣٨ ص ٣٨٤
- (٢٢٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة دمشق ١٩٣٣ ص ٣٣
- (٢٢٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٤٥
- (٢٢٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢١٠
- (٢٢٨) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٣٢
- (٢٢٩) ابن حوقل صورة الأرض ص ١٩٤
- (٢٣٠) ابن سعيد المغربي : بسط الأرض ص ٩٠
- (٢٣١) الحميري : الروض المطار بيروت ١٩٧٠ ص ٤٨٨
- (٢٣٢) الديوبجي : الموصل في العهد الاتاكيي ص ٤١
- (٢٣٣) ياسين العمري : غابة المرام ص ٥٢
- (٢٣٤) الصائغ : الوزراء ص ٩٠
- (٢٣٥) ابن منظور : لسان العرب (مادة سفينة) ج ٢ ص ٢٩
- (٢٣٦) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٠١
- (٢٣٧) الصائغ : الوزراء ص ٨١
- (٢٣٨) التنوخي : نشوار المحاضرة بيروت ١٩٧١ ج ١ ص ٢٢٦
- (٢٣٩) الصائغ : الوزراء ص ٨٩
- (٢٤٠) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج ١ ص ٣٦٥
- (٢٤١) الدوري : تأريخ العراق الاقتصادي ص ١٦٧
- (٢٤٢) ناصر خسرو : سفرنامه بيروت ١٩٧٠ ص ١٤٦
- (٢٤٣) ابن منظور : لسان العرب (مادة صك) ج ٢ ص ٤٥٩ ، ابن قتيبة : عبون الاخبار القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٢٥٥
- (٢٤٤) اليقوبي : تاريخ، النجف ١٣٥٨ هـ ج ١ ص ١٢٢
- (٢٤٥) الطبري : تاريخ القاهرة ١٣٢٦ هـ ج ١ ص ١٥٦
- (٢٤٦) الصائغ : الوزراء ص ٢٥٧

- (٢٤٧) التنوخي : نشوار المحاضرة ج٢ ص١٩٢ .
- (٢٤٨) اللوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٧٠
- (٢٤٩) ياقوت : معجم الادباء طبع بيروت ج٢ ص٢٤٤
- (٢٥٠) المصدر السابق نفسه ج٢ ص٢٧٢
- (٢٥١) ابن منظور لسان العرب ج٣ ص١٢٣
- (٢٥٢) مسكويه : تجارب الامم القاهرة ١٩١٤ ج١ ص٤٣
- (٢٥٣) اللوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٦٩
- (٢٥٤) رفاعي : الاقتصاد السياسي ج١ ص٥٦١
- (٢٥٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ج٨ ص٢٧٢
- (٢٥٦) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ص٣٩٧
- (٢٥٧) ابن قتيبة : عيون الاخبار القاهرة ١٩٦٣ ج١ ص٢٢٥
- (٢٥٨) الشيباني : المحاج في الحيل ليزك ١٩٣٠ ص١٧
- (٢٥٩) التنوخي : الفرج بعد الشدة ج٢ ص٢٩
- (٢٦٠) مسكويه : تجارب الامم ج٣ ص١٣٨
- (٢٦١) الصافي : الوزراء ص١٨٨، ص١٨٨
- (٢٦٢) اللوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٢٩
- (٢٦٣) المصدر السابق نفسه ص١٣١
- (٢٦٤) الدمشقي : الاشارة الى محاسن التجارة الاسكندرية ١٩٧٧ ص٤٠
- (٢٦٥) الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٤١٩
- (٢٦٦) ابن حوقل : صورة الارض ص٢٠١
- (٢٦٧) المقدسي : احسن التقاسم ص١٤٥
- (٢٦٨) الديوهجي : اعلام الصنائع الموصلة للموصل ١٩٧٠ ص٣٩
- (٢٦٩) الحموي : معجم البلدان ج١ ص١٧٧
- (٢٧٠) المصدر السابق نفسه
- (٢٧١) ابن رسته : الاعلاق النقية ج٧ ص١٥٣
- (٢٧٢) السامري الدولة الحمدانية في الموصل ج٢ ص٣٤
- (٢٧٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣٨٥
- (٢٧٤) الجاحظ : البخلاء دمشق ١٩٣٨ ص٢٨
- (٢٧٥) المقدسي : ص١٤٥
- (٢٧٦) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج٢ ص٣٤
- (٢٧٧) ابن خلدون : المقدمة ص٣٤٧
- (٢٧٨) غنية : الصنائع ص٥٨٢
- (٢٧٩) الديوهجي : اعلام الصنائع الموصلة ص١٤٧
- (٢٨٠) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل ص٣٤
- (٢٨١) سعيد الديوهجي : اعلام الصنائع الموصلة ص٣٦
- (٢٨٢) المصايد : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ ص١٦٩
- (٢٨٣) الديوهجي : اعلام الصنائع الموصلة ص٣١
- (٢٨٤) البيزكي : تاريخ اهل الذمة في العراق ص٤٣٨
- (٢٨٥) المصدر السابق نفسه ص٤٤٦ .
- (٢٨٦) ابن حوقل : صورة الارض ص٢١٥
- (٢٨٧) الجاحظ : رسائل ص١٢٦
- (٢٨٨) ياقوت معجم البلدان ج٥ ص٤١٠
- (٢٨٩) ابن منظور لسان العرب (مادة حرق) ج٩ ص٤٩
- (٢٩٠) يعقوبي : البلدان ص١٤٨
- (٢٩١) ناصر خسرو : سفرنامه ص٥٩
- (٢٩٢) اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ١٩٢٨ ، بيروت ١٩٥٧ ج١ ص٢٥٥
- (٢٩٣) اللوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص٩٣
- (٢٩٤) اللوردي : الاحكام السلطانية ص٢٤٣
- (٢٩٥) ماستيون : دائرة المعارف الاسلامية (مادة صنف) ج١٤ ص٣٥٤
- (٢٩٦) الجاحظ : رسائل ص١٢٦
- (٢٩٧) يعقوبي : البلدان التجف ١٩٣٩ ص٢٥٨
- (٢٩٨) اللوري : نشوء الاصناف والحرف : بحث مجلة كلية الاداب العدد الاول ١٩٥٩ ص١٤١
- (٢٩٩) ماستيون : دائرة المعارف الاسلامية (مادة صنف) ج١٤ ص٣٥٥
- (٣٠٠) يعقوبي : البلدان ص٢٥٨
- (٣٠١) الجاحظ : البخلاء دمشق ١٩٣٨ ص٥١
- (٣٠٢) الجاحظ : ثلاث رسائل القاهرة ١٩٣٣ ص٢٠١
- (٣٠٣) الجاحظ : البخلاء ص٥١

الحياة الإجتماعية

٥ - نجان ياسين

من تعود جذورهم فيها الى حقبة بعيدة ، لتواصل هجرة القبائل العربية اليها في عصر الراشدين وتستمر الى العصر الاموي^(٢) ولا بد أن تأثر الحياة الاجتماعية في الموصل بهذا التركيب القبلي ، فالاستقرار يسوده البعد القبلي^(٣) وقد أفضى هذا

شهدت الموصل ومنذ السنوات الاولى لتحريرها من الاحتلال البيزنطي هجرة للعديد من القبائل العربية ، فابتداءً نجد ان العرب قد جاءوها من الكوفة والبصرة واستقروا فيها وفي قراها الكثيرة^(١) اضافة الى من كان يسكنها أو يجاورها من العرب

الأمر الى وجود تعصب قبلي كثيراً ماجرّ إلى حروب وصراعات دموية والشواهد في هذا المجال ساطعة في كتاب الأزدی - تاريخ الموصل - فقد جعلنا نقف امام اصطدام قبلي سنة ١٨٣هـ . وصراعات قبلية سنة ١٩٣هـ بين الثمانية والتزاریة^(٤) . ولاحظ ان هذه النزاعات كانت داخلية^(٥) وانها كانت من اجل السلطة وبسط النفوذ . ولعل هذا الامر يؤدي بنا الى الاقرار بأن صراع المصالح كان يتم بين عرب احرار وموالي وصعاليك في صف قبلي معين . وبين نظرائهم في صف قبلي آخر^(٦) بيد ان هذه المشكلات القبلية وما تحته من متاعب كانت ترتطم في كثير من الاحيان بمن يرفضها ويتبرأ من العصبية واعتزال الصراعات بحيث لجأ بعض العقلاء الى الابتعاد ، هم وعوائلهم عن مراكز الصراع داخل المدينة . وقصدوا خارجها تفادياً للمشكلات ورفضاً لها في الوقت نفسه^(٧) .

وعلى الرغم من ان احد الباحثين قد سعى الى تفسير دوافع الحروب القبلية في الموصل بقوله ان « مجي الامويين الى السلطة يعني في نظرهم - القبائل - استمرار سيادة قريش في العرب وان القبائل العربية في الموصل كانت تنتظر الفرصة المناسبة للتعبير عن هذا الموقف الذي فجرته سياسة مروان بن محمد المتعصبة للقبائل القيسية على حساب القبائل الثمانية ، لتجد هذه القبائل ورؤوسها في حركة الخوارج خير تعبير عن الوقوف بوجه الخلافة الاموية^(٨) إلا أننا نعتقد ان سيادة الموقف القبلي في الموصل أسبق من مجي الامويين ، ذلك اننا قد رأينا ان طبيعة الاستقرار ومنذ البداية كان قبلياً ، وان هذه القبائل ومنذ فترة مبكرة كانت لها مواقفها السياسية والفكرية ولها مصالحها الاقتصادية . كما ان هذه الصراعات القبلية قد امتدت الى مابعد العصر الاموي وتعميداً في العصر العباسي والى هذا وذلك ، فقد كان بين هذه القبائل من يحمل ولاءً للامويين . ومن هنا نرى ان مآذبه

اليه باحث معاصر اخر بقوله : « ان المجتمع الموصلی مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها الثمانية ومنها الربيعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الآخر ، ولاشك ان بعضها كان أموياً او خارجياً او عباسياً او حيداً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية . وهي فترة ترقب تثار فيها الاماني والآمال . لكنها ما لبثت ان ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان التنفّس الاول لها هو الخلاف على شخصية الوالي الجديد ابن صول^(٩) ، يحدد جوهر الصراع بشكل سليم . ذلك الصراع المحكوم باعتبارات ذاتية وموضوعية بحيث « كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة ، إما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النزعات . وإما في احيان اخرى بتحريض من السلطة المركزية او والي المدينة الذي يحايي قبيلة على قبيلة اخرى^(١٠) »

ومع ان الطابع العام للحياة الاجتماعية في الموصل ، قد حكم بالاعتبارات القبلية والعشائرية فان هذه الحياة قد اتسمت بالغنى والخصوبة والحيوية . فعلى مستوى تركيب الفئات الاجتماعية يرد ما يشير ضمناً الى انهم يتحددون في الاغنياء والطبقة الوسطى وفي العوام من ضعاف الحالة المعاشية^(١١) مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود تداخل وتلوين بين هذه الفئات ونرى ان فئة الولاة والحكام كانت تقف في قمة الهرم الاجتماعي وكان يطلق عليها تسمية وجوه وشرقاء اهل الموصل^(١٢) ويلاحظ ان هذه الفئة كانت تمتلكة لدور خاصة بها ولها حتى مقابرها الخاصة^(١٣) وقصورها الواسعة الكبيرة التي شيدت منذ فترة مبكرة في العصر الاسلامي^(١٤) كما عرف عنها اهتمامها بالضيايع والثراء الواضح^(١٥) فكان بعض الولاة يزرون في القرى ويحصلون على مبالغ جيدة ومردود معتبر من الزراعة^(١٦) وأتيح لهذه الفئة ان تضع اليد على

اموال المدينة ونخراجها^(١٧) .

ولابد من الاشارة الى ان الموصل قد ضمت مجاميع من الهاشميين الذين يشكلون شرف النسب لقربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولطبيعة دورهم في الدعوة الاسلامية^(١٨) والمعروف ان للهاشميين قيمتهم الاجتماعية وامتيازاتهم الاقتصادية . وهي امور معترف بها في شتى ارجاء الامصار والمدن العربية الاسلامية .

ويلاحظ ان اهتمام فئة الحكام والولاة ببناء القصور يعود الى العصر الاموي . فقد ابني هشام ابن عبد الملك قصرأ له بالموصل في موضع قطائع بني وائل^(١٩) وكان للحر بن يوسف قصره المعروف بالمقوشة^(٢٠) كما ان فئة الولاة وارشتراطية العرب كانت معنية بالقطائع واعمار الاراضي وكان الخلفاء يمنحون بعض زعماء القبائل العربية ، الاراضي الخصبة الشاسعة^(٢١) . ومن الطبيعي ان تكون هذه الفئة مهيمنة على الامور المالية بحكم ان موقعها يتيح لها هذا الامر^(٢٢) .

ويظهر ان فئة الفقهاء وعلماء الحديث والحفاظ كانت متميزة في الموصل ، ومنذ العصر الاموي والعصر العباسي^(٢٣) ويتضح ان بعض هؤلاء الفقهاء قد نشأوا على الزهد والتدين الحقيقي والعزوف عن مغريات المادة . فقد ورد ان فتحا العابد رفض ان يتسلم عشرة الاف درهم من والي الموصل سنة ١٦٥ هـ^(٢٤) وان بعضهم الاخر كنخبة ابن الحجاج المحدث والفقير والذي كان يفتي في الموصل قد أجبر على القضاء ولم يتوله^(٢٥) الامر الذي يؤثر وجود حساسية معينة بين الفقيه والسلطة في حضارتنا وهو امر له ما يناظره في اكثر من مرحلة وعصر تاريخي في مسيرة الامة .

ومن الواضح ان فئة رجال العلم والحديث والفقهاء في الموصل قد نالت ميزة جيدة وتمتعت بدرجة في الدين وامور الشرع ، يعزز هذا ان فقهاء

الموصل قد ناظروا آبايوسف القاضي الذي جاء مدينهم مع الرشيد سنة ١٨٠ هـ^(٢٦) وبرزت مجموعة من فقهاء المدينة بشكل جلي ، فقد كان عبدالله بن عمرو بن عثمان بن أبي امية الموصلية محدثاً حافظاً أخذ عن سفيان الثوري وشريك وأخذ الناس عنه^(٢٧) وكان الحسن بن موسى نبيلاً جليلاً ثبتاً كثير الكتاب حدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وأبو خيثمة ونظرأهم^(٢٨) ووجد بينهم من روى عن مالك بن أنس^(٢٩) ومن اختار الصمت والعزلة رفضاً للاختناق الاجتماعي^(٣٠) وقد عرفت المدينة ومنذ بواكير الاستقرار العربي الاسلامي فيها العديد من الشعراء والادباء ورجال القلم^(٣١) وكان بعضهم يدرس في المکتب^(٣٢) كما عرفت فئة الموظفين من كتاب واصحاب بريد وشرطة ومن ينظر في المظالم حينذاك^(٣٣) .

وعاشت فئة التجار والحرفيين في المدينة وكانت تشكل قلب اسواق الموصل التي عرفت بتعدد هذه الاسواق وتنوع اعمالها وتجارتها المزدهرة^(٣٤) . وإلى جانب فئة الولاة والحكام والتجار ورجال العلم والموظفين عاش الموالي فئة اجتماعية متميزة في الموصل ، ويظهر انهم قد عاشوا في مناطق سكنية معينة^(٣٥) ووجد بينهم من يجبي الصدقات^(٣٦) ومن تولى قتال الخوارج^(٣٧) كما حصل عندما وجه حمزة ابن مالك الخزاعي الى حمزة الخارجي ابا نعيم بن موسى مولى بن نصر سنة ١٦٩ هـ . وقد قاتل احد الموالي في اثناء مذبحة الموصل سنة ١٣٣ هـ حتى استشهد^(٣٨) ويبدو ان قتل اهل الموصل كان بسبب عدم رضی اهلها عن ولاية محمد بن صول وهو مولى لخشتم اذ أرادوا من الخليفة ابي جعفر المنصور ان يولي المدينة عربياً ، ويظهر ان ضحايا المذبحة كانوا يعدون بالآلاف اذ أورد مصدر تاريخي ما يشير الى قتل ١٢ ألف عربي من غير الموالي والعبيد^(٣٩) وهو أمر يشير الى حجم الكارثة ويضعنا امام فئة اخرى هي فئة العبيد .

حضارية شتى كان لها دورها الفاعل في اثرها نشاطاتها المختلفة. فقد عرفت معطيات الاثوريين. وعرفت الوجود العربي السابق للاسلام والتالي له. فضلاً عن مؤثرات أجنبية وأخرى دينية بما أهلها لأن تبلور اسلوب حياة اجتماعية ثرية وعميقة الأبعاد. فكان أن تعايشت الأديان فيها بحموية وإنسانية مثلاً تعايشت القوميات في ظل الاسلام الحضاري أيضاً. وإذا كنا قد أشرنا الى استقرار العرب المسلمين فيها بعد التحرير فلنا ان نشير إلى ان المدينة والمضر عموماً قد عرفا المسيحية واليهودية قبل الاسلام وقبل التحرير، إذ يرد مايفيد «أن الخليفة عمر بن الخطاب عزل عتبة عن الموصل وولاهها هرثة بن عرفة الباري وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود فصرها هرثة فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع»^(٤٤). وقد أفاد نص آخر بأن اليهود الذين أسرههم سنحاريب قد سكنوا الموصل. وكانت لهم محلة خاصة بهم^(٤٥)، ويتضح ان اليهود والنصارى، كانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية في أماكن العبادة، وان الدولة كانت تتدخل لتنظيم العلاقة معهم ومنع الاذى عنهم وحل المشكلات الخاصة بهم^(٤٦).

كما عاش الى جانب العرب الأكراد الذين كانت لهم معاقلمهم الخاصة وكانوا يقصدون المدينة للعمل والتسوق وربما المشاركة في الصراعات القبلية^(٤٧). ويلاحظ ان المدينة، كانت تلفظ العنصر الدخيل الذي يثير الأرباك الاجتماعي، ففي حوادث سنة ١٣٣ هـ تقف امام تخريب اجتماعي واخلاقي قام به الجند الزوج الذين رافقوا الحملة على المدينة حيث سعوا الى وضع اليد على الكثير من النساء العربيات، فكان ان اعترضت امرأة عربية يحيى بن محمد وقالت له :

«أما أنت من بني هاشم؟ أما أنت ابن عم رسول الله ﷺ. أما تأنف للعربيات المسلمات أن تنكحهن الزنج؟ وكان معه قائد في أربعة الاف

وما من شك ان هذه الكارثة التي حاقت بالموصل قد الحقت الاذى الجسمي بالاجتماع واضعفت الثروة البشرية من مختلف الفئات وهو امر له انعكاساته على مجمل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المدينة وفي خلق اوضاع اجتماعية صعبة تمثلت في وجود الارامل واليتام وتخریب الاقتصاد، ولعل ابلغ اشارة عن الدمار الذي لحق بالمدينة على كافة المستويات الاشارة التي تؤكد : «ان اسواق الموصل لم تعمر ثلاث سنين بعد قتل اهل الموصل»^(٤٨) بحيث ان والي المدينة سنة ١٣٧ هـ كتب الى المنصور بأمر الموصل واختلال خراجها واحوالها. فوجهه بأن يحسن الى اهلها. ويقال ان والي لم يرفع الى الخليفة ابي جعفر المنصور طوال ولايته الموصل درهماً^(٤٩) ويتضح ان النظرة السلبية كانت مقتصرة على اطراف معينة ومحددة انحصرت بالدرجة الاساس في الاوساط القبلية بحيث نجد من يرفض زواج الموالي من العربيات^(٥٠) والدليل على النظرة الانسانية في التعامل مع الموالي ان الموصل قد شهدت سنة ١٤٥ هـ عبدالله بن ادریس بن قادم بن قدم بن عبدالله الحمداني على قضائها. وان سنة ١٩٢ هـ قد ارتنا ان علي بن صدقة بن دينار الازدي وهو مولى لآل المختار وقد تقلد ولاية الموصل من قبل الخليفة هرون الرشيد^(٥١) ولعل ارتفاع قيمة الموالي والتعامل معهم على هذا النحو يعود الى طبيعة الدعوة العباسية التي رفعت شعارات المساواة واشراك الموالي في الحياة العامة انسجاماً مع فكرة الامة الواحدة المنفتحة على كافة القوميات التي يوحدتها الاسلام الحضاري وهو امر يرينا ان العباسيين قد استنهضوا المبدأ الاسلامي الاول في التعامل مع ابناء الامة على نحو متفتح وإنساني عميق وبعيداً عن النظرة الضيقة المفارقة لجوهر الاسلام وثورته في حياة العرب.

ولقد اتيح للموصل ان تحيا في قلب معطيات

المأمون حين صادر اموال آل زريق بن علي ومنحها لواليه على الموصل الذي اتسم بخلق عربي نبيل ورد القطاع والأموال الى اهلها من آل زريق^(٥٦) . كما الجأ الظلم المسلط على أهل القرى في المصادرة والشدة في الضرائب من قبل الدولة بعضهم الى الهجرة ، اذ نجد رحيل مجاميع الى اذربيجان بعد تعرضهم للشدة ومصادرة الأرض^(٥٧) ولنا أن نشير الى ان بعض هذه القرى كانت تتعرض لهجوم الخوارج ، مما يدفع بالفلاحين الى الامتناع عن دفع الضرائب للدولة والاحتجاج بأن المحاصيل قد دمرت نتيجة الهجوم ، مع ملاحظة ان الخوارج كانوا يجبون الضرائب والدولة تطالبهم بها في الوقت نفسه ، الأمر الذي يلحق الأذى بهم^(٥٨) .

ويرد ذكر الأعراب ويقصد بهم البدو وهم يختلفون عن اهل القرى المستقرين ، اذ أن التجوال والتنقل ستمهم الأساس . فتمت اشارة تفيد بنجروج الحسن بن صالح ليطلب بصدقات الأعراب^(٥٩) وكان بعضهم يقصد المدينة ويتكسب بالشعر في مدح الوالي^(٦٠) كما وجد بين هؤلاء واولئك من الفئات الاجتماعية مجموعة من صعاليك الموصل الذين يعيشون على السلب والغارة والذين عرفوا بالأقدام والفتك^(٦١) ولابد من الإشارة الى ان المدينة مفتوحة مستقراً حضرياً لأهل القرى من جهة وللأعراب من جهة أخرى ، كما ان القرى والأرياف مؤهلة لاستقرار اهل المدينة من المزارعين وزعماء القبائل وللأعراب في الوقت نفسه ، مما يشير الى انفتاح دائرة الاستقرار داخل او خارج المدينة سواء في الريف او البادية .

وفي ظل هذا المجتمع العربي الذي أثرت فيه القيم القبلية ، نشأت ممارسات وألعاب تسلية مرتبطة بنمط الحياة العربية ، فقد عرف عن الموصل اهتمامها الواضح بالفروسية والصيد ، حيث نجد ان عادة الصيد بارزة منذ العصر الأموي ، فقد جاء عن يحيى بن الحر بن يوسف انه كان «يركب في

زنجي ، فأمسك عن جوابها ، ثم أمر بها فبلغت مأمنها ، وأنف من كلامها ، فلما كان من غد أمر منادياً فنأدى في الزنج أن يجتمعوا عند جبة الحجاب للعطاء ، وكانت المياه تجتمع إليها . وأمر يحيى بن محمد قواده من الخراسانية وغيرهم إذا اجتمع الزنج أن يضعوا عليهم بالسيف . فقتلوا - فيما ذكروا - أجمعين»^(٦٢) . ومع تحفظنا على عدد الزنج وشكنا في هذه المذبحة الجماعية ، فإننا نستطيع ان نتبين من ذلك حصول اعتداء من الزنج على النساء العربيات المسلمات وإن العقوبة قد نزلت بالمعتدين ، ونرجح ان الذين تمت تصفيتهم من الزنج كانوا ممن اعتدوا على اعراض النساء وأحدثوا هذا المأزق الاجتماعي والاخلاقي .

ويلاحظ ان طبيعة الاستقرار في المدينة قد إتسمت بالتحضر ، وإن كنا نجد تداخلاً بين سكان المدينة المتحضرين وسكان القرى والأرياف حيث نقف امام انتشار القبائل العربية في قرى الموصل ، فريضة مثلاً بقبائلها كانت اهل خيل وغنم وإبل وقد سكنت نواحي الموصل^(٦٣) وكانت للعديد من القبائل ضياعها في القرى الزراعية^(٦٤) وهي عموماً من الأراضي الواسعة^(٦٥) وقد عرف عن بعض ولاية الموصل امتلاكهم للقرى والضياع^(٦٦) ووصل الأمر ببعض الولاة ان امتلك العديد من القرى الزراعية^(٦٧) وكان يطلق على سكان الريف تسمية «أهل القرى»^(٦٨) تمييزاً لهم عن سكان المدينة المتحضرين ، ونعتقد أن أهم تأثير لاستقرار وانتشار العرب في قرى الموصل . يتجسد في تعميق وترسيخ التعريب من جهة ونشر الإسلام من جهة أخرى ، ولا يخفى ان العمليتين تترافقان أحياناً وتسبق إحداهما الأخرى في احيان أخرى .

ويبدو أن سعة وأهمية هذه القرى الزراعية قد أملت وجود عمال مسؤولين عن حساباتها التي يجب ان تكون دقيقة وعادلة وإلا نالهم غضب الخليفة في بغداد^(٦٩) أضف الى ذلك ان الدولة تصادر أحياناً ضياع قرى وأملاك الخارجين على السلطة كما فعل

غلمانهم ومواليه في نحو من مائة فارس ومعه الفهود والصقورة والبزاة»^(٦٢) وقد كان الناس يخرجون الى الصيد في بوادي الجزيرة ووديانها في فصلي الخريف والربيع لاعتدال المناخ فيها ، وإلى الجهة الشرقية في الصيف والربيع حيث تكثر الحيوانات والطيور ، وقد استعان أهل الموصل بالجوارح في صيدهم . واعتنوا بالبزاة والصقور وكلاب الصيد والتمور والفهود وغيرها^(٦٣) وتوافق مع هذا انتشار ألعاب الفتوة في الموصل ، ومنها صيد طيور الواجب - الطير الجليل - بالبنق - جلاهي - وهي كرات تتخذ من الطين وترمى بواسطة القوس او بالسبطانة وهي خشبية مستطيلة مجوفة الداخل ، يقذفون منها البنق^(٦٤) .

ويتضح ان اهل الموصل كانوا معنيين بالفروسية منذ فترات الاستقرار المبكر ، فقد عرفت المدينة بوجود فرسان يمتلكون المراس في رعاية وتربية الخيل^(٦٥) ويرد مايفيد بأن الامويين وبني حمدان وبني عقيل قد اهتموا بتربية الخيل والتركيز على الفروسية والجهاد^(٦٦) وقد وصل اهتمام الحمدانيين بالخيول والفروسية حداً كبيراً ، دفع ببدء الزمان الحمداني ان يضع - المقامة الحمدانية - التي ابرزت اهتمام سيف الدولة الحمداني بتربية الخيل ولألعاب الفروسية^(٦٧) أضف الى ذلك ان نور الدين محمود كان يشجع اعمال الفروسية ولعب الكرة ويرى ضرورة تدريب الجيش باستمرار وتدريب الخيول معاً كي يعدهم للجهاد وكي لايركضوا الى التراخي والكسل^(٦٨) وأولع اهل الموصل بلعب الشطرنج والتدري إذ كانوا «يرون من لوازم الدار أن يكون فيها : خزانة الكتب والحمام والتدري والشطرنج والبستان . ولم تخل دواوين الشعراء من وصف التدري والشطرنج بين محب ومتمزح منها»^(٦٩) .

واشتهر اهل الموصل بخروجهم الى الطبيعة في الربيع حيث كانوا يقصدون ظاهر المدينة وسهولها ويضربون لهم خياماً وسط الأعشاب وقصيل الشعير والاماكن الخضراء^(٧٠) كما عرف عن اهل الموصل

انهم كانوا يقصدون شارع النهر برفقة عوائلهم في المساء ترفيحاً عن النفس واقترباً من الطبيعة اذ كان الشارع مورقاً مشجراً ومطلأً على النهر^(٧١) ويظهر ان وسائل التسلية كالغناء والتمثيل كانت واضحة في الموصل إذ «يقال ان الموصل قد عرفت مجموعة من الفتيان المشهورين بالغناء وان ابراهيم الموصلية ١٢٥ - ١٨٨ هـ قد أخذ الغناء عنهم»^(٧٢) .

أما التمثيل الذي أطلق عليه اسم - خيال الظل - وكان يضم معالجة وتقدأ للظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال السخرية . فيبدو أن الموصل صاحبة الريادة فيه ، ذلك ان من أوجده هو ابن دانيال ت ٧١٠ هـ حيث عدّ «من ابرز الممثلين العاملين في مسرح خيال الظل وكان فنناً شمولياً يكتب النص ويضع موسيقاه ويعين ازياء الشخصيات بنفسه ، ويشترك في الأداء والتمثيل ويقوم بالاعراج والاشراف على كامل العمل» . ويتضح ان ابن دانيال قد نقله الى مصر بعد نكبة الموصل على ايدي التتر^(٧٣) .

اما الأعياد فمن المؤكد أن وجود عدة أديان في المدينة كانت تعني احتفال اصحاب كل دين بأعيادهم الخاصة ومناسباتهم الدينية^(٧٤) ، وهي اعياد معروفة وخاصة بكل ديانة .

ويلاحظ ان اهل الموصل قد اهتموا ببناء القصور وإيلاء بيوتهم عناية واضحة ، وقد أوردنا سابقاً عناية العديد من الولاة والحكام ببناء الدور . ولعل استخدام الخليفة ابي جعفر المنصور لأصحاب الخبرة من اهل الموصل في البناء عند بناء بغداد ما يوثق قيمة وكفاءة اهل الموصل في هذا المجال^(٧٥) .

ولقد اتجه الفتيان من اهل الموصل الى الأديرة التي انتشرت في العديد من أرجائها في الداخل والخارج ، طلباً للراحة والمتعة . وكانت هذه الأديرة ذات جاذبية للولاة والحكام والشعراء بما توفر عليهم من مجال في الطبيعة ويسر في الحياة الاجتماعية^(٧٦) .

وفي المجال الصحي عرفت الموصل بتوفر بيئة طبيعية صحية حيث ذهب بعضهم الى القول ان « من أقام بالموصل عاماً ثم تفقد قوته وجد فيها فضلاً^(٧٧) ويبدو انها قد ضمت في ظل احدى فتراتها ثلاث مارستانات - مستشفيات - توزعت في داخل المدينة وخارجها ووقعت احداها على نهر دجلة^(٧٨) » ويذهب باحث معاصر الى ان الموصل قد عرفت مارستاناً خاصاً بمعالجة المجانين^(٧٩) كما يرى الباحث نفسه « ان المعالجة في المارستان بلا ثمن ، يدخله المريض فتجري عليه الفحوص اللازمة ثم يقدم له الدواء من صيدلية المارستان . واذا احتاج ان يكون تحت اشراف الطبيب ينام في المارستان ويجري عليه الطعام والدواء والشراب وكل ما يحتاجه المريض . وفي المارستان الأطباء والفصاؤون والكحولون والمجبرون وغيرهم من الخدم والفراشين والطباخين^(٨٠) » .

كما كان اهل الموصل يقصدون حمام العليل للزينة والاستحمام وسعياً وراء الشفاء من الأمراض الجلدية^(٨١) ويقصدون (عين كبريت) (والعين البيضاء) للاستشفاء من الأمراض الجلدية ، وربما قصدوا عين يونس ليغتسلوا بمائها الذي كانوا ينظرون إليه على انه ماء مبارك^(٨٢) لقد وصف الموصل من حيث بناؤها وحماماتها وحياتها الاجتماعية والحضارية اكثر من جغرافي ، اذ أورد ابن حوقل عنها بانها « مدينة أبينتها بالجص والحجارة ، كبيرة غناء وأهلها عرب ، ولم بها خطط . وأكبرهم نافلة الكوفة والبصرة ، وكانت من عظيم الشأن بصورة أكابر البلدان ، بها لكل جنس من الأسواق الأثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد . وفيها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات مادعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهن اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها ، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من أسباب التناج والسائمة^(٨٣) » ووصفها المقدسي بقوله : « بلد

جليل ، حسن البناء ، طيب الهواء ، كثير الملوك والمشايخ ، لا يخلو من اسناد عال ، وفقهه مذكور ، منها ميرة بغداد ، وإليها قوافل الرحاب ولها منازة وخصائص . وثمار حسنة ، وحمامات سرية ودور بهية . ولحوم جيدة وأمور جامعة^(٨٤) » ومن خلال هذين النصين يتضح ان الموصل قد تمتعت بميزات حضارية بارزة ، الا أن ما يهنا الان هو مسألة البناء فيها والذي كان بالجص والحجارة وعرف بالجودة . وما يهنا أيضاً الحديث عن الحمامات فيها ، فقد أقر صاحباً النصين بكثرتها وجودتها في الموصل . ويظهر أن هذه الحمامات كانت مزدهرة في العصر الأموي ومشترة في أرجاء المدينة^(٨٥) كما وجدت الحمامات في الدور الخاصة أيضاً^(٨٦) وقد ورد ما يشير الى وجود ٢٠٠ حمام للرجال و ٢٠٠ حماماً للنساء ، وعشرة حمامات خاصة بالبنات فقط^(٨٧) ولا تعرف سبب تخصيص حمامات للبنات وعزلهن عن النساء .

ومن المهم الإشارة الى ان الموصل قد ضمت اكثر من خان وفندق لتقديم الخدمات الاجتماعية^(٨٨) وكانت معروفة منذ العهد الأموي والعباسي ، كما وجدت فيها المساجد والجوامع التي كان بعضها ينسب الى شيوخ القبائل^(٨٩) أضف الى ذلك ان الموصل قد عرفت جسراً متحركاً وبعض المعابر استخدمت على النهر^(٩٠) وكان بالموصل وسط دجلة مطاحن قائمة في وسط الماء ، موثقة بالسلامل الحديد في كل واحدة منها أربعة أحجار تقطن ، وهي من الخشب والحديد وربما دخل فيها شيء من الساج^(٩١) . وقد ذكروا أن هشاماً بن عبد الملك قد وقف هذه الأرحاء على نفقة نهر الحر بن يوسف وما يحدث فيه^(٩٢) من خلال ما تقدم يتضح لنا ان البنية الاجتماعية للمدينة كانت قبلية ابتداءً وان هذا الأمر قد أثر في الناحية الاجتماعية ، مع الانتباه الى ان التطور التاريخي كان يخفف او يذوب بعض الانجماهاات القبلية بحيث ان الظروف والاحوال الجديدة ، قد

أملت ممارسات اجتماعية جديدة لاتتفق مع قيم البناء العشائري فضلاً عن ان العمق الحضاري للقوميات والاديان المختلفة في الموصل قد أثر في الحياة الاجتماعية وجعلها خصبة ومتنوعة.

- (٣٤) انظر المصدر نفسه، ص ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٩٠، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٤٨
- (٣٥) الأزدي: تاريخ الموصل: ص ٩١ وانظر، ص ٩٣
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٨
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٨
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ١٤٧
- (٣٩) المصدر نفسه، هامش ص ١٤٨
- (٤٠) الأزدي، تاريخ، ص ١٥٢
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٦٦
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ٣١٢
- (٤٤) البلاذري: فتح البلدان، ص ٣٢٧.
- (٤٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٧.
- (٤٦) انظر: الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٦٧.
- (٤٧) انظر: البلاذري، فتح البلدان، ص ٣٢٧ ابن حوقل، صورة الأرض ببيروت ص ١٩٦ الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٠٨.
- (٤٨) الأزدي، المصدر نفسه، ص ١٤٩.
- (٤٩) الأصمغري، المسالك والممالك القاهرة ١٩٦١ ص ٤٥.
- (٥٠) انظر: الأزدي تاريخ الموصل ص ٩٢، ٩٤، ٩٦ وص ١٥٨، ١٧٢، ٢٩٣ (المامش).
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٢.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٢١٥.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٨١.
- (٥٧) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٨٧.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.
- وانظر: البلاذري، فتح البلدان، ص ٣٢٨
- فوزي، فاروق عمر، بحث في التاريخ العباسي، ص ١٦٢.
- (٥٩) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٣١٤.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٩٠، ٩٣.
- (٦٢) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٥٩.
- (٦٣) الديوبه جي، سعيد، تاريخ الموصل الموصل ١٩٨٢ ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
- (٦٤) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.
- (٦٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٠.
- المقدسي، أحسن التقاسيم لبلد ١٩٠٩ ص ١٣٦.
- وانظر عن فريسان الموصل: الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٥١، ٢٦٨، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
- (٦٦) المرجع السابق، ص ٢٣٤.
- (٦٧) الهذلي، المقامات، ص ١٩٦ - ٢٠٦.
- (٦٨) ابن الأثير، عز الدين، الباهر، ص ١٨٦.
- (٦٩) الديوبه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج ١ ص ٢٣٢.

- (١) الطبري، تأريخ الطبري القاهرة ١٩٦٣، ج ٤، ص ١٦١
- (٢) انظر اليقولي، تاريخ اليقولي بيروت ١٩٦٠، ج ٢ ص ٢٧٢ - البلاذري، فتح البلدان بيروت ١٩٧٨ ص ٣٢٧، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤٠١ / ٣
- (٣) الأزدي، تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧ ص ٩١
- (٤) المصدر نفسه ص ٢٩٦، ٣١٣، ٣١٥
- (٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٢
- (٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٥
- (٧) المصدر نفسه، ص ٣٤٥، وانظر: ص ٣١٣
- ٨- السلطان عبد المجيد أحمد السلطان. الموصل في العهدين الراشدي والاموي الموصل، ١٩٨٥ ص ١٩٤.
- (٩) فوزي، فاروق عمر. بحث في التاريخ العباسي بيروت ١٩٧٧ ص ١٥٥
- (١٠) المرجع نفسه، ص ١٦٤
- (١١) الأزدي تاريخ الموصل، ص ٣
- (١٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣
- (١٣) المصدر نفسه، ص ٣٣
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٣
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٧، ص ٢٧٧
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٠
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٧
- (١٨) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٥١
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٢٤
- (٢٠) المصدر نفسه، هامش ص ٢٤
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٥٨ - ١٥٩
- (٢٢) انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٣
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ٨١، ص ٩٣، ص ١٤٧، ص ٢٩٥
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٦
- (٢٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٣٩٩
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٩
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٠
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٦١
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٤٢٥
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٤١١
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٨٣، ص ٨٤، ص ٩٠
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٣
- (٣٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٣١٩، ٣٢٧، ٣٤٤، ٣٥٠ على التوالي

- (٧٠) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.
- (٧١) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب بيروت ص ١٨٥ - ١٨٦.
- (٧٢) الأصفهاني - الأغاني طبعة ساسي، ج ٥، ص ٢ - ٣.
- (٧٣) الديوه جي، سعيد. الموصل في العهد الاتابكي، ص ٨٨.
- (٧٤) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٨.
- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٠، ٣٠، ٣٣.
- (٧٥) الحميري، الروض المعمار بيروت ١٩٧٥، ص ٧٤.
- (٧٦) انظر: الشافعي، الديارات بغداد ١٩٥١ ص ١١٣ - ١١٤، ص ١١٧ - ١١٨.
- العمري، مسالك الألبار ج ١ ص ٣٠١، ٣٠٥ - ٣٠٦.
- (٧٧) الدينوري، عيون الأخبار، مصر ١٩٦٣ / ٢١٩.
- (٧٨) ابن جبير، الرحلة، تحقيق حسين نصار ص ١٨٩.
- (٧٩) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٤٣٩.
- (٨٠) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.
- (٨١) ياقوت، معجم البلدان مصر ١٣٢٣ ج ٣، ص ٣٣٤.
- (٨٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.
- (٨٣) صورة الأرض، ص ١٩٥ - ١٩٦.
- (٨٤) احسن التقاسيم، ص ١٣٨.
- (٨٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٥ - ١٩٧.
- (٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (٨٧) العمري، ياسين، مئة الأدياء الموصل ١٩٥٥ ص ٦٦، علينا هنا أن نتحفظ بشأن عدد الحمامات.
- (٨٨) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٥٦، ص ٢٢٩، ص ١٩٧، ص ٢٥١.
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٦٨، ص ١١٣.
- (٩٠) السلطان، عبد الماجد احمد، الموصل في العهدين الراشدي والاموي، ص ٨٧ - ٨٨.
- (٩١) المصدر السابق، ص ٤٣.
- (٩٢) الأزدي، المصدر نفسه، ص ٤٣ (المامش).

الحياة الثقافية

معالم الثقافة العربية الإسلامية

أ. د. هاشم يحيى الملاح

تهجد :

تلبث أن غادرت المرحلة الجينية من نموها منذ القرن الثاني للهجرة وأخذت تفصح عن نفسها في مجالات علوم القرآن والحديث والتاريخ. ثم دخلت بعد ذلك طور النهوض والتوسع والازدهار منذ القرن الثالث وحتى نهاية الحقبة الإسلامية.

إن دراسة حركة الثقافة العربية الإسلامية في الموصل تتطلب التمهيد لها بدراسة المعالم العامة لهذه الثقافة كالترباط بين العروبة والإسلام، والتسامح مع أصحاب الديانات والثقافات الأخرى، وغير ذلك من الأمور مما ساعد على تميز الحضارة العربية الإسلامية بصفة الوحدة والتنوع.

إن الثقافة العربية الإسلامية وما اتصل بها من مؤسسات تعليمية كالمساجد والكتاتيب ودور العلم والمدارس قد بدأت في الموصل بعد تحريرها بصورة تدريجية وأمتد ذلك لعدة قرون.

وكان نمو هذه الثقافة وتطورها في القرن الأول الهجري نمواً هادئاً لم يلفت إليه أنظار المؤرخين القدماء فلم تصل إلينا معلومات مباشرة عنه، مما جعل من المتعذر على الباحث المعاصر أن يرصد حركة هذه الثقافة. ويبدو أن ذلك كان أمراً طبيعياً لأنه ليس بإمكان المراقب الخارجي أن يلاحظ نمواً البذرة في مراحل نموها الأولى.

غير أن الثقافة العربية الإسلامية في الموصل لم

إن الحركة الثقافية التي ازدهرت في خلال الحقبة الإسلامية في الموصل هي فرع من فروع تلك الدوحة العظيمة التي نشأت في مكة والمدينة على يد الرسول محمد (ص) وصحبه الكرام من بعده. لذا فإنه من المتعذر دراسة حركة الثقافة والعلوم في الموصل بدون الربط بينها وبين الأصل الذي نشأت عنه وتفرعت منه ثم بقيت بعد ذلك أمانة على المبادئ والقيم التي جاء بها على مدى الاجيال والعصور.

ومن ثم فإن هذا البحث قد خُصص لمعالجة المعالم العامة للثقافة العربية الإسلامية، وموقف الاسلام من العلم والتعليم، وظهور المؤسسات التعليمية الأولى في دار الاسلام، ومدى إرتباط كل ذلك بالحركة الثقافية والعلمية في الموصل.

١. معالم الثقافة العربية الإسلامية :-

إن دراسة الثقافة العربية الإسلامية بكل جوانبها طوال الحقبة الإسلامية تشير الى وجود تراث عضوي غير قابل للانفصام بين العروبة والاسلام وذلك لأن اللغة العربية كانت هي الاداة التي حملت العقيدة والقيم الإسلامية الى الناس كافة منذ أن نزل القرآن الكريم على الرسول محمد بن عبد الله (ص) بلسان عربي مبين^(١).

وكان مما عزز الترابط العميق بين العروبة والاسلام أن حملة الرسالة الإسلامية الاوائل كانت غالبيتهم العظمى من صميم العرب وعلى رأسهم الرسول (ص).

وهكذا فقد أخذ اللسان العربي ينتشر بين الناس مع انتشار الاسلام حتى بات كثير من الناس يعتقدون أن من أعنتق الاسلام فإنه قد أصبح عربياً. فقد ذكر الطبري أن دهاقين بخاري جاءوا الى عامل الدولة أشرس بن عبد الله يشكون إليه من أمر فرض الخراج على الناس بعد أن دخلوا في الاسلام فقالوا له: «ومن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عرباً»^(٢).

ويبدو أن من عوامل هذا الترابط العميق بين الاسلام والعروبة أن من يعتنق الاسلام من غير العرب فعليه أن يتعلم القرآن أو بعضاً من آياته على الأقل لقراءته في الصلوات الخمس، إذ لا يجوز التعبد في القرآن إلا باللغة التي أنزل بها وهي اللغة العربية. أما إذا أراد المسلم ألا يكتب بالحد الأدنى من أمور العقيدة والدين وأتجه نحو التفقه في أصوله وأحكامه فإن ذلك يتطلب منه بالضرورة أن يسعى لتعلم اللغة العربية وإتقان فنونها المختلفة كي يتمكن من تفسير القرآن الكريم ودراسة الأحاديث النبوية والاحاطة بما يتصل بهذين المصدرين من علوم شرعية كالفقه وعلم الكلام وغيرها.

إن ما تقدم قد جعل الشاطبي (ت. ٧٩٠هـ)^(٣)، وهو من كبار علماء أصول الفقه الاسلامي يقول: «أن هذه الشريعة المباركة عربية، لا مدخل فيها للألسن الاعجمية» وذلك لأن «القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة»^(٤).

ويلاحظ أنه على الرغم من ارتباط الاسلام بالعرب وباللسان العربي منذ البداية فإنه قد قام على أساس من النظرة الانسانية العامة التي تدعو الى التعارف والتعاون بين بني الانسان كافة. جاء في القرآن الكريم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»^(٥).

إن المفهوم الذي عمل الاسلام على إشاعته عن العرب والعروبة ليس مفهوماً قليلاً أو عنصرياً وإنما هو مفهوم ثقافي يقوم على اللغة والسجيا، فمن تكلم باللغة العربية وحمل السجيا الخلقية العربية الإسلامية فهو عربي بغض النظر عن أصله ونسبه. روى ابن عساكر أن الرسول (ص) قال: «أيها الناس، إن أباكم واحد، وإن ربكم واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، إنما هي اللسان» وفي رواية «إنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»^(٦).

لقد أرسى هذا المفهوم الثقافي للعروبة الأساس
للتين لإقامة أمة واحدة يتعاون فيها العرب وبقية
سكان البلاد المحرة أو المفتوحة من أجل إقامة
صرح الحضارة العربية الإسلامية. كما يرس هذا
المفهوم الطريق لاستعرا ب كثير من الأقوام التي لم
تكن عربية الأصول وبذلك أُنسعت دائرة العروبة
لتشمل كل من تكلم العربية وحمل سجايا العرب
وأعتر يأتناه إليم .

لقد أطلق العرب على المسلمين المستعربين في
صدر الإسلام إسم الموالي لأنهم أنشسوا بالولاء إلى
القبائل العربية على وفق التقاليد التي كانت قائمة في
ذلك الوقت لتأكيد تلاحمهم مع العرب . وفي
ذلك يقول الجاحظ : « إن الموالي أقرب إلى العرب
في كثير من المعاني لأنهم عرب في المدعى ، وفي
العائلة ، وفي الوراثة . وهذا تأويل قوله - صلى الله
عليه وسلم - : مولى القوم منهم ، مولى القوم من
أنفسهم ، الولاء لحمة ك لحمة النسب ، وعلى شبيه
ذلك صار حليف القوم منهم وحكمه كحكمهم » (٧) .

وإن مما يجدر ذكره في هذا المجال أنه على الرغم
من أن العرب المسلمين قد أفلحوا في إقامة دولة
مترامية الأطراف خلال حقبة وجيزة من الزمن
فإنهم لم يحاولوا قسر الناس على اعتناق الإسلام أو
إكتساب اللسان العربي ، بل تركوا ذلك لحرية
الناس وقناعتهم ، فن دخل في الإسلام من
أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وحتى
المجوس ، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على
المسلمين من حقوق وواجبات . أما من فضل البقاء
على عقيدته منهم فإنه يكون في ذمة المسلمين
وحمايتهم لا يجوز لأحد أن يعتدي عليه أو يمسه بسوء
طالما أقام على العهد وأدى ما عليه من حقوق
وواجبات (٨) .

إن هذه النظرة الواسعة والمتسامحة في التعامل
مع الناس قد ساعدت على أن تتعايش في دار
الإسلام كافة العقائد والقوميات في إطار ثقافة عامة
تقوم على أساس العروبة والإسلام .

في ضوء ما تقدم فقد توفرت للحضارة
الإسلامية صفة الوحدة والتنوع ، فهي موحدة من
حيث إنطلاقها من قيم الإسلام والعروبة ، وهي
متنوعة من حيث إنفتاحها على كافة الثقافات التي
كان لها وجود في دار الإسلام سواء أكانت تلك
الثقافات ذات جذور قديمة في المنطقة أم كانت
ثقافات وافدة عليها كالثقافة اليونانية والهندية
وغيرها .

وقد بلغت عملية الانفتاح الثقافي ذروتها من
خلال عمليات ترجمة العلوم من اللغات السريانية
واليونانية والفارسية والهندية وغيرها إلى اللغة
العربية ، التي بدأت منذ العصر الأموي وتوسعت
وتنوعت في خلال العصر العباسي بفعل تشجيع
ودعم الخلفاء لها بشتى السبل (٩) .

٢ . موقف الإسلام من العلم والتعليم :

إن التوسع في تشجيع العلم والتعليم في دار
الإسلام قد جاء إستجابة لتعاليم القرآن والسنة
النبوية فقد حث القرآن الكريم الناس على طلب
العلم في عدة آيات نحو قوله : « قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١٠) ، وقوله :
« فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١١) ،
وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
العلم درجات » (١٢) .

ويبدو أن العلم الذي حثت هذه الآيات الكريمة
على طلبه ليس العلم الديني فحسب ، بل أنه كل
« علم نافع يرفع من قدر الإنسان وينمي عقله
ويجعله أكثر خبرة بالحياة وأطلاعاً على
أحوالها » (١٣) . وإن مما يقوي هذا المعنى الذي يحث
على طلب العلم من غير تقييده بالعلم الديني قول
الرسول (ص) : « أطلبوا العلم ولو بالصين فإن
طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١٤) ، إذ ليس
من المتوقع أن يطلب الرسول (ص) من المسلمين
أن يطلبوا العلم الديني ولو بالصين . فلا بد أن

المقصود من العلم هنا هو العلم بصفته العامة .

«وردت كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن نحو ثلاثمائة مرة ونيف، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة ونيف بأصاليب متنوعة» (٢٠) .

في ضوء ما تقدم فقد حرص الرسول (ص) على اتخاذ كتاب يدونون آيات القرآن الكريم، وكان من أبرز كتابه أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وسعد بن عبيد (٢١) .

وقد وردت أحاديث عن الرسول (ص) تنهى الناس عن كتابة ما سوى القرآن الكريم، نحو قوله (ص) : «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن

كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه» (٢٢) . ويبدو

أن سبب هذا النهي هو خشيته من أن يدخل في كلام الله ما ليس منه، فلما أمن ذلك سمح لبعض الصحابة في كتابة أحاديثه. وقد رويت عدة أحاديث في هذا المجال. منها ما روي عن عبد الله ابن عمرو قال : «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) أريد حفظه فنهني قریش وقالوا أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله (ص) يتكلم في الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأوماً بإصبعه الى فيه وقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق» (٢٣) . لذا فإن أبا هريرة (رض) كان يقول «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كتب ولم أكتب» (٢٤) .

ويبدو أن الرسول (ص) كان يرى أن من مطلبات نشر العلم والمعرفة أن يتعلم الناس الكتابة والقراءة، لذا فإنه طلب من أسرى المشركين في معركة بدر الذين لم يكن لديهم من المال ما يفدون به أنفسهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من أهل المدينة، وذلك لأن أهل مكة - كما يقول ابن سعد - كانوا «يكتسبون وأهل المدينة لا يكتبون» (٢٥) .

والحقيقة أن ما ذكره ابن سعد عن عدم معرفة أهل المدينة الكتابة فيه كثير من التعميم. وربما كان الأصوب ما ذكره البلاذري، والذي جاء فيه :

ويلاحظ أن الرسول (ص) قد عد طلب العلم في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى فريضة على كل مسلم (١٥)، أي واجباً يحاسب أمام الله من يقصر في طلبه. كما رويت عنه أحاديث كثيرة لتجيب الى الناس طلب العلم نحو قوله (ص) : «ما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيها علماً إلا سهل الله له طريقاً الى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه» (١٦) .

٣. وسائل التعلم :-

حينما ظهر الاسلام في مكة، كانت وسيلة التعلم الشائعة بين الناس هي السماع والحفظ. أما الكتابة فعلى الرغم من معرفة بعض الناس لها، لم تكن تستخدم إلا في تدوين بعض الامور الهامة جداً كالصحائف الدينية والوثائق والعهود والاحلاف وصكوك الدين وغير ذلك (١٧). وربما كان سبب ذلك شيوع الأمية بين الناس وغلاء المواد التي تستخدم في الكتابة.

ويبدو من آيات القرآن الكريم أن من أهداف الاسلام الأساس نشر العلم والمعرفة بين الناس وبخاصة المعرفة الدينية. جاء في القرآن الكريم : «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لني ضلال مبين» (١٨) .

وإن مما له دلالة في هذا المجال أن نلاحظ أن كلام الله الذي نزل به الوحي على الرسول (ص) قد أسمى بـ «القرآن» وأن أولى الآيات التي نزلت عليه قد أمرته بالقراءة :

«اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم» (١٩) .

وقد ذكر أن القرآن الكريم قد أشار في مواضع كثيرة الى القراءة والكتابة وأدواتها من كتب وقرطاس وورق وصحف وأقلام ومداد وسجلات بحيث

«كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، وكان يعلمه الصبيان في الزمن الأول». كما ذكر أن الأوس والخزرج كانوا يعدون الرجل كاملاً إذا تعلم الكتابة والرسم والعموم^(٢٦).

ويبدو أنه قد وجد في عهد الرسول (ص) كُتَّابٌ لتأديب الصبيان وتعليمهم الكتابة والقراءة، بدليل الأحاديث النبوية التي رويت في توجيه المعلمين كيفية التعامل مع الصبيان، نحو قوله (ص): «أما مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فخيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين»^(٢٧).

ويلاحظ أن اهتمام الرسول (ص) في تعليم الصبيان الكتابة والقراءة قد جاء في إطار اهتمامه الأساس وهو هداية الناس إلى الاسلام وتفقيهم بأمور الدين. ومن ثم فقد باشر عملية التعليم بنفسه، فكان هو المعلم الأول في المجتمع، وقد اتخذ في مكة دار الأرقم بن أبي الأرقم للالتقاء بأصحابه وتعليمهم^(٢٨). فلما هاجر إلى المدينة اتخذ من المسجد مركزاً لتعليم الناس وتفقيهم بأمور دينهم، فضلاً عن توجيهه لأصحابه بأن يعلم بعضهم بعضاً^(٢٩).

وكان من أبرز الصحابة الذين عهد إليهم الرسول (ص) بمهمات ذات طبيعة تعليمية مصعب ابن عمير حينما أرسله إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى ليقري أهل المدينة القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين. ويروى أنه كان قد ذهب معه إلى المدينة عبد الله بن أم مكتوم «فجعل يقرئان الناس القرآن». في حين تشير رواية أخرى إلى أن عبد الله بن أم مكتوم قد «قدم المدينة مهاجراً بعد بدر يبسير فتزل دار القراء، وهي دار مخزومة بن نوفل»^(٣٠). كما روي أن عبادة بن الصامت كان يعلم أهل الصفة القرآن الكريم^(٣١). أما معاذ بن جبل فقد ذكر أن الرسول (ص) خلفه في مكة بعد

فتحها ليفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن^(٣٢). إن ما تقدم يشير إلى أنه قد وجدت في المدينة دار تدعى «دار القراء» هدفها تعليم الناس قراءة القرآن. وربما أمكن عد هذه الدار نواة للمدرسة الاسلامية التي ظهرت بعد ذلك من أجل تعليم الطلبة أصول الدين وتفقيهم بأحكامه.

ولم يقصر الرسول (ص) اهتمامه على تعليم الرجال دون النساء فقد روي أنه طلب من الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس، وهي من المهاجرات الأولى أن تعلم زوجته حفصة الكتابة فقال لها: «ألا تعلمين هذه رقية القملة كما علمتها الكتابة»^(٣٣).

وإن مما له دلالة على أبعاد توجيهات الرسول (ص) التعليمية ما ذكر عن إهتمامه بتعليم بعض أصحابه اللغات الأعجمية كالفارسية والرومية والقبطية والحبشية لأغراض مراسلة الحكام الأجانب والترجمة إلى العربية^(٣٤). كما روي عن زيد بن ثابت أن الرسول (ص) قال له: تعلم كتاب يهود، فإني ما آمن يهود على كتابي، فتعلمت في نصف شهر حتى كتبت إلى يهود، وأقرأ له إذا كتبوا إليه»^(٣٥).

وعلى الرغم من أن الهدف الأساس للرسول (ص) كان هداية الناس إلى الاسلام وتفقيهم بأمور الدين فإنه قد أولى بعض الاهتمام بمعارف العرب العامة كالشعر والأمثال والأنساب والخطابة. وقد استغل الرسول هذه المعارف ووجهها لخدمة الدعوة الاسلامية. فقد روي أن الرسول (ص) تساءل أمام الانصار بقوله: ما يمنع الذين نصرؤ رسول الله (ص) بسلامتهم أن ينصروه بالنسبهم؟ فقال حسان بن ثابت أنا لها. فقال رسول الله (ص): كيف تهجوهم (أي قريش) وأنا منهم؟ وكيف تهجو أباً سفيان وهو ابن عمي؟ فقال: والله لأسلكن منهم كما تسلك الشعرة من العجين، فقال: إيت أباً بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فكان يحضي إلى أبي بكر

ليقفه على أنسابهم ، فكان يقول له : كف عن فلان وفلانة وأذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم (٣٦) .

ولم يفت الرسول (ص) الاهتمام بالمعارف العلمية التي تعنى بصحة الانسان وحياته . فقد روي أن الرسول (ص) قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » ، كما روي عنه قوله : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء البرأ بأذن الله تعالى » (٣٧) . لذا فقد كان الرسول (ص) حريصاً على مداواة نفسه وأصحابه عند المرض . فقد روي أنه كان قد جعل لفيفة الأسلمية خيمة في المسجد في خلال غزوة الخندق فكانت « تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين » . وكان الرسول (ص) قد قال لقوم سعد ابن معاذ حين أصيب في هذه المعركة « أجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده من قريب » (٣٨) .

وكان من جملة الاطباء في عهد الرسول (ص) الحارث بن كلدة وأبورثة رفاعه بن بثرى . وقد أُشير الى أن الرسول (ص) كان ينصح بالرجوع إليها للعلاج (٣٩) .

وهناك رواية عن هشام بن عروة توضح مدى إستيعاب عائشة أم المؤمنين لتوجيهات الرسول (ص) الثقافية ، جاء فيها : « كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها : يا أُمّنا لا أعجب من فقهك ، أقول : زوجة رسول الله (ص) وابنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ، أقول : ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب ، قال : ففصرت على منكبه : أي عُزّيته ، إن رسول الله (ص) كان يسقم عند آخر عمره ، أو في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الانعائات فكنت أعالجها فن ثم » (٤٠) .

وهكذا نلاحظ أن الرسول (ص) قد وضع في حياته قاعدة الانطلاق للثقافة العربية الاسلامية بأبعادها الفكرية ومؤسستها التعليمية المتنوعة . فلما

جاء عهد الخلفاء الراشدين ، واصلت هذه الثقافة إنطلاقها وتوسعها وبخاصة وإن هذا العهد قد شهد أمتداد الدولة العربية الاسلامية وتوسعها فأصبح ضمن حدودها بعض الأقاليم التي كانت موطناً للحضارة منذ أزمان بعيدة كالعراق والشام ومصر وغيرها .

وكان من جملة المدن التي دخلت في هذه المرحلة ضمن إطار الدولة العربية الاسلامية مدينة الموصل ، حيث تم تحريرها من التسلط البيزنطي على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حوالي سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م (٤١) .

٤ . مدينة الموصل والثقافة العربية الاسلامية :

من المعروف أن الاقوام التي سكنت الموصل وما حولها قبل الاسلام كانت من شعوب شبه الجزيرة العربية التي خرجت منها على شكل موجات متتالية كالآشوريين والآراميين والعرب . ومن ثم فقد كانت تشد هذه الاقوام بعضها الى بعض أواصر متنوعة كوحدة الأصل والثقافة والبيئة وغيرها .

وقد ساعد هذا الواقع جيوش التحرير العربية في تحقيق أهدافها بتحرير تكريت والموصل من تسلط الروم البيزنطيين وقبول الكثير من أبناء القبائل العربية التي كانت تسكن المنطقة للعقيدة الاسلامية بسهولة ويسر . فقد ذكر الطبري أن أبناء قبائل تغلب وأباد والنمر الذي كانوا حلفاء للروم البيزنطيين قد أرسلوا ممثلين عنهم الى قائد جيش المسلمين الذي حاصر تكريت من أجل تحريرها حيث « سألوه للرب السلم ، وأخبروه أنهم قد أستجابوا له » ثم لم يلبثوا أن أعلنوا إسلامهم وتعاونهم مع جيش المسلمين لتحرير تكريت ثم التوجه منها الى الموصل لتحريرها . وبذلك تم للمسلمين تحرير هاتين المدينتين من دون تضحيات كبيرة في الأرواح (٤٢) .

وقد ذكر الطبري أن أهل الموصل قد أستقبلوا قوات التحرير العربية بصورة إيجابية حينما دعمهم

الى الصلح « فأقام من أستجاب ، وهرب من لم يستجب ، الى أن أتاهم عبد الله بن المعم - قائد جيش المسلمين - ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب ، ووفى لمن أقام ، فتراجع الهرب وأغبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة »^(٤٣) .

لقد كانت الموصل في هذا الوقت مؤلفة من قلعة صغيرة على الجانب الأيمن من النهر قبالة نينوى ، فكان بها حسب قول البلاذري : « الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود ، قصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم وأخطط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع »^(٤٤) .

يستنتج مما تقدم أن قائد جيش المسلمين قد منح النصارى واليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة الحجابة والأمان لأنفسهم وأموالهم ، كما سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وذلك لأن الاسلام يعدهم أهل كتاب تجمعهم مع المسلمين أمور عدة كالإيمان بالله ورسله والايمان باليوم الآخر وغيرها من المبادئ والقيم الاخلاقية .

وقد أشارت بعض المصادر الى ترحيب اليهود والمسيحيين بالمسلمين وتفضيلهم على الروم البيزنطيين الذين كانوا يحكمونهم من قبل^(٤٥) . فقد أشار مار ميخائيل الكبير بطريق أنطاكية البعقوبي في تاريخه وقد ألفه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي الى سبب ذلك بقوله : أن الله قد أرسل المسلمين من أولاد إسماعيل « إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا يهبون كنائسنا وأديرتنا كلما آتشد ساعدتهم في الحكم ، ويقاضوننا بلا رحمة لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم »^(٤٦) كما أشار مار ميخائيل الى حياء المسلمين وعدلهم بين الطوائف المسيحية حيث « أبقوا لكل طائفة ما يجوزها من الكنائس » مما ساعد الجميع على التمتع بالطمأنينة والتخلص من شر الروم وبطشهم وحقدهم بسبب أختلافهم عن نصارى المشرق البعاقبة « الارذوذكس » بالمذهب^(٤٧) .

إن متابعة ما أوردته المصادر والمراجع المسيحية خلال الحقبة الاسلامية تشير الى تمتع المسيحيين وغيرهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية فضلاً عن ممارسة مختلف جوانب النشاطات الثقافية والفكرية في المجتمع . وكان من أبرز رجال الدين المسيحيين الذين كان لهم حضور ديني وثقافي في هذه الفترة أيشوعياي الثاني الجدالي (ت ٦٤٥ م) وسهدونا (ت ، بعد ٦٤٩ م) وأيشوعياي الثالث الحداياني (ت ٦٥٩ م) وغيرهم^(٤٨) .

ويبدو أن حكام المسلمين في هذه الفترة كانوا حريصين على تشجيع المسيحيين على ممارسة نشاطاتهم الثقافية والفكرية ، فقد ذكر ابن العبري أن يوحنا الاول أبو السلدات قد سعى الى نقل الانجيل من السريانية الى العربية في نحو سنة ٦٤٣ م وذلك على أيدي مهرة العرب المسيحيين إجابة الى طلب عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجزيرة^(٤٩) .

وقد أكد مار ميخائيل الكبير أن يوحنا الاول قد « آستدعى جماعة من التتوحيين والكوفييين ... الفقهاء باللغتين العربية والسريانية وأمرهم بترجمة الانجيل الى اللغة العربية وعرض ما يترجمونه على المفسرين . وهكذا عُرِّبَ الانجيل وقدم للامير »^(٥٠) .

إن ما تقدم يشير الى أن عصر الترجمة قد بدأ منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وهو تاريخ مبكر جداً ، ويبدو أن الصحيح أن نشاط المسلمين في مجال الترجمة قد بدأ في العهد الأموي وبخاصة وأن الحديث عن طلب عمر بن سعد بن أبي وقاص ترجمة الانجيل لا يمكن أن يكون في سنة ٦٤٣ م وأواخر خلافة عمر بن الخطاب (رض) ... وذلك لأن عمر بن سعد قد تولى الامارة في العهد الأموي في حكم يزيد بن معاوية في سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م^(٥١) . فلا بد أن ترجمة الانجيل الى العربية قد وقعت حوالي هذا التاريخ في حالة صحة الخبر . ويبدو أن تشجيع المسيحيين على ترجمة الانجيل

الى العربية كان بدافع نشر اللغة العربية وإشاعة استخدامها بين المسيحيين السريان فضلاً عن الاطلاع على محتوياتها لأغراض العلم والثقافة.

ومهما يكن من أمر فإن تسامح العرب المسلمين مع أهل الذمة في الموصل وغيرها من الاقاليم الاسلامية وتشجيعهم على مواصلة نشاطهم الثقافية قد ساعد على انتقال علوم اليونان في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة الى العربية من خلال عمليات الترجمة التي بدأت في العصر الأموي وتوسعت حتى بلغت ذروتها في العصر العباسي. وقد أشير الى انه «كان للسريان فيها بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها أبتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس للميلاد»^(٥٢).

وأخيراً فإن الامر الجدير بالملاحظة عن معاملة المسلمين لأهل الذمة أن هرثمة حينما دخل الموصل وأراد إسكان بعض أبناء القبائل العربية فيها لم يتعرض لنزائل أهل الذمة بالمصادرة أو المضايقة بل عمد الى تخطيط أحياء خاصة لهم «فأنزل العرب منازلهم وأختط لهم، ثم بنى المسجد الجامع»^(٥٣). ويبدو أن التخطيط الذي أعتمدته هرثمة في الموصل هو التخطيط نفسه الذي سار عليه المسلمون في تخطيط مدنها فكان المسجد الجامع يشكل قلب المدينة ومركز الحياة الدينية والثقافية فيها. ثم يكون الى جواره دار الامارة ليكون مقراً للوالي وتنظيم الادارة فيها. وبعد ذلك تمتد الاسواق لاشباع حاجات الناس الاقتصادية. ثم تليها محلات سكن الناس التي نظمت على شكل سكك ودروب خاصة بكل عشيرة أو فخذ من العشائر العربية التي سكنت المدينة^(٥٤).

لقد تألف سكان الموصل في البداية من أبناء القبائل العربية التي ساهمت في تحرير الموصل وهم من إباد وتغلب والحر بن قاسط ثم توالى سكن القبائل العربية من أبناء القبائل التي أنتقلت من البصرة والكوفة في عصر الخلفاء الراشدين. ثم

استمر سكن الناس فيها في العصر الأموي والعباسي حتى غدت الموصل من كبرى مدن الاسلام^(٥٥). وكان مما عزز الوجود العربي في الموصل وما حولها أن شمال ما بين النهرين كان موطناً للقبائل العربية منذ عهد بعيد حتى أن الكتاب القدماء قد أطلقوا على هذه المنطقة منذ القرن الرابع قبل الميلاد «بيت عربايا» أي بلاد العرب^(٥٦).

لقد كان من الطبيعي أن يكون لعرب الجزيرة إهتمامات ثقافية شبيهة بثقافة اخوانهم من أبناء شبه الجزيرة العربية كالإهتمام بالشعر والحكم والأمثال وقصص الأيام فضلاً عن بعض المعارف العامة عن الفلك والانواء الجوية والطب وغيرها. فلما جاء الاسلام وأخذ أبناء هذه القبائل يؤمنون بمبادئه وقيمته أخذ الإهتمام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وما تفرع عنها من علوم يأخذ مكان الصدارة في إهتماماتهم وثقافتهم.

ولابد ان الكتاب والمسجد قد اصبحا هما المكانين الاساسيين لتعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم في الموصل خلال فترة صدر الاسلام على الرغم من انه لم تصلنا معلومات محددة عن كيفية طلب العلم في الموصل في خلال هذه الفترة المبكرة.

ويبدو ان ولاية الاقاليم كانوا حريصين في هذه المرحلة على نشر الثقافة الاسلامية وتعليم الناس قراءة القرآن وحفظه. فقد ذكر ابن سعد ان يزيد ابن ابني سفيان كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب: «ان اهل الشام قد كثروا وربلوا وملأوا المدائن واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنى بإمير المؤمنين برجال يعلمونهم»^(٥٧) فدعا عمر بن الخطاب (رض) خمسة من حفظة القرآن الكريم فشرح لهم الموقف ورجاهم ان يتطوع ثلاثة منهم للذهاب الى الشام فوافق كل من معاذ بن جبل وعباد بن الصامت وابو الدرداء على ذلك فكانوا طلائع المقرئين وفقهاء المسلمين في بلاد

الشام. ومن المحتمل ان الصحابة الذين ذهبوا الى العراق كسعد بن ابى وقاص وابى موسى الاشعري ، وهرثمة بن عرفة في الموصل وغيرهم قد قاموا بمثل هذا الدور التعليمي ايضاً .

اما على مستوى تعليم الصبيان الكتابة والقراءة في الكتاب فيبدو ان هذا النهج قد تواصل وتوسع في خلال عهد الخلفاء الراشدين . فقد سئل انس ابن مالك : «كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة ، ابى بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله تعالى عنهم - ؟ قال انس : كان المؤدب له أجرة . وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهراً فيصبونه فيها فيمحوون به الواحهم . قال انس : ثم يحفرون حفرة في الارض فيصبون ذلك الماء فينشف...» (٥٨) .

ان الرواية المتقدمة تشير الى ان نظام الكتاب في تأديب وتعليم الصبيان قد اصبح في عهد الخلفاء الراشدين مؤسسة لها آدابها وتقاليدها في العمل ، ومن المحتمل ان مكاتب المعلمين قد امتدت الى معظم المدن والاقاليم الاسلامية ومنها الموصل لوحدة الثقافة والتوجهات العامة في المجتمع .

في ضوء ما تقدم فقد كان من الطبيعي ان تتوسع هذه المؤسسة في العهد الاموي والعباسي ويكثر الكتاب من الحديث عن المعلمين واخبارهم . فقد أشار ابن قتيبة الى بعض الاشخاص البارزين الذي كانوا معلمين ، مثل قيس بن سعد ، وعطاء بن ابى رباح والكميت بن زيد الشاعر ، الذي كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة وعبد الحميد الكاتب . كما ذكر ان الحجاج ابن يوسف الثقفي كان يعلم بالطائف (٥٩) .

ويبدو ان بعض المعلمين في هذه المرحلة لم يكن يقتصر واجبه على مجرد تعليم الكتابة وقراءة القرآن الكريم ، بل كان يتجاوز ذلك الى تعليم العربية والنحو والعروض والاحاديث النبوية . فقد روي ان علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة ام المؤمنين ،

«كان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض» وكان ابو معاوية النحوي «يؤدب ولد داود بن علي وكان محدثاً» (٦٠) وكان الزجاج محمد بن الليث (النحوي) يعلم ولد ناصر الدولة في الموصل (٦١) :

وقد ذكر الجاحظ ان المعلمين في هذه المرحلة يمكن تقسيمهم الى فئتين ، فئة المعلمين الذين يعلمون اولاد العامة في المدن والقرى ، وفئة المعلمين الذين يعلمون عليّة القوم وابناء الخلفاء . اما الفئة الاولى فكان يغلب على افرادها قلة المعرفة وضيق النظرة بحكم طول مصاحبتهم للصبيان ، لذا فقد اخذ العامة يتتدرون عليهم ويصفونهم بالحق فيقولون احق من معلم كتاب . اما الفئة الثانية فكانت تضم بعض كبار اللغويين والادباء والفقهاء ممن أشرنا الى بعض منهم ، وهؤلاء كانت لهم مكانة سامية في المجتمع وفي نظر الناس ، ومن ثم لا يمكن ان يقال عنهم ما قيل عن معلمي الكتاب من الفئة الاولى (٦٢) . فقد ذكر أن أبا ايوب مسلمة بن محارب الفهري كان من أئمة النحو ، وقد قدم الى الموصل مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور ، وأقام بها حتى توفي (٦٣) .

وقد قدم لنا محمد بن ادريس الشافعي وصفاً حياً وديقاً لتدرجه في طلب العلم وجانباً من معاناته في هذا السبيل والتي يمكن عدّها نموذجاً لحالة كثير من طلبة العلم في ذلك الزمان .

يقول الشافعي : «كنت يتيماً في حجر امي فدفعتني في الكتاب ، ولم يكن عندها ماتعطي العلم ، فكان المعلم قد رضي مني ان أخلفه اذا قام ، فلما ختمت القرآن دخلت المجلس فكنت اجالس العلماء ، وكنت اسمع الحديث او المسألة فأحفظها ، ولم يكن عند أمي ماتعطي اشترى به قراطيس فكنت اذا رأيت عظماً يلوح آخذه فأكتب فيه ، فاذا أمتلاً طرحت في جرة كانت لنا قديماً....» (٦٤) .

يستنتج من هذا الخبر ان معلمي الكتاب كانوا يتقاضون إجرة على تعليمهم للصبيان ، وقد

أجاز الفقهاء ذلك وتحذوا عن بعض احكامها .
فقد روي ان سعد بن ابى وقاص «قدم برجل من
العراق يعلم ابناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه
الاجر....

وقال مالك : لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم
القرآن وإن اشترط شيئاً كان له حلالاً جائزاً ،
ولا بأس بالاشتراط في ذلك . وحق الختمه له
واجب اشترطها او لم يشترطها وعلى ذلك أهل
العلم ببلدنا في المعلمين» (٦٥) .

كما يفهم من اوردته الشافعي ان طالب العلم
اذا اجتاز مرحلة الكتاب فان له ان يحضر حلقات
العلم في المساجد ويأخذ العلم عن العلماء . وكان
العلماء يرون ان «اول العلم الانصات ثم الاستماع ثم
الحفظ ثم العمل ثم النشر» (٦٦) اما المثل الاساس
التي كان يرى العلماء ضرورة توفرها في العالم فهي
ثلاثة : « لا يحقر من دونه في العلم ولا يحسد من
فوقه في العلم ولا يأخذ على علمه ثمناً» (٦٧) .

إن ما تقدم يدل على أن العلماء لم يكونوا
يأخذون أجراً ممن يتعلم عليهم في المساجد وذلك
لأن التعليم في هذه المرحلة كان تعليمياً حراً لا
يتطلب التفرغ من الطالب والاستاذ .

ويلاحظ أن التعليم كان يستند بصورة أساس
الى الذاكرة والحفظ وذلك لأن مواد الكتابة كانت
غالية الثمن ، وقد أشرنا الى أن الشافعي كان يكتب
على العظام لأنه لم يكن يستطيع شراء القراطيس .
كما أن العرب «كانوا مطبوعين على الحفظ
مخصوصين بذلك» (٦٨) . لذا فقد كانوا يفخرون
بم حفظهم لمولاهم بدلاً من تدوينها في القراطيس .
وقد أنشد أحدهم شعراً بهذا المعنى :

أستودع العلم قرطاساً فضيعة
وبس مستودع العلم القراطيس

وقال آخر:

علمي معي حيث ما يمت أحمله
بطني وعاء له لا بطن صندوق (٦٩)

لقد ترتب على أخذ العلم عن طريق الرواية
والسماع أن أصبح من الضروري للعالم حين
يتحدث أن يذكر سلسلة الشيوخ أو العلماء الذين
أخذ عنهم علمه وهو ما عرف بالاسناد . وبذلك
أصبح وجود السند الصحيح الذي يتألف من
سلسلة من الرجال الثقة من أهم الوسائل للحكم
على الثقة بالراوي وصحة أحاديثه (٧٠) .

وقد أخذت أهمية السند تضعف بعد أن شاع
تأليف الكتب بسبب توسع العلوم وتوافر الورق بعد
منتصف القرن الثاني للهجرة ، الا أن العلماء ، لم
يفقدوا تعلقهم بأهمية السند ، وتفضيلهم الحفظ
على الكتابة ، وذلك لأن الحفظ والرواية يتطلبان
وجود علاقة مباشرة بين التلميذ وشيخه ، مما يساعد
على إتقانه العلم وتشريه لروح ومنهج شيوخه الذين
أخذ عنهم العلم . لذا فقد نقل عن الازواعي قوله :
«كان هذا العلم شريفاً إذا كان من أفواه الرجال
يتلاقونه ويتذكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره
وصار الى غير أهله» (٧١) .

إن ما تقدم يمثل الملامح العامة التي طبعت
الحركة العلمية في عموم ديار الاسلام ، ولم تشذ
الموصل عنها في شيء ، لذا فإن البحث لم يكثر من
الاشارة إليها . لذا من المفيد أن نؤكد قبل إختتام
البحث الى أن الحركة العلمية في الموصل قد أنجبت
علماء كثيرين وكان جل إهتمامهم في أواخر القرن
الأول والثاني الهجريين يتركز على علوم القرآن
والسنة ، وقد طلبوا العلم بصورة أساس في حلقات
المساجد عن طريق الرواية والحفظ والكتابة . وكان
من أبرز هؤلاء العلماء المعافى بن عمران (ت سنة
١٨٥ هـ) ، وقد وصف بأنه «فقيه الموصل ، وكان
ناسكاً فاضلاً... قال سفيان الثوري : المعافى بن
عمران ياقوته العلماء .. وقال : أمتحنوا أهل الموصل
بالمعافى بن عمران فن ذكره بخير قلت : هؤلاء
أصحاب السنة والجماعة ، ومن عابه قلت : هؤلاء
أصحاب البدع ..» (٧٢) .

وقد أشير الى أن أبا يوسف القاضي زار الموصل بصحبة الخليفة هارون الرشيد في سنة ثمانين ومائة للهجرة «فخرج إليه فقهاء الموصل، موسى بن المهاجر وسعد وعتيق وغيرهم، فسألوه وهو راكب، كآل تعب، فأجاب فأصاب وأخطأ. قال: فلما نزل وأطمأن جالساً قال: هاتوا مسائلكم، فأجاب أحسن الجواب وأصوبه» (٧٣).

وقد ذكر الأزدي أنه كان على قضاء الموصل الحسن بن موسى الأشيب. فلما عزله المأمون «أتحد إلى بغداد يحدث فأجتمع عليه الناس فكان يتكلم في أصحاب الرأي ويذمهم. وكان الحسن بن موسى نبيلاً ثبثاً كثير الكتاب، حدث عنه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وأبو خيثمة ونظراؤهم. حدثني محمد بن أحمد المقدمي. قال سمعت أحمد ابن منصور يقول: حضرت يحيى بن معين وأحمد ابن حنبل وأبا خيثمة في مجلس الحسن بن موسى الأشيب وهو يعلو عليهم، وكتبوا عنه خمسة آلاف حديث إملاء...» (٧٤).

إن ما تقدم يدل على أن الموصل قد غدت منذ القرن الثاني للهجرة أحد مراكز الحركة العلمية المهمة في ديار الاسلام، وأخذ علماؤها يساهمون مع غيرهم من العلماء في إشادة صرح الحضارة العربية الاسلامية في ميادين العلم المختلفة.

وإذا كانت الحركة العلمية في الموصل قد اعتمدت الرواية والاملاء وسيلة لطلب العلم ونشره خلال القرن الاول والثاني للهجرة شأنها في ذلك شأن بقية الامصار الاسلامية الأخرى، فإنها قد أخذت منذ القرن الثالث الهجري تعتمد تأليف الكتب وسيلة أساساً لتحقيق هذا الغرض وذلك بعد انتشار استعمال الورق مما سهل في عملية نشر الكتب وتوزيعها بأسعار معتدلة.

ويبدو أن أقدم العلوم التي أخذ العلماء يؤلفون الكتب فيها هو علم الحديث والتاريخ. فقد ذكر أن ابن عمار الموصلي (ت ٢٤٢ هـ) قد ألف كتاباً أسماه «العلل والرجال»، وهو كما يبدو من عنوانه يتناول

دراسة تراجم رجال الحديث. كما ألف أبو زكريا الأزدي (ت ٢٩٨ هـ) كتاباً عدة كان من أبرزها كتاب تاريخ الموصل وكتاب القبائل والخطط وكتاب طبقات محدثي أهل الموصل وطبقات العلماء من أهل الموصل وغيرها (٧٥).

وقد تواصلت عملية تأليف الكتب في القرون التالية وتوسعت بحيث شملت جميع العلوم التي ظهرت وأزدهرت في إطار الحضارة العربية الاسلامية كعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا فضلاً عن العلوم الأخرى كالطب والفلك والفلسفة وغيرها (٧٦).

وقد واكب عملية تأليف الكتب وتشجيعها قيام أحد رجال العلم في الموصل وهو جعفر بن حمدان الموصلي (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ) بتأسيس «دار علم» تحوي مؤلفات في مختلف العلوم وتكون مفتوحة الابواب لمن يريد دخولها والاستفادة منها. وقد أشير الى أن ابن حمدان كان يجلس في هذه الدار باستمرار لحضور المناظرات والمناقشات التي كان يغلب عليها الطابع الأدبي وذلك لأنه كان أديباً. وقد ألف عدة كتب في هذا المجال مثل كتاب الباهر في الاختيار من شعراء المحدثين وكتاب الشعر والشعراء (٧٧).

وفي القرن الخامس الهجري قام نظام الملك بإنشاء أول مدرسة في الموصل لتدريس الفقه الاسلامي وفقاً للمذهب الشافعي. ثم توالى بعد ذلك إنشاء المدارس في الموصل حتى بلغ عددها حوالي العشرين مدرسة. وقد كان للأمرء الزنكيين أثر كبير في إنشاء هذه المدارس، وتشجيع الحركة العلمية في المدينة (٧٨).

وكان من جملة العوامل التي ساعدت على تعميق التفاعل الثقافي والفكري بين علماء الموصل وغيرهم من أبناء دار الاسلام «الرحلة في طلب العلم». فكان العلماء وطلابهم يتنقلون في طلب العلم من أقصى المشرق الى أقصى المغرب. وكانت الموصل أحد الامصار الاسلامية التي يقصدها العلماء

والمتعلمون لغرض الاستفادة وتبادل الرأي (٧٩) .
لقد ترتب على مجمل العوامل الأنفة الذكر أن
ازدهرت الحركة العلمية في الموصل، وبخاصة خلال
القرن السادس الهجري حيث لم يبق علم من العلوم
التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية إلا وكان
لعلماء الموصل مساهمة واضحة فيه .

المواش

- (١) سورة الشعراء : آية ١٩٥ ، ينظر أيضاً سورة فصلت : آية ٤٤ ،
وسورة الشعراء : آية ١٩٨ ، وسورة النحل : آية ١٠٣ .
- (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٦ ، ج ٧ ص ٥٥ .
- (٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة ،
مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ، بلا . ت ، ج ٢ ص ٦٤ .
- (٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٦٤ .
- (٥) سورة الحجرات : آية ١٣ .
- (٦) تهذيب ابن عساكر ، مطبعة دمشق ، ج ٢ ص ١٨٩ .
- (٧) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، القاهرة ١٩١٤ ، ج ١ ص ١٢ .
- (٨) الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ص ٣٦٢ - ٣٦١ ، ج ٤ ص ٣٧ ،
تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج ٢ ص ١٤٦ .
- (٩) ماجد ، د. عبد النعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور
الوسطى ، ص ١٠ - ١٨ .
- (١٠) سورة الزمر : آية ٩ .
- (١١) سورة النحل : ٤٣ .
- (١٢) سورة المجادلة : ١١ .
- (١٣) طلس ، محمد أسعد ، التربية والتعليم في الإسلام ، بيروت
١٩٥٧ ص ٤٥ .
- (١٤) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، بيروت ، (دار الكتب
العلمية) ، بلا . ت ، ج ١ ص ٧ - ٨ .
- (١٥) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧ - ٩ .
- (١٦) المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٣ .
- (١٧) الأسد ، د. ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، بيروت
١٩٨٨ ، ص ٦١ - ٧٦ .
- (١٨) سورة الجمعة : آية ٢ .
- (١٩) سورة الملق : ١ - ٥ .
- (٢٠) دروزة ، محمد عزة ، عصر النبي ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٤٤٢ .
- (٢١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٧ ، ج ٢ ص ٣٥٥ .
- (٢٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج ١ ص ٦٣ .
- (٢٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧١ .
- (٢٤) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧٠ .
- (٢٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ص ٢٢ .

- (٢٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٥٩ .
- (٢٧) سحنون ، محمد ، كتاب آداب المعلمين ، الجزائر ١٩٨١ ص
٧٤ .
- (٢٨) ابن سعد ، الطبقات ج ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- (٢٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، ق ١ ص ٤٩٤ -
٤٩٦ .
- (٣٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٤ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .
- (٣١) الخزازي ، علي بن محمد ، تخريج الدلالات السمعية ، بيروت ،
١٩٨٥ ، ص ٧٩ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ص ٨١ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ - ٨٧ .
- (٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦٦٤ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ص ٦٦٣ .
- (٣٩) المصدر نفسه ، ص ٦٦٧ - ٦٧٢ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ص ٦٦٧ .
- (٤١) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٤٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣٦ .
- (٤٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٧ .
- (٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .
- (٤٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ترجمة المطران صليبا شمعون نسخة
مخطوطة بخط المترجم ، ج ٢ ص ١٤٦ علماً بأن الكتاب قد
ترجم ونشر باللغة الفرنسية .
- (٤٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٦ .
- (٤٨) الأب البير ابونا ، آداب اللغة الآرامية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص
٢٦٦ - ٢٨٢ .
- (٤٩) المرجع نفسه ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥
ص ١٦٨ .
- (٥٠) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج ٢ ص ١٥٤ .
- (٥١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ص ١٦٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج
٥ ص ٣٨٩ .
- (٥٢) زيدان ، جرجي ، تاريخ التقدين الاسلامي ، بيروت ١٩٦٧
ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- (٥٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٧ .
- (٥٤) د. عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية
الاسلامية ، البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤٤ - ٣٥٠ .
- (٥٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ص ١٦١ - ١٦٢ ، السلان ، عبد
الماجد أحمد ، الموصل في المهديين الراشدين والاموي ، رسالة
ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة ، كلية الآداب / جامعة
الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ٣٦ - ٤٦ .
- (٥٦) المرجع نفسه ، ص ٣٦ .
- (٥٧) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ص ٣٥٧ .

الحركة الفكرية في صدر الاسلام، مجلة الجمع العلمي العراقي
ج ١، مجلد ٣١، كانون الثاني ١٩٨٠ ص ١٧-٣١.

- (٧١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ٦٨.
(٧٢) الأزدي، يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق، على حبيبة
القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ص ٣٠١.
(٧٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٨٩.
(٧٤) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٣٦٠-٣٦١.
(٧٥) الذويج، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢١١-٢١٣.
(٧٦) المريع نفسه، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٨، ٣٧٣-٤٠٠.
(٧٧) غانم عبد الله خلف، دور الحكمة، رسالة ماجستير مطبوعة
على الآلة الكاتبة، بإشراف الدكتور خضر جاسم محمد، كلية
الآداب/ جامعة الموصل ١٩٨٢ ص ٨٩.
(٧٨) الدكتور ناجي معروف، علماء النظاميات ومدارس المشرق،
بغداد، ١٩٧٣، ص ١٤٨-١٨٦، الذويج، تاريخ
الموصل، ج ١ ص ٣٤٣.
(٧٩) عبد الجبار حامد أحمد، الحياة العلمية في الموصل، ص ٨٧-٩٣.

(٥٨) سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص ٧٥.

(٥٩) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

- (٦١) الذويج، سعيد، تاريخ الموصل، (الموصل ١٩٨٢) ج ١
ص ٢٠٨؛ للإطلاع على تفاصيل اوضاع الكتاب والمعلمين في
الموصل يراجع عبد الجبار حامد أحمد الحياة العلمية في الموصل
في عصر الانباكية، رسالة ماجستير غير مطبوعة كلية الآداب/
جامعة الموصل سنة ١٩٨٦، ص ٩٥-١٠١.
(٦٢) الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة، ط ٣، ج ١
ص ٢٤٨-٢٥٢.
(٦٣) الذويج، تاريخ الموصل، ج ١ ص ٢٠٨.
(٦٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١ ص ٩٨.
(٦٥) سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص ٧٣-٧٤.
(٦٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ١ ص ١١٨.
(٦٧) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣١.
(٦٨) المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٩.
(٦٩) المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٩.
(٧٠) العملي، د. صالح أحمد، الرواية والاسانيد وأثرهما في تطور

الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل

د. ناطق صالح مطلوب

اللغة اللتين ربطتنا بالحجاج وطلاب العلم والرسول
السياسيين، والتجار، وأهل الصنائع، فاحتفظوا
بتلك الصلة^(٢) التي ظلت تمثل وحدة الأمة في
الفكر والمهدف، متخططين حالة الافتراق السياسي
بين بلد وآخر من بلدان دار الاسلام.

وتعد الرحلة في طلب العلم من أجل الرحلات
وأسمائها غاية بعد الرحلة الى الحج؛ ولعلم الحديث
الفضل في رواجها، بل هي وليدة هذا العلم واليه
تنتمي؛ فمن المعروف ان الحديث النبوي الشريف
يمثل المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم،
وعلى هذا فالاهتمام بدقة روايته وضبطه كان من
الامور البالغة الأهمية، وكان الصحابة رضوان الله
عليهم يأخذون الحديث عن الرسول صلى الله عليه

الرحلات على اختلاف أنواعها عنصر من
العناصر القوية في حياة المجتمع العربي الاسلامي،
فقد رحل الناس لأداء فريضة الحج، ورحلوا في
طلب العلم من بلد الى آخر، ورحلوا للتجارة، فقد
كانت الأسواق على مدى رقعة العالم الاسلامي
مترابطة فيما بينها، وكان التجار يحملون متاجرهم
وسلعهم الى حيث تطلب وتتفق؛ فضلاً عن رحلة
الرسول المتردد بين الملوك والأمراء، ورحلات
جواني الآفاق الذين كانوا يستمتعون برحلاتهم
الاستكشافية. كل هذه الرحلات وغيرها من
التماذج الأخرى^(١) عرفها العرب في قديمهم وإبان
ازدهار حضارتهم، وظلت سمة من سمات
الحضارية البارزة بفضل وحدة الدين، ووحدة

وسلم ، إما سماعاً من لفظه ، أو من فعله ، أو من تقريره ، أو عن طريق تبليغ بعضهم بعضاً^(١٣) ، فكانوا يؤدون الأحاديث كما سمعوها ، ولم يتبادر إلى أذهانهم الكذب أو التحريف^(١٤) ، وهم الذين سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(١٥) فاحتاطوا في رواية الأحاديث بعد وفاته ، وآثروا الاعتدال في الرواية ، والاقبال منها خوفاً من الخطأ والزلل^(١٦) .

وكان الخليفة الصديق (رض) لا يقبل الأحاديث خاصة ماتعلق منها بالأحكام إلا بشهادة صحابي آخر^(١٧) ؛ وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) شديد الإنكار على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر في الحكم لاشاهد عليه ، ويأمر بالإقلال من الرواية كي لا يدخلها التدليس أو الكذب^(١٨) ، وعبدالله بن العباس المتوفى سنة ٦٨ هـ كان لا يأذن التحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد قول الراوي قال رسول الله : كذا ، وقال : كذا^(١٩) ؛ وهكذا تميزت رواية الأحاديث النبوية منذ البداية بميزتين أساسيتين :

— تحري الدقة في ضبط المتن .

— الشهادة على السماع^(٢٠) .

وبعد تفرق الصحابة في الأمصار ، وحدث ما يكره صفو الأمة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٣٥ هـ وما رافق ذلك من ظهور الفرق المختلفة ، أخذ وضع الحديث وسيلة لاثبات ماتدعوايه تلك الفرق ، وطريقاً لكسب العامة من الناس^(٢١) ، ولهذا المعنى أشار ابن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ بقوله : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »^(٢٢) ومن ثم فالسؤال عن الرواة والاسناد أخذ يزاد ، وأصبح شرطاً لازماً عند رواية كل حديث أو خبر عن

الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عُد الاسناد من الدين بدلالة قول ابن سيرين نفسه : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »^(٢٣) وقول عبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء »^(٢٤) .

لأجل هذا وغيره وضع علماء الحديث الشروط الدقيقة القاسية على حاملي الأحاديث النبوية ورواتها ، وقرروا الفاظاً بعينها لتعديلهم وجرحهم ، وسعوا الى الرحلة لسماع الأحاديث النبوية من أفواه الرجال الذين عرفوا بالثقة وتحري الدقة في الضبط والإداء ، وكانت رحلة بعضهم محط إعجاب الخلف والمتأخرين ، فمنهم من رحل الى البلدان المختلفة ، وقطع الأيام والليالي مكابداً الكثير من المشاق في سبيل سماع الحديث ، أو سماع حديث واحد ، فترد به صحابي من الصحابة ، أو ثقة من الشقات ، والأمثلة في هذا الباب كثيرة مشهورة^(٢٥) . وهكذا كان مبدأ نشوء الرحلة العلمية ، وغايتها سماع الأحاديث والأخبار النبوية ، ومتابعة الثقاة وشيوخ الأمصار ، أعقبه تدوين ماهو مسموع ومروي في مؤلفات خصت علم الحديث ورجاله .

واقفني آخرون الأثر ، وتعددت غاياتهم واهتماماتهم ، فلم يقصروا الرحلة على طلب الحديث فقط ، وإنما سملوا بعملهم أخذ جميع العلوم النقلية ، والعقلية ، وباستثناء الصنف الأخير من العلوم ، ظل الرحالة يعتمدون صيغ تلقي العلم وحمله عن الشيوخ كما قررها الجهابذة من علماء الحديث^(٢٦) .

وعلى أية حال فقد كانت الرحلة في طلب العلم أمراً لازماً لا بد من استيفائه لمن رام المشيخة والعلو في السند ، حث عليها علماء الأمة ومشاهيرهم ، بل واستصغروا حال من يكتب في بلده ولا يرحل

الى غيره^(١٧) ، حتى قالوا : «لا يُستطاع العلم براحة الجسم»^(١٨) ويديهي ان تكون الرحلة بمعناها المعروف مسبوقة برحلة داخلية يتفرغ فيها طالب العلم لسباح شيوخ بلده والقراءة عليهم ، وحمل مؤلفاتهم ومروياتهم ، فإذا ما فرغ من تلقي ما في بلده رحل الى بلد آخر.

فوائد الرحلة العلمية :

وللرحلة العلمية فوائد وميزات كثيرة يمكن اجمالها بالآتي :

- ١- لقاء العلماء ، والسماع منهم ، والأخذ عنهم ، وحمل مؤلفاتهم ، ومروياتهم بطرق التحمل المختلفة ، مما يحقق للراجل فائدتين كبيرتين : أولاً ؛ علو السند ، والثانية ؛ اتصال العلوم رواية ، أو دراية من بلد الى آخر ، وما أشرنا اليه قد يتحقق ولو بدرجة ادنى عن طريق الاجازة العلمية مراسلة عند تعذر السفر لبعده الديار.
- ٢- الاطلاع على خزائن الكتب ، والافادة مما حوته من مصنفات في العلوم المختلفة .
- ٣- إن المشرق في نظر أهل المغرب والأندلس هو موطن العلم والعلماء ، ولذلك من الطبيعي ان تكون ثمة حركة رحلات علمية الى ديار المشرق .
- ٤- وفي الرحلة مزيد كمال ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها^(١٩) ، مما يحقق للراجل مكانة علمية ، ومعنوية لاتدانيها مكانة أخرى^(٢٠) .

الرحلة الى العراق :

قد لانبعد كثيراً عن الحقيقة إذا ما قلنا إن أهل المغرب والأندلس كانوا من أكثر الناس رحلة وتغريباً في طلب العلم والمعرفة ؛ حتى بدت الرحلة العلمية وكأنها سمة من سماتهم ، فما من عالم من علماءهم الا

وله رحلة خارج بلده قد تقتصر على بلد معين سعياً وراء شيخ ذي علم وصيت ، ومنهم من طوف البلدان ، وطوى عشرات السنين متقبلاً في المدن ، ومتابعاً أهل العلم والأدب ، وشمراً في الطلب ، وثنابراً على اللحاق بدرجات الشيوخ الحذاق ، دونما كلل او ملل ، وسيرة بعضهم تنبي عن مقدار العناء ، والمشقة التي تحملوها والمسالك التي سلكوها ، مما يدل على عظيم همة وارادة تفوق الوصف والإعجاب^(٢١) .

وكان للعراق ، وحاضرتة بغداد ، ومدنه البصرة ، والكوفة ، وواسط ، والأنبار ، وتكريت ، والموصل ، وسنجار وغيرها نصيب كبير من هؤلاء الراجلين ، فبغداد واحتضانها لعلوم الامة بأسرها دون منازع ، وما كانت تتمتع به من شهرة وسمعة علمية فاقت حواضر الدنيا شرقاً وغرباً ؛ وبقية المراكز العلمية ، وما عرف عن علمائها من تأصيلهم للعلوم العربية الاسلامية ، كل ذلك منح العراق نقلاً في الحضارة الانسانية ، وجعله امتحاناً لطلبة العلم ، واختياراً لملأ حملوه من فنون العلوم والآداب ، واجتيازه بعد تأهيلاً للمشيخة والتصدر . ويكني قول علماء المغرب والأندلس حجة وشاهداً لايناله مطعن ، فحيث ما ذكر العراق أو بغداد ، ذكر معها ؛ العلو والسمو ، فهي جنة المغربين ومطلب النباه ، بما يقترن كل جليل ، ويوزن بميزانها كل علم من العلوم ، فإذا أريد وصف مدينة من بلاد المغرب او الأندلس ، وتفضيلها على ماسواها من المدن ، قروا اسمها بالعراق أو ببغداد .

قال ابن حزم الأندلسي : «والعراق دار هجرة الفهم وذويه ، ومراد المعارف واربابها ... وبغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل أئوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء ، وحدة الافكار ، ونفاذ الخواطر»^(٢٢) .

وقال الحنجاري : «الاندلس ؛ عراق المغرب ، عزة انساب ، ورقة آداب ، واشتغلاً بفنون العلوم ، واقتنأنا في الثنور والمنظوم ، لم تضق لهم في ذلك ساحة ، ولا قصرت عنه راحة» (٢٣) .

ووصف ابن غالب أهل الأندلس بقوله : «بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ، ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكايتهم ، وحسن نظرهم ، وجوده قرائحهم ، ولطافة اذهانهم ، وحدة افكارهم ، ونفوذ خواطرهم» (٢٤) .

كما قال ابن سعيد في مراكش : «ويكني في الانصاف أن اقول إن حضره مراكش هي بغداد المغرب» (٢٥) .

وقال المراكشي عند ذكره مدينة فاس : «ومازلت اسمع المشايخ يدعونها ببغداد المغرب» (٢٦) . وكثيراً من علماء المغاربة والاندلسيين كانوا يتغنون بالعراق ، ويحمدون المقام به ايام رحلتهم وطلبهم للعلم ، ويفخرون بما حفظوه وحملوه من علوم العراقيين (٢٧) .

وإذا ماأرادوا ان يعظموا شأن عالم من علمائهم قرنوا اسمه بعالم من علماء العراق ، وتدبجوا به ، وإن مدحوا مؤلفاً من مؤلفاتهم وزنوه بميزان مؤلف مثله في العراق (٢٨) ؛ فلا عجب أن تكون بغداد ومدن العراق الاخرى بغية الراحلين ، ومحط الطلبة منهم ، ولا أرى ضرورة في أن ننشمر في التمثيل لهم ، مما حفلت به كتب التراجم الأندلسية والمغربية خاصة ، وكتب التراجم الشرقية عامة ، واحصى المقرئ نجبة طيبة ممن رحل الى العراق من أهل الاندلس في كتابه الموسوم : «نفع الطيب» (٢٩) .

والموصل التي احتفظت قبل تأسيس مدينة بغداد بمقومات المدينة الراحية للعلوم والآداب ، وامتلكت إراثاً حضارياً عميق الجذور متنوع الأغراض تعزز بظهور العلوم الاسلامية ؛ غدت واحدة من اهم مراكز الاستقطاب في العالم

الاسلامي ، ومحطاً لطلاب العلم والمعرفة ، وموطناً لعلماء من المدن والبلدان كافة ، وناهيك بفضل علمائها الذين رحلوا الى بلاد الشام ومصر والحجاز والمغرب والأندلس وغيرها من البلدان ، فمنهم من طال به المقام وطاب له فلم يغادر ، ومنهم من عاد الى الموصل بعد ان أفاد واستزاد ، وبلغت مكانة بعضهم من العلو والرفعة مافاق ويتجاوز رفعة علماء تلك البلاد ، وليس في قولنا مايبحث على الاستفهام او الابهام ، وحسبنا الاشارة الى افراد منهم والى بعض آثارهم ومآثرهم .

في بلاد الشام ؛ كان جمع من علماء الموصل قد تنقلوا بين دمشق وحلب وبيت المقدس وغزة ، وتصدروا للتدريس في المدارس المشهورة ، وتولوا القضاء والخطبة والحكم في بعض الأماكن ومنهم :

- عبدالله بن محمد بن هبة الله بن ابي عسرون شرف الدين ابو السعد الموصلي المتوفى بدمشق سنة ٥٨٥ هـ (٣٠) ولد سنة ٤٩٢ هـ بالموصل ودرس بها ، واخذ عن مشاهير علمائها ورحل الى واسط وبغداد ، وعاد بعلم كثير ، قال ابن الصلاح : «كان افقه اهل عصره ، واليه المنتهى في الفتاوي والأحكام وتفقه به خلق كثير» (٣١) وقال ابن خلكان : «كان من اعيان الفقهاء ، وفضلاء عصره ، ومن سار ذكره ، وانتشر أمره» (٣٢) . رحل الى حلب سنة ٥٤٥ هـ ، ودخل دمشق سنة ٥٤٩ هـ ثم تردد بين المدينتين متصدراً للتدريس فيها ، وكان مقدماً في دولة نورالدين صاحب الشام ، فبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبلبك ، وتولى القضاء في أماكن آخرها قضاء مدينة دمشق سنة ٥٧٣ هـ ، وظل على القضاء على الرغم من

اصابته بالعمى إكراماً له ، وابنه محمد يتوب عنه ، حتى وفاته . له مؤلفات متداولة لدى طلبة العلم منها : صفوة المذهب من نهاية المطلب ، والانتصار ، والمرشد ، والتيسير في الخلاف ، والذريعة في معرفة الشريعة ، وفوائد المذهب ، والتنبيه وغيرها .

ولأولاده واحفاده شهرة في بلاد الشام ، ومكانة كبيرة لدى العامة والخاصة ، وبقيتهم ذرية صالحة توارثوا العلم وأفادوا طلابه ومن بينهم : عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي عصرون المتوفى سنة ٦٤٣ هـ (٣٣) وعبد السلام بن المطهر بن عبدالله (٣٤) .

وولده : احمد بن عبدالسلام المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (٣٥)

ويعقوب بن عبدالرحمن بن عبدالله سيأتي ذكره فيمن عرف بمصر .

وعبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي الموصلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ (٣٦) احد الفقهاء المشهورين بدمشق ، تولى خطابه جامع دمشق ، وتدرّس الغزالية مدة طويلة ، وهو الذي تولى غسل صلاح الدين الأيوبي بعد وفاته .

ومحمد بن عروة شهاب الدين ، المنعوت بالشرف المتوفى بدمشق سنة ٦٢٠ هـ (٣٧)

احد مشايخ عصره في العلم ، واليه ينسب المشهد بغربي الجامع الأموي بدمشق بعد ان جده ، وأوقف عليه من يقوم بأمره ، وبنى قبة البركة ، ووقف وفقاً على درس الحديث فيه ، ووقف فيه خزائن كتب ، وكان مقيماً بالقدس ثم انتقل الى دمشق فوطئها حتى وفاته بها .

ويوسف بن رافع بن نجم الأسدي ابو المحاسن ابن شداد المتوفى بحلب سنة ٦٣٢ هـ (٣٨) ولد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ ، قرأ على علمائها وتخرج

بهم ، ولزم ابن سعدون الاندلسي نزيل الموصل مدة ثلاث عشرة سنة (٣٩) ، ورحل الى بغداد فأقام بها اربع سنوات ، ثم عاد الى الموصل ، فانتفع به أهل العلم وطلابه ؛ رحل الى الحجاز سنة ٥٨٣ هـ بقصد الحج ، ثم رحل الى القدس ودمشق ، ولقي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤ هـ وارتسم في خدمته ، فولاه قضاء العسكر ، والحكم في القدس ، وسافر في مهمات رسمية الى مصر وغيرها ، وتولى في عهد الظاهر سنة ٥٩١ هـ قضاء حلب ، فسار فيها احسن سيرة ، واعتنى بأوقافها وعمر فيها من ماله الخاص مدارس وربط للصوفية . قال ابن خلكان : « وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا نفر يسير فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة .. فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نورالدين محمود بن زنكي ... ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدها ، وهو الموضع المعد للإلقاء الدروس وذلك في سنة إحدى وستائة ، ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي ، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ، ولها بابان : باب الى المدرسة ، وباب الى دار الحديث ، وشبا كان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر ، ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدتها الفقهاء من البلاد ، وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها (٤٠) وكانت داره ملتقى كبار الدارسين من اهل المشرق والمغرب . اختص بتدريس الحديث وإسماعه ، وجلسه في العلم موصوف في كتاب ابن خلكان إذ كان أحد

رواده مجلب .

ألف في الاقضية كتاباً بسماء : ملجأ الاحكام
عند التباس الاحكام ، وفي الحديث كتاباً
سماء : دلائل الاحكام ، وله مؤلفات في
الفقه والجهاد والتاريخ ، وكتب سيرة صلاح
الدين الأيوبي .

- ويعيش بن علي بن يعيش الموصلي موفق
الدين النحوي المعروف بابن الصائغ المتوفى
بمجلب سنة ٦٤٣ هـ ،^(٤١) قرأ وسمع بمجلب
والموصل ودمشق ، وبرز في علوم العربية حتى
كان شيخ الجماعة في الأدب ، مع مشاركة في
علوم الحديث والفقه ، انتفع به أهل
الشام ، وأهل حلب خاصة «حتى إن
الرؤساء الذين كانوا مجلب ذلك الزمان كانوا
تلاميذه»^(٤٢) شرح المفصل للزمخشري ،
وشرح تصريف ابن جني .

- محمد بن أبي بكر بن سيف الموصلي المعروف
بالوثر شمس الدين المتوفى سنة ٦٦٢ هـ^(٤٣)
اديب شاعر ، خطب بجامع المزه بدمشق
مدة .

- وابراهيم بن عبدالرزاق بن أبي بكر الرسعني
الموصلي المتوفى بدمشق سنة ٦٩٥ هـ^(٤٤)
قال البرزالي في معجمه : «كتب عنه ، وقد
فاق ابناء جنسه معرفة وذكاء وكان نبياً
فاضلاً نبلاً متمكناً ورعاً حسن الاخلاق ،
وله منظوم ومثور ، وشرح القدوري ولم
يتمه» . ومولده سنة ٦٤٢ هـ بالموصل .

- وعبدالرحيم بن عمر بن عثمان الباجري جمال
الدين الموصلي المتوفى بدمشق سنة ٦٩٩ هـ^(٤٥)
هـ نبغ بالموصل ، ورحل الى دمشق سنة
٦٧٧ هـ ، وكان فقيهاً مبرزاً محققاً ، تصدر
بالجامع الأموي ، ودرب بالدرسة الفتحية ،
وتولى الحكم بغزة ، وتدرّس الصلاحية
بالقدس ، حدث بكتاب جامع الاصول ،

لابن الاثير عن والده عن المؤلف ، وله نظم
ونثر ، ونظم كتاب التعجيز ، لعبد الرحيم بن
محمد بن محمد الموصلي .

- ومحمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان
الموصلي المتوفى بطرابلس الشام سنة ٧٧٤ هـ^(٤٦)
من المشاركين في العلوم ، ألف بهجة
المجالس ، ولوامع الانوار في غريب الموطأ
وصحيح مسلم ، وشرح المناهج للنواوي .

- ومحمد بن عبدالله بن علي الشيباني تقي الدين
ابو بكر الموصلي المتوفى بالقدس سنة
٧٩٧ هـ^(٤٧) «بقية مشايخ علماء الصوفية ،
قدم من الموصل وهو شاب فاستوطن
القدس ، وعلا ذكره ، وصار يتردد اليه
نواب الشام ، ويمثلون أوامره ، جمع بين
علمي الشريعة والحقيقة ، ورزق العلم
والعمل»^(٤٨) له مصنفات في التصوف منها :
آداب التصوف ، وكتاب في شرح اسماء الله
الحسنى .

ومن عرف بالعلوم العقلية ، وبانت نجابته من
أهل الموصل ببلاد الشام ، أسرة آل السكري ؛
التي استوطنت حلب وتوارث فيها علم الطب
وعميدها : جابر بن منصور السكري ، قرأ على
احمد بن أبي الاشعث تزيل الموصل ، وأخذ عنه
كثيراً من علوم الطب ، ثم لازم محمد بن ثواب
تلميذ ابن الاشعث سنة ٣٦٠ هـ وقرأ عليه الكثير ،
وكان صاحب الترجمة يتردد بين الموصل وحلب
واكثر مقامه بالموصل . وابنه : ظافر ابو حكيم ،
استوطن حلب ، واشتغل بالطب ، واتفق العلوم
الحكيمة مع معرفة بالادب والشعر ، وله مقالة «في
إن الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض
مايتحلل منه» كان حياً سنة ٤٨٢ هـ .

وموهوب بن ظافر ابو الفضل ، مارس الطب ،
واختصر كتاب : المسائل لحنين بن اسحاق .
وجابر بن موهوب ؛ ورث الاشتغال بالطب

وعرف به. (٤٩)

وفي الديار المصرية :

كان من كبار العلماء ، برع في علم العربية ، ودخل مصر فقرأ الناس مدة طويلة ، وصنف كتباً منها : شرح الفية ابن عبدالمعطي (٦٠) . ثم عاد الى حلب وجلس للتدريس وبها توفي . ومولده سنة ٥٥٧ هـ .

- ويدقوب بن عبدالرحمن بن عبدالله حفيد ابن ابي عصرون التوفى بالحنة من مصر سنة ٦٦٥ هـ . (٦١) برز في علم الحديث ، وجلس للتدريس بالمدرسة القبطية بالقاهرة ، له مسائل جمعها على كتاب المذهب .

- وعلي بن عدلان عفيف الدين ابو الحسن الموصلي النحوي المترجم التوفى بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ (٦٢) . شهر بجمل المترجم والالغاز ، وبه لقب ، وله في ذلك براعة وذكاء فاق بها الاقران ، ووضع في هذا المعنى كتاباً سماه : «عقله المجتاز في حل الالغاز» .

- وفي علم الطب ومرض العيون :

- عمار بن علي الموصلي (٦٣) .

رحل الى مصر واقام بها ، وتخصص في طب العيون ومداوتها بالادوية والحديد ، وكانت له دربة ومعرفة بذلك ، وترك كتاباً بهذا المعنى افاد منه الكثيرون وقيل انه ألفه للحاكم بمصر .

وفي الحجاز :

- اسماعيل بن محمد بن عبدالله الموصلي ابو الطاهر التوفى في حدود سنة ٦٣٠ هـ (٦٤) كان من اعيان الصوفية المجاورين بمكة ، اسمع الحديث بها ، وبعض كتب التصوف ، وأخذ عنه الكثير من طلاب العلم وشيوخه .

- وجعفر بن احمد بن ابي الغنائم الموصلي التوفى سنة ٦٩٣ هـ (٦٥) سمع من شيوخ بغداد ، وجاور بمكة والمدينة ، وكان كما قال الفاسي : «صاحب نعم»

- علي بن الحسن بن الحسين الخلعي ابو الحسن التوفى بالقاهرة سنة ٤٩٢ هـ (٥٠) كان فقيهاً صالحاً ، ومحدثاً له روايات متسعة ، وكان اعلى أهل مصر اسناداً ، (٥١) بل هو مسند الديار المصرية بعد الحبال ، (٥٢) تولى القضاء بها يوماً واحداً ، واستعفى ورعاً وزهداً ، واختفى بالقرافة ، (٥٣) انتفع بعلمه جم غفير من أهل المشرق والمغرب ، ورووا عنه الأحاديث المعروفة بالخلعيات ، خرجها عنه ابو نصر احمد بن الحسن الشيرازي في عشرين جزءاً وله أيضاً : الفوائد في الحديث ، والمغني في الفقه . (٥٤)

ووالده ؛ الحسن : كان فقيهاً بمصر ، وبها توفي سنة ٤٤٨ هـ (٥٥) .

- وداد بن محمد بن الحسين الاصيلي الموصلي ، التوفى سنة ٥٧٣ هـ (٥٦) له رحلة واسعة في سبيل طلب العلوم وحمله ، وكان محدثاً مشاركاً في علوم أخرى ، تولى القضاء بدمشق ، والقضاء بمصر ، وعاد الى الموصل وبها توفي .

- ومحمد بن علي بن محمد ابو البركات الموصلي التوفى بأسبوط سنة ٦٠٠ هـ (٥٧) . من شيوخ الحديث والادب والاختبار ، وله نور الدين حماه ، فكث فيها ثمان سنين ثم رحل الى مصر ، فتولى قضاء اسبوط ، وظل عشرين سنة حتى وفاته بها . ومولده سنة ٥٣٠ هـ . له من المؤلفات ، عيون الاختبار وغرر الحكايات والاشعار (٥٨) ، واربعمون حديثاً بلدانية .

- ومحمد بن ابي بكر بن علي الموصلي المعروف بابن الخباز التوفى بحلب سنة ٦٣١ هـ (٥٩) .

- وإبراهيم بن محمد بن حسين برهان الدين الموصلي المالكي المتوفى بمكة سنة ٨٥١ هـ (٦٦) نزل مكة واستوطنها، وكان رجلاً كثير العبادة، تميز بجودة الخط وجماله، قرأ على الشيخ خليل الجندي المالكي (٦٧)، وكتب بخطه كتب شيخه المذكور ومنها: شرح مختصر ابن الحاجب القرعي. ومختصره في الفقه، والكتاب الثاني يعد من أشهر كتب المالكية في الفقه، دخل المغرب وعكف الفقهاء على دراسته وحفظه (٦٨)، وكتب صاحب الترجمة كتباً أخرى بخطه وأوقفها لأهل العلم، وكان قبل وروده مكة أحد العدول بظاهر القاهرة خارج باب زويلة.

وفي الأندلس:

- صاعد بن الحسن بن عيسى الرعي الموصلي البغدادي اللغوي يكنى أبا العلاء، المتوفى سنة ٤١٧ هـ بمجزرة صقلية (٦٩) دخل الأندلس في أيام المنصور بن أبي عامر في حدود سنة ٣٨٠ هـ وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، قدمه المنصور على أهل عصره، (٧٠) وقيل إنه أراد أن يعي به آثار أبي علي القالي البغدادي الوافد في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)، قال ابن حيان: «وجمع أبو العلاء للمنصور... كتاباً سماه: الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار... وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار... وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة ٣٨٥ هـ، واحتشد له من جماعة أهل الآداب ووجوه الناس أمة (٧١) وقرأ عليه ابن حيان منفرداً في داره سنة ٣٩٩ هـ. وعن طريقه حمل وروى الكتاب (٧٢)

ونال أبو العلاء الكثير من حساده ومنافسيه، وعملوا على الإيقاع به واتهموه زوراً بانتحال الشعر، وتلفيق الأخبار، وكان الزبيدي صاحب كتاب: طبقات النحويين واللغويين وابن العريف (٧٣)، من أشد الناس حسداً له، ولكن صاعداً كان يتصر لنفسه بعلمه وسرعة بديته، حتى أفحم جميع حساده؛ خرج من قرطبة إبان الفتنة، ولحق بدانية، ونال عند مجاهد العامري مكانة وحظوة، وله مع أدباء دانية وشعرائها أخباراً طريفة ومجالس دلت على براعته، وطول نفسه، واختياره للاجوبة المسكتة والمفحمة حيث ما قصد إحراجهم، وعلى الجملة فاخبره كثيرة مسطورة في كتب التاريخ والتراجم. (٧٤)

- وإبراهيم بن بكر الموصلي (٧٥)

رحل إلى الأندلس، ودخل أشبيلية، وحدث بها عن أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدی الموصلي بكتابه في الضعفاء والمتروكين، وحمله عنه اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي (٧٦)، وحدث به ابن عبد البر عن القرشي عن ابن بكر.

وفي المغرب:

- أبو زكريا المرجاني الموصلي نزيل مدينة بجاية من أهل القرن السابع (٧٧). أحد الشيوخ الفقهاء، والزهادين العابدين، قال الغبريني: «كان مسجده الذي يجتمع فيه إليه، المسجد المشهور الآن به بمجمة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني، وكان يجتمع إليه الأفاضل والصلحاء والمتعبدون، وكانوا يسمعون منه غرائب، ويطلعون من أحواله على عجائب، وكل ذلك مقيد بالكتاب والسنة على سنة السلف السلف الصالح رضي الله عنهم، واتصل حال

المنفعة به الى أن اراد الله سفره ، فرجع الى بلده .

- وتوفي الدين الموصلي^(٧٨)

نزل مدينة بجاية ، واحسبه انه ابو الحسن السائح المتوفى بجلب سنة ٦١١ هـ والاتي ذكره .

وفي تبريز

- الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي عز الدين ابو الفضل المتوفى بها سنة ٧١٠ هـ ،^(٧٩) كان عالي الهمة جميل الاخلاق ، يتعاطي صناعة النقش وخباطة الزركش ، وله علاقة قوية بحكام تبريز ، محباً للفقراء والغرباء ، وله زاوية يقصده بها الاكابر والملوك والسلاطين والفقراء والعارفون ، له اشعار كثيرة . قال ابن القوطي : « كتبت عنه واقت عنده » رموه سنة ٦٤٢ هـ .

ومن علماء الموصل الموسوعيين الذين لم تستوعبهم مدينة ، او بلد من البلدان ، ولا وقف في حدود علم من العلوم ، بل استوعب علوم الامة ، رواية ام دراية ، فضلاً عما تقتضيه بعض العلوم من معرفة ببعض الصنائع :

- عبد اللطيف بن يوسف بن محمد يعرف بابن اللباد ، موفق الدين الموصلي الاصل البغدادي المولد ، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ^(٨٠) :

من أسرة علمية مارست العلوم ، واشتغلت بها ، فوالده يوسف كان مهتماً بعلم الحديث ، بارعاً في علوم القرآن والقراءات ، مجيداً في المذهب والخلاف والاصلين^(٨١) . وعاه ابو الفضل ، سليمان : سمع من علماء بغداد ، وحدث ، وتوفي سنة ٦١٢ هـ^(٨٢) ؛ وابو الحسن علي : سمع من اخيه السابق

وغيره ، وتوفي سنة ٦١٤ هـ^(٨٣)

وصاحب الترجمة طاف في البلاد ، ودخل معظم مدن العالم الاسلامي في المشرق ، قرأ وسمع على علماء في علوم مختلفة ، وأفاد كثيراً من تطوافه ، حتى أصبح وحيد عصره علماً وأدباً ، ومؤلفاته الكثيرة تدل بما لا يقبل الشك على مكانته بين العلماء ؛ لكن فيه غروراً جره الى الخط والانتقاص من علماء زمانه وفضلاته ، وكثيراً من المتقدمين^(٨٤) وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء العجم ، ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ، وزيف ما يعتقدوه وما دونه في مؤلفاته .^(٨٥)

ولا أحسب أن الرجل كان في موقف المتحني على ابن سينا ، أو أراد الخط منه دوناً وجه حق في العلم يقال وبذكر ، فقد وجد قبل عبد اللطيف ابن اللباد من استصغر شأن ابن سينا ومؤلفاته ، ورد على مقالاته ولدينا مثلاً مختاراً من الأندلس والمغرب ، وليست من غيرها موافقة لعنوان هذا البحث ، ومشاطرة لابن اللباد . فلأني العلاء زهر بن عبد الملك ابن محمد الاشيلي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ ، وهو من علماء الاندلس المتقدمين في علم الطب وغيره ،^(٨٦) موقف لا يختلف عن موقف ابن اللباد ؛ فقد روى أن تاجراً أدخل من العراق كتاب القانون لابن سينا ، وبالح التاجر في تحسين النسخة ، فأتخف بها ابا العلاء تقريباً اليه ، ولم يكن الكتاب قد وقع اليه قبل ذلك ، فلما تأمله « ذمه وطرحه ، ولم يدخله خزانه كتبه ، وجعل يقطع من طره مايكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى » ورد في مقالة له على ابن سينا في مواضع من كتابه الادوية المفردة .^(٨٧)

رحلة السائح المذكور. (٩٥)

وأما من دخل الموصل من بلدان العالم الاسلامي، وسمع من علمائها، ودرس في مدارسها، او جلس للتدريس فيها لاسماع العلوم. فهذا مبحث لا يدرك غوره ولا يستوفى حقه في مثل هذه العجالة حتى وإن اقتصرنا بالسرد المجرد لاعلامهم فبلاد الشام وعلاقتها بالموصل وثيقة، وكأنها ساحة علمية وفكرية واحدة ومدن المشرق الاسلامي الاخرى اخذت بنصيب وافر من علماء العراق ومن بينها مدينة الموصل، واهل الديار المصرية كانت لهم علاقات وثيقة مع علماء الموصل منذ وقت مبكر (٩٦)، والاكثر من ذلك كله أن رسل امراء وملوك الافرنج كانت تصل الموصل للحصول على جواب في اي باب من ابواب العلوم قد اشكل على عرافهم واهل العلم منهم. (٩٧)

الرحلة العلمية الى الموصل:

لاخلاف أن الداخلين من أهل المغرب والاندلس الى الموصل لم يبلغوا مبلغ من دخل مدينة بغداد، او البصرة، او الكوفة في القرون الاربعة الاولى من الهجرة، ولكنها ربما كانت الثانية المرتبة بعد بغداد في القرنين السادس والسابع الهجريين. وعلى الرغم من أن دخول مدينة بغداد قد يغني الكثيرين من الراحلين عن قصد غيرها من مدن العراق، إلا ما كان في طريقه، ظلت شهرة بعض علماء الامصار بمثابة عنصر الجذب والاستقطاب مما لا يمكن الراحل الاستعاضة عنه، أو فوته، ومن ثم فإن الاكثار من لقاء الشيوخ والسماع عليهم يعد حجة للراحلين، وعلى اساسها تقوم مروياتهم ورحلاتهم العلمية.

ومهما يكن من أمر فقد استقبلت الموصل نخبة طيبة من اهل المغرب والاندلس ممن له عناية

وكان ابو الحسن علي بن احمد بن الحسن الحرالي نزيل بجاية المتوفي سنة ٦٣٨ هـ يُدرس كتاب النجاة لابن سينا فينقض عراه نقضاً، وذلك بعد ان يوضح منه ما يليق ويقرره بأحسن طريق «ثم ينقضه ويوهنه» (٨٨).

تصدر ابن البباد في اكثر من مدينة مشهورة، وتخرج علي يديه الكثير من الطلبة، ودخل بلاد الروم فكث بها مُدبِّدَةً، ثم عاد للتدريس والاشتغال بالعلوم (٨٩). خلف من المؤلفات الكثيرة في علوم العربية، والحديث، والاصول والمنطق، والعقائد، والطب، والتاريخ، والجغرافية، ومقالات ورسائل في مواضيع شتى، احصاها ابن الهيثمي اصبيعية وغيره من ترجم له (٩٠).

- اما ابو الحسن، علي بن الهيثمي بكر الموصل الزاهد السائح المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ (٩١) فله مسلك تفرد به واشتهر، فقد جاب بلدان مختلفة، ودخل مدناً كثيرة، وخلف وراءه في كل مدينة نزلاً او مكان وصله، أثراً من آثاره، كلمات بخطه، او علامة تدل على نزوله المكان، وقلما يخلو موضع معروف من مدينة او غيرها إلا وفيها خطه «حتى ذكر بعض رؤساء الغزاة البحرية إنهم دخلوا في البحر المالح الى موضع وجدوا في بزه حافظاً عليه خطه». (٩٢)

ولخص ابو الحسن رحلته الطويلة وتجواله في البلاد في مؤلف سماه: «الاشارات الى معرفة الزيارات» (٩٣)، وترجم له الغبريني تحت اسم: تقي الدين الموصل، وقال: «وصل الى بجاية في مدة الشيخ الموصل، وقال: «وصل الى الحرالي» (٩٤) ... وكان الشيخ يقول عنه: انه من اساطين الحكمة، وانه كقس بن ساعدة الايادي، وزيد بن عمر بن نفيل، هداه الله الى الحق بموجده نفسه من غير اكتساب». ثم ذكر البلاد التي دخلها، وهي ما يوافق

بالعلم، ومن مشاهيرهم في العلوم الثقيلة والعقلية، ارتشفوا من علومها، ونهلوا من مناهل علمائها ومدارسها.

وما سنستقبل في هذا البحث. مفروض عليّ منهجه ومسلكه، وسياقه مقرر بحجم وسعة مآتهى لي من نصوص وأخبار كونت فقراته وتعليقاته، واكملت بعض نواقصه، فانقدت اليه، فما وجدت مناصاً من اتباعه، فالعلوم فيه متفرعة الى فروع ثلاثة.

١- العلوم الثقيلة، او علوم الرواية.

٢- علوم العربية وآدابها.

٣- العلوم العقلية، او علوم الدراية.

وتمة لهذا البحث واستيفاءً له عرضنا لمن لقي علماء الموصلي في غيرها من مدن العالم الاسلامي الأخرى. واستوعبنا قدر الامكان ماحمله ورواه المغاربة والاندلسيون من المؤلفات والمرويات بطرق واسانيد الرواة والعلماء الموصليين.

١- العلوم الثقيلة :

لاشك أن الساحة الفكرية للأمة كانت تمتد من المحيط في الغرب الى اقصى بلد في الشرق وصل الاسلام اليه، وكانت له فيه دولة قائمة، ساحة واحدة لاتتجزأ قوامها اللغة العربية، وحاجتها علماء وطلبة يحلون حيث يجدون بغيتهم دون عقبة تقف في طريقهم، او حواجز تمنع تنقلاتهم، وهم حملة هذا الفكر ومهم يتصل وينتشر في الافاق، ومادامت الحال على هذا النحو فبن الطيعي ان تكون أصول الأمة في العلوم واحدة، مع خصوصية بلدانية مضافة تغني وترسخ، وخصوصية مذهبية تتطلب قراءة ودراسة كتب بعينها قراءة ودراسة تحقيق ونظر، ذلك أن التخصص في المذهب مطلوب من دون اهمال بقية المؤلفات الفقهية للمذاهب الاخرى، اللهم إلا من فقد نعمة التسامح. فجعل التعصب مذهبه، فالمصادر التي

تمتج منها هذه المذاهب واحدة وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وماصح عن الصحابة والتابعين، وما ألف بعد من مؤلفات في هذا المذهب او ذاك، وما وجد من قول زائد هنا، او ناقص هناك، فلأن ذلك مرتبط بالبيئة الاجتماعية أولاً، ويسن التطور ثانياً وفي كلتا الحالتين لانبغي القفز من فوق حدود لائقها الأصول المتفق عليها.

فطالب العلم غالباً ما يستوعب كتب المذهب أصولاً وفروعاً في مرحلة الطلب الأولى، ويتفقه بها على شيوخ وعلماء بلده، او غيرهم من المهتمين بتدريسها وتحقيقها. فأهل المغرب والاندلس كانوا على مذهب الامام بن انس المتوفى سنة ١٧٩ هـ، او هكذا كان معظمهم، فاختصوا به، ولم يقلدوا غيره، ولا خرجوا عن نصوصه، ويعمل ابن خلدون ذلك بقوله: «... لأن رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيوخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع اليه اهل المغرب والاندلس قلده دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته، وأيضاً فالبدوة كانت غالبية على اهل المغرب والاندلس، ولم يكونوا يعانون الحاضرة التي لأهل العراق، فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البدوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ولم يأخذ تنقيح الحاضرة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب.»^(٩٨)

ولقي كثير من علماء المغرب والاندلس الامام مالكا، وأخذوا عنه، ومن أمثلة هؤلاء الاعلام المغاربة: علي بن زياد العيسى التونسي المتوفى سنة ١٨٣ هـ، وهو اهل من ادخل الموطن بلاد المغرب، وفسر لهم قول مالك^(٩٩)، وعبدالرحيم بن أشرس الانصاري التونسي المتوفى سنة ١٧٦ هـ، وعبدالله ابن عمر غانم التونسي سنة ١٩٠ هـ، وأسد بن القرات المتوفى سنة ٢١٣ هـ^(١٠٠)، وأمثال

والكثير منهم يستظهرها^(١٠٠)، وكان نتيجة هذا الاهتمام عدة مؤلفات خاصة بالمدونة وتهذيبها اشتهر منها :

- مختصر ابن أبي زيد القيرواني ، عبدالله بن عبدالرحمن المتوفى سنة ٣٨٦ هـ .
- والتهذيب ، للبراذعي ، خلف بن أبي القاسم الأزدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
- والتبصرة ، للخمسي ، علي بن محمد الربيعي المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .
- ومن كتب المالكية الأخرى .
- كتاب النوادر ، وكتاب الرسالة وكلاهما لابن أبي زيد القيرواني
- مختصر الطليطلي .
- والخصال في الفقه ، لابن أبي زرب ، محمد ابن يتيق المتوفى سنة ٣٨١ هـ .
- والاشراف ، لابن عبدالبر .
- والمقدمات ، لابن رشد ، محمد بن احمد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ .
- ومؤلفات الباجي سليمان بن خلف المتوفى سنة ٤٧٤ هـ .
- واشتهرت اصول مشرقية وعدت من امهات كتب المذهب منها :
- المختصر ، لابن عبدالحكم ، عبدالله بن عبدالحكم المصري المتوفى سنة ٢١٤ هـ .
- والتفريع في مسائل الفقه ، للجلاب عبيدالله بن الحسين المتوفى سنة ٣٧٨ هـ .
- والتلقين لعبد الوهاب البغدادى المتوفى سنة ٤٢٢ هـ .
- ومختصر ابن الحاجب الفرعي والاصلي .
- ومختصر الشيخ خليل الجندي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .
- واشتهر من المختصرات في القرن الثامن الهجري .
- مختصر ابن عرفة التونسي المتوفى سنة ٨٠٣ هـ^(١٠٥)

الاندلسيين : الغازي بن قيس المتوفى سنة ١٩٩ هـ وهو اول من ادخل الموطن بلاد الاندلس^(١٠١) ، وزيد بن عبدالرحمن شبطون المتوفى سنة ١٩٩ هـ ويحيى بن مضر المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، ويحيى بن يحيى الليثي المتوفى سنة ٢٣٤ هـ^(١٠٢) وعن طريق هؤلاء الاعلام وتلامذتهم ساد مذهب الامام مالك بلاد المغرب والاندلس واعتمدوه ، ولم يخرجوا عن مؤلفاته ، أما آفة المالكية فيما بعد ، حتى توارثت على مر القرون مؤلفات هي في الواقع سلسلة في توضيح وتقريب مذهب الامام مالك . لطلاب هذا المذهب ، ومن هذه المؤلفات .

- الواضحة ، لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة ٢٣٨ هـ .
- العتبية ، لتلميذ ابن حبيب ، محمد بن احمد بن عتبة المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .
- الاسدية ، لأسد بن الفرات المتوفى سنة ٢١٣ هـ . وحلت محلها :
- المدونة والمختلطة منها ، تهذيب سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والمدونة في الأصل ، لابن القاسم المصري المتوفى سنة ١٩١ هـ وكان سحنون قد قرأ على اسد بن الفرات ، واخذ عنه كتابه «الاسدية» التي كانت محط اهتمام القوم ودراستهم ، ثم رحل سحنون الى بلاد المشرق ، فلقى ابن القاسم وأخذ عنه وعرض عليه بعض مسائل الاسدية ، فرجع عن كثير منها ، دونها سحنون وأثبتها في كتابه المذكور ، وكتب ابن القاسم الى اسد بن الفرات أن يأخذ بكتاب سحنون ويترك مادونه ، فترك الناس الاسدية ، واعتمدوا تهذيب سحنون ومسائله^(١٠٣) .

وتعد المدونة تهذيب سحنون والمختلطة من أجل تأليف المالكية ، ولايكاد درس إلا وله نصيب وافر منها ، وكانت مجالس العلم حافلة بتدريسها بل

وبل اعتماد المتأخرين من اهل المغرب انما كان على الكتب الثلاثة الاخيرة ، دون الاصول الاول التي عرضناها ، وهي سمة من سمات ذهاب العلم واهله .^(١٠٦)

وأما اهل الموصل ، فهم شوافع ، وحناف ، وحنابلة ، وأقلهم المالكية ، ولهم اصول تفقه عليها القوم كل حسب مذهبه ، ومؤلفات لعلمائهم وضحت وشرحت وذيلت لما يحتاج الى التوضيح او الشرح او التذييل والتكميل^(١٠٧) ، ومن ثم فهي مقرراتهم ، وعليها يقوم علم الفقه في كل مذهب من المذاهب المذكورة ، ومن مشهور ما كان يدرسه الشوافع بالموصل :

مؤلفات الامام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، كالأم ، والرسالة ، والسنن ، والمسند . ومؤلفات تلميذه المازني ابي عبدالله اسماعيل بن يحيى المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، ومنها : الجامع الكبير ، والجامع الصغير والمختصر والوثائق ، ومختصر المازني ، هو اصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي ، وعلى مثاله رتبوا ، وكلامه فسروا وشرحوا^(١٠٨) .

ومؤلفات ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، التنبيه ، والمهذب واللمع ، وشرحها في اصول الفقه ، والنكت في الخلاف ، والمعونة في الجدل^(١٠٩) . ويعد كتابيه ؛ التنبيه ، والمهذب من اشهر مؤلفاته ، وعليها كان المدار في الطلب والتأليف^(١١٠) .

وأما الأحناف ، ففضلاً عن مصنفات الامام ابي حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ فهناك مؤلفات تلاميذه من بعده الذين نشروا علمه ومذهبه في الامصار المختلفة كالشيباني ، محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ مؤلف كتاب المبسوط في القروع ، لقي القبول والاعتناء من علماءهم ، وتعرض الى شرحه محمد بن احمد السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ وهو من اشهر الشروح الموسوعة على هذا الكتاب^(١١١) . وكتاب ابي القاسم اسحاق بن

محمد بن الحكم الماتريدي المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ، الموسوم : «كتاب السواد الأعظم عن مذهب الامام الأعظم ابي حنيفة»^(١١٢) .

ولعل اشهر المؤلفات تداولاً في الموصل ، ومؤلفات القدوري ، ابي الحسين احمد بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

قال الخطيب البغدادى : «انتهت اليه بالعراق رئاسة اصحاب ابي حنيفة ، وعظم عندهم قدره^(١١٣) » واشهر مؤلفاته كتاب المختصر^(١١٤) .

وأما الحنابلة ، فما خلفه الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، والخلال البغدادى ، ابوبكر احمد بن محمد بن هارون المتوفى سنة ٣١١ هـ قال بعض شيوخ الحنابلة : «كلنا تبع لأبي بكر الخلال ، لم يسبقه الى جمع علم الامام احمد احدث قبله»^(١١٥) ، وقال البغدادى : جمع علوم احمد ابن حنبل وتطلبها وسافر لأجلها وكتبها وصنفها كتباً ، ولم يكن في من يتنحل مذهب احمد احد اجمع لذلك منه . صنف كتاب السنة ، وكتاب العلل ، وكتاب الجامع وغيرها^(١١٦) .

ومؤلفات ابي القاسم الخرقى ، عمرو بن حسين البغدادى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ واعلاها مكانة مختصرة في الفقه^(١١٧) .

وفضلاً عن هذه المؤلفات وغيرها كثير ، كان لمؤلفات الامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ حظوة ودولة في مدارس الموصل واهتمام واضح لدى جل علمائهم ، كما كانت في بقية بلدان العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ، واشهرها كتاب احياء علوم الدين ، والمستصفي في اصول الفقه ، والخلاصة في الفقه ، والوسيط ، والبسيط ، والوجيز^(١١٨) .

والعرض السابق على وجازته ، يوحى بما تعلق به الطلبة في علوم الفقه وما كان يتبعه علماء الموصل من اصول في كل مذهب من المذاهب ، وعليها أيضاً كانت مؤلفاتهم شرحاً واختصاراً ، مع تميزهم بمؤلفات غاية في الابداع .

٣٤٢ هـ ، الموسوم : «كتاب السواد الأعظم على مذهب الامام الأعظم ابي حنيفة» (١٣٠) ولا يستبعد إفادة ابي الوليد الباجي من شيوخه الحنفية ومنهم السمناني في شرح واتمام هذا الكتاب ، والمؤلفات التي ألفها في الاصول والكلام ؛ كالتمهيد الى معرفة طرق التوحيد ، واحكام الفصول ، وكتاب الاشارة ، وكتاب الحدود .

واما ابو عبدالله الزناني المهدي ، فهو من اعيان مدينة المهديّة وبها ولد ، رحل الى المشرق ، فدخل دمشق ، ثم انتقل الى الموصل ، فانتحل مذهب ابي حنيفة وتفقه عليه ، واشتغل به حتى صار اماماً فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف في بلاد المغرب إلا بالحنفي ؛ قال التجاني : « ولم يكن في هذه العصور كلها ببلاد افريقية حنفي غيره ، حدث عنه ابو يحيى بن عبدالكريم العوفي ، وابو عبدالله محمد ابن ابي القاسم الازدي ، وسمع التجاني بعض اشعاره من ابي عبدالله هذا (١٣١) .

وأما عبدالله بن احمد بن عبدالله بن محمد الأنصاري الداني ، المولود بديانة سنة ٥٩١ هـ فقد ذكره ابن الشعار ، وقال : « شاهده بمدينة الموصل شاباً تفقه على مذهب الشافعي بالمدرسة البدرية ، وله نظم ونثر ويحفظ من اشعار الأندلسيين والرسائل والموشحات ... » (١٣٢) .

علوم الحديث :

وغالب من دخل الموصل كان يسعى الى علوم الحديث ، وعلوم القرآن من قراءات وتفسير ، وإلى بقية العلوم العقلية الاخرى ، ولم تتمكن المصادر من تقديم عرض دقيق عن إفادة الراحلين ، وما حملوه من مؤلفات أو مرويات أو حتى عرض بعض اسماء من لقيهم الراحل إلا فيما قل ونذر ، وعلى الرغم من القصور البين في هذا الجانب ، تبقى اصول الامة شرقاً وغرباً في هذه العلوم واحدة مع خصوصية بلدانية لا تغير من الأمر شيئاً كما قلنا في بداية

من هنا نستطيع القول إن علم الفقه لم يكن من العلوم المبرزة في اهتمامات الداخلين من أهل المغرب والأندلس ، ولا غرابة في ذلك ، لأن معظمهم قد استوعب أصولاً تفقه عليها ، فضلاً عن خلو مدينة الموصل من علماء المالكية يركن اليهم ، بخلاف مدينة بغداد التي انجبت منهم الكثير على مدى القرون ، ومنهم كان يستقي الراحلون مابطلون ويبنون في علم الفقه (١١٩) ، وما وجدت من الداخلين الى الموصل من كان همه طلب الفقه المالكي ، او التفقه على المذاهب الأخرى إلا ابا الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ (١٢٠) ، وابا عبدالله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناني المهدي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ (١٢١) وعبدالله بن احمد بن عبدالله الانصاري الداني من اهل القرن (١٢٢) السابع الهجري .

أما الباجي ، فهو عالم الاندلس ، وامام من أئمة المسلمين بإجماع اهل العلم رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ هـ ، فأقام بمكة ثلاث سنوات ، لازم بها ابا ذر المتوفى سنة ٤٣٤ هـ في علوم الحديث ، ورحل الى بغداد فأقام بها ثلاث سنين يطلب الفقه والحديث على مشاهير علماء المالكية والشافعية والحنفية وغيرهم (١٢٣) ، ودخل الموصل فأقام بها سنة يدرس على ابي جعفر السمناني الحنفي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ (١٢٤) ، الفقه (١٢٥) والاصول (١٢٦) وعلم الكلام (١٢٧) والعقليات (١٢٨) ، فجاز علماً كثيراً فبرع في الحديث وعلمه ورجاله ، وفي الفقه وغوامضه وخلافه ، وفي الكلام ومضابقيه ، وكل ذلك « على طريق النظار من البغداديين وحذاق القرويين ، والقيام بالمعنى والتأويل » (١٢٩) ومؤلفاته كثيرة معروفة ، منها في الفقه والحديث والاصول والكلام وغير ذلك من ابواب العلم ، وذكر له بروكلمان شرحاً وضعه على كتاب ابي القاسم اسحاق ابن محمد بن الحكيم الماتريدي المتوفى سنة

المبحث .

روي عن الامام مالك ، والثوري وغيرهما .

- واحمد بن ابراهيم بن خالد ابو علي المتوفى
سنة ٢٣٥ هـ (١٣٦)

سكن بغداد ، وكتب عنه احمد بن حنبل ،
ويحيى بن معين ، وكان رجلاً ثقة .

- وحافظ الموصل ، محمد بن عبدالله بن عمار
المتوفى سنة ٢٤٢ هـ (١٣٧) .

- وعلي بن حرب الطائي المتوفى سنة
٢٦٥ هـ (١٣٨) ، خلف اجزاءً في الحديث
رويت عنه . ووالده حرب بن محمد المتوفى
سنة ٢٢٦ هـ كان رجلاً نبيلاً من اهل العلم
والمعرفة ، مقدماً في دولة الخليفة
المأمون (١٣٩) .

- ومسند الموصل ، ابو الوليد ، طريف بن
عبدالله المتوفى سنة ٣٠٤ هـ (١٤٠) .

- وابو يعلى ، احمد بن علي بن المثنى الشيباني
المتوفى سنة ٣٠٧ هـ (١٤١)

امام الجزيرة ، وشيخ مشايخ الموصل ، له
المسند في الحديث ، قرأ وسمع وحمل عنه
وعن تلامذته من بعده . وفضل على مسانيد
في العلم مشهورة ؛ قال السمعاني : سمعت
اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول :
« قرأت المسانيد كمسند العدني ، وابن منيع
وهي كالأنهار ، ومسند ابني يعلى كالبهر
يكون مجتمع الأنهار » (١٤٢) . وقال الحاكم ؛
كنت ارى ابا علي الحافظ (١٤٣) معجباً بأبي
يعلى واقفانه وحفظه لحديثه حتى كان لا يخفى
عليه منه الا اليسير ، وفضله أبو عمرو
الحيري (١٤٤) على الحسن بن سفيان (١٤٥)

فقبل له : كيف تفضله ومسند الحسن اكبر
وشيوخه اعلى فقال : « ابو يعلى يحدث
احتساباً والحسن يحدث اكتساباً » (١٤٦) .

- وابوزكرياء الازدي ، يزيد بن محمد بن أبياس
المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، قاضي الموصل

ففي علم الحديث ، كان المدار والاهتمام في
القراءة والسماع والحمل قائماً على ؛ صحيح الامام
البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وصحيح الامام
مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ وبعد صحيحي البخاري
ومسلم اللذين اجمع اهل الملة دون نكير على انها
اعلى كتب الحديث مكانة ، وأوقاها حفظاً من
الصحة والوثوق ؛ نشأت أيضاً في القرن الثالث
للهجرة أربعة من الكتب لم تبلغ مبلغ الصحيحين
في دقة اصطفاء الأحاديث وسير روايتها ، ولم ينفك
مصنفوها شروط الرواة تنقيف البخاري ومسلم
ولكنها احرزت على الرغم من ذلك صفة الصحة ،
ونالت مكانة من القبول والاستحسان ، جعلتها
تقارب الصحيحين ، فضمت اليها ، وسميت
جميعها : كتب الصحاح الستة ، وهي سنن ابن
ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وسنن ابي داود ، ابن
الاشعث الازدي المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، وجامع
الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وسنن النسائي المتوفى
سنة ٣٠٣ هـ ولا يخفى بعد ، مالمسانيد الأئمة
اصحاب المذاهب الفقهية وآثارهم في علوم
الحديث من مكانة ومنزلة مرموقتين (١٣٣) .

والحقيقة أن مدينة الموصل قد امتلكت إرثاً في
علم الحديث لم يبلغه المغرب ولا الأندلس إلا في
عصور متأخرة ، فقد نزل الموصل ومنذ وقت مبكر
مشاهير الصحابة والتابعين الذين نشروا بذور العلوم
الاسلامية فيها ؛ وخلف من بعدهم خلف أرسوا
قواعد هذه العلوم ودونوها وفي ظليعتهم :

- المعافى بن عمران الازدي المتوفى سنة
١٨٤ هـ (١٣٤) او في التي بعدها .

روى عن شعبة ، والاوزاعي ، ومالك ،
والثوري ، وغيرهم من الكبار ، وله في السنن
والزهد والارث مؤلفات مروية .

- والقاسم بن يزيد الجرمي الموصل المتوفى سنة
١٩٣ هـ (١٣٥) .

وصاحب تاريخها (١٤٧) .

- وابو الفتح ، محمد بن الحسين بن احمد بن بريدة المتوفى سنة ٣٧٤ هـ (١٤٨) .

له مصنف كبير في الضعفاء ، وكان قوي النفس في الجرح .

- وخاتمة المحدثين بها ، مجد الدين ، ابن الأثير ، المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٤٩)

وكتابه : جامع الاصول من احاديث الرسول ، من الكتب التي لا يستغنى عن حملها .

والديار العراقية ، ومنها الموصل اكثر انفتاحاً واستيعاباً لعلوم الحديث وغيره من البلاد المغربية والاندرلسية ، فأهل الاندلس مثلاً اعتمدوا لمدد طويلة في علم الحديث على ماتوافر في بلدهم من مؤلفات الامام مالك وما حمله تلامذته عنه دون غيرهم . وعندما رحل يقي بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ (١٠٠) ودخل العراق وغيره ، حمل الكثير من مؤلفات علوم الحديث والخلاف وأدخلها الاندلس ، وتفرّد بادخال مؤلفات لم تكن معروفة بالاندلس ، كمؤلفات احمد بن حنبل ، ومصنف ابى بكر بن ابى شيبة ، وكتاب الفقه وكتاب الرسالة للامام الشافعي ، وكتاب سيرة عمر ابن عبدالعزيز ، للدروقي ، وتاريخ خليفة بن خياط وطبقاته (١٥١) . فواجه معارضة شديدة من فقهاء

الاندلس ، ونكيرا لامثيل له حتى إن احد علماء الاندلس ومن دارت عليه الفتيا فيها مدة خمسين سنة وهو : اصبح بن خليل ابو القاسم القرطبي المتوفى سنة ٢٧٣ هـ كان يقول : « لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن ابى شيبة » وكان المذكور معادياً للآثار ، شديد التعصب للرأي ، منافراً لبني بن مخلد . وأفضت معارضة بعض الفقهاء له الى اتهامه بالزندقة ، ولولا إنصاف الأمير محمد بن عبدالرحمن له ، لما انتشرت هذه المؤلفات وما حمله من علوم ، وما

كان للاندلس أن تصحح دارحديث واسناد (١٥٣) .

ومن الجدير بالذكر أن بقياً هذا قد زامل ابا يعلى الموصلي في الأخذ والسماع عن علماء بغداد ومن بينهم الامام احمد بن حنبل ، وخليفه بن خياط ، ولو ثبت الظن بقاء الاثنین لكان أول لقاء بين الموصل وقرطبة عاصمة الاندلس ، ولكن على اية حال فقد ارتشف الاثنان من معين واحد ، وكانا مسندي بلديهما دون خلاف .

ولم يسلم كبار علماء الاندلس والمغرب على الرغم من سعيهم الحثيث وراء علم الحديث من نقد المهتمين بعلم الرجال وتجريحهم ، آخذين عليهم رواية احاديث غير معروفة ، او حمل النازل من الروايات ، فعبدالرحمن بن زياد بن انعم المعافري قاضي المغرب المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، كان على جلالة قدره ورفعته في العلوم متمماً في الرواية ، قال سفيان الثوري : « جاءنا عبدالرحمن بن زياد الافريقي بستة احاديث يرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم اسمع أحداً من اهل العلم يرفعها » (١٥٤) . وسمى الأحاديث . قال ابو العرب : « فلهذه الغرائب التي لم يروها غيره ضعف ابن معين حديثه » (١٥٥) وعالم الاندلس ، عبدالملك بن حبيب هو الآخر ، كان متمماً بالنسائل ، يحمل على سبيل الاجازة اكثر روايته ، ولم يكن له علم بالحديث ولا يعرف صحيحه من سقيمه (١٥٦) .

وقد قال ابن عساكر عن عبدالله بن محمد بن عبدالله الصنهاجي ، ابى محمد الاشيري المتوفى سنة ٥٦١ هـ « سمع مني وكتب عني ، ولم اسمع منه شيئاً مسنداً لتزول روايته » (١٥٧) .

وانتقد الذهبي جماعة من اهل المغرب والاندلس ممن ترجم لهم او ذكر وفياتهم في كتابه التذكرة بقوله : « وهؤلاء المغاربة لا يكاد يقع لنا حديثهم إلا بتزول ثم هم نازلون في الاسناد فيبقى نزول على نزول وبالله الاستعانة » (١٥٨) وحتى ابو عمر ابن عات الشاطبي

المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ، وهو من اكابر المحدثين ،
والحفاظ المسنين ومن كان يسرد الاسانيد والمتون
ظاهراً فلا يخل بحفظ شيء منها (١٥٩) ، لم يسلم من
نقد الذهبي وقال : « وقع لي من مروياته
نازلاً » (١٦٠) .

وما تضاعف المغاربة امام هذه الأقوال ، ولا سلموا
بها ، فردوا بما يليق ، وما يحفظ مكانة علمائهم ،
فوثق سحنون وابن عبد البر وغيرهما ابن انعم (١٦١) ،
والمقري ، لا يعد ما قبل عن التفرد برواية الاحاديث
جرحاً يستوجب الترك او الاهمال عندما يقول :
« نعم لأهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من
المحدثين حتى إن في شفاء عياض احاديث لم يعرف
اهل المشرق النقاد مخرجها ، مع اعترافهم بجلالة
حفاظ الاندلس الذين نقلوها كتيبي بن مخلد وابن
حبيب وغيرهما » (١٦٢) .

والداخلون الموصل طلباً لعلم الحديث :

- ابراهيم بن بكر بن عمران اللخمي
الألبيري ، ابو اسحاق المتوفى سنة
٣٨٥ هـ (١٦٣)

دخل العراق ، فلقى الاجيري ، وسمع منه
ببغداد ، ودخل الموصل ، وسمع من ابي
الفتح ابن بريدة .

- محمد بن احمد بن ابراهيم بن لواء الانصاري
الجبائي ابو عبدالله المتوفى سنة ٥٤٦ هـ (١٦٤)
اقام ببغداد مدة طويلة ، حتى عرف
بالبغدادية ، ودخل الموصل ، ثم عاد الى
بلده ، واليه ينسب المسجد البغدادي
بجيان ، ورحل الى فاس فتصدر بها لنشر
العلم .

- علي بن احمد بن سعيد بن عبدالله الكومي
المغربي (١٦٥)

سمع وروي عن ابي الفضل الطوسي المتوفى
سنة ٥٧٨ هـ (١٦٦) .

- عبدالله بن محمد بن عبدالله ابو محمد

الاشيري الصنهاجي المتوفى سنة
٥٦١ هـ (١٦٧)

قرأ عليه وسمع منه ابن شداد وغيره بالموصل .
محمد بن علي بن ياسر الجبائي ، سراج الدين
ابو بكر المتوفى سنة ٥٦٣ هـ (١٦٨) دخل
الموصل ، وأسمع فيها صحيح الامام مسلم ،
والوسيط ، للواحيدي ، قرأ عليه ابن شداد ،
واجاز له سنة ٥٥٩ هـ ، ولغيره من طلبة
العلم .

- محمد بن عبدالله بن محمد بن احمد بن
العربي ابو بكر المتوفى سنة ٦١٧ هـ (١٦٩) من
قراة القاضي ابي بكر بن العربي الاشيلي
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، لقي بالموصل خطيبها ابو
القاسم ، عبد المحسن بن ابي الفضل .
اسماعيل بن احمد بن عمر القرشي الاشيلي ،
ابو الطاهر (١٧٠)

دخل الموصل ، وقيد الكثير ، ورواه .

- محمد بن احمد بن محمد بن عبدالله
الانصاري ، ابو عبدالله بن اليتيم البنسي
المتوفى سنة ٦٢١ هـ (١٧١)

من الرواة الكثيرين ، لقي بالموصل خطيبها ابا
الفضل الطوسي ، ودمشق أبا محمد بن ابي
عصرون .

- محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشيلي
ابو عبدالله المتوفى سنة ٦٣٦ هـ (١٧٢) .

دخل الموصل مرات ، وسكن دمشق فعلا
صيته بها ، قال ابن الابار : « كان القادمون
من الاندلس وغيرها لسماع الحديث ينتفعون
به ، ويجدون من معونته وإفادته
ما يحبون » (١٧٣) .

- علي بن ابي نصر فاتح بن عبدالله الجبائي ابو
الحسن المتوفى سنة ٦٥٢ هـ (١٧٤) .

سمع من علماء بغداد ، والموصل ، وروي عنه
ابن الابار وغيره .

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحيم بن هشام الانصاري ابو عبدالله المراكشي المتوفى سنة ٦٧١ هـ (١٧٥)
- سمع من علماء بغداد ، وتكررت ، والموصل ، وروي عنهم .
- جابر بن محمد بن القاسم الوادآشي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ (١٧٩)
- دخل الموصل وسنجار ، واخذ بالموصل عن عبد الرزاق السرسعني المتوفى سنة ٦٦١ هـ (١٧٧) .
- ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم ، ابو اسحاق القرناطي ابن الحاج التري كان حيا سنة ٧٦٨ هـ
- دخل الموصل ، فأخذ عن الأمير المحدث قطب الدين ابي اسحاق ابراهيم النوري ، وله فيه قصيدة يمدحه ، وتمهر في علم الحديث على طريقة اهل المشرق .
- علوم القرآن :

وفي علوم القرآن من قراءات وتفسير كان الاهتمام منصباً على القراءات السبع والعشر وما أضيف إليها ، وطالب العلم أول ما يأخذ بالقراءات المعروفة ، ويقرأها فرداً أو جمعاً ، ولأهل المغرب والاندلس ميزة الاهتمام بقراءة نافع المتوفى سنة ١٦٩ هـ ، ولكنهم لم يهتموا بالقراءات الاخرى ، وما تجاوزوها زهداً أو إنكاراً (١٧٨) ، ولكنهم كما اختاروا مذهب امام دار الهجرة اختاروا كما يبدو قراءة نافع ، وهم الذين سمعوا مالكا يقول : « قراءة اهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع قال : نعم » (١٧٩) وتأليف اهل الاندلس خاصة في القراءات السبع والعشر ، او في قراءة قارئ منهم لاتعد ، بل ولهم في ذلك فضل لا ينكر . (١٨٠)

واتصل علم القراءات بالموصل بطرق كثيرة ، وعن اوائل القراء الذين اهتموا بهذا العلم ، فالعباس

ابن الفضل بن عمرو بن حنظلة الانصاري المقرئ قاضي الموصل المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، اخذ عن ابي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ ، ورأى نافعاً مقرئ المدينة . وبرع العباس في معرفة الادغام الكبير ، وكان يناظر الكسائي في الامالة (١٨١) ، وانتهت علوم العباس الى : عامر بن عمر ، ابي الفتح الموصلي ، المعروف أوفيه المتوفى سنة ٢٥٠ هـ ، وعنه اخذ اهل القراءات ، وعليه قرأوا . (١٨٢)

واشتهر ابو بكر النقاش ، محمد بن الحسن بن محمد المتوفى سنة ٣٥١ هـ بعلم القراءات والتفسير ، وانفرد بالامامة فيها . (١٨٣) وعن النقاش ، اخذ ابو بكر محمد بن الحسن الجلنداء الموصلي ، المشهور بالضبط والاتقان والبراعة في اداء القراءات ، (١٨٤) وغيرهم آخرون كانت لهم معرفة بالقراءات وطرقها ، حتى انتهت الى فخر الدين محمد بن ابي الفرج بن معالي الموصلي المقرئ المتوفى سنة ٦١٢ هـ ، وعن طريقه اتصلت علوم القراءات في القرن الثامن الهجري في بلاد الشام والجزيرة كما يفهم من قول الذهبي . (١٨٥)

والقراء خاضعون لتصانيف ابي عمرو الداني عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، واقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء ، وله مائة وعشرون مصنفاً (١٨٦) . وتابع القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ابا عمرو الداني فوضع على مؤلفاته ما قرب المعنى وسهله ، (١٨٧)

واشتهرت له في القراءات حرز الاماني ووجه الثاني ، قصيدة في الف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً ، ابداع فيها كل الابداع ، وهي عمدة القراء ، فقل من يشتغل بالقراءات ، إلا ويقدم على حفظها ومعرفتها (١٨٨) . وعقيلة اتراب القصائد في رسم المصحف ، وهي كالأولى محفوظة معروفة ، ولقصيدته هاتين خضع «فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ، ولقد اودع وأوجز وسهل الصعب .» (١٨٩)

- ومحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل المرسى، أبو عبدالله المتوفى سنة ٦٥٥ هـ (١٩٦) قال الحموي: «رايته بالموصل» وكان محدثاً فقيهاً مقرئاً مفسراً أديباً، له عدة تصانيف.

- إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن أبو اسحاق الاشيلي ابن وثيق المتوفى سنة ٦٥٤ هـ (١٩٧) دخل الموصل، ودرس بها، فأخذ عنه عماد الدين بن أبي زهران الموصل (١٩٧) وغيره. وحمل ابن وثيق مؤلفات أبي الحسن بن شريح، شيخ قراء الاندلس، وحدث عنه بكتاب التيسير. (١٩٩)

- محمد بن علي بن محمد الحائمي محي الدين أبو بكر المرسى ابن عربي (٢٠٠) المتوفى سنة ٦٣٨ هـ، برع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة، منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وعقيدة أهل السنة، واختارة كثيرة في كتب التاريخ والتراجم.

٢- علوم العربية وآدابها

هنالك مؤلفات في علوم العربية وآدابها، لا يمكن الاستغناء عنها في كل زمان ومكان، فهي أصولها، وبها العمل، وعليها يعول في الدراسة والتأليف. وهي مؤلفات يحتاج فهم مضامينها إلى عالم متخصص بها، ومطلع على غوامضها ليكون أهلاً لحملها وتدريسها، وتقريب مقفلها للآخرين ومن بينها:

- مؤلفات الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ، وأشهرها كتاب العين.

- ومؤلفات سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ، وكتابه المشهور.

- ومؤلفات أبي بكر الانباري المتوفى سنة ٣٢٧ هـ.

- ومؤلفات الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ،

٣٦٩

ولشعلة الموصل، محمد بن أحمد أبي عبدالله المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، شرح على قصيدة حرز الاماني، سماه، كثر المعاني، وضح فيه وبسط ما لبهم منها، أخذ بها طلبة العلم بالموصل: (١٩٠)

ويعد أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي، من أشهر وأجل علماء الاندلس الذين دخلوا الموصل، واختاروها سكناً، حتى وفاته بها سنة ٥٦٧ هـ (١٩١) أخذ بقرطبة عن شيوخها، ورحل إلى المشرق، فدخل مصر، والشام، والحجاز ثم دخل العراق، واستقر مقامه بالموصل. فجلس للقراء والاسماع، فأخذ عنه وسمع منه معظم طلبة الموصل، والوافدين إليها وأشهرهم. ابن الحدوس؛ عبدالله بن الحسن المتوفى سنة ٦٢٥ هـ، وكمال الدين بن منعة المتوفى سنة ٦٣٩ هـ وفخر الدين أبو المعالي السالف الذكر؛ وكان ابن شداد، يوسف بن رافع قد لازمه إحدى عشرة سنة، قرأ عليه معظم ما كان يحمله ويرويه من كتب القراءات، وقراءة القرآن بالطرق السبع، وكتب التفسير وأمهاات الكتب في علم الحديث كالبخاري، ومسلم، وشرح الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٩٢). وكان القرطبي: «ديناً ورعاً عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقاً ثباتاً نبيلاً... كثير الخير مفيداً». (١٩٣)

- وأحمد بن علي بن عتيق القرطبي المتوفى سنة ٥٩٦ هـ (١٩٤)

دخل الموصل، وأقام على حضور مجالس أبي بكر بن سعدون في القراءات، وسمع الحديث من عبدالله بن أحمد خطيب الموصل.

- وأحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الحداد الانصاري البلسني (١٩٥)

رحل إلى المشرق سنة ٤٥٢ هـ فدخل واسط وبغداد والموصل، ثم عاد إلى مصر سنة ٤٦٧ هـ. ودخل المغرب فناظر علماءها في مسائل من العلم.

الضرير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ (٢٠٧) ، وعنوان شرحه كما ورد في كتاب البغدادي «الغرة الخفية في شرح الدرر الألفية» (٢٠٨) وكتاب القانون ، او الجزولية ، لابي موسى ، عيسى بن عبدالعزيز بن بلبلخت الجزولي المراكشي المتوفى سنة ٦١٠ هـ ، في النحو ، قال ابن خلكان عنه : «ولقد اتى فيها بالعجائب ، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتغال على شيء كثير من النحو ، ولم يسبق الى مثلها ، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة ، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها ، واكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن مؤلف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها ، فإنها كلها رموز وإشارات ؛ ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار اليه في وقته وهو يقول : أنا ما أعرف هذه المقدمة ، وما يلزم من كونها ما أعرفها أن لا أعرف النحو ، وبالجملة فإنه أبدع فيها .» (٢٠٩)

وقال القفطي : ولما قرأ الجزولي كتاب الجمل للزجاجي على أبي محمد بن بري وسأله عن مسائل على ابواب الكتاب ، فأجابه عنها وجرى بحث فيها بين الطلبة انتج قوله وعلقها الجزولي مفردة فجاءت كالمقدمة ، فيها كلام غامض وعقود لطيفة ، وإشارات الى اصول صناعة النحو غريبة ، (٢١٠) وقيل : ليس في الجزولية نحو ، وإنما هي منطق لحدودها وصناعتها العقلية . (٢١١) ومهما يكن الامر ، فقد تصدى لشرحها ، ابن الخباز أحمد بن الحسين المذكور قبلاً . (٢١٢)

وللادب من منظوم ومشور ، ساحة واسعة ، ودولة قائمة في جميع البلدان الاسلامية ، والابداع فيه قد أدرك معانيه عدد ليس بالقليل من المغاربة والاندلسيين الداخلين بلاد المشرق ، وهم في هذا على قدم متساوية مع اقربائهم الذين لقوهم وما كانوا مستمعين ومتلقين فحسب ، وإنما كانوا مسمعين ومبرزين في ميدانه ، ودخل الموصل افراد منهم ذوو

واهمها كتاب الجمل .

- ومؤلفات ابي علي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، واكثرها تداولاً كتاب الايضاح .
- ومؤلفات ابن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ . ومن دواوين الشعر ؛ ديوان ابي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وديوان البحري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، وديوان المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . وفي المقامات ، مقامات الحريري . (٢١١)

وجملة هذه المؤلفات ، مؤلفات مشرقية ، دخلت الاندلس والمغرب مبكراً ، فدار عليها التأليف شرحاً واختصاراً ، وفاقت شهرة بعض هذه المؤلفات شهرة الاصول نفسها . (٢١٢)

ولعلماء الموصل في العربية وآدابها تأليف بديعة ، ومنهجهم كما يقول ابن خلدون يقوم على متابعة ابن جني الموصلي (٢١٣) ، الذي عرف مؤلفاته ، واتخذت مكانتها الكبيرة لدى علماء المغرب والمشرق على السواء .

وعلى عهد ابن خلكان كان الطلبة بالموصل قائمين على تصانيف ابن الدهان ابي محمد سعيد بن المبارك بن علي البغدادي نزيل الموصل والمتوفى بها سنة ٥٦٩ هـ (٢١٤) .

ومؤلفات ابن الاثير ، ضياء الدين ، نصرالله بن محمد المتوفى سنة ٦٣٧ مكانة وشهرة في الافاق ، حملها عنه اهل المغرب ، وجرى لهم معه مناظرات ، ومحاورات في مسائل كثيرة . (٢١٥)

ودخلت الموصل مؤلفات للمغاربة ، كألفية ابن عبد العطى ، ابي الحسين يحيى بن عبد النور الزواوي المتوفى سنة ٢٦٨ هـ . في النحو (٢١٦) ، اتخذت لها مكاناً في الدراسة وثمر لشرحها عالمان من علماء الموصل وكلاهما عرف بابن الخباز ؛ الاول : محمد بن ابي بكر بن علي بن الخباز المتوفى سنة ٦٣١ هـ ، وقد سبق التعريف به .

والثاني : احمد بن الحسين بن احمد النحوي

مكانة ومقام معلوم منهم :

- الحسين بن علي بن الحسين ابو القاسم المغربي المتوفي سنة ٤١٨ هـ قال فيه ابن بسام : « كان ابو القاسم نجماً مطالعه الدول ، ومحرراً عبابه القول والعمل وروضة تقوت القلوب نفحاتها ، وتقيد الأبصار صفاتها وموصوفاتها ؛ أما العلماء فعيال عليه ، وأما العظماء فلعب بين يديه ، وأما الاقلام فبعض شيعه وأنصاره ، وأما الاقاليم فبين ايراده وإصداره ، وأما مكانه من العلم الحديث والقديم ، وسبقه الى غايته المنشور والمنظوم ، وإقدامه على المهالك ، وتلاعبه بالأملأك والممالك ، فأشهر من الصباح ، وأسير من الريح » (٢١٤) وما بالغ ابن بسام فقد عرف الرجل بذكائه وقدرته العالية في الوصول الى غايته ، فحيث حل من البلاد آثار ما يعكر الصفو على الحكام فيها ، مثيراً للعامة من الناس عليهم ، محرضاً أياهم بخطبه الشديدة الواقع عليهم . وكان مكيناً من ذلك ، متلاعباً بمشاعر الناس ، اشعل الفتن بمصر ومكة وغيرها ، وعندما حل بالموصل اغراه وزير قراقوش ، ابن ابي الوزير الكافي بمال كثير ليرحل عنها ، فغادرها مدة ثم عاد اليها بعد وفاة ابن ابي الوزير وتقلد وزارتها « وأتى على ما كان بها من رفق ، وجرى من العسف باعظم اهلها من أبعد طلق » (٢١٥) . وكان من الدهاة العارفين ، خبيث الباطن ؛ قال ابن خلكان إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو ، وإذا دخل عليه التحوي سأله عن الفقه والفرائض (٢١٦) ، ومع ذلك فالمغربي هذا عد وزارته مدة على الموصل واهلها عندما قال : « ... فلولا ما أرجوه من مداواة أسقامهم واعادة صالح أيامهم ، لفضاني الانتاء بمعاشيتهم قبل معاناتهم ،

وملاحظتهم قبل مقاساتهم ، لكنني أعلم أن من يحكي العظام وهي رميم ، ويبعث الروض وهو هشيم ، وينشيء [...] (٢١٧) بعد ما كانت قفارا ، ويجعل من الشجر الاخضر ناراً ، قادراً على أن يجعل ثواب نيتي فيهم معونتي على مآثوبهم ، وجزاء تأملي بهم بلوغ الفرض في تدارك رمقهم » (٢١٨)

اختصر المغربي كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ، وسماه : المنخل ، وألف كتاب اليناس ، وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب أدب الخواص وكتاب المآثور في ملح الخدور ، وله ديوان شعر ونثر. (٢١٩)

- وعلي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف المتوفي سنة ٦٠٤ هـ (٢٢٠) شاعر معروف ، دخل الشام والعراق ، واستوطن حلب ، وكان يتردد بينها وبين الموصل ، يمدح سلاطين وامراء العصر. (٢٢١) وله مع ابن شداد بحلب قصة طريفة ذكرها ابن خلكان بقوله : « اخبرني جماعة ممن كانوا عنده - يعني عند ابن شداد - قبل وصولها اليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن خروف ... فكتب اليه رسالة وفي اولها ابيات يستجديه فروة قرظ وهي :

بهاء الدين والدينيا
ونور المجد والحسب
طلبْتُ مخافةً الانواء
من نعلك جلد أبي
وفضلك عالم أني
خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهر اشطره
وفي حلب صفا حلي

ذو الحسب الباهر، والنسب الزاهر،
يسحب ذبول سراء السراء، ويحب النحاة
من أجل الفراء، وعن على الخروف النبيه،
يجلد ابيه، قانيء الصباغ، قريب عهد
بالديباغ، ما ضل طالب قرطه ولا ضاع، بل
ذاع ثناء صانعه وضاع، أثبت خاتل الصوف،
يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف، إذا
طهر إهابه، يخافه البرد ويهابه، ما في
التياب له ضرب، إذا نزل الجليد
والضرب، ولا في اللباس له نظير، إذا
عري من ورقه الغصن النضير، لا كطيلسان
ابن حرب (٢٢٢)، ولا جلد عمرو الممزق
بالضرب، كأنه من جلد حمل الجرباء،
الذي يراعي البدر والنجم، لا من جلد
السحلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم،
فَرَجِي النوع أرجي الضوع ليكون تارة لحافاً
وتارة بُرداً، وهو في الحالين يحیی حراً ويميت
بُرداً، لأزال مهديه سعيداً، ينجز للأولياء
وعداً، وللأعداء وعيداً، إن شاء الله تعالى
والسلام. (٢٢٣)

- ومحمد بن احمد بن جبير الأندلسي ابو
الحسين المتوفي سنة ٦١٤ هـ (٢٢٤).
صاحب الرحلة، عني بالأدب، فبلغ الغاية
فيه، وتقدم في صناعة القريض والكتابة مع
معرفة تامة بعلوم الفقه والحديث والقراءات.
- ومحمد بن سليمان الزهري الأشبيلي ابو عبدالله
المتوفي سنة ٦١٧ هـ (٢٢٥).
أقام بالموصل مدة يسمع ويكتب، وكان
حسن المعرفة بالأدب، ويقول الشعر
وينشيء المقامات، وله اهتمام بعلم
الحديث، ومؤلفات في هذا المعنى.
- وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن
سعيد (٢٢٦).
من بني سعيد الغزنائين، ومن عائلة وقراة

علي بن موسى الآتي بعده خرج من الأندلس
مغاضباً، فطاف البلاد الشرقية، وكان ادبياً
شاعراً. دخل الموصل وله فيها وصف يدل
على شفافته، مات شهيداً ببخارى عند
دخول المغول.

- ويحيى بن محمد بن علي الخزرجي
التلمساني (٢٢٧).
كان شاعراً، دون له ابن الشعار بعض
قصائده.
- وعلي بن موسى بن سعيد العنسي الغزنائي
ابو الحسن المتوفي سنة ٦٨٥ هـ (٢٢٨).
لحق مشاهير أدباء وعلماء الموصل، وهو
صاحب التصانيف المشهورة.
- ومحمد بن احمد بن سحان الشريشي ابوبكر
المتوفي سنة ٦٨٥ هـ (٢٢٩).
برز في علوم العربية، وله شرح على الفيه ابن
عبدالمعطي في النحو.

٣- العلوم العقلية وعلوم الدراية :

الداخلون الى الموصل في مجموع هذه العلوم
قليل، وهم على قلتهم كانوا يجمعون بين علمي الرواية
والدراية على حد سواء، بمعنى أن اهتمامهم لم
تكن مقصورة على العلوم العقلية فحسب، وإنما
كان لهم نصيب كبير في الأخذ والحمل عن آخرين
لهم مكانتهم في العلوم النقلية، وليس في ذلك
ما يدعوا الى الاستغراب، فالرحلة الى المشرق تشكل
لأهل المغرب والأندلس فرصة علمية ثمينة قد
لا يسمح الزمان بمثلها مرة أخرى، فكان تعلقهم
بعلوم أهل المشرق وحملهم ما يضيف ويفني في علوم
الرواية والدراية غاية من اسمى غايات الراحلين لما
في ذلك من فضل قد يكسب الراحل مكانة غير
مسيوقة في حمل العلوم، وخير مثل على ذلك :

- احمد بن محمد بن مفرج ابو العباس الاشبيلي

- المعروف بابن الرومية^(٢٣٠) ، والمشهور بالعثاب والنباتي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ^(٢٣١) .
- امام اهل المغرب في معرفة وتمييز الاعشاب ، منافعها ، ومضارها ، ورث هذا العلم عن والده وجده ، واليه انتهى علمها . رحل الى المشرق وعان فيه كثيراً من النبات مما لا يكون بالمغرب منه ، حتى وقف على اصناف وانواع كثيرة قلما عرفها غيره ، فصار في علم النبات فرداً لا يماثيه احد .
- وله بعد ذلك حظ وافر من علوم الرواية ، فقد كان محدثاً حافظاً معتباً بعلم الرجال جرحاً وتعديلاً ، وكان من اكثر المتعصبين لابن حزم الاندلسي ، معتباً بمؤلفاته « انفق عليها اموالاً جسيمة حتى استوعبها جمعاً فلم يشذ عنه منها إلا مالا خطر له »^(٢٣٢) . وعن طريقه انتشرت مؤلفاته .
- والابن الرومية ، مؤلفات في علم النبات والأدوية والحديث المذكورة .
- دخل الموصل بعد سنة ٦١٤ هـ وسمع من علمائها ومن كان بها من علماء المدن الاخرى ، ساهم في فهرسة شيوخه وهم :
- ابو العباس ، احمد بن سليمان بن الهادي بكر ابن سلامة بن الأصغر .
 - وابو محمد ، اسماعيل بن ابراهيم بن محمد الشهرستاني .
 - وابو علي ، الحسن بن علي بن الحسن بن عمار .
 - والحسين بن عمر بن نصر بن باز .
 - والحسين بن الهادي صالح التكريتي .
 - وشهاب الدين مودود بن محمود بن بلدجي الحنفي .
 - وعبدالله بن الحسين بن الحسين بن الحدوس .
 - وابو القاسم ، عبدالمحسن بن الهادي الفضل الطوسي .
 - وابو الحسن ، علي بن محمد بن عبدالكريم

- الجزري .
- وابو الفرج بن عبدالرحمن بن محمد بن الهادي الغز .
- وسليمان بن عمر بن محمد الموصل البغدادي النيار .
- وابو محمد ، المعافى بن اسماعيل بن الحسين .
- وابو الغز ، يوسف بن علي بن يوسف الباذيني .
- وابو اللذخر ، خلف بن محمد الكتزي .
- وياقوت بن عبدالله .
- وسليمان بن علي بن الهادي محمد الموصل « اجازة مراسلة »^(٢٣٣) .
- وابو الحسن ، علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي نزيل الموصل « اجازة مراسلة » واكثر هؤلاء الشيوخ من اهل الحديث اوبقية العلوم النقلية الاخرى ، ماعدا ابن هبل ، ابا الحسن علي بن احمد ، فهو طبيب ببغداد الاصل ، سكن الموصل وبرع في علم الطب ، والاشتغال به ، وله فيه مؤلفات ، وكان فضلاً عن ذلك يُقرأ العلوم الحكيمية ، ويُسمع الحديث النبوي ، وله في الادب معرفة وشعر حسن^(٢٣٤) .
- وابن الرومية ، لم يلق ابن هبل ولا سمع منه ، لدخوله العراق سنة ٦١٤ هـ و وفاة ابن هبل في سنة ٦١٠ هـ ، وانما حمل عنه بالاجازة العامة مراسلة ما بين سنتي ٦٠٦ هـ و ٦١٠ هـ^(٢٣٥) .
- واحمد بن الحسن بن احمد القضاعي ابو جعفر الاندي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ^(٢٣٦) .
- وهورفيق ابن جبيري رحلته ، كان معتباً بعلم الطب ، وله فيه تقييد مفيد .
- وعبدالله بن احمد بن عبدالله الانصاري ، ابو محمد الداني المتوفى سنة ٦٤٥ هـ^(٢٣٧) .
- سمع من جماعة بالموصل ، ومال الى علم

قدمناه عن علماء الموصل المتصدرين في المدن
الاسلامية الاخرى ومطابقاً له ، وهم :

- حسين بن فيره ، ويعرف بن سكره الصديقي
ابو علي المتوفى سنة ٥١٤ هـ .

سمع وقرأ علي ابي الحسن ، علي بن الحسن
الخلعي الموصل بمصر (٢٤٢) .

- محمد بن الحسين بن احمد الخزرجي
الميورقي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ .

اخذ بمصر عن علي بن الحسين بن الفراء
الموصل (٢٤٣) .

- محمد بن عبدالله بن العربي المعافري ابو بكر
الاشبيلي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ .

سمع الخلعي بمصر ، وحمل عنه الكثير مما
رواه في الأندلس (٢٤٤) .

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يعيش ابو
عبدالله البلسي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ .

تردد كثيراً في الأخذ والسماع علي ابي الحسن
علي بن الفراء بمصر (٢٤٥) .

- ابراهيم بن احمد بن عبدالله بن صدقة
الحاكم ابو اسحاق الغرناطي

سمع ابن الفراء بالاسكندرية ، وحديثه عنه
بالأندلس (٢٤٦) .

- محمد بن عبد الرحيم ، ابو حامد الغرناطي
المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

سمع ابن الفراء بمصر ، وعبد اللطيف بن
الباد بالشام (٢٤٧) .

- علي بن عتيق بن احمد الانصاري
الاندلسي ، نزيل مدينة فاس المتوفى سنة

٥٩٨ هـ .

سمع وقرأ علي ابي الفداء اسماعيل بن علي بن
عبدالله الموصل بمكة ، وأجازه (٢٤٨) .

- احمد بن هارون بن عات النفري ابو عمر
المتوفى سنة ٦٠٩ هـ .

الطب وعني به ، مع مشاركة في العلوم
الاخرى .

- ومحمد بن عبد النور الصنهاجي العماد
المغربي (٢٤٨) .

قرأ شيئاً من علوم الأوائل علي كمال الدين بن
منعة المتوفى سنة ٦٣٩ هـ ، وكان شاعراً مدح
شيخه المذكور ومكانته من العلوم العقلية
وغيرها ، ولز في دينه بقصائد اخرى ، وهو
ما كان يهتم به ابن منعة المذكور لطفيان
العلوم العقلية عليه (٢٤٩) .

- والسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (٢٤٠)
عرف بعلوم الرياضيات والجبر والمقابلة ،
وعلوم الطب ، وله فيها مؤلفات كثيرة افاد
منها طلبة العلم .

- وعلي بن يقطان السبتي (٢٤١) .
طبيب وشاعر ، دخل الموصل ، ومدح وزيرها
جمال الدين محمد بن علي الاصبهاني المتوفى
سنة ٥٥٩ هـ .

من لقي علماء الموصل في الامصار الاسلامية :

مر سابقاً ذكر من دخل الموصل من اهل
المغرب والأندلس طلباً للعلم والسماع من علمائها ،
وقد أفادت المصادر بآخريين منهم ، لم يدخلوا
الموصل ، ولكنهم لقوا علماءها في المدن والحواضر
الاسلامية الاخرى ، فسمعوا منهم ، وقرأوا عليهم ،
وحملوا عنهم علوماً كثيرة ربما اغنتهم عن دخول
المدينة والتزوّد منها ، خاصة إذا علمنا ان الدراسة
على عالم قد تنتهي بمنح الطالب إجازة عامة ، أو
خاصة تتيح له رواية ما يحمله استاذة هذا من
مؤلفات ومرويات في مختلف انواع العلوم ، والذين
لقوا علماء الموصل في الامصار الاسلامية خلق فاق
عدده عدد من دخلها ، سأكتفي بالتمثيل لكبارهم
دون غيرهم ، موافقاً قدر الامكان شرط ماسبق ان

قرأ وسمع وروى عن أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الرزاق الرسعني بدمشق (٢٥٧).

محمد بن يوسف بن علي اثير الدين ابو حيان التوفى سنة ٧٤٥ هـ.

اخذ عن أبي الفضل ، عبد الرحيم بن يوسف ابن علي العروف يابن خطيب المزه ، وعن ابن بلدجي ، عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي بدمشق (٢٥٨).

محمد بن جابر بن محمد الوادائي التونسي التوفى سنة ٧٤٩ هـ.

سمع وروي عن : محمد بن احمد بن سلامة الموصلي ، وعلي بن مسعود بن نفيس التوفى سنة ٧٠٤ هـ ، وعمر بن ابراهيم بن حسن الرسعني التوفى سنة ٦٩٩ هـ لقيهم بالشام (٢٥٩).

ولقي ابن الشعار الموصلي التوفى سنة ٦٥٤ هـ جمعاً غفيراً من المغاربة والانديسيين ، ترجم لهم ، ودون الكثير من اشعارهم ، او اشعار غيرهم في كتابه : عقود الحان ، نذكر منهم : احمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي ابا العباس التوفى سنة ٦٠١ هـ نزيل دنيسر ، انشده بعض اشعاره (ج ١ ورقة : ١٠٥).

احمد بن محمد بن احمد بن نصر ابا جعفر المعافري

لقيه بجلب (ج ١ ورقة : ٢٣١ ب)

اسماعيل بن عبدالله بن اسماعيل البياسي لقيه بجلب سنة ٦٣٤ هـ ، وانشده شعر سهل ابن محمد بن ايوب الفرناطي (ج ١ ورقة : ١٦١)

عبدالله بن محمد بن علي القسطيني المغربي سمع منه بعض الاشعار (ج ١ ورقة : ١٠٤ ب)

عبدالله بن يوسف بن عبد الرحمن الهتاتي

قرأ علي أبي الفداء اسماعيل بن علي بمكة ، وأجازوه (٢٤٩).

محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي ابو عبدالله التوفى سنة ٦١٠ هـ

لقي ابو الفداء اسماعيل ، وخطيب الموصل الطوسي ، وابن عبد السلام التونسي نزيل الموصل بمكة وأجازوه (٢٥٠).

عمر بن عبد المجيد بن عمر الازدي المالقي ، ابو حفص التوفى سنة ٦١٦ هـ

اخذ عن الدولعي ، عبد الملك بن زيد بن ياسين بدمشق (٢٥١).

عيسى بن سليمان بن عبدالله الرعيني ابو محمد التوفى سنة ٦٣٢ هـ

اخذ عن الدولعي ، وأبي الفضل اسماعيل ابن ابراهيم بن احمد الشيباني الموصلي بدمشق (٢٥٢).

محمد بن ابراهيم بن عبد الملك الازدي القيقاطي ابو عبدالله بن قرشية التوفى سنة ٦٤٣ هـ

اخذ بمصر عن خطيب الموصل أبي الفضل عبدالله بن احمد الطوسي (٢٥٣).

محمد بن حسن بن محمد المغربي ابو عبدالله جال الدين التوفى سنة ٦٥٤ هـ

اخذ القراءات بجلب عن ابن شداد ، وقرأ عليه صحيح مسلم (٢٥٤).

محمد بن سراقه بن محمد الشاطبي ابو القاسم الانصاري التوفى سنة ٦٦٢ هـ

سمع ابن شداد بجلب (٢٥٥).

محمد بن يوسف بن موسى الفرناطي ابو عبدالله بن مسدي التوفى سنة ٦٦٣ هـ

اخذ عن عبد اللطيف ابن اللباد ، وابن علوان بجلب (٢٥٦).

القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين البرزالي الاشبيلي التوفى سنة ٧٣٩ هـ

- محمد بن الحسن بن محمد الفاسي .
لقبه ابن الشعار بحلب ، وسمع منه اشعار
بعض المغاربة . (ج ١٠ ورقة ٢٨٦ ب)
- هاشم بن حبيب ابو الوليد البيهقي الغرناطي
المتوفى سنة ٦٢٢ هـ
سمع منه ابن الشعار ، قصائد في الزهد .
(ج ٩ ورقة ٩٢ ب)
- وبقي احتمال دخول هؤلاء الاعلام الذين
ذكرناهم والذين لقيهم ابن الشعار ، وغيرهم ممن لم
نذكرهم خوف الاطالة ، مدينة الموصل قوياً ،
خاصة من دخل منهم مدينة اربل وحلب والمدن
القريبة من الموصل ، ولكن قصورنا او قصور المصادر
التي اعتمدنا واطلعنا عليها ضيع بعض ما كنا نرجوه
ونتمناه ، فسقناهم في مرتبة غير مرتبة الداخلين
اليها .
- الاجازة العلمية بالمراسلة :
منح علماء الموصل ومن كان بها من المشاهير
الاجازة العلمية مراسلة لمغاربة واندلسيين ، راسلوا
في طلبها ، وحملوا بهذا الطريق ما يحمله المجيز من
مؤلفات ومرويات ؛ وهؤلاء المجازون هم :
- محمد بن عامر بن فرقد القرشي الاشبيلي ابو
القاسم المتوفى سنة ٦٢٧ هـ
اجازة من اهل الموصل ومن كان بها من
العلماء .
- علي بن علي الموصلي
واحمد بن سلمان بن الاصغر
واسماعيل بن ابراهيم الشهرستاني
والحسن بن علي بن عمار
والحسين بن عمر بن باز
وتخلف بن محمد الكتري
وشهاب بن مودود ابن بلدجي
وعبدالله بن الحسن بن الحدوس

- لقبه باربيل سنة ٦٢٧ هـ (ج ٣ ورقة
١٥٥ ب) .
- عبدالله بن موسى بن عبدالله ابا محمد
الشاطبي .
انشد ابن الشعار بعض قصائده . (ج ٣ ورقة
١٣٧ ب)
- عبدالرحمن بن علي بن يحيى الغفاري السبتي
سمع منه ابن الشعار بعض قصائده . (ج ٣
ورقة ٢٥١ ب) .
- عبدالرحيم بن احمد بن علي بن طلحة
الانصاري السبتي
لقبه ابن الشعار باربيل سنة ٦٣٠ هـ ، وسمع
منه شعره . (ج ٣ ورقة ١٧٩ أ) .
- محمد بن علي بن محمد البيهقي الاندلسي
سمع منه ابن الشعار ودون شعره . (ج ٦
ورقة ٢٢٩ ب)
- محمد بن عبدالله بن احمد بن عبد الواحد
السبتي
سمع منه ابن الشعار بعض ابياته . (ج ٦ ورقة
٢٥٧ ب)
- محمد بن احمد بن محمد الشريشي
انشده قصيدة يلتمس بها كتاب التلقين
للقاضي عبدالوهاب البغدادي . (ج ٧ ورقة
١٥٢ ب)
- محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الميورقي
لقبه بحلب سنة ٦٤٠ هـ . (ج ٧ ورقة
١١٠٥)
- محمد بن علي بن عبدالله بن ابي العافية
البلنسي ، انشده من شعر صفوان بن
ادريس المرسي . (ج ١ ورقة ٨٨)
- محمد بن يحيى بن معنصر القسنطيني المغربي
سمع منه ابن الشعار قصائد . (ج ٧ ورقة

- محمد بن عبدالله بن احمد بن عبدالرحمن
الازدي السبتي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ
اجازه العلماء الذين اجازوا محمد بن
عياض (٢٦٥).

ماحمله ورواه اهل المغرب والأندلس عن علماء
الموصل:

حمل المغاربة والاندلسيون عن العلماء والرواة
المواصلة نوعين من المرويات:
القسم الأول؛ مؤلفات مدونة، ومرويات في علوم
مختلفة رويها بأسانيدهم، وبطرق التحمل
المعروفة، وهي جملة لاتتعدى العلوم النقلية وعلوم
العربية وآدابها.

في علم التفسير:

- تفسير القرآن الكريم، المسمى: شفاء
الصدور، لأبي بكر النقاش الموصل المتوفى
سنة ٣٥١ هـ رواه ابن عطية، عبدالحق بن
غالب الغرناطي المتوفى سنة ٥٤١ هـ عن
شيخه أبي عبدالله محمد بن فتوح الانصاري
المتوفى سنة ٤٩٨ هـ عن التبريزي عن أبي
الحسين محمد بن احمد المحاملي عن
المؤلف (٢٦٦). ورواه القاضي عياض بن
موسى السبتي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ، عن
أبي القاسم خلف بن ابراهيم بن الحصار
المتوفى سنة ٥١١ هـ عن التبريزي بالسند
السابق (٢٦٧).

وحمله ابن خير، محمد بن خير بن عمر
الاشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ عن شيخه أبي
عبدالله محمد بن عبدالرحمن المدهجي
المتوفى سنة ٥٣٧ هـ اجازته عن أبي بكر
المصحفي عن التبريزي بسنده (٢٦٨).

قال ابن خير: «وهذا الاستاد روى اهل
الأندلس هذا الكتاب قديماً وحديثاً، وكانت

وعبدالحسن بن أبي الفضل الطوسي
ومسار بن العويس النيار،
والمعافي بن اسماعيل وغيرهم (٢٦٠).

- طلحة بن محمد بن طلحة الاشبيلي ابو محمد
المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

اخذ بالاجازة العامة عن جماعة كبيرة من
اهل المشرق، استفادها من قبل شيخه أبي
العباس بن الرومية العشاب. المذكور في
العلوم العقلية - فقد اجازته ما يحمله من
مشاهير العلماء وسمى له من اهل الموصل.
الحسن بن علي بن الحسن بن عمار ابو علي
وعلي بن محمد بن عبدالكريم الجزري
ومسار بن العويس النيار (٢٦١).

- القاسم بن محمد بن احمد بن الطيلسان
القرطبي ابو القاسم المتوفى سنة ٦٤٢ هـ

حاله في الاجازة العامة حال سابقه؛ طلحة
بن محمد، وسمى من اهل الموصل:
الحسين بن عمر بن نصر بن باز
وخلف بن محمد بن خلف الكتري
وربحان بن تيكان بن موسك

ويوسف بن علي بن يوسف الباذيني ابو
العز. (٢٦٢)

- محمد بن عياض بن محمد بن عياض السبتي
المتوفى سنة ٦٥٥ هـ

اجازته من اهل الموصل:
نصرالله بن سلامة بن سالم المليني

وعبدالجبار بن أبي الفضل بن حمزة الحصري
وقتبان بن احمد بن محمد

وعبدالحسن بن أبي الفضل الطوسي (٢٦٣)

- محمد بن احمد بن عبدالله بن سيد الناس
اليعمري الاشبيلي ابو بكر المتوفى سنة ٦٥٩ هـ
اجازته:

احمد بن سليمان بن سلامة الموصل
وعبدالحسن بن أبي الفضل الطوسي (٢٦٤).

٤٨٤ / ميسرة الرسل الحضارية ج ٢

الرحلة فيه الى التبريزي وعنه اخذه ابو القاسم
حاتم بن احمد الطرابلسي وغيره من
المشايخ» (٢٦٩).

والتبريزي ؛ هو: علي بن ابراهيم المعروف
بابن الخازن يكنى ابا الحسن، دخل
الأندلس سنة ٤٢١ هـ، واسمع الناس بشرق
الاندلس بعض مارواه، ودخل طليطلة سنة
٤٢٢ هـ فسمع منه بها تفسير القرآن،
للقناش وغيره من المؤلفات الاخرى سمع منه
جماعة من علماء الاندلس وحملوا
مروياته (٢٧٠).

وفي القراءات:

- كتاب الحجة لاختلاف القراء، لأبي علي
النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ.
- رواه ابن خبير عن أبي بكر بن العربي، عن
أبي الحسن الخلعلي الموصلي لقيه بمصر،
وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم عن
المؤلف (٢٧١).
- المختص في تبين وجوه شواذ القراءات
والايضاح عنها، لابن جني الموصلي المتوفى
سنة ٣٩٢ هـ قال ابن خبير: «حدثني به أبو الطاهر
السلفي اجازة فيما كتب به الي قال ...
بسنده الى المؤلف» (٢٧٢).

وفي علوم الحديث:

- صحيح الامام البخاري
رواه القاسم بن يوسف السبتي التعجيبي المتوفى سنة
٧٣٠ هـ (٢٧٣)، عن شيخه أبي عمرو عثمان بن
محمد التوزري لقيه بمكة، وحدثه به بسنده عن
بعض شيوخه بأسانيدهم عن أبي الحسن علي بن
عمر بن الفراء الموصلي عن كريمة الرورية
بسندها عن البخاري (٢٧٤) ورواه محمد بن
جابر الوادي أشي التونسي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ عن

شيوخه، وبرواية ابن الفراء الموصلي عن كريمة
عن عن البخاري (٢٧٥).

- مسند عبيد بن حميد الكشي المتوفى سنة
٢٤٨ هـ المسمى: المنتخب.
- سمعه ابن رشيد، محمد بن عمر التونسي ابو
عبدالله المتوفى سنة ٧٢١ هـ على شيخه أبي
محمد عبدالواحد بن علي الكافوري بمصر
وحدثه به عن أبي بكر مسمار بن العويس
التيار عن أبي الوقت بسنده (٢٧٦)
- اجزاء في الحديث، لعلي بن حرب الطائي
الموصلي المتوفى سنة ٢٦٥ هـ.
- روى ابو القاسم السبتي احاديث من كتاب
علي بن حرب، وحدثه بها شيوخه الذين
لقيهم في رحلته (٢٧٧).
- مسند أبي يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ
الرواة عن أبي يعلى كثيرون، فقد حمل ابن
عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ مسنده عند
قراءته بالموصل، وهو الذي ادخله بلاد
الشام، حدث به (٢٧٨)، وعنه حملة اهل
المغرب والأندلس وغيرهم.
- مسند أبي العباس محمد بن يعقوب الاصم
المتوفى سنة ٣٤٦ هـ
- قرأ ابن رشيد بعضاً منه على شيخه عبدالوالم
بن يَحْزَن بن حجاج البعلبكي وحدثه به عن
شيوخه عن ابن أبي بكر بن محمد الخزرجي
بفتح سماعه من خطيب الموصل أبي الفضل
الطوسي، من سماعه الصحيح بالموصل
بسنده عن الاصم وأجيز بياقيه. (٢٧٩)
- احاديث من غرائب الفاظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم، رواية الشيخين أبي الفتح
محمد بن الحسين بن احمد الأزدي الموصلي
المتوفى سنة ٣٧٤ هـ، وأبي هاشم الحسين بن
محمد بن الحداد.
- سمعها الوادآشي عن بعض شيوخه وحدثه بها

عن ابن أبي عصرون ، عن أبي الحسن بن طوق بسامعه عن ابن فرغان عنها^(٢٨٠) .

كتاب الأربعين حديثاً ، للقاضي أبي نصر بن ودعان .

قال ابن خبير : « حدثني به الشيخان أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن مروان التجيبي ، وأبو حفص عمر بن عياد بن أيوب ... اليحصبي قراءة مني عليها ، قالوا : حدثنا الشيخ الحافظ أبو الطاهر السلفي قراءة منها عليه ، قال : قرأت على القاضي أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد .. ابن ودعان حاكم الموصل ، قدم علينا بغداد من الموصل فأقر به » وقال : « وحدثني به أيضاً الشيخ أبو الطاهر السلفي المذكور إجازة فيما كتب به إليّ عن ابن ودعان »^(٢٨١) .

الخلعيات ، والفوائد في الحديث ، للخلعي علي بن الحسن المتوفى سنة ٤٩٢ هـ .

رويت الخلعيات والفوائد في الحديث بطرق كثيرة أعلاها درجة رواية ابن رفاعه ؛ عبد الله ابن رفاعه بن غدير السعدي عن الخلعي ، وتفرّد بعده برواية الفوائد كاملة ؛ محمد بن عماد بن محمد بن الحسين الجزري أبو عبد الله الحنبلي التاجر المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ؛ قال المنذري : « وهو آخر من حدث عن ابن رفاعه ، وكان يرسل إليه لأجل سماعه منه كتاب فوائد الخلعي المشهورة ، وتفرّد بها عنه كاملة في الديار المصرية وغيرها ولا يعلم من بقى في زمانه من وجد سماعه لها منه كاملة سواه . »^(٢٨٢)

وحمل عدد غير قليل من الراحلين في وجهتهم المشرقية الخلعيات والفوائد ما بين قراءة أو سماع ، والظاهر أن علماء الديار المصرية والحجازية قد تخصصوا في تدريس هذين الأثرين المهمين . وعدوهما من بين

المقررات والاصول الحديثية . فسمعهما بمصر ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب المالقي المتوفى بحدود سنة ٦٤٥ هـ^(٢٨٣) . وسمع ابن رشيد السبتي عن جماعة من شيوخه المصريين أجزاء كثيرة من الخلعيات وحدّثوه بها عن شيوخهم عن ... الخلعي .

وسمع الفوائد من شيخه أبي الفضل الدميري عبد الرحيم بن عبد المنعم .^(٢٨٤)

وروى أبو القاسم السبتي الكثير من الأحاديث النبوية والأخبار مما تضمنته الخلعيات وكتاب الفوائد ، عن شيوخه بمصر^(٢٨٥) .

وسمع أثير الدين ابن حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ الخلعيات وحملها عن شيوخه الذين سمعها منهم .^(٢٨٦) وسمعها أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المتوفى سنة ٧٥٣ هـ بقراءة والده بالمدينة المنورة ،^(٢٨٧) وحملها قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد الصباغاني الحنفي المتوفى سنة ٨٢٥ هـ وكان يدرّسها في مجالس تدريسه بمكة^(٢٨٨) .

جامع الأصول من أحاديث الرسول ، لابن الأثير ، مجد الدين المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

حدث به عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجريقي الموصلّي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ بدمشق عن والده عن المؤلف وعنه أخذ وحمله طلبه العلم في الديار الشامية ،^(٢٨٩) وسمعه إبراهيم بن محمد بن عبد الله المعروف بالاسيوطي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ بمكة من ابن أبي الدم وحدثه به عن المؤلف ، وكان كتاب جامع الأصول يدرس في مصر والحجاز وحمله الراحلون بطرق أهل المشرق .^(٢٩٠)

- كتاب الضعفاء والمتروكين ، لابي الفتح محمد ابن الحسين الأزدي الموصلي قال ابن خير الأشبلي : حدثني به ابو الحسن علي بن عبدالله بن موهب قال حدثنا به ابو عمر بن عبدالبر عن اسماعيل بن عبدالرحمن القرشي عن ابراهيم بن بكر الموصلي عن مؤلفه . (٢٩١)
- وابراهيم بن بكر الموصلي له رحلة الى الأندلس ، دخل اشبيلية وحدث بها عن ابي الفتح الأزدي بكتابه المذكور وعنه حمل بالأندلس . (٢٩٢)
- فضيلة من اسمه محمد واحمد ؛ لابي عبد الله الحسين بن احمد بن بكر المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . قرأ العبدري ، محمد بن محمد الحيجي ابو عبدالله صاحب الرحلة المغربية جزءاً منه على شيخه ابي عبدالله محمد بن ابي القاسم الأزدي ويعرف بالقُسي لقبه بتونس وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم ... عن ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد الصفراوي عن ابي الفداء اسماعيل بن علي الموصلي نزيل مكة بسنده عن ... ابن بَكر . (٢٩٣)
- وقال الوادشي : قرأته على ابي محمد بن هارون ، وسمعته مراراً وحدثني به عن ابي القاسم بن الطيلسان بسنده عن ابي عمر بن عات ، ومحمد بن اسماعيل بن ابي الصيف ، وكلاهما عن ابي الفداء اسماعيل بن علي الموصلي بسنده ... عن ابن بَكر . (٢٩٤)
- المغني عن الحفظ ، لفضياء الدين عمر بن سعيد الموصلي الحنفي قرأه ابو القاسم السبتي على الخلاسي بتونس وحدثه به عن ابي مروان الشقوري عن المؤلف . (٢٩٥)
- اللع في النحو . ويسمى التلقين أيضاً . ، والتصريف ، وهو المعروف بالملوكي ، والمصنف ، في شرح تصاريف ابي عثمان المازني ، والعروض ، وسر الصناعة ، والخصائص ، والتعاقب ، والمعرّب في شرح القوافي ، والتنبيه في شرح الحامسة ، والقام في شرح الحامسة ، والقام في شرح اشعار الهذليين ، وكتاب المسائل الخاطرات .
- وشرح ديوان المتنبي . وكلها من مؤلفات ابن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ
- قال ابن خير : حدثني بذلك كله ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن معمر ، عن ابي بكر المصحفي عن ابي الحسن التبريزي بسنده ... عن ابن جني . (٢٩٦)
- الفصوص في اللغات والأخبار ، لابي العلاء صاعد بن الحسن الموصلي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ رواه ابن عطية الغرناطي ، عن ابي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (٢٩٧)
- عن ابي مروان بن حيان (٢٩٨) . ورواه القاضي عياض ، عن ابن عتاب عن ابن حيان أيضاً (٢٩٩) . وبهذا الطريق رواه ابن خير (٣٠٠) .
- شعر ابن حجاج البغدادي سمعه ابن خير عن شيخه ابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن معمر عن ابي بكر المصحفي عن ابي العلاء صاعد الموصلي البغدادي عن قائله . (٣٠١)
- شعر ابن سكرة الهاشمي حمله ابن خير بالسند المتقدم . (٣٠٢)
- قال ابن خير : « وكان ابن سكرة هذا وابن

ومن المرويات الأخرى

أحاديث نبوية رويت عن علي بن حرب الموصلي وحدث بها بسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حمل بعضها ابو القاسم السبتي ^(٣١١) التجيبي

وحدث ابو الدرياقوت بن عبدالله :

بما كان يحفظ من الأحاديث النبوية ، وسمع بعضها العبدري صاحب الرحلة المغربية عن شيوخه عن ابي الدر بسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وروى العبدري عن شرف الدين الدمياطي ^(٣١٢)

ماروي عن مالك بن أنس بشأن الاخبار عن مولد الشخص او سنه ، وحدثه به عن شيوخه بأسانيدهم عن ابي سعد عبدالله بن ابي عصرون الموصلي ، عن ابي عبدالله الحسين بن نصر بن محمد ابن خميس بسنده عن .. عن الامام مالك بن انس ^(٣١٣).

وسمع العبدري من شيوخه ما كان ينشده أبو الفداء الموصلي ويتمثل به في مجالس وعظه ، وحدثوه عن ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالحجيد الصفراوي عنه ^(٣١٤).

وروى ابو القاسم السبتي قول المعافي بن عمران : « عز المؤمن استغناؤه عن الناس ، وشرفه قيامه بالليل » عن شيخه شرف الدين الدمياطي لقيه بالقاهرة وحدثه عن شيوخه بأسانيدهم عن عن المعافي ^(٣١٥).

وحمل القاضي عياض السبتي قول ابن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ ، في الناس ، والزهاد والغوغاء من الناس ، استفادها من ابي الطاهر السلفي اجازته ، وحدث بها عن شيوخه بأسانيدهم عن محمد بن هارون الموصلي عن ابن خلاد عن ابن المبارك ^(٣١٦).

حجاج المتقدم الذكر صاحبين لصاعد ببغداد ايام حداثتها ^(٣١٣)

- القصيدة النيمة . ^(٣١٤) « هل بالطلول لسائل رد »

رواها ابن خیر عن بعض شيوخه بأسانيدهم عن ابي العباس احمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالاخفش ، قال أنشدني جماعة عن ابي بكر بن دريد عن حاتم السجستاني عن الأصمعي وابي عبيدة . ^(٣١٥)

- القصيدة الدامغة ؛ انشاء ابي بكر محمد بن عبدالله بن عبدالخالق الحمراوي المصري رواها ابن خیر عن ابي الطاهر السلفي اجازته قال : انشدناها علي بن الحسين بن عمر بن الفراء الموصلي بمصر قال : انشدنا ... الحمراوي . ^(٣١٦)

ومن كتب الروايات

- وصية المعافي بن عمران المتوفى سنة ١٨٤ هـ سمعها ابن خیر عن ابن عتاب بسنده ... عن المعافي . ^(٣١٧)

ومن كتب السير

سيرة ابن اسحاق ، تهذيب ابن هشام سمعها ابو القاسم السبتي عن بعض شيوخه بمصر وحدثه بها بسنده عن ابي محمد عبدالله بن رفاعة السعدي عن ابي الحسن الخلعي بسنده المتصل عن ابن هشام بسنده عن ابن اسحاق . ^(٣١٨) ورواها الواد آشي ، بسنده عن ابن رفاعة عن ابي الحسن الخلعي بسنده السابق . ^(٣١٩) قال ابو القاسم السبتي : « هذا استاد عال عدّة في كتب السيرة ، ورجاله كلهم مشهورون بالثقة والعدالة . » ^(٣٢٠)

كثيراً ومنها مثلاً كتاب : فضيلة من اسمه محمد
واحمد المار ذكره (٣١٩) .

مقاله العلماء والرحالة المغاربة والانديليسيون في الموصل :

مما يجعل بنا في هذا البحث ، الا يخلو من
بعض النصوص التي قالها العلماء والرحالة المغاربة
والانديليسيون في الموصل التي استقبلتهم فوجدوا فيها
بيئة علمية واجتماعية مرموقة ، فاقت بحسن معانيها
غيرها من المدن وطالت ، لاتتشدها ضالة من العلم
الا وجدت ، ولا تلتبس فيها بغية معوزة الا
استفدت ، فكانت محط الرحال من الغرب
والشرق .

قال الوزير ابو القاسم المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ
« وردت الموصل ... فوجدت هواءها يعطل سوق
بقراط اعتدالاً وطيبة ، وماءها يُسلي عن مُجّاج
النحل استمراءً وعذوبة ، وصقعتها قد تبغدد رقة
ولطفاً ، وجوها قد تزندق تنعماً وظرفاً ، تكاد تُثقله
عقود الغانيات ، ويخجله تتابع اللحظات ، كل
شماله نسيم ، وكل جنوبه حياً عميم ، ورأيت أرضها
أطيب الارض خيماً ، وازينها أديماً ، تنسج
بالسندس الأخضر ، وتفتّر عن الاقحوان الاحمر
والفيت بانيانها هو الذي حمده الله في تنزيله ،
وأحبه لنا أن نكون مثله جهاداً في سبيله مرصوصاً
بوقّاح الجلمد ، ملائماً بينه بالشيد الممرد ، قد
حُصن ظاهره على باطنه عن تداخل الأبر ،
ومساكن الدّر ، يزل عنه ظفر الطائر ، وتندرج
عليه أهداق الناظر ، وتغني به العروس عن الماوي
المير ، وتستبين به الجفون منابت الشكير من
اهدابها والغمير ، متلاقية أقطارها على رجال كأنهم
أنسلأ عاد وثاقه اجسام ، وصلابة احلام وبعد
مرام ، لطفوا عن بدوية الشام وغلظته ، وجمدوا
عن ذوب العراق وخلابته ، قد عُقدت ألسنتهم

مرويات تقع في عداد الاخبار والقصص
والحكايات المتنوعة الأغراض رروها كما تلقوها
بأسانيدها دون زيادة او نقصان ، من غيرما تعليق او
تعقيب على ما هو غريب او عجيب في بابها ، وهم في
ذلك متبعون اثر العلماء الذين كانوا يحثون على تزيين
بجالسههم العلمية ، وتحليلتها بمثل هذه المرويات
وغيرها (٣١٧) ، يحذوهم بها اتصال سندها وعلوه
تارة ، والتبرك بأصحابها تارة اخرى ، ومن هذه
المرويات مارواه ابن رشيد السبتي بسنده عن
احوال ابي الحسن الخلعي الموصلي نزيل القاهرة ،
من كونه يحكم بين الجن ، وأنهم ابطأوا عليه قدر
جمعة وعندما سألهم عن ابطائهم قالوا كان في بيتك
شيء من الاترج ونحن لاندخل مكاناً يكون فيه .
وذكروا عنه ايضاً انه كان لا يحس ببرد في الشتاء ،
ولا بحر في الصيف ويكتفي بقميص واحد طيلة
فصول السنة ، وقيل ان ذلك كان لرؤيا
رآها (٣١٨) ...

وروي ابو القاسم السبتي التجيبي بسنده عن
شيوخه ببجاية عن ابن بشكوال بسنده عن ابي
نصر احمد بن الحسين الشيرازي عن ابي نصر
احمد بن عبد الباقي بن طوق لقيه بالموصل وقرأ عليه
وحدثه بسنده عن شيوخه عن ... عن سفيان
الثوري ، وحدثه مع احد حجاج البيت وما لمسه
من بركة الدعاء داخل البيت الشريف في رواية
طويلة لم يغفل أبو القاسم السبتي التجيبي منها
شيئاً (٣١٩) .

هذه امثلة لهذه المرويات ، وما اسقطناه كثيراً
جداً ، حمل عن العلماء ودون في مؤلفاتهم ولا
يتحمل مافي متونها راو بعينه ، وانما هي سلسلة من
الرواة تطول اسانيدهم بتقادم الزمن ، غابتها
لا تختلف كثيراً عن غاية احاديث الفضائل التي
كانت تروى عن القوي والضعيف ويتساهلون فيها

الاختصار .

وعن مدارسها ، قال : « وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة ، فتلوح كأنها القصور المشرفة » .

وخص أهلها بقوله : « وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة ، يستعملون أعمال البر ، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة ، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم ، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم » (٣٢٢) .

وكان دخول ابن جبير مدينة الموصل يوم الثلاثاء الثالث والعشرين لصفر سنة ٥٨٠ هـ ومكث فيها أربعة أيام .

وزار ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (كان حيا سنة ٧٥٤ هـ) مدينة الموصل سنة ٧٢٧ هـ على الأكثر ، واثني عليها كثناء ابن جبير (٣٢٤) .

الهوامش :

- (١) عن أنواع الرحلات ، ينظر : الأكسيري في فكك الأسير ، لمحمد ابن عثمان الكناشي ، تحقيق محمد القاسي ، الرباط ، ١٩٦٥ ، مقدمة المحقق ، ص : ٨ وما بعدها . جعفر حسن صادق : الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق ، رسالة ماجستير ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٨٥ ورقة : ١٤ وما بعدها .
- (٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط ٢ بيروت ، ١٩٦٢ ص ٣ .
- (٣) الحاكم ، معرفة علوم الحديث : تحقيق معظم حسين ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١٤ .
- (٤) الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية : حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٦ .
- (٥) ابن حنبل ، المسند : تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ١٩٤٧ ٢ / ٢٩ ، وينظر : مسلم ، الصحيح : مصر ١٣٢٩ ، ٨ / ١ .
- (٦) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث : ط ١ ، مصر ١٣٢٦ هـ ، ص ٤٩ .
- (٧) الخطيب البغدادي ، الكفاية : ص ٢٦ .
- (٨) ابن قتيبة ، المصدر السابق : ص ٤٨ .
- (٩) ينظر : صحيح مسلم : ١ / ١٠ .
- (١٠) عثمان سرياني ، منج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الاولاني ، ط ٢ ، الاسكندرية ١٩٧٦ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

بالصدق ، فيما يثر الباطل من غدباتها ، وصحت غرائسهم في المودة فيما يجتني العذر من ثمراتها ، إن سلماً فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليس الاخلاق ، ولا تمويه النفاق وشعراؤهم ملء اليلدين ، وكتائبهم أثربعد عين ، أديهم حسن على قلة الملوكي فيه ، وعلمهم مُتَقَنَ لمن تأمل ادقَّ مسرب في فتنَ معانيه ، قد محص تهذيب المحن شرارهم وأوهم خييارهم ، بلدهم أطلال ، وأحوالهم آل ، قورهم يثن ضعفاً ، وضعيفهم يماطل حتفاً ، بقيت عليهم أثمان النعم وذهب الدهر بأجسامها ، وانجلت عنهم ظلل المحن وهم يتأوهون من غير الآلما ، إلا أن فيهم بقية نقية وفيهم موضع تدارك إن رزقوا سيرة مرضية » (٣٢٠) .

ووصفها ابن سعيد ، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الغرناطي المتوفى في الربع الأول من القرن السابع الهجري بقوله :

« مدينة عليها رونق الأندلس ، وفيها لطافة ، وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس » (٣٢١) .

وقال ابن جبير ، محمد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤ هـ في رحلته :

« هذه المدينة عتيقة ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله ... وللبلدة ريش كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق وأحدث فيه بعض امراء البلدة .. جامعاً على شط دجلة ما أرى وضع جامع أحفل منه ، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش في الآجر ، وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ، ويطيف به شبابيك حديد ، تتصل بها مصاطب تُشرف على دجلة لامقعد أشرف منها ولا أحسن ، ووصفه بطول ، وإنما وقع الالماع بالبعض جرياً الى

المقري، النفع ، ٣ / ١٦٨ و ١٧٠ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٨٥ .
(٢٩) ينظر ج ٢ و ج ٣ .
(٣٠) ترجم له ابن خلكان : ٥٣ / ٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية
ط ٢ ، الحسينية : ٢٣٧ / ٤ ، الاسني ، طبقات الشافعية
تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ٢ / ١٩٣ ،
الذهبي ، العبر : ٤ / ٢٥٦ ، ودول الاسلام ، تحقيق فهم
شلتون القاهرة ، ١٩٧٤ ، ٢ / ٩٧ ، البغدادي ، هدية
العالمين ط ، اسطنبول ، ١٩٥٠ ، ١ / ٤٥٧ ، ابن الجزري ،
غاية النهاية ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ١ / ٤٥٥ .

- (٣١) الاسني ، ١٩٤ / ٢ .
(٣٢) وفات الأعيان ، ٥٣ / ٣ .
(٣٣) ترجم له ، ابن الشعار في العقود : ج ٤ ورقة ٤ أ .
ابن القوطي ، مجمع الاداب في معجم الاقناب ، ١ /
٥٨٨ ، تحقيق مصطفى جواد ، ط ١٩٦٧
(٣٤) ترجم له ، ابن الشعار : ج ٣ ورقة ٢٦٤ أ .
(٣٥) ترجم له الاسني ، ١٩٦ / ٢ ، ابن تقي بردي ، المنيل
الصافي تحقيق احمد نجاتي القاهرة ، ١٩٥٦ ، ١ / ٣١٦ .
(٣٦) ترجم له ، ابن خلكان : ٢٠٣ / ٧ ، الاسني ، ٥١٣ / ١ ،
الحنبل ، شذرات الذهب ، طبعة القدسي ، ٤ / ٣٣٦ ، ابن
كثير ، البداية والنهاية ، ط ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ١٣ / ٣٣ ،
ابوشامة ، الذيل ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣١ .
(٣٧) ترجم له ، ابوشامة ، الذيل على الروضتين : ط ٢ ، بيروت ،
١٩٧٤ ص ١٣٦ مجر الدين الحنبل ، الانس الجليل ، بيروت ،
١٩٧٣ ، ٢ / ١٤٦ .
(٣٨) ترجم له ، ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٣٤٩ ، ابن خلكان :
٧ / ٨٤ ، السبكي ، ٥ / ١٥١ ، الاسني ، ٢ /
١١٥ ، ابو شامة : ص ١٦٣ ، الذهبي ، معرفة القراء :
تحقيق محمد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٢ / ٤٩٤ .
(٣٩) ابن خلكان ، ٨٩ / ٧ ، ابن الشعار : ج ١٠ ورقة ٣٤٩ .
(٤٠) وفات الأعيان ، ٨٩ / ٧ ، ٩٠ .
(٤١) ترجم له ، ابن خلكان ، ٤٦ / ٧ ، ابن الشعار : ج ١ ورقة
٢١٥ ، السبكي ، بقية الوعاة : تحقيق محمد ابو الفضل
القاهرة ، ١٩٦٤ ، ٢ / ٣٥١ ، الفيروز آبادي ، البلغة :
تحقيق محمد المصري ، دمشق ، ١٩٧٢ ص ٢٨٩ ، الحنبل ،
شذرات ، ٥ / ٢٢٨ .
(٤٢) ابن خلكان ، ٥٢ / ٧ .
(٤٣) ترجم له ، ابو شامة ، الذيل : ٢٣٢ - الكبي ، عيون
التواريخ : ، تحقيق فيصل السامر . ط ، بغداد ، ١٩٨٠ ،
٣١٥ / ٢ .
(٤٤) ابن تقي بردي ، المنيل ، ٨٤ / ١ .
(٤٥) ترجم له : السبكي : ٥٧٢ / ٥ ، الاسني : ١ / ٢٨٤ .
الذهبي ، العبر : ٤٠ / ٥ ، الحنبل ، شذرات : ٤٤٩ / ٥ مجر
الدين ، الانس الجليل : واسمه عبد الرحمن .
(٤٦) ترجم له ، ابن حجر ، الدرر الكامنة : ٣٠٦ / ٤ ، ونبأ النمر
تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١ / ٥٢ ، البغدادي ،

- (١١) الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين : ط ١ ، القاهرة ،
١٩٦٣ ص ١٨٧ وما بعدها .
(١٢) مسلم ، المصدر السابق : ١١ / ١ ، وينظر ، ابن حجر ، هدى
الساير : ط السلفية ، مصر ١٣٨٠ هـ . ١ / ٦
(١٣) مسلم ، المصدر السابق : ١١ / ١ .
(١٤) مسلم : ١٧ / ١ ، وينظر : ابن خير ، فهرسة شيوخه : تحقيق
فرنشكة قدادة زبدن ، سرقسطة ، ١٨٩٣ م . ١٢ ص .
(١٥) ينظر : ابن ابي حاتم ، مقدمة المرقاة : حيدر آباد ، ١٩٥٢ ، ص
٢٦٢ ، الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث
ط ١ ، ١٩٧٥ ، ص ١١٨ و ٢٠٧ ، وأماكن أخرى ،
الذهبي ، تذكره الحفاظ ط ٣ ، حيدر آباد ١٩٥٨ - ١٩٥٨ / ١ ، ٢٧٤ .
ابن عساکر ، تهذيب تاريخ دمشق : ط ٢ ،
١٩٧٩ ، بيروت ٦ / ٢٤٠ ، ابن عبد البر ، جامع بيان العلم
وفضله : ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ١١ / ١ وما بعدها .
(١٦) ينظر ، الخطيب البغدادي ، الكفاية : ١٨٤ وما بعدها ،
القاضي عياض ، الامالغ الى معرفة اصول الرواية وتقليد الساج :
تحقيق احمد صقر ، ١٩٧٠ ص ٦٩ وما بعدها ، ابن الصلاح ،
المقدمة : مطبعة السعادة ، ط ١ ، ١٣٢٦ هـ . ص ٥٠ وما
بعدها .
(١٧) ينظر ، ابن خلكان : وفات الأعيان : تحقيق احسان عباس ،
دار الثقافة ، بيروت ٢ / ٤٠٩ و ٣ / ٣١٠ ، جعفر حسن ،
المصدر السابق : ورقة ٢٨ وما بعدها .
(١٨) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله : ١١٣ / ١ القاضي
عياض ، الغنية وفهرسة شيوخه : تحقيق ماهر جزار ، بيروت ،
١٩٨٢ ص ١٥٤ .
(١٩) ابن خلدون ، المقدمة : طبعة ابن شقران ، مصر ، ص ٤٠٦ و
٤٠٧ .
(٢٠) ينظر مثلاً : ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة : تحقيق
احسان عباس ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ٦ / ١١٤ .
(٢١) ينظر على سبيل المثال : ابن الفريسي ، تاريخ علماء الأندلس :
ط ١ ، الدار المصرية ، ١٩٦٦ ، ١ / ١٢ و ٩٢ و ١٢٤ و ٢ /
٢٠٧ و ١٩٣ ، وابو العرب ، طبقات علماء افرقية وتونس ط ٢
الدار التونسية ١٩٦٨ ، ١٣ و ١٦٨ واماكن اخرى .
المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ط ١ / ١٩٥١ .
١ / ٦٢ و ١٧٢ و ١٩٨ . الديباغ ، معالم الامان تحقيق
ابراهيم شيخ ، مصر ١٩٦٨ ، ٢ / ٧ و ٩٥ و ٢٢٠ .
(٢٢) المقري ، نفع الطيب : تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨
٣ / ١٦٥ .
(٢٣) المقري ، المصدر السابق ، ٣ / ١٥٥ .
(٢٤) المقري : المصدر السابق ، ٣ / ١٥١ .
(٢٥) المقري : نفسه ، ٣ / ١٥٣ .
(٢٦) المعجب في تلخيص اخبار المغرب : ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٩
ص ٣٥٨ .
(٢٧) امين ، ظهر الاسلام : ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ٣ / ٢٥ .
(٢٨) ينظر : ابن الفريسي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١ / ١٣٠ ،

- (٦٩) ترجم له الحميدي جذوة المقتبس : ط مصر، ١٩٦٦ ص ٢٤٠
الضي، بنية المتنس، ط، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٩ ابن
بشكوال، الصلة : ط القاهرة، ١٩٦٦/١ ٢٣٧ ابن خلكان،
وفيات : ٢/ ٤٨٨ السيوطي، بنية الوعاة : ٢/ ٧، ابن
بسم، الذخيرة، تحقيق احسان عباس، ط ١، بيروت
١٩٧٩، ق ٥٤ ج ٨/ ١. القرى، نفع : ٣/ ٧٦. الفيروز
آبادي : البلغة : ٩٧.
- (٧٠) الحميدي المصدر السابق : ٢٤٠، الضي، المصدر السابق :
٣١٩.
- (٧١) ابن بشكوال، المصدر السابق ٢٣٧ و ٢٣٨.
- (٧٢) ابن بشكوال : ٢٣٨/١ وينظر ميحث ماحله ورواه اهل
المغرب والأندلس عن علماء الموصل - علوم العربية وآدابها -
- (٧٣) حسين بن وليد بن نصر، يكتفى ابا القاسم ويعرف بابن العريف
من اهل قرطبة، واحد علماء النحو بها توفي سنة ٣٩٠ هـ.
ينظر، ابن الفريسي، تاريخ علماء الاندلس، ط، مصر،
١٩٦٦/١ ١١٤.
- (٧٤) ينظر، مثلاً، ابن بسم، الذخيرة، ق ٤ ج ١/ ١٥، و
١٧، ٣٢٢، السيوطي، بنية الوعاة : ٨/ ٢. القرى، نفع :
٣/ ٧٦، ٧٨ و ٩٨.
- (٧٥) ابن بشكوال : الصلة : ١/ ١٠٠.
- (٧٦) والمذكور من اهل مصر دخل الاندلس سنة ٣٥٦ هـ واخذ
باشيلية عن ابن بكر الموصل كتاب الضعفاء وبه حدث حتى
وفاته باشيلية سنة ٤٢١ هـ.
- (٧٧) ترجم له، الغبريني، عنوان الدراية : تحقيق عادل نوهض ط
١، ص ١٧٨ - ١٧٩.
- (٧٨) الغبريني، عنوان الدراية : ١٨٠.
- (٧٩) ابن القوطي، مجمع الاداب، في معجم الاقارب، تحقيق
مصطفى جواد ق ١ ص ٦٦.
- (٨٠) ترجم له، المنذري، التكملة، ٤/ ٦، السبكي : ١٣٢/ ٥،
الاستوي : ١/ ٢٧٣ ابن ابي اصيبعة : ٦٨٣، الكشي،
فوات : ٧/ ٢. القفطي، انباه الرواة : تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٢، ٢/ ١٩٣. السيوطي، حسن
الماضرة : ١/ ٥٤٨. والبخية : ٢/ ١٠٦، الحنبلي، شذرات :
٥/ ١٣٢. البندادي، هدية : ١/ ٦١٤.
- (٨١) ابن ابي اصيبعة : ص ٦٨٣.
- (٨٢) المنذري : ٤/ ٢٧٧، ابن ابي اصيبعة : ص ٦٨٣.
- (٨٣) المنذري : ٤/ ٢٧٧.
- (٨٤) ابن ابي اصيبعة : ٦٨٣، الاستوي : ١/ ٢٧٤ وفيه : وانه
كان يحط كثيراً على مصنفات الشيخ شهاب الدين السهروردي
- (٨٥) ابن ابي اصيبعة : ٦٨٣ و ٦٨٥.
- (٨٦) ينظر، ابن خلكان : وفيات : ٤/ ٤٣٦، ابن ابي اصيبعة :
٥١٧، عتار، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،
ط ١، القاهرة ١٩٦٤، ق ١ ص ٤٧٣.
- (٨٧) ابن ابي اصيبعة : ٥١٩.
- هدية : ١٦٦/٢، الحنبلي، شذرات : ٦/ ٢٣٦، الداودي،
طبقات القسرين : ٢/ ٢٣٩.
- (٤٧) ترجم له، مجير الدين، الانس الجليل : ٢/ ١٦٤،
البندادي، هدية : ٢/ ١٧٥.
- (٤٨) مجير الدين، الانس : ٢/ ١٦٤.
- (٤٩) ابن ابي اصيبعة، عيون الابناء : ٦١٣ و ٦١٤.
- (٥٠) ترجم له، ابن خلكان : ٣/ ٣١٧. السبكي : ٥/ ٢٥٣.
الاستوي : ١/ ٤٧٩. الذهبي، المير : ٣/ ٣٣٤،
السيوطي، حسن الماضرة : تحقيق محمد ابو الفضل، ط
١، القاهرة ١٩٦٧/١ ٤٠٤. البندادي، هدية : ١/ ٦٩٤.
والخطمي : نسبة الى بيع الخلط، لانه كان يبيع الخلط لاملالك
وامراء مصر فاشتهر بذلك وعرف به. قاله ابن خلكان،
والاستوي.
- (٥١) الاستوي : ٤٧٩/١، السيوطي، حسن الماضرة : ١/ ١٠٤.
- (٥٢) هو : ابراهيم بن سعيد بن عبدالله ابراسحاق المصري، حافظ
مصر، توفي سنة ٤٥٢ هـ. ينظر، الذهبي، تذكرة : ٣/ ١١٩١.
- (٥٣) عياض، الغنية : تحقيق ماهر جزار، بيروت، ١٩٨٢، ٦٧.
- (٥٤) البندادي : هدية : ١/ ٦٩٤.
- (٥٥) الاستوي : ٢/ ٤٤٣.
- (٥٦) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق : ٥/ ٢١٤.
- (٥٧) ترجم له الاستوي : ٤٤٣/٢. الصفدي، الوافي بالوفيات : ٤/ ١٧١.
- (٥٨) قال المنذري : وله فيه وهم ظاهر، ينظر الاستوي : ٢/ ٤٤٣.
- (٥٩) ترجم له : ابو شامة، الذيل : ١٦٢، الاستوي : ١/ ٤٩٩.
البندادي : هدية : ٢/ ١١٣.
- (٦٠) البندادي، هدية : ٢/ ١١٣.
- (٦١) ترجم له : السبكي : ٥/ ١٥١، الاستوي : ٢/ ١٩٦.
- (٦٢) ترجم له، الكشي، فوات الوفيات، تحقيق محمد مجي الدين،
مصر، ١٩٥١/٢ ١٢١ البندادي : بهدية : ١/ ٧١١ وينظر،
الدواني، عبد الوهاب، الادب في ظل الدولة الزنكية، كتاب مطبوع.
على الآلة الكاتبة ورقة : ٥٦.
- (٦٣) ابن ابي اصيبعة، عيون : ص ٥٤٩.
- (٦٤) القاضي، القدامين : تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٤/٣ ٣٠٦.
- (٦٥) القدامين : ٣/ ٤١٧.
- (٦٦) ترجم له، القاضي، القدامين : ٣/ ٢٤٩، السخاوي،
الفقه اللاع : ١٣٧/١ طبعة القدسي.
- (٦٧) خليل بن اسحاق بن موسى، من شهر علماء المالكية في زمانه
توفي سنة ٧٧٦ هـ وقيل غير ذلك. ينظر نيل الابتناج لاحمد
بابا، تحقيق، ناطق صالح مطلوب، رسالة ماجستير، جامعة
مين شمس/ كلية الآداب ١٩٧٣ ورقة ٣٠٥ و ٣١٠، ابن
فرحون الديناج المذهب : ١/ ٣٥٧ ابن حجر، البرر الكامنة،
١٧٥/٢.
- (٦٨) ينظر، نيل الابتناج، ورقة : ٣٠٨.

(١١٧) ينظر، الذهبي، معرفة القراء: ٥٨١/٢، دول الاسلام، ٢٠٠٨. بروكلمن، المرجع السابق، ٣١٤/٣.

(١١٨) ينظر: ابن المستوفي، تاريخ اربل، ٦٣/١، ابن الابار، التكله، ط ٢ المطار، ١٩٥٦، ٩٦/١، مطلوب، فهارس شيخ العلماء، ورقة: ٣٧٤.

(١١٩) ينظر: مثلاً، ترتيب المدارك تحت عنوان: ... اهل العراق (١٢٠): ترجم له، عياض، ترتيب المدارك: تحقيق احمد اعراب، نطوان، ١٩٨٣، ١١٧/٨، ابن بشكوال، ٢٠٠/١، ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ٢٥٠/٩، ابن خلكان: ٤٠٨/٢، الضبي، بقية الملتقى: ص ٣٠٢، الكشي، قوات الوفيات، ٦٤/٢، ابن بسم، الذخيرة: ق ٢ ج ١/٩٤، ابن فرحون، الديباج، ٣٧٧/١، الذهبي، تذكرة: ١١٧٩/٣، المقرئ، فتح، ٧١/٢. (١٢١) ترجم له، النجاني في رحلته: ط ١، تونس، ١٩٥٨، ص ٣٧١.

(١٢٢) ابن الشعار، المعقود، ج ٥ ورقة ١٤٣ ب.

(١٢٣) منهم: ابو الفضل بن عروس، امام المالكية، وابو الطيب الطبري، رئيس الشافعية والصميري امام الحنفية. ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ١١٨/٨، ابن بشكوال، الصلة، ٢٠١/١.

(١٢٤) اسمه: محمد بن احمد بن محمد، قاضي الموصل، وعالم من العلماء المشهورين بها. ينظر: ابن قطلوبغا، تاج التراجم: ط ١ بغداد، ١٩٦٢، ص ٦١.

(١٢٥) ابن بشكوال، ٢٠١/١، ابن خلكان، ٤٠٩/٢.

(١٢٦) عياض، ترتيب، ١١٨/٨، ابن فرحون، ٣٧٨/١.

(١٢٧) المقرئ، فتح، ٧١/٢.

(١٢٨) الذهبي، تذكرة، ١١٧٩/٣.

(١٢٩) عياض، ترتيب: ١١٩/٨، وينظر، ابن عساكر: ٢٥٠/٦.

(١٣٠) تاريخ الادب العربي، ٢٦٨/٣.

(١٣١) رحلة النجاني: ص ٣٦٩.

(١٣٢) عقود الحماة، ج ٥ ورقة ١٤٣ ب وما بعدها.

(١٣٣) على سبيل المثال، ينظر: ابن الابار، التكله، ٢٦/٢٢ و ٣٢ و ٥٧ و ٥٩ و ٦١ و ٧٤ و ٨٢ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٢ و ١٠٤ و ١٤٧ و ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦١ و ١٨٦ و ٢١٧ و ٣٢٥ و ٤٠٦ و ٥٥٩ و ٥٦٩ و ٧١٣ و ٧١٨ و ٧٢٢ و ٧٣٥ و ٧٣٧. مطلوب، فهارس شيخ العلماء: ورقة ٣٦٦ وما بعدها.

(١٣٤) الخطيب البغدادي، ٢٢٦/١٣، الذهبي، تذكرة: ٢٨٧/١، السيوطي، طبقات الحفاظ: تحقيق علي همد، عمر، ط ١، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٢٠، الحنبلي، شفرات: ٣٠٨/١، الخزرجي، خلاصة تذهيب الكمال: ط ١ مصر ١٣٢٢ هـ، ص ٣٢٥.

(١٣٥) ترجم له، الذهبي، تذكرة: ٣٥٢/١، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ١٥١. الخزرجي، خلاصة تذهيب الكمال: ص ٢٦٧.

(١٣٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤/٥.

(٨٨) الغبريني، عنوان الدراية: ١٤٤.

(٨٩) ابن ابي أصيبعة: ٦٩١.

(٩٠) عين الانباء: ٦٩٣-٦٩٦، وينظر، الاستي: ٢٧٤/١.

البغداد، هدية: ٦١٤/١.

(٩١) ترجمه له، المنذري، التكله ١٣٢/٤، ابن خلكان: ٣/٣٤٦، الغبريني. عنوان الدراية: ١٨٠، ابن المستوفي، تاريخ اربل: تحقيق سامي الصفار، بغداد، ١٩٨٠، ١/١٥١، الحنبلي، شذرات، ٤٩/٥، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات: ١٦٣.

(٩٢) المنذري: ١٣٢/٤.

(٩٣) ينظر: ط، دمشق ١٩٥٣، ص ١ و ٢.

(٩٤) هو: علي بن احمد بن الحسن الحرالي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، ينظر: عنوان الدراية: ١٤٣.

(٩٥) عنوان الدراية: ١٨٠-١٨٢.

(٩٦) على سبيل المثال، ينظر، المنذري، التكله: ٤٤/٦، ابن خلكان: ٣١٦/٤، رحلة النجبي السبي، مسفاد الرحلة والاعتراب: تحقيق عبدالحفيظ منصور، ط ١، ١٩٧٥، ص ٣٩-٤٢، و ١٤٦-١٥٠ و ٣٨٢.

(٩٧) ابن ابي أصيبعة: ٤١١ و ٤١٢.

(٩٨) المقدمة: طبعة ابن شقرون، مصر. ص ٣٩٦.

(٩٩) القاضي عياض، ترتيب المدارك: تحقيق عبدالقادر الصحراري، الرباط، ١٩٦٨، ٨٤/٣.

(١٠٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك: ٦٧/٣ و ١٠٢ و ٢٩٦.

(١٠١) القاضي عياض، ترتيب المدارك: ١٩٩/٣.

(١٠٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك: ١١٦/٣ و ١٢٦ و ٣٧٩.

(١٠٣) ابن خلدون، المقدمة: ٣٩٦.

(١٠٤) مطلوب، ناطق صالح، فهارس شيخ العلماء في المغرب والاندرلس حتى القرن العاشر الهجري، رسالة دكتوراه، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة عين شمس، كلية الاداب، ١٩٧٨ ورقة: ٣٧١.

(١٠٥) مطلوب، فهارس شيخ العلماء، ورقة ٣٧١-٣٧٤.

(١٠٦) احمد بابا، نيل الابهتاج: ورقة: ٣٠٨.

(١٠٧) ينظر، الباب الخاص بالمعوم.

(١٠٨) ابن خلكان: ١٧/١، وينظر، السبكي: ٢٣٨/١.

(١٠٩) الاستي: ٨٣/٢ و ٨٤.

(١١٠) ينظر، عبدالجبار حامد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الايبكة، رسالة ماجستير، مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل كلية الآداب- ١٩٨٦: ٢٤٠.

(١١١) بروكلمن، تاريخ الادب العربي: والترجمة العربية: ٣/٢٤٧.

(١١٢) بروكلمن، المرجع السابق، ٢٦٨/٣.

(١١٣) تاريخ بغداد: بيروت، ٣٧٧/٤.

(١١٤) ينظر، بروكلمن، المرجع السابق، ٢٦٩/٣.

(١١٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٨٥/٣.

(١١٦) تاريخ بغداد، ١١٢/٥، وينظر، الذهبي، تذكرة: ٧٨٥ و ٧٨٦/٣.

(١٣٧) ترجم له، الذهبي، تذكرة، ٤٩٤ / ٢، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٢١٥. الخزرجي، خلاصة: ص ٢٩٥.

(١٣٨) ترجم له، الذهبي، تذكرة، ٥٣٥ / ٢، البغدادى، هدية: ٢٥٥ / ١، وعن نسبه، ينظر التجميع السني، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ منصور، تونس، ١٩٧٥، ص ٦٧.

(١٣٩) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ١١٠ / ٤.

(١٤٠) ترجم له، الذهبي، تذكرة، ٨٨٩ / ٣.

(١٤١) ترجم له، الذهبي، تذكرة، ٧٠٧ / ٢، والعبر: ٢ / ١٣٤، ودول الاسلام: ١ / ١٨٦، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٣٠٦. البغدادى، هدية، ٥٧ / ١.

(١٤٢) الذهبي، تذكرة، ٢٠٧ / ٢، السيوطي، طبقات: ص ٣٠٦.

(١٤٣) هو: الحسين بن علي، احد جبهة الحديث في الحفاظ والاتقان مع ابويعل وحمل عنه، توفي سنة ٣٤٩ هـ، تذكرة الحفاظ، ٩٠٣ / ٣.

(١٤٤) احمد بن محمد بن حفص، توفي سنة ٣١٧ هـ، تذكرة الحفاظ، ٧٩٨ / ٣، والعبر، ١٦٩ / ٢٠.

(١٤٥) ابو العباس الشيباني، الحسن بن سفيان بن عامر، توفي سنة ٣٠٣ هـ.

التذكرة، ٧٠٣ / ٢، العبر، ١٢٤ / ٢.

(١٤٦) الذهبي، التذكرة: ٧٠٨ / ٢، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٣٠٦.

(١٤٧) ترجم له، الذهبي، تذكرة، ٨٩٤ / ٣، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٣٦٦. البغدادى، هدية، ٥٣٦ / ٢.

(١٤٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٣ / ٢، الذهبي، تذكرة، ٩٦٧ / ٣، والعبر: ٣٦٧ / ٢، السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٣٨٦. البغدادى، هدية، ٥٠ / ٢.

(١٤٩) ترجمه له، ابن خلكان، ١٤١ / ٤، ابن الشعار، العقود ج ٦ ورقة ١٥ السبكي، ١٥٣ / ٥، الاستوي، ١ / ١٣٠، ابن كثير البداية والنهاية، ٥٤ / ١٣، الذهبي، دول الاسلام، ١١٣ / ٢، الخليل، شلوات، ٥ / ٢٢، السيوطي، بنية الوعاة، ٢٧٤ / ٢، البغدادى، هدية: ص ٢ / ٢.

(١٥٠) ابن القري، تاريخ علماء الاندلس، ٩١ / ١، الحميدي، الجلاء: ص ١٧٧، الفسي، البنية: ص ٢٤٥، ابن بشكوال، الصلة، ١١٦ / ١.

(١٥١) ابن القري، ٩٢ / ١.

(١٥٢) ابن القري، تاريخ علماء الاندلس، ٧٨ / ١.

(١٥٣) الحميدي، جلاء القتب: ص ١١، ابن عساكر، تهذيب: ٢٨١ / ٣، وينظر، مطلوب، فهارس شيخ العلماء، ورقة: ٦١.

(١٥٤) ابو العرب، طبقات علماء اريقية وتونس: تحقيق علي الشامي،

تونس، ١٩٦٨، ص ٩٥ و ٩٦، المالكي، رياض النفوس: تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١، ١ / ١٧٢، الدباغ، معالم الايمان، تحقيق ابراهيم شيوخ، القاهرة ١٩٦٨، ٢٥٥ / ١.

(١٥٥) طبقات علماء اريقية وتونس: ص ٩٦.

(١٥٦) ابن القري: تاريخ علماء الاندلس، ٢٧٠ / ١، وينظر، عباس، ترتيب المدارك، ١٢٩ / ٤ - ١٣١.

(١٥٧) ابن الابار، التذكرة، ٩١٨ / ٢.

(١٥٨) ١٣٥٦ / ٤.

(١٥٩) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتذكرة، ٥٦٠ / ١.

(١٦٠) التذكرة، ١٣٩٠ / ٤.

(١٦١) الدباغ، معالم الايمان، ٢٣٥ و ٢٣٤.

(١٦٢) نفع الطيب، ٨ / ٢.

(١٦٣) ابن القري، تاريخ علماء الاندلس: ١٩ / ١.

(١٦٤) ترجم له، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتذكرة: ٥ / ٥٨٢، ابن الابار، التذكرة: ٤٧٤ / ٢، ابن القاضي، جلاء الاقتباس: ط ١، الرباط، ١٠١٩٧٤ / ٢٦٢، القري، نفع: ١٥٦ / ٢.

(١٦٥) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتذكرة: ١٥٨ / ٥.

(١٦٦) عبدالله بن احمد، خطيب المومل وسندها في الحديث بنظر: الذهبي التذكرة: ١٣٤١ / ٤.

(١٦٧) ترجم له ابن خلكان، وفيات: ٨٦ / ٧، ابن الابار، التذكرة: ٩١٨ / ٢.

(١٦٨) ترجم له، ابن خلكان، وفيات: ٨٦ / ٧، ابن الابار، التذكرة: ٥٠١ / ٢، القري، نفع: ١٥٧ / ٢.

(١٦٩) ترجم له ابن الابار، التذكرة: ٦٠٤ / ٢، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل: ٢٩٨ / ٦، الرضي، البرنامج، تحقيق ابراهيم شيوخ، ط ١، دمشق، ١٩٦٢، ص ١١٧.

(١٧٠) ترجم له، ابن الابار، التذكرة: ١٨٥ / ١، القري، نفع: ٦٠٦ / ٢.

(١٧١) ترجم له، ابن الابار، التذكرة: ٦١٣ / ٢، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتذكرة: ٤٤ / ٦.

(١٧٢) ترجم له، ابن الابار: ٦٤٣ / ٢، ابن المستوفي، تاريخ اربل: ١ / ٣٠٠، الذهبي، تذكرة: ١٤٢٣ / ٤، الصفي، الوافي: ٢٥٢ / ٥.

(١٧٣) التذكرة: ٦٤٤ / ٢.

(١٧٤) ترجم له، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتذكرة، تحقيق محمد بن شريفة، ط ١، الرباط، ١٩٨٤، ٨ / ١٦١، الغريفي، عنوان الغرابة، ص ١٣٧، احمد بابا، نيل الانتاج: ورقة: ٦٢٢، ابن الابار، التذكرة: ط ١، جريط ٥ / ٦٨٧، ابن قفط، الوفيات: تحقيق عادل نويهض، ص ٣٢١.

(١٧٥) ابن عبد الملك، الذيل والتذكرة: ٣٣٧ / ٨.

(١٧٦) ترجم له، ابنه محمد الوادعي، في برنامج تحقيق محمد محفوظ، ط ١، ١٩٨٠، ٥٤ ابن القاضي، درة المجال: تحقيق، محمد الأحمدى، ط ١، القاهرة ١٩٧٠، ٣٢ / ١.

(١٧٧) ترجم له، ابن الخطيب السلياني، الاحاطة، تحقيق محمد

عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة ١/ ٣٥٠. والكيفية
الكائنة: تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٦٣ ص ٢٦٠
احمد بابا، تيل الإبتاح: ورقة ٤٨، المقرئ، نفخ: ٧/ ١١١.
(١٧٨) ينظر مثلاً، ابن الأبار، التكلة: ٤٧/ ٤٨ و ٦٢ و ١١١ و ١٢٥ و ٤٤٦ و ٤/ ٩٣٤.
(١٧٩) الذهبي، معرفة القراء: ١/ ٩٠.
(١٨٠) ينظر، الهامش رقم (١٧٨) اعلاه.
(١٨١) الذهبي، معرفة القراء: ١/ ١٣٣.
(١٨٢) الذهبي، المصدر السابق: ١/ ١٧٩.
(١٨٣) الخطيب البغدادي: ٢/ ٢٠١، ابن خلكان، وفيات: ٤/ ٢٩٨، الذهبي، معرفة القراء: ١/ ٢٣٦، تذكرة الحفاظ: ٣/ ٩٠٨. الداودي، طبقات المفسرين: ٢/ ١٣٢.
(١٨٤) الذهبي، معرفة القراء: ١/ ٢٤٥.
(١٨٥) معرفة القراء: ١/ ٤٨٩.
(١٨٦) ينظر، ابن الجزري، غاية النهاية: ١/ ٥٠٤، المقرئ، نفخ: ٢/ ١٣٦.
(١٨٧) ابن خلدون، المقدمة: ٣٥٦، وينظر، مطلوب، فهارس شيخنا العلماء: ورقة ٣٦٣.
(١٨٨) ابن خلكان، وفيات: ٤/ ٧١.
(١٨٩) الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٤٥٨.
(١٩٠) الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٥٣٦، ابن الجزري: ٢/ ٨٠.
(١٩١) ترجم له، ابن خلكان، وفيات: ٦/ ١٧١، ابن سعيد، المغرب: تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ ١/ ١٣٥. الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٤٢٩، ابن الزبير، صلة الصلة: تحقيق برونسال ص ١٧٧، ابن الجزري، غاية النهاية: ٢/ ٣٧٢، السيوطي، بغية الرواة: ٢/ ٣٣٤، المقرئ، نفخ: ٢/ ١١٦. الداودي، طبقات المفسرين: ٢/ ٣٦٨.
(١٩٢) ابن خلكان: ٧/ ٨٤، ابن الشعار، عقود الجمان: ج ١٠ ورقة ١٧٦ أ.
(١٩٣) ابن خلكان: ٦/ ١٧١.
(١٩٤) ترجم له، ابن الأبار، التكلة: ١/ ٩٠، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل: ١/ ٣١٢، الحموي، معجم الأدباء: ٧/ ٢٥٥. الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٤٥٩.
(١٩٥) ترجم له، ابن الأبار، التكلة: ١/ ٢٣، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل: ١/ ٤٥٢،
(١٩٦) ترجم له، ابن الشعار، العقود ج ٦ ورقة ٢٣٩ ب، السبكي: ٨/ ٦٩. الذهبي، المعبر: ٥/ ٢٢٤، الحموي، معجم الأدباء: ١٨/ ٢٠٩، الصنفدي، الوافي: ٣/ ٣٥٤، القاسي، المقدّمين: ٢/ ٨١، السيوطي، بغية الرواة: ١/ ١٤٤.
(١٩٧) الذهبي، معرفة القراء: ٢/ ٥٢٢، ابن الجزري: غاية: ١/ ٢٥.
(١٩٨) وفاته سنة ٦٨٢ هـ، معرفة القراء: ٢/ ٥٥٠ هـ.
(١٩٩) الذهبي، المصدر السابق: ٢/ ٥٢٢.

(٢٠٠) ترجم له، ابن الشعار، العقود ج ٧ ورقة ١٣٩ أ، ولقيه بحلب سنة ٦٣٥ هـ الغبريني، عنوان الدراية: ص ٩٧، الكشي، فوات: ٢/ ٤٧٨، الصنفدي، الوافي: ٤/ ١٧٣، القاسي. العقد الثين: ٢/ ١٦٠ وله فيه ترجمة طويلة المقرئ، نفخ: ٢/ ١٦١.
(٢٠١) ينظر، مطلوب، فهارس شيخنا العلماء، ورقة: ٣٧٦.
(٢٠٢) مطلوب، المصدر السابق: ٣٧٦.
(٢٠٣) ينظر، عبد الجبار حامد، المصدر السابق: ص ١٩٣.
(٢٠٤) وفيات الأعيان: ٣/ ٣٨٣.
(٢٠٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧/ ٥٢ و ٥٣.
(٢٠٦) ترجم له، ابن خلكان: ٦/ ١٩٧، الحموي، معجم الأدباء: ٢٠/ ٣٥.
ابن الشعار، عقود: ج ١٠ ورقة ٤٥ ب وفاته سنة ٦٢٩ هـ
(٢٠٧) ينظر، القيروز آبادي، البلغة: ص ١٩، السيوطي، بغية الرواة: ١/ ٣٠٤ البغدادي، هدية: ١/ ٩٥.
(٢٠٨) هدية المارقين: ١/ ٩٥.
(٢٠٩) وفيات الأعيان: ٣/ ٤٨٨.
(٢١٠) انباء الرواة: ٢/ ٣٧٨.
(٢١١) السيوطي، بغية الرواة: ٢/ ٢٣٦.
(٢١٢) البغدادي، هدية: ١/ ٩٥.
(٢١٣) ترجم له، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/ ١٧٢ ابن بسم، النخبة: ج ٤ ٢/ ٤٧٥ ابن عساكر، تهذيب: ٤/ ١١٢، الحموي، معجم الأدباء: ٩/ ٧٨، الحنبلي، شذرات الذهب: ٣/ ٢١٠.
(٢١٤) النخبة في حسان اهل الجزيرة: ج ٤ ٢/ ٤٧٥ و ٤٧٦.
(٢١٥) ابن بسم، النخبة: ج ٤ ٢/ ٤٧٧.
(٢١٦) وفيات الأعيان: ٢/ ١٧٤.
(٢١٧) بياض في الاصل.
(٢١٨) ابن بسم، النخبة، ج ٤ ٢/ ٤٩٨.
(٢١٩) ابن خلكان، وفيات: ٢/ ١٧٢.
(٢٢٠) ترجم له ابن سعيد، النصوص اليازمة: تحقيق ابراهيم الاياري، ط ٢، دار المعارف، مصر، ص ١٣٨، ورايات البرزين تحقيق النعمان عبد المتعال، ط ١ القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧٩.
ابن خلكان، وفيات: ٧/ ١٠٠، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل: ٥/ ٣٩٦، صفوان ابن ادريس، زاد المسافر: تحقيق عبد القادر حمداد، بيروت، ١٩٧٠، ٦٢، ابن الزبير، صلة الصلة: ١١٤، المقرئ، نفخ: ٢/ ٦٤١.
(٢٢١) ابن سعيد، النصوص: ١٣٩.
(٢٢٢) مثل مشهور بين الأدباء وغيرهم، فإذا كان الشيء بالياً شبهه بطليسان بن حرب ينظر، ابن خلكان، وفيات: ٧/ ٩٥ وما قبله في ذلك.
(٢٢٣) وفيات الأعيان: ٧/ ٩٤ و ٩٥.
(٢٢٤) ترجم له، ابن الشعار، عقود: ج ٦ ورقة ٦٣، صفوان بن ادريس، زاد المسافر: ١١٤ الحموي، معجم الأدباء: ٢/ ٣٦، ابن سعيد، المغرب: ٢/ ٣٨٤، ابن الجزري، غاية

- النهاية : ٦٠/٢ ، المقرئ ، نفخ : ٣٨١/٢ .
- (٢٢٥) ترجم له ، ابن الشعار ، عقود ج ٦ ورقة ٦٧ ، ابن المستوفي ، تاريخ أربل : ٨٩/١ ، ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٢/ ٦٤٤ ، الغربي ، عنوان الدواية : ٢٨٣ ، الصفدي ، الوافي : ١٠٤/٢ ، المقرئ ، نفخ : ٢١٤/٢ .
- (٢٢٦) المقرئ ، نفخ : ٣٧٢/٢ .
- (٢٢٧) ترجم له ، ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٢٦ ب ، ابن القوطي ، مجمع : ٥٤٨/١ .
- (٢٢٨) ابن خليل ، اختصار القدر العلمي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مصر ١٩٨٠ ، ص ١ .
- (٢٢٩) ترجم له ، السيوطي ، بغية الوعاة : ٨٨/٢ ، المقرئ ، نفخ : ٢١٧/٢ .
- (٢٣٠) وكان يكرر هذه النسبة ويقلق لها ، كما قال ابن عبد الملك المراكشي .
- (٢٣١) ترجم له ، ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٤٨٧/١ ، ابن الأبار ، التكملة : ١٢١/١ المنذري ، التكملة : ٣٣٥/٦ ، ابن أبي أصيبعة ، عين : ٥٣٨ ، الذهبي ، تذكرة : ١٤٢٥/٤ ، المقرئ ، نفخ : ٥٩٨/٢ .
- (٢٣٢) ابن عبد الملك المراكشي : ٥١٢/١ .
- (٢٣٣) ابن عبد الملك : ٥٠١/١ و ٥٠٢ .
- (٢٣٤) ابن أبي أصيبعة : ٤٠٩ .
- (٢٣٥) ابن عبد الملك المراكشي : ٥٠١/١ .
- (٢٣٦) ابن الأبار ، التكملة : ٩٣/١ ، المقرئ ، نفخ : ٣٨٣/٢ .
- (٢٣٧) ابن الأبار ، التكملة : ٩٠٤/٢ .
- (٢٣٨) ترجم له القفطي ، انباه الرواة ٢/ ٣٨٦ ، ابن خلكان : ٥/ ٣١٦ و ٣١٧ ، بعض اخباره .
- (٢٣٩) ابن خلكان : ٣١٦/٥ و ٣١٧ .
- (٢٤٠) ابن أبي أصيبعة ، عين : ص ٤٧١ و ٤٧٢ .
- (٢٤١) عبد الجبار حامد ، المصدر السابق : ١٩٨ .
- (٢٤٢) عياض ، الغنية : ٥٤ ، الذهبي ، تذكرة : ١٢٥٣/٤ ، ابن فرحون ، الديباج : ٣٣٠/٢ ، المقرئ ، نفخ : ٩١/٢ .
- (٢٤٣) ابن الأبار ، التكملة : ٤٨٩/٢ .
- (٢٤٤) ابن فرحون ، الديباج : ٢/ ٢٥٢ ، ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ١/ ٢٦٠ ، المقرئ ، نفخ : ٢٨/٢ .
- (٢٤٥) ابن الأبار ، التكملة : ٤٩١/٢ .
- (٢٤٦) ابن الأبار ، التكملة : ١٤٨/١ و ١٤٩ .
- (٢٤٧) ابن سعيد ، المغرب : ٢/ ٢٣٥ ، الصفدي ، الوافي : ٣/ ٢٤٥ .
- (٢٤٨) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٢٦١/٥ ، الذهبي ، معرفة القراء : ٢/ ٢٦٠ .
- (٢٤٩) المنذري ، التكملة : ١٠/٤ ، ابن الأبار ، التكملة : ١٠١/١ ، الذهبي ، تذكرة : ١٣٨٩/٤ ، ابن عبد الملك ، الذيل : ١/ ٥٥٨ ، المقرئ ، نفخ : ٦٠١/٢ .
- (٢٥٠) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٣٥٢/٦ ، المقرئ ، نفخ : ٣٧٩/٢ .
- (٢٥١) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٤٥٢/٥ .
- (٢٥٢) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٤٩٦/٥ .
- (٢٥٣) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٩٧/٦ ، ابن الأبار : ١/ ٦٥ ، ابن الجزري : ٢/ ٤٥ .
- (٢٥٤) الذهبي ، معرفة القراء : ٢/ ٥٣٣ .
- (٢٥٥) الكشي ، عيون التواريخ : ٢٠/ ٣١٣ ، فوات الوفيات : ٢/ ٣٠٦ ، المقرئ ، نفخ : ٦٤/٢ .
- (٢٥٦) الذهبي ، تذكرة : ٤/ ١٤٤٨ ، القاضي ، المقدم الثمين : ٢/ ٤٠٧ ، ابن القاضي ، الجذوة : ١/ ٢٨٦ .
- (٢٥٧) ابن تفرج يردى ، المنيل الصافي : ١/ ٨٤ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : ٢١٥ ، الحنبلي ، شذرات : ٦/ ١٢٢ .
- (٢٥٨) برنامج الوادائي : ٧٤ و ٧٥ ، الأسنوي ، طبقات الشافعية : ٤٥٧/١ .
- (٢٥٩) ينظر ، البرنامج : ص ١٢٧ و ١٥٤ و ١٦٠ .
- (٢٦٠) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٤٢٣/٦ ، ابن الأبار ، التكملة : ٢/ ٦٢ ، الرعي ، البرنامج : ص ١٣٤ .
- (٢٦١) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٤/ ١٦٣ .
- (٢٦٢) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٥/ ٥٦٦ ، الذهبي ، تذكرة : ٤/ ١٤٢٦ ، ابن الجزري ، غاية النهاية : ٢/ ٢٣ ، ابن الأبار ، التكملة : ٢/ ٧٠٤ ، برنامج الرعي : ص ٢٧ .
- (٢٦٣) ابن عبد الملك ، الذيل : ٨/ ٣٤٢ ، ابن فرحون الديباج : ٢/ ٢٦٦ .
- (٢٦٤) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٥/ ٦٥٧ .
- (٢٦٥) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل : ٨/ ٣٠٦ .
- (٢٦٦) فهرسة ابن عطية : ص ٨٥ .
- (٢٦٧) عياض ، الغنية : ص ١٤٨ .
- (٢٦٨) فهرسة مارواه عن شيخه : ص ٥٧ .
- (٢٦٩) فهرسة مارواه : ص ٥٧ و ٥٨ .
- (٢٧٠) - ابن بشكوال ، الصلة : ٢/ ٤٢٧ و ٤٢٨ .
- (٢٧١) - الفهرسة : ص ٤٢ .
- (٢٧٢) - الفهرسة : ص ٤٣ .
- (٢٧٣) ترجم له ، ابن حجر ، الدرر الكامنة : ٣/ ٣٢٤ ، أحمد بابا ، نيل الابتهاج : تحقيق ناطق صالح مطلوب ، رسالة ماجستير . مكتوبة على الآلة الكاتبة ، جامعة عين شمس - كلية الآداب - ١٩٧٣ ورقة ٦٩٤ .
- (٢٧٤) ينظر ، برنامج شيخه ، نسخة مصورة عن نسخة دير الاسكوريال تحت رقم ٣٥٣ ورقة : ٤٢ - ٤٦ و رطلته : مستفاد الرحلة والاغتراب : ص ٤٢٦ .
- (٢٧٥) برنامج شيخ الوادائي : ص ١٩٢ .
- (٢٧٦) رحلته المسماة : مله العيبة بما جمع بطول الغيبة في الرجعة الى الحرمين مكة وطيبة : تحقيق محمد الخوجه ، تونس ، ١٩٨٢ ، ٣/ ٣٥٥ و ٣٥٦ .
- (٢٧٧) مستفاد الرحلة والاغتراب : ١٨٠ - ١٨٢ .
- (٢٧٨) الأسنوي ، طبقات : ٢/ ٢٦٦ .
- (٢٧٩) مله العيبة : ٣/ ٣٩٩ .
- (٢٨٠) البرنامج : ٢٦٥ و ٢٦٦ .

- (٢٨١) فهرسة مارواه : ١٥٧ .
 (٢٨٢) الكتلة لوفيات القلة : ١٢٧/٦ .
 (٢٨٣) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والكتلة : ٣٥/٦ المقرئ ؛
 نفع : ٥٣/٢ .
 (٢٨٤) ملء النية : ١٠٣/٣ و ١٠٤ و ٢٩٦ و ٤٠٤ و ٤٠٨ و ٤٠٩
 (٢٨٥) مستفاد الرحلة : ٢٣٨ و ٢٩٢ و ٣٠٩ و ٣٣٠ و ٤٢٦
 (٢٨٦) المقرئ ، نفع : ٥٩١ / ٢
 (٢٨٧) القاضي ، العقد الثمين : ١٧٠ / ٣ و ١٧١
 (٢٨٨) القاضي : ١٦٨ / ٣
 (٢٨٩) الأستوي : ٢٨٤ / ١
 (٢٩٠) القاضي ، العقد الثمين : ٢٥٨/٣
 (٢٩١) فهرسة مارواه : ٢١١
 (٢٩٢) ابن بشكوال ، الفصلة : ١٠٠ / ١
 (٢٩٣) الرحلة المغربية : ٢٦٣ .
 (٢٩٤) برنامج الواد آتشي : ٢٢٧
 (٢٩٥) برنامج ابر القاسم السبيعي التيجي : ورقة ١٨٠
 (٢٩٦) فهرسة مارواه : ٣١٧ و ٣١٨
 (٢٩٧) ينظر : فهرسة ابن عطية : ٨٠ ، القاضي عياض ، الغنية : ١٦٤ .
 (٢٩٨) فهرسة ابن عطية : ٨١
 (٢٩٩) الغنية : ١٦٢
 (٣٠٠) فهرسة مارواه : ٣٢٦
 (٣٠١) فهرسة مارواه : ٤٠٦
 (٣٠٢) فهرسة مارواه : ٤٠٦
 (٣٠٣) فهرسة مارواه : ٤٠٦
 (٣٠٤) تروى لسبعة عشر شاعراً ولا يعرف قائلها .
 (٣٠٥) فهرسة مارواه : ٤٠٢
 (٣٠٦) فهرسة مارواه : ٤١٦
 (٣٠٧) فهرسة مارواه : ٢٧٨
 (٣٠٨) مستفاد الرحلة والأغتراب : ١٥١ ، وبرنامج شيرننه ورقة ٩٧ .
 (٣٠٩) برنامج الواد آتشي : ٢١٤
 (٣١٠) مستفاد الرحلة والأغتراب : ١٥١
 (٣١١) مستفاد الرحلة : ١٨٢
 (٣١٢) الرحلة المغربية : ١٤٢ و ١٤٣
 (٣١٣) الرحلة المغربية : ١٣٣ و ١٣٤
 (٣١٤) الرحلة المغربية : ١١٩
 (٣١٥) مستفاد الرحلة : ٧٥
 (٣١٦) الغنية : ١٠٣ و ١٠٤
 (٣١٧) المقرئ ، ازارار الرياض : ط١ ، الرباط ، ١٩٧٨ ، ٢١ / ١ .
 (٣١٨) ملء النية : ٩٦ / ٣ و ٢٩٧ و ٩٧ و ٢٩٨ .
 (٣١٩) العبدري ، الرحلة : ص ٢٦٣ .
 (٣٢٠) ابن بسم ، الذخيرة : ق ٤ ج ٢ / ٢ و ٤٩٧ و ٤٩٨ .
 (٣٢١) المقرئ ، نفع : ٣٧٢ / ٢ .
 (٣٢٢) الرحلة : طبعة بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٠ و ٢١٢ .
 (٣٢٤) رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظاري عجائب الامصار : تحقيق علي الكنائي ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، بيروت ، ١ / ٢٥٤ و ٢٥٥ .

رقم الاندماج في المكتبة الوطنية ببيضاء (٨١/٤ لسنة ١٩٩١



دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل

